

11me Année No. 496 — Lundi - 4 - 1 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مصرى
٦٠ في مصر والسودان
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٤ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

الرسالة

في عامها الحادي عشر

أقبل العام الميلادي تسعى بين يديه الشمس ، ومن ورائه يقبل العام الهجري يسعى بين يديه القمر ؛ وبين هذين النيِّرين الإلٰهيين تبلغ « الرسالة » مرحلتها الحادية عشرة في سبيلها الشاقة ، إلى غايتها الحاقة ، ومنهما معرفتها ورشادها ، وفيهما تضحيتها وجهادها ؛ ومن نور القمرين نور الدنيا ، ومن هدى التاريخين هدى الناس ؛ فإذا تعسر الخطو وتعثر الخطاة فذلك لأن النور الإلٰهي احتجب ، والبصر الإنساني كلَّ . على أن نور الله تدركه البصائر لا الأبصار ؛ فإذا عميت القلوب تخبط الناس في ظلام جهنمي تموج فيه تهاويل الشر ، فأفسدوا كل صالح ، وبددوا كل منتظم ، وهددوا كل حي . وما محنة العالم اليوم إلا ضلال عن الطريق . والضال إذا لم يهتد هالك لا محالة . ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدا

كلما عاد عيد الهجرة أو عيد الميلاد صاح بالضالين المتفانين شيخ الإسلام أو حبر النصرانية : أن تعالوا إلى الطريق ! ولـكن كلا الدليلين — وا أسفاه ! — يقف على رأس الجادّة المهجورة داعياً ولا سميع ، وراعياً ولا قطيع !

فتى يا إلٰه الناس تنحسر عن العيون السادرة أغشية الضلالة فيعود الجائر إلى القصد ، ويرجع الشارد إلى الحظيرة ؟

لقد طغى الفناء على الكون، وأرسل على ملكوت الله سمائمه السود تعصف في كل مكان بالخوف والجوع والدمار والموت لا تكف ولا تخف حتى لا يدرى الممسى كيف يصبح، ولا الغادى كيف يروح!

هذا هو الشتاء الرابع يقبل على هذه الرجفة الآدمية العالمية وهي راعدة لا ينقطع لها دوى ولا حمم ولا نار ولا ضحايا؛ وبنو آدم المتمدنون لا يفتأون يسخّرون العلم الذليل الخاضع في تأريث براكينها المزمجرة، فتقذف الردى شهباً في السماء، وتصبه حمياً في الماء، وتشمله جحيماً في الأرض، وأولادهم هم أشلاء هذه المقتلة، وحضاراتهم هي أنقاض هذه الزلزلة. وكل أولئك في سبيل الرغيف..

ورزق الله موفور ميسور ما دامت السماء تمطر والأرض تنبت؛ ولكن الإنسان مهما تعلم وتقدم لا يزال في سياسة معدته على الفطرة الأولى من حب الاستئثار والاحتكار، فلا يعرف القناعة في الرزق، ولا يقبل العدالة في القسمة، ولا يحسم الخلاف على القوت إلا بالقوة إذا تأسّد، وبالمراوغة إذا تثعلب. وقد تتفانى الدول وتبقى الأرض، كما يتفانى الأسود وتبقى الفريسة

والخاسرون في معركة الحياة هم عبيد الطمع من الأفراد والأمم. يبذلون دماءهم في سبيل الحياة لا لينعموا بها، ولكن ليحافظوا عليها. وهم مادة الغذاء في يد الطبيعة: ترعاهم ليأمنوا، وتدر عليهم ليسمنوا؛ فإذا ما تكاثروا وامتلأوا قدمتهم إلى الحياة العامة فكانوا سماد الزرع ليخصب، وقلامة الشجر ليغلظ!

***

كان الشأن في الحرب القديمة أن يخرس اللسان والقلم إذا نطق السيف والرمح. وكانت نيرانها المحصورة لا يصلاها إلا المتحاربون، رجلاً لرجل، أو فئة لفئة؛ ولكن هذه الحرب الجديدة في خططها وعُددها، قد جندت كل قوة وأوعدت كل حياة: جندت العلم والأدب والفن والصحافة والإذاعة والتمثيل والسينما، وعبأت الزراع والصناع والتجار والمدنيين والعسكريين والمحايدين والمحاربين والأطفال والشيوخ، فلم تدع أحداً في العالم كله يفكر إلا فيها، ولا يشتغل إلا بها، ولا يعمل إلا لها، ولا يألم إلا منها؛ فكأنها أصبحت المحرك الأول لآلة العيش، استولت عليه الشياطين فأنتجوا به من أداة الشر ما لم يقع في سماع التاريخ ولم يخطر ببال الناس ليهلكوا ما ادخرته القرون، ويهدموا ما شاده الله! لذلك نما وطما كل ما يمت إلى هذه الحرب بسبب من الإنتاج المادى والفكرى، وذبل وضؤل منهما ما لا يحارب ولا يدعو.

والأدب في الحرب القديمة كان تشجيعاً، ولكنه في هذه الحرب أصبح دعاية. وقد نفق هذا النوع من الأدب نفوقاً عجيباً في كل أمة، لأن الحكومات على اختلافها وائتلافها تتملقه وتتعهده وتنفق عليه. والأدب كالحرب عصبه المال: بفضله يخصب ويزدهر، وبحوله يتسع وينتشر. أما الأدب الذى لا يحارب ولا يدعو، فقد ظل كالشعب المحايد، يعانى الحرمان ولا يد له فيه، ويقاسى الغلاء ولا ربح له منه

والصحافة الأدبية من هذا النوع، ألحّ عليها فحش الغلاء وحرمان العوز حتى نحل بدنها وشحب لونها، وكادت تنبتّ من فرط الضنى في وسط الطريق

أصبحت لا تجد الورق إذا وجدت المال، ولا تملك زيادة العرض إذا ملكت زيادة الطلب، ولا تضمن بقاء الغد إذا اطمأنت على بقاء اليوم. فإذا قدر الله لها أن تخرج من محنة هذه الحرب وفيها حُشاشة نفس، كانت حرية بعد ذلك أن تستهين بكل صعب، وتثبت على كل خطب. ورجاء الرسالة في الله أن يرزقها من الجلد ما تتماسك به على عَرْك هذه الشدائد. وحسبها من صدق الأماني أن تعيش حتى ترى الطريق قد استبصر، والسلام قد استقر، والأمر قد استقام. ويومئذ يتسع لها المجال فتشارك جاهدة مخلصة في رأب ما تصدع وتجديد ما تهدم

وإذا كان للرسالة في مستهلّ هذا العام ما تغتبط به من فوز جهادها ونجاح دعوتها، فذلك توفيقها في معالجة الإصلاح الاجتماعي توفيقاً لمست أثره في منهاج وزارة الشؤون الاجتماعية في عهد وزيرها القائم بأمرها اليوم. فلقد آتاه الله حزم الحكماء وعزم المصلحين فطوى فؤاده الشهم على نية الإصلاح بالفعل لا بالقول، فرفع شأن العربية في دواوين الحكومة، ومهد السبل المؤدية إلى تنظيم الإحسان وجباية الزكاة ومحاربة الأمية ومطاردة الفقر على نحو يشبه ما نحته الرسالة في معالجة هذه الشؤون

وأمنية أخرى طالما تمنتها ورددتها الرسالة توشك أن تكون من مقاصد الحكم في هذا العهد: تلك الأمنية هي الاتحاد العربي على أي صورة يكون. وفي كلام الزعماء ومنطق الحوادث ما يعزز الرجاء في تحقيق هذا الأمل؛ وفي توفيق الله وجهاد الصادقين ما يحقق النفع المرجو من هذا العمل

احمد حسن الزيات

خواطر ليلة الميلاد

للدكتور زكي مبارك

كان لى مع هذه الليلة تواريخ في القاهرة وباريس ، تواريخ أبدعها الجوّ الطروب أو الجوّ العبوس ، فقد كان يتفق فى أحيان كثيرة أن تحمل ليلة الميلاد أكداراً ومنغصات ، لأن الغالب فى البيوت الفرنسية أن يكون الزوجان عاشقين ، وأن تكون نيران الغيرة مما يُشبّ فى ليلة العيد حول « شجرة الميلاد » ، وما أسعدَ من يعيش وهو معذّب بلواذع الوجدان !

ما أذكر مرةً أن تلك الليلة مضت بدون عواصف ، إلا أن تكون في بيوت فرغ أهلها من مصارعة الأهواء ، وهى فيما عدا ذلك ليلة متاعب وكروب

وهذه الظاهرة هى سرّ جمال هذه الليلة ، فاصطراع العواطف ميلادٌ جديد ، وقد يفعل فعل السّحر فى إحياء المشاعر والقلوب

كنت أقضي هذه الليلة فى بيوت أعرف من أحوالها أشياء ، فكنت أفهم الرموز والتلاميح ، وكنت أجد التفاسير لبعض دقائق الأدب الفرنسى ، وهو أدبٌ قام على أساس الفهم للسريرة الإنسانية ، وسيعيش إلى أزمان وأزمان ، ما دام فى الدنيا ناسٌ يحبون الأدب الصادق الصريح

ثم جاءت هذه الحرب فقضت فى مصير فرنسا بما قضت ، ولم يبق لأصدقائى الفرنسيين من زاد غير الحزن الوجيع ، فأنا لا أزورهم فى ليلة الميلاد كما كنت أصنع ، ولا ألقاهم إلا فى الحين بعد الحين ، فهناك أحزان تؤرّثها المؤاساة وتزيدها اشتعالاً إلى اشتعال

وهنا أذكر أنى عرفت أخيراً أن سقوط باريس لم يحزن أهل باريس بقدر ما نتصور ، ولم يشعرهم بمعانى الامتهان . وتفسير ذلك عند الأستاذ توفيق وهبة أنهم قومٌ تعودوا الهزائم والانتصارات ، ولم تكن الدنيا فى أنظارهم غير مواسم للانخفاض والارتفاع

ولكنى مع هذا أقرر أن حال الفرنسيين المقيمين بمصر يختلف عن حال مواطنيهم هناك ، لأن المغترب يتعلق بوطنه تعلقاً لا يحسّه المقيم ، وقد تأكد عندى هذا المعنى فى الأعوام التى قضيتها فى باريس وفى بغداد ، فقد كان الخبر السيء يؤرق نومى مهما صغُر وهان ، وكان أىّ حرف يُكتب ضد مصر يؤذيني ، فأردّ عليه فى الحال

أكتب هذه السطور فى ليلة الميلاد ، وفى خيالى بيوتٌ عزيزة كنت أحب أن أراها وكانت تحب أن ترانى . وسيقول قومٌ كلاماً كالذى قالوه يوم نشرت « الرسالة » مقالى فى التفجع لسقوط باريس !

كانت فرنسا أمةً استعمارية فشمِت بانهزامها من يؤذيهم بغيُ المستعمرين ، وفاتهم أن فرنسا أعطت جميع الشعوب درساً سينتفعون به حامدين أو جاحدين

كانت فرنسا ترى أن اللغة هى عنوان الأمة ، وكانت ترى أن الوطن الذى لا يسيطر بالفكر على خصومه ومنافسيه وطنٌ ضعيف . ومن أجل هذا أنفقت فرنسا ما أنفقت من الأموال ليكون لها مدارس فى جميع البلاد ، وبفضل هذه العناية صارت اللغة الفرنسية لغةً دولية ، وصار من حق الفرنسى أن يعفى نفسه من العناء فى تعلم اللغات ، لأنه سيجد من يتفاهم معهم بلغته فى أى بلد يتوجه إليه ، ولو فى الصين !

اقترحتُ فى سنة ١٩٣٨ أن نُنشئ مدرسة مصرية تنافس المدرسة الفرنسية فى طهران ، فلم أجد من يسمع كلامى . وأين من يعرف أن فى طهران جريدة إيرانية لغتُها الفرنسية ؟

فوجئت يوماً وأنا بدار المعلمين العالية فى بغداد بمجموعات ضخمة من المؤلفات الفرنسية ، وحين سألت عن مصدرها عرفت أنها هدية مرسلة من باريس

وقد استوحيت هذا الشاهد فاقترحت فيما بعد أن ترسل وزارة المعارف المصرية هدايا من الكتب المكدسة فى المخازن إلى المدارس الأجنبية ، فترددت الوزارة عامين ، ثم تلطفتْ فأهدت مجموعات هزيلة ، مع أن فى مخازنها مجلدات مهجورة ستباع يوماً بلا ميزان ، لأن حراستها وصيانتها تجشمان الوزارة ضروباً من التكاليف .

كانت فرنسا تقول بمبادلة الأساتذة والتلاميذ ، لتعطى وتأخذ ، ولتفيد وتستفيد ، وقد أقامت فى إحدى ضواحى باريس مدينة تبنى فيها أية أمة لأبنائها ما تشاء ، ولقد استفادت أممٌ كثيرة من هذه المزية ، إلا مصر ، ولهذا تفصيلٌ قد يتأذى الشمسى باشا من تسجيله فى هذا الحديث

ونحن اليوم فى أوج صلاتنا مع الشرق ، فمند الشرق مدرسون مصريون يعدّون بالمئات ، ومع هذا لم تفكر مصر فى ردّ الجميل

ما الذى يمنع من أن تستقدم مصر بعض الأساتذة من الشرق ليدرّسوا فى معاهدها العالية بأساليبهم الخواصّ : فهذا فى كلية الآداب ، وذاك فى دار العلوم ، وذلك فى كلية اللغة العربية ، إلى آخر ما يصلح له علماء الشرق ؟

ليس معنى هذا أن مصر فى احتياج إلى مدرسين ، وكيف وفى خريجى المعاهد العالية شبان أكفاء لا يجدون ما أعدوا له من المناصب التعليمية ؟

إن لهذه المسألة وضعاً غير هذا الوضع ، والمراد هو أن تفكر مصر فى إتاحة الفرصة لبعض أساتذة الشرق ، الفرصة التى تمكنهم من الوقوف على التيارات العلمية والأدبية فى الديار المصرية ؛ فمصر اليوم فى ازدهار علمى وأدبى لم تشهد مثله من قبل ، وهو ازدهار يوحى إلى الأساتذة أكثر مما يوحى إلى الطلاب ، وقد يكون فى وجود أولئك الأساتذة فرص لمنافسات علمية وأدبية تعود علينا بأجزل النفع ، وقد يكون فى وجودهم خير للطلبة الذين حضروا إلينا من بلادهم ، فأنا ألاحظ أن أكثر الطلبة الشرقيين لا يجدون من يعاونهم على الاستفادة الصحيحة من الإقامة بهذه البلاد

خطر فى بالى مرة أن أقترح على مشيخة الأزهر الشريف أن تنشئ كرسياً للفقه الجعفرى ، وكان هذا الخاطر لأنى لاحظت أن النضال بين المذاهب الفقهية قد انعدم فى مصر أو كاد ، مع أن لمصر فى التشريع الإسلامى تاريخاً من أمجد التواريخ

إن مناصب « شيوخ المذاهب » صارت مناصب شكلية بسبب السلام الذى ساد بين المذاهب ، وهل نسمع اليوم خبراً عن شيخ الشافعية أو شيخ المالكية ؟

إن النضال بين المذاهب أدى للتفكير الإسلامى خدمات تفوق الإحصاء ، وله فضلٌ عظيم فى مرونة اللغة العربية ، وأكاد أجزم بأن الفقهاء خدموا اللغة أكثر مما خدمها الشعراء

لو استقدمنا عالماً شرقياً لتدريس الفقه الجعفرى بالأزهر لأثرنا النضال بين المذاهب من جديد ، وأعطينا مصر فرصة عظيمة ليقظة فكرية نادرة المثال

إن مصر فى عهدها الحاضر تنشئ تاريخاً جديداً فى الشرق ، وهى فى طريق الوصول إلى عقد معاهدات ثقافية مع أكثر أمم الشرق ، وهذا يوجب عليها أن تعرف الشرق أكثر مما تعرف ، فيكون لها فيه سفراء روحيون ، ويكون عندها منه سفراء روحيون

لو دعونا جماعة من أساتذة الشرق ليحدثونا عما فى بلادهم من تقاليد وآراء وآداب لحمدوا لنا هذا الصنيع ، وعدوه تلطفاً يستحق الثناء

ويظهر أنه لا بد من إنشاء قلم بوزارة الخارجية لمراجعة ما يكتب عن مصر فى جرائد الشرق ، وتكون مهمته المبادرة إلى تصحيح ما يستوجب التصحيح ، وتكون مهمته أيضاً أن يستصدر أعداداً خاصة من بعض جرائد الشرق للتعريف بمصر كالذى تصنع وزارة الخارجية فى استصدار أعداد خاصة من بعض الجرائد الإنجليزية والأمريكية

وهنا أشير إلى حادث ما ذكرته إلا شعرت بالحزن يعصر قلبى فى سنة ١٩٣٩ أصدرت مجلة « الحديث » ومجلة « العرفان » ومجلة « المكشوف » أعداداً خاصة بمصر ، أعداداً نفيسة جدًّا ، ومع هذا لم أستطع إقناع وزارة المعارف بأن تشترى من تلك الأعداد مجموعات لمكتبات المدارس ، ليعرف الذين فكروا فى التنويه بمصر أن كرمهم لا يضيع

وفى تلك الأيام كنت أقترح على الأستاذ الزيات أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الأمم العربية فرحّب بالاقتراح وأجّل تنفيذه إلى انقضاء الصيف ، ثم بدا له بعد ذلك أن يواجه المشروع من جديد ، فصدته أزمة الورق عما يريد

مالى ولهذا الكلام ؟

هذه ليلة الميلاد ، والأثير ينقل إلى سمعى بعض ما يثور فى شوارع مصر الجديدة من عجيج وضجيج ، فكيف آثرتُ الاعتكاف فى هذه الليلة ، وقد تفضل شهر ذى الحجة بجعلها قمراء ؟

لعلنى أردت الخلوة إلى قلمى ، وهو الأنس الأنيس عند اعتكار الظلمات فى دياجى الزمان

لعلنى أردت بهذه الخطرات القومية أن أتجنب الخلوة إلى قلبى ، وهو عدوٌ صديق

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدوًّا لهُ ما من صداقته بُدُّ

قضيت ما قضيت من حياتى فى دراسة الجمال ، حينما كان الجمال ، فأنا لا أضيف حرفاً إلى حرف إلا بميزان ، وأنا أصادق وأعادى بوحى الذوق لا بوحى النفع ، وما الموجب لأن أكون نفعيًّا وقد أغنانى الله عن جميع الخلائق ، ولم أعرف ما الظمأ والجوع فى أى يوم ، ولا جاز فى وهمى أن أتصور أن الله قد يتخلى عنى ؟ لى صداقات كثيرة مع أرواح تنطق بالأوراق لا بالألفاظ ،

وأقسم جهد اليمين أن بحديقة دارى فى سنتريس أشجاراً يعتريها الذبول إن صدفتُ عنها أسابيع

لى صديق هو اليوم أحد مدرسى الفلسفة بكلية الآداب ، وهو الأستاذ محمود الخضيرى ، وكان لى معه حديث فى « ايسكوار مونج » فى نوفبر سنة ١٩٣٠ ، فما ذلك الحديث ؟[١]

كنت أجلس فى بعض الضحوات « بذلك الإيسكوار » ، وهو حديقة الحيّ فى الاصطلاح الفرنسى ، كنت أجلس تحت شجرة يؤنسها أن ترى رجلاً بيده كتاب ، وكان أصدقائى من بعثة الجامعة المصرية يعرفون كيف يلقوننى هناك . وفى ذات يوم حضر الأستاذ محمود الخضيرى فوجدنى أجادل رجلاً يحاول تشذيب تلك الشجرة بعنف ، فأنكر علىّ ما أصنع ، فقلت إن الشجرة تصرخ ، ومن واجب من استظل بظلها أن يدفع عنها العدوان . فقال : وهل يحس الشجر والنبات ؟ فقلت : نعم ، ويتألم الشجر والنبات كما يتألم الحيوان !

وبعد شهور حدّثتنا جرائد باريس أن جلالة الملك فؤاد قد استقدم عالماً هنديًّا اسمه « بوز » ليلقى فى الجمعية الجغرافية محاضرات عن نظريته فى إحساس النبات !

إحساسى بالوجود هو سبب عنائى ، ولو عرف الناس هذا العناء لقاتلونى عليه ، فهو أطيب الأطايب فى ثمرات الحياة

لم أدخل بلداً إلا أحببته أصدق الحب ، لأنى أرى بضميرى وجه الله فى كل مكان . وما صادقت إنساناً وغدرت به أبداً ، لأنى أرى الصداقة من أظهر الدلائل على صحة القول بوحدة الوجود

وأنا أترحم وأتحسر وأتفجع كلما رأيت إنساناً يكذب أو ينافق فى سبيل العيش ، فالموت الذى يخافه الناس لن يصل يوماً عن طريق الجوع . ولو نظر الناس فى أسباب أمراضهم لوجدوها ترجع إلى الإفراط فى الطعام والشراب ولو كانوا من الفقراء

ثم ماذا ؟ ثم يبقى جواب الخطاب الوارد من « الأرمان » فماذا يريد ذلك الخطاب ؟

هو يريد أن تكون مقالاتى كلها على غرار « دار الهوى فى عيد القمر » ، فأين أنا مما يريد ؟ وأين الأعصاب التى تستطيع تدبيج تلك الأحاسيس فى كل أسبوع ؟

أمام عينىّ وبين يدىّ أرواحٌ موقودة هى المقالات التى سطرتها بدمى ، ولا أستطيع نشرها بأى حال ، لأنها تخالف المألوف من تقاليد هذا الزمان

ثم يحاسبنى ذلك الخطاب على هفوات قلمى ، كأنه يجهل أنى أمتشق القلم فى كل مساء ، وأنى أراود أبكار المعانى فى يقظتى ومنامى

أما بعد فهذه ليلة الميلاد ، وقد قضيتُها وحيداً فريداً لأتقى الله فى نفسى فلا أعرضها لشواجر الأرواح وعواطف القلوب

وقد بقيتْ ليلة ستأتى بعد ليال ، وهى ليلة العام الجديد ، وأغلب الظن أنى سأحرّم نعيمها على نفسى ، لأنى نذرت التبتل بعد فراق من تلقيت عنهم وحى الروح فى اللحظة التى تفصِل بين العام الذاهب والعام الوليد

ما جزَعى على ما مضى من أيامى ، ولم يعش أحد كما عشت ، ولا استجاب الوجود لنداء شاعر كما استجاب لندائى ؟

ماذا صنع الدهر بهم ؟ ماذا صنع ؟

إن دنياى بعدهم وهمٌ فى وهم ، وخيالٌ فى خيال ، ولن أتذوّق طِيب الحياة إلا بعد أن يصفحوا عنى

إن ذنبى عندهم أنى صيرت حياتهم أفانين من الارتياع والانزعاج ... فهل يجهلون ما صنعوا بحياتى ؟ وهل يجهلون أن الجروح قِصاص ؟

قد كان لى قبلكم حبٌّ وكنت فتى ... لظل سلطانهِ أهلُ الهوى تَبَعُ

فكيف أشقيتمونى كيف لا رَضِيَتْ ... ولا أرتنى الليالى كيف أرتدعُ

هَبُوا فؤادى سلا واجتاز محنته ... فمن بسلوة قلب الصب ينتفع

يا غاضبين تمالَوْا تشهدوا كبداً ... رجاؤها فى خيال البرء منقطع

هوًى تهاوت أمانيه فليس له ... فيما تجود به الأوهام مُنتفَع

هوًى خلقتم وأفنيتم ، ولا عجبٌ ... بعض الأحباء فى قتل الهوى صَنَعُ

لا تحسبوا هجركم خطباً يروِّعنى ... إنى بوأد بنات الدهر مضطلعُ

زكى مبارك

---

(١) فى حى السيدة زينب درب صغير اسمه « حارة منجى » ، ومنجى الذى سميت باسمه تلك الحارة هو « Monge » أحد الأساتذة الذين قدموا مصر مع حملة بونابرت

أيها الأصحاء ...

للأستاذ راشد رستم

ها أنتم أولاء تمرحون وتلعبون، تستنشقون عبير الأزاهير والرياحين من الرياض وبين الغياض، وتستبدلون كما تشاؤون مكاناً بمكان، وتستلذون طيب العيش، وتسكنون بيوتاً جملتموها كما تريدون، وتستطيبون ألوان الراحة ومباهج الحياة، وترقبون شؤون دنيا كم في رغبة ونشاط ونظام، وقد تصعدون إلى السماء فتطيرون تقضون مآربكم مجالاً - وهكذا تروحون وتغدون، أحراراً صحاحاً خفافاً كراما ...

جعل الله أيامكم كلها هكذا دواما

***

والآن. ألا تقفون قليلاً!

نعم قليلاً. سائلوا ذلك الذى يناديكم، فإنه لا يبغى منكم تغييراً وتبديلاً، وإنما يطلب لكم صحة وسلاماً، ثم يهمس فى صوت خافت لئين صريح ساذج ...

***

أيها الأصحاء! زوروا عيادات الأطباء ...

زوروها واجلسوا فى ركن منها هادئين

اذهبوا إليها فى ساعة تختارونها، ولتكن هى الساعة التى تحارون كيف تقضونها ... تلك الساعة التى تتكرر كثيراً وكثيراً لذوى الوفرة فى الجاه، والوفرة فى الفراغ، والوفرة فى المال

***

هنالك فى تلك الساعة تعلمون أن المرض شيء من الحياة، وأن فى العالم مرضى، وأنكم أنتم الأصحاء ...

فإذا جاءكم الطبيب يسألكم عما تشكون وما تريدون، فقولوا له القول الصريح، القول الصحيح - « إنما نحن أصحاء، جئنا إلى هنا لكى نبقى أصحاء، وإنا لا نشكو مرضاً ولا نريد شيئاً كما لا نريد أن نشكو شيئاً أبداً »

***

ثم تحولوا قليلاً، وزوروا المستشفيات والمصحات، لا تسألوا المرضى عن أمراضهم، ولا الأطباء عن مرضاهم، ولا الممرضات عن أعمالهن، ولكن انظروا إلى المرضى فى حالاتهم، ولاحظوا يقظاتهم ورقداتهم، واسمعوا فى صبر آهاتهم وأناتهم. راقبوا فى عطف أهلهم وزوارهم. انظروا إلى طعامهم وشرابهم ولباسهم، ولا تنزعجوا خائفين، ولا تسرعوا هاربين، إذ هناك تعلمون وتعلمون حقاً أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، وأنها هى الحياة، وأنكم أنتم الأصحاء ...

***

ثم اخرجوا آمنين، واهدأوا مطمئنين، وجانبوا الناس قليلاً سالمين. ثم اسكنوا إلى أنفسكم خاشعين. كل ذلك وأنتم فى يقظة عالية وإحساس رفيع. اجلسوا ساعة أو بعض ساعة فى النجوى صامتين: ساعة صلاة وحمد وتسبيح، ثم اجعلوها كذلك ساعة ذكرى دائمة الذكرى، فإن نعمة الصحة قد لا تدوم، وهى كالشباب لا يعرف فضلها إلا من فقدها. فأحيوا تلك الساعة بمظهر من مظاهر العطف والعاطفة، إحساناً بإحسان، وزكاة عن الصحة والعافية

ثم عودوا إلى لهو الحياة إن شاء الله آمنين أصحاء دائمين ...

***

إن العواطف لا يدركها إلا المنكوبون

والرحمة لا تدخل القلب إلا إذا كان القلب يرى

وإن أبصر الناس من يرى بقلبه

وأرحمهم من يبكى بقلبه

وأصحهم من سلم فى قلبه

(لوكاندة بحيرة قارون) راشد رستم

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٧٥٢ سنة ١٩٤١ بتغريم عبد الرحمن محمد الموجى الخفير بشركة شل بيردين جنيه لبيعه غاز بأزيد من التسعيره

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٤٩٣ سنة ٩٤٢ بتغريم محمد اسماعيل حسن التاجر بالسنيطة جنيهين لبيعه ادرة بأزيد من التسعيره

خطرات شاعر

ليلة عيد الميلاد

للأستاذ على محمود طه

إسمعى أيتها الروحُ ! أفى الكون غِناء
وانظرى ... هل فى نواحى الأرض بالليل ضياء ؟
لا تُراعِى إنْ يكنْ قصَّر عنكِ البشراء
فالنواقيس التى حيَّتكِ أشجاها القضاء
الشَّجى رَجْعُ صداها والأسى والبُرَحاء
والتراتيلُ من البِيعَة نوحٌ وبكاء
رددتهنَّ الثكالى واليتامى الشهداء
والمصابيحُ التى كان بها يُزْهى السماء
خنقتْها قبضةُ الشرِّ فما فيها ذَماء
صبغوها بسوادٍ فعمىً والليلُ سواء
مأتمٌ للنور قام الويلُ فيه والشقاء
تحت ليلٍ ماله بدءٌ ، ولا منهُ انتهاء
أيها المبعوث ، لا ضَنَّتْ بِرُجعاكَ السماء
إنظرِ الأرضَ ... فهل فى الأرض حبٌّ وإخاء ؟
نسىَ القوم وصاياك وضلوا وأساءوا !
وكما باعوك يا منقذُ بِيعَ الأبرياء ! !

***

ليلةَ الميلاد ، والدنيا دموعٌ ودماء
فى ربوع كان فيها لك بالسلم ازدهاء
باسمه يشدو المغنون ويشدو الشعراء
أين ولَّت هذه الفرحة ؟ أم أين الصفاء ؟
لم تصافحك من الأطفال أحلامٌ وِضاء
رقدوا غير عيونٍ رِيعَ منهن الفضاء
ترقب الآباء ، هل عادوا ؟ وهل حان اللقاء ؟
بين أيدى أمهات ، بِتنَ ، والليل جفاء
فى طوايا النفس يبكين وقد عزَّ الرجاء !
ويحهم أين تُراهم ، هؤلاء التعساء ؟
هم وراء الليل أجسادٌ وأرواح هباء
ووجوهٌ رسم الرعبُ عليها ما يشاء .
خندقوا فى مأزقِ الموتِ وما منه نجاء
بين موج من سعير يتوقَّاه الفناء
وجبالٍ من رُكام الثلج يُرسيها الشتاء
وحديدٍ طائر يحذر مسراه الهواء
وعجيبٌ ! فيمَ للموت يساق الأشقياء ؟
فى سبيل الحقِّ ؟ والحق لدى القوم طلاء !
فى سبيل المجد ؟ والمجد من البغى بَراء !
أوَ فى المجزرة الكبرى تنال المجدَ شاء ؟
كذب الباغى وللسيف بكفيه مَضاء
وخداعٌ كل ما قال ، وزورٌ وافتراء ! !

***

أيها الشرق الذى خصَّته بالرُّوح السماء
هذه الروح التى شُيِّدَ بكفيها البناء
والتى من نورها العالم يُجْلى ويُضاء
يا أبا الحكمة ، لا هان عليك الحكماء !
ناد « أوربا » فقد ينفعها منك النداء :
دِنْتِ بالقوة حتى صَرَعَتْكِ الكبرياء
حانتِ الساعةُ يا أختاه أم حَقَّ الجزاء ؟
أرقصى فى النار ، أنتِ اليوم للنار غذاء
واشربى فى حانة الشيطان ما فاض الإناء
حانة للموت فيها من دم القتلى انتشاء
نادمى من شئت فيها ، فالمنايا الندماء
فارفعى الكأس وغنّى وعلى الدنيا العفاء !

***

يا قويا لم يَهُنْ يوماً عليه الضعفاء
وضعيفاً واسمه يُصرع منه الأقوياء
وأنا المسلم لا يجحد عندى الأنبياء
أنت فى القرآن حب وجمالٌ ونقاء
عجبٌ فِديتُك المثلى ! وفى القول عزاء !
ألهذا العالم الشرِّير ؟ قد ضاع الفداء !

كلمة عن التلباثي

للدكتور رمزي مفتاح

كتب الأستاذ العقاد مقالاً عن التلباثى ؛ وليس قصدنا أن نناقشه فيما كتب أو نوضح من هذا العلم الغامض . ولكننا نلخص الموضوع باختصار شديد فنقول :

١ — ليس معنى التلباثى هو Vision أو الرؤية عن بعد ، وليس هو من المكاشفة ، ولكنه : (١) انتقال إحساس قوى ، أو انتقال فكرة واحدة مجردة ؛ فقد تشعر الأم بوقوع ابنها فى حريق وهى بعيدة عنه . وقد يحس الابن ضيقاً وكرباً وأبوه يناديه وهو على فراش الموت وبينهما بحار وأقطار .

(ب) تبادل الأفكار الذى يكون بين اثنين من المشتغلين بهذا العلم ، ويتم بعد تدريب طويل بالطرق العلمية

(ج) إرسال فكرة أو أمر من فرد إلى آخر ؛ وتقتضى أن يكون الأول عالماً بعلم النفس الحديث ومتدرباً على التأثير من بُعد

٢ — يمكن الوسيط المغنطيسى أن يرى أو يسمع أو يقرأ عن بعد ، وقد نجح وسيطنا فى هذه التجارب . أما الحاصلون على هذه الوهبة وهم فى حالتهم العادية فعددهم فرد واحد فى كل أربعة ملايين

فلو كان المقاتلون قد سمعوا صوت عمر وهم مئات ، ولو كان ذلك قد تم بواسطة التلباثى ، لاقتضى الأمر أن يكونوا كلهم موهوبين أو وسطاء وهو ما لا يعقل . والحقيقة أنه هو الموهوب وحده ، وأن هذه الظاهرة ليست تلباثى . أما فى المثالين المذكورين فى (١) وما يشبهها فلا تسمع فيها الأصوات . ويلزم أن يكون بين الفردين صلة أبوة أو زواج ويكون مرسل الرسالة وقد انطلق عقله الباطن من عقاله فى سكرة الموت أو فى توقعه

٢ — أما الرؤية من بعد فنقسمها قسمين :

الأول : أن يراك غيرك وهو بعيد

والثانى : أن تنظر غيرك

فالأول كان يسمى قديماً إرسال المثال الكوكبى The Astral Person ، وهو من أعقد المباحث العلمية . وخلاصته أنه يمكن أحد الموهوبين — وهم بنسبة فرد فى كل ١٠٠ مليون فى المدن ، وفرد فى كل مليون فى البدو — أن يرسل طيفه المثالى إلى أى مكان حيث لا يرى فى ضوء النهار ، ولكن قد يسمع صوته ؛ ويرى فى الغبش أو الليل على صورة المرسل ضباباً متجمعاً . والهنود يسمون هذا الضباب Prana ويسميه العلماء الأقدمون أطياف الأثير ، وهم جميعاً يعتقدون أنها ذرات كونية تتجمع وتكوّن شكلا خاصاً بتأثير قوة خاصة ليست مجهولة منا الآن . وقليل من علماء النفس الحديثين من يعرف أن هذا الضباب مكون من ذرات الأشعة الكونية Milika's Cosmic Rays وهى التى كان العالم مسمر Mesmer الشهير يسميها السيال المغنطيسى الكوكبى . وإنه لمطلب عجيب نمسك الآن عن البحث فيه . وبالقدرة على إظهار الطيف الكوكبى يمكن أن ترى رجلاً تعرفه يمشى على الماء وتسمع صوته

القسم الثانى يختص بالوسطاء المغنطيسيين أو الموهوبين كما بينا . والوسيط أو الموهوب يرى ولكن الآخر لا يراه ولا يشعر به . وتسمى هذه الظاهرة Clairvoyance وهو موضوع آخر بالمرة غير التلباثى الذى ذكره الأستاذ . ومن أمثلته عند العرب زرقاء اليمامة

٤ — سماع الأصوات عن بُعد ويسمي Clairaudience وهو موضوع آخر غير التلباثى وهو الذى يقال فيه إن فلاناً يسمع الهاتف . وكل هذه الظاهرات من قوى الوسيط المغنطيسى أو الروحانى الموهوب — وكذلك لا يسمعه الطرف الآخر

٥ — كل مقال الأستاذ العقاد منصب على إثبات وجود التلباثى بأدلة منطقية قياسية . وقد فرغ العلماء من إثباته منذ أكثر من ٨٥ سنة . وتدرس هذه العلوم كدراسات عليا فى جامعات انجلترا الكبرى . ومحاولة الأستاذ إثباتها كمن يحاول إثبات وجود أشعة إكس بالاستنتاج . وقد صدر فى أمريكا وأوربا فى السنوات العشر الأخيرة نحو ألف كتاب فيها مباحث عن التلباثى والعقل الباطن

(مصر الجديدة) رمزى مفتاح

حكم فى القضية ن١٨٣٨ سنة ٩٤٢ الأزبكية ضد سوزان مافرا بغرامة ٥٠ قرش ونشر الحكم وتعليقه لأنها باعتبارها مديرة محل عمومى بنسيون لم تعلق عن الأسعار وعن النسبة المئوية التى تضف إليها

« توبال قابين » أو :

معجزة الحـــــديد

للشاعر الإنجليزى تشارلس ماكاى

للأستاذ محمود عزت عرفة

[وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس]
سورة الحديد : الآية ٢٥

[وصلة أيضاً ولدت توبال قابين الضارب كل آلة من نحاس وحديد] سفر التكوين ٤ : ٢٢

تقدمة

كانت قصص الكِتاب المقدس — وما تزال — مصدر وحى عميق لكتّاب الغرب وشعرائه ؛ فهى قد تركت بسهولة تعبيرها وبلاغة حكمتها ودقة تصورها ، أثراً بالغاً وسِمَةً واضحة الظهور فى تفكير القوم وفى أسلوبهم ؛ كما ترك القرآن الكريم أثره البالغ الخالد فى مختلف علوم اللغة العربية وآدابها ...

وهذه حقائق لا يتسع المقام هنا لشرحها . على أن فى قصائد : مَهْلِك جند سَنْخاريب ، ورؤيا الملك بَيْلْشاصّر ، ومرثية داوُد لابنه أبشالُوم(1) وغيرها وغيرها من نفائس الأدب الإنجليزى ، ما يعتبر دليلاً واضحاً على صحة ما أشرنا إليه آنفاً ... والقصيدة التى نترجمها اليوم مما يدخل فى هذا الباب .

وهى من نظم الشاعر الإنجليزى تشارلز ماكاى Charles Mackay الذى عاش بين عامى ١٨١٤ ، ١٨٨٩م ؛ وقد اشتهر بمقطوعاته الغنائية الرائعة ، كما أنه ساهم فى تحرير كثير من الصحف الصادرة على عهده ، فى انجلترا واسكتلندا . وقد ورد فى (معجم السِّيَر القومى : D. N. B.) البريطانى أن هذه القصيدة نشرت لأول مرة فى صحيفة « لندن المصورة » عام ١٨٥١م . ولكن المحقق الإنجليزى س . ب . هويلر يقول إنه لم يعثر عليها فى هذا المصدر ، وإنها نشرت لأول مرة عام ١٨٥٦م ضمن ديوان للشاعر عنوانه : أغانى وأناشيد شعرية .

ترجمة القصيدة

عاش توبال قابين(1) فى بدء الحياة والكون طفل يحبو ؛ وكان قيناً صَناعاً ذا أيدٍ وقوة ، لا ينفك لمطرقته دوىٌّ ولأتّونه لهيب ولظى ... كان يرفع مطرقته بساعده القوى المفتول ويهوى بها على الحديد الأحمر الوهاج ، فيترامى من حوله الشرر كأنه شآبيب المطر الأرجوانى . وما يزال حتى يستوى الحديد أمامه سيفاً قاطعاً أو سناناً لامعاً ، وإذ ذاك يصيح من قلب جذلان : ألا بورك فى هــذه من صنعة بورك فى تلك الظُّبا وهاتيك الشَّبا ! بورك لمن هزّ مشرفياً أو اعتقل ردينيا فبهذين تمتلك النواصى ، وتُستدنَى الآمال القواصى !

وكانت الرجال ما تنفك تهوى من كل فج إلى توبال قابين وهو على عمله عاكف يلتمس كلٌّ لنفسه سيفاً جُرازاً أو نصلاً قاطعاً ، ليحقق فى الحياة مأرباً أو يحتاز رغبة . فكان يمدُّهم من السلاح بأنفذه ومن العُدة بأقواها ، حتى ليهتفون باسمه فى نشوة من السرور ، ويغمرونه بعطاياهم من نفائس النضار وكرائم الجوهر وهم يقولون : ألا بورك فيك يا توبال قابين ؛ يا من تسبغ علينا من القوة لَبُوساً ، ومن البأس سرابيل ودروعاً بورك فى القين وبورك فى النار ! بورك فى الحديد ذى البأس الشديد !

على أن خاطراً فجائياً احتل موطنه — فى إحدى الليالى — من قلب توبال قابين ، فجاشت نفسه بالألم الممض ، وامتلأ صدره من الكمد الموجع والهم المقعد المقيم على ما قدم من الشر وأسلف من سوء الصنيع !

رأى الناس قد أذكوا فيما بينهم نار حرب عوان ، بدافع من نزوات الغضب ونفثات الحقد ؛ وخضبوا وجه الأرض بمسفوح الدم ، فى لحظات من جنونهم ونشوات نفوسهم العوارم ، فصاح من قلب مفجَّع منكوء :

وا أسفاه على ما قدمت يداى ! وتعساً لتلك المهارة التى

---

(1) القصيدتان الأولى والثانية للشاعر الانجليزى لورد بيرون (١٧٨٨ — ١٨٢٤م) والثالثة من نظم الشاعر الأميركى ن . ب . ويليس (١٨٠٦ — ١٨٦٧م) . ويجد القارئ قصة سنخاريب ملك آشور فى سفر الملوك الثانى ، ووليمة بيلشاصر وما حدث فيها فى سفر دَانيال ، أما حديث داود وابنه أبشالوم ففى سفر صموئيل الثانى ؛ وكلها من العهد القديم

(1) توبال بن لامك (من زوجته صلة) بن متوشائيل بن محويائيل ابن عيراد بن حنوك بن قايين بن آدم — أنظر الاصحاح الرابع من سفر التكوين . وقايين هو المسمى عند العرب بقابيل الذى طوعت له نفسه قتل أخيه هابيل فقتله . وقد وردت قصة الأخوين فى أوائل سورة المائدة

علاقة شوقي باللبنانيين في نظر الدكتور مبارك

للأستاذ نجيب شاهين

قال شوقي في يوبيله إنه يهتدى بهدى المتنبي في أدبه واعترف له بالسبق اعتراف أبي العلاء به قبله

وشوق في ملتي واعتقادي — كلتى أبي العلاء — أعظم شاعر بعد أبي الطيب بغير استثناء ، ولا يخرج من هذا الاستثناء أبو العلاء . وله مواقف لم يقفها المتنبي نفسه بل سائر من سبقه

هذا هو رأيي وقد أكون مغالياً ، ويكون سبب هذه المغالاة لوثة باطنية مما اصطلحوا عليه بلفظة ذاتية ، وأكون مخالفاً فيها لجهرة غالبة من أهل الرأي في الأدب والشعر وما يشتق عنهما . وقد أكون مصيباً ، وفوق كل ذي علم عليم

جالست حافظاً حقبة من العمر في القهوة المناوحة « لدار الكتب الملكية » في باب الخلق كنت أوافيه فيها أياماً من الأسبوع وكلانا يدخن فيها نارجيلته ، وكان حافظ هو المتكلم في الغالب ، وكنت أنا السامع كعادته مع أصحابه ، وكان أثناء بساطته (مباسطته) يمزح دائماً للمتنبي مفضلاً عليه البحتري ناسباً انتصار الشاميين له إلى كونه شامياً مثلهم . ولم يكن كذلك تماماً لأنه ولد في بادية الشام وطوف في الشام ومصر وعاد إلى الشمال فدح سيف الدولة الحمداني هناك ، ثم هبط إلى طرابلس (الشام طبعاً) في أواسط الشام وأنشد فيها بعض مدائحه ، ورحل إلى دمشق فأنشد فيها قصيدته الشينية على ثقلها ، وانتقل إلى فلسطين فمدح بدر بن عمار وقال فيه قصائده ومنها القصيدة المشهورة التي وصف فيها قنصه للأسود على ضفاف الأردن وبحيرة طبرية . ومنها يستدل على وجود الأسود هناك حينئذ مع أنها انقرضت الآن . وتنقله الكثير هذا بين الشام ومصر جاء مصدقاً لبيته الذي يقول فيه :

بأي بلاد لم أجرَّ ذؤابتي وأيَّ مكان لم تطأهُ ركائبي

فإن كان الشام وطناً له فقد كان وطناً ثانياً ، وهل أقول إنه كان دخيلاً فيه !

وكان يعرض لنا في مجلسنا ذكر شوقي طبعاً ، فإذا ذكره بعض حساده بسوء وولغوا في ذمه تصريحاً أو تعريضاً لم يشاركهم حافظ ولم يردهم ، بل كان يلقي لهم الحبل على الغارب تساهلاً

هيأت لهؤلاء القوم من آلات التخريب ومعدات الدمار ما تمادوا به في تقتيل أنفسهم ؛ حتى اقتضبوا طويل أعمارهم ، وخربوا معمور ديارهم !

وقضى توبال قايين أياماً طوالاً يقض مضجعه التفكير في محنته ، وقد أمسكتا[1] يداه عن العمل ، فما إن تطرقان قضيباً أو تضرمان لهيباً

وإنه لكذلك ، إذ نهض ذات يوم بوجه متهلل ضحوك ، وعينين ملتمعتين ببريق الرجاء والأمل ، وشمر عن ساعده المفتول ليستأنف عمله من جديد ؛ بينما ارتفع لهيب أتونه المضطرم في الجو عالياً ، وتراءى الهواء من حوله بشرر كالقصر[2]

وراح توبال قايين يغني وهو يعمل قائلاً : ألا بورك في هذه من صنعة ... فما للسيوف دون غيرها نصقل الحديد أو نطرق المعدن . وأنتم في هذه اللحظة عمل أول سكة لمحراث !

وكان الناس قد لقنوا الحكمة من ماضيهم ، فتصالحت أيمانهم على عهد من المودة وثيق ؛ ثم أغمدوا سيوفهم وركزوا رماحهم وأقبلوا على الأرض الدرَّة المعطاء يفلحونها ويجنون يانع ثمراتها وهم يغنون :

لنشكر جميعاً صديقنا الطيب توبال قايين ، هذا الذي حقن دماءنا وحفظ ذماءنا ؛ ولنتقدم إليه من الحمد بأبلغه ومن الثناء بأجزله على ما أولانا من صنعة هذا المحراث النافع

على أنه إن ترفع الفتنة يوماً رأسها ، أو يطمع في السيطرة علينا طاغية متجبر ؛ فلنكن مع شكرنا له على الانتفاع بمحراثه ، غير جاحدين له مزية الدفاع بسيفه .

(جزءيا) محمود عزت عرفة

---

(١) قد يحمل إبراز ضمير الفاعل قبل الاسم الظاهر هنا ، على الرغبة في إحكام نغمة التركيب . كما يعد من أسباب ذلك أيضاً زيادة (إن) بين ما النافية والفعل المضارع بعدها (تطرقان)

(٢) أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها ؛ أو كالقصر جمع قصرة — كجمر وجمرة — وهي الشجرة الغليظة . وقرىء كالقصر بفتحتين ، وهي أعناق الابل أو أعناق النخل واحدتها قصرة كشجرة . وقرىء بأوجه أخرى انظرها في تفسير الكشاف للامام الزمخشري : سورة المرسلات

وتهويناً لا تشجيعاً لأنه كان من أشد المعجبين بشوقى حقاً

أجىء الآن إلى تعليل قول الدكتور مبارك إن شوقى تغنى بالمسيح إيفاء لمتأخرات دين عليه للسوريين ؛ وهو تعليل واه ، لأن أعظم إشادة لشوقى بالسيد المسيح احتوتها قصيدته الهمزية التى نظمها فى أواخر القرن الماضى وألقاها فى مؤتمر جنيف سنة ١٨٩٤ أى منذ نحو نصف قرن ، وفيها :

ولد الرفق يوم مولد عيسى   والمروءات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت   بسناه من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسرى   من البحر فى الوجود الضياء
تملأ الأرض والعوالم نوراً   فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيد ، لا صولة ، لا انتقام ،   لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء

لم يكن شوقى حينئذ قد اشتهر ولا عرف الشام أو عرفه أهله وسمع به أدباؤه وشعراؤه . وكانت بضاعته قليلة على سمو نوعها ، ورأس ماله صغيراً ، ولا دين له أو عليه يوفى به دائنيه . فليس تعليل الدكتور بحاو شيئاً من حسن التعليل . وكنت قد عللت مدائحه للمسيح بقراءته للتوراة والإنجيل قراءة دارس لها شأن كل أديب شاعر بلغ من الأدب شأواً رفيعاً ولا سيما أن الأدباء الغربيين متفقون على القول أن سفر النبىّ أشعياء فى التوراة قطعة راقية من النثر الشعرى بالعبرية ، فرأى شوقى من النضاضة عليه كشاعر فحل ألا يلم بذلك السفر . ويعرف ما يحويه كأدباء الغرب وكما يناسب مقامه كشاعر شرق من الطراز المعلم

والظاهر أنه قرأ سفر أشعياء ، وما ورد فى قصيدته الأندلسية الميمية مقتبس منه . فقد جاء فيها قوله :

عيسى سبيلك رحمة ومحبة   فى العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرأ   هان الضعاف عليه والأيتام
يا حامل الآلام عن هذا الورى   كثرت عليه باسمك الآلام

فهذا البيت الأخير مقتبس من قول أشعياء فى نبوءته عن المسيح : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها . . . وعبدى البار يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . . . ولقد حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين »

ولست أذكر : أقال شوقى « يا حامل الآلام » أم « يا حامل الآثام » وكلا القولين واحد لأنه كُنِّى بالآلام على الصليب فى اعتقاد المسيحيين عن آثامهم الموروثة عن آدم الأول . ويقول علماء المسيحية إن أشعياء تكلم عن المسيح بروح النبوة قبل مجىء المسيح بما يقرب من ألف سنة

بهذا الاتفاق فى قول أشعياء وشوقى يبعد أن يكون توارد خواطر بينهما

وإذا تغنى لبنانى بشعر شوقى فالسبب الذى يتغنى بشعر المتنبى اللبنانى وشوقى ، لا لجامعة جنسية أو دينية بين الثلاثة ، بل بجامعة الأدب التى لا تميز بين الأديان والأوطان والتى من أجلها قدم امرؤ القيس النصرانى على غيره من شعراء الجاهلية ، وسوى بين الفرزدق وجرير المسلمين والأخطل النصرانى فى الدولة الأموية . وفتح لبنان أبوابه مرحباً بشوقى ، وفتح أدباء مصر صدورهم لشبلى الملاط وللأخطل الصغير

نجيب شاهين

وحي العام الجديد

المصباح الأحمر

للأستاذ محمود الشرقاوي

هأنذا أعود إليك . أيها المصباح الأحمر !

أعود إليك يا مصباحي الأحمر ولكني إنسان جديد .

ها أنت ذا كما كنت . يسطع نورك على قرطاسي ويغمر وجهي وأشعر بدفئك الرقيق يلمس جبيني في برد هذا الليل . هذا هو الليل الساكن والدهر يحبو إلى عام جديد . وهذا نورك في غرفتي وبهجة لونك ، هذا كل شيء كما كان ، ولكني أنا إنسان جديد .

إني أكاد أشعر منك بالحياة يا مصباحي الأحمر ويخيل لي أنك تهمس وأنك تناجي وتذكر ، لا بل إنك تنبض وتخفق أو تكاد تنطق .

إني أحس ما تريد أن تهمس وأن تقول ، وإني أناجيك به وحدك وقد سكن الليل كأنما الليل وظلامه قد سكنا إلى النوم كما نام السعداء من الناس ؛ لم يبق سواك وسواي يقظان .

لا تسلني أيها المصباح الأحمر فسأحدثك ، وحديثي لك وحدك . لم يبق من يستمع حديثي ويصغي . لقد كنت منذ سنين شاهدي وسميري حين أكتب إلى من أعزهم ، وكنت تبهج مكاني ويغمر جبيني دفئك في برد هذا الليل ، كما يغمر قلبي ويشمل كياني الفرح الشامل السعيد حين أكتب لمن أحب . وحين يغمر قلبي ويغمر كياني ذلك الفرح الهادىء البهيج والنشوة التي تكاد تحملني فأخف معها وأنا أتلو رسائل من أحب، أسترجعها وأتلوها وأقف عند كل حرف فيها أستوحيه وأشعر منه بالسعادة وباللذة لا تساوي عندي الدنيا كلها رسالةً منها .

كنتَ شاهدي وسميري أكاد أحسّ فرْحتك معي وبهجة نورك من بهجتي ومن نور قلبي ، والآن أنت وحدك الذي أخاطب وأنت الشاهد والغائب ، فقد ذهب العزيزان ولم يبق لي سواك مَن يصغي .

لا تسلني أيها المصباح الأحمر عن رسائل الثلاثاء من كل أسبوع ، ولا عن رسائل الأحد من كل أسبوعين ، ولا عن رسائل الغائب البعيد من وراء البحار

إنك تعرف وتذكر من أمسياتي ومن لياليّ هذه الساعات الطويلة يتبع بعضها بعضاً وأنت تفيض بالدفء على جبيني وبالنور على وجهي وقرطاسي وأنا مستغرق كما يستغرق الصوفي غيبوبة السعادة والمناجاة والتوجه ، وهذه السطور والكلمات تلتوي وتنحدر ولا أشعر كيف تكتب ولا كيف يجري بها قلمي ، ولكني أعرف كيف يمتلىء بها كياني وكيف يفيض بها قلبي وكيف يتحرق بها دمي . والليل ساج وليس من ساهر سواك وسواي ، وأنا بالغيبوبة سعيد وبالليل سعيد

لقد ذهب العزيزان أيها المصباح فماذا أبقيا لقلبي ؟

فرحت بهما حيناً من الدهر وأحببتهما الدهر كله وأقمت منهما وبهما القصور الشوامخ من الرجاء ومن بهيج الأمل ، وكنت شاهدي وسميري حين أكتب إليهما في سكون الليل فأشد من عزم أحدهما وأهون له الأمور الصعاب أمنية بالرجاء والأمل ، وأضع حياتي وقوتي وكدح نهاري ومسهد ليلي له وحده ، إنه أخي

وكنت شاهدي وسميري حين أكتب إلى أحدهما أقوّيه وأحييه وأبثّه ، وأرقب معه الحياة والصفو ، وأجعل ما بقي من قوتي ، وأجعل شبابي ومنامي ومقبل أيامي وهنيء عيشي بعد الكفاح المبذول والجهد الموصول ، أجعل هذا كله منه وله ؛ إنه حبيبي

كان سندي وكان محرابي وكان الواحة الهنيئة الحلوة المظلة في جدب أيامي ، فانهار منه سندي وانهدم المحراب على العابد ، وما خلته الواحة الهنيئة الحلوة كان السراب ، وكان بَرْدُ مائها العلقم ...

قال لي وقلت : إصبر . فصبرت ، حتى أفناني الصبر . وما صبر هو

أنت تعرف أيها المصباح الأحمر ، إنهما كانا أخي وحبيبي .

أما أحدهما فقد خبطه الموت عشواء ، وأما الآخر فقد خبطته الحياة ، وللحياة خبط أشد مما يخبط الموت

لم أعد أكتب على ضوئك ودفئك أيها المصباح الأحمر رسائل الثلاثاء ، ولا رسائل الأحد ، ولا أكتب للغائب البعيد .

الذين أحببتهم ورجوتهم ، والذين أناجيهم وأريدهم ، وأناديهم وأفتقدهم ، والذين قضيت عمري كله أرتقب قربهم ذهبوا لا يعودون ، أحدهما بين التراب ، والآخر أبعد من رفيع السحاب والذين لا أريدهم ولا أرجوهم ولا أفتقد بعدهم يعودون

لا تثوروا على المدنية الحاضرة

للأستاذ محمد أيوب
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

إذا عجبت فإنما أعجب لكل من يفكر فى التمرد أو الثورة على المدنية الحاضرة . وإنى أنظر حولى فأجد أناساً كثيرين يحملون حملة شديدة على هذه المدنية ويودون إلغاءها بجرة قلم حتى تعود الإنسانية إلى الحياة البدائية الأولى ، حياة البساطة والسذاجة لأنها فى نظرهم خالية من التعقيد ، قريبة من الطبيعة ، وكل شىء قريب من الطبيعة جميل . وإنى أسائل نفسى لماذا يريد هؤلاء الناس العودة بنا إلى الوراء حتى نعيش تلك الحياة التى يسمونها حياة بسيطة وما هى إلا حياة بدائية تقرب الإنسان من الحيوان ، فقد كان الإنسان فى القرون الخوالى كالحيوان يهيم على وجهه فى القفار لا يعرف إذا كان يعيش أو لا يعيش .

فالمدنية الحاضرة أسمى ما وصل إليه العقل البشرى ، وهى عبارة عن تطور العقل البشرى فى مختلف القرون الماضية ، بل هى التراث المجيد الذى تركه لنا العقل منذ حياة الإنسان الأولى ، فكل المدنيات متصلة بل ومتمم بعضها للبعض الآخر ، بحيث لا نستطيع أن نقيم حاجزاً بين مدنية ومدنية . فنقول إن هنا حدود المدنية المصرية ، وأن تلك حدود المدنية اليونانية ، بل ونحن لا نستطيع أن نوجد حلقة فاصلة بين المدنية الحاضرة وبين مدنية أخرى أجنبية عنها ، إذ لا بد من التطور . وليس هناك من شك فى أن هذه المدنية ستتطور فى الأجيال القادمة كما سبق لها أن تطورت فى الأجيال الماضية ، فالمدنية الحاضرة وهى التى ابتدأت بإحياء العلوم ونهضة الآداب ، متممة للحضارات القديمة ، حضارات اليونان والرومان . وليس منا من يستطيع أن ينكر فضل تلك العقول الجبارة ، عقول اليونان والرومان فيما أنتجته لنا فى ميادين الفلسفة والعلم والآداب والقانون

ويخطئ من يظن أن المدنية الحاضرة عبارة عن الناحية المادية فحسب ، وهى التى نتج عنها ما نراه اليوم من تحسين فى أمورنا العامة وفى أمورنا الخاصة . كلا ! هى لا تقتصر على هذه المخترعات العظيمة كالسكك الحديدية ، والطيارات والسيارات التى قربت المسافات بين الأمم ، وكالتليفون والتلغراف والراديو ، وهى التى جعلت أنحاء العالم كلها تشعر بأنها عالم واحد ، تربط بين أجزائها رابطة قوية ؛ أقول ليست تقتصر هذه المدنية على هذه النواحى التى جعلت الإنسان يتحكم إلى حد كبير ،

فأذكر بهم من لا يعودون فهم لقلبي حُرْقة
والذين أجدهم وقد أرجوهم ... أيها المصباح الأحمر ...
إنك فى زعمى نحس وتعرف فلن أبوح إليك

* * *

ماذ أقول يا مصباحى الأحمر ؟ هذا لونك البهيج فيه الحياة والدم والفتوة ؛ وهذا هو الزمن يحبو إلى عام جديد ، وهذا دفئك يلمس جبينى ويغمر وجهى وقرطاسى ... أكاد أسمع وقع إشعاعك وأسمع لمس دفئك فى سكون الليل وأنا أكتب

أكتب عن عزيزىّ لا لهما ، ويا بعد ما أكتب وما كنت أكتب ! وما كل طلٍّ طلّ ، أكتب على ضوئك أبكيهم لا أناديهم وهيهات ... ! ما مضى لن يعود

هذا عام جديد كنت عند سوالفه أكتب لهما بالأمل والنجوى عن مقبل الأيام

والآن كلما حل عام جديد كتبت وقد أغلقت قلبي وأغمضت عن مقبل أيامى ، أنطوى على سالف الذى كان

هذا ضوءك أيها المصباح وهذه غرفتي ، غرفة باردة ، طقسها بارد ، ولكنها حارة الذكريات[1]

كل شىء كما كان ، لم يتغير سواى . هل تقول أيها المصباح إني ما تغيرت ، بل تلاشيت وانتهيت ؟ لعلنى أيها المصباح الأحمر !

لقد ذهب العزيزان فماذا أبقيا لقلبى ؟ إنها الحسرات

وقد أحسست من قلبى أيها المصباح كيف كان قلبى يعرف السعادة ، ويشعر بالحب ، ويبتهج بالرجاء ، ويرتقب الأمل ، ويصبر على الأيام . أحسست من قلبى حبه الصارم العارم الفاتك قوياً كالأعصار ، راسخاً كالجبل ، ثابتاً كسواد هذا الليل ، بهيجاً كصبحه أحسست من قلبى أيها المصباح الأحمر حبَّه عزيزيْه كيف كان ، فاعرف الآن أيها المصباح كيف يحسّ هذا القلب ما أبقيا من الحسرات !

محمود الشرقاوى

(١) الرسالة عدد ٣٩٢ فى ٦ يناير سنة ١٩٤١ [المسان وحيد فى العيد]

فى نظام هذا العالم الذى نعيش فيه ، إنما المدنية الحاضرة تشمل أيضاً الناحية المعنوية التى من شأنها أن حررت الفكر وأبطلت الرق وضمنت حقوق الإنسان . تشمل ناحية العلوم التى كشفت عن أسرار الطبيعة ، وناحية الآداب التى سمت بالعالم إلى جو من الخيال جمله يبهج مشاعر النفس ، وناحية الفنون التى أخذت بالذوق إلى أسمى درجة من درجات الرقى

على أن المدنية الحاضرة ، وهى التى ظهرت فى أوربا ، تختلف عن غيرها من المدنيات القديمة التى ظهرت فى الشرق عامة وفى حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة ؛ فالمدنية فى الشرق خاضعة للدين متأثرة بالطبيعة ، بينما هى فى الغرب خاضعة للعقل مؤثرة فى الطبيعة . ففى الشرق الجو حار والشمس ساطعة تغذى الجسم بأشعتها ، والأرض خصبة تنتج المحصول الكثير والخير الوفير ، مما جعلنا نحن الشرقيين نميل إلى التراخى والكسل لكثرة ما نرى أمامنا من المحاصيل التى تكفى لغذائنا دون مشقة كبيرة . وكان من أثر هذا الفتور والتراخى أن ركن الإنسان إلى الطبيعة وأخذ ينظر إليها ويتأمل فيها ، فرآها تجود عليه بالمياه لرى أراضيه ، وبالشمس لإنضاج محصوله ، فأكبرها ومجدها وأخذ يعبدها ويعبد مظاهرها كالشمس والقمر وخلافهما . من هذا كان خيال الشرقيين خصباً ، فتخيلوا أدياناً مختلفة ، وتصوروا مظاهر مختلفة للعبادات وهذا آت من الفراغ وقلة النشاط الذى يسد هذا الفراغ . فالشرق بوجه عام ، عابد للطبيعة متأمل فيها خاضع للدين ناظر فيه ، فأثر الخيال عليه عظيم ، وأثر الدين عليه عظيم ، وكذلك أثر الطبيعة عليه عظيم . أما فى أوربا فإن الجو بارد لا تظهر الشمس إلا فى أحوال نادرة ؛ لذلك احتاج الفرد إلى الكد والجهد لاستغلال الأرض حتى تنتج أكثر ما يمكنها إنتاجاً ، ولاستغلال مظاهر الطبيعة ما يفيد منها أكبر إفادة ، فهو مضطر لأن يأكل كثيراً ليتقى بذلك برودة الجو ، وهو مضطر لأن يتدثر بالملابس الثقيلة لكى تبعد عنه أثر البرد القارس ؛ من أجل هذا كان عقله كثير الاختراع وافر الإنتاج ، وقد وجه هذا العقل نشاطه لتسخير قوى الطبيعة ، ونجح فى هذا الميدان إلى حد بعيد إذ أصبح هو المسيطر على هذه الطبيعة بدل أن تكون هى المسيطرة عليه

فكيف يجوز لنا إذن أن نثور على المدنية الحاضرة وهى التى حكمت العقل فى أمور كثيرة ، أخذت ما يأخذ به ورفضت ما يرفضه ، وقد غلبت الناحية العقلية على هذه المدنية ، حتى كان لهذا أثر عظيم فى تاريخ التطور البشرى ، فأول نتائج تحكيم العقل فى كل شىء أن قل تعصب الناس للدين ، فأصحاب المدنية الحاضرة لا يشنون الحرب على غيرهم بسبب اختلاف فى الدين كما كان يحدث فى القرون الوسطى مثلاً . ضعف إذن التعصب الدينى إلى حد كبير ، وليس معنى ذلك أن هذا التعصب القديم لم يصبح له أثر ، كلا ! بل أقول إن الدين لم يعد له تأثير كبير فى سياسة الدول وتوجيه الحكومات حتى تشن الحروب على غيرها بسببه ، فهذا التعصب أصبح ضعيفاً جداً ، وهو إن وجد فإنما يوجد بين الطبقات الجاهلة من الشعب وهى التى لا تحكم العقل فى قليل ولا كثير وإنما تخضع للعاطفة والوجدان والخيال أكثر من أن تخضع للعقل

ونحن لا نستطيع أن نبين مزايا المدنية الحاضرة إلا إذا وازنا بين الشعوب المتمدينة والشعوب غير المتمدينة ، أما الأولى فيحكمها القانون وتسيطر عليها هيئة منظمة تحقق فيها التوازن بين مختلف الفرق والطوائف والطبقات ، ويسود مجتمعها الهدوء والسكينة ، فإذا طغت سلطة على سلطة فإنما الهيئة العليا هى التى تحد من هذا الطغيان . وهى فضلاً عن هذا النظام الذى تتمتع به لها جميع وسائل الراحة التى أنتجها العقل البشرى . والثانية فى فوضى لا ضابط لها ، لا تخضع إلا للغريزة ، وفيها يحاول الإنسان أن يأكل أخاه الإنسان ، وفيها يعيش الإنسان وكأنه لا يعيش ، لا يعرف من أحوال هذا العالم شيئاً . ينتقل من مكان إلى مكان كالحيوان حينما ينتقل من شجرة إلى شجرة ، لا يدرى ما أحدث العلم من تقدم ولا يعرف ما قدمه العقل من وسائل الرفاهية والسعادة . فالفرق عظيم بين الشعوب الأولى والشعوب الأخرى ، كالفرق بين الإنسان المثقف والغير مثقف ، الأول يحاول أن ينفذ ببصره إلى أعماق الأشياء فيعمل على تفهم أسرار الطبيعة ، أما الآخر فإن العالم مغلق فى وجهه ، أسراره محجوبة عليه لا يستطيع لها كشفاً

فالمدنية الحاضرة تعمل أن يسود النظام المجتمع ، وعلى أن

يطيع الإنسان القانون ، وعلى أن تكون العلاقة بين الأفراد علاقة منظمة أساسها الاحترام والود ، ورائدها المنفعة العامة للدولة وللناس جميعاً . وتعمل أيضاً على تنظيم العلاقات بين الدول بحيث تكون خاضعة لعادات وتقاليد وقوانين ، وبحيث تشرف على هذا هيئة عليا كجمعية أو عصبة عامة أو محكمة عليا . وليس منا من يفضل الفوضى على النظام أو التمرد على الطاعة

وكيف يجوز لنا إذن أن نثور على المدنية الحاضرة وهى التى أشعرت الفرد بكرامته وقوة شخصيته وجعلته يعرف حقوقه وواجباته ، بل وذهبت إلى أبعد من هذا فحققت المساواة بين أفراد البشر جميعاً . وقديماً كانت المدنيات القديمة تعمل على تحقيق المساواة بين أفرادها الخاضعين لها : أى أن المدنيـة اليونانية مثلاً تنظر بعين المساواة إلى اليونان فقط ، أما غيرهم من الشعوب الأجنبية فهى تلفظها وتحتقرها وتبعدها عن ميدانها . تحققت إذن المساواة بين أفراد الدولة فى الداخل ، فالكل سواء أمام القانون ، لا عبد هناك ولا سيد ، ولا فرق بين الصغير والكبير أو الغنى والفقير أو المواطن ورئيس الدولة ، فالكل متساوون أمام القانون . وهى لم تقتصر على تحقيق المساواة فقط ، بل عملت على تحقيق الحرية لبنى الإنسان ، فألغت الرق وحررت العبيد ، وقد كان الرق شيئاً عادياً طبيعياً تقول وتأخذ به المدنيات القديمة . ونحن نعجب كيف أن عقولاً جبارة كعقول سقراط وأفلاطون وأرسطو كانت توافق على استخدام فرد لفرد آخر ، وإخضاع هذا الفرد لاستغلال فرد آخر يكبره من حيث الثروة أو الجنس أو المولد

بل وتعدت المدنية الحاضرة حدود الفرد وذهبت إلى ميدان الشعوب فعملت على رفع الظلم عن كاهله . حررت الشعب وضمنت له حقوقه وحددت له واجباته بهذه النظم الديمقراطية التى تعتبر أرقى ما وصل إليه العقل البشرى من تصور لتنظيم الجماعة وحكمها فقضت على النظم الطاغية ، نظم الظلم والاستعباد ؛ فقد كان الفرد فيما مضى يخشى السلطان ، وكان السلطان إذا تكلم كان هذا الكلام قانوناً مقدساً وإرادة لا نقض لها . كانت سلطة السلطان مطلقة مستبدة ، ورغبته هى النافذة ، وإرادته هى القانون والقانون هو إرادته . فجاءت المدنية الحاضرة وقضت على هذا كله ، وأصبحت الهيئة الحاكمة تعترف بأنها تحكم لا لتستبد بل لتخدم الشعب ولتقوم على مصالحه . وقد سرت هذه المبادئ الحديثة بين الأمم سريان الكهرباء وانتشرت انتشار الهواء ، لما عرف القوم من مزايا هذه الديمقراطية التى ترتكز على المبادئ الشعبية الخالدة ، وهى التى تقدس الحقوق والحريات العامة . فالديمقراطية أثر من آثار هذه المدنية ، وهى التى جعلت الإنسان يشعر بشخصيته ويحافظ على حقوقه ، ويقوم بواجباته بدافع من نفسه . ولهذه الديمقراطية مزايا ومنافع ، فهى التى تعمل على تساوى الحظوظ بين أفراد المجتمع فلا تقصر الفوائد كنشر الثقافة والتعليم على طبقة دون طبقة . إنما الجميع فى نظرها سواء ، لكل فرد الحق فى أن يتعلم ، ولكل فرد الحق فى أن يشترك فى إدارة شؤون الدولة

وللمدنية الحاضرة فضل آخر هو الخاص بتحرير المرأة من عقالها ، إذ جعلتها تشعر بأنها عضو نافع من أعضاء المجتمع ، فقد سوت بين المرأة والرجل ، وقضت على هوة الخلاف بين النوعين وأصبح للمرأة ما للرجل من حقوق وعليها ما عليه من واجبات ، وأشعرت المرأة أنها تستطيع أن تعطى رأيها فى المسائل ، وأن تشارك الرجل فى إدارة شؤون بيته وأعماله ، بل وتعاونه معاونة تامة سواء أكان ذلك فى الحياة الخاصة أو الحياة العامة . وهى التى أعطتها هذا الغذاء العقلى غذاء العلم والثقافة ، فأصبحت تتعلم فى المدارس على قدم المساواة مع النوع الآخر ، وبذلك أصبحت تحس بأنها تعيش حقاً ، تهنأ لسعادة المجموع وتبأس لشقائه

وقد يقول بعض المكابرين إن هذا صحيح ، ولكن أنظر إلى هذا الاستعمار الأوربى وليد الحضارة الحالية ، ألم يعتد هذا الاستعمار على مصير الشعوب وحريات الأمم ؟ وقد يكون هذا صحيحاً إذا كان الاستعمار ظهر فى عهد هذه المدنية ولم يظهر فى عهد غيرها من المدنيات الأخرى ؛ فالاستعمار عرفه قدماء المصريين واليونان والرومان وكذلك العرب ، فهو يرجع إلى طبيعة الإنسان لا إلى طبيعة المدنية ، والإنسان بطبعه تواق إلى التحكم والسيطرة ، فإذا وجد أمامه إنساناً ضعيفاً فرض عليه سلطانه وسيادته ، وكذلك الدولة الضعيفة ، وهذا من طبيعة

الناموس البشرى ، فلا بد للضعيف من أن يخضع للقوى ، ولا بد للقوى من أن يسود الضعيف ؛ فللقوى البقاء ، وللضعيف الفناء.

وقد يقول هذا النفر أيضاً : أنظر إلى هذه الحرب التى تفتك بالناس فتكا ذريعاً ، والتى تأتى على اليابس فتأتى كله ، وعلى العامر فتخربه ؛ وانظر إلى هذه المخترعات الفتاكة ، وهذه القنابل التى لا تفرق بين المحارب وغير المحارب ؛ وانظر إلى هذه الوحشية التى تتطاير من أبراج الطائرات ، أفبعد هذا تقول إنه خير لنا أن نؤيد المدنية الحاضرة وهى التى أنتجت كل هذه الأشياء الفتاكة ؟ أما عن الحرب فإنها قد وجدت في كل زمان وفى كل مكان . والحرب لا تتصف بالوداعة ولا الهدوء ، وإنما تصحبها الوحشية ؛ فالمحارب يبني من الحرب القضاء على قوة خصمه بأى وسيلة ، سواء أكانت هذه الوسيلة مشروعة أم غير مشروعة . فنى كل حرب وقعت كانت الجيوش لا ترتدع عن إتيان كل أعمال الوحشية والهمجية من قتل وتدمير وتخريب ، بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول إن هذه المدنية نفسها اخترعت وسائل أخرى تتقى بها شر الوسائل الفتاكة ، وهذبت من طباع البشر فجعلت الدول ترعى فى الحرب بعض القواعد الإنسانية والمبادىء السمحة الكريمة التى لم تكن تتبع فى عهد المدنيات السابقة . وبعد هذا نستطيع أن نقول إن الحرب لازمة لرقى المجتمع الإنسانى ، فهى موافقة للطبيعة البشرية ولهذا القانون الخالد : البقاء للأصلح ؛ فالسمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة ، والفرد القوى يستغل الفرد الضعيف . وكذلك الحال بين الأمم ، فالصراع بين الأمم القوية والأمم الضعيفة قديم قدم الإنسان . الصراع قديم بين القوة والضعف ، فالقوى يسود الضعيف ، وخليق بالأمم القوية أن تتزعم الأمم الضعيفة ، وللأمم الضعيفة بعد ذلك أن تعمل ، إذا أرادت أن تعيش ، على تنظيم أمرها وتحسين حالها . فالحرب تحفز الأمم الضعيفة التى تخاف على نفسها فتدفعها إلى أن تتقوى وتشتد فتستيقظ من نومها وإلا طال عليها الرقاد ، وخيم عليها حكم الاستعباد . فالنزاع إذن سيظل ما دام فى الإنسان الضعيف والقوى . سيظل دائماً بين عامل الخير وعامل الشر . وما الحرب إلا عامل من عوامل الشر ولكنها عامل مطهر كالنار ، فهي تقضى على العناصر الفاسدة . وما الحرب إلا محنة من المحن لا بد منها فى أطوار التاريخ ، لأن الشعوب تخرج منها نقية طاهرة كأقوى ما تكون . والشعوب التى لا تحارب ، تخلد إلى الراحة وتقبل على الترف وترتوى من المتعة واللذة ، فيدركها الضعف والوهن ، وهى بعد ذلك تفقد أسس النضال وعوامل الكفاح ، ويكون مصيرها آخر الأمر إلى الفناء. فالحرب وإن كانت عاملاً من عوامل التدمير ، تعمل على إذاعة الأخلاق المتينة بين الأفراد وإشاعة الصفات القوية بين الأمم ، فهى تمجد البطولة والشجاعة والصبر والاعتماد على النفس ، فهى مفيدة إذن للانسان والإنسانية .

ونحن نرى من تطور التاريخ فى مختلف عصوره أن الحرب يعقبها طور رقى وتقدم ، فالإنسانية سائرة أبداً فى طريقها نحو التقدم . من أجل هذا يجدر بنا أن ننظر إلى المستقبل نظرة آمنة مطمئنة معتقدين أن النصر سيكون دائماً فى جانب الخير . يجب علينا أن ننظر إلى المستقبل لا إلى الماضى ، وأن نطمئن إلى أن هذه المدنية ستتطور لا شك إلى مدنية أرقى . أما النظر إلى الماضى والتمسك به فهـذا شأن الطاعنين فى السن الذين فى عروقهم فتقل حيويتهم ويفتر نشاطهم ، وهم لهذا السبب لا يستطيعون إلا البكاء على الماضى .

لذلك أومن بالمدنية الحاضرة إيماناً شديداً ، لاعتقادى فى الإنسان وفى قدرته على التطور . ونحن بدلاً من أن نحاول الرجوع إلى الماضى ونتعلل به ، يجب أن ننظر إلى المستقبل وكلنا تفاؤل واطمئنان إلى قدرة الإنسانية على السير بالمدنية فى طريق التطور حتى تصل إلى أسمى ما يعرف العقل البشرى من تقدم ورقى . فيجب ألا نثور على المدنية الحاضرة ، وألا نقيم العراقيل والصعاب فى طريقها ، بل نؤيدها بكل ما نملك فلا ندخر وسعاً إلا بذلناه حتى تسير هـذه المدنية فى طريقها الطبيعى ، وهو طريق التطور والرقى .

محمد أيوب

(الرسالة) : يحزننا أشد الحزن أن ننعى الأستاذ أيوب كاتب هذا المقال . وهو لا يزال فى ميعة شبابه وعنفوان جهاده . أدركته المنية فى يوم الخميس الماضي فنعى نعيه الفاجىء على أصدقائه وزملائه وتلاميذه . رحمه الله أطيب الرحمة ، وعزى أهله عن فقده الأليم أجمل العزاء .

ذكرى المغفور له

أمين الرافعى بك

للأستاذ على عبد الله

كان اليوم التاسع والعشرون من ديسمبر الماضى موعد الذكرى الخامسة عشرة لوفاة فقيد الوطن المغفور له أمين الرافعى بك

وليس أحق بالتكريم ولا أولى بالوفاء من ذكرى هذا الرجل الذى عاش حياته كلها يدافع عن الحق ويدعو إلى الله على بصيرة، ويبذل من ماله ومن دمه فى سبيل أمته ما ليس وراءه غاية لمريد، ولا زيادة لمستزيد. ولو عرفنا أقدار الرجال بالمعنى الذى تعرفه الأمم الأخرى، لجعلنا ذكرى وفاة هذا المجاهد الصادق يوماً من أيام القومية المصرية، ولاتخذنا حياته الحافلة بالعظائم والجلائل نموذجاً لكمال الأخلاق، وشرف التضحية، والنزاهة المطلقة، وجعلنا من سيرته العاطرة كتاباً فى الوطنية يدرسه الناشئون، ويسير على قواعده العاملون!

ولكننا من سوء الحظ نؤمن بالمظاهر دون الحقائق، ولا نعرف قِيَم الرجال إلا بمقدار ما لهم من الحول والطول، وما حولهم من المتاع والحطام! ولست أدرى كيف ترجو الخير أمة تنسى حقوق أبنائها الذين استشهدوا فى ميدان التضحية، وكتبوا صحائف جهادها الوطنى بمداد من دمائهم، وقطرات من ذوب نفوسهم! ومن المؤلم حقاً أن يوجد فى الأمة المصرية من يجهل فضل أمين الرافعى عليها، وهو رجل يعتبر تاريخه تاريخاً للحركة الوطنية فى جميع أدوارها؛ إذ كان له فى كل ميدان جولة، وفى كل معترك صولة؛ وكان قلمه سيفاً فى يد الحق، إذا تصدى للباطل زهق، وإذا انبرى للطغيان مرق؛ كأنما كانت تؤيده السماء بالتوفيق، وتمده القدرة بالإلهام، ويوجهه الإيمان إلى السداد. ما عالج موضوعاً إلا أصاب الهدف، ونفذ إلى الصميم، وانتهى منه إلى الغاية المرجوة، لا سلاح له غير الحجة البالغة، والدليل الواضح، وقواعد البحث الدقيق، وقضايا المنطق السليم!

ولقد كان أمين عليه رحمة الله الكاتب الوحيد الذى حفظ الله قلمه من العثار، وعصم لسانه من الفحش؛ فما جازت الخصومة فى يوم من الأيام على أخلاقه ولا ورطته العداوة فى الكتابة إلى كلمة نابية أو عبارة مؤذية لا يرضى عنها الخلق، ولا يطمئن إليها الضمير. على أنه لم يكن يخاصم إلا فى الله والوطن والحق. ولم تعرف له فى حياته خصومة شخصية، لأنه كان ينظر إلى زخارف هذه الدنيا بعين الزهد والاحتقار. ولقد حاول الكثيرون أن يشتروا قلمه أو يخففوا من حدته بالكثير من المال والجاه فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً. وعرضت عليه وظائف الدولة الكبرى، فكان جوابه: (لا تفسدوا علىّ إيمانى؛ فأنا لم أخلق لهذه الوظائف!) وكان نعم العون للمرحوم سعد باشا زغلول؛ وكان سعد يؤثره برسائله وهو مع الوفد فى باريس ويبدأ كتبه إليه بقوله: أخى أمين!...

وحينما اختلف معه فى مبدأ المفاوضات، كان سعد مع ذلك يثق به ويلقبه بالخصم الشريف، والرجل النزيه. وكان يستعير منه الوثائق الخاصة بتسجيل أعمال الوزارات. ولما نفى إلى سيشل كان أمين أول المدافعين عنه مع اختلافه معه فى الرأى، كما كان أول من نقد طريقة وضع الدستور. وفى ذلك يقول سعد باشا: إن أميناً كأنما كان يستمليني ما يكتبه... ومن مفاخر أمين التى تدل على التضحية والشجاعة أنه فى سنة ١٩١٤ حينما أعلنت انجلترا الحماية على مصر وقضت الأحكام العرفية على الصحف بنشر البلاغات الرسمية ومنها بلاغ الحماية، لم يشأ أمين أن ينشر فى جريدة الشعب — الذى كان يتولى تحريرها فى ذلك الحين — بلاغ الحماية، وقرر تعطيلها من تلقاء نفسه لكيلا ينشر فيها هذا البلاغ، ورضى بما ترتب على ذلك من السجن والاعتقال، وقضى مدة السجن صابراً راضياً وخرج منه مؤمناً قوى النفس والقلب. ونستطيع أن ندرك مبلغ التضحية إذا عرفنا أن جريدة الشعب كانت كل شىء فى البلد لأنها كانت جريدة الحركة الوطنية، وكان الشعب يتلقف أعدادها بشوق وشغف. ثم تستطيع أن تؤمن بالرجولة الكاملة حين تعرف أن أمين الرافعى كان الرجل الوحيد الذى احتج على بلاغ الحماية البريطانية بعدم نشره!!

ومن أعظم الأمثلة الدالة على عبقريته وسعة علمه بالشئون الدستورية — أنه الصحفي الوحيد الذى نبّه الأمة والزعماء والأحزاب إلى أن قرار حل مجلس النواب يعتبر باطلاً لأنه لم يحدد فيه موعد الانتخاب والتاريخ الذى يجتمع فيه المجلس . وما دام البرلمان لم يدع فإن من حقه أن يستأنف وجوده ؛ لأن قرار الحل يعتبر ملغى . وأخذ الزعماء بهذا الرأى واجتمع البرلمان فى فندق الكونتننتال فى يوم السبت الثالث من نوفبر سنة ١٩٢٥ واتحدت الأمة والأحزاب، وعادت الحياة النيابية إلى البلاد ، وانتفع الجميع بفضل هذا الرأى ما عدا أمين الرافعى فقد كان الشخص الوحيد الذى لم ينتفع بشىء من هذا ، واكتفى من كل ذلك بقوله : « لقد سررت بإنقاذ الدستور وفوز الأمة وارتاح ضميرى ارتياح من يشعر بأن الله قد وفقه إلى دعوة صالحة كتب لها التحقيق والنجاح ! »

وفى وسعنا أن نعرف مبلغ إيمان أمين وثباته من قوله : « يرى المؤمن الثابت العقيدة أن عقيدته مقدسة لا تحتمل تفريطاً ولا زعزعة ، وأن لها من ضميره حارساً قوياً ، فإذا وسوس له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور ، كان صوت الضمير وحده كافياً لأن يقطع على الشيطان وسوسته ويرده مدحوراً . وإذا ما تقدّم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة ، وهباتهم العظيمة ، ووعودهم الخلابة ؛ كى يلعبوا بالعقول ويزعزعوا الإيمان ، وجدوا من يقظة ضمير المؤمن أكبر مخيب لآمالهم ؛ لأن هذا الضمير الخالص الذى لا يخضع للماديات ولا يتأثر بأثرها المفسد لا يلبث أن يصيح بصاحبه : إياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما عظم شأنه ، فإن كنوز الأرض لا تعدل شرف الإنسان . ومتى استطاع المرء أن يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام له وزن . لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلغت مرارتها ، أما الحياة المجردة من الشرف فإنها لا تساوى قلامة ظفر . وليست أيام الجهود والتعب والألم أسوأ أيام الإنسان . ويكفى صاحب المبدأ تشجيعاً أن ينال شيئاً من المكافأة المعنوية بأن يرى مبدأه يصيب بعض الفوز ...

ومن المقرر أن المرء لا يجوز أن يشغل نفسه بمستقبل نفسه متى كان ضميره مرتاحاً وروحه مطمئنة وشعاره القيام بالواجب ، وفعل ما يأمر به الضمير . وما عدا ذلك فليدعه لله تعالى لأنه من خصائصه وشئونه . وإذا كان فى تأدية الواجب ما يورث الألم ، فيجب أن يتحمل الإنسان الألم بغير مضض . لأن الآلام موجودة فى هذا العالم ولكل مخلوق نصيبه منها »

وكان أمين عليه رضوان الله يستفتح يومه بتلاوة القرآن ويدعو بدعاء الرسول عليه السلام : « اللهم أجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، حرباً لأعدائك . نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة . وهذا الجهد ، وعليك التكلان » ثم يتلو هذه الآية الكريمة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

وبعد ، فهذا قليل مما أعرفه عن هذا الرجل العظيم أكتبه فى مناسبة ذكراه الكريمة ، وأبعث إلى روحه فى مقاعد الصديقين والأبرار بأعطر التحيات وأطيب السلام

(المنصورة) **على عبد الله**



أوباء ... !

قرأت فى مجلة الثقافة العدد « ٢٠٩ » كلمة تحت عنوان « الصحافة والأدب فى أسبوع » ، فرأيت كتاباً من صديقي الشاعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل إلى صديقي أيضاً ... الأستاذ « ق » . وفى هذا الكتاب ذكرُ بعض أصحابنا وذكرى ، ويصفنا الصديق الأستاذ الشاعر بصفات جميلة محببة كاللجاج ، والتهاتر ، والكسل ، والجبن ، والغفلة ، والتخلف عن سير الزمان ، ويدعونا إلى ملازمة الصمت على رفوفنا الجامدة حتى يتحرك بنا أو ينسانا الزمان !... وهو كذلك

لا أدرى ! فقد سمعت أن الأوائل قالوا : « عقل المرء مخبوء تحت لسانه » ، وأنهم قالوا :

إذا لم يكن للمرء عقلٌ يكفُّه
عن الجهل ، لم يستحي وانهتكَ السّتر

وللصديقين منّى تحية المخلص المعجب بأدبهما وبيانهما

محمود محمد شاكر

تجارب على التلبانى

كان لظاهرة التلبانى التى أثارها الكاتب العظيم الأستاذ العقاد فى « عبقرية عمر » وعلى صفحات الرسالة نصيب كبير من الدراسة ، ومن عناية علماء النفس فى أوربا بها ؛ ولكنها بالرغم من ذلك ظلت مستغلقة عليهم فلم تتضح تماماً . ومن أكبر الأوساط العلمية الأوربية التي تبحث في هذه الظاهرة جمعية فى انكلترا تسمى : Society for Psychical Research شغلت بهذه الظاهرة منذ زمن طويل ، وكتبت الكثير من النتائج التى وصل إليها أعضاؤها فى مجلتها الخاصة . ولعل من الطريف أن نذكر أن هذه الجمعية لم تكتف بدراسة هذه الظاهرة دراسة نظرية فحسب ، بل أجرت تجارب عديدة لتأييد هذه الظاهرة ، وقد توصلت فعلاً إلى نتائج مدهشة وطريفة ، وقد ذكر الأستاذ باريت Sir W F. Barratt الأستاذ بكلية العلوم الملكية بإيرلندة بعض هذه التجارب فى كتابه : Psychical Research

ومن أهم هذه التجارب ، ما قامت به سيدتان من أعضاء الجمعية إحداهما تدعى المس ه . رامسدن ، والأخرى المس ك . ميلز فكانت المس ميلز فى وقت كل تجربة تسجل فى مذكرة خاصة ما تريد نقله إلى المس رامسدن من أفكار أو صور ، بينما تكتب المس رامسدن التأثيرات التى يستقبلها مخها ، وترسل تقريرها إلى ميلز قبل أن تعرف ما كتبته هذه الأخيرة من ناحيتها . قد نجح الكثير من تجاربهما وإن فشل البعض الآخر . ولنذكر الآن بعض هذه التجارب الناجحة التى ذكرها الأستاذ باريت فى كتابه :

كانت المس ميلز تنتظر فى عصر يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٠٥ اجتماع الجمعية فى لندن ، فاسترعى انتباهها نظارة غريبة الشكل يضعها على أنفه رجل يجلس بجانبها ، فرأت أن هذه الملاحظة قد تصلح موضوعاً لتجاربها مع مس رامسدن . وحين رجعت إلى منزلها كتبت فى مذكرتها : « ٢٧ أكتوبر — نظارات — ك . م » وكانت المس رامسدن فى ذلك الوقت فى بكنجهامشير على بعد حوالى عشرين ميلاً من لندن ، ولكنها كتبت هذا المساء : ٢٧ أكتوبر — ٧ — مساء . — نظارات هذه هى الفكرة الوحيدة التى جاءتنى بعد انتظار وقت طويل . — ه . ر » ويقول باريت إن الأمر لا يمكن أن يكون مجرد تخمين لأن المس ميلز لا تضع نظارات

ومجربة ثانية ... كتبت المس ميلز فى كراستها الفكرة التى تريد إرسالها إلى المس رامسدن : « ٢ نوفمبر . ـ يد ـ ل . م » وكتبت المس رامسدن فى نفس الوقت : « ٢ نوفمبر ، ٧ مساء ، ابتدأت أن أرى يداً صغيرة سوداء ... » وتفسير ذلك ، كما يقول باريت ، أن المس ميلز كانت فى ذلك الوقت ترسم يدى صورة بالفحم ، وكانت والدة المس رامسدن حاضرة عند ميلز فى ذلك الوقت فذكرت أن ذلك صحيح

وقد أجريت بينهما تجارب عديدة ، وكان البعد بينهما حوالى ٤٠٠ ميل ، وكانت الخطة المتبعة فى تجاربهما أن رامسدن تبعد نفسها عن التفكير فى أى شيء كان ، وتحصر تفكيرها فى ميلز كل يوم فى وقت معين ، ثم تكتب ما تستقبله من تأثيرات وترسل ذلك إلى ميلز ، وتكتب ميلز فى نفس الوقت ما كانت تفكر فيه وترسله إلى رامسدن بالبريد . ويذكر باريت أنه اطلع على الرسائل المتبادلة فوجد حالات كثيرة تتفق فيها النتائج اتفاقاً كبيراً جداً أو اتفاقاً كلياً

وفى ذات مرة كانت ميلز مع والدة رامسدن فى إحدى الرحلات ، وكانت رامسدن فى اسكتلندة ، وفى أثناء عودتهما من رحلتهما ذهبتا بنوبرى فى مقاطعة بركشير ونزلتا فى فندق هناك ، وكان لصاحبة الفندق فتاة صغيرة لطيفة أعجبت ميلز بها كثيراً . وأصبحت ميلز ، وإذا بها تستلم من رامسدن خطاباً جاء فيه : « ٣١ اكتوبر ١٩٠٧ ، أظن أنك تريدين منى أن أرى فتاة صغيرة لها شعر كستنائى مسترسل وراءها ، ومربوط بشريط على الطريقة المعتادة . وهى تجلس على منضدة وقد أدارت ظهرها ، ويظهر أنها مشغولة ... بقطع قصاصات بالمقص . وهى ترتدى (مريلة) بيضاء ، وأظن أن عمرها بين الثامنة والثانية عشرة . ـ هـ . ر » ، وقد وصفت صاحبة الفندق الفتاة بقولها : « عندى فتاة صغيرة فى الحادية عشرة من عمرها ، ذات شعر كستنائى مربوط بشريط وترتدى (مريلة) . ولما كانت مريضة فإنها تستلى نفسها بقطع القصاصات . وقد تكلمتُ طويلاً [عنها ؟] مع المس ميلز يوم ٣١ اكتوبر . ـ ل . لفجروف . »

هذه بعض التجارب على التلباثى . ويذكر باريت إلى جانبها حالات أخرى وحوادث جاءت عفواً ، أى دون أن يقصد بها إلى التجربة ، وهو تؤيد ظاهرة التلباثى ، وقد استقاها من مصادر ثقة لا يمكن الشك فيها ، ويذكر أن معظم هذه الحالات تحدث أثناء النوم .

من هذه الحوادث حادثة وقعت لسيدة تدعى لوزا . ا . هاريسون ، فأرسلت يوم حدوثها تقريراً إلى الجمعية المذكورة آنفاً ، ومع تقريرها خطاب من زوجها يؤمن على ما تقوله الزوجة التى تذكر أنها بينما كانت مستغرقة فى النوم استيقظت فجأة على صوت زوجها وهو يتأوه من الألم ، فنظرت حولها ولكنها لم تجده فى الحجرة ، فنظرت فى الساعة فألفتها الثالثة والنصف مساء . وعاد زوجها من الخارج فى الساعة السادسة وقد ظهرت بعض الكدمات على جبهته ، نتجت عن وقوعه أثناء وجوده فى (حمام تركى) واصطدام جبهته بدرجاته الحجرية فقالت له زوجه : « إننى أعرف متى حدث ذلك كان ذلك فى الثالثة والنصف لأننى سمعتك تتأوه من الألم فى ذلك الوقت » فأجابها : « نعم ، ذلك هو الوقت بالضبط ، لأننى أذكر أننى نظرت إلى الساعة بعد ذلك مباشرة . » وقد حضر هذه المناقشة بين الزوجين شاهد شهد بذلك !

كذلك أرسلت سيدة تدعى آرثر سيفرن كتاباً إلى الجمعية تقرر فيه أنها استيقظت يوماً من نومها فجأة إثر إحساسها بلطمة عنيفة تنزل على فمها وتجرح شفتها العليا جرحاً بليغاً ، ولكنها حين رفعت منديلها إلى فمها لتوقف الدم لم تجد شيئاً ، ونظرت إلى الساعة فوجدتها السابعة صباحاً . وكان زوجها فى الخارج ، فعاد فى التاسعة والنصف وقد وضع منديله على شفته ، فأخبرها أنه بينما كان يتنزه فى قاربه ، هبت ريح عنيفة أزاحت (الدفة) فأصابته فى شفته العليا ؛ وسألته زوجه متى كان ذلك ؟ فأجابها : حوالى الساعة السابعة !

وحادثة أخرى ... استيقظت آنسة تدعى مس كينج من نومها فى أحد أيام الأحد فى الساعة الرابعة على صوت يناديها : « تعالى إلى يا تريكس ، إننى مريضة جداً » . وأرسلت الآنسة كينج إلى الجمعية كتاباً تذكر فيه أنها عرفت صاحبة الصوت وهى إحدى صديقاتها وتدعى المس ريد ، وهى الوحيدة التى تناديها باسم (تريكس) . فكتبت فى نفس اليوم إلى المس ريد — على مبعدة مائتى ميل من صديقتها — تخبرها بما سمعت ، فردت عليها المس ريد تخبرها بأنها فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة أحست بألم شديد ، وظنت أنها سوف تموت ، فمدت يدها إلى صورتها (صورة المس كينج) وقالت لها : « تعالى إلى يا تريكس إننى مريضة جداً ، تعالى إلى » !

هذه التجارب والوقائع وغيرها تثبت ظاهرة التلباثى . ولكن كيف ينتقل التلباثى وينتشر ؟ ذلك سؤال لم يجب عليه العلم جواباً شافياً . ويقول الأستاذ باريت : إنه ليس عندنا عنه أى فكرة ، ولكنه يرى أنه لا ينتقل خلال أى وسط مادى أو أى عامل فيزيقى معروف ، وقد يقربنا وجود اللاسلكى بأن نظن بأن الفكر ينتقل بنفس طريقة الرسائل اللاسلكية ، أى بواسطة موجات أثيرية يمكن تسميتها « بالموجات المخية » . ولا شك فى أن حقيقة اللاسلكى تقرب إلى الأذهان ظاهرة التلباثى ، ولكن ذلك لا يكفى .

أحمد أبو زيد

كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

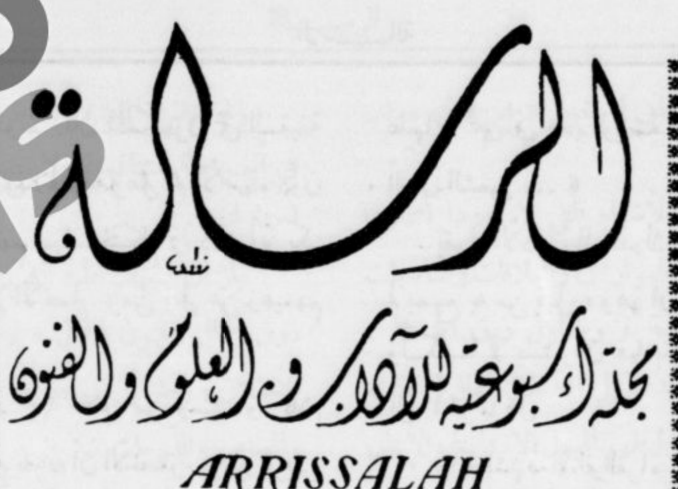
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 497

Lundi - 11 - 1 - 1943





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق ١١ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

مستدركات

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأديب « خالد عبد المنعم » فى عدد ماض من الرسالة كلمة طيبة عن كتابى « عبقرية عمر » ختمها بقوله :

« على أننا فى قراءتنا لعبقرية عمر بالصفحة ٣١٩ استوقف نظرنا قول المؤلف فى صدد النزاع الذى نجم عن الخلاف عقب موت الرسول ما نصه :

« ... فالأنصار يقولون إنهم أحق بالخلافة من المهاجرين لأنهم كثرة والمهاجرون قلة ، ولأنهم فى ديارهم والمهاجرون طارئون عليهم ، ولأنهم جميعاً من قريش ولهم فضل التأييد والإيواء »

« والعبارة على هذه الصورة توهم أن الأنصار من قريش وهم بالطبع ليسوا كذلك »

* * *

وقد أصاب الأديب فى قوله إن العبارة توهم أن الأنصار من قريش ، وليسوا منها

ولكن المسألة — كما هو ظاهر — مسألة سهو لا أكثر ولا أقل ، إذ لا يطلع أحد على ما جرى فى سقيفة بنى ساعدة ثم يفوته أن الأنصار كانوا ينازعون قريشاً الخلافة ، وأن قريشاً

قبيلة والأنصار قبائل أخرى ، وقد كان المتكلمون فى السقيفة يجرون كلامهم على حق قريش فى الخلافة وهل هم الأمراء دون غيرهم أو يجوز لغيرهم أن يشاركهم فيها . فتكلم فى ذلك أبو بكر وعمر وتكلم فيه كل متكلم من الأنصار ، من نقل عن زعيمهم ومن استقل يومئذ بالمقال

فليس بجائز أن يطلع أحد على كلام عمر يومئذ أو كلام أبي بكر أو كلام من خالفوهما ثم يفوته أن الأنصار من غير قريش وأنهم كانوا يقفون منها موقف المنازع الذى يطلب الاستبداد بالأمر دونها أو لا يقنع بما دون مشاركتها فى الإمارة

وليس بجائز أن يعرف أحد ما هى مكة وما هى المدينة ومن هم الذين هاجروا ومن هم الذين نصروا ثم يفوته أن يفرق بين قريش وبين الأوس والخزرج ومن عاش معهم من أهل المدينة

فالسهو هنا ظاهر — بالطبع — كما قال الأديب المستدرك ، لأن الأنصار — بالطبع — لم يكونوا قرشيين

والذى يخطر ببالى الآن أنى أردت أن أكتب « من المسلمين » فسبق القلم بكتابة قريش لغلبة ذكرها والخلاف عليها فى الذهن وقيام الخلاف حولها فى ذلك اليوم ، وهو سهو يقع فيه القلم كما يقع فيه اللسان

فللأديب الشكر على تنبيهه ، فإن ما توهم العبارة التى نقلها يحتاج إلى تصحيح وإن بدرت صحتها إلى البداهة بغير عناء

***

ذلك استدراك على كتاب

وهناك استدراك آخر على كتاب آخر ، أو على كلمة فى مقدمة ذلك الكتاب ، وهو «أعاصير مغرب» ديوان شعرى الجديد

والكلمة المستدرك عليها هى قولى فى مقدمة الأعاصير :

« يصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى ، أو هو العهد الذى تفاجأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها خبرة من قبل ، فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك فى حالة كحالة الشاب فى أول عشقه : وجه ساهم ، وفم مفغور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونفس مطرود ... وهذه هى الحالة التى يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره . مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تمهدها البنية ولم تألفها النفس ، فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتى هذه الرياضة شيئاً فشيئاً مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور ... »

يقول الأديب المستدرك « حسن رياض » إننى قلت غريباً لم يسمع به من قبل ، وهو أن الحب والغزل مستغربان فى الشباب ولكنهما لا يستغربان فيما بعد الشباب فى سن الشيخوخة ... إلى آخر ما قال

وأنا أشهد الله والقراء أننى لم أقل ذلك ، ولم أقل ما يوهم ذلك ، ولو من بعيد

فإن القول بأن الحب مفاجأة فى سن الشباب شيء ، والقول بأنه غريب فى تلك السن شيء آخر

لأن المفاجأة قد تتكرر ملايين المرات فلا تكون غريبة بعد هذا التكرار ، وإن سميت مفاجأة فى كل مرة من هذه المرات

فهذا الشاب تفاجئه العاطفة الغرامية فى مطلع شبابه بعارض جديد فى حياته ، فهى مفاجأة لا ريب فيها

ولكن هكذا كل شاب تعرض للعاطفة الغرامية منذ كان الإنسان كما نعرفه الآن إلى آخر الزمان

كل شاب يفاجأ هذه المفاجأة ، فلا غرابة إذن فى وقوعها ولا فى ملازمتها لمطلع الشبيبة فى ريعانها لأن هذا هو الواقع المتكرر الذى لا يصدمنا بغير ما عهدناه

إلا أننى لا أريد أن أكتفى بدفع هذا اللبس الذى لا يحتاج إلى مناقشة طويلة ، فقد يغنى فى دفعه نقل الكلمة التى وقع عليها الاستدراك ثم الوقوف عند نقلها بغير تعقيب

وإنما أردت أن أتجاوز هذا اللبس العارض إلى الأساس الذى يقوم على كل لبس من هذا القبيل ، وهو من جنايات اللغة أو من جنايات « التسمية » حيث كانت فيما أراه

تطلق اللغة كلمة واحدة على عاطفة أو شعور أو حالة نفسية تلم بجميع الناس ، فيسبق إلى الوهم أننا أمام شيء واحد لأننا نعبر عنه بكلمة واحدة ، ويطرأ التناقض واللبس والاستغراب من هذا الوهم الذى يصعب التنبه إليه فى كثير من الأحيان

« فالحب » مثلاً كلمة واحدة بل كلمة واحدة مختصرة فى حروف ثلاثة خفيفة على كل لسان

فهل هى شيء واحد مختصر هذا الاختصار ، مجموع فى هذه الحروف ، سريع إلى الفهم كسرعة اللسان فى النطق بحروف اسمه الصغير ؟

أجهل الناس بالشعور الإنساني لا يقول « نعم » في جواب هذا السؤال .

فالحب يتناول مئات من الأشياء التي لا تحدها أسماؤها لاختلافها هي أيضاً في الصفات والعوارض والعلاقات والمناسبات

الحب يتناول الغريزة النوعية ، ويتناول ذوق الجمال ، ويتناول الشعور الاجتماعي الذي يدعو إلى التآلف ويقال في تعليله إن الإنسان مدني بطبعه ، ويتناول فهم الميول الإنسانية والإيمان بأخلاق الوفاء والصدق والمجاملة ، ويتناول التقارب بالعقول والمدارك والنزعات ، ولا توجد في الإنسان واشجة من وشائج النفس والجسد لا تتناولها هذه الكلمة ذات الثلاثة الحروف

ثم ما هي الغريزة النوعية التي هي جزء مما تنتظم في الحب من بعض نواحيه ؟

هي أيضاً شيء كثير الشعب كثير الأطوار كثير الأوصاف على حسب الأمزجة والأعمار والعقول

وما هو ذوق الجمال ؟ وما هو شعور المدنية الطبيعية ؟ وما هي الأخلاق التي تفرض الصدق والوفاء ؟ وما مبلغ سلطانها على أناس وانقطاعها عن آخرين ؟

وما هو العقل ؟ وكيف يتقارب ويتباعد ؟ وإذا تقارب بين إنسانين فهل يتقارب بينهما في جميع الأمور ؟ وإذا تقارب بينهما في جميع الأمور فهل يتقارب في جميع الأوقات ؟ وإذا تقارب حيناً بين إنسانين ألا يجوز في ذلك الحين أن يتقارب بين إنسانين آخرين ؟

ثم ما هو الشعور نفسه إذا وصفنا الحب إجمالاً بأنه ضرب من الشعور ؟

ما سلطانه على الإرادة أو ما سلطان الإرادة عليه ؟ وما هي الإرادة بعد هذا وذاك ؟ ولماذا تضعف في ساعة وتقوى في ساعة أخرى ؟ ولماذا تكون في ساعة واحدة ضعيفة أمام أحد الناس وقوية أمام غيره !

كل أولئك حالات تقبل التنويع والتلوين والتقلب والتدريج

وكل أولئك تجمعه كلمة واحدة في ثلاثة حروف

فإذا حصرناه بمقدار حروفه فهو إذن محدود يكون على حالة واحدة ولا يكون على غيرها . ويسهل أن نستغربه كلما رأيناه على غير ما تصورناه

وإذا نظرنا إلى شعابه وفروعه وألوانه ودرجاته جاز أن نراه في ألف حالة متناقضة ولا نستغربه في جميع هذه الحالات أقل استغراب .

جاز أن تسيطر عليه الغريزة النوعية ، وجاز أن يسيطر عليه ذوق الجمال وفنون الجمال ، وجاز أن يسيطر عليه التفاهم ورعاية الأخلاق ، وجاز أن تسيطر عليه هذه البواعث مختلفات في المقادير والمظاهر والدرجات

كل أولئك جائز ، وكل أولئك حب ، وكل أولئك مارض من عوارض النفس الإنسانية في جميع الأعمار

ولكننا وضعنا اللغة فحبسنا تلك المردة أو تلك الأرواح أو تلك الأشباح في قمقم صغير من ثلاثة حروف خفاف على اللسان

قل « حب » فقد قلت كل شيء ولفظت بالطلسم الذي يحبس المردة في « القمقم » الصغير

ولكنك إذا جاوزت القول إلى الدخول في أعماقها والتفرقة بين شياطينها واللعب بأسرارها ثارت بك والتوت عليك ، وكسرت القمقم شر كسرة ، فإذا هو يتطاير شعاعاً هنا وهناك ولا تجتمع منه هباءة على هباءة ، ولو سلطت عليها ألف حرف وألف كلمة وألف لغة تضيق بها المعجمات

فما هو الحب الذي تستغربه ولا ترى أنه يكون في إبان الشباب ؟

وما هو الحب الذي تستغربه ولا ترى أنه يكون بعد الشباب ؟

هو على كل حال كلمة واحدة ولكنه ليس بشيء واحد . وعليك قبل استغرابه أن تميزه في جميع حالاته ، فإذا ميزته فقد عددته وفرقته وجاز — بل وجب — أن تراه في جملة حالات ولا تقصره على حالة واحدة تستغربه فيما عداها

من فضائل اللغة أنها قيدت المردة في القماقم ، ومن جناياتها أنها قليلة القماقم فوضعت في قمقم واحد ما من حقه أن يوضع في ألوف !! وعلينا نحن أن نحترس من جناياتها بحساب ، ونستفيد من فضائلها بحساب

***

ونلحق بما تقدم استدراكاً كما قرأناه في العدد الأخير من الرسالة جاء فيه تعقيباً على مقالنا في التلباثي :

« لو كان القائلون قد سمعوا صوت عمر وهم مئات ، ولو كان ذلك قد تم بواسطة التلباثي لاقتضى الأمر أن يكونوا كلهم

مساجلة الأدب العربي

٢ – ديوان حافظ إبراهيم

للدكتور زكي مبارك

مواساة طرابلس — مواساة بيروت — آمال مصرية

مواساة طرابلس

في شهر سبتمبر من سنة ١٩١١ أغارت إيطاليا على طرابلس – وهي يومئذ ولاية تركية – فنهض المصريون لمعاونة طرابلس بالطب والشعر والمال والرجال ، فمضى إلى الميدان أطباء مصريون لمعالجة الجرحى الطرابلسيين ، منهم الدكاترة حافظ عفيفي وسيد شكري ونصر فريد ؛ ومضى إلى الميدان مجاهدون مصريون أشهرهم عزيز باشا المصري ، ومحمد بك القناشي ؛ وجمعت أموال كثيرة لتموين الجيش الطرابلسي . وبفضل تلك الحرب أنشئت جمعية الهلال الأحمر المصري ، وكان لقلم الشيخ علي يوسف تأثير في إنشاء تلك الجمعية ، وهي لا تزال من كبريات جمعياتنا الخيرية .

وانطلق الشعراء فقالوا في تشجيع الطرابلسيين وتخذيل الإيطاليين عشرات القصائد الجياد

في تلك الحرب قال حافظ قصيدته الميمية :

طمع ألقى عن الغرب اللثاما فاستفق ياشرق واحذر أن تناما

وفيها قال عبد المطلب قصيدته البائية :

بني أمنا ، أين الخميس المدرَّبُ وأين العوالي والحسام المذرَّب

و « بنو أمنا » في قصيدة عبد المطلب هم الأتراك ، وكانوا كذلك بحكم الأخوة الإسلامية ، وهو معنًى فسَّره شوق أحسن تفسير حين قال في التوجع لسقوط « أدِرْنَةَ » في الحرب البلقانية :

مقدونيا ـ والمسلمون عشيرة ـ كيف الخئولة فيك والأعمام

وبمناسبة قصيدة عبد المطلب أذكر أنه قال في التمهيد إن

موهوبين أو وسطاء ، وهو ما لا يعقل ... »

ثم جاء فيه : « كل مقال الأستاذ العقاد منصب على إثبات وجود التلباثي بأدلة منطقية قياسية ، وقد فرغ العلماء من إثباته منذ ٨٥ سنة ، وتدرس هذه العلوم كدراسات عليا في جامعات انجلترا الكبرى . ومحاولة الأستاذ إثباتها كمن يحاول إثبات وجود أشعة إكس بالاستنتاج الخ »

أما أن مقالي منصب على إثبات وجود التلباثي فغير صحيح ، لأنني لم أتجاوز تخطئة الذين يجزمون بنفيه . وقلت : « يجوز أن يأتي غداً من يثبت — هذه الملكة – ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ، ويجوز أن يأتي غداً من ينفيها نفياً قاطعاً لا شك فيه » .

وأما أن وجود التلباثي ثابت كوجود أشعة إكس فذلك قول يدعيه المدعي وعليه إثباته . وقد نقنع منه بتقرير ثلاثة من المشتغلين بالعلم عندنا يؤيدونه فيما قال . وأول ما يقتضيه هذا الرأي أنه يبطل القول بالملكة النفسية ويجعلها خاصة من الخواص التي تتكرر في كل جسم وفي كل معمل من معامل الطبيعة ، وهذا كلام لا يقره النفسيون ولا الطبيعيون ولا المنطقيون

وأما ما قاله صاحب الاستدراك عن سماع الأصوات على البعد فما زاد فيه على ما رأيناه حيث قلنا في مقالنا السابق : « إن التقاء نفسين أيسر قبولاً من التقاء نفس واحدة من جانب وألوف النفوس من جانب آخر »

أو حيث قلنا : « إن انتقال الصوت المادي مئات الأميال يقتضي أن يكون صوت سارية قد سُمع في الجيش الذي معه وهو يستغيث وقد سمع في المسجد الذي كان عمر يخطب فيه ، وقد سمع الصوتان : صوت الاستغاثة وصوت الاستجابة على طول الطريق ، ولم يذكر لنا رواة القصة شيئاً من ذلك »

هذا ما نجيب به عن استدراك المستدرك ولا نجيب عن غيره من كلامه الذي لا نرى فيه ما يناقش أو يجاب .

عباس محمود العقاد

نفسه جاشت حزناً حين لاحظ أن القوة المدافعة من الطرابلسيين وأن الأتراك لم يكونوا إلا مديرين

وقد فكرت فى مراجعة الجرائد المصرية لذلك العهد عسانى أعرف السبب فى تخلف الجيش التركي عن معاونة الجيش الطرابلسى ، ثم اتفق أن لقيت الأستاذ عبد الرحمن بك عزام فى قصر الزعفران يوم مضيت للتسليم على حضرة صاحب السمو الأمير عبد الإله ، فسألته عن سبب ذلك التخلف ، فأفهمنى أن انجلترا اعترضت على مرور الجيش التركى بالأرض المصرية بحجة أن مصر على الحياد ، فلم تستطع تركيا إنجاد طرابلس بغير القواد من أمثال أنور وفتحى ومصطفى كمال

كانت تلك الحرب مثاراً لحركة فكرية وأدبية ، ففيها اختصم المصريون حول الوجب لمعاونة الأمم الإسلامية ، وكان ذلك الاختصام بمناسبة مقالة نشرها لطفى باشا السيد عن الأموال التى تجمع لمواساة الجرحى من المجاهدين المسلمين . فقد أعلن أن الأفضل أن تجمع تلك الأموال باسم الإنسانية لا باسم الدين ، فثار الجدل هنا وهناك ، لأن مثل هذا الرأى فى ذلك الوقت كان يثير الجدال

وفى غمرة الكروب التى أثارتها تلك الحرب أعلن الشام أنه يريد الاستقلال ، بتوجيهات خفية من خصوم الأتراك ، فثارت الجرائد المصرية وعدت ذلك تأييداً لعدوان الطليان

نكبة بيروت

ولم تنتظر إيطاليا حتى تنجح الدسائس الخفية فى تحريض البلاد الشامية على الدول التركية ، فأرسلت أسطولها لضرب ميناء بيروت بالمدافع الثقال ، انتقاماً من الأتراك ، والأحمق يؤذى نفسه من حيث لا يريد

كان من السهل فى تلك الأيام أن يميل نصارى لبنان إلى تأييد الطليان — فقد كانت بينهم وبين الأتراك عداوات — ولكن ضرب بيروت بمدافع الأسطول الإيطالى أغضبت نصارى لبنان وملأت قلوبهم بالغيظ فثلبوها بما يملكون من أسلحة الهجاء فى الجرائد والمجلات

وفى تلك النكبة ثار الشعراء المصريون على الطليان ، ثاروا انتصاراً للأتراك وانتصاراً لأهل لبنان

وفى نكبة بيروت نظم شوقي قصيدهُ الرائع :

يا ربٌ أمرُك فى الممالك نافـذٌ
والحكم حكمك في الدم المسفوك

إن شئت أهرقه وإن شئت احمه
هو لم يكن لسـواك بالملوك

واحكم بعدلك إن عدلك لم يكن
بالممترَى فيـه ولا المشكوك

ألأجل آجالٍ دنت وتهيأت
قدّرت ضرب الشاطئ المتروك

بيروتُ مات الأُسد حتف أنوفهم
لم يشهروا سيفاً ولم يحمـوك

كلٌ بصيد الليث وهو مقيدٌ
ويعزُّ صيدُ الضَّيغم الفكوك

يا مَضربَ الخِيَم المنيفة للقِرى
ما أنصف العُجمُ الأُلى ضربوك

ما كنتِ يوماً للقنابل موضعاً
ولو أنها من عسجدٍ مسبوك

بيروتُ ياراحَ النزيل وأُنسهُ
يمضى الزمان علىَّ لا أسلوك

الحسنُ لفظٌ فى المدائن كلها
ووجدته لفظاً ومعنًى فيك

وفى نكبة بيروت نظم حافظ « رواية تمثيلية » جديرة بالإعجاب ، وفيها أدار الحوار بين جريح من أهل بيروت وزوجة له اسمها « ليلى » وطبيب ورجل بدوى

وترجع أهمية هذه المنظومة إلى ما اشتملت عليه من الصدق فى تصوير العاطفة الإنسانية ، العاطفة التى تجمع بين قسوة الرجولة ورقة الوجدان ؛ فالجريح فتًى لبنانى عجز عن مقاومة النار بالنار ، فما كان لبلده أسطول يقاوم به أسطول الطليان ، ولا أتيحت له فرصة يلتقى فيها سيفاً لسيف مع أحد جنود الأعداء ، وإنما رُمِى وهو عاجزٌ عن أن يَرمى ، فهو وقيذ الاغتيال . وفى تلك المحنة يتذكر مهد غرامه وهو بيروت ، بيروت التى جمعت بينه وبين ليلاه فى فجر الشباب

ولنترك حافظاً يصور آلام هذا الجريح بشعره الرقيق :

لبِـلاىَ ما أنا حيٌّ
يُرجَى ولا أنا مَيتُ

لم أقض حقّ بلادى وها أنا قد قضيت
شفيت نفسى لو أنى لما رُميت رَميت
بيروت لو أن خصماً مَشى إلىّ مشيت
أو داس أرضك باغٍ لدُستُه وبغيت
أو حلّ فيك عدوٌ منازلٌ ما اتقيت
لكنْ رماك جبانٌ لو بان لى لاشتفيت
ليلاى لا تحسبينى علىَّ الحياة بكيت
ولا تظنى شكاتى من مصرعى إن شكوت
ولا يُخيفنْك ذِكرى بيروتَ أنى سلوت
بيروت عهد غرامى فيها وفيك صَبوْت
جررت ذيل شبابى لهواً وفيها جريت
فيها عرفتُك طفلاً ومن هواك انتشيت
ومن عيون رُباها وعذب فيك ارتويت
فيها لليلى كِناسٌ ولى من العز بيت
فيها بنَى لىَ مجدًا أوائلى وبنيت
ليلى ، سراج حياتى خبا فما فيه زيت
قد أطفأته كُراتٌ ما من لظاهنّ فوت
رَمى بهنّ بُغاةٌ أصبننى فثويت

ثم يمضى الحوار بين الجريح وليلاه ، ثم يتدخل البدوى والطبيب ، فلا تنتهى المنظومة إلا بعد أن يستوفى حافظ تصوير ذلك المشهد الحزين

ونرجع إلى القصيد الميمية فنقول :

فى تلك القصيد صوّر حافظ عدة مشاهد ، صور انتفاع الطرابلسيين بالذخائر التى تركها الجيش الإيطالى عند انهزامه بإحدى المواقع فقال :

حاتِمَ الطليان قد قلدتنا مِنةً نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عُدّةً ولباساً وشرابا وطَعاما
وسلاحاً كان فى أيديكمُ ذا كَلالٍ فغدا يَفرى العظاما
أكثروا النزهة فى أحيائنا ورُبانا إنها تشفى السقاما
وأقيموا كل عام موسما يُشبع الأيتام منا والأيامى

وصوّر استخفاف الإيطاليين بالمعاهدات وبالدين فقال :

أحرقوا الدور ، استحلوا كل ما حرّمت « لاهاى » فى العهد احتراما
بارك المطران فى أعمالهم فسَلوه : بارك القوم علاما
أبهذا جاءهم إنجيلهم آمراً يلقى على الأرض السلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا وجَلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطوراً من دمٍ أقسمت تلهم الشرق التهاما

وخلاصة القول أن حافظاً صوّر عواطف المصريين فى الثورة على الأمة الباغية التى عدت على إحدى البقاع الإسلامية ، بحيث استطاع أن يسبق شوقى فى هذا الميدان

آمال مصرية

وهنالك تاريخ مجهول هو تاريخ جهاد المصريين لتحرير طرابلس من نير الطليان فى أعوام الحرب الماضية ، وذلك الجهاد يرجع إلى نزعة أصيلة هى شوق مصر إلى التلاقى مع جميع الولايات التى تشرف على شواطىء البحر الأحمر وشواطىء البحر الأبيض ، فقد كانت مصر فى أكثر عهود التاريخ متصلة بتلك البلاد اتصال وداد وإخاء ، وبلادنا كانت الملتقى لآمال الرجال فى تلك البلاد ، فأكابر الأغنياء من اليمن والحجاز وفلسطين والشام ولبنان ولوبيا والجزائر وتونس ومراكش قد انتفعوا جميعاً بمركز مصر مفتاح الشرق

وكبار الوطنيين فى مصر لهم أصول فى تلك البلاد ، فقد عُير عبد الرحمن الرافعى بأنه شامىُّ الأصل ، وعير عبد العزيز جاويش بأنه مغربى ، ونحن مع هذا نرى هذين الرجلين غاية فى شرف الوطنية المصرية

ما معنى ذلك ؟ معناه أن الوطن المصرى هو الوطن الذى ينتظم شواطىء البحر الأحمر وشواطىء البحر الأبيض ، وقد حفظ التاريخ أن جنودنا استنزلوا فى المعارك التى انتهت بفتح

من أطرف ما قرأت

كزينوقراط الفيلسوف

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان فى أثينا ، أيام أرسطوفان ، مائة وخمس وثلاثون حظية ، كن زهوراً فوّاحة فيها ، ونجوماً رفّافة فى سمائها ؛ وقد أوتين الخلابة والظرافة والجمال . وكانت لايس Laïs أخلبهن جمالاً وأبرعهن حسناً وأكثرهن دلاً وظرفاً

ويقولون إن ڤينوس ، ربة الجمال والحب ، تجلت لها فى الحلم فأرتها ما ستحظها به من حظ ، وما ستنعم به من نعميات . . . ومسحت بكفها الصغيرة جسمها النض ، فجعلته مثار غوايات وينبوع شهوات

ولم يخلب الملوك ، ولم يشرّد نوم الكهّان ، ولم يُذهل أحلام الفلاسفة ، غير لايس ؛ لايس الطروب المدلة ، ذات العين الضحوك والجسم الريان . فكان أهل أثينا يجتمعون فى « الكورنث » مسرح اللهو واللذاذات ، يتمتعون منها بمحاسن تتجدّد وملاحات ليس تنفد ، فإذا مضت إلى معبد ڤينوس ، فيالسحر الجمال ! هنالك ترى الشعب يتبعها كالخراف لا يدعون ڤيتوس ، ولا يبتهلون إلى آلهة الأولمب ، ولكنهم ينظرون إلى لايس

وفَلَّك ثدياها فكانا شركاً وفتنة : غضوضة تأسر اللبّ ونعومة تشل الحس ، واهتزاز يفتن الناظر . فكان المثالون يعطون ڤينوس ، إذا نحتوا لها التماثيل ، ثدىِ لايس الحظية أو فرينه phryné اللعوب

وكانت الدنانير تنثر تحت أقدامها كما تنثر الأزاهير لنظرة حنونٍ منها أو بسمة خلوب

ودوّخت لايس أثينا كلها ، واشتد سلطان جمالها ، وتيمت الأرواح وأذهلت الأحلام ، إلا رجلاً واحداً ، كان يتجلد ويصبر ولا يذعن لسلطانها . هو كزينوقراط الفيلسوف .

لقد طلبت منه مالاً من ماله ... « فإذا أعطيتنيه ، سكبت فى فمك لذة الدنيا ، وأذقتك هناءة العمر ، فى ليلة واحدة ! »

ورفض الفيلسوف طِلْبة لايس ، فأقسمت لتغوينّه ، ولتجعلنّه من عباد جمالها المخلصين ، وتخاطرت على الهزء به مع أناس كثيرين .

وطرقتْ باب مأواه ، وقد عبس الليل ، مذعورة الجنان دامعة العينين . فقال لها : « ما ذعَرَكِ يا لايس ... وما أصابك فى هذا الليل البهيم ... ؟ » قالت : « لقد تبعنى قُطّاع الطريق ورعبنى سُفاك الدماء ، يريدون اختطافى ... فآونى فى دارك حتى يبرق لى النور ... ! »

وأدخلها الفيلسوف غرفته ، وقدم إليها سريره .

يا عجباً ! لقد اختفتْ تلك الدموع الغِزار التى كانت تساقطها ، منذ لحظات ، كحبات المطر ، فتنحدر على خدودها كالدُّرَر .

وابتسمت لايس ... وابتدأت الفتنة !

لقد وقفت أمامه ، فرأى ما يسحر وما يغرى : فهذه البسمة الفاتنة كأنها وعد بلذّة صخوب ، وهاته الشفاه المفترّة التى تقطر الشهد والرحيق ، وهاتان العينان اللتان ترسلان لهباً فاتراً يوهن القوى ، وينظران نظرات حالمة فيهن ظمأ وعتب وأسى . وهذان الذراعان البضان اللذان يمتدان للعناق . وهذه الحركة الرشيقة التى تثير الوجد ، والضحكة البارعة التى تفلق الكبد ، والغمزة الساحرة التى ينخلع لها الفؤاد ... ثم هذا الغضب الجميل ، والنفور اللطيف ، وذاك الدلال الحلو والإقبال

الأندلس وشهد التاريخ أيضاً أن عرب الأندلس لم يجدوا فى محنتهم مأوًى غير وادى النيل

متاعب الدنيا فى هذه الأيام لن تنسينا ما يجب أن يحفظ ، ولن ننسى أبداً أن لنا إخواناً هواهم من هوانا فى جميع الشئون .

الحرب الحاضرة موجة عابرة ، وميزان الوجود لا تزلزله قلقلةٌ وقتية سيزول صداها بعد حين

مصر هى مصر ، والشرق هو الشرق ، ورجاؤه فيها هو رجاؤها فيه ، ولن ينفصم ما بينها وبينه من مواثيق

سنكون فيما بعد أصدق مما كنا فيما قبل « ولله العزةُ ولرسوله وللمؤمنين »

زكى مبارك

رفيق الصبا(*)

للأستاذ محمد مندور

ها أنا اليوم أتماسك فأستطيع أن أذكر رفيق صباى الدكتور محمد الشحات أيوب الذى نقلت إلى الصحف خبر وفاته. ولقد بكاه قلبى فكان البكاء رحمة من الله وقد أوشكت حياتى أن تختنق ضيقاً بوفاته.

أيوب رفيق صباى منذ مدرسة الألفي الابتدائية بمنيا القمح سنة ١٩١٧ إلى آخر عهدنا بتحصيل العلم سنة ١٩٣٩ بباريس.

(*) أرسل هذه الكلمة لمجلة الرسالة الغراء لأن الدكتور أيوب له بها عهد، والكل يذكر بلا ريب السلسلة التى ابتدأها بها عن « الشخصيات التاريخية »، ونفذ منها « تيموسنكل ». وقد كانت فكرته رحمه الله أن يحاول في التاريخ ما أحاوله فى الأدب، فينشر « شخصيات تاريخية » فى الرسالة كما أنشر أنا « نماذج بشرية » فى الثقافة؛ وبذلك حسب وحسبت أننا نساهم فى الحركة الفكرية بنصيب ما. ثم إن اشتغال الزميل العزيز بالانتهاء من رسالته للدكتوراه صرفه عن الاستمرار فى الموضوع فتركه مؤقتاً على أن يعود إليه فيما بعد. وها هو الموت يسبقه إلى ما أراد. اللهم آنس وحشته.

وهو زميلى فى دراستى، كان يحب كما أحب حضارة اليونان لأنها تسمو بالروح إلى أفق لا يمكن أن يدركه إلا من يصل إليه بنفسه بعد جهد طويل. ولقد علقت روحه بمثل اليونان: الخير والحق والجمال، فأبغض الظلم والشر والقبح. من لى اليوم برفيق سواه؟ كنت ألقاه فنرفع من قلوبنا بذكر من نحب من كتاب تلك الحضارة المشرقة. ولقد عرف أيوب كما عرفنا مرارة الظلم الذى ينزله الجهل بالنفوس الخيرة. ولقد تعزى أيوب كما تعزينا بالقيم الروحية. ولقد جاهد أيوب معنا لأننا عقدنا العزم على أن نكسب النفوس بأيماننا. وها هو أيوب يغادرنا ونحن لم نكد نبدأ الشوط. أيها الأخ الراحل: لقد كنا بحاجة إليك. ها أشعة الأمل تشرق فى الأفق البعيد. عزيز على نفسى أن نستأثر بنصيبك فيها. اللهم املأ قبره ضوءاً. اللهم اهد إليه ضوء قلوبنا.

قد يجهل الناس أيوباً، فهل لى أن يصدقونى إن قلت إنه أمل خبا، أمل قوى لا أعرف أملاً يساويه. لقد كان أيوب « مدرس » التاريخ القديم بجامعة فؤاد الأول « أستاذاً » منقطع النظير. كانت له قدرة عجيبة على البناء التاريخى. كنت تراه يجمع مواده لا من ملخصات التاريخ بل من مصادر التاريخ. وكان رحمه الله

الظريف... ثم ما شئت من مراح ومزاح، ورقص وشدو، وبكاء وأنين. كل أولئك ما هزّ الفيلسوف وما أثر فيه.

لقد قطّعت الليل تحاول إغراء كزينوقراط، فما خلبته فتنتها، ولا هاجه سحرها؛ لكنه لبث أمامها ينظر متجلدا، كأنه قطعة من حجر أو قدّة من جليد..

ولملمت لاييس أثوابها، وخرجت من دار الفيلسوف مع الفجر وفى عينيها الحلوتين دموع الخيبة والفشل

وانتشر الخبر مع النور، فجاء صواحبها مسرعات، فابتسمت لاييس، وقالت: « لقد راهنت على إغواء إنسان. أما كزينوقراط فتمثال من جليد...! »

ونظر لِداتُها بعضهن إلى بعض دهشات، وقلن: « لك عذرك يا لاييس! »

هذا حديث أرسطوفان، ما أدرى مبلغ التزويق أو التهويل فيه، ولكنى ذكرت، وقد تمثلت فى خاطرى صورة الفيلسوف حديثاً طريفاً للجاحظ، عن نديم اسمه أبو المبارك الصابىء، كان أحلى خلق الله حلاوة وظرافة وفكراً، وأبرعهن حديثاً ونادرة

وعلماً، وألطفهن مذهباً وطريقة وفهماً. وكان قد خصى نفسه وأربى على المائة. وكان ينادم الخلفاء والوزراء ويغشى بيوت حرمهن، ويقضى الأوقات الطوال عندهن. وكان قلبه علوقاً بالجمال يتتيمه ويهيم فى أثره. فسئل عن ميله إلى النساء، وقد تخطى المائة؛ فزفر زفرة كادت تقصف ضلوعه وقال: « إنى لأسمع نغمة المرأة، فأظن مرة أن كبدى قد ذابت، وأظن مرة أنها قد انصدعت، وأظن مرة أن عقلى قد اختلس، وربما اضطرب فؤادى عند ضحك إحداهن، حتى أظن أنه خرج من فى... فكيف ألوم غيرى عليهن؟ »

فما أشد اختلاف الطباع!

(دمشق) صلاح الدين المنجد

* * *

حاشية: « جاء فى مقالنا عن « الندوات الأدبية الخاصة فى الغرب » المنشور فى العدد (٤٩٣): « وصالون اللادى هولاند فى القرن الثالث عشر » وصوابه « القرن الثامن عشر »

ورسم اسم النقاد اللاذع والمصور دليكلوز Delecluz، وصوابه Delecluze

يعلم ويحس أن التاريخ قصة نفاذ الروح البشرية إلى العالم والـكائنات ، ولهذا كان يتتبع مسارب تلك الروح فى مظانها . مصادر التاريخ عنده كانت تماثيل فدياس وبراكستيل ، خطب بركليس وديموستين ، مسرحيات سوفكليس وأوريبدس ، ملاحم هوميروس ، وأغانى بنداروس ، قصص هيرودوت ، وتحليل توكيديدس . التاريخ عنده كان شيئاً واحداً : الروح البشرية فى مظاهرها المتعددة . جاءنى يوماً يطلب إلى رواية الفرس لأيسكيلوس ليتخذها مصدراً من مصادر المعرفة الحقة . المعرفة الإنسانية بمعركة سلامين .

درس أيوب التاريخ بمصر فكان الأول بين أقرانه ؛ وأرسل أيوب في بعثة إلى باريس ثمانى سنوات حيث أخذ العلم عن جلوتز وجنبير وسينوبوس وأمثالهم ممن تتطاطأ لهم الهامات فى العالم أجمع . ولم يكتف بتحصيل المعرفة من بطون الكتب وأفواه الأساتذة بل ذهب عاماً كاملاً إلى بلاد اليونان يقلب آثار الماضى المجيد ويستنطق الحجارة . وعاد أيوب إلى مصر بعد أن طوف بدلف وديلوس وفيليب وأولمبي وقد انصهرت المعرفة بنفسه فإذا بالتاريخ القديم عنده كذكريات حياته الخاصة يحدثك عنه فى طلاقة وحرارة وقوة فيكسبك .

عجيب أن يموت أيوب ! عجيب أن يجف هذا النبع قبل أن يتدفق ! لقد حاضر أيوب بالجامعة ثلاث سنوات فقط . لـكن سل زملاءه ، سل تلاميذه وهم موضع أمله ، سلهم يخبروك عن هذا العالم الثبت الذكي الفؤاد الفصيح اللسان . لقد أخصب أيوب نفوساً ستذكره بالرحمة .

لم يتوان أيوب عن أداء رسالته . ولقد عقد العزم ونحن معه على أن نؤديها ، تنكر الناس أو رضوا ، ظلموا أو أنصفوا . ولقد أحس بالظلم تـكوينا ناره فصمد له وشمر عن ساعده فترجم جزءاً هاماً من « تاريخ مصر » لهانوتو ، ذلك الـكتاب الضخم الذى وضعته جماعة من علماء فرنسا بتكليف من ملـكنا المعظم فؤاد الأول رحمه الله ، ورأت وزارة المعارف أن تنقله إلى لغتنا ، فأدرك بعض رجالها أن أيوباً فى طليعة من ينهضون بهذا العمل الجليل الشاق

وقالوا إن المرء لا يثبت علمه إلا إذا كان « دكتوراً » ، وكان أيوب يعد رسالة أصيلة باللغة الفرنسية عن تاريخ طيبة اليونانية . وقسوا على أيوب فلم يرد أن ينتظر حتى تسكن الحرب ، فيقدم رسالته إلى السوربون بل قدمها إلى جامعة فؤاد الأول ، فإذا به يمنح أعلى درجة تعرفها جامعتنا . وهذا ليس موضع فخارنا بأيوب ، وإنما نفخر بأنه استطاع أن يتمتع بصداقة أستاذنا جميعاً البروفسير جوجيه أستاذ التاريخ القديم بجامعات فرنسا سابقاً ومدير المعهد الفرنسى بالقاهرة فى السنين الأخيرة ، والذى كان من حظ جامعة فؤاد الأول أن تنتدبه للتدريس بها . لقد كان البروفسير جوجيه ولا يزال يعز أيوباً بل يحبه حب تقدير لعلمه وإخلاصه وتفتح نفسه ، وكان يخصه دائماً بالثناء . وكانت محبة البروفسير لتلميذه وزميله محبة فعالة لأنها قامت على أساس شريف : أساس العلم . فكنت تراه يعين أيوبا على كل أموره . صغيرها وكبيرها . عامها وخاصها . كم اهتزت نفسى لنبل هـذا الأستاذ الـكريم إذ حدثنى أصدقاء القاهرة أن البروفسير جوجيه لم يتخل عن أيوب أثناء مرضه ولا نسيه بل تردد عليه فى كل حين وأعانه على تلقى الموت بروح مطمئنة

وأحس أيوب أن ضعف المؤلفات العلمية من أكبر أسباب انحطاط التعليم ببلادنا انحطاطاً لا شك فيه ، فأخذ نفسه بوضع مؤلفين أحدهما عن النظم اليونانية والآخر عن النظم الرومانية . ولقد افترقنا منذ أشهر ، فلم أدر إلى أى مرحلة وصل فى كتابيه ، ولـكننى على ثقة من أنه قد خطا بهما خطوات واسعة ، لأن أيوبا كان عقلاً نشطاً ، وكان إذا قال نفذ وإذا وعد صدق . ترى ما مصير هذه الـكتب ؟ ! إن كاتب هذه الأسطر يعتبرها نعمة من الله أن يستطيع ترتيب المواد وإتمام التفاصيل وإيضاح الغامض والإشراف على نشر تلك الأبحاث القيمة التى خلـفها رفيق صباه ؛ وكلى أمل أن الجامعة والوزارة ستقدران قيمة هذه الأشياء فترصد المال اللازم لإذاعتها بين الناس

يجب أن تنشر رسالة الدكتوراه لأيوب ، والجزء الذى ترجمه أيوب من هانوتو ، ومذكرات أيوب ومقالاته . هذه كنوز . وقد ذاق أيوب المر فى حياته ، فهل لنا أن نـكفر عن ذلك بالإحسان إلى ذكراه ؟

أما حزنى على هذا الصديق فأعز من أن يحتويه لفظ . اللهم ارحمه !

أيها الصديق الراحل ! سنجاهد كما جاهدت حتى نلحق بك . سنظل كما عهدتنا جنداً فى خدمة الروح . إلى اللقاء .

(الأسكندرية) محمد مندور

عيــــد الهجرة

للأستاذ على محمود طه

غنِّ بالهجرة عاماً بعد عامِ … واْدعُ للحقِّ وبشِّرْ بالسلامِ

وترسّلْ يا قصيــدى نغماً … وتنقّلْ بين موج وغمام

صوتُكَ الحقُّ فلا يأخــذكَ ما … فى نواحى الأرض من بغىٍ وذامْ

كنْ بشير الحبِّ والنور إلى … مُهَجٍ كلْمَى وأكبادٍ دوامى

هجرتْ أوطانها واغتربتْ … فى مِثاليٍّ من المبدإ سامى

أنِفتْ عيش الرقيق المُجتبَى … وأبتْ ذُلَّ الضمير المستضام

يا دُعاةَ الحقِّ هــذى محنةٌ … تُشعلُ الرُّوح بمسعور الضرام

هذه حرب حياة أو حِمام … وصراعُ الخير والشرِّ العقام

خاضَها الإسلامُ فرداً، وهدَى … بيراعٍ، وتحدَّى بحسام

هجرةٌ كانت إلى الله وفى … خطوها مولدُ أحداث جسام

أخطأ الشيطانُ مسراها، فيا … ضَلّةَ الشيطانِ فى تلك المَوامى

آبَ بالخيبةِ من غايتــهِ … وهو فوق الأرض ملعونُ المقام

صفحاتٌ من صراع خالدٍ … ضُمِّنتْ كلَّ فخارٍ ووَسام

لم تُتَحْ يوماً لجبّارٍ طغَى … أو لباغٍ فاتك السيفِ عُرام

بل لداعٍ أعزلٍ فى قومهِ … مستباح الدَّمِ مهدورِ الذمام

زلزلَ العــالَمَ من أقطاره … بقُوَى الرُّوح على القوم الطغام

وبنى أوّلَ دنيــا حُرّةٍ … برِئتْ من كلِّ ظلم وأثام

تسعُ النــاسَ على ألوانهم … لم تفرِّقْ بين آرىٍّ وسامى

* * *

حاطمَ الأصنامِ هل منكَ يدٌ … تذَرُ الظلمَ صديعاً من حُطام ؟

لم تُطقْها حجراً أو خشبــاً … ويُطاقُ اليومَ أصنامُ الأنام !

وعجيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ … أبصرَ الأعمى به والمتعامى

آدميُّون قَزامى انتحــلوا … منطقَ الآلهةِ الشمِّ العظام

وتراءمْ مثلمــا تسمعهم … صُوَرَ الوهم وأحلامَ النيام

بشَّروا الناس بدنيا، ويحهم ! … أىُّ دُنيا من دَمارٍ وحِمام ؟

تسلُبُ العــالَمَ حُرِّيَّاتِهِ … وترى الناسَ قطيعاً من سَوام

قيل للحق، وما أعجبــه … فى مجال حيــوى ونظام !

قيل للخبز، فهل أطعمهم … حلمَ الحرب سوى الموت الزؤام ؟

أنت يا أيَّتها الشمسُ اطلُعى … من وراء الليل والغيمِ الرُّكامِ

سَدِّدِى بالنار قوساً واصرعى … ماردَ الشرِّ بمشبوب السهام

ضَلَّتِ الأرضُ بليلٍ داهمٍ … يحذَرُ النجمُ دُجاهُ المترامى

دَمِيَتْ أعيننا فى جنحــه … واشتكت حتى خفافيشُ الظلام

* * *

يا شعوباً جمَعتْهــا أمةٌ … بين مصرٍ وعراقٍ وشآمِ

وبطوناً من بقايا « طارقٍ » … فى الجبال الجُرْدِ والخُضرِ النوامى

صاغها الإسلام فى إقليــدِهِ … خرزاتٍ من فريد وتؤام

ما شدا شعرى بها إلا هفتْ … بالقباب البيض أو حُمْرِ الخيام

كلُّ روحٍ بهدىً من حُبِّها … كلُّ قلبٍ بشعاع من غرام

تذكر القُرْبَى وتستدنى بها … مشرقَ الآمال فى مطلع عامِ

وتُرَجِّى عودةَ المجد الذى … أعجز البانى وأعيا المتسامى

فى بيوتٍ هاشميات البِنَى … وعروش أمويّاتِ الدِّعام

ونتاجٍ من نُهىً جبّــارةٍ … وتراث من حضارات ضخام

قُلْ لها يا عامُ لا هُنْتِ ولا … كنتِ إلا مهد أحرار كرام

ذاك مجد لم ينــله أهله … بالتمنى والتغنى والكلام

بل بآلام وصـــبر وضنى … ودموعٍ ودم حُرٍّ سِجّام

قُلْ لهــا إنَّ الرحى دائرة … والليالى بين كرٍّ وصدام

فاستعدّى لغــدٍ إن غداً … نُهْزَةُ السبّاق فى هذا الزحام

واجمعى أمرَكِ لليوم الذى … يحمل البشرى لعشّاق السلام

على محمود طه

إلى الأستاذ البشبيشي

للأب أنستاس ماري الكرملي

(تأخرت في البريد)

١ — تمهيد

أشكرك ، يا سيدى الشكر الجزيل الصادق ، على مطالعتك لمقالتي التي نشرتها لى (الرسالة) ، بخصوص كتاب (الإمتاع والمؤانسة) ، وأشكرك شكراً أعظم ، على أنك تنازلت فأبديت بعض ملاحظات تتعلق بكلمتي تلك . والآن أستأذنك في إبداء ما عندى من النظرات . وأول كل شيء ، أود أن أقول كلة في تاريخ رسم الحروف في مصر ، وهي :

٢ — تاريخ رسم الحروف في ديار النيل

كان كتبة وادى النيل ، قبل سنة ١٢٧٥ للهجرة ، يختلف بعضهم عن بعض ، فى رسم بعض الأحرف ، ككتابة الأعلام المؤنثة المنتهية بالياء والهاء كأفريقية ، أو بالياء والألف كبادورايه ، أو بالألف القائمة كبخارا ، أو بالألف الجالسة ، وهى الألف المصورة بصورة الياء كبخارى أيضاً (على رأى من يكتبها بهذا الرسم) ، وكالمهموز الآخر الوارد على وزن التفاعل كالتخاجؤ والتخاجئ ، وكان أغلب اختلافهم فى رسم الهمزة الواقعة فى قلب الكلمة كرؤوس ، وبدأوا ، ومشؤوم

وسبب ذلك جميعه ، أن كل واحد من أولئك الكتبة المصريين ، اتخذ له إماماً نحويًا أو لغويًا ، وحاول اقتفاء آثاره . ولما كان الأئمة الأقدمون كثيرين ، ويختلف بعضهم عن بعض فى هذه الأمور ، اختلف أيضاً متتبعوهم ومقلدوهم فى هذه الأزمان الأخيرة

أما بعد سنة ١٢٧٥ ، فقد أخذ الاختلاف يزول شيئاً بعد شيء من بين ظهرانى أبناء النيل ، أو كاد يزول . وذلك لأن الشيخ العلامة نصر الهوريني وضع رسالة فى ذلك العام (المطالع النصرية ، للمطابع المصرية) ، ووشاها بقواعد لم يتبع فيها إماماً واحداً من أئمة النحوية واللغويها ، بل جمع بينهم ؛ لأن اختياره لم يكن موفقاً ولا دائماً حسناً ، فقد خالف أحياناً سيبويه والحريري والخفاجي وغيرهم من أولئك الأساطين العظام الأقدمين ، بل خالف أيضاً ثقات المتأخرين كجماعة الألوسيين : شهاب الدين ونعمان ومحمود شكرى ، فجاء تأليفه كفلك نوح ، الذى كان يحوى زوجين من أطايب الحيوان وخبائثه ، أى أن كتابه حوى أطايب القواعد وخبائثها . ومع ذلك راج كتابه أى رواج ولا سيما لأنه تولى تصحيح كثير من أسفار مشاهير الأقدمين ، وكانت تطبع فى مطبعة بولاق للحكومة المصرية ، منذ أن تولى تصحيح ما يصدر فيها ، حتى شاع رسم الهمزة فى تلك المطبوعات على ما أراد لا على ما كان رسمها المؤلف الأصيل فى كتابه

ومما زاد الطين بلة ، أن جماعة ممن جاء بعده من المؤلفين أصدروا كتباً للمدارس ، فأشاعوا وأذاعوا تلك القواعد التى سوّرها الشيخ الهورينى بأسوار من فولاذ ، بل أقوى وأصلب ، فكانت الطامة الكبرى ولا سيما جاء الشيخ العلامة حسين والى وكان ينتظر أن يصلح ما أفسده سلفُه ، لكنه تابعه فى جُلّ قواعده ، إلَّم نقل فى كلها ، وسمى تأليفه (كتاب الإملاء) (كذا) ، مع أنه كتاب الرسم ، إذ الإملاء بهذا المعنى من كلام الترك واصطلاحهم . لا من كلام العرب ، كما كتب لى بذلك المؤلف نفسه فى كتاب أحفظه ، وكان جواباً على ما بينته له . فسارت تلك القواعد سير النار فى هشيم التبن بين جميع المعلمين والمتعلمين ، وهى لا تزال سائرة إلى هذا اليوم الذى نكتب فيه هذه الكلمة

إلا أنه — والحمد لله — قام مُناوِئاً للمالين أعظم لغوى لمخالفيهما ، وهو الشيخ محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزى المشهور بابن التلاميد (بدال مهملة فى الآخر) ؛ الشنقيطى : المغربى الأصل ، فإنه تولى طبع (المخصص) لابن سيده (بهاء محضة فى الآخر) ، وعلق عليه حواشى هى درر بل درارى ، فزاد قدر المخصص فى عيون الناس زيادة لا تضاهى فى شيء ، وقد رسم الهمزات فى مواطنها ، كما يجب أن ترسم على مذهب السادة الأئمة الفصحاء كسيبويه وابن الأنبارى وابن جنى والحريرى

والخفاجي وأضرابهم في هذا الأوان كأبناء الألوسي والزهاوي والرصافي

وقد اتفق للشنقيطي أن فنّد بعض الأحيان تفنيداً فلسفياً وبصريح العبارة، كلام الشيخ الهوريني وزيف أقواله، وبذات الوقت لم يوافق على رأي الشيخ العلامة حسين والي، ونحن نورد لك هنا نموذجاً مما قال، وقد عثرنا عليه نبهاً، وقد جاء ذلك في المخصص ٨ : ١٧٨

٣ — الآئب لا الآيب

« آئب، الصواب أن يكتب بالهمز بعد المد على قاعدة إبدال عين فاعل، لمعتل فعله همزة، وهي قاعدة مطردة لم يستثن منها حرف واحد بالإجماع. وقد عد في المغني من اللحن قول الفقهاء: « بايع » بالياء غير مهموز. ولا عبرة بما كتبه الشيخ نصر الهوريني في مطالعه، حيث ذكر في صحيفة ٤٨ [من الطبعة الأولى وص ٧١ من الطبعة الثانية] حكم الهمزة المكسورة المصورة ياء، وقال هناك: « نعم، إذا كان قبلها ألف نحو آيل وآيس وآيب، تبدل ياء حقيقية بمقتضى القياس الصرفي نظير ما قالوه في جمع ذؤابة على ذوائب، حيث لم يجمعوه على أصله ذائب. وقد ورد من حديث الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: آيبون تائبون عابدون. ولم يروه أحد بالهمز » انتهى لفظه بحروفه وهذا كله خطأ مخالف للقياس والرواية، فلا يجوز التعويل عليه. ونحو ذوائب في جمع ذؤابة مما شذ عن القياس، والشاذ لا يقاس عليه. والدليل على صحة ما قلته من إثبات همزة آئب وتحقيقها قول النابغة:

تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعى النجوم بآئب

وقول ابن زيابة:

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآئب

وقول تأبط شرًّا:

فأبت إلى فهم وما كدتُ آئباً

وقول الأخنس بن شهاب:

تطير على أعجاز حوشٍ كأنها ... جهام هراق ماؤهُ فهو آئب

ونحو هذا كثير مما أجمعوا على روايته بالهمز فقط. وكتبه محققه محمد محمود لطف الله تعالى به. آمين

إلى « آمين » هو كلام الشيخ الشنقيطي العلامة الأكبر، وهو في الوقت نفسه يرد على الشيخ حسين والي. وقد ورد كلامه مثل كلام الشيخ الهوريني في ص ١٩٢ من الطبعة الثانية من كتاب الإملاء فلا حاجة لنا إلى نقله على غير جدوى.

٤ — رؤوس . بيدأوا . مشؤوم . شؤم . شأم

قال الحريري في درة الغوّاص، طبعة الجوائب في سنة ١٢٩٩ في قسطنطينية في ص ١٢٨

« فأما سؤول، وبؤوس، وشؤون، ومؤونة، وموؤودة، فالأحسن أن يكتبن بواوين، ومنهم من كتبها بواو واحدة » ا هـ ولم يقل وترسم مفردة أو على نبرة إذا لم يكن فصل ما بعدها عما قبلها كما في مشئوم، وكما قال حضرة أستاذي المحترم محمود البشبيشي

ومثل كلام الحريري، قال الشيخ الأجل الآلوسي في كتابه (كشف الطرة من الغرّة في ص ٤٦٨)

فيؤخذ من كلام الحريري والآلوسي أن الهمزة إذا وقعت في قلب الكلمة، فإن كانت متحركة، كتبت على حرف علة يجانس حركة ما قبلها كما في رؤوس. وعليه تكتب (يبدأوا) على الألف لهذا السبب نفسه لأن حركة الدال فتحة.

أما مشؤوم فقد قال في التاج في مادة (ش أم) : وشؤم عليهم ككرم ويَمُن ... ورجل مشؤوم، بالهمزة على مفعول، وكذلك يَمُنَ عليهم فهو ميمون. ومشوم، كقول والجمع مشائيم، نادر وحكمه السلامة ... » والذي ورد مطبوعاً « مشؤم » وهي — ولا شك في النادر — من الناشر لا من المؤلف، لأن هذا يقول: بالهمز على مفعول، وفي مفعول خمسة أحرف، فإذا كتبناها (مشؤم) كانت الأحرف أربعة، فظهر الخطأ من الطابع أو من الناشر، ولم يكتبها أحد من العلماء الثقات الأثبات (مشؤم على وزن مَفْعُل بضم العين، لأن هذا الوزن نادر في كلامهم وليس مشؤم منه.

فتكون القاعدة: إذا وقعت الهمزة متحركة في الوسط وسكن

ما قبلها كتبت على حرف علة يجانس حركتها . ولما كانت حركة مشؤوم مجمة كتبت على الواو ، وهي غير واو مفعول اللازمة له

أما إذا كانت الهمزة الواقعة في الوسط ساكنة فترسم على حرف علة يجانس حركة ما قبلها . فتكتب شؤم على الواو ، وشأم على الألف ، وبئس على الياء . وهذا كل ما يقال في رسم الهمزة الواقعة في الوسط

وقد تكلم الشيخ نصر الهوريني على الهمزة في كتابه المطالع النصرية في ٤٤ صفحة ، وبعد أن يتم القارئ الوقوف عليها ، يقول في نفسه : هل عرفت كيفية رسم الهمزة ؟ أما الشيخ أحمد فارس الشدياق ، فقد تكلم عليها وعلى مواطنها من الكلم في كتابه (غنية الطالب) المطبوع في قسطنطينية سنة ١٢٨٩ في ١٣ سطراً لا غير . ونحن ننقل هنا نصه ليطلع عليه من لا يملك الكتاب . وهذه هي وقد جاءت في آخر ص ٣١ وبدء ٣٢ :

« إن كانت الهمزة في الابتداء كتبت بصورة الألف دائماً نحو أنصر وأضرب وأكرم . وإن كانت متوسطة ساكنة كتبت بحرف يجانس حركة ما قبلها ، نحو : يأس وبؤس وبئس . وإن كانت متحركة وماقبلها ساكن نحو : يسأل ويلؤم ويَيئِس ، لغة في ييأس بمعنى يقنط ، أو كانت متحركة وما قبلها متحرك نحو سأل ولَؤُم ويَئِس

وإذا كانت متطرفة ، فإن كان ما قبلها متحركا كتبت بحرف حركته نحو : قرأ وقرئ وقؤ . وإلا فتكتب من دون حرف ، نحو شيء وبلء وجزء

وإذا وقعت همزتان ثانيتهما ساكنة قلبت ألفاً لينة وكتبتا بصورة المد نحو : آمن أصله أأمن على وزن أفعل . وأهل الغرب يكتبون الهمزة منقطعة وبعدها ألف نحو ءامن . وكذلك إذا وقع بعد الهمزة ألف نحو : المآكل جمع مأكل

وإذا اجتمع همزتان متحركتان ، جاز لك أن تفصل بينهما بألف نحو آأنت أمْ أمْ سالم . أما ماضي مهموز اللام المثنى فيبقى كتبُهُ بألفين نحو قرَأا

وللهمزة أحكام كثيرة قد اختلف فيها أهل الرسم ؛ ولو أنها رسمت من الأصل بصورة معلومة خاصة بها ، لما نشأ شيء من هذا الخلاف » انتهى كلام الشدياق

والسوريون المعاصرون ، والعراقيون واللبنانيون جروا ويجرون على هذه القواعد المذكورة هنا ، وهي أيضاً قواعد الحريري والخفاجي والآلوسي والشدياق ، ولا يخالفونهم في شيء

وإذا كان ثَمَّ من يجاري كتاب وادي النيل ، فهو لأنه تعلم في مدارس أبناء مُضَرَ من المصريين ، وطالع أشعارهم فخالف بذلك أهالي وطنه وعلماءه ، من عهد غير بعيد

والآن ، وقد بسطنا كل ما يهم القارئ في هذا الموضوع فهل يستطيع الأستاذ البشبيشي أو غيره من العلماء أن يأتي لنا بنص صريح يرتقي إلى أربعمائة سنة أو دُوَيْنها وفيه نُاني رسم الهمزة وحدها في حشو الكلمة في أي حال من الأحوال ، ويكون النص لعالم ثبت ثقة يعتمد عليه . فإننا نتحداهم حاقَّ التحدي !

يا سيدي الأستاذ البشبيشي ، إننا نعلم العلم اليقين ، أن أسلافنا العرب كانوا فلاسفة أجلاء في سليقتهم ، حتى في قواعدهم الصرفية ، والنحوية واللغوية ، فهي تتدفق منطقاً ، وفلسفة ، وحكمة ؛ ونظن أن الذي حملهم على أن يرسموا الهمزة الواقعة في قلب الكلمة على حرف ، هو أنهم شبهوها بحشو البطن ، أو بقلب الإنسان . فكما أن الأحشاء لا تكون وحدها ، بل تقع بين الصدر والطرفين ، أي الرجلين ، كذلك الهمزة لا تكون وحدها ، بل تقع على ما يسندها بصدرها وطرفها

أفبعد هذه الفلسفة أو الحكمة العميقة ، والواضحة لكل ذي عينين نيرتين من يذم أحكام العربية وقواعدها ؟ - فإذا كان هناك من يفعل ذلك ، فهو من الشعوبية وأعدى أعداء العرب كهتلر ومصوليني !

ونظن أن في هذا القدر في هذا الموضوع ، مجزأة ، بل مكرهة لكل قارئ . فالعفو يا سادتي الكرام ، والمنفرة من شيم العرب الفخام !

(البقية في العدد القادم)

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

٤٧ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزى ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعة

ليتبين القارئ قيمة النقود فى القاهرة أثناء السنوات الأخيرة أقدم فيما يلى قائمة أسعار بعض الأطعمة العادية أثناء زيارتى الثانية . ومنذ أن أصبحت مصر مرة ثانية طريق الهند ومجمع السائحين الذين زاد عددهم على السنوات السابقة ، زادت أسعار السلع المختلفة زيادة عظيمة . وتقل الأسعار فى مدن الأرياف وقراها عنها فى العاصمة ، فيكون سعر اللحم والطيور والحمام نصف الأسعار المذكورة هنا تقريباً ، وسعر القمح والخبز يكون ثلثها أو نصفها :

	فضة	قرش
القمح : الأردب من ٥٠ إلى	٠٠	٦٣
الأرز : « حوالى	٠٠	٢٤٠
الضأن: الرطل	٠٠	١
لحم البقر: «	٣٥	٠٠
الطيور : الواحد من قرش وعشر فضة إلى	٢٠	١
الحمام : الزوج « « « « «	٢٠	١
البيض : الثلاث بيضات	٥	٠٠
الزبد : الرطل	٠٠	٢
السمن: « من قرشين إلى	١٠	٢
البن : « من ستة قروش إلى	٠٠	٧
التبغ الجبلى : الأقة من ١٥ قرشاً إلى	٠٠	١٨
« السورى : « من خمسة قروش إلى	٠٠	١٠
السكر المصرى المخروط : الرطل	٠٠	٢
السكر الأوربى : «	١٠	٢
العنب فى موسمه : «	١٠	٠٠
العنب المتأخر : الرطل من ٢٠ فضة إلى	٣٠	٠٠
البسكويت : القنطار	٠٠	١٦٠
الماء : القربة من ١٠ فضة إلى	٢٠	٠٠
خشب الوقود : حمل الحمار	٠٠	١١
الفحم : الأقة من ٢٠ فضة إلى	٣٠	٠٠
الصابون : الرطل	٣٠	١
الشمع المصنوع من الشحم : الأقة	٢٠	٨
الشمع الجيد : «	٠٠	٢٥

وفى القاهرة أبنية عديدة تسمى الواحدة منها «وكالة» (١) تخصص لإيواء التجار وخزن بضائعهم . والوكالة بناء يحيط بساحة مربعة أو مستطيلة ، وتتكون طبقتها السفلى من مخازن مقبّبة للبضائع تواجه الساحة ، وتستعمل أحياناً حوانيت . ويعلو هذه المخازن مساكن يدخل إليها من رواق يمتد على طول جوانب الساحة الأربعة . وقد يعلو هذه المخازن بدلاً من المساكن مخازن أخرى . وتستعمل الغرف المعدة للسكنى فى أكثر الوكالات مخازن ولا يكون للوكالة غير باب عام واحد يقفل ليلاً ويحرسه بواب ، وفى القاهرة من هذا النوع حوالى مائتى وكالة . ويقع ثلاثة أرباعها فى نطاق المدينة الأصلية



(شكل ٥٥)
دكاكين فى إحدى شوارع القاهرة
وموضوع هذا الشكل دكان العطار ويبيع العقاقير والعطور والشمع الخ . ويرى على الدرفة جلة (يا فتاح) أنظر الفصل الحادى عشر

ذكرت قبلاً فى مقدمة هذا الكتاب أن شوارع القاهرة الكبرى يقوم على جانبيها صفان من الدكاكين لا تتصل بالبناء الأعلى (شكل رقم ٥٥) ويلاحظ ذلك فى أكثر الشوارع

(١) ويقال « الوكالة » ، وينطقها الفرنج occaleh ، occal ، بدلا من دار الوكالة وتعنى دار وكلاء التجار

الفرعية أيضاً . وتخصص الدكاكين عادة فى الشارع الواحد بعضه أو كله لتجارة واحدة[1] فيسمى السوق باسم هذه التجارة أو باسم المسجد المقام هناك . ويطلقون على أقسام الشارع الرئيسى فى هذه المدينة : « سوق النحاسين » أو « النحاسين » فقط لأنهم يسقطون عادة لفظة (سوق) و « الجوهرية » و « الخردجية » و « الغورية » وهذا القسم الأخير باسم المسجد المقام فيه ؛ وهذه هى بعض أسواق المدينة المهمة . ويطلقون على السوق التركى الرئيسى : « خان الخليلى » . ويغطون بعض الأسواق بحصر أو ألواح تحملها عوارض تمتد فى الشارع أعلى الدكاكين قليلاً أو فوق المنازل[2]

يتكون الدكان من كوة مربعة الشكل، أوحجرة صغيرة (شكل ٥٦) ارتفاعها ست أقدام أو سبع تقريباً، وعرضها بين ثلاث أقدام وأربع . وقد يتألف الدكان من حجرتين تتقدم الواحدة الأخرى ، وتستعمل الأخيرة مخزناً[3] ويقام أمام الدكان



(شكل ٥٦)
دكان تاجر تركى فى سوق « خان الخليلى »

مصطبة[1] بالحجر أو الآجر يستوى سطحها بأرضية الدكان . وترتفع المصطبة عادة حوالى قدمين ونصف أو ثلاث أقدام ، ويكون عرضها كارتفاعها . وتجهز واجهة الدكان بمصاريع ثلاثة سهلة الطى يعلو بعضها بعضاً ، فينثنى أعلاها إلى فوق ويطوى الآخران إلى أسفل فوق المصطبة ، فتكون مقعداً مستوياً يفرش بالحصر أو بالبسط وبالوسائد أحياناً . وتستبدل بعض الدكاكين بالمصاريع السابق ذكرها أبواب منثنية . ويجلس التاجر غالباً على المصطبة ما لم يضطر إلى الانسحاب قليلاً داخل الدكان ليخلى المكان لمن يصعد إليه من حرفائه الذين يخلعون أحذيتهم قبل أن يطأوا الحصيرة أو البساط بأقدامهم . ويقدم التاجر الشبك إلى حرفائه الدائمين أو من يشترى بضاعة كثيرة إلا إذا كان هؤلاء يحملون شبكهم . ثم يرسل إلى أقرب مقهى فى طلب القهوة التى تقدم فى فناجين صغيرة من الخزف الصينى داخل ظروف من النحاس الأحمر . ولا يستطيع أكثر من شخصين أن يجلسوا براحة على مصطبة الدكان ما لم تكن هذه أوسع من المعتاد . غير أن بعض المصاطب تمتد إلى ثلاث أقدام أو أربع ، فيكون عرض الدكان حينئذ خمس أقدام أو ستا ، فيفسح المجال لأربعة أشخاص أو أكثر يجلسون الجلسة الشرقية . ويقيم التاجر صلاته على مصطبة على مرأى من المارة . وقد يترك التاجر دكانه وقتاً فيطلب من جاره أن يخفره له أو يعلق شبكة على بابه . ويندر أن يفكر التاجر فى ضرورة إغلاق دكانه قبل الإنصراف إلى منزله ليلاً أو الذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة . أما الغرف التى تعلو الدكاكين فقد وصفنها فى مقدمة الكتاب

(يتبع) **عدلى طاهر نور**

(١) وقد ظل الأمر كذلك طويلا فى البلدان الشرقية الأخرى . أنظر أرميا ٣٧ / ٢١ : « فأمر الملك صدقيا أن يضعوا إرميا فى دار السجن وأن يعطى رغيف خبز كل يوم من سوق الخبازين حتى ينفد كل الخبز من المدينة »

(٢) وقد علمت عند ما تركت مصر نهائياً أن أغلب هذه الأغطية يوشك أن يزال .

(٣) يحتفظ التاجر ببضائعه الزائدة فى هذا المخزن أو فى مسكنه أو فى وكالته

(١) أزالت الحكومة المصاطب من أغلب الشوارع

دفنتها بيدى !... (*)

للشاعر التركى عبد الحق حامد بك

أيتها العيون التى أمست تقوباً ! أيتها العظام الداثرة النخرة ، أنظرى ... أنظرى إلى جلال هذا التابوت الجميل المزهر ... أنظرى ثم ارقدى بسكون حتى البعث ... تحت لحافٍ من الترب فى ظلمة القبر ، وعُدِّى هـذا اليوم قيامةً صغرى !

***

الناس والدواب والطيور والأشجار والأحجار ... كلها وشيكة البكاء من فرط الألم ، والسحب القاتمة فى حزنها العميق ، تبكى تارة ، وأخرى تُحْتَر النظر الواله إلىَّ فى سكون موحش . إنها جميعاً تشاطرنى لواعج الحزن بصمتٍ ناطقٍ مشوب بالذهول ... !

***

يا ناشداً العِبْرة ، كفكف العَبْرة ، وانظر فى هذه الحفرة ، تجد ثَمَّ جمال الوجود منظوماً فى قصيدٍ من الحسن ، تجدْه ممثلاً فى صاحبة التابوت ... لقد كانت أجمل من السماء الحالية بأملاكها . كانت أحلى من رحيق الأزاهر ورضابها ، كانت أجمل من الطفولة فى براءتها ونضارتها ، ومن اللائكة فى علائها وجلالها . كانت أجمل من الحور الكاسية بنور الإله فى جنات النعيم .

***

يا لشعرها ! كان أجمل من الشمس فى شروقها ، وهى ترسل شعاعها اللألاء من الورود والرياحين .

يا لعيونها ! كانت مرآة مجلوة للخيال الحالم .

يا لنظراتها الوادعة ! كانت ينبوعاً للرحمة يتدفق منه ماء سائغ سلسبيل ...

ولكنها الآن يابسة كأمواجٍ من جَمَد !

وبستان دلالها ؟ لقد كان يموج بِحَلال من السحر والفتنة ، ولكنه ذوى وتغشاه سكون رهيب ساحر !...

***

كان وجهها المزدان بهالة شعرها أجمل من البدر يتلمس السفور من فُرَج السحاب ...

والأحزان التى تراءت على وجهها قبل أن تزهف نفسها إلى الموت ، لكالشمس ساعة رؤيتنا لها تحتضر ، فى غروبها وراء أثباج من الموج ...

***

كفى ... ... !

أرى القلم يئن من لذع الألم التأثر ، وأحس المداد يبكيها وهو متشح بثوب الحداد ...

مَهْلاً أيهـا القبر ، هلا صنتها بين أحضانك وأطبقت إطباق البحر المظلم على لؤلؤة بين أصدافه ؟

وأنت يا أحجار القبر ويا أتربته ، هل تَرَيْن الناس عليكِ بُكاة كما بكوْها ؟ ...

ترى لمن كانت آمالٌ مندثرة بين القبور ، وآلام جدت على صفحات الرموس ...

حدثنى بربك ياقبر ، هل بكوا عليك بكاءهم عليهـا حين الممات ؟...

ألا خبروني كيف انقلبَ البكاء الواله إلى سُكون وصمت ، ثم إلى قبر مهجور ، فأحجار بعثرها البلى وسط القبور ... كم مكثت شريداً أيها القبر ، يتراوح عليك صباح ومساء ، بين هديل للحمام ونعيب للبوم ؟ !

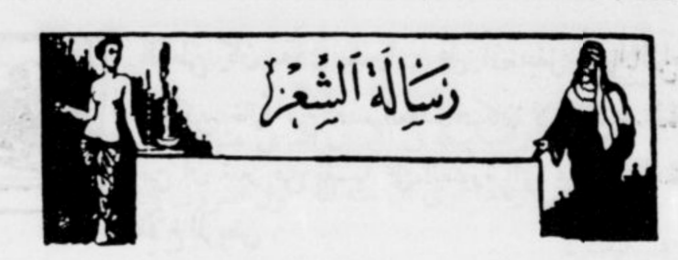
احفظ المهد بإحسان ورفق

ألا فاشهدوا يا سكان القبور ...

(حلوان)

ترجمة
محمد أمين نور الدين
المصلى

(*) مقتطفات من حديقة الشاعر التركى « عبد الحق حامد بك » عن ديوانه « أولو » : أى الميت الذى شطره بالتركية أيضاً المرحوم « نور الدين بك مصطفى » والد المترجم .



يا ريح الشتاء!

[إلى الصديق الدكتور البارك أهدى هذه العاصفة]

للأستاذ محمود الخفيف

إعصفي يا ريح الشتاء اعصفي — ملء سمعي وناظري
إصفري يا ريح اصفري واعنفي — مثلي ما بخاطري
صرصري، ثم صرصري وصفي — بين جنبي ثورة الثائر!

***

إعصفي يا رياح لا تسكني — أزعجي كل جانب
إغضبي يا ريح اغضبي إنني — عاشق كل غاضب
أمعني... هيه... أمعني، أمعني — علميني من لحنك الصاخب

***

عفري، عفري هنا، عفري — وعلى البعد عفري
غبري الجو غبري غبري — راق لي أن تغبري
كل صفو ذكرته عكري — كل ضعف أودي به أقبري

***

يا رياح الشتاء لا تهذبي — إيه يا ريح دمدمي
عجلي بالصفير لا تبطئي — يا له من معلم!
الأهازيج عنتها فادرإي — سأما بات طوله مسئمي

***

أقبلي يا رياح ذارية — أيها ميرت عاصفة
أنس روحي إن لحت آتية — أن أرى الأرض راجفة
ليت روحا لي منك عاتية — ليت صوتا كالرعدة القاصفة

***

زلزلي كل ساكن ناعس — واحطمي كل جامد
واكنسي كل يابس دارس — عافر العود فاسد
وامسلكي بعد مسلك الفارس — لا يبالي أي امرئ حاصد

***

دوخي الدوح دوخي وابعثي — بالأعاصير عاتيه
يتراقصن خيفة فاعبثي — بعماليق راسيه
حدثيني فيما أرى حدثي — عن معان في مهجتي ثاويه

***

كل لاه أو مبصر ذكري — كم له فيك تذكره
سيطري لا تكادري سيطري — لك روح مسيطره
ألهمتني في عصفها أسطري — غير معنى أمسكت أن أذكره

الخفيف

تحية «الرسالة»

للأديب عمر حافظ شريف

أشاهد من نور السنا ما أشاهد — فأسأل خلي ما عسى أنت واجد
أذاك شعاع للرسالة أم ترى — بدا للورى صرح من النور خالد
تمر بها الأيام يسمو مكانها — وتسمى إلى غاياتها وتجاهد
كحلم ابن يعقوب لها النصر مرشد — تطالعها الأعوام عشر وواحد
كواكب سعد حالفتها وأقبلت — تناصرها والكل للنور ساجد
أضاءت محاريب البيان بسحرها — فحازت مكانا تبتغيه الفراقد
هي السحر والنبراس تبدي لنا الهدى — بآياتها للقلب والعقل قائد
فسيري يواليك الكمال إلى العلا — لك الشعر وشي والمعاني قلائد

عمر حافظ شريف



التوأمان

قيض لى أن أزور توأمين ذكرين فى العشرين من العمر متماثلين من جهة الصورة والأخلاق والوجدان والذكاء .

ومن طريف ما يذكر أن الأم تعرف أول من رأى منهما النور ، وقد أخبرتنى أن ولادتهما كانت يسيرة وأن الفرق بين عمريهما خمس دقائق .

مات أبوهما منذ بضع سنوات وقامت بأودهما أختهما التى تكبرهما بنحو خمس سنوات . وتحدب أمهما عليهما وتعاملهما على قدم المساواة . وقد علمت أنهما نشآ فى بيئة واحدة وعاشا فى ظل ظروف واحدة . وما زالا يتعلمان حرفة واحدة هى البرادة . والعجيب أنهما يخطئان فى نفس المسائل التى يطلب إليهما حلها .

وقد اتفق أن رسب أحدهما فى الامتحان لمرضه بينما نجح الآخر ، ولعدم معرفة تمييز أحدهما من الآخر فى المدرسة أعيد امتحان الناجح منهما على اعتبار أنه الراسب فنجح للمرة الثانية فى نفس السنة .

قالت لى أمهما : إنهما عند ما كانا رضيعين كانا يستيقظان فى نفس الوقت تقريباً أثناء الليل فترضعهما معاً .

ومما ذكرته لى أختهما : أن أحدهما حضر على عجل إلى المنزل فلم يجد أخاه فترك المنزل حالاً بحثاً عن أخيه ، وفى هذه الأثناء حضر أخوه باحثاً عنه فلم يجده فترك المنزل على الفور ، وتكرر هذا الأمر مرات عديدة إذ لم يملك أحدهما الصبر لينتظر أخاه ريثما يحضر .

وعلى الرغم من أن هذين التوأمين يحب أحدهما الآخر حباً جما ، فقد انتابت أحدهما نوبة هستيرية دلت على ما يخالج عقله الباطن من الغيرة الشديدة من أخيه . وفى هذه النوبة فقد قوة معرفته لأفراد العائلة ، ولكن أول عمل قام به أثناء هذه النوبة ضربه أخاه ضرباً مبرحاً وهو لا يدرى أنه أخوه ، ولكن عقله الباطن كان بذلك بصيراً ، على أن عقل أخيه الباطن لم يكن خالياً من هذه العقدة فكان لا بد لهذه العقدة من أن تعبر عن نفسها على الصورة التى عبرت بها عقدة الأخ المريض .

وقد أمكن بالتحليل النفسى شفاء المريض وإنقاذ الأخ من الاستسلام لنوبة هستيرية مماثلة .

محمد حسنى ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

قصيدة حافظ النونية

. . . قال صديقنا الدكتور زكي مبارك فى العدد السابق من الرسالة : « ونحن فى مقام التأريخ وهو مقام يوجب الصدق . فلينظر المتسابقون فى ص ٨٧ بالجزء الثانى من ديوان حافظ ، ليروا أن قصيدته التى نظمها عن مظاهرة السيدات فى سنة ١٩١٩ لم تنشر إلا فى سنة ١٩٢٩ ، ومعنى ذلك أنها كتمت نحو عشر سنوات » ثم قال مخاطباً الطلبة : « أتريدون الحق ؟ لقد نسبت تلك القصيدة فى ذلك الوقت إلى جماعة من الشعراء منهم الأستاذ محمد الهراوى ، ولم ير حافظ أن يصحح النسب لئلا يقال أو يقال ! »

والحقيقة التى أعرفها عن هذه القصيدة بالذات هى ما يأتى :

كنت فى مجلس من مجالس السياسة والأدب ، ولم تكن المجالس على أنواعها فى ذلك العام السعيد سوى مجالس للثورة والحياة ، وإذا بالمرحوم سليم سركيس مقبل علينا بوجه مشرق ولهفة بادية المعانى وقال : أخبار اليوم هى أخبار حافظ ، ومد يده إلى جيبه فأخرج منها ورقات وأخذ يتلو علينا القصيدة النونية التى نحن فى صددها ، ومطلعها :

خرج النوانى يحتججن ورحت أرقب جمعهن

نسخت القصيدة ، وهى بخط المرحوم حافظ ابراهيم وبعثت بها إلى الصحف السورية التى كنت أراسلها آنذاك ، وقد نشرها المرحوم سركيس بمجلته المعروفة باسمه

فلا يعقل والحالة كما ذكرت أن تنسب تلك القصيدة إلى غير ناظمها ، وقد سمعته ينشدها فى أحد المجالس ، ولا أن يقال إنها كتمت عشر سنوات .

حبيب الزحلاوى

إجابة

الكيك والكيكة فى اللسان العربىّ مثل البيض والبيضة وزناً ومعنًى ، ولهذا أرى أن منه المأكول المعروف الذى يقال له « كيك »

الملاء — بالضمّ — الزكام (وهيد)

أصدقاء ... !

قيل إننى كتبت كلمة فى مجلة الثقافة أحدُّ بها من استطراد الباحثين فى « لنويّة » شغلت أذهان رهط من فضلاء الباحثين عدة أسابيع ، متعلّياً بهم أن يجرّهم التحمس لآرائهم فى هذه الماجسة إلى المنابذة . وقيل إن الكلمة كانت غذاء متخماً لشهوة الخلاف ، حين اتهمها الاستغلال الصحفى « لقاف الثقافة » الأستاذ محمد سعيد العريان ، تخدش أمانة القلم فيها ... وعرضها بالطريقة التى كان من آثارها أن يُرْمد شعور الصداقة بينى وبين صديق الكاتب البليغ الأستاذ « محمود شاكر » حتى خدَّرته شائعة الألم ؛ فقال فى كلمته بالعدد الماضى من الرسالة « عقل المرء مخبوء تحت لسانه » وأورد بيتاً من الشعر خانه ترويض غضبه به ... وما لى بهذا شأن فهو انتقال من موضوع واضح إلى غبار مجرد لا أجيد التطارح به ولا سيما مع من له فى رأيى ونفسى ما لمحمود شاكر

وأنا أقول إنى عند رأيى فى فكرة الموضوع ، على غير قصد شائك لحضرات الأدباء الذين ورد ذكرهم . أما صداقتى بالأستاذ شاكر فهى أعتى من أن يوهنها نمل الصحافة ، أو يسكر بصدعها « قاف الثقافة » ... !

محمود اسماعيل

الى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

تعجبنى أفكارك يا سيدى ، ويسرنى منهاجك المستقيم فى البحث والنقاش ؛ ولكنى لم أستسغ أن تتهمنى فى كلمتك الأخيرة على غير أساس ، بتهمة وجهتها إليك على أساس ...

كنت قد قلتُ إنك تشايع بعض المستشرقين القائلين بنزول القرآن بمعانيه دون ألفاظه ، حين تزعم أن الرسول عليه الصلوات كان ممن يبدلون لفظاً بلفظ آخر يغايره فى معناه ، لمجرد التشابه بين حروف اللفظين والتباسهما على القارئ بطريق ما . وقد جعلت هذا دون غيره أساساً لتهمتى ؛ ولم أضف إليه وقتذاك ما زعمته أيضاً فى كلمتك من أن هذا التبديل كان من حق كل مسلم عربى دون رجوع فيه إلى الرسول حين « يكون بعيداً عنه فيتعذر رجوعه إليه ... ثقة بعلكة العربى فى ذلك الوقت » ! وهذا نص تعبير لك لم أرد أن ألح عليك بالإشارة إليه ثقة منى بأن صدوره لم يكن إلا نتيجة سرعة تحريرك ، وسبْق قلمك لمجرى تفكيرك . ولكنك تأبى يا سيدى وقد تبرأت من تهمة الأخذ برأى أولئك المستشرقين — فى غير حجاج مقنع — إلا أن تعود فتنسبها إلىّ ، لأنى كما تزعم « حملت كل ما لا يدخل من القراءات فى باب اختلاف اللهجات على التصحيف ، ولم أفرق فى ذلك بين قراءات شاذة ومتواترة » . وأنت تعرف أنى لم أزد فى كلامى عن هذا التصحيف على ما أورده السيوطى ؛ بل لقد أتيت بما يشكك فى قوله حين ذكرت أن صاحب الكشاف مع أكثر المفسرين يعتبرون هذا النوع من الكلام قراءة صحيحة لا تصحيفاً

فما كان أحراك يا سيدى وقد نفيت التهمة عن نفسك ألا تعود فتلصقها بمن لوّح إليك بها فى تأدب مع إقناع ، لأن من دأب الفضلاء وأنت أحدهم ، أن يميطوا الأذى عن طريقهم — إذا شاءوا — لا ليطرحوه مرة أخرى فى طريق الناس .

ولك أزكى تحياتى واحترامى

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

تاريخ وفاة ياقوت

أورد الأستاذ البحّاث محمود عزت عرفة فى العدد ٤٩٤ من مجلة « الرسالة » شبهة فى تاريخ وفاة ياقوت الرومى الحموى . والذى يبدو أن وفاته كانت سنة ٦٢٦ كما أجمع عليه المترجمون له ؛ وأما الجملة المقحمة فى النسخ المطبوعة من معجمه أثناء كلامه عن الحسن بن الباقلانى ، وهى (لقيته ببغداد سنة ٦٣٧ ...) فالراجح أنها كانت مزيدة فى الهامش من صاحب النسخة الأصلية المخطوطة ، أو من أحد المطالعين فيها ، ثم أدرجها النساخ فى الكتاب ، كما يقع كذلك كثيراً ولا سيما فى كتب التاريخ ، فترى نظائره فى تاريخ بغداد للخطيب ووفيات الأعيان

وفوات الوفيات وحسن المحاضرة وغيرها ، فإن فيها وفيات أناس ماتوا بعد المؤلف . وقد أصاب الأستاذ عرفة في الإشارة إلى ما يؤيد أن يكون ذلك مقحماً في المعجم بعد وفاة ياقوت

فنرجو الدكتور أحمد فريد بك رفاعي ناشر المعجم أن يكون محققاً فيما ينشره من آثار السلف . **محمد غسان**

غلطة تاريخية

قال الدكتور زكي مبارك في مقالته عن الشوقيات أثناء الكلام عن قصيدة « النيل » ما نصه :

... ولم يفته أن ينص على عدالة عمرو بن العاص الذي ضرب ابنه بالسوط حين سمع أنه أهان أحد الأقباط وقال في ذلك كلمته التاريخية : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا

فعزا هذا الضرب إلى عمرو بن العاص مع أن الضارب هو مصري ضرب ابن عمرو بأمر الخليفة عمر ، وأسند الكلمة التاريخية إليه مع أن المعروف أن القائل هو عمر الفاروق . أنظر الصفحة الثانية من الجزء الثاني من كتاب « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » **وهبي الحاج اسماعيل حقي**

مجلة الأنصار

استقبلت زميلتنا « الأنصار » عامها الهجري الثالث فصدرت في أول المحرم حافلة بالأبحاث القيمة والموضوعات الجديدة ، متقدمة إلى القراء بأسلوبها الخاص في خدمة الفكرة العربية والثقافة الإسلامية ، معتمدة في تناول الثقافة العصرية على أساس البحث العلمي . والعدد الجديد الذي قرأناه من الأنصار يدل على تقدمها خطوة واسعة في سبيل فكرتها فنتمنى لها النجاح والتوفيق .

المفضليات

تناولت كتاب المفضليات للرضى الذي خرج أخيراً للناس بتحقيق وشرح الأستاذين الشيخ أحمد محمد شاكر والسيد عبد السلام محمد هارون ، وكنت أظن أني سأجده لا يمتاز من طبعته الأولى إلا ببعض شروح وتحقيقات ، ولكن ما كدت أقرأ فاتحته حتى رأيتني أمام عمل جليل يستأهل النظر فيه ، ويستوجب الإقبال عليه ، ذلك أني وجدت الشارحين قد صحت نيتهما على نشر نفائس الشعر العربي في العصور الأولى وما بعدها ، وذلك لأن هذا الشعر « ديوان العرب وترجمان أفكارهم وعنوان مفاخرهم ورافع ألوية عظمتهم ، ثم هو المرآة الصادقة لحياتهم » ورأيا أن يبدآ بنشر كتب الأئمة المتقدمين التي اختاروا فيها عيون الشعر ومحاسنه

فهذه المفضليات التي ظهرت اليوم إن هي إلا حلقة من تلك السلسلة الذهبية التي سينشرونها من نفيس الشعر ؛ وهذا ولا ريب عمل جليل طالما تمنيناه وعدنا إليه . ولو أنك قرأت هذا الكتاب لوجدت فيه بحثاً قيما عن أصل المفضليات وتاريخها لا تجد مثله في كتاب آخر

ومما انفرد به شرح هذا الكتاب أنه قد اشتمل على أمرين لم نجدهما في شروح كتب الأدب قبل اليوم أولهما (التخريج) وثانيهما (جو القصيدة) وهذان الأمران قد جاءا من طريقة المحدثين إذ التخريج عندهم هو بيان الكتب التي تخرج الحديث الديني يبين ما فيه من معنى وما كان له من سبب

ولا نطل الكلام عن هذا الشرح وما فيه من الفوائد الجزيلة في اللغة والصرف والنحو والبلاغة وما إلى ذلك ، وبحسبنا أن نقول إنه يمثل هذا الشرح الذي أخذ نصيبه من التمحيص والتحقيق والاستيعاب يجب أن ينشر تراثنا القديم ، حتى يؤدي في هذا العصر ما كان يؤديه شيوخ الرواية من قبل بعد أن أصبحنا ولا سبيل لأخذ اللغة وآدابها إلا من الكتب

وإنا نرجو أن يوفق الله الشارحين في عملهما حتى يخرجاه في أجمل صورة وأكمل وجه .

(المنصورة) **محمود أبو ريه**

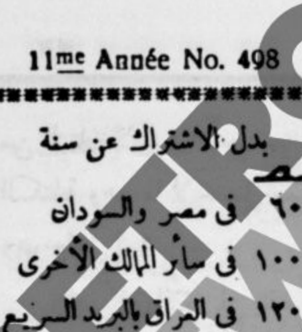
حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٧ — ١٠ — ١٩٤٢ في القضية رقم ٣٦٦٣ سنة ١٩٤٢ جنح ضد غنيم عبد الرؤوف عسر ش ٢٤ بقال شارع الصحة دمنهور بحبسه ثلاثة شهور شغل والمصادرة والغلق والصلق والنشر على مصاريفه لبيعه سكرا بسعر أزيد من التسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 498

Lundi - 18 - 1 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٨ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٥ ـ دفاع عن البلاغة

آلة البلاغة

آفة الفن الكتابى أن يتعاطاه من لم يتهيأ له بطبعه ولم يستعن عليه بأداته . وأكثر المزاولين اليوم لصناعة القلم متطفلون عليها ، أغراهم بها رخص المداد وسهولة النشر وإغضاء النقد ، فأقبلوا يتملقون بها الشهرة ، أو يُزَجّون بها الفراغ ، أو يطلبون من ورائها العيش ، وكل جَهازهم لها ثقافة ضحلة وقريحة مَحْلة ومحاكاة رقيعة ؛ ومن هنا شاع المبتذل وندر الحر ، ونفق الرخيص وكسد الغالى ، وكثر الكتّاب وقلت الكتابة

وادعاء الكتابة داء لا ينتشر إلا حين تضعف السلائق وتفسد الأذواق وتطغى العامية ، فيصبح التفيهق علماً ، والشعوذة فنًّا ، والثرثرة بلاغة ، واللحن تجديداً ، والركاكة رقة . وفى مثل هذه الحال قال صاحب المثل السائر : « ومن أعجب الأشياء أنى لا أرى إلا طامعاً فى هذا الفن مدعياً له على خلوه من تحصيل آلاته وأسبابه.. ولا أرى أحداً يطمع فى فن من الفنون غيره ولا يدعيه . هذا وهو بحر لا ساحل له ، يحتاج صاحبه إلى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهى إليه ويحتوى عليه . فسبحان الله ! هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها ؟ فإذا كان العلم الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله فى سنة أو سنتين

من الزمان لا يدعيه أحد من هؤلاء ، فكيف يجئ إلى فن الكتابة وهو ما لا تحصل معرفته إلا فى سنين كثيرة فيدعيه وهو جاهل ؟ »

وعجبُ ابن الأثير لن ينقضى حتى يعتدل الزمان بأهل العربية فتتضح الحدود ، وتستقيم الموازين ، وتصح الأقيسة ، فلا يتدخل أعجمى فى نسب آل البيت ، ولا يجرى حمارٌ فى حلبة الكميت !

* * *

أما بعد فإن آلة البلاغة الطبع الموهوب والعلم المكتسب . والمراد بالطبع ملكات النفس الأربع التى لا بد من وجودها فى البليغ ، ولا حيلة فى إيجادها لغير الخالق . وهى الذهن الثاقب ، والخيال الخصب ، والعاطفة القوية ، والأذن الموسيقية . فإن كنت على يقين جازم من وجود هذه الملكات فى نفسك فامض على ضوئها فى طلب هذا الفن فإنك لا محالة واصل .

وسألقى عليك بعض الأسئلة لتعلم من أجوبتك عنها إن كنت موهوباً أو غير موهوب :

هل يتأثر خيالك فى يسر ويتحرك فؤادك فى سهولة ، ثم يكون بين الخيال والقلب تجاوب سريع ؟ هل تجد لأذنك الحساسية الرهيفة لانسجام الألفاظ وازدواج الفِقر وإيقاع التراكيب ؟ هل يملك مشاعرك جمال البلاغة فى روائع الشعر والنثر ؟ هل تحس فى نفسك السمو إذا تحسسها الاطلاع على النماذج الرفيعة من البلاغة فتتحرك للمنافسة والمباراة ؟ هل تشعر حين يتجه فكرك إلى موضوعٍ ما أن فكرته الجوهرية الأولية لا تلبث فى ذهنك أن تحيا وتنمو ، ثم تتشكل وتتلون ، ثم تتوالد وتنتشر ؟ هل تشعر بالحاجة الملحة والتوقان الشديد إلى الإنتاج الناشئ عن فيض القريحة وحرارة الفكر ؟ هل يسهل عليك إدراك العلاقة بين الأفكار المجردة والموضوعات المحسّة فتخرجها فى الصور المقبولة والألوان المناسبة ؟ هل تتمثل المعانى فى ذهنك من تلقاء نفسها على أفضل الوجوه الصالحة للتعبير والتصوير ؟ هل تحس حين تفكر فى موضوع شعرى أن العواطف تنثال على نفسك ثم تتزاحم وتتدافع طالبة الانبثاق والتدفق ؟

إن كانت أجوبتك عن هذه الأسئلة بنعم ، فتعال ننظر معاً فى الآلة الأخرى للبلاغة فإنه لا مندوحة لك عنها إذا شئت أن تستغل ما وهبك الله من قريحة خصبة وملكة مواتية

آلة البلاغة الأخرى هى العلم بمعناه الأعم ، أو المعرفة بمدلولها الأشمل . فالكاتب ، إذا كان ناقص العلم أو قليل الاطلاع ، يدركه الجفاف والنضوب فلا يكون فى آخر أمره إلا سارد ألفاظ ومقطّع جمل . ذلك أن معارف الكاتب هى منابع إنتاجه . وألوان المعرفة له كألوان التصوير للمصور يجب أن تكون كلها على اللوحة قبل أن يقبض على الريشة . والمعارف لا تستفاد إلا بمواصلة الدرس وإدمان القراءة .

وأقل ما يجب على طالب البلاغة درسه ، هو اللغة ، والطبيعة ، والنفس

أما اللغة فلأنها أداة القول والكتابة . وللثقافة العامة منها قدر مشترك يجب تحصيله على كل مثقف ؛ ولكن الكاتب أو الشاعر محتوم عليه أن يدرسها دراسة خاصة : يتضلع من مادتها ، ويتعمق فى فقهها ، ويتبسط فى أدبها ، ويحيط بعلومها ، ويوغل ما استطاع فى استبطان أسرارها ، واستقراء أطوارها ، حتى تكون للسانه وقلمه أطوع من الشمع ليد المثّال الماهر . ومن زعم أن النحو والعروض وسائر علوم اللسان لا ينبغى حذقها لغير الأزهريين فهو هازل لا يريد أن يكون شيئاً مذكوراً فى هذا الفن

ولكل لغة من اللغات المتمدنة عبقرية تستكنّ فى طرق الأداء وتنوع الصور وتلاؤم الألفاظ ؛ وهذه العبقرية لا تدرَك إلا بالذوق ؛ والذوق لا يُعَلَّم ، وإنما يكتسب بمخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب ، ومطالعة الروائع العالمية لعباقرة الفن . واطلاع الكاتب على النماذج الرفيعة من البيان الخالد يرهف ذوقه ، ويوسع أفقه ، ويريه كيف تؤدى المعانى الدقيقة ، وتحيي الكلمات الميتة

ولقد علمتَ أن الجاحظ والبديع والخوارزمى فى الكتّاب ، وأبا نواس وأبا تمام وأبا العلاء فى الشعراء ، كانوا مضرب المثل فى كثرة القراءة وسعة الحفظ . وكان فلوبير لا يقع فى يده كتاب إلا استوعبه . ولم يعالج روسو الكتابة إلا بعد أن حفظ مونتيني وبلوتارك . وبوسويه كان يحمل على ظهر قلبه التوراة وأحاديث الرسل ومواعظ الأحبار . وقد اعترف شاتوبريان بأنه كان يدمن قراءة برنار دى سان بيير . فإذا كان هؤلاء العباقرة قد رأوا أن الاستمرار على دراسة الروائع الأدبية ضرورى لضمان الخلود ، فإنه ولا ريب يكون لذوى القرائح الناشئة ضروريا لاستكمال الوجود

(الكلام بقية) أحمد حسن الزيات

الثالوث الجامعى !

للدكتور زكى مبارك

هذا العنوان من ابتداع الأديب حسين فهمى صادق ، وقد نَصّ فى خطابه على أنه يَعنى به الأزهر وجامعتى فؤاد وفاروق ، وهو يسأل عن جوهر الحياة العلمية والأدبية فى هذه الجامعات الثلاث ، ويطلب أن « تُظهِر شيئاً يعلن عن نفسه على رءوس الأشهاد »

ومن قبل هذا الخطاب قرأت فى مجلة الصباح مقالاً يسألنى فيه الأستاذ عبد الحليم عبد البر عما صنع الأزهر وما صنعت دار العلوم فى تخريج الأدباء ، وكان من رأيه أن دار العلوم لم تخرج فى ستين سنة ستين أديباً وأن الأزهر لم يخرج فى ألف سنة ألف أديب (؟ !)

وأقول إن الفكرة الجامعية لم تُشرح فى مصر على الوجه الصحيح ، ففى مصر أقوامٌ يتوهمون أن محصول الجامعة هو محصول مدرسيها فى النواحى العلمية والأدبية ، وهذا خطأ ، لأن أساتذة الجامعات لهم صفةٌ غير صفة التأليف ، هم يوجِّهون ولا يُبدعون ، إلا أن يكون فيهم رجالٌ مفطورون على الإبداع

الأستاذ فى الجامعة لا يطالَب بالمساهمة العلنية فى نشر الثقافة العلمية والأدبية ، وإنما يُسأل عن الصدق فى توجيه الطلاب إلى فهم دقائق العلم الذى تخصص فيه ، ومن حقه أن يتَّسم بالخمول على أنه تشريف ، ومن واجب الدولة أن تثيبه عليه ، حين يصح عندها أنه خمول لا خمود

الأستاذ فى الجامعة مسئول عن رعاية الأستاذية ، والأستاذية نشأت فى جوّ الرهبانية ، فما يجوز له ما يجوز لسائر الرجال من مسايرة المجتمع فى جميع الأحوال ، إلا أن يكون فيلسوفاً يأخذ مادته الفلسفية من درس الأحلام والأهواء والأضاليل ، وهذا نموذج لا يوجد فى كل يوم ، وإنما تُبدعه الأقدار من حين إلى أحايين

لأساتذة الجامعة واجبات نرجو أن يعرفها تلاميذهم على النحو الذى نريد ، وتلك الواجبات ترجع فى جملتها إلى خصيصة أساسية ، هى الفناء المطلق فى الدرس والبحث والتنقيب ، ولو انتهى الأمر إلى أن يعيشوا مجهولين

فإن لم يكن بدٌّ من أن تتعرف الجامعة إلى الجمهور فذلك واجب الخِرِّيجين ، لا واجب المدرسين . وإليكم الشواهد الآتية :

١ — نشاط كلية الحقوق لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من القضاة والمحامين ، وهؤلاء هم البرهان على قوتها الذاتية

٢ — نشاط كلية الآداب لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من المؤلفين والمترجمين والمدرسين والمفكرين ، وهؤلاء هم البرهان على قوتها الذاتية

٣ — نشاط كلية الهندسة لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من كبار المهندسين ، وإليهم يرجع الفضل فى شؤون تفوق الإحصاء

٤ — نشاط كلية الطب لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من أطباء لهم مركز ممتاز فى مصر والشرق

٥ — نشاط كلية الزراعة لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فى خريجيها النوابغ ، وقد أدوا خدمات جديرة بالثناء

٦ — نشاط الأزهر لا يمثله أساتذة الأزهر ، وإنما تمثله تلك الجيوش التى أخرجها الأزهر من وعّاظ وأساتذة وقضاة وباحثين

٧ — نشاط دار العلوم لا يمثله أساتذة دار العلوم ، وإنما يمثله المدرسون الذين أنجبتهم دار العلوم ، ولهم فى كل بلدة مصرية صوت

وعلى هذا يُقاس ، فالأساتذة يوجِّهون ولا يُبدعون ، وأنا أرى أن المعاهد المصرية أدّت واجبها خير الأداء ، فهى جديرة بالتبجيل .

* * *

هذا هو الرأى فى تقدير الذاتية الجامعية من ناحية الصلة الخارجية ، ولكنى مع ذلك أرى من الواجب أن أرجع إلى هذا الرأى بشىء من التعديل فأقول :

يبدو لى أن ابتعاد الأساتذة عن المشاركة فى الجانب العلنى من الحياة العلمية والأدبية يعرّضهم لخطرين ، فهو أولاً يهوّن أقدارهم فى أنفس الطلاب ، وهو ثانياً يضيع عليهم فوائد كثيرة ،

فوائد تخلقها مواجهة المجتمع فى موجاته النفسانية والروحانية

والذى يعرف شيئاً من أحوال الشبان يلاحظ أن استفادتهم مما يقرأون تفوق استفادتهم مما يسمعون ، فهم تلاميذ للكتاب والمؤلفين قبل أن يكونوا تلاميذ لأساتذة الكليات . وهذه الظاهرة لا تحتاج إلى توضيح

وإذن يجب على أساتذة الجامعة أن يخلقوا لأنفسهم جواً خارجياً يساعد على تجديد الهواء فى جو الكليات ، ويشعر الطلبة بأن لأساتذتهم قدرة على فهم ما فى المجتمع من آلام وآمال ، ويبدد الشبهة التى تزعم أن الأساتذة يعيشون فى زمانهم غرباء

والحق أن الأدب الذى يقف عند درس الكتب وتحقيق الأسانيد هو « أدب الجاجم » لا أدب الأرواح

والنصوص القديمة لا تفهم جيداً إلا إذا عولجت بالروح الجديد ، وقد كان أستاذنا برونو يوصينا بأن نتسمّع لما يدور من المحاورات فى قهوات باريس ، عسانا نستفيد شيئاً من المرونة التى يبدعها الحوار الخالى من شوائب التكلف والافتعال

والحق أيضاً أن الرهبانية التى حاصرت حياة الأستاذية لم يبق لها فى هذا العصر مكان ، فهى تزمتٌ موروث عن عصور الرياء ، وهى الثوب الذى يدارى الهزال عند بعض المهازيل

هل تعرفون السبب فى ضعف الفكرة التشريعية عند مدرسى القوانين فى هذا الجيل ؟

يرجع السبب إلى أن أكثر أولئك المدرسين لم تكتو أيديهم بنيران المعاملات ، فلم يعرفوا احتياج التشريع إلى التجديد الموصول

وسيأتى يومٌ نعرف فيه أن تدريس القوانين يجب أن يوكل إلى قدماء المحامين ، لأن صلتهم بما فى المجتمع من متاعب ومصاعب تبصّرهم بما يعتور الفكرة التشريعية من عقابيل

وما يقال فى أساتذة الحقوق يقال فى أساتذة الآداب

فأستاذ الأدب يجب أن يكون أديباً بالقول والفعل ، أديباً مبدعاً لا أديباً مدرساً ، أديباً من رجال الصناعتين : صناعة الشعر وصناعة الكتابة

بين الكلمة والكلمة صلات لا يدركها إلا من عانى المكاره التى يوجبها ضم كلمة إلى كلمة فى الحدود التى يوجبها روح البيان

الكلمة فى المعجم غير الكلمة فى الجملة ؛ هى فى المعجم سمكة محنّطة ، وهى فى الجملة سمكة حية ، وبين موت الكلمة وحياتها برزخٌ لا يَعْبُره إلا من يملك إنقاذها من الموت ، وهو الأديب الفنّان

ومن مقاتل الأستاذية فى الأدب لهذا المعهد أن بعض الأساتذة لا يلتفتون إلى الوشائج الأصيلة بين الأدب وسائر العلوم والفنون ، مع أن أسلافنا نصوا على هذه الوشائج منذ أجيال وأجيال

كل ما فى الوجود مواد أساسية لعقل الأديب ، وروح الأديب . هو مسئول عن فهم جميع الحقائق بقدر ما يستطيع ، وفى حدود ما يطيق

فهل ترون أستاذ الأدب يقل فى المسئولية عن الأديب ؟

آفة الأستاذية فى هذا العصر أنها صارت وظيفة ، وجوّ الوظائف عجيبٌ غريب . ألم تسمعوا أن رجالاً تركوا كراسيّهم فى الجامعة ليظفروا بوظائف ضخمة الرواتب ؟

الغرض من هذا الكلام هو توجيه أساتذة الأدب إلى فهم واجباتهم الحقيقية ، وأنا أحذّرهم عواقب ما اطمأنوا إليه من الرضا بزخرف الحياة الجامعية ، فزمام التوجيه الأدبى كاد يضيع من أيديهم ، إن لم يكن ضاع

كان فى مصر قتال بين الأفندية والمشايخ ، وكان المفهوم أن الأفندية رجال الدنيا وأن المشايخ رجال الدين

ثم دار الزمن دورته فأصبح كتاب المباحث الإسلامية رجالاً مطربشين ، أشهرهم فريد وجدى ومحمد هيكل وعباس العقاد

وإن طال سبات رجال الأدب من أهل « الثالوث الجامعى » فستكون لهم مصاير لا يعلمها غير علام الغيوب

أذهان الطلاب فى الجامعات الثلاث محتلة بأفكار وآراء لم تصدر عن تلك الجامعات ، فمن يمنّ على هؤلاء الطلاب بنعمة الاستقلال ؟

من يدرى ؟

لعل الخيرة فيما اختاره الله ! ولعل الله أراد أن تكون وظيفة الأدب وظيفة روحية لا رسمية ! ولعل الله أراد لطلبة الجامعات

خيراً مما نريد ، فأباحهم ما فى الحدائق الخصوصية والعمومية من أزهار وثمرات

• من يدرى ؟ من يدرى ؟

الهواء الطلق هو الأصل ، وهل تنفّس سقراط وأفلاطون فى كلية لها جدران وأبواب ؟

الحرية الروحية والعقلية هى أساس العبقرية ، ولا حياة لأدب لا يتمتع بحرية العقل والروح

لم تقبل جامعة باريس أن يكون جوستاف لوبون أستاذاً للفلسفة بالسوربون ، لأنه دكتور فى الطب لا فى الآداب ، فهل أنصفت جامعة باريس ؟

وهل كان أستاذنا فلان الذى أضحكنى مضغه للألفاظ اليونانية الميتة أعرف بدقائق الفلسفة من جوستاف لوبون ؟

كان أستاذنا ذاك مقبول الرأى فى أكثر ما يقول ، إلا حين يمضغ الألفاظ اليونانية ، وعند الدكتور مصطفى زيور نوادر لذلك الأستاذ الجليل !

كنا ندخل عليه فيهولنا أن نراه يترجم ويبرجم بأسلوب فظيع ، وهو يعرف أن اليونانية القديمة لن تبعث أبداً ، وهل بعثها اليونان حتى يبعثها الفرنسيس ؟

ألآن فهمت كيف احتلت برلين باريس ؟

كان الأساتذة الذين يراجعون رسالتى المقدمة إلى السوربون يكرهون أن يقع فيها بيت من الشعر ، لأن موضوعها هو النثر الفنى

وشكوت هذا التحكم إلى المسيو ديبويه فقال : إن جامعة باريس محتلة بالفكر الألمانى منذ انتصار الألمان فى حرب السبعين ، والألمان غاية فى التدقيق والاستقصاء

ثم ماذا ؟

ثم عرفت بعد لأى أن الألمان خدعوا الفرنسيس بزخرف الوسوسة البحثية ، ليصرفوهم عن التفكير فى إعداد وسائل الموت لمن يعادون

كانت فرنسا بعد انتصارها فى الحرب الماضية تتوهم أن غاية المجد أن يكون لها معهد مثل السوربون ، وكانت تصرّح بأن الشهادات التى تعطيها الجامعات الألمانية شهادات تجارية ، وأنها بذلك تتودد إلى الأغنياء من الطلبة الغرباء

وكان الأمر كذلك بالفعل ، وكانت النتيجة أن لا تقيم الحكومة المصرية وزناً للشهادات الألمانية ، لأنها شهادات مبذولة بلا تعب ولا عناء ، كالشهادات التى تعطيها أمة الطليان

ثم ظهر أن لألمانيا سريرة غير سريرة السوربون ، وهى النية المستورة لأكابر الفلاسفة من الألمان

وهنا أشهد أنى قرأت بالفرنسية نحو خمسين كتاباً تصور انحلال الألمان من الناحية المعنوية بسبب طغيان الشهوة الجنسية

فهل التفت الألمان إلى هذا الاتهام الخسيس ؟

مضوا يعملون في السراديب الخفية ليلقوا خصومهم بعد حين أو أحايين

أما بعد فالأدب عندى هو أن تسبق زمانك ، وأن تقتل خصومك . الأدب عندى أن تكون قوة تزلزل الزمان ، ولا تقنع بشهادة التاريخ

لأساتذة الجامعات شواغل من العلاوات والترقيات والدرجات، فدعهم فى غيهم يعمهون ، واجعل همك الأول والأخير أن ترفع راية القلم البليغ

زكى مبارك

حكم فى الجنحة ٩٠٤ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٣٠-١١-٩٤٢ بتغريم محمد عقيلى بقال بنهدال خمسة جنيهات وغلق المحل أسبوع لبيعه سكرا بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة العسكرية ن ١٣٦٠ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٢ - ١٢ - سنة ٩٤٢ بتغريم محمود محمد أبو بكر خمسون جنيها وغلق المحل أربعة أيام لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

أطوار الوحدة العربية

المفاوضات بين العرب والحلفاء

للأستاذ نسيب سعيد

قلت لك فى حديثى الماضى أن الحالة بلغت أشدها من التوتر والجفاء بين العرب والترك ، مما ينذر بشر مستطير ، بل بثورة عربية كبرى ، وغضبة مضرية جبارة ... وأقول لك اليوم إن البريطانيين ما كانوا غافلين عن كل ذلك ، وعما هنالك أيضاً من نضال داخلى ، ومشادة سرية بين « الحسين » و « الاتحاديين » ذاع خبرها واشتهر أمرها

وكان اللورد « كتشنر » معتمد بريطانيا العظمى فى مصر قبيل الحرب الماضية ، ووزير حربيتها في إبانها ، أول سياسى بريطانى عمل للتقرب بين العرب والحلفاء ، وخاصة بين « آل الحسين » والانجليز ، وسعى لإنشاء صلات ودية بينهم وبين حكومته ، أملا فى اجتذابهم واكتسابهم بعد ما اكتسب الألمان الترك

ففى أواخر شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩١٤ وصل إلى مكة تاجر مصرى من حى الجمالية اسمه على أفندى أصفر يحمل إلى الشريف عبد الله (أمير شرق الأردن اليوم) من المستر « ستورس » السكرتير الشرقى لدار الحماية كتابا خاصا عن الصداقة العربية — البريطانية ، فلم يطلع الأمير عبد الله والده « الحسين » على الكتاب بل أكرم الضيف المصرى وصرفه بسلام . غير أن الرسول عاد بعد أسبوعين يحمل كتابا آخر من المستر « ستورس » نفسه كله ود وصداقة وإخلاص ، فأطلع الأمير حينئذ والده على الكتابين ، وبحثا فى الأمر مليا

وفى شهر نوفبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٤ عاد السيد على المصرى إلى الحجاز يحمل كتابا ثالثا من المستر « ستورس » كان السبب فى ابتداء المفاوضات والمكاتبات بين العرب والحلفاء بصورة عامة ، وبين الحسين والانجليز بصورة خاصة

وفى شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٥ عقد « مؤتمر الطائف » بين الحسين وأنجاله ، وفيه قرروا إعلان الثورة العربية بالاتفاق مع البريطانيين على أساس استقلال العرب وتحريرهم ووحدتهم . ومما قرروه فى هذا المؤتمر أيضاً أن يعود الأمير فيصل (ملك العراق بعد ذلك رحمه الله) إلى الشام فيتصل برجال العرب فيها ، وكانوا يفكرون فى أن تبدأ الثورة هنا فى ديار الشام فيدرس التدابير ويضع الخطط لتكون عامة تشمل الحجاز والشام والعراق ، وأن يسافر الأمير على إلى المدينة ويقيم فيها تحت ستار قيادة المتطوعين ، فيتفق مع شيوخ القبائل وينظم أمرهم استعداداً ليوم الثورة ، وأن يتولى الأمير عبد الله تنظيم قبائل الطائف والقبائل المجاورة لمكة ، ويعد معدات العمل ، وأن يشترك كذلك مع والده فى المكاتبات والمفاوضات التى تدور مع البريطانيين . ولما رجعوا من الطائف انصرف كل منهم إلى إتمام ما اختص به من المهمات

وبينما كانت المفاوضات والمكاتبات السرية تدور بين دار الحماية البريطانية بمصر وشريف مكة بالحجاز ، كان المستر (ستورس) يتصل بأقطاب حزب اللامركزية العربى فى القاهرة ، ويباحثهم فى « القضية العربية » ، ويدعوهم إلى زيارته فى قصر الدوبارة ويسألهم عن خططهم وبرامجهم فيما لو دخلت تركيا الحرب ، وماذا يكون موقفهم لو عمل الحلفاء على استقلال بلاد العرب ، وهل يستطيع أبناء العروبة مؤازرتهم والنهوض بأعباء استقلالهم ، فأجابوه :

« إن العرب يتمنون استقلال وطنهم وإعادة غابر مجدهم وعزهم إذا كان لا بد من انهيار دولة الترك . وهم على استعداد تام لتأييد كل سانحة وبارقة ترمى إلى استقلال العربي مهما كان شأنها ... »

ولقد دارت مكاتبات سرية يومئذ بين الشريف حسين باسم العرب ، والسر هنرى مكماهون نائب جلالة الملك بمصر باسم بريطانيا العظمى لأجل إعلان الثورة أدت إلى الاتفاق على البنود الخمسة التالية التى تمت الموافقة عليها في الشهر الأول من عام ١٩١٦ وهى :

أولا : تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معانى الاستقلال فى داخليتها وخارجيتها ، حدودها شرقاً : خليج فارس ، وغرباً : بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعه مع الدجلة إلى مصبهما فى خليج فارس ماعدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التى أجرتها بريطانيا العظمى مع أى شخص كان من العرب فى داخل هذه الحدود بأنها تحل محلها فى رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أمراء كانوا أو من الأفراد

ثانياً : تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أى تدخل كان وبأى صورة كانت فى داخليتها ، وبسلامة حدودها البرية والبحرية من كل تعد كان أياً كان الشكل ، حتى ولو وقعت فتنة داخلية من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء ، تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع تلك الفتنة ، وهذه المساعدة فى الفتن والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أى إلى حين تم للحكومة العربية تنظيماتها المادية

ثالثاً: تكون ولاية البصرة تحت مشارفة بريطانيا العظمى إلى أن تم للحكومة الجديدة المذكورة تنظيماتها المادية . ويعين من جانب بريطانيا العظمى فى مقابل تلك المشارفة مبلغ من المال يراعى فيه حالة الحكومة العربية

رابعاً : تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاج إليه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة والذخائر والمال مدة الحرب

خامساً : تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو من نقطة مناسبة فى تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن بلاد ليست مستعدة لها »

وظل الشريف حسين حتى بعد هذا الاتفاق الذى تم فى شهر يناير (كانون الثانى) من سنة ١٩١٦ يعد ويسوف البريطانيين ، ويعد العدة سراً للعمل الخطير ، ويتأهب للوثوب ...

وكان قد كتب إلى المندوب السامى فى مصر كتاباً يعلمه بذلك فأجابه السر (أرثور مكماهون) فى كتاب مؤرخ فى ١٠ مارس (أذار) عام ١٩١٦ (٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤) يقول فيه : « قد تلقينا رقيمكم المؤرخ فى ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ عن يد رسولكم الأمين . وسررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التى تنوون اتخاذها وترونها موافقة للأحوال الحاضرة . إن حكومة جلالة ملك بريطانية العظمى تجيزها . ويسرنى أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك وافقت على جميع مطالبكم ، وإن كل شىء رغبتم بالإسراع فيه وفى إرساله هو مرسل مع رسولكم حامل هذا . وستحضر الأشياء الباقية بكل سرعة ممكنة . فتبقى فى بور سودان تحت أمركم إلى حين ابتداء الحركة وإعلامنا رسمياً بها . وقد انتهت إلينا إشاعات مؤداها أن أعداءنا باذلون الجهد فى أعمال السفن ليبثوا بواسطتها الألغام فى البحر الأحمر ، لإلحاق الضرر بمصالحنا هناك . فنرجوكم أن تسرعوا بإخبارنا إذا تحقق ذلك لديكم »

ومرت أربعة أشهر على هذا الاتفاق العربى ــ البريطانى قبل أن يطلق الشريف حسين بندقية من قصر الامارة بمكة . وكان الحجاز كما قلنا يعانى من شدة الحرب وأهوالها أكثر من سواه من الأقطار العربية . فسدت أبواب البحر ، وانقطع الحجيج ، ونفد القليل مما كان فى البلاد من زاد ، فضجت الناس ، وهلك مئات من الجوع ، وقد قال « الحسين » إنه ظل هو وأهل منزله سنتين يأكلون الدخن

مرت الأربعة أشهر وكان قد أصبح الأمير فيصل فى مأمن من الأعداء ، ولديه فوق ذلك من مالهم وسلاحهم ما لا يستهان به . وكانت الذخائر والسلاح والمال بدأت ترد عن طريق (بور سودان) من المصدر الذى أشار إليه المندوب السامى البريطانى فى كتابه

فتوكل الشريف حسين على الله ، ونهض فى صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ ٢ يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ قبل الفجر وبيده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى فى جدة والطائف والمدينة ، بل فى سائر أنحاء العالم العربى

فأعلنت الثورة فى مكة وجدة فى اليوم الأول ، وفى الطائف والمدينة فى اليوم الثانى ، وكان ما لدى العرب من القوات العسكرية موزعة متأهبة كلها ، فحاصر الأمير زيد بجنوده قلعة « اجياد » بمكة وهجم الأمير عبد الله على الطائف ، وكان الشريف محسن قائداً فى جدة ، والأميران على وفيصل ، وقد خرجا من المدينة يجمعان العربان ليحاصروا الترك فيها

إلى الأستاذ البشبيشى

للأب أنستاس مارى الكرملي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٥ — نعم وكرامة

يا سيدى البشبيشى ، إننا نستشهد دائماً بأقوال الفصحاء حينما نرد على أحد الأدباء . وقد بينا للقراء صحة قول أبناء مضر « حبا و كرامة » أما حضرتك فلم تذكر لنا اسم من قال : « نعم وكرامة » فننتظر استشهادك لنسلم لك بما تقوله ، وإلى أن تفعل ، نقول : إن قولهم : « حبا وكرامة » أصح من قولهم : « نعم وكرامة لكثرة ورود الأول فى أقوالهم ، وقلة ورود الثانى فيها

٦ — المسكن والمسكن

الذى قلناه فى الرسالة (١٠ : ٧٨٢) : مَسكن . مَسكِن بكسر الكاف هو الأفصح ، ولم نخطئ الأول إذ قلنا الأفصح ، فهذا معناه أن مسكناً بالفتح فصيح لكن الأفصح بالكسر . ففى غنية الطالب فى ص ٢٤ من الطبعة الأولى : « وإذا كانت العين مكسورة ، فابقها على كسرتها نحو : مجلِس ، ومضرِب . وشذَّ المسجد والمغرِب ، والمطلع ، والمجزِر ، والمرفِق ، والمفرِق و « المسكِن » والمنسك والمنبت ، والمسقط ، فإنها جاءت بكسر العين ، مع أن مضارعها مضموم . و « أجيز » استعمالها على الأصل » اهـ

٧ — الجُدُدُ أفصح من الجُدَد

نعم ، إن الجُدَدَ بفتح العين واردة فى كلام « بعضهم » ، لكن أنسير على كلام « بعضهم » ونترك جمهورهم ، أليس اتباع الجماعة أحسن وأسلم لنا من اتباع البعض ؟ قال صاحب التاج فى ترجمة آخر هذه اللفظة : « والأكثرون على الضم »

٨ — رواية الأشعار القديمة

من المشهور عند الأدباء المحققين ، إن رواية الأشعار القديمة ، يجب أن تنقل عن الأقدمين ، لا عن المحدثين ، ولا سيما المتأخرون منهم ، لأنهم عبثوا بكل شيء قديم ، ولهذا يجب أن ننبذ نبذ النواة ، ولو صحت روايتهم ، أو وجهت توجيهاً حسناً ، أو أوِّلت تأويلاً بديعاً ، بل أبدع من رواية الأقدمين . والذى رويناه نحن نقلناه عن أصح كتاب رويت فيه أبيات أعشى باهلة ، أى عن الديوان المروى عن أبى العباس ثعلب وشرحِهِ له ، (المطبوع فى مطبعة) دلف هلزهوسن فى بيانة سنة ١٩٢٧

وقد برهن أبناء الشريف على بسالة فيهم أظهرها القتال والصراع ، وعززها الجلد فى النضال والكفاح . ولم يمر شهر على حصار قلعة « أجياد » التى كانت تصب نارها على مكة ، وخصوصاً على قصر الأمارة فيها ، والشريف حسين فى غرفته الخاصة فى ذلك القصر يدير الحركة ولا يبالى بشظايا القنابل التى كانت تخترق السقوف والجدران ؛ فلم يمر شهر كما قلنا حتى كلل الحصار بالنصر ؛ فسلمت اجياد فى ٤ رمضان ثم استولى الأمير عبد الله على الطائف فى ٢٦ ذى الحجة من تلك السنة

وفى ٢ محرم عام ١٣٣٥ الموافق يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٦ بويع الشريف حسين بالملك . وفى الشهر التالى اعترفت به دول الحلفاء الكبرى أى بريطانيا وفرنسا ملكا على الحجاز ، وجاء الأسطولان الإنجليزى والفرنسى إلى جدة يحملان إلى جلالة الملك تهانى تلك الدول ، فخطب فى حضرته أميرال الأسطول الفرنسى ودعاه بأعظم أمراء العرب

ونختم حديثنا اليوم بكتاب صغير وجهه إلى الشريف « حسين » خلف السر (أرثور مكماهون) فى مصر المندوب السامى السر (ردجنلد ونجت) مؤرخ فى ١٩ إبريل (نيسان عام ١٩٢٧ و٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥ وفيه ما يلى :

« فأؤمل ألا يبرح من بال جلالتكم أن الحكومة البريطانية هى التى تحترم المعاهدات ، وهى حامية زمام الحق والعدل ، والحليفة الوفية التى لا تخون العهود »

(دمشق) نسيب سعيد المحامى

بعناية رودلف جير Rudolf Geyr ص ٢٦٦ وما يليها .

وأما رواية الشيخ حمزة فتح الله فليست بشيء بالنسبة إلى قدم ثعلب وقد توفى سنة ٢٩٧ للهجرة ، وأما الشيخ حمزة ففى سنة ١٣٣٦ . فأين الثرى من الثريا ؟ وقد قيل فى ثعلب إنه « كان راوية للشعر ، مشهوراً بالحفظ ، وصدق اللهجة ، ثقةً حجة » .

وأما الشيخ حمزة — رحمه الله — فما كان يعرف أن يوقع اسمه حينما كان مفتشاً بوزارة المعارف المصرية فقد كان يكتب « حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية » فكأن للعربية أولاً وآخراً ، وكان هو مفتش أول اللغة تاركا لغيره أن يكون مفتشاً لآخرها !

فإذا كان الشيخ حمزة فتح الله لا يحسن النطق بثلاث كلمات صغار فكيف نعتمد عليه وعلى روايته للشعر القديم ؟ — فأين الطمطمانية من العربية المبينة ؟ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

فانصفنا يا سيدى البشبيشى ، ولا تحد عن الصراط المستقيم ، ذبًا عن الصديق الحميم

٩ — جمع أفعل وفعلاء على فعل

ليس لنا رأى خاص فى جمع أفعل فعلاء على فُعْل ، وإنما نحن تابعون لرأى الفصحاء الصميم من الأئمة الأعلام . فقد قال سيبويه فى كتابه (٢ : ٢١١ من طبعة بولاق) : « وأما أفعل ، إذا كان صفة فإنه يكسر على فُعل ، كما كسروا فعولاً على فُعل ، لأن أفعل من الثلاثة وفيه زائدة ، كما أن فى فعول زيادة ، وعدة حروفه كعدة حروف فعول ، إلا أنهم لا يثقلون فى أفعل فى الجمع العين ، إلا أن يضطر شاعر ، وذلك : أحمر وحمر ، وأخضر وخضر ، وأبيض وبيض ، وأسود وسود ؛ وهو مما يكسر على فُعْلان . وذلك حمران ، وسودان ، وبيضان ، وشمطان ، وأدمان

« والمؤنث من هذا يجمع على فُعل . وذلك : حمراء وحُمر ، وصفراء وصفر . وأما الأصغر والأكبر فإنه يكسر على أفاعل . ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه . لا تقول رجل أصغر ولا رجل أكبر . سمعنا العرب تقول الأصاغر كما تقول : القشاعمة والصيارفة حيث خرج على هذا المثال . فلما لم يتمكن هذا فى الصفة كتمكن أحمر ، أجرى مجرى أجدل وأفكل ، كما قالوا : الأباطح والأساود ، حيث استعمل استعمال الأسماء . وإن شئت قلت : الأصغرون والأكبرون . فاجتمع الواو والنون والتكسير ههنا ، كما اجتمع هنا الفعل والفعلان . وقالوا الآخرون ولم يقولوا غيره كراهية أن يلتبس بجماع آخر ؛ ولأنه خالف إخوانه فى الصفة فلم يتمكن تمكنها ؛ كما لم يصرف فى النكرة . ونظير الأصغرين قوله تعالى : بالأخسرين أعمالاً » اهـ

وفى مختار الصحاح : « الأسود : العظيم من الحيات ، وفيه سواد والجمع الأساود ، لأنه اسم ، ولو كان صفة لجمع على فُعْل » اهـ

وفى لسان العرب فى مادة (ج ح م) : « الأجحم : الشديد حمرة العينين مع سعتهما . والأنثى جحماء ، من نسوة جحم وجحمى » . قلنا : وهو الصواب بخلاف ما جاء فى القاموس ، إذ قال : الأجحم . . . وهى جحماء والجمع جُحم ككتب وسكرى » اهـ

وكلام أئمة البصريين والكوفيين من صرفيين ونحاة ولغويين مبنى كله على الآيات القرآنية . ففى سورة الملائكة ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » . ولم يقل بيضاء ولا حمراء ولا سوداء

وفى سورة الإنسان : « عاليهم ثياب سندس خضر »

وفى سورة يوسف : « وسبع سنبلات خضر »

وفى سورة الرحمن : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان »

وفى سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » . ولم يقل مرة واحدة خضراء

والآيات كثيرة ولم ترد فعلاء مرة واحدة صفة لجمع ، أيًّا كان

وأما ما قاله سيدى وأستاذى البشبيشى : «نستطيع أن نحكم بجواز استعمال الوصف بهما مفرداً قياساً على قولهم : إن الجمع بمعنى الجماعة ، فيجوز وصفه بالمفرد : ولذلك شواهد لا تحصى...» ومن هذه الشواهد التى لا تحصى كنا نود أن نرى واحداً ،

لنرى أهي من باب أفعل فعلاء ، أم من غيره — ثم إن هذا الباب الذى يذكره يسمى باب التخريج ، وهو باب واسع يلجه الحيوان الأكبر والأصغر من الهوام والحشرات وأنواع العجماوات . أما الحيوان فيعدل عنه ولا يلجه ، نظراً إلى شرفه وإجلالاً لقدره ، وإعزازاً لشرفه وحبه ، وخشية أن يقال عنه : « ولج العاقل باباً لا يلجه إلا الحيوان الأعجم » أعاذنا الله من أن نكون منه !

١٠ — الأربعة الاستقصات لا الأربع

فى جميع ما نكتب نتوخى الفصيح والأفصح من كلام السلف الصالح بقدر الطاقة . وأفصح كلام العرب يرى فى الآيات القرآنية . وقد جاء فى سورة النساء : « ولا تقولوا ثلثة » أى ثلاثة آلهة . ولم يقل ثلاثاً

وفى سورة الطلاق : « فعدتهن ثلاثة أشهر

وفى سورة الكهف : « سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » إلى غيرها من الآيات وهى كثيرة لا حاجة لنا إلى ذكرها كلها فاجتزأنا ما ذكر منها

وجميع ما ورد فى تلك الآيات ، مختوم بخاتم الإحكام المتقن ، ومطبوع بطابع الصحة المنيمة ، وفيه أقصى التحقيق والتدقيق إذ « لا نرى بينها عوجاً ولا أمتاً » ، ولا يهمنا بعد الكلام خرفشة النحاة ولا حذلقة الصرفيين ، إذ يسمع لها جمجمة ولا طِمن !

فالاستقص (بصاد مشددة فى الآخر) والاصطقس بصاد وطاء وقاف وسين ، مذكرة ، ولا يقول الفصحاء والحذاق والبصراء من السلف إلا الاستقصات الأربعة لا الأربع . ونحن نتبع الآيات المحكمات وكتاب سيبويه وجماعة علماء البصرة والكوفة ، وليتبع غيرنا ما شاء من المجوزين ، والمخرجين ، والمفسرين . وعلمه فوق كل ذى علم

١١ — الخلاصة

إننا نتبع الفصيح من كلام الناطقين بالضاد ، ونترك الغير يتبع ما شاء من لغات العرب ولغيّاتهم ، أولئك الذين جاوروا الأعاجم فركت عبارتهم ، وفسدت تراكيبهم وغمضت ألفاظهم وغلظت كلمهم ، فوقعوا فى أوهام لا تعد

وهذا آخر ما نكتب فى هذا الموضوع وقد أوصدنا بابه علينا ، فلا نريد سماع ما يخالف أحكام اللغة المتينة ولا قواعدها المبينة ، وإن فاض التنور وقامت القيامة ، وكان اليوم الأخير .

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

ظهر الإسلام بين أمة وصلت فى البداوة إلى أبعد حدودها ، وكانت طبيعة بلادها تجعلها بداوة قاسية ، يشتد فيها النزاع والخصام بين الأفراد والقبائل ، ويكون السلب والنهب أظهر عمل فيها لكسب العيش ، وفى هذا تنتصر القوة الغاشمة ، ويظفر الباطل بالحق

وكان يحيط بهذه البداوة الغاشمة حضارتان مختلتان ، حضارة الفرس بالمشرق ، وحضارة الروم بالمغرب ، قد سرى الفساد فيهما حتى أنهكهما ، فلم يكونا أقل ضلالاً من تلك البداوة ، ولم يكن أهلهما أقل شقاء من أهل تلك الصحراء

فكان من أهم أغراض الإسلام القضاء على تلك البداوة وآثارها فى بلاد العرب ، وإنشاء حضارة جديدة صالحة للبشر عامة ، يرتفع فيها لواء العدل ، وينتصر الحق على الباطل ، وتنتشر المساواة بين الشعوب والأفراد ، فلا يظلم قوى ضعيفاً ، ولا يأكل غنى فقيراً ، وبذلك يسود السلام بين الشعوب بالمساواة بينهم ، ويجعلهم جميعاً عناصر لأمة واحدة لا يمتاز فيها شعب على شعب ، ولا تفرق بينهم الفوارق أيا كان أمرها

ولا غرو فى أن يكون مثل هذا من أغراض الإسلام ، بل لا غرو فى أن يكون هذا من أهم أغراضه ، لأن الإسلام يمتاز على غيره من الأديان بأنه لم يشرع للآخرة وحدها ، ولم يعمل لسعادة البشر فيها فقط ، بل شرع لسعادة الدنيا والآخرة ، وعمل على أن يكون البشر سعداء فى دنياهم ، قبل أن يكونوا سعداء فى أخراهم

وقد صرح القرآن الكريم بذلك الغرض المظيم فى بعض آياته ، فقال تعالى فى الآية (٥٥) من سورة النور « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » وقد بين فى آية أخرى أهم شىء تمتاز به هذه الأمة فى حضارتها الجديدة ، فقال فى الآية (١١٠) من سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ؛ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون »

ومما يتفق مع هذا كل الاتفاق ما جاء فى القرآن الكريم عن البداوة العربية وأهلها ، وما جاء فيه عن الحضارات القديمة وآثارها ، فهو إذا ذكر الأعراب – وهم سكان البادية – يكون شديداً عليهم ، ويجعل بداوتهم هى السبب فى جهلهم وانحرافهم . وقد وصفهم الله بقلة الإيمان فى الآية ١٤ من سورة الحجرات : قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفور رحيم » . وإنما سميت هذه السورة بذلك الاسم لأنها نزلت فى نفر من الأعراب أتوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائل فى أهله ، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات : يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه ، فأنزل الله فيهم من هذه السورة : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم » وقد قيل إن هؤلاء الأعراب كانوا من بنى تميم ، وكان فيهم الأقرع بن حابس ، وعُيَينة بن حصن ، والزبرقان بن بدر ، فنادوا على باب الحجرات قالوا : يا محمد ، اخرج إلينا ، فإن مدحنا زين ، وذمنا شين . فخرج رسول الله صلى الله عليه وهو يقول : إنما ذلكم الله الذى مدحه زين ، وذمه شين . فقالوا : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا ، جئنا نشاعرك ونفاخرك . فقال رسول الله صلى الله عليه : ما بالشعر بعثت ، ولا بالفخر أمرت ، ولكن هاتوا . فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ، وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قم فأجبه ، فقام فأجابه . ثم قام الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البِيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتَّبع
ونحن نطعم عند القحط مُطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزَع

عندما فاض النيل . . .

للشاعر التركى إبراهيم صبرى

بقلم الأستاذ عثمان على عسل

بحثت عن شاطئ حصباؤه تلمع ، شاطئ منحدر رحب . وقد غطيت حصباؤه برمل ناعم كريش الطيور . إن اشتياق إليه كالحنين إلى الوطن . فما وقع بصرى على شاطئ إلا تعلق به . هناك أنعم النظر فى الشمس . فما أجمل نزولها في اليم . حينما يحجب نصف قرصها سحاب أسود . تغيب عن الأنظار كأنما تخلع رداء أشعتها . فيخيل إلى الناظر أن السحاب يستر وراءه قواماً جيلاً . وإذا بألوان الأفق تمتد وتعانق سطح البحر . وعلى هذا الجيد الفضى ترتجف أمواج هادئة تخالها رعشات . وبينما الألوان الوردية والبنفسجية والحمراء . تنشئ فى السماء قوساً شبيهاً بعالم خرافى ، يبدو البحر كأنما ارتفعت أعماقه . فيتراءى كسماء مقلوبة غاصت فى قراره . سماء تتجلى فيها الأفلاك . ولكى تصعد الأنظار إلى هذه القبة العميقة ، تهبط كأنها تنزلق على سطح زجاجى . ومن احتضان البحر للسموات يتجلى فى روع الناظر عالم آخر فيرى فى ضفافه حدود الأبدية . إن اتساع البحر يجمل الأنظار التى ترى اللانهائى تبحث عن عالم مجهول . أما الآفاق فهى ستار أزرق أسدل على الأفكار ، يحول بين المتأمل وبين النفاذ فى محيط الكون . إن الثرى إزاء الماء فانٍ . ففى كل قطرة من الماء قوة كامنة خالقة لا تحد .

***

وحكم التراب كالعدم فهو نهاية . عجباً لهذا التراب إنه من أسباب الفناء ، وإنه لمن أسباب الحياة !

فننحر الكوم عبطاً فى أرومتنا ... للنازلين إذا ما أُنزلوا شبعوا

فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم ... إلا استقادوا فكانوا الرأس يُقتطع

فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تُستمع

إنا أبينا ولا يأبى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم فأجبه . فقام فقال :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سُنة للناس تُتبع

يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يُصطنع

قوم إذا حاربوا ضرُّوا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

أعِفة ذكرت فى الوحى عفتهم ... لا يَطبعون ولا يرديهم طمعُ

لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مَطمع طَبَعُ

لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلعُ

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع

وقد جاء ذكر أهل البادية أيضاً فى سورة التوبة ، فوصموا فيها هذه الوصمة التى جاءت فى قوله تعالى (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) ولكن الله تعالى بعد أن أطلقها كلمة فيهم ، لأن ذلك شأنهم وديدنهم ، وهو الطبع الغالب ، والحال الظاهر ، عاد فذكر أن قليلاً منهم يخالفهم فى هذه الطباع ؛ فقال : (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم)

فهذا ما جاء فى القرآن الكريم عن البادية وأهلها ، وهو حرب ظاهر عليها ، وقد جاهد الإسلام حتى قضى على آثارها بين العرب ، وجعل منهم أمة عاقلة متحضرة متآلفة متحابة ، وموعدنا بما جاء فى القرآن الكريم عن الحضارات القديمة الأعداد الآتية .

عبد المتعال الصعيدى

ومصير المخلوقات إليه . وكأنما الأمواج حينما تتبخر تهرب من الفناء . وهذا الإنسان اليائس الذى يلقى بنفسه فى اليم ، يشتاق إلى حياة أبدية فى عبابه ، ليعيش بعيداً عن التراب .

***

لا شك أن الشمس قد ذابت اليوم فى أفق مصر . ها هى أشعتها مادة سائلة ، تنحدر من السماء كأنها حمم تذيب الأرض معها . بحثت كسائر الناس عن خميلة أتفيأ ظلها ، فذهبت إلى شاطئ النيل ، وإذا بالنيل قد فاض وغمر . فأين منى الآن قوافل الجمال ذات اللون الأغبر التى ترسم على الشاطئ صورة التماثيل ؟ أين تلك الأشرعة التى ترفرف بين الأشجار كأجنحة فراشة فضية ؟ وأين هاتيك الكواعب الريفيات اللائى يحملن على رءوسهن جرات ذات قوام له دلال العرائس يباهى دلال من يحملنها ، وقد عكست ظلالها على سطح النيل ... يا للعجب ! إن هذا الماء كلما تدفق أسرع جريانه . أين هذا النيل الذى رصع جيد (أم الدنيا[1]) بعقد من الياقوت بمجراه الذى تسرى فى أمواجه ثمار النخيل الحمراء ؟ أين تلك المياه التى تفيض بالأسرار كمقلة خضراء تزخر أعماقها بألوان متباينة ؟ أين هذا النيل الذى يتجلى فى لونه الزمردى إشراق الفجر . هذا النيل الذى تمس أعماقهُ الأهرامَ والسماءَ والكواكبَ . هيهات ! ليس أمامى الساعة غير نهر من اللهيب . بحثت عن ضفافه فألفيتها قد سالت معه ، وبدا لى أن هذا الفيضان يندفع كالكارثة . لم يكن هناك فى هذا المحيط اللجى موطئ لقدم ، كأن الطوفان قد ابتلع الغبراء . ها هو النيل يجرى كنهر من الطين انطلق إلى الشمس ، كأن من أجزائه يريد أن يبنى أجراماً فى السماء ، وهو يجيش بأمواج فوارة تكاد الشمس وهى فى مغربها تغرق فى تيارها . كأن هناك عاصفة هوجاء تكتسح هذه الأمواج ، فلا يسمع إلا زمجرة صاخبة . ربما كان فى هذا الطين أسرار ، فهو لا يخرِّب بل يعمِّر . أما حقول بلادى الظامئة فإنها تتلهف إلى قطرات تتساقط من سماء الحظ ، كأنما النيل سحر قد انساب ماء ، فهو يجعل الرمال أخصب من أى تراب آخر . هو يتدفق إلى الحقول وإلى القرى وإلى المساكن ، فالنيل هو مصر ، ومصر هى النيل . ما أعجب هذا السيل ! إنه قوام الحياة . ما أعجب هذا السيل فهو أينما جرى وأينما طغى انبثق النبات واستحال القفار عمارا . قد منح أهلَ بلاده قدرة فوق طاقتهم . هل السحر جاء إلى مصر مع النيل ، فهو كبحر مطلسم غمر أرضاً وجرى نحو محيط فى أغوار الأساطير ، وكأنما الأهرام أحجار رسبت من مجراه فى وادى الشياطين . وإنه ليرد من أرض حزينة ؛ فهو يسيل أحياناً كالدم وأحياناً كدموع تنحدر من عيون تلك الأرض التى حرموها نعمة الأبصار . إنهم يروون أن غادة كانت فى الزمان الغابر تلقى فى عبابه . إنى أعتقد أنها أسطورة ، غير أن هذا الفيضان الذى يدعو إلى الحيرة ، لا بد له من سرٍّ خارق كهذه الأسطورة .

ترجمة

عثمان على عسل

(١) مصر

حكم فى الجنحة العسكرية ١٣٥٢ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٢-١٢-٩٤٢ بحبس محمد خلف بهنساوى بقال بالمنيا أربعة شهور شغل والغلق أربعة أيام لامتناعه عن بيع سكر عندما طلب منه

المنطق المنظور والمنطق المستور

للأستاذ عبد الله حسين

ألف الناس أن يطلقوا على ما يقع لهم أفراداً أو جماعات ، من الأحداث ، اسم الغرابة والمفاجأة والشذوذ ، وأن يبدئوا ويعيدوا في وصف كل حدث من الأحداث ، كأنه شيء لا يقع إلا في الخيال ولا مثيل له في حوادث التاريخ ، أو كأنه قد وقع من غير مقدمات ولغير علل وأسباب !

ولعل مرجع هذا عندهم إلى أنهم يحرصون على حياة السلامة والدعة التي ألفوها قبل أن يتأوَّد مجرى حياتهم ، ويزور مستقر شأنهم وقبل أن يشهدوا انحرافاً في ميزان حياتهم

ذلك ، أن الناس كانوا ولا يزالون حريصين على ما يدعونه « الحقوق المكتسبة » ينعمون بثمارها . فإذا اعتاص عليهم أمر من الأمور ، لعقبة أو نازلة أو عرضٍ من أعراض الحياة وأطوارها المتناقضة ظاهراً ، نادوا بالويل والثبور ، وحسبوا ما واجههم من عظائم الأمور ، ومن المنطق المستور !

قال أحد فلاسفة فرنسا : « وليس يقع في الدنيا غير الشاذ » أو لم يقولوا في الحرب إنها حالة شاذة ، كأن السلم هي الحال الدائمة الطويلة ؟

أو لم يتطير الناس من الحروب والثورات وما إليها من الفتن والاضطرابات وألوان الانقلابات حتى الاقتصادية منها ؟

يذهب الناس إلى هذا مع أنهم لو عَمَدوا إلى الاستقراء وفتحوا عيونهم على العالم كله قديماً وحديثاً ، لفقهوا أن الحياة الاعتيادية ليست دعةً وسكوناً وأمناً وسلاماً إلا في حيز محدود وزمان غير طويل ؛ فإن الدنيا لا تعرف السكون الطويل ، والحياة ليست بالمستقرة المطمئنة إلى قواعد ثابتة ، وأسس لا يعفى عليها تقلب الحدثان

وقد تأثر الكتاب والأدباء بحسبان الحياة سلماً واطمئناناً وأمناً إلا في النادر وعند المفاجأة وشواهد الغرابة ، فبالغوا في تصوير الأحداث التي تقع على غير ما كان يتوقع أصحاب « المنطق المنظور » ونعني به منطق الحوادث اليومية الاعتيادية المألوفة التي تكاد تجرى على صورة واحدة ، فإن الاستمساك بهذا المنطق السطحي الضيق ، هو آفة النظر الفاحص البعيد ، الذي يزن الأشياء بميزان « المنطق المستور » الذي يستطيع أن يبلغ حقائق ، ويكشف عن مقدماتها وعللها ، ويتنبأ بنتائجها وآثارها ؛ وأصحاب هذا المنطق هم أولئك الذين لم يخدعهم « المنطق المنظور » الضيق

كم من تقلبات شهدنا في خلال العشرين عاماً الأخيرة أو منذ شبت نار حرب ١٩١٤ أو منذ وضعت أوزارها وأعلنت الهدنة ووقعت شروط الصلح وبادت دول وظهرت أخرى . وكم عجبنا وأغربنا في الدهش والحيرة لأحداث وقعت بين ظهرانينا لأننا كنا ننظر إلى شئوننا بعين « المنطق المنظور » ، فلما خلونا إلى أنفسنا قهرنا على مقابلة الخطوب ، ورضنا أنفسنا على متابعة التقلبات ، عرفنا بعين « المنطق المستور » أن ما وقع إنما جاء نتيجة منطقية لحوادث سابقة وأخطاء قائمة واستسلام « للمنطق المنظور »

وليس الأمر بمقصور على الشئون العامة ، بل إن شئوننا الخاصة يجرى عليها هذا القياس ، فالأمراض المستعصية ونكبات الأسرة والصداقة من طلاق وأزمات مالية وخصومات وانتقامات ، كلها ترجع إلى مقدمات وحوادث وعلل ، لا يقرأها ولا يدركها « المنطق المنظور » المنطق السطحي المستسلم ، ولكن عين « المنطق المستور » تجلوها لنا سافرة طبيعية لا غرابة فيها ولا مفاجأة ولا شذوذ

عبد الله حسين
المحامى

ذكـــرى...

للدكتور عزيز فهمي

الدكتور عزيز فهمي نجل صاحب السعادة الأستاذ عبد السلام فهمي جمعة باشا في طليعة الشباب الجامعي المثقف، ومن شعراء الشباب الموهوبين الذين أذكوا بأدبهم الذكي الشبوب النهضة المصرية. وهذه من بواكير شعره بعد عودته من باريس إلى وطنه منذ شهور قلائل:

يا لياليَّ طال فيكنَّ سهدي ... مَن مُجيري من الليالي ووجدي
قدَرٌ صاح بالمنى فتداعتْ ... وقضاءٌ، وما له من مردِّ
أيها الليل يا نجيِّ وحسبي ... أنتَ يا ليلُ، كم يدٍ لك عندي
حال طعمُ الحياة بعد هناء ... وشربتُ الحميمَ من كل وِردِ
إيه يا ليلُ كم كتمتَ هوانا ... يومَ كان الزمان طوعي وجندي
فانشر اليوم من زفيري نشيداً ... يطرب الدهر بعد طول التحدي

***

كان ما كان، لا مردَّ لعهدٍ ... غاله الدهر بعد سعيٍ وكدِّ
كان ما كان، كل حُلمٍ لصحوٍ ... وانتباهٍ، وكل سيفٍ لغمد
أيها الحبُّ ليس لي منك إلا ... ذكريات تُلحُّ في غير قصد
ذكرياتٌ أعيش فيها ومنها ... ليتها ليتها تُلحُّ وتجدي
طائف كالفَراش حول شعاع ... محرقٍ يبعثُ الحياةَ ويُردي
ذكرياتٌ تمرُّ حيناً وتحلو ... بعد حين، وأول الخمر يُصدي

***

يوم كنّا في ميعة العمر نلهو ... لهوَ طفلين جاوزا سنَّ رشد
نتلاقى على صفاء قلوبٍ ... لم تُدنِّسْ على الزمان بحقد
وأناجيك في خشوع وصمت ... وبودِّي لو استجبت بودي
وأناغيك يا حبيبي وتصغي ... وأعيد الحديث فيك وأُبدي
وعلى وجهك المضيء تباشيـر كوشْيِ النّدى على دوحِ وَرْد
ويدي في يديك ترعَش حتى ... تهدأ النفس بعد لمث وجَهد
وذراعايَ حول خصرك في عنـفٍ ورفق ما بين جزرٍ ومدٍّ
وعلى صدرك الحنون همومي ... غارقات ما بين نحرٍ ونهد
والنسيمُ العليل يُذكي عبيراً ... من ثناياك شاع في كل برد
جنَّةٌ أنتَ كنت فيها ملاكي ... كيف منها جَزيْتُ نفسي بطرد
أنتَ رَحَّبْتَ بي مُضيفاً وضيفاً ... كيف لم أجزك الوداد بودي
يعلم الله ما جحدتُ ولكن ... ذادني عنك طالع جِدُّ نكد
ما أنا إلا آدمي وهل آثر ... إلا المهبوطَ آدمُ جَدي ؟
نحن فيها مسيرون وكلٌّ ... مُجبَرٌ لا خيار للمرء عندي

***

أيها الغائب المقيم بأرض ... عهدت مولدَ الغرام وسعدي
بالجنين الوليد ينمو ويقوى ... في رفيف من الأمانيِّ رغد
كل شيء كما عهدت مقيم ... وأنا النازح الوفي بعهدي
فالتفت يَمنةً وأخرى يساراً ... واستمع عامداً وفي غير عمد

عزيز فهمي

الطيران بين أسلحة الحرب

للملازم الأول حسين ذو الفقار صبري

لم تعد الحرب فى مختلف نواحيها بقادرة على الاستغناء عن سلاحها الجديد : « الطيران » ، الذى لم يكن بالأمس إلا بدعة طارئة ، وأصبح اليوم ضرورة أُقحمت على كل فكر وكل رأى ، حتى ذهب الكثيرون ، ممن قنعوا بعابر الملاحظة دون عميق البحث ، إلى القطع بأن أهميته تفوق غيره من الأسلحة ، فهو منها المحورُ والدولاب ، وله عليها العرش والسلطان ؛ وتمادوا فى إغضاء الطرف عن نقائصه ، مُمثلين من شأنه ، رافعين من ذكره ، حتى وُصف بما لا قدرة عليه ، ونعت بما لا طاقة له به .

جاب الإنسان الأرض شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، وسبح فى الماء وارتقى الجبال ، وحاول ثم حاول محاكاة الطيور بالتحليق فى الفضاء ، ولكنه هنا فشل مراراً ، وارتد عن أحلامه تكراراً ، حتى ظن أن التصاقه بالأرض قانون لا يُخرق ، وأن تحليقه فى الهواء أمنية لن تحقق . فلما حلق أول من حلق ، انبهر البشر وتلمسوا طريق التأويل والتعليل ، فرموا الطائرة بصفات تخيلوها ، وحبوها بأحوال ليست لها . وقد انساقوا فى ذلك السبيل وراء ما أحرزه الطيران من تقدم حثيث ملموس ، نتيجة طبيعية لما زامل زمانه من اطراد مستمر فى شؤون الآلات والكهرباء وصناعة المعادن ، مما خف وزنه واشتدت صلابته . كل تلك الأشياء وغيرها تضافرت فأغدقت على الطيران من عندها ، ودفعت به إلى الأمام عدة مرات ؛ ولكنا إذا تأملنا الأمر قليلاً وجدنا الطائرة جسماً كسائر الأجسام ، يخضع لقوانين الطبيعة كل الخضوع . هى جسم ساير تلك القوانين ، وتحايل عليها واسترضاها فانقادت له تساعده وتحابيه وتزينه للناظرين

سرُّ الطائرة فى استخدامها فراغاً لا نراه ولا نلمسه ، سرُّها فى استمدادها القوة من انضغاط هواء تحت سطح جناح انطلق انطلاق الشهاب[1] ، سرها فى التفاتها إلى عنصر أحاط بنا منذ الأزل فألفناه ، حتى انقلبت الألفة إلى عدم اهتمام بل إلى إهمال

استمدت الطائرة قدرتها على الارتفاع من الهواء المضغوط تحت الجناح ، فغالبت جاذبية الأرض وقهرتها ، قهرت تلك القوة التى ألصقتنا بالأرض دواماً ، والتى لم نتفهمها جيداً حتى ترجم العلم مفعولها إلى لغة قريبة من مداركنا ، لغة الكتل والأثقال والأوزان . الجاذبية مقدارها ثابت لا يتغير ، أما جسم الطائرة — أو بالأحرى ثقلها — فهو العامل المتقلب ، المتزايد أو المتناقص . هو الخصم الذى يهاجمه المهندس على أوراقه أولاً ، وفى المصانع ثانياً ، ليستخلص من عنصر الهواء أكبر غنم ، ويستخلص لطائراته أنفذَ الخواص ، ولصفاتها أعلى منسوب .

تتباين خواص الطائرات المختلفة تبعاً لتباين طرق توزيع وزنها على مختلف أجزائها . وطائرات الحرب أغراضها كثيرة متنافرة : هذه تحتاج لسرعة فائقة ، وتلك لسعة فى النقل عظيمة ، وهذا يطالب بطائرة مدافعها فتاكة ، وذلك بأخرى قنابلها كثيرة . هذه الأمور وغيرها تعرض للمهندس فيوازن بينها ، ويقارن ويعادل ، حتى يصل آخر الأمر — بعد مجهود طويل وتجاريب عديدة — إلى أحسن الحلول ، أو على الأقل إلى أقرب من الغرض المطلوب

يتكون ثقل الطائرة من وزن أشياء شتى : أهمها المحرك . والهيكل بما فيه الأجنحة ، والوقود ، والمدافع ، وذخيرتها ، والقنابل وصفائح الفولاذ الواقية . يختص المحرك منها بأكبر نصيب ، كيف لا وهو القوة الدافعة ، تزيد سرعة الطائرة زيادته ، وتنمو مقدرتها التسلقية بنموه

ولكن هذه المهارة فى المناورة ، يلزمها علاوة على القوة الدافعة أجنحة سميكة ، معدنها متين ، أقدر من غيرها على احتمال الضغط العنيف ، الطارىء من حركات انقلاب حادة فجائية . ومدى التسلق[1] يحتاج ، علاوة على المحرك القوى ، إلى أجنحة طويلة عريضة تغترف من الهواء كثيراً . أما السرعة ، فهى وحدها التى تقنع بتركيز الوزن كله فى المحرك

ويا ليت الأمر يقف بالمحرك عند هذا الحد ، فهو لا يكتفى باستحواذه على نصيب الأسد ، بل يتطاول أيضاً إلى ما بقى من

(١) لقد أحجمت هنا لضيق المجال ، عن تفصيل كيفية تكوين تلك « القوة الرافعة » التى تحمل الطائرة على متن الهواء ، وهى تنشأ عن حصول فارق كبير بين ضغط الهواء تحت الجناح وتخلخله فوق سطحه الأعلى

(١) مدى التسلق هو أقصى ارتفاع تصل إليه الطائرة ولا يمكنها تخطيه

ثقل يحتجز منه للحقاته . الزيت والوقود ؛ تلك السوائل الثقيلة الوزن التي لا غنى له عنها ، تغذيه بحيويتها ، وتخلق منه قلباً نابضاً لجسم كان هامداً . لم يبق إذن من ثقل الطائرة إلا جزء ضئيل تتنازعه المدافع وذخيرتها ، والقنابل وأدوات تصويبها ، والدروع الواقية لأرواح الطيارين . تنازع عظيم لا يفصل فيه المهندسون ولا يبتون فيه بقرار ، إلا على ضوء نسب مخصوصة ترتفع وتنخفض تبعاً لما تقوم به الطائرة من واجبات سواء أكانت متعددة النوع أم محدودة

فإذا تأملنا المقاتلات مثلاً وجدناها تحتاج إلى سرعة فائقة تلاحق بها ما تتخطى الحدود من قاذفات ، أي أنها — بلغة النسب — تحتاج لضآلة في الجسم إزاء قوة في المحرك ؛ ولكنها ضآلة تقف عند حده ، إذ ما قيمة تلك الطائرة دون مدافع عديدة وكمية من الذخيرة كبير : مدافع قد تبلغ الثمانية عدداً ، وذخيرة قد يتعدى معدل إطلاقها الخمسة آلاف رصاصة في الدقيقة الواحدة . هذه الضآلة إذن يجب أن تتسع لتلك المدافع وهذا الرصاص ، ولمقدار ضخم من الوقود فرضه علينا محرك قوى ، مقدرته على الالتهام عظيمة

هذه أخيراً طائراتنا ، توصلنا إلى اصطناعها سريعة ما وسعنا الاصطناع ، وأوجزنا من طول أجنحتها ما أوجزنا ، وضمَّرنا من خصرها حتى ضمرت ما وسعها الضمور . ولكن تلك السرعة اللعينة تعلق بها علوقاً حتى عند الهبوط ، فترى الطائرة تنهب الأرض نهباً ، ولا تستطيع الوقوف إلا إذا انفسح لها المجال في المطارات . والمطارات الفسيحة لا تتسع لها كل أرض ، ولا تتسع لتكاليفها حتى الميزانيات ، فنضطر إلى إلحاق بعض القلابات[1] بسطوح الأجنحة السفلى لتحد من سرعة الطائرة عند الهبوط . وهذه القلابات تعنى زيادة في الحجم ، وزيادة في الوزن

وأحياناً لا نشعر بالقاذفات إلا وهى قريبة منا على أهبة الهجوم ، فنطلق المقاتلات من معاقلها . ولكن هذه الطائرات القصيرة الأجنحة ، السريعة كل السرعة في الاتجاه الأفقى ، تعجز عن الارتفاع إليها في مدى الزمن المطلوب ، فنعود إلى المهندسين يطيلون أجنحتها ، ويزيدون من مساحتها ، ليعينوها على التسلق العاجل ، مضطرين إلى التنازل عن قليل من سرعة الانطلاق ، مقابل بعض الربح في سرعة التصاعد

وإذا انتقلنا إلى القاذفات ، وهى أداة التحطيم الاستراتيكى[1] وجدناها في حاجة إلى كثير من الوقود ، وكثير من القنابل ، وبعض الرشاشات تذود عنها فتك المقاتلات ، كما هى طائرات كبيرة الحجم ضخمة الجسم ، وهذا يحد من سرعتها كثيراً ، ورشاشاتها تلك لا تحميها كل الحماية ، فتعمد إلى تغليف مواطنها الحساسة بالصفائح السميكة ، وهذا أيضاً عبء كبير يزيد تباطؤها إن لم نعوضه بالتقتير عليها في إحدى وديعتيها الاساسيتين : أو القنابل . فإن شح وقودها عجزت القاذفة عن إدراك بعيد الأهداف ولزمت دائرة القريب منها ، وإن ضُنَّ عليها بالقنابل قنعت بإغارة ضعيفة عجفاء على الأهداف القاصية . وقد تتدرج الحالات من هذه إلى تلك . على أن يظل مجموع ما حمّلت به الطائرة من أثقال داخل النطاق المسموح . ولكنا أحياناً نواجه ضرورات قاسية تحتم علينا تحطيم بعض مرافق العدو النائية تحطيما فعالاً . فنود لو تمكنا من الارتفاع بالزاخر من الوقود والوافر من القنابل ، فلا تسعفنا عندئذ إلا « القلاع الطائرة » البطيئة الحركة ، المعرضة كل التعرض لهجمات المقاتلات ، نراوغ هذه إما بالتسلل تحت جنح الظلام ، وإما بالتصاعد إلى طبقات عليا : هبط فيها ضغط الهواء إلى ما تحت الحدود اللازمة لاستيفاء أسباب الحياة . نتحايل على تلك الحال بإحكام منافذ غلاف الطائرة على جوف اصطنع فيه ضغط جوى يقارب الضغط العادى ، بواسطة آلات ضخمة تعجز طائرات المطاردة الخفيفة الوزن عن حملها والصعود بها إلى هذه السموات البعاد .

(البقية في العدد القادم) صبحى ذو الفقار صبرى

---

(١) « القلابة » سطح ملاصق للجناح يحركه الطيار بالضغط على زر مخصوص ، فيدور على أحد أجنابه — كمصراع الباب — حتى يصير عمودياً على الجناح ، ويقابل الهواء بسطحه ، فيحد من انطلاق الطائرة كثيراً

(١) الأهداف الاستراتيكية هى ما يوجد خلف خطوط العدو بمسافة بعيدة أو قصيرة .

حكم في القضية العسكرية ١٢٦٨ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٣٠-١١-٩٤٢ بتغريم على اميابى درويش نحاس بالمنيا خمسين جنيها والغلق أربعة أيام لبيعه قصديراً بسعر أزيد من التسعيرة



أول احتفال بالعام الهجري

ذكرتُ بحسن احتفال الأمة والحكومة بالعام الهجري في هذه السنة حقيقة تاريخية قد لا يعرفها الكثيرون : وهي أن الحكومة المصرية إلى سنة ١٣٢٧ هـ لم تكن تعترف به كعيد من الأعياد ، حتى نبهها إلى ذلك قادة الحركة القومية ، برآسة المرحوم محمد بك فريد ، فأصدرت وزارة المرحوم بطرس غالي باشا قراراً بجعله يوم عيد رسمي تعطل فيه مصالح الحكومة . وقد صدر هذا القرار في ملحق لعدد ٢٠ يناير سنة ١٩٠٩ من الوقائع المصرية وهذا نصه .

(بمناسبة أول السنة الهجرية الجديدة ستقفل نظارات الحكومة ومصالحها في يوم السبت أول محرم سنة ١٣٢٧هـ — ٢٣ يناير ١٩٠٩م)

وقد كان أروع احتفال أقيم في هذه السنة ، هو الذي أقامه رجال الحزب الوطني في دار التمثيل العربي برآسة المرحوم أحمد بك لطفي المحامي ، وكان من خطبائه الأساتذة : أحمد وجدي المحامي ، ومحمد توفيق العطار ، ومحمد راضي ، وإمام واكد ، وعبد المجيد ابراهيم صالح (باشا) الطالب بمدرسة الحقوق ، وألقى حافظ قصيدته المشهورة :

أطلّ على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنها على الدهر حسناً أنها تتكرر

وقد أشار إلى هذا الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك ، مؤرخ الحركة الوطنية ، في كتابه عن المرحوم فريد بك ، فليراجعه من أراد التفصيل .

(المنصورة) **علي عبد الله**

تاريخ وفاة ياقوت

وبعد فقد قرأت الملاحظة الدقيقة التي أوردها الأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة في الصفحة ١١٧٠ من مجلة (الرسالة) الغراء لسنة ١٩٤٢ عن الشبهة التي تولدت لديه في تاريخ وفاة ياقوت الحموي بسبب ما جاء في الجزء (٩) والصفحة (١٩٨) من معجم الأدباء طبعة دار المأمون في ترجمة الحسن بن أبي المعالي من أن ياقوت الحموي لقيه ببغداد سنة ٦٣٧ وهو يخالف المعروف عن وفاة الثاني التي كانت في سنة ٦٢٦

وقد رجعت إلى كتاب معجم الأدباء طبعة مرجليوث على نفقة لجنة ذكرى جبّ فوجدته يذكر في الصفحة الأولى من الجزء الرابع في ترجمة الحسن المذكور ولقيته ببغداد سنة ٦٠٣ . ولذلك فإن نقل التاريخ المذكور إلى طبعة دار المأمون بزيادة ٣٤ سنة وجعله ٦٣٧ جدير بالاهتمام الذي أثارته في نفسي تلك الغلطة الغريبة

إلا أنه قد يكون الدكتور أحمد فريد رفاعي — كما قال في كلمة الإهداء التي بدأ بها الجزء الأول من طبعة دار المأمون — قد استفاد من نصيحة ناشر الكتاب الأول له أو من الصور الشمسية للصفحات التي تركت في الطبعة الأولى ووصلت إليه ، وأدرك وقوع الخطأ في تاريخ لقاء ياقوت بالحسن بن أبي المعالي المذكور فصححها على الصورة المتقدمة ، وهذا يعرفه هو ، وعليه إن شاء أن يثبته بالبرهان ؛ وإلا فإن تاريخ وفاة ياقوت ستظل كما هي مدونة في كتب التراجم سنة ٦٢٦ ولا عبرة لتاريخ وفاة الحسن المذكور الواردة في كتاب السيوطي لأنها ليست حجة على وفاة ياقوت

عبد الله مخلص

تجديد اللغة

لغتنا العربية لغة عميقة تتميز بسعة ومرونة وحسن انقياد ؛ ومن هذه الصفات استقامت لها قابلية المطاوعة ، فكانت أكثر اللغات كفاية . وليس أدل على ذلك من كثرة مشتقاتها ووفرة تعبيراتها ، مما لا يكاد المرء يعثر على نظير له في غيرها من اللغات . وحسبك أن ترجع إلى ما خلفه لنا أعلام الأدب العربي في ثنايا كتبهم وتضاعيف مصنفاتهم . من تعبيرات تترقرق فيها المعاني ، وتركيبات تتألق خلالها الأفكار ، لكي تتحقق من غناء هذه اللغة التي وصمت بالفقر وهي على قدر من الثراء كبير .

أجل إن لغتنا زاخرة بالمفردات والتعبيرات ؛ ولكنها فى حاجة إلى من يستخرج من تضاعيفها تلك الكنوز التى غبّرها الزمن فانقطعت بنا صلتها ، مع أنها إذا ما أزيح ما عليها من غبار ، عادت إليها جدتها ، فانفتح لنا مغلقها ، واتضح لنا غامضها . وليست هذه بمهمة هينة ، لأن القدرة على تصيد مثل هذه الألفاظ الشاردة ، وردها إلى حظيرة الاستعمال اللغوى بعد أن طال عهدها ، لا تتوافر لكل باحث لغوى ، ولا تتهيأ لكل منقطع إلى المطالعة . وإنما هناك نفوس طبعت على تذوق المعانى ، فلا تكاد تبدهها الجمل منثورة هنا وهناك ، حتى تضع يدها على الألفاظ السهلة التى صيغت فيها المعانى الكبيرة ؛ فإذا ما قصدت إلى الكتابة بادرت إليها تلك الألفاظ طائعة مختارة ، فترد على قلمها وكأنها جديدة ما عرفت النور من قبل !

من ذلك ما ورد فى مقال أستاذنا الأب أنستاس مارى الكرملى الأخير (الرسالة ١١ : ٤٩٧) فى العبارة التالية : « ونحن نورد لك نموذجاً مما قال ، وقد عثرنا عليه نَبَهاً » إذ نجد فى هذه العبارة كلمة سهلة سلسة ، قلما تدور على أقلام كتابنا ، على الرغم من أنها تعبر عن معنًى زعم قوم أنه لا سبيل إلى التعبير عنه إلا بالخروج على اللغة ! ومعنى كلمة « نَبَه » — كما جاء فى المخصص لابن سيده ، ج ١٣ ص ٧٣ — « الضالة توجد عن غفلة ؛ وجدته نبهاً أى من غير طلب ، وأضللته نبهاً أى لم أدر متى ضَلّ ... » وقد وردت هذه الكلمة فى بيت لذى الرُمة ، يصف فيه ظبياً قد انحنى فى نومه ، وهو قوله :

كأنه دُمْلُج من فِضّة نَبَهٍ
فى مَلْعب من عَذارى الحىّ مفصوم

وجاء فى لسان العرب : « النَّبَهُ الضالة توجد عن غفلة لا عن طلب ، يقال وجدت الضالة نبهاً من غير طلب ، وأضللته نبهاً لم تعلم متى ضل . وقول ذى الرمة كأنه دملج من فضة نَبَه وضعه فى غير موضعه ، كان ينبغى له أن يقول كأنه دملج فُقِدَ نَبَهاً ... »

والذى عندى أن قولنا : عثرت على الشىء نبهاً ، قول يؤدى معنى الوقوف على الشىء من غير طلب ، خاصته وقد جاءت كلمة « نَبَه » فأكدت معنى الالتقاء الذى يفيده « العثور على الشىء »[1] . فعسى أن يلقى هذا التعبير موافقة وقبولاً .

(مصر الجديدة) **زكريا ابراهيم**

إلى الأستاذ محمود عزت عرفة

نسبت إلىّ أيها الأستاذ أنى زعمت أن الرسول عليه الصلوات كان ممن يبدلون فى القرآن لفظاً بلفظ آخر يغايره فى معناه . ومثل هذا لا يصح منى أن أقوله أو أزعمه ، ولكن كثيراً من الناس يقرؤون ما كتبت فيصدقونه ، ولا يكلفون أنفسهم أن يرجعوا إلى ما كتبت أنا ، ليعلموا أنى لم أقصد إلا توجيه قراءات منزلة بسبب هدانى الله إليه ، وهو جدير بالتقدير من كل منصف . وقد قلت فى ذلك ـ فقضت رأفة الله أن يقرأ القرآن بما يحتمله من ذلك تيسيراً على المسلمين فى عصر الوحى الخ ـ فجعلت مرجع ذلك إلى الله تعالى ، لا إلى النبى ولا إلى أحد من خلقه ، ثم ذكرت أن النبى كان يعين أمثال تلك المواضع ابتداء أو بعد رجوع أصحابه إليه ، فقطعت بهذا كل لبس فى رأيى ، ولكن الناس يأبون إلا أن يحملوا كل جديد على خلاف ظاهره ، وعلى أسوأ ما يمكن أن يحتمله ولو بتكلف ، لأنهم يكرهون التجديد ويسيئون الظن بمن يدعو إليه .

وإنه لغريب أن تثير كلمتى فى اختلاف القراءات ما أثارته ، مع أنى أردت فيها بخصوصها أن أعرضها قبل نشرها على أخ لى من العلماء لا يتهم بالتجديد مثلى ، فأقرنى على نشرها ولم ير شيئاً فيها . أما أنك أيها الأستاذ لم ترد فى كلامك فيما رأيته من التصحيف على ما أورده السيوطي فهو التراجع بعينه ، ولعلك تذكر أيضاً أنك أضفت إلى ذلك قراءة ـ فتثبتوا ـ وهى قراءة سبعية متواترة .

عبد المتعال الصعيدى

---

(١) ورد فى « تاج العروس » : « العثور بالضم الاطلاع على أمر من غير طلب »

حديث الجهاد الأصغر والأكبر

جاء بالكلمة الثانية التي نشرها الأستاذ الفاضل محمد عرفه عن العيد في العدد ٤٩٥ « أن رسول الله (ص) قال وقد رجع من غزوه ، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعني جهاد النفس »

وهذا الحديث قال عنه الحافظ بن حجر : « إنه مشهور على الألسنة ولكنه من كلام ابراهيم بن عيلة » اهـ

وقد رواه الغزالي في كتاب الأحياء ولكن كم في هذا الكتاب من ضعيف وموضوع .

(المنصورة) **محمود أبو ريه**

من عجائب البريد

جناب السيد الجليل الأفخم صاحب مجلة « الرسالة » البهية طال بقاؤه :

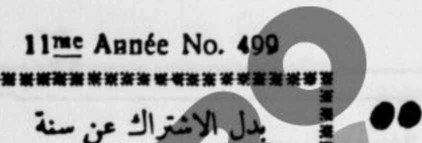
أحمد الله إليكم . وبعد فإنكم في العدد ٤٨٦ من السنة العاشرة لمجلتكم نشرتم مقالاً عنوانه (إلى المعترضين علينا) للأب أنستاس ماري الكرملي ، وأنا المقصود في قوله « المعترضين علينا » أو أنا أحدهم ، ولم ترسلوا إليّ عدداً لأقف عليه . وعدم إرسالكم عدداً يفسح لي أن أرفع عليكم دعوى في محاكم مصر الجزائية وأطالبكم بما يعدّه القضاء السوري « عطلاً وضرراً » والآن أرسل إليكم ردًّا بالبريد المسجل وأصبر شهراً عليكم لنشره ، فإذا لم يكن منكم رضى بنشره سأقصد مصر وأداعيكم لدى قضائه العادل . إني أعمل بمقتضى الشرع السوري وأحسب أنه شرع مصر أيضاً . وأنتظر شهراً لجوابكم على كتابي هذا وقد أعذر من أنذر .

الداعي

دمشق / ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٤٢ **أمين طاهر خير الله**

(الرسالة) : ألقى إلينا البريد هذا الكتاب فأحببنا أن يطلع قراؤنا عليه ليتفقهوا أو يتفكهوا ، فإن للأساتذة اللغويين في بعض الأحيان جداً يشبه الهزل . أما الرد المسجل فكله على هذا النحو من المنطق ؛ وأربعة أخماسه في شرح (النقطة القانونية) التي سيبني عليها الأستاذ رفع دعواه . فرأينا من التكرمة لرجال الأدب ألا ننشره .





11me Année No. 499

Lundi - 25 - 1 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٩٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

ضحــك كالبكى

للأستاذ عباس محمود العقاد

الضحك فى صورته الجسدية تنفيس عن الجسد المكظوم

ذلك معناه الحرفى كما تراه رأى العين . فالضحك فى صورته الجسدية حركة متتابعة فى الصدر والحلق والفم يكثر بها تجدد الهواء فى الجسم المكظوم ، فيشعر على أثر هذه الحركة بطلاقة بعد حبس ، وفرج بعد ضيق

وخليق بهذه الحقيقة المحسوسة أن تقودنا إلى عرفان معنى الضحك من الوجهة النفسية ، أو من الوجهة الفكرية

فهو أيضاً تنفيس عن النفس المكظومة ، أو الفكر المكظوم ، وهو تعويض للحرية الضائعة ، والطلاقة المحدودة

ولهذا تكثر الحاجة إليه فى أيام الاستبداد

ولهذا تشتهر الأمم التى طالت فيها عهود الاستبداد بكثرة التنكيت ، وشيوع النوادر المضحكة بين أبنائها

وربما كان هذا مرجع الشهرة التى اشتهر بها المصريون فى طوال العصور الغابرة ، حين كانوا يُبتلون بالدولة الطاغية بعد الدولة الطاغية ، تنالهم بالعسف والجور ، وينالونها بالنكات والنوادر ، فإذا هم يلوذون من الضحك بدرع تعينهم على الصبر وسلاح يعينهم على الانتقام .

***

وللاستبداد موقفان متناقضان من الضحك والضاحكين

فالمستبد المسيطر على الناس بالجبروت والطغيان يريد أن يهولهم وينزل منهم فى منزلة القداسة والتنزيه ، فلا يحب أن يصبح بينهم عرضة للضحك ، ولا أن يجترئوا عليه بالعبث والاستهزاء ، ولو من وراء ظهره

ولكنه يعلم أنه يضيّق عليهم الخناق ، وأنه يلجئهم إلى التنفيس عن صدرهم بوسيلة من الوسائل ، ولو على حسابه كما يقولون إن لم تكن ثمة وسيلة أخري . ولهذا قيل إن الزعماء النازيين — وفي مقدمتهم هتلر — يقربون إليهم فئة من المضحكين والمتندرين يسمعون منهم نكات الجماهير وفكاهات العامة والخاصة ، ويجتهدون مع هذا فى تحويل النكات والفكاهات عنهم ما استطاعوا ، ليضحك الشعب ويحتفظ الحكام المستبدون بهالة الرهبة والوقار فى وقت واحد

ولست أذكر أن أصحاب الدعوة النازية غضبوا لشىء قبل الحرب كغضبهم لقول الخصوم عن الشعب الألمانى إنه شعب محروم من ملكة الفكاهة ، وأنه لا يعرف الضحك والسخرية ، وإلا لما طال صبره على المظاهر الحكومية التى هى أدعى الأشياء إلى الضحك والسخرية !

فقد أثارت هذه التهمة غضب جوبلز وتلاميذه فأوعزوا إلى الصحف الناقدة عندهم أن تقيم الدليل على بطلانها ، وراحت هذه الصحف تعقد المباريات لأصحاب النوادر والتعليقات الفكاهية وتغريهم على الظهور تارة بالتنويه والثناء ، وتارة بالجوائز والمكافآت . وكانت البدعة الشائعة فى تلك الأيام بدعة تقصير الملابس والإفراط فى التجرد بين النساء الأوربيات ومنهن الألمانيات ، فانهال المتندرون على هذه البدعة بالتنكيت والتسخيف واتخذوها هدفاً للمباريات والمسابقات . وأذكر من نوادرهم فى ذلك نادرة لا بأس بها فاز صاحبها بإحدى الجوائز الأولى ، وهى أن رجلاً دخل المنزل فرأى امرأته فى كساء جديد يشبه أكسية الحمام فى القصر والخفة ، فبادرته قائلة : ألا تعلم يا فلان أننى ظفرت بخائط يبيعنى الكسوة التى أحتاج إليها بالتقسيط ؟

فنظر إليها حانقاً وقال : « وأظن هذا هو القسط الأول من الكسوة ؟ ... »

واعتقد الدعاة النازيون أنهم أبطلوا تهمة خصومهم بجملة هذه النكات ، وأثبتوا للشعب الألمانى ملكة الفكاهة التى ينكرها عليه المنكرون

على أن الواقع — بنجوة من المفاخرات القومية والخصومات السياسية — أن أبناء الحواضر فى ألمانيا لا تفوتهم النكتة اللاذعة ، ولا تخلو تعليقاتهم على الحكام والنظم الحكومية من الفكاهة الصادقة ، وإن لم يبلغوا فيها شأو أبناء العواصم الأخرى كفينا وموسكو ولندن وباريس

ويغلب على اعتقادنا أن الصرامة النازية قد شحذت هذه الملكة ولم تقتلها ، لأن هذه الصرامة تلجئ الناس إلى التنفيس عن صدورهم بالنكات والفكاهات ، وكل ما هنالك أنها لا تنطلق على الألسنة ولا فى الصحف كما تنطلق فى البلدان التى تملك القول والنشر ولا تبتلى فيهما بالحجر الشديد

وقلما خرج من برلين — أو من ألمانيا على العموم — صحفى أو ناشر أو مذيع من الذين أقاموا فيها أيام الحرب إلا جاء معه بجعبة حافلة بالنوادر والفكاهات التى يتهامس بها أبناء برلين وميونيخ وغيرهما من الحواضر الكبرى

أحد هؤلاء وليام شيرر William Chirer الذى كان يذيع من ألمانيا لمحطات الإذاعة الأمريكية المعروفة باسم «اتحاد كولمبيا» وقضى فى أواسط أوربا سبع سنوات ثم غادرها بعد أن ضاقت به الحال وتعذر عليه أن يبلغ سامعيه شيئاً يستحق عناء التبليغ ضاقت به أسباب الإذاعة لأنهم كانوا يحذفون معظم كلامه أو يحذفون كلامه كله فى بعض الأيام ، وكانوا إذا حذفوا كلامه كله خشوا أن يعزو السامعون ذلك إلى شدة الرقابة على الأنباء فاعتذروا عنه بغير علمه قائلين : إنه لا يذيع الليلة لأنه تأخر عن الموعد ! ولم يقولوا إنه لا يذيع لأن الكلام الذى أعده للاذاعة قد حذف كله ، أو لم يبق منه ما يستغرق الوقت المقدور لأنبائه

وحاول فى بداية الأمر أن يعالج ذلك بما فى وسعه فأقلع عن الصراحة ما استطاع وتعرّض منها بالتلميحات والإشارات وتحميل اللهجة شيئاً من معانى السخر أو التوكيد أو الإيحاء . فما راعه ذات يوم إلا رقيب يلازمه ويشير على بعض الكلمات بالمداد الأحمر، ويقيس الفواصل بين جملة وجملة فى أثناء الإلقاء حذراً من أن يكون المتكلم قد أراد بطول السكوت أن يلفت السامعين إلى أطواء كلامه السابق أو المقبل . فلما استحال عليه أن يقول كل ما يريد ، وأن يقول بعض ما يريد ، وأن يقول بالإشارة والسكوت ما يستحق أن يقال ، لم يجد بداً من الرحيل ، فرحل وفى ذاكرته وأوراقه جعبة من الخواطر والحواشى والتعقيبات

تنبئ العالم بأضعاف ما كان ينبئهم به فى أحاديثه ورسائله ، وضمنها جميعاً كتاباً من الكتب النادرة فى تاريخ الحرب الحاضرة ، فما انقضى على صدوره عام واحد حتى كان قد أعيد طبعه ثمانى مرات

فى هذا الكتاب طرَف من فكاهات أهل برلين وفكاهات الموقف هنالك على الإجمال ، تدل على أن الإنسان فى إبان الخطر يحتاج إلى منفس الفكاهة – إلى الضحك – حاجة لا يبالى معها بالموت أو العذاب ، لأنها حاجة فردية شعبية لا حيلة فيها للحرب وضروراتها ولا للسطوة وطغيانها . فلا بد من التنفيس أو الانفجار

قال فيما رواه من تلك النوادر إن مدير مصلحة الوقاية نصح إلى الناس أن يبكروا بالنوم أول الليل قبل موعد الطائرات المغيرة . فكان أناس منهم يستمعون نصحه وأناس يؤثرون السهر وانتظار الموعد وهم أيقاظ

فإذا انطلقت زمارات الإنذار أقبل اللاجئون إلى المخابىء يحيي بعضهم بعضاً بمختلف التحيات

أسعد الله صباحكم ! ... تلك تحية الذين بكروا بالنوم فلما استيقظوا تبادلوا التحية التى تعودوا أن يتبادلوها عند اليقظة

أسعد الله مساءكم ! ... تلك تحية الذين لم يناموا بعد ، فهم يتبادلون تحيات الساهرين فى المساء

هيل هتلر ! ... تلك تحية الذين ناموا من أول الحرب ، ولا يزالون نائمين ...

وقال إن أهل برلين يزعمون أن هتلر وجورنج وجوبلز ركبوا طيارة فسقطت وهلكوا ... ومن الذى نجا ؟ ... الشعب الألمانى

وربما كانت فكاهة الموقف أدعى إلى السخر من الفكاهة التى يخترعها المخترعون

فمن ذلك ما سمعه المراسل من بعض أهل « كولون » وأكد صدقه ، وهو عجيب لولا أن الحروب لا تخلو من عجيب

قال : إن الكساوى الرسمية قد كثرت فى البلاد الألمانية أثناء الحرب حتى تعذر التمييز بينها

فمن ذلك أن ضابطاً من سلاح الطيران البريطانى تلكأت به طيارته على مقربة من كولون فهبط على الأرض ودخل إلى المدينة يائساً من النجاة لتسليم نفسه ، وتوقع أن يقبض عليه الشرطة أو من يصادفه من رجال الحكومة فلم يقبض عليه أحد ممن رأوه ، بل كانوا يقفون له ويتلقونه بالتحية ويخلون له الطريق فاطمأن بعض الاطمئنان

وكانت معه ورقات من عملة النقد الألمانية يحملها الضباط الطيارون عادة كلما حلقوا فوق ألمانيا ، فخطر له أن يمضى بعض الوقت فى دار للصور المتحركة ريثما يتفق له ما هو مقدور له من الاعتقال أو النجاة

فطلبت منه العاملة نصف الأجر المكتوب على التذكرة ، لأنه يلبس الكسوة العسكرية

ثم خرج من دار الصور إلى حيث سلم نفسه إلى ديوان الحكومة ، وذكر لهم أنه أمضى بعض الوقت فى المدينة ولم يقبض عليه أحد . فلما سألوا عاملة التذاكر فيمن سألوه : هل بعت هذا الرجل تذكرة لحضور الصور المتحركة هذا المساء ؟

قالت نعم . وبنصف الأجرة مع السرور ، لأننا لا نظفر فى كل ليلة برجل من سلاح هتلر الممتاز !

ذلك أن الضابط كان يحمل على كتفه هذه الحروف الثلاثة :

« س . هـ . م » أى سلاح هوائى ملكى ... ففهمت العاملة وفهم السابلة معها أن الحروف اختصار لسلاح هتلر الممتاز ، وهو أحق الأسلحة عندهم بالتوقير ، وأندرها فى أطراف البلاد !

إن صحت هذه القصة فهى من فكاهات القدر ، وعندما تجب الفكاهة على الناس لا تندر بينهم فكاهة الأقدار

ولكنه ضحك كالبكى

وصدق ابن الرومى حيث قال :

إن من نابه الزمان بخطب لأحق امرىء بأن يتسلى

ومن كان فى وسعه تسلية الفكاهة ، ففى وسعه من التسلية كثير .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي

٣ – ديوان حافظ إبراهيم

للدكتور زكي مبارك

فن جديد ابتكره حافظ — هجريات حافظ — الشعر السياسي قبل الاستقلال — عبقرية حافظ في مقاومة الاحتلال — الشاعر المظلوم — بقية القول

فن جديد ابتكره حافظ

لم تكن المواسم الدينية ملحوظة في الشعر العربي على نحو ما نرى في هذا العهد؛ فقد كان يتفق أن يهنئ الشعراء ممدوحيهم بقدوم شهر الصيام وحلول العيدين. وتفرد الشيعة بإقامة المآتم يوم عاشوراء بكاء على الحسين

وما أذكر أن الشعراء كانوا يهتمون بالعام الهجري فينظمون القصائد في استقباله، كما كانوا يصنعون في استقبال النيروز، وإنما هي سنة حسنة نشأت في مصر منذ نحو ثلاثين عاماً. سنة دعا إليها فريق من شباب الحزب الوطني وعلى رأسهم «إمام واكد»، وقد استطاع أولئك الشباب أن يحملوا الحكومة على جعل اليوم الأول عطلة رسمية، وهي الفرصة التي أتاحت لحافظ أن يبتكر هذا الفن الجديد

وإنما أعد هذا ابتكاراً من ناحية الالتزام، وأعني أن حافظاً جعل هذا الفن من الفنون الموسمية، فكان يستقبل هلال المحرم بقصيد جديد. ثم عصفت الحوادث فشغلت مصر عن الاحتفال بعيد الهجرة عدداً من السنين، وتناسى حافظ واجبه فلم يقل في عيد الهجرة شيئاً يذكر بالعهد الذي انتفع به في صباه يوم كان قيثارة الحزب الوطني

ثم كان التوجيه الجميل الذي صدر من قلب الملك الشاب فاروق ابن فؤاد، التوجيه الذي يوجب أن تحتفل الحكومة المصرية احتفالاً عاماً تظهر آثاره في جميع البلاد، وتُطلَق فيه المدافع، وترن أصوات الموسيقا في الحدائق والبساتين، وتمد فيه دفاتر التشريف بقصر جلالة الملك، ويتبادل فيه الناس التهاني بأسلوب لم يألفوه قبل هذا العهد

المهم هو النص على هذه الظاهرة الجديدة في الحياة المصرية لنعرف متى ابتدأ الشعراء هذا الفن الجديد، راجين أن تكون لهم تحليقات يفوقون بها مبتكر هذا الفن الجديد

هجريات حافظ

ولكن ما طريقة حافظ في تلك الهجريات؟

لا تظنوها قصائد دينية يبين فيها الحكمة من هجرة الرسول — وإن ألمع إلى شيء من ذلك — وإنما هي قصائد يسجل بها حوادث العام الماضي ويسطر فيها ما يرجو في العام الجديد، ومن أجل هذا يستبيح الهجوم على هلال العام السابق إن أخلف الرجاء، كأن يقول في هلال سنة ١٣٢٧

هللت حين لمحت نور جبينه ... ورجوت فيه الخير حين تألقا

وهززته بقصيدة لو أنها ... تُليت على الصخر الأصم لأغدقا

فنأى بجانبه وخص بنحسه ... مصراً وأسرف في النحوس وأغرقا

لو كنت أعلم ما يخبّئه لنا ... لسألت ربي ضارعاً أن يُمحقا

وبهذا تجرد هلال المحرم عند حافظ من حليته الدينية، واحتفظ بصبغته الزمانية، فهو بدء مرحلة جديدة من مراحل التاريخ يسعد بها قوم ويشقى بها أقوام

وهجريات حافظ تمثل اتجاهات الرأي العام المصري في الوقت التي قيلت فيه، وتدلنا على أن المصريين كانوا يسايرون الحوادث في الأقطار العربية والإسلامية، فهم يعرفون أشياء من أحوال الترك، وأشياء من أحوال الفرس، وأشياء من أحوال الأفغان، وعندهم أخبار عن الجزائر ومراكش وجاوة والهند، ويتأثرون بما يقع في تلك الأقطار من حوادث وخطوب. ومراجعة الرائية والقافية تؤيد ما نقول. ولنقرأ معاً هذه الأبيات في الموازنة بين حال الترك وحال الفرس عام ١٩٠٨

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منًى ... وما بدَّلوا في المشرقَيْن وغيَّروا

وإن لم يقم إلا نيازى وأنورٌ ... فقد ملأ الدنيا نيازى وأنور

تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجا ... سيوفاً وجدُّوا جدهم وتدبروا

سلوا الفرس عن ماضي أياديه عندهم ... فقد كان فيه الفرس عمياً فأبصروا

جلا لهم وجهَ الحياة فشاقهم ... فباتوا على أبوابها وتجمهروا

ينادون أن مُنّى علينا بنظرةٍ ... وأحيي قلوباً أوشكت تتفطر

والشاعر يطيل القول في فوز الترك بالدستور، وحرمان

الفرس من الدستور . فإذا حال الحول وجاءت تحية العام الجديد كانت الفرس ظفرت بالدستور ، وكان على الشاعر أن يقول :

أولى الأعاجم منّةً مذكورةً وأعاد للأتراك ذاك الرونقا
وتغيرتْ فيه الخطوب بفارسٍ حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا

ثم يلتفت الشاعر فيرى مصر لم تظفر بشيء ، لا بالدستور ولا بالاستقلال ، وفى ذلك العام نُفِّذ قانون المطبوعات فقُصِّصَتْ أجنحة الجرائد المصرية ، وجاز للشاعر أن يقول :

فتقيدت فيه الصحافة عنوةً ومشى الهوى بين الرعية مطلقا
كانت تواسينا على آلامنا صُحُفٌ إذا نزل البلاء وأطبقا
كانت لنا يوم الشدائد أسهماً نرمي بهـا وسوابقاً يوم اللقا
كانت صِماماً للنفوس إذا غلت فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا
كم نفّستْ عن صدر حرٍّ واجدٍ لولا الصمام من الأذى لتمزّقا
مالى أنوح على الصحافة جازعاً ما ذا ألمّ بها وما ذا أحدقا
قصّوا حواشيها وظنوا أنهم أمِنوا صواعقها فكانت أصعقا

ثم يتكلم عمـا وقع فى ذلك العام من محاولة تجديد امتياز قناة السويس ، وهى محاولة أثارت الجمهور المصرى فى سنة ١٩١٠ ، ثم يوجه القول إلى الشبان :

لا تيأسوا أن تستردّوا مجدكم فلربّ مغلوبٍ هوَى ثم ارتقى
مدّت له الآمال من أفلاكها خيط الرجاء إلى العُلا فتسلقا
فتجشّموا للمجد كل عظيمة إنى رأيت المجد صعب المرتقَى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها سـببـاً إلى آماله وتعلقـا
عارٌ على ابن النيل سبّاق الورى مهما تقلب دهره أن يُسبَقا
أوَ كلمـا قالوا تجمّع شملهم لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا

إلى آخر ما قال من هذا النصح الثمين .

الشعر السياسى قبل الاستقلال

سياسيات حافظ وقعت فى عهد الاحتلال ، السياسيات التى جعلته شاعر النيل ، أما سياسياته بعد إعلان الاستقلال فهى مشوبة بالضعف ، لأنه كان تعب من النضال ، ولأنه كان استراح إلى مطارحة الأحاديث فى الأندية والبيوت والقهوات

فمـا سياسيات حافظ فى عهده الأول ؟

كان يشارك الجمهور المصرى فى مقاومة الاحتلال بعبارات هى الغاية فى صدق الوطنية ، ولـكنه كان يقول كلاماً نعدّه اليوم من الكفر بالوطنية ، فقد كان يطالب المحتلين بإصلاح البلاد ، ويدعوهم إلى التحرز فى اختيار الوزراء ... أليس هو الذى يقول فى مخاطبة السير جورست :

إذا ما شئت فاستوزر علينا فتًى كالفضل أو كابن العميد
ولا تُثقِل مطاه بمستشار يحيـد به عن القصد الحميد

ولم يفت حافظاً أن يدعو جورست إلى إنشاء الجامعة المصرية فيقول :

وأسعدْنا بجامعـةٍ وشيّدْ لنا من مجد دولتك المشيد
وإن أنعمتَ بالإصلاح فابدأ بتلك فإنهـا بيت القصيد

وقد أخطأ شارحو الديوان حين قالوا إن الجامعة المصرية لم تكن أُنشِئت بعدُ ، فقصيدة حافظ فى استقبال جورست نُشرت فى وقت كانت فيه الأمة استمدت بقوتها الذاتية إلى إنشاء الجامعة المصرية ، كما يشهد التاريخ الذى سنسطره بعد حين .

عبقرية حافظ فى مقاومة الاحتلال

لن نغفر لحافظ أنه استنصر بجورست فقال :

تَدارَكْ أمةً بالشرق أمست على الأيام عاثرة الجـدودِ
وأيّدْ مصر والسودان واغنمْ ثناء القوم من بيضٍ وسود

فهذا كلامٌ لا نقوله اليوم ، ولن نقوله بعد اليوم ، لأنه كلامٌ لا يقام له ميزان

ولـكنّ حافظاً له عبقرية فى مقاومة الاحتلال لم نجدها عند غريمه شوقى ، فما تلك العبقرية ؟

إنها تتمثل فى هذا البيت الطريف :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذّبتْ حواشيه حتى بات ظُلماً منظّما

وتتمثل فى الأبيات التى نص فيها على تدريس العلوم باللغة الإنجليزية فى المدارس الثانوية إضراراً باللغة العربية ، وتتمثل فى قصائده في وصف مأساة دنشواى ، وهى مأساة لم تغب فجائعها عن الإنجليز أنفسهم ، فسمموا صوت الزعيم الوطنى « مصطفى كامل » ، ونقلوا لورد كرومر إلى حيث لا يريد . وسيقول التاريخ إن أول صوت قَرَع سمع الاحتلال هو صوت المنوفية روضة البحرَيْن وزينة الوجود .

الشاعر المظلوم

هو حافظ إبراهيم الذي نحاكمه ظالمين ، الشاعر الذى صرخ فقال :

إلى من نشتكي عنت الليالي إلى (العباس) أم (عبد الحميد)
ودون حماها قامت رجالٌ تهددنا بأصناف الوعيد

وكان هذا الاتهام ينشر بطريقة علنية فى الجرائد المصرية ، فكان شاهداً على خمود حاسة العدل هنا وهناك

ومما يُشرّف الجيل الحديث أن نصرّح بأنه استطاع فى عهد الشدة مالم يستطع أسلافه فى عهد الرخاء ، فمصر التى كانت تقاوم الاحتلال وهى مؤيدة بالدولة العلية ، لم تكن أقوى من مصر التى تقاوم جميع المكاره وهى مؤيدة بقوتها الذاتية

بقية القول

سياسيات حافظ ليس فيها كذبٌ ولا رياء ، فقد عرفتُ من مسالك حافظ أنه لم يكن ينشر قصيداً إلا بعد أن يعرضه على جميع من يصادف من رجال السياسة والبيان ، فشعره صورة صحيحة لزمانه ، وهو زمان جمع بين الغرائب فى الأفهام والأذواق ، وكذلك تكون الأزمان التى تُمهدُ الأمم للنهوض والتحليق

مداراة حافظ للاحتلال لون من السياسية الوقتية ، أما ضمير حافظ فهو ضمير الوطنى الصادق ، ضمير الشاعر الذى يدرك فى سريرة وطنه ما يدرك سائر الناس . أليس هو الذى أنبأنا أن مصر قالت :

وقف الخلقُ ينظرون جميعاً كيف أبنى قواعد المجد وحدى
وبناة الأهرام فى سالف الدهـر كفونى الكلام عند التحدى
أنا تاج العلاء فى مفرق الشر ق ودرّاته فرائد عقدى
أى شىء فى الغرب قد بَهَر النا س جمالاً ولم يكنْ من عندى
فترابى تبرٌ ، ونهرى فراتٌ وسمائى مصقولة كالفِرندِ
أينما سرت جدول عند كرم ، عند زهرٍ مدنّرٍ ، عند رند
ورجالى لو أنصفوهم لسادوا من كهول ملء العيون ومُرْد
لو أصابوا لهم مجالاً لأبدوا معجزات الذكاء فى كل قصد
إنهم كالظُّبا ألحّ عليها صدأ الدهر من ثواء وغمد
فإذا صيقل القضاء جلاها كن كالموت ما له من مردّ
أنا إن قدر الإله مماتى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

ما رمانى رامٍ وراح سليماً من قديمٍ عناية الله جُندى
كم بغت دولة علىّ وجارت ثم زالت وتلك عُقبى التعدى

وتلك قصيدة نفيسة أحب أن يلتفت إليها من يستعدون لمسابقة الأدب العربى ، فقد يسألون عنها يوم الامتحان

فى تلك القصيدة قال حافظ أبياتاً فى تصوير الأخلاق التى ترفع الشعوب ، وفيها أبياتٌ صوّر بها حافظ ما بيننا وبين الغرب من صلات ، فقد أنبأنا أن مصر أوصت أبناءها فقالت :

إن فى الغرب أعيناً راصداتٍ كحلتها الأطماع فيكم بِسهد
فوقها مِجهرٌ يُريها خفايا كمْ ويَطوى شعاعه كل بُعد
فاتقوها بجُنَّةٍ من وئام غير رثّ العُرا وسعىٍ وكدّ

وهذا القصيد موصول المعاني بالقصيد الذى قال فيه :

ـ أبناؤنا وهمُ أحاديث الندى ـ ليسوا على أوطانهم بشِحاح
صبروا على مُرّ الخطوب فأدركوا حُلو المُنَى معسولة الأقداح
شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل يغزوه ربُّ عوامل وصِفاح
الصبر إن فكرت أعظم عُدّةٍ والحق لو يدرون خير سلاح

وفى القصيد السالف حدثنا حافظ أن الصبر هو عُدّة من نطالبهم بالجلاء .

خُلُق الصبر وحده نصرَ القو مَ وأغنَى عن اختراع وعَدّ
شهدوا حومة الوغى بنفوس صابرات وأوجه غير رُبد
فمحا الصبرُ آيةَ العلم فى الحر ب وأنحى على القوىّ الأشد

وهذا أعظم ما قيل فى الإنجليز ، فما كانوا أذكى من الفرنسيس ولا أعلم من الألمان ، وإنما اعتصموا بالصبر الجميل فظفروا بما ظفر به العرب القدماء

ثم ماذا ؟ ثم بقى القول عما نظم حافظ فى المراثى وفى شكوى الزمان ، وأهمية هذين البابين أهمية ثانوية بالقياس إلى باب السياسيات .

إدرسوا سياسيات حافظ بعناية لتفوزوا ، جعلكم الله جميعاً فائزين .

زكى مبارك

هذا العدد

هذا العدد لا يقع إلا فى أيدى المشتركين . أما سائر القراء والمتعهدين فى مصر وفى غير مصر فنعتذر لحضراتهم أننا لم نجد فى وزارة التموين ولا فى السوق ورقاً للرسالة بأى وسيلة . وقد وعدتنا الوزارة أن هذا العسر لن يطول . فإذا حقق الله هذا الوعد فسنعيد طبع هذا العدد لنكفى جميع القراء . والله وحده المسئول أن يرفع عن الصحافة والأدب هذا البلاء .

مطالعاتي حول المرأة

الفنانون والمـــال

للأستاذ صلاح الدين المنجد

يذهب دافنيل D'Avenel في كتابه عن « تاريخ الملكية الاقتصادي ... » أن العمل الفني الذي أخرجه أناس مجهولون أوتي، منذ القرن السابع عشر، ربحاً يعادل ثلاثة أضعاف الربح الذي قدر للآثار الفنية الرائعة التي أبدعها فنانون عباقرة عرفهم الناس فسار اسمهم، وشردت روائعهم في كل مكان

أفيكون للمال الذي يربحه الفنان، والرواج الذي يُقَدَّر لآثاره وروائعه، أثر في قريحته ونبوغه؟ أيدب اليأس في نفسه عند رؤيته الغث يروج وينفق، والحسن يكسد ويهمل؟

هذا الأثر، كما أعتقد، يظهر في عدد المؤلفات، وفي شكل الآثار عند من يبتغي المال، ويتخذ الفن سبيلاً له، ويبدع، إن أبدع للسوقة لا للخواص

لا جرم أن هناك فنانين ذوي اقتصاد أو بخل أو تقتير، وأن هناك آخرين ذوي سرف وترف وتبذير، وأن فيهم جميعاً من يحب المال ويسعى إليه؛ ولكن ذلك كله لا يؤثر في عبقرية الفنان فيشلها أو يعلها. لقد كان من المقترين الموسيقي الإيطالي « باليسترينا Palestrina »، وفيكتور هوغو، وميكيل آنج... وكان من المبذرين موزار، ولامرتين، ورامبراند... ولكن لم نر أن حبهم للمال أو تقتيرهم فيه أو حرصهم عليه، كان سبباً في خصب قرائحهم أو جدبها؛ لأن الحقيقة هي أن هؤلاء، ونعني الفنانين الموهوبين، سواء أمبذرين كانوا أم مقترين، يجدون في الفن حاجة لا يتحولون عنها، لأن فيها متعة ولذة. فهم لا يعملون، كل في فنه، ابتغاء المال، لكن إرضاء لأنفسهم. إذ ليس لهم سبيل إلى الصدوف عن الفن؛ فهم يعملون للفن، كما يعملون، بقدر، للحياة. يتطلعون كما يبصرون، ويشعرون كما يأكلون؛ ويصورون كما ينامون... فإذا أشبعوا نفوسهم الجياع ورووا أرواحهم الظمآء بإبداع متع الفن الخالدات... تطلعوا إلى المال. فخاسة الفن، هي غير الرغبة في المال، لأن الرغبة في المـال حاسة تساعد الفن، فما هي بالتي تبدع وتخلق، ولكنها تدفع وتهيج

وقد يكون من النزوع عن جدد العقل أن نقدر قيمة مؤلف من التواليف، أو أثر من الآثار، بما يقدم لصاحبه من الأموال. فقد يخرج الفنان آية من آيات الفن تتجلى فيها العبقرية والنبوغ والسمو، فلا يقدَّر لها النجاح، ولا يقدِّم لصاحبها إلا فلوس غير كثار؛ وقد يخرج متأدب، من الأدب السوقي، ما يوافق عقل العامي ويطابق هواه... فينال النَّفاق والرواج. ولقد ربح كورنيل الكبير من مسرحيتيه « آتيلا Attila » و « تيت وبيرينيس Tite et Bérènice » ما لم يربحه من « السيد Cid » أو « هوراس Horace » فقد نال في كل منهما ما كان يعادل في القرن الحالي سبعة آلاف من الفرنكات. وهذا مبلغ في القرن السابع عشر، عظيم. رغم أن هاتين المسرحيتين لم تبلغا ذروة الفن. ونال « توماس كورنيل » من مسرحيته « تيموقراط Timocrate » ما يفوق هذا المبلغ، من أن توماس كان لا يجاري أخاه كورنيل الكبير في البراعة. وكانت الآثار التي جلبت لرسّو الأموال، هي آثاره التي نسيها الناس في هذه الأيام. فلقد مهد معجمه الموسيقي Dictionnaire de Musique السبيل للمال ليصل إلى جيبه. وربح هوغو من البائسين Miserables أربعمائة ألف فرنك؛ وما كانت بأروع آثاره. وقد أوتي الروائي الفرنسي « أوجين سو E. Sue » هذا المبلغ من كتابيه « خفايا باريس » و « اليهودي التائه Le Juif Errant » وتخطاه ربح « بونسون دتيراي Ponson de Terrail » من كتابه « روكومبول Rocombole »

فمن أراد الفن لا يحفل المال. ويقول الدكتور لالو Lalo إذا أردت أن تعيش عيشة طيبة فاكتب وريقات، وميلدرامات

وضع للتمثيل الموضوعات ... أما إذا أردت أن تخدم الفن ، وتخرج رائعات فاتنات، فاعزف عن العيش الناعم، والمال الكثير. فإذا كان عيشك الساذج آنئذ مترعا بالفن والجمال ، فإنه لعيش لا يقدر عليه من البشر غير أفراد قلال .

وقد يخشى أن يسفل الفن إذا سعى وراء المال . ويقول « برودون Proudhon » في كتابه « Majorats Litteraires » « ليس لدينا في مكان الأدب والفن ، غير صناعة مقدرة لخدمة الترف العامل على الفساد والخراب » ولقد احتج على الملكية الفنية وحقوق الفنانين في القرن الحالي ، وقال إنه ليس من يكتب للفن ، وليس من يبدع للفن ، فهم جميعاً يبتغون التجارة ؛ ويساعدون بما يكتبون على فساد البلاغة ... وخراب الروح .

وكان « شارل نوديير Ch. Nodier » الروائي المعروف ، يحسب عند ما يكتب ، أن كل ثماني كلمات تؤلف سطراً ، وأن السطر ثمنه فرنك واحد... وقد عللوا وفرة حروف الاستفهام والتعجب عند أبطال « دوماس الكبير » في رواياته كقولهم « أوه ! » أو « آه !... » أو « آيه ! » بأن ثمن السطر كان فرنكاً ونصف فرنك ؛ وهذه الحروف كانت تحسب في السطر من الكلمات التسع .

وقد لاحظ النقادة الفرنسي « سانت بوف » هذا فقال : « إذا كنت تجد عند مؤلف بارع كهذا (يعني دوماس الأب) جملاً فارغة جوفاً ، فذلك لأنه قد اعتاد منذ الصبا ، أن يشوه جمله ، فيضع أقلَّ ما يكون من الفِكَر في أكثر ما يكون من الكلمات ... » وما ذاك الإسهاب إلا لإكثار عدد السطور ، وإكثار عدد الفرنكات .

فبرودون يغضب ويثور ، لأن الفن لا ينبغي أن يصبح سلعة يلتمس من ورائها المال فتبتذل ، ولكن يجب أن يبقى متعة يلتمس فيها الجمال والخلود .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

أهمية دراســـة التاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

« أنشودة الزمن خلدت فى ذاكرة الناس » هذا ما ألفاه شاعر فى التاريخ . وما يجده الشاعر فى قراءة التاريخ لا يختلف كثيراً عما يجده الفيلسوف أو المؤرخ . فالفيلسوف يجد فى التاريخ طرائق متعددة للحياة الإنسانية ، ويسمع فيه صوتاً خالداً يردد قوانين الحق وأصداء الباطل ، ويدرس فيه الفلسفة دراسة الواقع . وأما المؤرخ فيجد متعته فى الوصول إلى الحقيقة ، وذلك بدراسة الآثار والوثائق التى خلفتها الإنسانية فى مناحيها المادية والروحية .

ويتساءل المؤرخون فيما بينهم عن موضوع علم التاريخ . هل التاريخ سيرة الملوك والأمراء ، أم هو سيرة الشخصيات الكبيرة والأبطال الذين قادوا الأمم وغيروا مجرى حياة الشعوب ؟ هل التاريخ قصة لحياة طبقة دون سواها ؟ هل التاريخ دراسة للناحية السياسية فحسب ، أم هو شامل للنواحى الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والفنية للحياة الإنسانية ؟ ولعل الرأى الذى يقول بأن التاريخ يبحث فى حياة الإنسان فى الماضى من كل نواحيها وفى تطورها ونموها أقرب إلى الحقيقة . ولكننا نرجع فنجدد دراستنا للحياة الإنسانية بالمدة التاريخية ، وهى المدة التى وجدنا لها آثاراً ومخلفات نستطيع الاعتماد عليها والوثوق بها . فالتاريخ يعرض أمامنا ثمرات العقل الإنسانى والعاطفة الإنسانية من أدب وعلم وقوة ودين ، يرينا ما مرت به الدول والشعوب والطبقات والأفراد من محن ومصاعب وما سمت إليه من مجد وعظمة : هو يوضح لنا التطور السياسى والاجتماعى والفنى .

شعر الناس منذ القدم بما للتاريخ من قيمة ، فعنوا بدراسته وسارعوا إلى تدوين أخبار الإنسانية على صفحات الذاكرة ، ثم على مبانيهم ومنشآتهم ، ثم سجلوها فى كتبهم ، وهم يحسون بضرورة صيانة تراث الآباء والأجداد . على أن قيمة هذه الأخبار تتباين فى أنظارهم بتباين الزمان والمكان ، فحينما كان التاريخ قصصاً يختار الرواة من حوادثه ما يبهرهم ويثير إعجاب الجمهور كانت قيمته فى التسلية وكسب الرزق . وحينما تغلبت فكرة السياسة أو الأخلاق، أو الدين أو الاقتصاد أصبح التاريخ يخدم غرضاً سياسياً ، دينياً أو اجتماعياً . ثم لما اهتم المؤرخون بتنظيم حقائقه وترتيب وقائعه ، ونقدها ، كانت قيمة التاريخ فى ذاته ، فى السعى إلى الوصول إلى الحقيقة

ولننظر إلى أهمية التاريخ فى تربية الدارسين وتثقيف عقولهم . ما قيمة التاريخ فى ذلك النوع من التربية الذى يرمى إلى إعداد الأفراد للقيام بحرفة بنجاح وكفاية ؟ رمى التعليم فى القديم إلى غرض مهنى ، فكان مرمى من توافروا على معرفة التاريخ كسب العيش . فمنذ أزمنة سحيقة من عهد هوميروس ، وجد قوم انهمكوا فى دراسة القصص القومي وما يحويه من سير الأبطال ، وساروا به خلال الديار اليونانية ينشدونه أمام الناس ويتقبلون ما يمنحونهم من هبات . وفى التاريخ الإسلامي كانت طائفة من الناس تعمل على حفظ أخبار العرب وأيامها وآدابها للتقرب من الخلفاء ونيل عطاياهم . ولم تكن طريقة الدراسة تعتمد على الأخذ من أفواه الرواة فحسب ، بل كثيراً ما كانت تلجأ هذه الطائفة إلى الرحلة إلى الأقاليم التى يراد دراستها والوقوف على عجائبها وطبقات أهلها . ومثل هذه الطائفة كان يطوف فى أوربا فى العصور الوسطى

عرف المسلمون للتاريخ فوائد أخلاقية « دنيوية وأخروية » فكان عند الدول الإسلامية مادة حرفية تعد لمهنة الكتابة والإنشاء . وفى أوربا فى العصور الحديثة كان التاريخ يدرس لأولاد النبلاء والأمراء كوسيلة من وسائل تدريبهم على ممارسة أمور الحكم . وهو الآن يدرس فى بعض المعاهد العليا والجامعات لإعداد مُدرسى التاريخ والخبراء السياسيين . أما فى المدارس الثانوية والابتدائية فتتغلب الفكرة الثقافية التى ترمى إلى تكوين الدارس عقلاً وروحاً وإعداده لتذوق الفن والجمال

مركز التاريخ مهم بين العلوم الثقافية ، فالاهتمام به إنما هو اهتمام بتركة الإنسان وآثار الجهد الإنسانى . قد يشك بعض الناس فى قيمة تثقيف الطلبة بمعلومات عن أشخاص أو حضارات أصبحت الآن طى الفناء كما يحاولون . هؤلاء الأشخاص وهذه الحضارات لم تعف آثارها فما زالت مقيمة بيننا مؤثرة فينا ملهمة لنا ؛ وما قيمة المعلومات الأخرى للانسان إذا لم يعرف نفسه وماضى حياته وتفكيره فى أطواره المختلفة ؟ فدراسة الإنسان ينبغى أن يكون محور كل دراسة ومركز كل بحث

أما مركز التاريخ فى التربية الخلقية الاجتماعية فلا يقل أهمية . يرمى ذلك النوع من التربية إلى تكوين الأخلاق الشخصية . ولقد ولد الإنسان فى مجتمع يعد أفراده للحياة فيه

وفق عاداته ونظمه ومثله العليا . ولا ريب في أن التاريخ يكاد يكون من ألزم العلوم لهذا النوع من التربية ، لأن التاريخ يدرس ماضي الإنسانية وتراثها الاجتماعي

وهناك اعتراضات قد تثور في ذهن بعض المفكرين ؛ فيرى فريق أن التاريخ لا يعرض أمامنا أمثلة حسنة للسلوك المرضى فحسب ، بل كثيراً ما يضرب أمثلة للقسوة والغدر والأنانية . ولو أن المؤرخ أو المعلم أراد استبعاد ذلك الجانب من التاريخ لجعل من شخصياته أبطالاً خياليين لا يدأبون وراء شيء غير الفضيلة ، وهذا في ذاته مخالف للأمانة العلمية . ويقول فريق آخر « لقد أصبحنا لا نرجع للتاريخ لنجد دروساً في الأخلاق أو مثلاً عليا للسلوك أو مواقف باهرة . نحن نفهم أن القصة الخيالية لتحقيق ذلك الغرض مفضلة على التاريخ لأنه فيها تظهر الأسباب والنتائج المتفقة مع آرائنا في العدالة » . ويرى فريق ثالث أن ليس ثمة فائدة أخلاقية نافعة من دراسة التاريخ ، فهل دراستنا لتاريخ روما التي هوى بها الانهماك في اللذات والترف منذرة لعصرنا الحاضر بالاضمحلال ؟ ويؤيد ذلك الفريق فكرته بأنه لم توجد فترتان متشابهتين من كل الوجوه في حياة الأفراد ، فكيف في حياة الشعوب . وفريق رابع يندد بأن الماضي قد سيطر على عقولنا وتفكيرنا ، فنحن نفكر بتفكير الماضي ، ونحن منغمسون دائماً في الماضي ، مع أن ظروف الحياة قد تغيرت وتبدلت ، ولا بد من زيادة الاهتمام بالحاضر والنظر إلى المستقبل

ويرد على هذه الآراء بالقول إن التاريخ مفسر للحياة الإنسانية الماضية ، فهو موضح لناحيتي الخير والشر . والتربية الاجتماعية لا ترى إلا لأعداد الفرد للحياة بما فيها من مفارقات . وهي تعمل دائماً على إيجاد التوازن بين الغرائز الاجتماعية للانسان وغريزة حب الذات . لا ننكر أننا نرى بمثلنا التاريخية إلى رفع مستوى الحياة وتطهيرها من أدرانها ، ولكنا نعمل في نفس الوقت على إعداد شخصية حقيقية لا خيالية . ومن ناحية أخرى ، كثير من الشرور التاريخية لا تستقر في أذهاننا ، فقليل من الناس من إذا ذكر اسم شكسبير أو خالد بن الوليد يذكر هناتهما الشخصية . ولا جدال في أن التاريخ ممتلئ بالشخصيات التي تتمثل فيها البطولة وبالمواقف الخلابة ، وإذا وجد الأطفال في القصة الخيالية ما يشفي غليلهم ، فلا يجد الدارسون ممن ارتقى بهم العمر في غير قصص التاريخ الحقيقية ما يهيج كوامن نفوسهم . وهل هناك ما يمنع من أن نضع لصغار التلاميذ قصصاً تاريخية في شكل جذاب تتجلى فيها الحقيقة ، لهذه الأعمال أعمال حقيقية قام بها أناس حقيقيون عاشوا على وجه الأرض . ثم هل من التعليم في شيء الإكثار من ملء عقول صغار الدارسين بخرافات وأوهام في مرحلة من العمر هم محتاجون فيها لضبط خيالهم ، وفي وقت تتأثر عقولهم بكل شيء ، وأن هذه المعلومات المملوءة بالأوهام سوف تشكل ما يتلقونه من معلومات في المستقبل ؟ وأخيراً لا نستطيع إنكار استفادة الإنسان من تجارب آبائه ، واستفادة الأمم من تجارب من سبقها ، فحياة الإنسان والأمم قصيرة ومعظم تجارب الإنسان ومعلوماته مستقى من الآخرين . ويمتاز الإنسان عن الحيوان بذكائه وقدرته الكبيرة على التعلم . وما نظم الحياة الحاضرة إلا تعديل لنظم الحياة الماضية . على أنه في دراستنا للماضي لا ينبغي نسيان الحاضر أو إهماله ؛ فيجب دائماً ربط الماضي بالحاضر وتبين أثر الماضي في النظم الموجودة ، كما يجب ألا تكون دراسة الماضي دراسة إعجاب فحسب ، بل دراسة تفكير فيه ونقد له . ويلزم العناية بانتقاء الأمثلة التاريخية لأنها خير أثراً من كثير من النظريات الأخلاقية . وكلما كان المثل مأخوذاً من الحياة كان أكثر بقاء في النفس وأعمق قراراً فيها . وليست قيمة هذه الأمثلة مقصورة على عملها على استقرار الحياة وإنما في توجيهها لها . وفائدة هذه الأمثلة ليست في المبادئ التي تمثلها فحسب بل في الشعور والعواطف التي تستثيرها في نفس القارئ أو المتعلم . والتاريخ قصة لمحاولات الناس في سبيل الحياة ، ولذا فدراسته ذات قيمة وفائدة لمن يتأهب للسير في هذا السبيل .

(البقية في العدد القادم)

محمد مصطفى صفوت

أطوار الوحدة العربية

العرب في ميادين الكفاح

للأستاذ نسيب سعيد

سأحدثك اليوم عن نزول العرب فعلاً إلى ميادين الصراع والنضال ، وعن تأليف الجيش العربي واشتراكه بالمعارك والمواقع الحربية إلى جيوش الحلفاء فأقول :

لقد كان سفر الأميرين « على » و « فيصل » من أبناء « الحسين » مع المتطوعين العرب ، من معسكر « حمزة » فى فجر أول يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ ، أول نذير أنذر به الترك بخروج العرب عليهم ، وانفضاضهم من حولهم . فاتجه الأميران العربيان بعد مغادرتهما الشكنة العسكرية إلى (الخانق) سالكين الطريق الشرقي ، ثم عادا إلى (بيار على) وهو موقع بقرب المدينة فخيَّما هنالك ، وكاتبا القبائل العربية ، وأخذا يجممان القوى والجنود والأنصار

وفى صباح الثامن منه هاجما بستة آلاف مقاتل محطة (المحيط) مع حاميتها ، فدارت أول معركة بين الترك والعرب ؛ واستأنفا الغارة صباح ٩ منه فهاجما الحسا ، ودارت معركة عنيفة امتدت من الصباح حتى الظهر . وعلى هذا المنوال بدأت المعارك حول المدينة المنورة بين العرب والترك قبل أن تعلن الثورة رسمياً لأن الثورة الكبرى — كما قلت لك فى حديثى السابق — بدأت فى مكة صباح يوم السبت ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ الموافق ١٠ يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ . وذلك أن الحسين أوعز إلى رجاله — وكان قد أعدهم من قبل — بأن يهاجموا الشكنة العسكرية فى (جردل) — كما حصل فى المدينة والطائف — وكان الترك غافلين عما يدبر لهم فى الخفاء ، وكان قادتهم وكبار ضباطهم فى الطائف ؛ ويتولى القيادة على الجيش التركى وقتئذ بكباشى اسمه « درويش » بك

وفى ذلك الصباح الأغر بدأ « الحسين » نفسه الثورة الدامية بأن أطلق رصاصة من قصره على ثكنة الترك فكانت الإعلان الرسمى للثورة العربية الكبرى ، كما كانت الإشارة التى اتفق عليها بينه وبين رجاله فشرعوا بالهجوم على أثرها . وكانوا قد احتشدوا فى مكان مجاور قبيل الفجر

وأدرك درويش بك قائد الجند التركى حراج الموقف ، وعرف أن مصير جنده إلى الفناء لأنهم كانوا يقومون بالتمرينات الرياضية المعتادة فى خارج الثكنة ، بلا سلاح ولا عتاد ، فعمد إلى الحيلة لإنقاذهم ، فخاطب الشريف تليفونياً وسأله عن السبب فيما وقع فأجابه :

« إن العرب لا يرضونكم حكاماً عليهم بعد ما قتلتموهم ، وأهنتموهم وعاديتموهم »

فقال له : « ما دام الأمر كذلك فأرسل من قبلك من تعتمد عليه لنسلمه السلاح والجند ، فنحن لا نريد إراقة الدماء عبثاً » فقصد الشريف عبد المحسن البركاتى على الفور لمقابلة درويش بك وأمر الثوار بالتفرق . فدخل الجند الثكنة فوراً وا[illegible]وا السلاح وأخذوا أهبة النضال والقتال ، ونبه أحد الضباط العرب الشريف إلى الحيلة والمكيدة ، فنجا بنفسه

وهاجم الشريف محسن بن أحمد منصور جدة صباح الأحد فى ١١ يونيو (حزيران) على رأس أربعة آلاف مقاتل ، فتحصنت حاميتها التركية فى شمالها وجنوبها ، وصممت للكفاح . وقد اشتركت — لأول مرة — ثلاث بوارج بريطانية . فى هذا الهجوم يوم ١٣ منه وأصلت أماكن الترك نيراناً حامية . وكذلك طارت الطائرات البحرية البريطانية فى سماء جدة يوم ١٤ منه وألقت على معسكر الترك منشوراً يعلن ثورة العرب على أحفاد جنكيز . وفى يوم ١٦ يونيو (حزيران) رفعت حامية جدة راية التسليم ، فأنذرت بعدم إتلاف مدافعها وأسلحتها . وبلغ عدد الجنود الترك الذين استسلموا للعرب يومئذ (١٣٤٦) جندياً يقودهم (٤٧) ضابطاً مع غنائم كثيرة جداً

وفى يوم ٢٧ وصل إلى جدة (ولسن) باشا حاكم بور سودان يحمل كتاباً إلى الشريف « حسين » يتضمن تهنئة العرب بالنصر والاستقلال ويعرب فيه عن الإعجاب والإكبار لهذه الأعمال المجيدة التى يقوم بها العرب ، وقال إنه من البريطانيين

الذين يحبون الشرق ولا سيما العرب منذ نعومة أظفاره . وجاء فى الكتاب أيضاً أن الحكومة البريطانية أرسلت مع هذه التهنئة والتحية قوة بسيطة من قبلها لمساعدة العرب فى جهادهم الجبار ...

وفى يوم ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ و ٢٦ يونيو (حزيران) تم طبع منشور الثورة ، وقد وضعه الشريف « حسين » بنفسه وبسط فيه الأسباب التى أهابت به إلى مقاتلة الترك بسطاً وافياً ولا ريب أن أقطاب العثمانيين ريعوا لإعلان الثورة العربية فى الحجاز ، وكان جمال باشا أشدهم حسرة وألماً ، لأنه أدرك أنه كان مخدوعاً ، وعرف أنه لم يحسن التصرف مع « الحسين » وأبنائه الذين أفلتوا من يده بعد ما أخذوا المال والسلاح . ولقد كان فخرى باشا محافظ المدينة المنورة أول من تنبه إلى هذه الحقيقة ، وكان يدعو إلى الفتك بالشريف وأبنائه ، ويشير باتباع سياسة الشدة والحزم فى الحجاز فقال كلمته المأثورة : « لقد انتصر الذكاء العربى فى هذه المرة على الذكاء التركى وفاز عليه » .

وقبض فخرى باشا على ناصية الحال فى المدينة على الأثر ، وأخذ يستعد لمنازلة العرب الذين نزلوا إلى ميدان النضال والصراع ، وشرعوا يقاتلون الترك بلا هوادة ولا توقف ولا رحمة ...

***

وكذلك نزل العرب إلى ميادين الكفاح لأول مرة بعد نزولهم الحرب أيام الجيش المصرى ، بقيادة البطل الخالد إبراهيم باشا من القاهرة إلى فلسطين عام ١٨٣١ لمقاتلة الجيش التركى ففتحها بدون صعوبة ولا عناء بفضل تأييد عرب فلسطين إياه وانضمامهم إليه ، وأكثر من ذلك بفضل شجاعة الجندى المصرى وقوة بأسه وشدة فراسته ، وواصل التقدم إلى دمشق وإلى حلب فاحتلهما ، وكان العرب يقابلونه فى كل مكان بالهتاف والتصفيق والاستبشار وينضمون إليه ويرون فيه محرراً ومنقذاً مما سنفصله تفصيلاً حين الحديث على فضل مصر على القضية العربية

على أن إقدام « الحسين » وأولاده على إعلان الثورة وهم مجردون من كل قوة منظمة ، ولا يملكون سوى مقادير قليلة من البنادق ، وهى التى أخذوها من الترك للمتطوعة ، ولا يجهلون أنهم سيستهدفون لقتال قوات كبيرة تنزل فى ديارهم ، وتحيط بهم ، وتسد عليهم المسالك ، ومن ورائها جيوش جرارة ، تسرع لنجدتها ؛ وأن هذا الإقدام ينطوى ولاشك على كثير من الجرأة ، وصدق العزيمة . ولو تسنى لفخرى باشا بلوغ مكة كما تصور جمال باشا لقضى على الثورة وأبادها فى مهدها ، بيد أن ثبات رجال العرب فى وجهه واستماتتهم فى المقاومة والكفاح ، جعله يعدل عن خطة الهجوم ، ويكتفى بالدفاع ، فاستصفى العرب بذلك مدن الحجاز الواحدة بعد الأخرى بعد أن نزل « الجيش العربى » إلى القتال ، ثم اتجهوا نحو الشمال ، لتحرير سورية وإنقاذ بلاد الشام

ولقد أظهر الجيش العربى فى خلال الأدوار التى اجتازها أثناء الحرب الماضية من الشجاعة والإقدام – على حداثة عهده – ما نال إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء ، وجعل قادة الحلفاء وفى مقدمتهم اللورد (اللنبى) يعترفون بما أسداه من خدمات جلى . أما أهم المعارك التى خاضها الجيش العربى فهى معركة جدة وهى أول معركة ربحها العرب فى الحجاز ، ثم معركة مكة والليثى وأوملج ، والطائف ، والمدينة ، ورابغ ، والوجه ، والمويلح ، وخبا ، وحروب المحطات ، والعقبة ، ووادى موسى ، والطفيلة ، ومعان ، والأزرق ، وحوران ، ومعركة الشام الكبرى ، وغير ذلك من الحروب التى أظهر بها الجيش العربى الباسل كل ضروب القوة والشجاعة والصبر رغم حداثته وقلة أفراده ، مما لا يتسع المقام لتفصيلها . ولقد انتصر هذا الجيش الفتى فى جميع هذه المعارك والحروب انتصاراً مبيناً ، وسجل آيات الظفر بأحرف من نور . وكذلك انتهت الحرب التى افتتحت بمعارك الحجاز واختتمت بحروب الشام بفوز العرب وكانت قوة الترك لا تقل عن عشرين ألف محارب مجهزة بأفضل الأسلحة الحديثة . وقد قطع العرب خط الرجعة على الجيش التركى المتقهقر من فلسطين ووادى الأردن ، ومنطقتى معانه وعمـان ، وما كان يقل عن ثلاثين ألف محارب ، فقد ارتد على جناح السرعة من دون أن يشتبك مع البريطانيين فى قتال بسبب ظهور العرب وراء خطوطه ،

الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم
للأســتاذ عبد المتعال الصعيدى
– ٢ –

الحضارة المصرية القديمة

كان لقدماء المصريين حضارة رائعة يعتز بها الآن أبناء مصر ، ويفد السائحون من سائر الأقطار لمشاهدة آثارها الباقية ، والتمتع برؤية عجائبها التى تملأ النفس روعة ، وتفعم القلب إعجاباً . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحضارة العظيمة فيما قصه من أخبار فرعون وموسى عليه السلام ، ولكنه لم يمدح منها إلا ما يستحق المدح ، ولم يطر منها إلا ما يستحق الإطراء ، وذلك ما كان منها متجهاً إلى مصلحة الرعية ، من شق الأنهار ، وتعمير الأرض ، والعناية بتوفير خيراتها للناس ، حتى تنمو بذلك ثروتهم ، وتسعد به حياتهم ، فلا يتمتع الملك وحده بالحياة السعيدة ، بينما تعيش الرعية بجانبه فى الذل والشقاء . وقد كان للحضارة المصرية عيوب بجانب هذه المحاسن فأشار القرآن الكريم إليها ، وندد أشد تنديد بها ، وذكر أنها هى التى قوضت بنيان هذه الحضارة ، وجعلتها تنتقل إلى قوم آخرين ، ساروا فى الأرض سيرة صالحة ، وأقاموا فيها موازين العدل ، وتلك سنة الله فى الخلق ، كما قال تعالى فى الآية – ١٠٥ – من سورة الأنبياء : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فالمراد بذلك الصالحون لعمارتها ، وإقامة بنيان الحضارة فيها ، وهذا هو الذى يشهد به التاريخ القديم والحديث ، فإنا نرى فيه أن الحضارة الإنسانية لم تكن وقفاً على أمة من الأمم ، ولم يستأثر بها شعب من الشعوب ، وكم من شعوب ظهرت بهم الحضارة فأبطرتهم ، وأخذوا ينظرون إلى أنفسهم نظرة إعجاب وإكبار ، وينظرون إلى غيرهم نظرة استهزاء واحتقار ، ويرون أنهم أوثروا بالتقدم على غيرهم إيثاراً ، وقد بلغ من بعضهم أن زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فلم تكن إلا عشية وضحاها حتى سلبهم الله عزهم ، وأورثه قوماً آخرين صالحين متواضعين ، ديدنهم العمل ، ولا يأخذهم شىء من الغرور والكسل

وهذه هى الآيات التى وردت فيما يستحق المدح والإطراء من الحضارة المصرية القديمة ، وهى تصف ما تركه فرعون من آثار هذه الحضارة فى مصر ، حين غرق هو وجنوده فى البحر ، ففى هذا يقول الله تعالى فى الآيات : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ – من سورة الدخان : « واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ، كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء وما كانوا منظرين »

فانسحب بسرعة لكيلا يقع بين نارين ، ولولا جهود العرب فى الصحراء ، وقطعهم الطريق على الجيش العثمانى ، وحاجتهم للمحطات على طول الطريق ، لما وقع ما وقع ولارتد الجيش سالماً ولأنشأ خطوط دفاع جديدة فى حوران وحول دمشق . ولقد سلم الترك والألمان بهذه الحقيقة الرائعة قبل الحلفاء ، فقال المارشال « ليمان فون ساندرس » القائد العام للجيوش التركية فى بلاد العرب فى مذكراته التى نشرها بعد الحرب الماضية ما نصه : « لقد اتفق شريف مكة وأميرها مع الحلفاء فى صيف عام ١٩١٦ على الاشتراك في الحرب ، وأعلن استقلال العرب ، فنشطت بذلك حركاتهم الثورية فى بلاد الشام ، وكان الحلفاء يحمونها ، واتسع نطاقها ، وخصوصاً بعد إفلاس سياسة الشدة التى سار عليها جمال باشا ، فى معاملة الشعب العربى . ولقد أراد أنور باشا إعداد حملة عسكرية كبيرة تزحف على مكة ، وتنصب أميراً جديداً عليها ، بيد أن عدم ملاءة الظروف الحربية ، وعدم جواز اشتراك جنود مسيحيين فى الحرب ، حال دون إتمام ذلك فعدل عنه . ولقد أدت الثورة العربية خدمات جلى للجيش البريطانى ، خلال تقدمه فى شبه جزيرة سينا فكان الإنجليز آمنين مطمئنين يفعلون ما يشاءون كأنهم فى داخل بلادهم ، بعكس الترك الذين مقتهم أهل البلاد ، وملوهم فكانوا يسوقون جيوشهم وكأنهم فى بلاد معادية لهم » . . .

(دمشق) نسيب سعيد
المحامى

ويقول أيضاً فى الآيات — ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ — من سورة الشعراء « فأخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بنى إسرائيل ، فأتبعوهم مشرقين »

ولا شك أن القرآن بهذا المدح والإطراء لما كان فى مصر على ذلك العهد ، يتفق مع الغاية التى قلنا إن الإسلام جاء من أجلها ، وينادى بأنه ليس ديناً يدعو إلى إقامة نساك وعباد فى الأرض لا غير ، ويزهد الناس فى تعميرها بشق الأنهار ، وإقامة الزروع والبساتين ، وغير ذلك من معالم الحضارة ، ووسائل السعادة فى هذه الحياة ، بل يدعو مع العبادة والنسك إلى ذلك كله ، ويرى أنه لا تتم سعادة الآخرة ، إلا بسعادة الدنيا

وقد ذكر المفسرون فى تلك الجنات والعيون أن البساتين كانت ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وأنهار جارية ، وذكروا فى ذلك المقام الكريم أنه أراد به مجالس الأمراء والرؤساء التى كانت لهم ، وقيل إن فرعون كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب ، يجلس عليها الأمراء والأشراف من قومه ، وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب

ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى خطأ المفسرين فيما ذكر الله من إرث بنى إسرائيل فى تلك الآيات ، فقد ذكروا أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة . ولا شك أن من يدرس تاريخ بنى إسرائيل من عهد موسى إلى ظهور الإسلام ، وكذلك تاريخ مصر فى ذلك العهد ، لا يجد شيئاً فيهما يثبت أن بنى إسرائيل قام لهم فيه ملك فى مصر ، أو أنهم ردوا إليها فأعطوا ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة . والحق أن الله تعالى يشير بذلك إلى بساتين وعيون كانت لبنى إسرائيل فى فلسطين ، وذلك بعد أن قامت لهم فيها تلك الدولة العظيمة ، وبلغت أوج عظمتها فى عهد داود وسليمان عليهما السلام . فالضمير فى (أورثناها) يعود إلى مطلق الجنات والعيون وما ذكر معها ، ولا يعود إلى خصوص ما كان منها فى مصر على ذلك العهد ، وهذا من أسلوب الاستخدام المألوف فى لغة العرب ، ويعتمد فى بيان المراد منه على السياق وقرائن الأحوال

وأما الآيات الواردة فيما يستحق الذم من الحضارة المصرية القديمة ، فهى التى وردت فى قيام الحكم فيها على التفريق بين الشعوب ، واستخدام الشعوب الضعيفة فى مصلحة الشعوب القوية ، وذلك قوله تعالى فى الآيات — ٤ ، ٥ ، ٦ — من سورة القصص ، (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ، وقد ذم القرآن الكريم من ذلك ما يستحق الذم ، لأن الحكم الصالح يجب أن يقوم على التسوية بين الشعوب ، وعلى الأخذ بيد الشعب الضعيف حتى يصل إلى ما وصل إليه الشعب القوى ، فلا يرهق شعب فى العمل لسعادة شعب أقوى منه ، ولا يرى شعب أن يستأثر بأسباب السعادة لنفسه ، لأن هذا مما يثير الأحقاد بين الشعوب ويعوقها عن التعاون فى العمل لسعادة البشر فى هذه الحياة ، بما يقوم بينها من المنازعات والحروب ، ولا سعادة لها إلا بالسلام ، ولا سلام لها إلا بالعدل والمساواة .

(يتبع) **عبد المتعال الصعيدى**

الطيران بين أسلحة الحرب

الملازم الأول حسين ذو الفقار صبري

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

سنجد إذا نظرنا في أمر «الناقلات» أن ما ذكرناه عن القاذفات ينطبق عليها تماماً، إذ أنهما نوعان متماثلان، لا يختلفان في شيء اللهم إلا في تصنيف الأحمال، وليس في تقدير الأحجام والأثقال؛ هذه ارتحلت بالقنابل والمقذوفات، وتلك نقلت الرجال والعتاد أو ربما نقلت جنود الهابطات

أما «المنقضات»، أدوات التحطيم التكتيكي[1]، فهي طائرات تعمل ضد أهداف ضاقت مساحتها وإن عظمت أهميتها كمدافع الميدان، أو معاقل المقاومة، أهداف لا تميز إلا من ارتفاع بسيط، إصابتها عسيرة إلا إذا هوت عليها الطائرات كالعقبان. فهذه إذن طائرات مقدرتها على الاحتمال عظيمة: هيا كلها متينة، تغالب ضغوطاً نشأت عن حركات اعتدال عنيفة إثر سقطات هاوية، وطائرات كهذه يجب أن يكون ثقلها محدوداً حتى لا تؤثر جاذبية الأرض عليها تأثيراً كبيراً، فياحبذا لو تمكنا من اجتجاز ما تبقى من ثقلها هذا المحدود. لحساب محرك قوي يساعدها على الانطلاق سريعاً. ولكن هل ترانا نسينا أنه يجب عليه اقتسام ذلك الثقل تناقض مع قنابل ضخمة لولاها لما أنشئت تلك الطائرات ولا كان لها وجود؟ فلتقنع «المنقضات» إذن بمحرك ضعيف يتركها فريسة مهلة لطائرات الأعداء، إلا إذا أحطناها بالمقاتلات تحرسها وتحمي ظهرها، فتعينها ولو قليلاً على القيام بواجبها وتنفيذ مآربها

تلك هي أنواع الطائرات الرئيسية، وياليتها كانت مقسمة ذلك التقسيم البسيط! إن واجبات الطيران أصبحت عديدة متفرقة، لا تؤديها على الوجه الصحيح إلا أنواع من الطائرات تعددت بتعددها، وتخصص كل نوع منها كل التخصص، كل منها يخالف الآخر في خواصه بل يناقضه أحياناً وإن تضافروا جميعاً نحو الغاية وتكاتفوا على الهدف

وتعدد أنواع الطائرات هنا هو بالذات للسبب الرئيسي الذي وقف في سبيل سيطرة الطيران سيطرة تامة على ميادين القتال؛ فإن السلاح الذي كتب له التحكم والسيطرة يجب أن يكون سلاحاً مرناً متعدد النواحي لا الأنواع، يقابل كل حالة طارئة بأسلوب جديد يناسبها، أو بحل مبتدع يعالجها. وما الحرب إلا ظاهرة اجتماعية لبشر يعيشون على وجه الأرض، ولذا سيظل سلاحها الأساسي جيوشاً تعمل مثلهم على وجه الأرض

* * *

بعد الحرب الماضية بقليل، غمرنا الجنرال الإيطالي «دوهيه» بمقالات عديدة ومؤلفات كثيرة ما قرأها قارئ إلا انقاد لآرائه وسلم بصحتها. فوثق من أن حروب المستقبل القريب هي حروب الفناء، حين تبسط الطائرات أجنحتها من شرق السماء إلى غربها، وتنقض على البلاد تمحوها، وعلى معالمها تدرسها

ولم يكتف «دوهيه» بالوصف والتصوير، بل قدم برنامجاً مفصلاً شاملاً، لم يترك فيه صغيرة إلا ذكرها، ولم يمنعه الإمعان الطويل في الزوايا والأركان، من الابتعاد بين الحين والحين ليرنو إلى هيكل بنائه كاملاً، فيضع قواعده، ويرسم خطوطه، بحيث تتسق بداخله التفاصيل، وتتماسك لتكون وحدة لا تنفصم

ولكن ذلك البرنامج عسير التنفيذ إلا على دولة ملكت من الطائرات عدداً عديداً، وكان لها منها وفرة وفيرة. فيقوم الإيطالي يدعو بعدم «تبذير» الميزانيات على الجيوش والأساطيل، فهي في نظره أشياء لا نفع فيها، ويتشبث بوجوب إنفاق أموال الدولة كلها في سبيل بناء الطائرات، بل يذهب إلى أن يخص منها بالذكر القاذفات، ويهمل المقاتلات وطائرات الاستطلاع.

ويجب علينا هنا الانتباه إلى إحساس «دوهيه» العميق: باستحالة ضمان السيطرة للطيران إلا إذا تمكنا من تركيز قوتنا في نوع واحد من الطائرات، ظنه قادراً على مجابهة جميع الطوارئ. وهذه لم تكن طوارئ بمعنى الكلمة، بل تيارات مرسومة يسيرها المهاجم كيفما شاء، (وهيهات أن تنعدم في هذا العالم المفاجئات) ، فهو إذن مشروع جامد تنقصه المرونة اللازمة لكل أداة يريدها الإنسان لمجابهة مشاكل الكفاح في سبيل الحياة، تلك المشاكل التي لا تبرز مجسمة كل التجسم إلا أثناء الحروب التي هي أشد مظاهر كفاح الحياة تركيزاً وأعنفها صورة

(1) الأهداف التكتيكية هي الداخلة في نطاق ميدان المعركة

ومع ذلك فقد ارتكن مشروع « دوهيه » هذا على كثير من الأسس الواهية[١]

قسم « دوهيه » مراحل الهجوم إلى ثلاث ؛ أولاها : مرحلة تحطيم مطارات الأعداء وتدمير قوتهم الجوية ، فما يكاد يجهز عليها حتى ينتقل إلى مناطق الصناعة يدك أركانها ويقوض أساسها ؛ ثم يلتفت أخيراً إلى مساكن المدنيين يصدّع أجنابها ويهدّم سُقفها . هي « الحرب الكلية » لا تبقى على شيء ولا تذر ؛ هي حرب سلاحها القاذفات تحمل أسباب الهلاك والفناء على دفعات ثلاث ، دفعات متعاقبة متلاحقة ؛ السابقة منها تمهد السبيل للاحقة ، واللاحقة منها تبارى السابقة في افتنان وسائل الدمار ، أولاها قذائفها ثقيلة ضخمة ، والأخيرة سلاحها أرق من النسيم ، وأفتك من ألف قنبلة تدافعت نحو الهدف . هذه هي جراثيم أمراض وبائية حشرت في أنابيب صغيرة ، ولكنها سلاح يعجز عن إلحاق الضرر الشامل إلا إذا سبقتها حالة عم فيها الفزع ، واختلط خلالها الحابل بالنابل ، وانقلب أثناءها العالى على السافل ؛ حالة شُلت فيها وسائل الوقاية ، وانعدمت أثناءها أسباب العلاج . حالة تخلقها القاذفات بإشعال الحرائق الكبيرة تستعر وتمتد حتى لا يعود إنسان يفكر في رفيق ، ولا أخ في شقيق ، ولا أم في وليد . ولكن هل يمنعنا إشعال تلك الحرائق ما دام هناك على الأرض أفراد لها مترقبون . وبكامل الوسائل مستعدون ؟ لا مناص إذن من إقصائهم عن مراكزهم أو تحويل رقابهم بقنابل قاصفة شديدة الإنفجار ، تهز أعصابهم إن لم تنثر أشلاءهم .

تلك هي المراحل الثلاث ، وهي كما ترى مرتبطة ببعضها ، متسلسلة الترتيب ، ممهدة لأخيرتها التي هي أصدقها إصابة ، وأمضاها نتيجة

طبق الألمان نظريات « دوهيه » على عمليات بولندا فنجحت نجاحاً لا بأس به : فَقَدَ البولنديون سلاحهم الجوى إثر هجوم خاطف شنته قاذفات الألمان على المطارات ، ووقفت جيوشهم مشلولة حيرى لا تدرى عما يدور حولها شيئاً . كيف لا ؟ وقد فقدت طائراتها وأصبحت كالسارى في ظلام دامس ، يتحسس الطريق فيتعثر ، ويتنسم الاتجاه فيتخبط ! أما المصانع فلم تدمر تدميراً تاماً كما أمل الألمان ؛ وأمام المدن عجز برنامج « دوهيه » عن شق طريقه إلى سُبل التنفيذ والتحقيق . ولا داعى لتذكير القارئ أن ألمانيا أحجمت عن استعمال الجراثيم الوبائية حرصاً على موقفها إزاء الدول ، وخوفاً من استفزاز الرأى العام

وفي صيف ١٩٤٠ حاول الألمان معاودة تطبيق تلك النظريات على مطارات بريطانيا ففشلوا فشلاً تاماً ، إذ هبت المقاتلات في وجه القاذفات المغيرة تردها وتقصيها ، حتى فاه تشرشل بكلمته المشهورة في الإشادة بأعمال رجال الطيران البريطاني : « لم يسبق قط في تاريخ الحروب أن علقت فئة قليلة كهذه على أعناق شعب مثلنا ، جموعه زاخرة بالأفراد ، مائجة بالأعداد ، دَيْناً كهذا ، قيمته تفوق كل قيمة » ؛ وهكذا أصبح القسم الأول نفسه من برنامج « دوهيه » عسير التحقيق ، إلا في تلك الأحوال الخاصة التي انقضّت فيها دول كبرى على دول صغرى ضعيفة لا تملك من تلك المقاتلات كثيراً

انهار إذن صرح «دوهيه» وهو أحسن ما شيد في سبيل تحقيق سيادة الطيران على ميادين القتال . فدعونا إذن من تخيلات المتخيلين ، ولنخضع لما لا محيد عنه وهو أن الجيوش الزاحفة على الأرض ستظل العامل المسيطر ما عاش الإنسان مثلها على سطح الأرض ، وأن الأساطيل البحرية ستظل أقوى ما يؤثر على نشاط الصناعة والاقتصاد ما شقت السفن التجارية عباب الماء بشحناتها الغذائية أو مواد الصناعة الأولية . أما الطيران فستحتل ولا شك مكاناً تزيد أهميته بمر السنين ، ولكنه سيظل دائماً أبداً السلاح المعاون لا الركن والأساس

أظهر الطيران تفوقه على غيره من وسائل الحرب في شئون الاستطلاع ، فعم استعماله هناك ، وفضل المدفعية في القدرة على المسارعة بنيران تساعد قوات شقت طريقها للأمام سريعاً ، بواسطة منقضات بنيت لهذا الغرض خصيصاً . وتمكن من التوغل بالقاذفات داخل بلاد الأعداء، وهذا ما لم يتوصل إليه أحد من قبل ، وقدم المقاتلات تمد من فتك القاذفات ، بل تشتتها

---

(١) من أهم أخطاء « دوهيه » هو اعتماده أكبر الاعتماد على افتراض واه ، وهو اعتقاده أن المقاتلات لن يمكنها اعتراض القاذفات في طريقها إلى الأهداف ، حيث الفضاء فسيح متسع ، وعملية البحث شاقة عسيرة ، ولكنى أتساءل كيف لم يفترض أن الانسان سيجد لتلك الحال حلا ومنها مخرجا ، بل ربما وجد حلولا كثيرة ومخارج عديدة ، كما دأب منذ الأزل ؟ فتى استعصى على البشر معالجة حال خلقها بشر من قبلهم ؟ !

أشـــــواق..!

إِلَيكِ تَسَامَى هَائِماً رُوحُ شَاعِرٍ وَفِيكِ تَغَنَّى ضَارِعاً لحنُ سَاحِرِ!
عَلَى لَهَوَاتِ الطَّيْرِ مِنِّى تَحِيَّةٌ إِلَى كلِّ قَلْبٍ بالصَّبَابَاتِ عَامِرِ
وَفِى صَبَوَاتِ الغِيدِ عَنِّى رِوَايَةٌ تُرَدِّدُهَا الأَنْسَامُ فى كلِّ سَامِرِ!
ضَرَاعَةُ مُشْتَاقٍ إلى رُوحِ فَاتِنٍ وَدَعْوَةُ مَهْجُورٍ إلى قَلْبِ هَاجِرِ!

دَعِينِي أَرَى الدُّنْيَا كما يُبْصِرُ الوَرَى
فَقَدْ كَادَ نُورُ الحُبِّ يُعْشِى نَوَاظِرِى!
أَرَاكِ فما أَدْرِى إلى أَىِّ سِدْرَةٍ مِنَ المَلَإِ الأَعْلَى تَنَاهَتْ خَوَاطِرِى
صَبَابَةُ وَلْهَانٍ وَأَلْحَانُ ضَارِعٍ وَأَوْهَامُ مُشْتَاقٍ وَأَحْلَامُ شَاعِرِ
فَلَا تَتْرُكِينِي لِلأَسَى ... أَنْتِ فَرْحَةٌ
مِنَ الحُسْنِ تَهْدِى بِالْهَوَى كُلَّ حَائِرِ
وَلَا تَجْحَدِينِي ... إِنَّ لِى قَلْبَ مُؤْمِنٍ
وَلِى رُوحُ صَدَّاحٍ وَلِى نَفْسُ طَاهِرِ!
لِعَيْنَيْكِ أَحْيَا فِكْرَةً لَا يَحُدُّهَا زَمَانٌ وَلَا يَرْقَى لَهَا وَهْمُ خَاطِرِ
إِذَا كَانَ لِى فِى الحُبِّ طَاعَةُ عَاجِزٍ فَقَدْ كَانَ لِى بِالحُبِّ صَوْلَةُ قَادِرِ

نَسِيتُ بِكِ المَاضِى ... وَلَوْ لَا بَقِيَّةٌ
مِنَ الرُّشْدِ تَهْدِينِي لَأُنْسِيتُ حَاضِرِى
إِذَا سَئِمَتْ رُوحِى مِنَ العُمْرِ وَحْدَتِى
فَطَيْفُكِ أُنْسِى فى حَيَاتِى وَسَامِرِى!
فَيَا أَيُّهَا الطَّيْفُ الحَبِيبُ بَعَثْتَنِى فَغَنَّتْ بِأَلْحَانِ الأَمَانِى مَزَاهِرِى
وَأَنْسَيْتَنِى مَا كَانَ مِنْ طُولِ شِقْوَتِى
كَأَنَّ الأَسَى مَا طَافَ يَوْماً بِخَاطِرِى!
فَهِبْنِى مَعَ الأَطْيَارِ بُلْبُلَ أَيْكَةٍ يُلَقِّنُ أَسْرَارَ الهَوَى كُلَّ عَابِرِ
وَخُذْ كَبِدِى لِلنَّارِ زَاداً فَرُبَّمَا هَدَى نُورُهَا حَيْرَانَ بَيْنَ الدَّيَاجِرِ
طَوَيْتُ عَلَى نَجْوَاكِ نَشْوَانَ أَضْلُعِى
فَكُنْ عِنْدَهَا يا طَيْفُ بِالحُبِّ ذَاكِرِى
تَرُومُ لِىَ السُّلْوَانَ . . . يَا مَنْ لِطَائِرٍ
جَرِيحٍ غَرِيبِ الرُّوحِ فى كَفِّ آسِرِ!
هَجِيرُ الصَّحَارَى لَمْ يَزَلْ فِى جَوَانِحِى
وَصَمْتُ الحَيَارَى لَمْ يَزَلْ فِى نَوَاظِرِى
عَلَى شَفَتِى سِحْرٌ مِنَ اللهِ فَاطِرِى فَمَا كُلُّ مَنْ غَنَّاكِ لحناً بِسَاحِرِ
بَدَأْتُ وُجُودِى مِنْكِ لَحْناً مِنَ الهَوَى
لَهُ أَوَّلٌ يَسْعَى إِلَى غَيْرِ آخِرِ!
خُلُودٌ عَلَى رَغْمِ البِلَى لَا تَمَسُّهُ مَعَ الزَّمَنِ الفَانِى حُتُوفُ المَقَادِرِ

طَوَيْتُ عَلَى الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَوَانِحِى
وَمَا كُنْتُ عَنْ نَجْوَاكِ يَوْماً بِصَابِرِ
وَكِدْتُ أَرَى حُبِّى وَأَسْمَعُ هَمْسَهُ
هُنَا فِى دَمِى. فِى مَسْمَعِى. فِى خَوَاطِرِى!
وَقُلْتُ: وَدَاعاً! ... فِى غَدٍ سَوْفَ نَلْتَقِى
فَكَانَ الغَدُ المَأْمُولُ أَوْهَامَ شَاعِرٍ... !

محمود السيد شعبان

«القاهرة»

أحياناً قبل وصولها إلى الأهداف، وهذا ما لم تقو عليه المدافع المضادة للطائرات.

وهكذا أصبح الطيران من أهم الأسلحة المعاونة، لا يجوز الاستغناء عنه بأية حال، خصوصاً إذا ارتد جيش منهزم أمام عدو يلاحقه، أو ارتحلت فوق البحر قوات حوصرت من البر، أو انتقلت جنود أثقلها العتاد من سفن حملتها إلى شواطئ الأعداء؛ أحوال تكون فيها الجيوش أو السفن متعرضة أشد التعرض لهجات الجو، وتكون طائرات الأعداء فيها متهالكة على الأهداف، لا يردعها إلا سلاح من نوعها أقدر على محاربتها فى نفس ميدانها، ومنازلتها بنفس وسائلها.

صبحى عبد الفتاح صبرى



الرقص الخليع

أكتب هذه الكلمة على أثر مشاهدتى لفلم جديد من أفلامنا المصرية ، أجمع النقاد الفنيون على استحسانه ، وفاتهم جميعاً أن يشيروا إلى ما أُقحِم فيه من الرقصات الخليعة التى انتقصت من قدره ، وما كان أغناه عنها . وإننى لأعلم إذْ أكتب هذه الكلمة ، أنّ وزارة الشئون الاجتماعية تحاول أن تطهّر الفنّ من الخلاعة التى تسىء إليه ، ولكننى أريد أن أسجّل ظاهرة مؤلمة ، لشدّ ما ترمِض قلب كل وطنى مخلص : تلك هى مجاراة أرباب الفنّ لشهوات سِفْلة القوم . وما يجب على الفنّان أن ينزل بفنّه إلى هذا المستوى الوضيع ، فيقدّم للعامة ما تتطلّب ولو كان فى ذلك ما ينتقص من قيمته ؛ وإنما يجب عليه أن يرفع العامة إلى المستوى الرفيع ، فيسمو بهم إلى قمة الفن، ولو كان فى ذلك تضحية منه ببعض الشهرة العاجلة والربح الوفير

... إنهم يسيئون إلى الفنّ بهذه الرقصات الفاضحة التى لا يصحبها غير فورة الشهوة وطغيان الجسد ، إذ ما كان الرقص أداةً لإرضاء الشهوة ، وما كانت الراقصة أمتوعةً لكل حيوانىّ منهتك . فهلاّ عمل أهل الفنّ - دون تدخّلٍ من رجال الحكم - على القضاء التام على الرقص الخليع الذى لا أثر فيه لمعنى الفن ؟

(مصر الجديدة) **زكريا ابراهيم**

خط المصاحف وقواعد الإملاء

من العقبات التى تعترض المعلمين فى مدارس التعليم الأولى - حين يقومون بتعليم القرآن الكريم لتلاميذهم - اختلاف خط المصاحف التى بأيدى هؤلاء التلاميذ ، مع ما تعلموه من قواعد القراءة والكتابة ، ويؤدى هذا الاختلاف دائماً إلى اللحن والتحريف فى الآيات القرآنية ، بالرغم من الجهد الكبير الذى ينفقه المعلم فى الإرشاد والتصحيح ، ولكن هذا الجهد يذهب عبثاً ، حين يقرأ التلميذ لنفسه ، وحين يستذكر دروسه ، وهو بعيد عن معلمه . ولا شك أن عقليه الطفل لا تتسع لإدراك اصطلاحات الضبط التى تختلف عما انطبع فى ذهنه من قواعد الإملاء . وتظهر الصعوبة فى صورة أوضح حين نعرف أن تحفيظ القرآن فى الأيام الخوالى كان بطريقة التلقين ، وكان التلاميذ ينقطعون لدراسته واستذكاره ، فلا يشتغلون بغيره من العلوم ، إلا بعد إتمام حفظه وتجويده . أما اليوم فالقرآن يدرس فى المدارس الأولية مع كثير من مبادىء العلوم الحديثة ، وزمنه محدود ، والتلاميذ يحفظون بالقراءة فى المصاحف لا بالتلقين ، والزمن المخصص لا يكفى للمراجعة ودراسة مواضع الاختلاف بين خط المصاحف والكتب

ولا أستطيع أن أفهم السبب فى سكوت وزارة المعارف على هذا ، وعدم قيامها بطبع مصاحف تتفق فى الرسم مع قواعد الكتابة المعروفة . ولو فعلت ليسرت للناشئين الحفظ مع القصد فى الزمن والجهد . على أنى لا أدرى سر جمودنا وتعصبنا للخط الذى كتبت به المصاحف ، وهو لم ينزل مع القرآن من السماء ! اللهم إلا إذا كان القدم يكسب الخطأ صفة الخلود !

وبعد ، فهل لمعالى وزير المعارف أن يضع هذه المسألة مع ما اعتزم أن يعالجه من مشكلات العلم ، وشئون التعليم ؟ ليته يفعل ، فيكسب ثواب العاملين ، وحسن ثواب المخلصين

(المنصورة) **على عبد الله**

كلمة حق للتاريخ

ذكر الدكتور زكى مبارك فى مقاله المنشور فى العدد ن ٤٩٧ تحت عنوان « حافظ ابراهيم » أنه :

« فى شهر سبتمبر سنة ١٩١١ أغارت إيطاليا على طرابلس —وهى يومئذ ولاية تركية— فنهض المصريون لمعاونة طرابلس بالطب والشعر والمال والرجال ... وبفضل تلك الحرب أنشئت جمعية الهلال الأحمر المصرى ، وكان لقلم الشيخ على يوسف تأثير فى إنشاء تلك الجمعية ، وهى لا تزال من كبريات جمعياتنا الخيرية

والحقيقة أن الشيخ على يوسف هو مؤسسها الأول . وكنت أتمنى أن أذكر أشياء كثيرة عن هذه الجمعية لولا أن هذا لم يحن وقته . وفى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٠ افتتح رسمياً مستشفى هذه الجمعية بشارع الملكة نازلى بحضور صاحب الجلالة الملك ووقف صاحب السعادة على باشا ابراهيم وقال :

« مولاى ! يرجع تاريخ إنشاء جمعية الهلال الأحمر إلى الحرب الطرابلسية عام ١٩١١ وقد أسسها المرحوم السيد على يوسف باشا ونخبة من كرماء الأمة المصرية لإسداء المونة الطبية والمادية لجرحى الطرابلسيين ومنكوبى الحرب منهم ... » الخ

عطية شابي
بحكدارية بوليس مصر

إجابة

السليط بالفتح : الزيت أو الزيت الجيِّد ، أرى أنَّ منه ما يقال له « سلطة » بفتحتين salade

يستعمل الفعل « صمد » فى بعض الصحف وفى أنباء الحرب بغير معناه ، وأظن أن المراد « صمل » أى اشتد وثبت . صمد وصمد له وإليه : قصد ، والصمد — بفتحتين — الذى يُصمد إليه فى الحوائج أى يُقصد ، والله الصمد (عن الحسن) الذى أُصمدت إليه الأمور فلا يقضى فيها غيره ولا يقضى دونه

ألمها – فى عبارة السائل الفاضل – الثغر النقى ، قال الأعشى :

ومهما ترفّ غروبُه يسق التيّم ذا الحرارهْ

وأنشد الجوهرى للأعشى :

وتبسم عن مها شبم غرىّ إذا تعطى القبّل يستزيد

(وهيد)

القراءات والتصحيف

اطلعت على ما دار حول القراءات فى الأعداد الأخيرة من مجلة الرسالة ، فرأيت ما يتعلق بالتصحيف لم يوف حقه من التمحيص ، فأقول بإيجاز : إن ما عزاه الحافظ السيوطى فى المزهر (٢ – ٢٣٠) إلى بعض المجامع من أن حماد بن الزبرقان صحف (إياه) إلى (أباه) و (فى عزة) إلى (فى غرة) و (شأن يغنيه) إلى (شأن يعنيه) هو غير الصواب ، لأن الأولى هى قراءة الحسن البصرى وابن السميفع ، والثانية قراءة الكسائى ، والثالثة قراءة ابن محيصن والزهرى

وحماد بن الزبرقان ظنين لا قيمة لما ينفرد به ، وشواذه مدونة فى كتاب ابن خالويه ، بل يستقصيها أبو حيان فى البحر . وما صح سنده من الشواذ يصلح لتفسير القراءات المشهورة ، وما لم يصح سنده منها يكون من قبيل وهم الراوى وكذبه ، وهؤلاء ما كانوا ينفون القراءة المتواترة فى تلك الألفاظ حتى يظن بهم التصحيف

والحافظ السيوطى رحمه الله على كثرة مؤلفاته كثيراً ما يشط قلمه عن الصواب . وقد ألف شرح الشاطبية فى القراءات السبع مع اعترافه بأنه لم يتلق علم القراءات عن شيخ . فمثله إذا نقل عن مجموعة مجهولة ما يتعلق بالقراءة سقط نقله من رتبة الاعتداد به .

(أبو أمين)

فى رسالة عمر

للأستاذ زكى غانم كلمة بعدد الرسالة (٤٩١) يرى فيها أن رسالة عمر فى القضاء قد أصابها تحريف فى كتاب المنتخب للسنة الرابعة الثانوية ، وفى كتاب شرح النصوص الذى اعتمد على المنتخب . وهو وضع كلمة (غير) مكان كلمة (عند) فى العبارة الآتية : « فما ظنك بثواب غير الله – عز وجل – فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ » وقال الأستاذ : « ولا وجه للنص محرفاً ، وقوله : « فى عاجل رزقه وخزائن رحمته » وصف لثواب الله لا ثواب غيره »

ولا أوافق الأستاذ على هذا الرأى ؛ بل أرى أن كلمة (غير) هى المناسبة هنا ، ولا يؤدى المعنى المراد بغيرها .

ومما يوضح رأيى أن عمر يقول قبل ذلك : « فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله . فما ظنك ...الخ »

فعمر يدعو إلى مراقبة الله ، وموافقة السر للعلن ؛ وينفر من الرياء ، والتظاهر للناس بغير ما تنطوى عليه النفس تقرباً إليهم ، وطمعاً فى ثنائهم ، ورغبة فى ثوابهم . فالمعنى الذى يرمى إليه عمر : أن ثواب غير الله حقير إذا قيس إلى ثوابه ؛ فلا يجدر بمؤمن أن يؤثره عليه . ولذلك صح ارتباط الفقرتين ، فكانت اللاحقة تعليلاً لمعنى السابقة ، وموازنة بين ثواب الناس وثواب الله ، وتحقيراً لما يرجوه المرائى عند الخلق بجانب ما يأمله المحسن عند الخالق ، وبالقياس إلى رزق الله الذى يفيضه على من يراقبه ، وخيره الذى يدخره لمن صحت نيته وأقبل على نفسه .

ومما يوضح ذلك أن الحرف (فى) هنا (فى عاجل ...) إنما جاء للموازنة والمقارنة ؛ كما فى قوله تعالى : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » بعد قوله : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » (سورة التوبة : ٣٨)

ولما قرأت هذه الرسالة قديماً التوى على معنى هذه الفقرة ، إذ لم أتبين موقع هذا الحرف (فى) من العبارة ؛ ولعل هذا هو السبب فى اعتراض الأستاذ ؛ ولكنى رأيت فى الكتب التى تعنى

بحروف المعانى أن (فى) يستعمل للمفاضلة ، فاستقر المعنى عندى .

قال ابن هشام فى باب حروف الجر من التوضيح إن المقايسة من معانى (فى) وقال فى المغنى : « الثامن (أى من معانى فى) المقايسة ، وهى الداخلة بين مفضول سابق ، وفاضل لاحق ، وقد استشهد فى كلا الكتابين بالآية الكريمة : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل »

وبهذا يزول اللبس الذى حدا بالأستاذ أن يجعل الظرف (فى عاجل) وصفاً لصواب الله لا ثواب غيره . فإنه فى موضع الحال من (ثواب غير الله) أى : فما ظنك بثواب غير الله مقيساً إلى ثواب الله . ومرجع الضمير فى (رزقه ، رحمته) هو الله

المتولى قاسم

المفرج

هـذا هو عنوان الفلم الجديد الذى أنتجته شركة لوتس فلم ووضع قصته الأستاذ حسن عبد الوهاب وقام بعمل حواره الأستاذ يوسف جوهر ، وهو من إخراج الأستاذ بركات . وقد قامت بالدور الأول فيه الممثلة السينمائية المعروفة آسيا بالاشتراك مع مجموعة كبيرة من الممثلين والممثلات . وموضوع الرواية يدور حول امرأة كانت تعيش مع زوجها وابنها عيشة سعيدة هادئة ، ولكن الأيام سخرت منها وانتزعتها من حياتها إلى حياة أخرى شقية تعسة . وقد استطاع المخرج بركات أن يظهر الموضوع فى صورة واضحة قوية . وبالرغم من أن هذا الفلم من النوع الدرامى العنيف فإنه لا يخلو من طرائف تبعث الضحك فى وسط هذه العاصفة الهوجاء . وقد استطاع كل ممثل أن يؤدى دوره على خير وجه

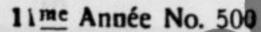
نكتفى الآن بهـذه الكلمة ونتمنى للسيدة آسيا كل تقدم ونجاح .

عبد الفتاح متولى غبن

حكم فى القضية رقم ١٥٥٨ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد خليل محمود خميس بتغريمه خمسة جنيهات ونشر الحكم وتعليقه وإغلاق المحل يومين والمصادرة لبيعه زيتاً بأكثر من السعر .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

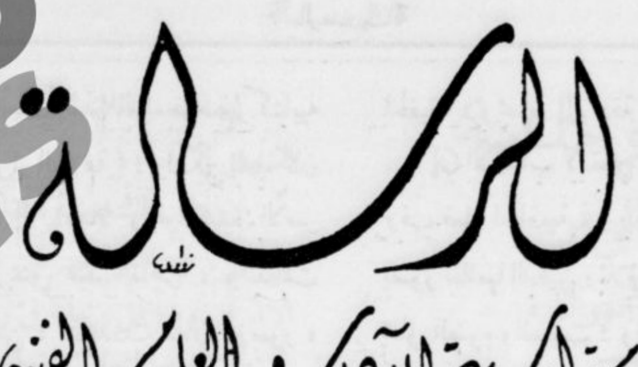



11me Année No. 500

Lundi - 1 - 2 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق أول فبراير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٦ — دفاع عن البلاغة

٢ — آلة البلاغة

أشرنا فى كلام سبق إلى أن طالب البلاغة الموهوبَ لا بد له من درس اللغة ، والطبيعة ، والنفس ، على الأخص ؛ ثم أجملنا المراد بدرس اللغة ، وألممنا فى صدد ذلك إلى منهاج يبتدئ بتقويم السليقة وينتهى باكتساب الذوق

وكان الأشبه بطبيعة الموضوع أن نفصل الكلام فى تحصيل علوم اللسان ووضع الخطة لها وبيان الفائدة منها ؛ ولكننا فى مقام من يدافع ولا يعلِّم ، ويوجه ولا يقود . وقديماً شكا عبد القاهر ما نشكو من زهادة الكتاب فى اللغة ، وانصرافهم عن النحو ، واستخفافهم بالبيان ، وتنكرهم للشعر ، وجريهم فى الصياغة على الاحتذاء ، وظنهم أن الكاتب متى « عرف أوضاع لغة من اللغات ... وعرف المغزى من كل لفظة ، ثم ساعده اللسان على النطق بها ، وعلى تأدية أجراسها وحروفها ، فهو بيّن فى تلك اللغة كامل الأداة ... » على أن[1] « هـهنا دقائق وأسراراً طريق العلم بها الروية والفكر ، ولطائف مستقاها العقل ، وخصائص معانٍ ينفرد بها قوم هُدوا إليها ، ودُلوا عليها ، وكشف لهم عنها ... وأنها السبب فى أن عرضت المزية فى الكلام ، ووجب أن يفضُل بعضه بعضاً ، وأن يبعد الشأو فى ذلك وتمتد الغاية ، ويعلو المرتقى ويعز المطلب حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز . . . »

(١) ما بين الأقواس من كلام عبد القاهر فى كتابه « دلائل الإعجاز »

٦ ـ ٢٠

ولقد حاول عبد القاهر أن يطبَّ لهذا الداء فوضع كتابيه القيمين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ؛ ولكن الداء كان قد استشرى فلم يصحّ عليهما إلا أفذاذ رُزقوا شدة الأسر وقوة الفطرة . ثم عقم الدهر بمثل عبد القاهر ، وانقطعت الأسباب بين كتابيه وبين الزمن ، فتجددت معانٍ وصور ، وتولدت أغراض وأساليب ، وأصبح هذان الكتابان فى أول الطريق مناراً لا ترى بعده إلا أغفالاً ومجاهل ! فهل فى البيانيين من أساتذة جامعاتنا الثلاث من يحاول فى البلاغة الحديثة ما حاول عبد القاهر فى البلاغة القديمة ، فيجددوا ما درس ، ويكملوا ما نقص ، ويقيموا أدب الكتابة وأدب النقد على قواعد ثابتة من الفن الصحيح والعلم الحديث ؟

* * *

ذلك ، وأما درس طالب البلاغة للطبيعة فلأنها كتاب الفنان الجامع ومصوَّره العجيب . منها موضوعه ومادته ، وعنها اقتباسه ووحيه ، وفيها دليله ونموذجه ، وبها أخيلته وصوره ، فيجب أن يطيل فيها النظر ، ويشغل بها الفكر ، ويرجع فى كل ما يعمل لأصولها الثابتة وقواعدها المقررة ، ليتقى الضلال والخطأ ، ويأمن الإغراق والتكلف .

هذا الكتاب المحيط المعجز الذى ألفته يد القدرة قد تجمعت على هوامش متنه الهائل عقول بنى آدم منذ استبصروا ، يحاولون كشف أسراره وفهم حقائقه ؛ فوفّقوا بالاستقراء والاستنباط إلى ابتكار علوم ، وابتداع فنون ، تخصص فى هذه أقوام ، وفى تلك أقوام ، كالجيولوجيين والجغرافيين والطبيعيين والكيميائيين والفلكيين والمهندسين وسائر من يتصل علمهم أو عملهم بالأرض والسماء ، واليبس والماء ، والجماد والحى . والأديب وحده هو الذى يجب عليه أن يشارك فى كل علم ويلم بكل فن ؛ لأنه عرضة لأن يكتب فى كل أولئك ولو على سبيل التصوير والتشبيه . فإذا لم يكن واقفاً على مصطلحات الفنون والعلوم ، عارفاً بمختلف الحدود والرسوم ، قدح ذلك فى ثقافته وغض من كفايته . ولقد عبرنا بالمشاركة والإلمام لأن دراسة الأديب للطبيعة تختلف عن دراسة الفيلسوف لها : الفيلسوف يدرسها ليعرف ، والأديب يدرسها ليحتذى . الفيلسوف يشرح ويحلل ، والأديب يصور ويمثّل . فحظ الأديب من درس الطبيعة هو حظ المصور من درس التشريح : لا يزيد على القدر الذى يضيف إلى جمال التخيل جمال الحقيقة ، ويجمع إلى دقة المثال براعة الطريقة

إن الأسباب لا تعنى الأديب وإنما تعنيه النتائج . فالفلكى يرقب فعل الجاذبية ، ويرصد حركة الأفلاك ؛ ولكن الشاعر يصور نظامها الدقيق وتلاؤمها العجيب وتطورها الدائم . والطبيعى يحلل الضوء والصوت ؛ ولكن الشاعر يُسمعك فى شعره هزيم الرعد من جبل إلى جبل ، وزفيف الريح من واد إلى واد ، فيقذف فى قلبك الرهبة . ويريك وميض البروق الزُّهر تتكسر فى الأفق صفائح وهاجة تشق رُكام السحائب الجون ، فتبعث فى نفسك الروعة . والكيميائى يشرح سطوع الروائح على طريقته الخاصة ؛ ولكن الشاعر يصورها لذهنك فى النسيم الرفاف يصفق فى الهواء بأجنحته المخضلة بأنداء الفجر ، المضمخة بعطور الصباح

* * *

وأما دراسته للطبيعة فلأنها الينبوع الثَّرُّ لما يزخر به الشعر والنثر من مختلف الغرائز والعواطف والأفكار والأحاسيس ؛ ومعرفة الينبوع فى مصدره وجوهره ومداه ، شرط فى معرفة ما يصدر عنه على حقيقته وطبيعته وأثره . وإذا كان من خصائص فن الكاتب أن يخلق أشخاصاً للقصص ، ويمثل أهواء على المسرح ، ويعالج أخلاقاً فى المجتمع ، ويحلل عقَداً فى الناس ، فمن غير المعقول أن يحسن شيئاً من أولئك إذا لم يكن عليما بأسرار القلوب وأهواء النفوس وما ينشأ من التعارض والتصادم بين الغرائز والأخلاق ، وبين العواطف والمنافع . وإذا كان مدار البلاغة على مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فإن إدراك الفروق الدقيقة بين الحالات المختلفة للمخاطب ، وصياغةَ الكلام على قوالب المقتضيات المناسبة للخطاب ، وتصويرَ الأخلاق على نحو يغرى بالخير أو يحذر من الشر ، والقدرةَ على خلق الجمال فى الأسلوب ، أو التعبير عما يخلقه الجمال فينا من العواطف ؛ كل أولئك يستلزم دراسة خاصة لعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الجمال

هذا كلام أشبه بالمتن فى تعميمه وإيجازه . والعذر المسوغ لهذا الأسلوب أننا نخاطب الكتّاب ونبين الحدود ونبرز الخصائص ؛ ومن أجل ذلك قصرنا الكلام على اللغة والطبيعة والنفس من جملة ما يجب على طالب البلاغة درسه ؛ لأنها فى رأينا أشبه بعلوم التخصص له . والمفروض أن يخصها بطول النظر بعد أن يأخذ قسطه الأوفى من ضروب الثقافة

(للكلام بقية)

أحمد حسن الزيات

رســـالة وجدانية

ألوان وألوان

« للكاتب المجهول »

مولاتى !

كان الظن أن ينتهى ما بيننا بعد الجدال الذى ثار فى الليلة الماضية ، أو السنة الماضية ، فما أدرى متى التقينا آخر مرة . وكيف أدرى واللحظة القصيرة من الفراق تتمثل لقلبى وكأنها أجيال وتواريخ ؟

كان الظن أن ينتهى ما بيننا فلا تعود أحلامه ولا أهواله ، ولا ترجع أيامه ولا لياليه ، ولا يمر بالخاطر فى لحظة من زمان

كان الظن أن نفترق ، بعد أن تشهينا أن نفترق ، ومعاقرة الكأس توحى بصدع الكأس ، فكيف أراجع هواك ياظلوم ، بعد أن نويت المتاب ، على أعظم حال من الشوق إلى المتاب ؟ !

قد تشهينا أن نفترق ، فمتى نفترق ؟ ومتى نذوق طعم الأمان من عدوان الأشجان ؟

كان اللقاء الأخير بلية من البلايا المواحق ، فقد تناظرنا بشراهة تفوق الوصف ، وكأننا نريد أن نلتهم ما بقى من زاد الحب ، وأن نتزود للأعوام البواقى ، وأن نقول إننا لا نواجه بيداء الصدود بغير زاد

لقد أخطأنا فيما صنعنا ، والمحبون أطفال كبار لا يدرون عواقب ما يصنعون من مرارة الافتراق ، وهو غير الفراق !

لن ينقضى ما بيننا أبداً ، ولن تبيد تلك الألوان ، ألوان الأثواب وألوان القلوب

كنت تلقيننى فى كل مرة بثوب جديد ، وكنت ألقاك فى كل مرة بقلب جديد . وما أبعد الفروق بين ألوان الأثواب وألوان القلوب !

لن ينقضى ما بيننا أبداً . وبالرغم منى أن يكون ما بيننا أوثق مما بين العين والضياء ، فلك بدوات تجعل الإيمان بحنانك أضعف من الإيمان بأمانة المحتالين

لم تكن لى يدٌ فيما صرنا إليه ، فقد فررت من هواك ألف مرة ، وانتقلت من محلة إلى محلة ومن إقليم إلى إقليم ، لأنجو بنفسى ، فهل نجوت ؟

إن الشمس تلاحقنى حيثما توجهت ، فأين الفرار من وَهَج الشمس ؟

لا المتاعب الشخصية تشغلنى ، ولا الحوادث الدولية تشغلنى ، ولا شىء فى الدنيا يصرفنى عن التفكير فيما صرتِ إليه بعد الافتراق ، يا أجمل ريحانة فى روض الوجود

ألوان أثوابك لا تفوق ألوان قلبى ، إلا أن يقال إن المصنوع أجمل من المطبوع

ألوان ثوبك لها أمثال ، وليس لقلبي أمثال ، وأنت تعرفين ثم تعرفين

إذهبى إلى أبعد الآفاق ، واعرفى جميع الخلائق ، فلن تكونى لغيرى أبداً ، ولن يكون للغواية سبيل إلى المليحة التى وسمت جبينها بغرامى

لن أجود عليك يوماً بنعمة الحرية ، وستظلين فى إسارى إلى آخر الزمان

جرِّبى التحرر ، جربيه ، إن كانت لك بالتحرر من وثاق يدان دنياك بعدى بئرٌ مسمومة ، فانظرى ما تصنعين

لن ينقضى ما بيننا أبداً ، ولن يكون لنا غير ما خُطَّ فى صحيفة الخلود ، وهيهات ثم هيهات أن يمحى سطرٌ خطَّته الأقدار فى صحيفة الخلود !

ما فى كل يوم ، ولا كل عام ولا كل جيل ، ينعطف قلب إلى قلب كما ينعطف قلبك إلى قلبى ، فنحن الغاية المنشودة من الوفاق الصحيح بين الأرواح والقلوب

دنيانا التى أعرف وتعرفين أصبحت قفراء ، فمتى نلتقى لتعود زهراء ؟

خبرينى متى نلتقى ؟ ومتى نعلن الانتصار على عوادى الزمان ؟

لطف الله بك ياظلوم ، وحفظ عليك نعمة الوجه الوهاج !

متى نلتقى ؟ وهل افترقنا ؟ أنت بين يدىَّ وإن حجبتك عنى فيافٍ وسهوب .

« الكاتب المجهول »

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٧٦٨ سنة ٩٤٢ بتغريم فتحية محمد ماجد من الدلجا خمسين جنيها والمصادرة لبيعها أذرة بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يوليه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٨٢ سنة ٩٤٢ بحبس فتحى عطيه الفلاح بالتلين أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يوليه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٧٩ سنة ٩٤٢ بحبس محمد مصطفى نفله الفلاح بالتلين أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

مقاومة التدخين — أين « الرسالة » ؟ سنعرف الأدب فى أيام الشدة كما عرفنا فى أيام الرخاء

مقاومة التدخين

فى العام الماضى قام الدكتور شخاخيرى بتأليف رابطة لمقاومة التدخين ، ومضى يستهدى المفكرين والمؤلفين والوزراء كلمات فى استنكار التدخين . ولم يكتف بذلك ، وإنما اندفع فنظم سلسلة محاضرات فى « دار الحكمة » دعا إليها أشهر المحاضرين ليقاوم آفة التدخين

والدكتور شخاخيرى رجلٌ مخلص ، ودعوته هذه تستحق التأييد ، ولكنها معرّضة لأخطار سأنص عليها فى هذا الحديث لأهدم الأساس الذى قامت عليه ، ولعل الله يتفضل فيكتب لى النفع مما تعلمت ، لأننى مع الأسف من المسرفين على أنفسهم بالتدخين

شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر ، ويوقظ الذهن ، ومن أجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتّاب والسياسيين ، حتى صار من المألوف أن نرى صور الساسة والوزراء وفى أفواههم السجائر النحاف أو السمان ، وحتى صار من العسير أن نتصور شاعراً أو زعيماً خلت حياته من عبق الدخان

لن أقف موقف الواعظ فى دفع هذه الآفة ، ولكنى سأقف موقف المؤرخ ، ثم أترك الحكم للقراء فيما سأسوقه من البينات

أول أمة عريقة فى التدخين هى أمريكا القديمة ، أمريكا الأمريكية ، لا أمريكا الأوربية ، أعنى أمريكا التى سبقت عهد كولمبوس ، وسبقت عهد الاتصال بالأوربيين والأسيويين

فما الذى استفادت أمريكا القديمة من التدخين ؟ هل فتق أذهان أهليها إلى ألوان من الفكر والعقل والبيان ؟ هل جعل لأهليها ماضياً فى رفع دعائم الحضارة الإنسانية ؟

كلا ، وإنما تركها التدخين أمةً بلا تاريخ

وأقدم الأمم فى رفع راية العقل هم المصريون والبابليون واليونانيون ، فهل عرف هؤلاء التدخين حتى ننسب رقيهم إلى هذا المرض الفظيع ؟

وهل عرف العرب التدخين حتى نرد السبب فى تفوقهم إلى الدخان ؟

هل دخن الجاحظ والغزالى وابن رشد والبحترى والمتنبى وأبو فراس ؟

أترك التاريخ القديم وأذكر شواهد قريبة جداً من تاريخ مصر الحديث :

أعظم كاتب سياسى بإجماع الآراء هو المرحوم عبد القادر باشا حمزة ، ولم يكن يدخن أبداً ، وما أذكر أنى رأيته طلب فنجان قهوة فى أى وقت وهو يكتب أصعب المقالات

ومن عظماء كتابنا الأستاذ الزيات والأستاذ العقاد ، وهما لا يعرفان التدخين . وهذا كلام لا يكاد يصدقه القارئ ، ولكنه الواقع ، ولا حيلة فى إنكار الواقع[1]

ولو أن الله أراد أن أنتفع بما تعلمت لتذكرت أنى ألفت كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وكتاب « النثر الفنى » قبل أن أعرف التدخين ، فمتى أنتفع بما تعلمت ؟

أما بعد فقد دعانى إلى كتابة هذه الكلمة حوادث أغضبتنى ، لأن فيها دعاية إلى التدخين ، وهو مرض يفتك بشبانِ هذا الجيل

الحادث الأول : فى الأسبوع الماضى وقف الأستاذ زهير صبرى يستجوب الحكومة فى مجلس النواب عن تسعير الحاجيات الضرورية ، فلما وصل إلى السجائر قال : إن السجائر قد غلت مع أن « كيف » القهوة والشاى لا يحلو إلا بسجارة (؟!)

فهل فاته أن فى هذا الكلام إيحاء بأهمية السجائر فى الحياة اليومية

الحادث الثانى : فى الأسبوع الماضى أيضاً « تفضلت » الإذاعة اللاسلكية فأذاعت أغنية تنطق بفضائل السجائر ، أغنية منقولة عن أحد الأفلام السينمائية

وأنا سأثبت هذه الأغنية فى هذا الحديث لغرض واحد : هو تأريخ الحياة الأدبية ، فما يجوز لمؤرخ الأدب أن يترك شيئاً بلا تقييد ، ولو كان فى الدعوة إلى الدخان . وسأدعو الإذاعة اللاسلكية بعد ذلك إلى التفرقة بين جو الرواية وجو الغناء

عنوان الأغنية « خذ سجارة وهات سجارة » وهى من الشعر الملحون :

السجارة فى الحياه زىّ أنا
تتحرق وتضحى روحها لأجل غيرها

---

(١) عرفت أخيراً أن الزعيم الوطنى مصطفى باشا كامل لم يعرف التدخين

عمرها فى الدنيا ما شـــافت هنا
تحيا بين النار عشان يرتاح ضميرها
خد سجاره ، وهات سجاره
السجاره إن كنت يوم حتـدوق حنانها
تلقى نفسك فى حيـــاه غير الحياه
تلقى طيف اللى تحبه بين دخانها   لما فكرك يبقى سارح فى هواه
خد سجارة ، وهات سجاره
أنت زعلان ؟ خد سجارة ، خدها منى
يا لمه ولمها واطفى الشوق بنارها
أنت تبقى فى جوها عايش متهنى   والسجارة تبقى زيى فى مرارها
خد سجاره ، وهات سجارة
السجارة لما تيجى وتواســيك
تنكوى بنارك ومن شوقك تبوسها
هى بتـصون الجميل حرام عليك   بعد ما تحرقها بالأقدام تدوسها
خد سجاره ، وهات سجاره

وهذه القطعة قوية جداً فى الإبانة عن الغرض الذى نظمت فيه ، ولكن محطة الإذاعة تنسى أن ما يبيحه جو الرواية لتصوير إحدى الحالات النفسية لا يباح عرضه على جماهير بريئة يؤذيها الإيحاء بجمال الدخان

جو الرواية المسرحية أو السينمائية قد يدعو إلى تجميل إحدى الرذائل ولكنه قد يسوق بعد ذلك عبرة تقتل السم الذى بثه المنظر الأول ، وبهذا يتعادل النضال بين السم والترياق

فما عذر محطة الإذاعة فى أن تبث داء بلا دواء ؟

الحادث الثالث : رأيت فى أحد الأفلام ممثلاً يدخن بإسراف مع أنه صديق أعرفه منذ سنين ، وهو يبغض الدخان ، فلما سألته عن السبب أجابنى بأن الأفلام المصرية تجعل الناس جميعاً مدخنين

فما هذا الذى نرى ؟

أنزور الحياة المصرية لتشابه الحياة الأمريكية ؟

أنكذب على الواقع فى سبيل الفن ، مع أن غاية الفن هى أن يجسم المحاسن والعيوب ، حين يراد به تهذيب الأخلاق ؟

اللهم حوالينا ولا علينا !!

أين الرسالة ؟

حدثت قرائى مرة أنى رفضت أن تهدى إلىّ الرسالة ، لأنى أجد أنساً فى اشترائها من السوق ، كأنى أوجه تحية إلى صاحبها الصديق . وبالأمس انقبض صدرى حين حدثنى باعة الجرائد أنها احتجبت لعدم وجود الورق ، ثم لطف الله فعرفت بعد ذلك أنها اكتفت بطبع كمية بقدر عدد المشتركين ، إلى أن يأذن الله بالورق الذى يساعد على أن تغمر السوق من جديد .

ليتنى اشتركت فى الرسالة !

هل خطر فى بال من تهمهم سمعة مصر الأدبية فى الشرق خاطر احتجاب الرسالة عن الأسواق ؟

هل آذاهم أن يقال إن مجلة مثل الرسالة لا تجد قوتها من الورق مع أنه قوت مبذول لمنافع قد تضر بسمعة مصر فى أنظار من لا يعرفون غير الجد الصريح ؟

ليست الأزمة أزمة الورق ، فهو موجود ، وإنما الأزمة تنحصر فى انعدام التعاون والتساند ، هى أزمة الأدب اليتيم الذى لا يسأل عنه أحد حين يغيب !

هل صلصل الهتاف فى بيت الأستاذ الزيات من إحدى الجهات للسؤال عن الأسباب التى حجبت الرسالة عن الأسواق ؟

أ كان يجب ألا تقتصر الرسالة على الأدب الصرف لتجد من يسأل عنها حين تحتجب ؟

سنعرف طاقة الأدب فى اجتياز هـذه المحنة العانية . وإن اقتضى الأمر أن نرجو الحكومة أن تسمح بإذاعة محصول الرسالة عن طريق المذياع فسنفعل

أيها الأدب

أنا غير خائف على مصيرك ، وهل كانت هـذه أول محنة صارعتها وصارعتك حتى أخاف عليك ؟

لا تصدق أيها الأدب أننا سنفرط فى استقلالك بأى ثمن ، ولا تتوهم أننا سنتخلى عنك بما يسمونه الظروف أو الصروف سنعرفك فى أيام الشدة ، كما عرفتنا فى أيام الرخاء ، والله ولىّ الصابرين .

زكى مبارك

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يوليه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٧٤ سـنة ٩٤٢ بحبس عبد الله محمد سيد أحمد الفلاح بالتلين أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته لجهة الحكومة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٧ مايو سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٢ سنة ٩٤٢ بحبس فريد سيد أحمد الجزار بالاخيوه أسبوعين بشغل وتغريمه ٣ جنيه وإغلاق المحل ثلاثة أيام لبيعه لحوم بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة العسكرية ١٤٤٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس محمد رشوان ثلاثة شهور مع الشغل وجلده ١٥ جلدة لبيعه لحم بسعر أزيد من التسعيرة

أهمية دراســـة التاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

مركز التاريخ فى التربية العقلية والجمالية كبير . فالتاريخ يزيد معلومات الدارس عن الحياة ، ويوسع أفق تفكيره ، ويرقى بقدرته على الحكم . وفى التاريخ يستطيع الإنسان البحث فى أسباب الحركات العظيمة ونتائجها ، وفى اتجاهات العالم لو أن حوادث هامة لم تقع . لا ريب فى أن طريقة البحث الذاتى وقراءة المصادر الأصلية وتفسيرها ونقدها تثير همة الباحث وتبعث فيه حب الحقيقة والبعد عن التحيز . وفى التاريخ مادة تساعد على تقوية أنواع الذاكرة التى لدى الطالب ، فنى رؤية الآثار والصور التاريخية ما يقوى بعض الأنواع البصرية من الذاكراة ، والتاريخ يقوى التذكر السمعى إذا كان عند الدارس استعداد طبيعى لتذكر ما يسمع ولتذكر نوع خاص مما يسمع .

أما من حيث الخيال فللتاريخ قيمة كبيرة فى تدريبه وتوسيع مجاله . فالتاريخ القصصى يشبع رغبات صغار القارئين فى التخيل والبعد عن عالم الحقيقة الراهنة فيرون فيه أعمال البطولة ، ويتلو الحوادث بعضها بعضاً فيذهب بهم الخيال كل مذهب ولكن فى حدود الحقيقة . أما فى حالة المراهق الذى يشرد به الخيال نتيجة لثورة قوية يهتز لها جسمه وعقله ويرجع الفكر به إلى الماضى البعيد للانسانية أو يمتد به إلى المستقبل ثم ينقلب به إلى الحياة الحقيقية وهو كليل — يشفى التاريخ فيه هذه الرغبة فى الرجوع إلى الماضى ويفسر له النظم الموجودة ويخفف من حدة شرود الفكر . ويجد الباحث والدارس لذة عظيمة فى قراءته للتاريخ وتخيله للحوادث . فزيارة للأهرام والآثار حولها ، وتخيل فرعون يأمر وينهى وقد عنت له الوجوه ... كل هذا يستوقف النظر ويثير ذكريات لأيام رفلت فى حلاها مصر ... وفى التاريخ مجال واسع لتمرين الخيال ، يمده بالمادة التى هى أساس له ، ثم هو يدرب المقدرة على التخيل ويسمو به . ويساعد التاريخ على تذوق الفن والجمال . فهو معرض لنواحى الحياة الإنسانية : فهذا جانب السياسة ، وهذا جانب الاجتماع ، وهذا جانب العلم والأدب . هذه ناحية إرضاء الشهوات ، وهذه ناحية إرضاء الروح . هذه هى آثار المصرى ، هذه مسلاته ومعابده . هذه هى آثار الفن على حياة الإغريق ... هذا هو الأدب الذى فاضت به النفس البشرية . ما الشعور الذى يغلب على النفس حينما تزور الإنسان هيكلاً من الهياكل أو معبداً من المعابد أو مسجداً من المساجد أو قصراً من القصور القديمة ، أو عند ما يقرأ وصفاً لهذه الآثار ! ما الإحساس الذى تحسه النفس حين تقرأ وصف البحترى إيوان كسرى أو وصف ابن حمديس لقصور أمراء تونس !

وأخيراً ننتقل إلى قيمة التاريخ العظيمة فى التربية الوطنية والإنسانية . يولد الإنسان فى مجتمع تربط أفراده علاقات متعددة ، لا يدرى شيئاً عن نظم ذلك المجتمع وقوانينه التى هى كنز خلفه الماضى ، ماضى بلدته وماضى وطنه وماضى الإنسان ؛ فالنظم والمثل العليا التى عينت سير الإنسانية فى الماضى لا زالت هى التى تعين وتحدد السير فى الحاضر ، ولا مناص للانسان من تلقى هذه التركة بما فيها من أعباء ومسئوليات . وكيف يقوم بواجبه نحو ذلك التراث ونحو الوطن والمجتمع الإنسانى إذا لم يدرس هذه التركة وقيمتها ؟ وقد لاحظ حزب من المفكرين هذه القيمة ، فقالوا بتدريس التاريخ القومى والاهتمام به اهتماماً خاصاً . ظهرت هذه الفكرة بشكل واضح فى بروسيا عقب كارثة سينيا ، وانتشرت فى أوربا بين الشعوب التى تتحفز للظهور والوحدة . رأت هذه الشعوب أن الوطنية الحق لا تقوم إلا على أساس الفهم لنظم الوطن ، وتقدير التركة التى خلفها ، وتحمل المسئولية التى تركها ، ومعرفة أيام عظمته وأيام محنته والعمل على نشر الرسالة التى خلق من أجلها . والتاريخ حينما يذكر بمجد الوطن ومحنته هو فى نفس الوقت يدعو إلى المحافظة على تراث الوطن سليماً للمستقبل ، إن لم يكن زائداً فغير منقوص ، لأنه يخلق العاطفة والشعور الذى يدفع الفرد إلى القيام بواجبه وتنير السبيل أمامه . على أن الغرض القومى لا يجوز أن ينسينا الأمانة العلمية وحب الحقيقة .

والتاريخ ليس سجلاً لماضى الوطن فحسب ، فهو سجل لماضى الإنسانية كلها . والنفس ميالة بطبيعتها إلى معرفة ما خلفه الإنسان فى كل مكان ، ذلك الإنسان الذى تربطها به وشائج القرابة والنسب . ولن ينكر مثقف قيمة ماضى الإنسانيــة لحاضرها . ويدلل المفكر الإنجليزى جراهام ولاس على هذه القيمة بأنه لو فرض وأصيبت الأرض بصاعقة تنسى كل فرد

العادات والمعلومات التى أخذها من الأجيال الماضية فتسعة أعشار سكان لندن ونيويورك سيموتون فى مدى شهر ، وتسعة وتسعون فى المائة من الباقى سيموتون فى خلال ستة أشهر إذ لا يكون لديهم لغة ولا أفكار ولا معرفة بالقراءة والكتابة ... والإنسان محتاج إلى إنسانيته القديمة ليحيا حياة طيبة ، وكلما ارتقت به الحضارة زاد احتياجه إليها . التاريخ يشرح لنا الفكرة التى تسيطر على العالم ، فكرة التطور . قد يرى البعض أن العلوم الطبيعية والأدب يفسران ناحية منها ، والتاريخ يفسر النواحى السياسية والاجتماعية ، ولكن إنعام النظر يرينا أن العلم الطبيعى والأدب يدخل فيهما عنصر التطور نفسه ولذا لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى التاريخ

التاريخ يضرب لنا أمثلة حسية على الحياة ، فهذه حياة أناس عاشوا فى ذلك العالم وأحسوا إحساسات خاصة ، تحاربوا وتصالحوا وطالبوا بحقوقهم وذادوا عنها أو انصرفوا إلى التمتع بالحياة وأحبوا الترف ، ماذا كانت نتائج أعمالهم ، ما بواعث فعالهم ؟ يبين لنا التاريخ اختلاف الناس وأثر ذلك الاختلاف ، وأن لكل فرد نحو بلدته ونحو وطنه ونحو العالم مهمة خاصة يؤديها فى الوجود . وهو لا يبين لنا اختلاف الأفراد أو الطبقات فحسب ، بل اختلاف الأمم والشعوب أيضاً ، فلكل أمة رسالة قد أدتها أو هى فى سبيل تأديتها للحياة . ثم هو يبين لنا اختلاف العصور ، فكل عصر يختلف عن سابقه له طابعه الخاص فى طرائق تفكيره ومنتجاته . فعصرنا الحاضر يختلف اختلافاً ظاهراً عن العصور الماضية ومشاكلنا والموازين التى نحكم بها على الأشياء مختلفة عن مثيلاتها فى الماضى ، ولكن الماضى ضرورى لفهم مشاكلنا الحالية ، فالحياة كما يوضح لنا التاريخ فى تغير دائم ، فى تطور

يرينا التاريخ تعاون الإنسانية فى ارتقاء سلم الحضارة ، كما يرينا أنها سائرة فى طريق النمو والتحسن ، فالأفراد يحيون ثم يموتون ، والأمم تقوم وتسقط ، والحضارة تتقدم حيناً وحيناً تتأخر ، ولكن النمو مطرد . فالانسان كفرد تزداد حقوقه وأصبح أمامه مجال كبير لخدمة مستقبله وعائلته ووطنه والعالم . وينكر بعض المفكرين النمو فى نواحى الروح والدين والأخلاق ؛ فالعصور الماضية عصور الأنبياء . ولم تتقدم الأخلاق خطوة ، فالقانون بين الدول لا زال قانون القوة . حتى فى الناحية العقلية يشير البعض إلى مثل ذلك الجمود ، فلا دليل فى نظرهم على أن عقل الإنسان الحاضر أرقى من عقل أفلاطون . ويقول هكسلى إنه لا يعرف دراسة محزنة لتفسير تطور الإنسانية مثل دراسة التاريخ . فالإنسان لا زال وحشاً ولكنه خير من الوحوش الأخرى . وأحسن الحضارات الحديثة لم تظهر لنا مثلاً أعلى أو شيئاً جديراً بالبقاء

ويرد على ذلك بأن التاريخ يرى لكل عصر مساوئه ، وأن الإنسانية لم تبلغ بعد حد الكمال ، وأن الطبيعة الإنسانية ذاتها لم تتغير إلا بمقدار ضئيل ، وإنما الذى يتغير تغيراً محسوساً هو تكيفها لظروفها الطبيعية والاجتماعية . ونمو محصول الإنسان من حيث المعلومات ومن الناحية المادية واضح ، فكشف العالم الجديد وكشف كثير من قوى الطبيعة واستغلالها لمصلحته ، وتكييف الإنسان للبيئة من إصلاح الأراضى وإزالة الغابات واختراق البحار والجبال والصحارى والهواء شواهد على النمو العقلى وعلى ارتفاع مستوى المعيشة . ولا ريب فى أن زيادة المقدرة على التعليم والتعلم ، وتقدم العلم وسهولة الانتقال هى فى مصلحة الرقى العقلى والأخلاقى والروحى

التاريخ يصف التطور الاجتماعى لا العضوى والبدنى ، فإذا شعر الدارس بأنه يعيش فى جو كله تطور ونمو فهو لا ينسى الماضى . سيقدر الحاضر ويزداد أمله فى المستقبل . يعرف الدارس خلال التاريخ سر الإنسانية ويجد فيه أكبر خادم للفكرة الإنسانية ذاتها ؛ لأنه يقلل من حدة التعصب لقومية أو لدين وعادات . فالتاريخ يبين أن العالم لم يقم على حضارة واحدة أو لغة واحدة أو دين واحد أو عصر واحد — فلكل حضارة نصيبها يغبنها التاريخ إياه — يرينا أن الأمم تبادلت ولا تزال تتبادل أنواع الحضارة . ولئن كان العالم قد أفاد فن الحضارة المصرية القديمة فهو مدين للفلسفة اليونانية والفن اليونانى والقانون الرومانى . ولا ريب فى أن مدنية العصور الوسطى فى الشرق والغرب كانت أساساً عملياً لحضارة العصور الحديثة .

محمد مصطفى صفوت

الحضارات القـــديمة في القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٣ —

الحضارة الكلدانية

الكلدان من الشعوب السامية القديمة ، وقد قامت لهم دول بالعراق ، وكان لهم فيه حضارة تضارع الحضارة المصرية في القدم . ولكنها سارت في طريق معوج أضعف من شأنها ، وجعلها أقل نتاجاً من غيرها من الحضارات القديمة ؛ وقد نشأ هذا من أنهم كانوا يتجهون بعقولهم نحو الكواكب والنجوم ، فاتخذوها آلهة يعبدونها ، ويهتمون بمعرفة ما يتصل بها ، حتى جرهم هذا إلى الاشتغال بعلم الفلك ، وإلى أن يجعلوا جل اهتمامهم في حضارتهم بهذا العلم ، وبكل ما يتصل به من العلوم كالسحر والتنجيم ، ولا شك أن مثل هذه العلوم لا تصلح أساساً لحضارة تنفع الناس في دنياهم ، وتهيئ لهم فيها أسباب الهناءة والسعادة ، فلم يُعْنَ الكلدان بالعلوم التي تنظر إلى الأرض كما عنُوا بالعلوم التي تنظر إلى السماء ، ولم يهتموا بالزراعة والصناعة والتجارة كما اهتم بها إخوانهم الفينيقيون في الشام ، مع أن هذه الأمور هي الأسس التي يقوم عليها بنيان الحضارة ، وترفل بها الشعوب في حلل الرفاهية ، ولهذا ذهبت الحضارة الكلدانية ولم تترك وراءها إلا شهرة بابل عاصمتها بالسحر ، وهي شهرة لا ترفع من شأنها ، ولا تجعل لها منزلة عالية بين الحضارات القديمة

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك الاعوجاج في الحضارة الكلدانية في الآية (١٠٢) من سورة البقرة : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »

فالقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن السحر كان قد انتشر في تلك المدينة حتى عم ضرره كل الناس ، وتفاقم خطبه بينهم ، وصار أربابه هم الآمرين الناهين فيهم ، لأنهم أوهموهم أن لهم قوة غيبية وراء الأسباب التي ربط الله بها المسببات في هذه الدنيا ، فهم يفعلون ما يوهمون الناس أنه فوق استعداد البشر ، وفوق ما منحوا من القوى والقدر ، وأنهم يستعينون عليه بالشياطين وأرواح الكواكب ، إلى غير ذلك من ضلالاتهم وكفرياتهم ، فأرسل الله هاروت وماروت يعلمانهم حقيقة السحر ، ويبينان لهم أن السحرة بشر مثلهم لا قدرة لهم على النفع والضر ، وأن السحر إما حيلة وشعوذة لا أصل لها ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وبهذا يكون علماً يؤخذ بالتعليم ويتكرر بالعمل ، وفي استطاعة كثير من الناس أن يتعلمه ويفعل ما يفعله أربابه ، ولا يرجع كما يزعمون إلى قوة غيبية فيهم ، ولا أثر فيه لتأثير الشياطين وأرواح الكواكب ، وهو مع هذا ليس من العلوم التي يليق بذوي الأخلاق الكريمة الاشتغال بها ، لأنه من العلوم التي تضر ولا تنفع ، ولا يشتغل به إلا كل دجال أو مشعوذ .

الحضارة الحميرية

وينسب الحميريون إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وكان لهم ملك عريق باليمن ، وحضارة يشهد بفضلها ما بقي من آثارها . ومن أشهر دولهم فيه دولة سبأ ، وكانت دولة تجارية خلفت دولة مَعين في نقل التجارة بين الهند والحبشة والعراق والشام ومصر ، وقد زهت حضارة اليمنيين في عهد هذه الدولة ، وعظم غناؤها وثراؤها ، لأنها كانت تعنى بشق الأنهار وبناء السدود التي تحفظ المياه بين الجبال ، لتصرفها على الأرض بقدر ، ولا تذهب سدى في الفلوات والبحار ، فعمرت بذلك بلاد اليمن أعظم عمارة ، وامتلأت نواحيها بالزروع والحدائق وناطحت قصورها وحصونها السحب

وقد نوه القرآن الكريم بحضارة سبأ أعظم تنويه ، وجعلها لعظمها وفخامتها آية من آيات الله ، فقال تعالى في الآيات : — ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ — من سورة سبأ (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم

واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ؛ وهل نجازي إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ؛ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

وقد ذكر المفسرون من عظمة تلك الجنات أن المرأة كانت تحمل مكتلها على رأسها وتمر بها ، فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً . وذكروا من طيب تلك البلدة أنه لم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ، وأن الرجل كان يمر بها وفي ثيابه القمل فيموت من طيب الهواء . وذكروا أن تلك القرى الظاهرة كانت تتواصل من اليمن إلى الشام ، فإذا سافروا فيها لتاجرهم يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى ، وكلما وصلوا إلى قرية وجدوا فيها المياه والزروع والأشجار ، فلا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام . والقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن عظمة هذه الدولة كانت قائمة على أساس التجارة ونقلها بين تلك البلاد ، كما يشير بقوله : (باعد بين أسفارنا) إلى أن زوال عظمتها كان بسبب انتقال زمام هذه التجارة من أيدي أبنائها ، وكل هذا يتفق مع ما وصل إليه علماء التاريخ في عصرنا ، وهم لم يصلوا إليه إلا بعد الكد والتعب في كشف ما تركته هذه الدولة من آثار ، وفي محاولة قراءة ما دون فيها من حوادث وأخبار ، وكم للقرآن من أمثال هذه المعجزات العلمية !

وكان سبب انتقال التجارة من أيدي أبناء هذه الدولة تحول طريقها من البر إلى البحر ، فأحدث ذلك أثراً كبيراً فيها ، وجعلها تعجز عن حفظ تلك السدود وتهمل شأنها ، وكانت خاتمتها بانهيار ذلك السد العظيم ، سد مأرب الذي أشار إليه القرآن الكريم .

(يتبع) **عبد المتعال الصعيدي**

جي دي موبســـــــان

١٨٤٠ – ١٨٩٣

للأستاذ حسن فتحي خليل

١ – نشأته وتكوينه وأسلوبه

ولد موبسان فى قصر ميرو مسنيل فى ٥ أغسطس سنة ١٨٤٠ وتلق دروسه ببلدة ييفتو أولاً ثم ببلدة روان . وأمضى فى ربوع مقاطعة نورماندى أسعد سنى صباه وشبابه ، حرا طليقاً بعد دراسته اليومية ، كطائر سعيد . وكان يهيم بالطبيعة الساحرة فى تلك المقاطعة حتى انطبعت فى ذهنه صور كثيرة من حياة الفلاحين المحيطين به

وفى عام ١٨٧٠ التحق بالجيش المحارب وانغمر فى ميدان الحرب كغيره من الشباب حينئذ ، وعاش فى محيطها وتشبعت بها نفسه ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها ذهب إلى باريس والتحق بوزارة البحرية أولاً كموظف صغير ، ثم انتقل منها إلى وزارة المعارف . وكان فى أشد الاحتياج إلى مرتبه الحكومى ليقتات منه حتى تسمح له الظروف الحسنة التى تؤهله لأن يبدأ حياته الأدبية التى عاهد نفسه على بدئها منذ زمن بعيد

وقد هيأت له تلك الوظيفة أن يختلط بطبقة الموظفين ، وأن يطلع على خفايا حياتهم وكل أحوالهم ، ولكن تلك النظرة التى كان ينظر بها إليهم كانت بشعور مزيج من العبث والسخرية . وانتقشت تلك الصور فى ذهنه حتى انسابت من قلمه ، وظهرت واضحة جلية فى قصصه

وقد صرفته قوة بنيته وحبه للهو والعبث المغرقين فى بداءة حياته عن مطالعة الأدب ، فلم يجهد نفسه فى ذلك المضمار الإجهاد الكافى لأديب ناشئ يحاول أن يكون نفسه . غير أن تلك الحياة التى كان يحياها قد أضافت صوراً جديدة إلى تجاربه إذ اختلط بالمجتمع الصاخب وانغمر فى ملاهيه . وأول ما يتبادر إلى الذهن أنه كان مندفعاً نحو تلك الحياة اللاهية ليكمل منها صوراً لأدبه ؛ ولكن الحقيقة أنه إنما كان مندفعاً نحوها لكى يشعر نفسه بأنه يعيش المعيشة التى ترضى جسده وتشبع رغباته الجامحة . فقد كان قوى البنية ، مفتول العضلات ، محباً للرياضة وخاصة التجديف ، جريئاً لا يهاب إنساناً

كان فلوبير أباه الفكرى ؛ إذ هو الذى أخذ على عاتقه أن يدخله إلى دنيا الأدب . وتحت سيطرته بذل موبسان كل جهده لأن يرتفع بأسلوبه إلى المرتبة التى تؤهله لأن يكون شاعراً مجيداً ؛ وكانت هذه هى منتهى آماله . كان فلوبير يحدثه دائماً عن كرامة الفن وواجبات الفنان ؛ كما أنه غرس فى نفسه كراهته للبرجوازيين والسخرية منهم ومن اعتقاداتهم العادية فى كتبه . كما أخبره عن أهل الأدب فى عصره وحدثه عنهم حديثاً مستفيضاً ؛ وطبعه على الاستخفاف بكل أدب تجارى رخيص ، ونصحه بالجد والاهتمام بتجويد كتابته ، وجعل نفسه مثلاً له يسير على منواله ؛ حتى أنه أشركه معه فى تأليف كتابه « بوفار وبيكوشيه » فكان يرسله إلى بعض بقع الساحل النورماندى ليعود فيقص عليه ما رآه وما استولى عليه من إحساسات وشعور ، فيرسم الطبيعة كما يراها دائماً وليتحرر من آراء زولا شبه العلمية التى كانت سائدة يومئذ ، وأن تكون كل اتصالاته بالطبيعة فحسب[1]

وبذلك أحيا موبسان كل الصور المنطبعة فى مخيلته منذ طفولته وصباه ، وجعل ينظر إلى الطبيعة بمنظار صريح مستقيم سهل ، وبذل قصارى جهده لأن يكون أسلوبه طبيعياً كمشاهداته ، فخلا أسلوبه من المبالغات الرومانتيكية المشاهدة فى أسلوب زولا والمحسنات اللفظية كأسلوب جونكور

وكان يطلع أستاذه فلوبير على كل ما يكتبه فيصححه له ويرشده إلى طريق الصواب . وأهم مؤلفاته فى ذلك الوقت ، وقت الاجتهاد والتحضير هى قصة « الدكتور هيراكلوس جلوس » وأهم ما يميزها وضوح نظرية التشاؤم التى بدأ يأخذ بها موبسان . كما كتب فى تلك الفترة عدة مسرحيات وقصص وأشعار على الخصوص . وقد جمع ما أعجبه من شعره فى كتاب صغير اسمه : « مجموعة شعر »

وكانت تلك القطع التى نشرها إنما هى فى الحقيقة أقاصيص شعرية ويلاحظ أنها بداءة طيبة لما جاء بعدها . وأهم تلك القطع

(١) انظر : Le Naturalisme Français par Pierre Martino

« على ضفاف النهر » وقد رسم فيها ذكريات غرامه وألبسها ثوباً رومانتيكياً متحدثاً عن الغرائز الحرة واللذات الجسدية .

ثم نشر قصته المشهورة Boule de Suife فنجحت نجاحاً عظيما وتنبه الكل له وصعد درجات المجد وعاهد نفسه منذ ذلك اليوم أن يكون قصصياً بدلاً من أن يكون شاعرا رغماً عن إرادة أستاذه فلوبير . ومع أنه كان قد أخفى تلك القصة عن أستاذه إلا أنه حين قرأها أعجب بها أشد الإعجاب وهنأه عليها .

ومات فلوبير فتحرر موبسان من سيطرته الأدبية التي كان يفرضها عليه ، وأصبح حراً في معتقداته وسار في الطريق التي رسمها لنفسه .

٢ — أفكاره وآراؤه

كانت لموبسان عين ثاقبة تلاحظ الصور وحركاتها بسرعة فائقة ودقة آلة فوتوغرافية ، فسرعان ما تنطبع تلك المرئيات في ذهنه فيتعمق في فهمها جيداً حتى يهضمها تمام الهضم . فمن صباحه إلى مسائه كان يجمع ويلاحظ كل ما يفيده في مهمته الأدبية ، ولذلك نلاحظ أن كتاباته لم تكن تظهر بمظهر الكتاب النفسيين (السيكولوجيين) بل هي مقتطعة من الحياة إذ فيها ألوانها وأشكالها وحركاتها .

وتدور قصصه على ناحيتين : أولاهما الناحية المرحة والحياة الاجتماعية الصاخبة التي كانت تشتهر بها فرنسا ، والأخرى قصصه عن الريف النورماندي وذكريات حياته التي قضاها فيه وحديثه اللذيذ عن الأرض والطبيعة والفلاح .

وتترجم كل مؤلفاته في مختلف أطوار حياته ونظرياته عن المجتمع . ففي مؤلفاته الأولى نلاحظ السخرية اللاذعة . ففي قصة Boule de suife لم يترك فرصة سواء في العربة أو الحانة دون أن يهزأ بالأشراف والطبقة المتوسطة والراهبات . ثم ظهرت في الحقبة التي تلي ذلك من حياته إحساسات الرحمة والشفقة . أما في نهايته فكان التشاؤم ومشاغله ومتاعبه النفسية أوضح ما في كتبه في ذلك الحين . فأفكاره في ارتفاعها وانخفاضها إنما كانت تتبع ميزان صحته الجسدية في قوتها وهزالها .

كان أستاذه فلوبير يعتقد أن الفن يخفف من عبء الحياة ويجعلها سهلة لينة ، ولم ييأس من تقدم العلوم ولم ينكر بلوغ النجاح ، إلا أن موبسان الذي كان يستمع لتلك الآراء لم تكن لديه الثقة الكافية في الحياة . فمن مبدأ حياته كانت فلسفته اليائسة المتشائمة فوق العادة . فلم تجذبه فكرة فلوبير السليمة بقدر ما جذبته حكمة شوبنهور القائلة : « إنه لا سعادة على الأرض » وبالرغم من تكرار موبسان لنظريته المتشائمة في قصصه كثيراً لم تكن لتستند على براهين قوية . بل كل ما في الأمر أنه كتبها بشعور صادق قوى . وكان يبعث ذلك التشاؤم نظرته المجردة إلى الحياة الواقعية . فكان يعتقد أن الكون مجموعة متضاربة متطاحنة من القوى ، وأن العلم لا يعطينا سوى فكرة ضئيلة عن هذه القوى بواسطة آلات أولية ناقصة في بعض الحالات فقط . وأنه ليس هناك أمل في التقدم أو النجاح ، إذ أن نظرية التقدم ما هي إلا نظرية فاشلة ، وأن الإنسان حيوان أرقى قليلاً من الحيوان الأعجم . ولعل هذه النظريات قد تبادلها غيره من قبل إلا أنها كانت شديدة التأثير على شعوره . وإنما يعود ذلك إلى مرضه الذي أصيب به ، حتى أنه أصبح يخاف الرسائل التي تصله كما كان يفزع من علامات الود والمحبة التي يظهرها أصدقاؤه ، إذ خيل إليه أنها محاولات اعتداء على حريته . فهو يفسر نظريته هذه بأن هؤلاء الأصدقاء إنما يشعرون بفراغ كبير في حياتهم ، فيحاولون أن يتعلقوا بأهداب إنسان آخر يملأون به ذلك الفراغ . وبذلك أصبح موبسان يعتقد أن الصداقة والحب إنما هما نفاق وسراب ، وأن الصلة بين كل رجل وآخر معدومة ، إذ لا يمكن لأحدهما أن يفهم الآخر تمام الفهم . وعلى ذلك يجب على كل فرد أن يكون وحيداً ، وبذلك امتزجت رغبته في الوحدة بخوفه من المجتمع . ألا أنه في وحدته كانت تهيأ له خيالات يتوهم معها أن هناك شبحاً آخر يشاركه مجلسه فيبعث الخوف إلى نفسه ويدفعه دفعاً نحو الاختلاط بالأحياء الذين لم يعد يفهمهم جيداً . وقد زاد ذلك التعذيب خوفه من الشيخوخة والموت . فكانت فلسفة التشاؤم التي يسير على هديها تدفعه إلى الثورة دائماً . وأخيراً لم يجد منفذاً لهذه الخواطر والأفكار التي تعج بها رأسه حتى كان يرفض أي مناقشات أدبية ، وأصبح يعتقد أنه ليست هناك أية قيمة للأدب ، وأنه إنما يكتب تلك الأسطر لكي يكتسب منها بعض المال

وفي عام ١٨٨٩ بدأ يفكر في الانتحار كما يتضح لنا من قصة l'endormeuse إذ تخيل فيها انتحاراً قانونياً يسمح لليائسين أن يناموا إلى الأبد بالسمين مرتاحي الضمير. وقد طرقت هذه الفكرة مخيلته كثيراً في أيامه الأخيرة حتى هم بتنفيذها، وكان حينئذ في طريقه إلى الجنون الذي أراحه من عناء هذه الدنيا وتفكيره الأسود في كل أحوالها

وعلى ذلك فإذا تدبرنا حال هذا الشاب الموفور الصحة في مبدأ حياته، والذي هده المرض في أخريات أيامه حتى ساقه إلى الجنون فبدأ يسمع نداءات الموت ترن في أذنيه، أمكننا أن نتتبع النغمات الصادرة من مؤلفاته في هذه الأطوار

٣ – نهايته

سبق أن قلنا إنه بالرغم من مظهره القوي فإن صحته بدأت تهدم منذ عام ١٨٨٤؛ ثم ظهرت عليه بوادر الجنون في عام ١٨٩١. وفي أول يناير سنة ١٨٩٢ حاول الانتحار في بلدة (كان) ولكنه فشل. وأدخل مصحة الدكتور بلانش حتى توفي في ٦ يوليو سنة ١٨٩٣ وهو على حاله من الجنون

٤ – مؤلفاته

يعتبر موبسان من أشهر كتاب الأقصوصة؛ ويمكننا أن نضمه الآن إلى زمرة الكتاب الكلاسيك؛ إذ أن أعماله تدرس بالمدارس لأنها غذاء طيب للعقول. في أمريكا وألمانيا تعتبر مؤلفاته من أهم مختارات الدراسة بمدارسها. كما وضعت أعماله في برامج الامتحانات العليا بفرنسا؛ وقدمت عنه بعض الرسالات كما جمعت أعماله وطبعت كلها في مجلد كامل كأعمال فلوبير وبلزاك. فمن عام ١٨٨٠ إلى عام ١٨٩٠ نشر موبسان حوالي ثلثمائة أقصوصة جمعت في مجلدات هي:

سنة ١٨٨١	La Maison Tellier
	Clair de Lune
سنة ١٨٨٣	Contes de la Becasse Mlle. Fifi
سنة ١٨٨٤	Miss Harriell
	Yvette
سنة ١٨٨٥	Les Sœurs Rondoli
	La Petite Rogue
	Contes du jour et de la nuit
سنة ١٨٨٨	M. Parent
سنة ١٨٨٧	Le Rosier de Mme Husson
سنة ١٨٨٦	La Horla
سنة ١٨٩٠	Toine
سنة ١٨٨٩	L'Inutile Beauté
سنة ١٨٨٩	La Main Gauche

كما نشر ست قصص طويلة وثلاثة كتب عن الرحلات وأربع مسرحيات.

محسن فهمي خليل

الفنون الجميـــلة

الفن ترتيب أجزاء متفرقة ترتيباً اختيارياً حسب فكرة معينة لتؤدي إلى غاية معلومة ، هي أن يُخلق من تلك الأجزاء كلاً واحداً ، أو خلقاً جديداً يثير في النفس عاطفة الجمال .

فهو إذن إنتاج حر للجمال ، لا الجمال الواقعي فحسب ، بل مزيج من الجمال الواقعي والجمال المثالي . فلا بد من أن توجد فكرة مثالية عند الفنان يحققها ويعبر عنها بمساعدة الواقع . ويتخذ الفن في تعبيراته عن تلك الفكرة أشكالاً مختلفة هي ما نسميه بالفنون الجميلة Les beaux-arts . فالفنون الجميلة إذن ، هي مختلف حالات الانفعالات الجمالية التي ينفعل بها الفنان إزاء أشياء معينة ، فيحاول أن يعكسها ويعبر عنها ، لكي يتذوقها غيره ، فينفعل بها كما انفعل هو

والفن في تعبيره عن هذه الفكرة يخاطب الحواس ، لا الحواس كلها ، بل هو في الواقع يخاطب حاستين منها فقط هما : السمع والبصر ؛ وعلى ذلك تنقسم الفنون الجميلة إلى مجموعتين :

(ا) ما يخاطب السمع وهي : الموسيقى : (سواء أكانت موسيقى صامتة ، أم يصاحبها غناء مفرداً وجوقة) والشعر

(ب) ما يخاطب البصر وهي : النحت والعمارة والنقش[1]

ولكن ، هل الفنون جميعها على درجة واحدة من السمو والرفعة ؟ أو بمعنى آخر : هل هناك فنون أرقى وأرفع من غيرها ؟ وإن كان الأمر كذلك، فعلى أي أساس يمكن تصنيفها وترتيبها إلى فنون راقية رفيعة ، وأخرى أقل منها ؟

لقد رأينا أن الفن هو الإنتاج الحر للجمال ، ورأينا أيضاً أنه لا بد من التعبير عن فكرةٍ ما في الفن ؛ فقانون التعبير هو أهم قانون عام مشترك بين كل الفنون ، وعليه يجب أن يقوم التصنيف . فالفن الذي يكون أكثر تعبيراً وأغنى في وسائل تعبيره من غيره يكون هو الأرقى . وليست الفنون على درجة واحدة من تلك الحرية في التعبير ، فنحن نجد مثلاً أن حرية التعبير أقل ما تكون في فن العمارة ، والفنان المعماري مقيد إلى أبعد حد ؛ بينما تتمتع الفنون الأخرى بحرية في التعبير أوسع من ذلك ، مع تفاوت فيما بينها . كذلك تختلف قوة تعبير كل فن عن الآخر إزاء شيء واحد بالذات ؛ فالموسيقى مثلاً يمكنها أن تصور لنا منظر عاصفة عنيفة تصويراً أبلغ وأعمق مما يصوره لنا النقش مثلاً ، فهي تعبر عنها أحسن تعبير منه ، وتثير فينا من العواطف والوجدانات ما لا يثيره هو فينا إن تعرض للتعبير عن ذلك المنظر . كذلك يعجز النقش عن أن يساوي الشعر في قوة تعبيره وعمق تصويره ، فهناك آثار شعرية عظيمة نعجب بها كل الإعجاب ، وتثير فينا العاطفة الجمالية كأقوى ما تكون ، ولكن النقش ـ أو غيره ـ يعجز عن تصويرها في مثل روعة تصوير الشعر لها . فمثلاً صور لنا فرجيل في قصيدته le renommé « صورة رمزية لمسخ عظيم هائل، له مائة عين ومائة فم ؛ تمس قدماه الأرض ، ويبلغ رأسه عنان السماء » فأبدع في تصويره كل الإبداع ، وأثار إعجاب كل من قرأها . هذه الصورة الرمزية ما ذا تثير فينا لو فرض أن حاول المنقش أن يحققها ويعبر عنها ؟ وأغلب الظن أنه سيخرجها لنا صورة غريبة تثير فينا الضحك وتبعث على الهزؤ والسخرية[1] .

وقد أجمعت الآراء على القول بأن الشعر هو أرقى الفنون الجميلة ، فهو يحتل المكان الأول بين سلسلة الفنون لأنه أقواها على إلهاب النفس ، وتحرير المخيلة ، والصعود بالإنسان إلى أرقى الأفكار وأسماها . ولا يكتفي الشعر بالتعبير عن الصور الحسية وعن العواطف الجياشة وتصويرها كما تفعل سائر الفنون الأخرى ، بل يمتاز عنها جميعاً بميزة أخرى هي أنه يمكن أن يعبر عن المعاني

---

(١) هناك رأي آخر يقول بوجود مجموعة ثالثة من الفنون تخاطب الحاستين معاً « السمع والبصر » مثل الرقص والخطابة . ولكن الواقع أن الرقص والخطابة ليسا في ذاتهما فنين بمعنى الكلمة . فالرقص لم يعتبر فناً إلا لمصاحبة الموسيقى له ، والموسيقى من أرفع الفنون الجميلة ، وهي في الحقيقة الجزء الفني في الرقص . أما حركات الرقص المنسقة المتزنة نفسها فليست فناً . ويشترط في الفن أن يكون نزيهاً بمعنى ألا تكون له غاية أخرى غير التأثير الجمالي . وقانون الفن هو « الفن للفن » . وذلك ما لا نجده في الخطابة . فليس المقصود من الخطابة إيجاد ذلك التأثير الجمالي أو توليد عاطفة الجمال فقط ، بل إن لها غاية أخرى هي إقناع المستمعين بما يعرض له الخطيب في خطبته ، ومن هنا لا تعتبر الخطابة فناً . وما يصدق على الخطابة يصدق على البلاغة ، وقد قيل إنها فن . والبلاغة فن لو أريد بها مجرد القول الحسن — كما يقول كنت — ولكن ليست هذه غايتها . نعم ، إنها تولد في الانسان العاطفة الجمالية ؛ ولكن ذلك لا يهم لأنها غرضها الأساسي هو استخدامها للاقناع وغير ذلك فهي ليست فناً .

أنظر في ذلك :

(1) Kant : Critique du jugement. trad. Barmi. P. 287
(2) V. Cousin : Du vrai, du beau et du bien. P. 191 et suiv.
(3) H. Marion : Leçon de psychologie. P. 429.

(١) نيكور كوزان : الحق والجمال والخير ص ١٩٥ — ١٩٦

المجردة ، مثل فكرة « الله » وفكرة « الوطن » وغيرها مما يعجز عنه باقي الفنون ، وذلك لأن أداة الشعر الكلام ، ويمكن أن يؤدى الإنسان بالكلام ما لا يؤديه بغيره[1] . فكلمة « الله » أو « الوطن » وحدها تحمل من المعاني ، وتثير من العواطف والانفعالات والخواطر ما يقصر عن حمله وإثارته أي أداة أخرى من أدوات التعبير في الفن

ويأخذ « هجل » على الشعر أنه لا يعرض علينا الشيء المراد تصويره مرة واحدة ، أي أنه لا يعرض علينا كل الخطوط والملامح الجمالية المختلفة التي يصفها بحيث نراها كلها لأول وهلة بعضها بجانب بعض مثلما نرى في النقش مثلاً ، إذ يكفي أن ننظر إلى لوحة من اللوحات فنرى كل الملامح المعبر عنها دفعة واحدة . فالشعر يعرض علينا الشيء الذي يصوره شيئاً فشيئاً على دفعات ، وهذا ناتج من طبيعة أداة الكلام . ففي كل بيت مثلاً يعرض علينا جزءاً من تلك الملامح ، ولا تكمل الصورة إلا بكمال القصيدة . فهو من هذه الناحية إذن أقل منزلة من النقش . ولئن كان هذا عيباً في الشعر فإنه من جهة أخرى ميزة يمتاز بها على غيره ، وذلك حين يعرض لبعض المشاهد التي لا بد فيها من التسلسل والتتابع حتى تستكمل ظهورها . فالنقش في الحقيقة يمثل حالة معينة وفي وقت بالذات ولا يمكن أن يعرض للحالات التي تتغير وتتابع . فمثلاً يمكن للشعر أن يعرض لوصف عاصفة هوجاء عنيفة فيصور أولاً منظر البحر قبل العاصفة وقد هدأت المياه وصفا الجو وسطعت الشمس ، وقد أخذت سفينة صغيرة تتهادى في رفق على صفحة الماء ، ثم إذا بالجو يتلبد بالغيوم فجأة وتهيج الأمواج وتضطرب وتصفر الرياح وتتقاذف السفينة حتى تغلبها على أمرها وتدفع بها إلى صخرة عظيمة فتنفتح في جانب السفينة ثغرة كبيرة تدخل منها المياه ، وتأخذ السفينة في الغوص والركاب يصرخون ويجرون هنا وهناك وقد تملكهم اليأس والفزع ، ثم طغى البحر على السفينة فابتلعها بمن عليها . كل ذلك يصوره لنا الشعر بسهولة في قصيدة واحدة ولكن يعجز عنه النقش في لوحة واحدة ، فهو لا يمكنه إلا أن يعبر عن حالة واحدة فقط من تلك الحالات المتباينة

وهناك فن آخر لا يقل عن الشعر رفعة وسمواً وهو الموسيقى فهي من أقوى الفنون تأثيراً في النفوس وإيقاظاً للعواطف

(١) نفس المصدر ص ٢٠٣

وإلهاباً للوجدان ، ويمكنها أن تحمل الروح وتتجاوز بها العالم الواقعي إلى اللانهاية . فعنصر اللانهاية واضح جداً فيها ، ولعلها في ذلك تسبق الشعر ، وقد كادت تفوقه لولا ما فيها من غموض وإبهام ؛ فتعبيراتها غير محددة تمام التحديد ، كما نرى في النحت مثلاً ، فهو على العكس منها تماما يحدد موضوع تعبيره بخطوط واضحة لا يمكن أن نخطئها ، مما جعله لا يبعث على الخيال ولا يحمل الروح إلى اللانهاية . فجمال الموسيقى ، وميزتها الكبرى تتجلى في قدرتها على العبور بالروح إلى اللانهاية ، مما جعل بعض الناس يقرنها بالدين لأنهما يخاطبان القلب والعواطف ويسموان بالروح عن عالم الواقع . ولعل هذا هو السر في أن المسيحيين يصحبون صلواتهم الكنيسية بالموسيقى . وتأثير الموسيقى في الحقيقة أقوى من تأثير الشعر ، فهناك صلة وثيقة بين أنغام الموسيقى والقلب ، بحيث يمكن للموسيقي البارع أن يلعب بأفئدة الناس كيفما شاء ، إن شاء أضحكهم وإن شاء أبكاهم[1] . وعلى العموم فهناك صلة كبيرة بين الشعر والموسيقى . فالشعر يدخل في الموسيقى على صورة غناء ، فيحدد من تعبيراتها وتصوراتها ، وهو بذلك يقتل ما فيها من لانهاية . كذلك الشعر موسيقى الألفاظ ، يحس الإنسان فيه بأنغام موسيقية غير خافية ، قد تتولد على الأكثر من تكرار بعض حروف معينة وتلازمها[2]

والخلاصة من كل ما سبق أنه ما دامت حرية التعبير وقوته وعمقه وغناؤه هي أساس ترتيب درجات سمو الفنون ورقيها ، فإنه يمكن تبعاً لذلك ، اعتبار الشعر أرقى أنواع الفنون الجميلة ، وتليه في ذلك الموسيقى ، وهي خليقة بأن تسمو عليه لولا غموضها وإبهامها ، وإن كان ذلك يجعلها تمتاز عن غيرها باللانهاية . ويلي الموسيقى النقش ، فهو يكاد يجمع بين قوة تأثير الموسيقى من ناحية وبين تحديد النحت من ناحية أخرى ، فهو أكثر تحديداً وإيضاحاً من الموسيقى ، وأكثر تأثيراً من النحت . ويلي ذلك النحت وهو لا يكاد يبعث على التخيل بشدة ما فيه من التحديد ؛ وأخيراً العمارة وهي أقل الفنون جميعاً في حرية التعبير وعمقه

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

(١) كما ذكر عن أحد فلاسفة الاسلام وهو الفارابي . أنه عزف على آلة موسيقية صنعها هو نفسه فأضحك السامعين ، ثم عزف فأبكاهم ، ثم عزف فأنامهم (٢) من ذلك قول بشار :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم

فهناك موسيقى تولدت من تكرار اللام والميم والنون

٤٨ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعة

إن طرق المساومة التي يتبعها المصريون في معاملاتهم تضايق كثيراً من لم يتعودها . فعند ما يستفهم العميل عن ثمن سلعة ، يطلب منه التاجر أكثر مما يرجو كسبه . فيستكثر المشتري السعر ويعرض على البائع نصف المبلغ أو ثلاثة أرباعه فيرفض التاجر ؛ غير أنه يخفض سعره ، فيعرض العميل بدوره مبلغاً زائداً نوعاً . وتستمر المساومة هكذا حتى يصلا إلى سعر وسط فتتم البايعة . وأعتقد أن السائحين الأوربيين يذمون التجار المصريين بغير حق ، وذلك بعد أن تحققت أن أكثرهم لا يكسبون أكثر من واحد في المائة . ويعمد من يجد سلعة توافقه ويبغي اقتناءها بثمن زهيد إلى المساومة مع التاجر طويلاً . فيصعد إلى مصطبة الدكان ويستريح ، ثم يحشو شبكه ويشعله ثم يبدأ النقاش الذي يستمر طويلاً . وقد يقطع التاجر أو العميل المبايعة بأحاديث غير مناسبة كأنه عزم على ألا يناقش في الأمر أكثر من ذلك . ولا تلبث المساومة أن تعود . ويتناول خادم العميل من التاجر بعد إتمام الصفقة وانصراف سيده ، نفحة صغيرة من المال . ولا يتردد الخادم في طلب هذه النفحة إذا لم يقدمها التاجر من تلقاء نفسه . ويقام في أغلب أسواق القاهرة مزايدات في أيام محددة مرة أو مرتين في كل أسبوع . ويتولى هذه المزايدات دلالون يستأجرهم أصحاب الشأن من الأفراد أو التجار . ويرفع الدلال البضاعة في يده معلناً الأسعار ويصيح : «حراج» وكثيراً ما يعمد أفراد الطبقة السفلى عند إتمام صفقات بأبخس الأثمان إلى الصياح والإشارات ، فيظن من يجهل اللغة العربية أن طرفي المساومة يتشاجران وأن الغضب قد بلغ منهما أشده . وقد يستفهم المرء عن ثمن ما يبيعه الفلاحون فيقولون تقبله « هدية »[1] واتقين أن المستفهم لن يستفيد من قولهم هذا الذي أصبح من لغو الحديث . ويكرر الفلاحون قولهم هذا عند الاستفهام مرة أخرى ، غير أنهم يطلبون على العموم أسعاراً باهظة

من الممل أن أذكر جميع الحرف الشائعة هنا . وأصحاب أهم هذه الحرف : بائع الأجواخ وهو يبيع أقمشة الملابس أو الملابس الجاهزة ، والأسلحة ؛ ويطلق عليه في كلتا الحالتين اسم (التاجر) فقط . والجوهري والصائغ وهو لا يشتغل إلا حسب طلب عملائه . وبائع الخردوات (الخردجي) والنحاس والخياط والصباغ والرفاء والحباك والعقاد وبائع الشبك (الشبكشي) والعطار وهو يبيع الشمع أيضاً ، وبائع التبغ (الدخاخني) وبائع الفاكهة (الفاكهاني) والنقلي وبائع الشراب (الشربتلي) ، والزيات ويبيع مع الزيت الزبد والجبن والعسل الخ ... والخضري والجزار والفران ، ويرسل إليه الخبز واللحم للشي . ويوجد في القاهرة مطاعم عديدة يطهى فيها الكباب وأصناف مختلفة أخرى ، ولكن قلما يتناول الناس طعامهم في هذه المطاعم وإنما يرسلون في طلب ما يلزمهم حين لا يستطيعون إعداد الطعام في منازلهم . وكثيراً ما يتناول التجار غداءهم وعشاءهم من هذه المطاعم . ويوجد أيضاً عدة دكاكين لصنع الفطير وغيره وبيع الفول المدمس . وقد وصفت هذين الطعامين في فصل سابق . ويتناول أفراد الطبقة السفلى طعامهم عند (الفطاطري) أو « الفوال »

---

(١) كما فعل عفرون مع ابراهيم عند ما صرح الأخير برغبته في شراء مغارة المكفيلة وحقله . أنظر سفر التكوين ٢٣ — ١١ : لا يا سيدي اسمعني ، الحقل وهبتك إياه . والمغارة التي فيه لك وهبتها . لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها ادفن ميتك » وقال هذا عادة منعاً للحسد

يباع الخبز والخضر وغير ذلك من الأطعمة فى الشوارع .
وينادى الباعة المتجولون نداءات غريبة تستحق الذكر .
فيصيح بائع الترمس . « مدد يا امبابى » ، ويعنى بهذا القول إما الاستعانة بالشيخ الامبابى وهو ولي مشهور مدفون فى بلدة امبابة على الشاطىء الغربى من النيل تجاه القاهرة ، وينبت بجوار هذه البلدة أجود الترمس ؛ وإما الإشارة إلى أن ترمس امبابة لذيذ الطعم بفضل مدد الامبابى . ويصيح بائع الترمس أيضاً : « ترمس امبابه يغلب اللوز » أو يقول : « يا ما حلى بنىّ البحر » ، ويشير هذا النداء الذى قلما يسمع فى غير الأرياف إلى طريقة إعداد الترمس للأكل . إذ أنه ينقع فى الماء يومين أو ثلاثة لتزول مرارته ، ثم يغلى ويوضع بعد ذلك فى قفة من الخوص تسمى : (فرد) يخاط عليه ويقذف به فى النيل ، حيث يترك يومين آخرين أو ثلاثة ينقع مرة ثانية . وبعد ذلك يجفف ويؤكل بارداً بعد أن يضاف إليه بعض الملح . ويصيح بائع الليمون : « الله يهونها يا ليمون » وكثيراً ما ينادى على اللب لب «عبد اللاوى» ، وبذر البطيخ : « يا مسلى الغلبان يا لب » أو عادة : « اللب المحمص » ، وينادى بائع « الحلاوة » وتصنع من تفل السكر الممزوج ببعض عقاقير نداء غريباً : « بمسمار يا حلاوة » . ويقال إن بائع الحلاوة يكاد يكون لصاً ، إذ أن الأطفال والخدم يمدون إلى سرقة الأدوات الحديدية من المساكن التى يسكنونها ليستبدلون بها الحلوى . ويصيح بائع البرتقال : «عسل يا برتقال عسل» ويستعمل بائع الخضر والفاكهة نداء مشابهاً ، ويصعب على المرء أحياناً معرفة ما يباع ما لم يتبع قاعدة أن ما يباع هو الأقل جودة ؛ فقولهم جميز يا عنب إنما يشير إلى بيع الجميز الذى يقل عن العنب جودة . ويستعمل بائع الورد نداء فريداً : « الورد كان شوك من عرق النبي فتح » ، ويشير هذا إلى معجزة تنسب إلى الرسول . وتباع زهور الحناء الزكية بقولهم : « روايح الجنة يا تمر حنة » . وهناك نوع من الأنسجة القطنية تصنع على آلة يحركها ثور . وتباع بقولهم : « شغل التور يا بنات »

عدلى طاهر نور

مقبرة الأحياء

الوظيفـــة ...

[حين كنت مدرساً]

الأستاذ على شرف الدين

عُلالةُ العاجزِ الضعيفِ وحِيلةُ السائلِ الكفيفِ
تُميتُ في القلبِ كلَّ نبلٍ وكلَّ معنًى به لطيفِ
وتحبسُ الرُّوحَ وهي طيرٌ تصبُو إلى غصنِها الوريفِ
وتُرهِقُ النفسَ وهي طيْفٌ بقيدِها المُثقِلِ العنيفِ
وتدفِنُ المرءَ وهوَ حيٌّ في قبرِها الأسودِ المُخيفِ
وتنهرُ العيْنَ وهي زيْفٌ كأنَّها زهرةُ الخريفِ
وكمْ نفاقٍ تراهُ حتماً يحميكَ منْ طعنةِ الأليفِ
تفيضُ بالجهلِ صفحتاهُ وزادَ في الجهلِ عنْ (عريفِ)
ويدَّعِي العِلمَ — وهوَ خِلْوٌ — بالتالِدِ الجزْلِ والطريفِ
وأنتَ تجرِي على هواهُ بمدحِكَ الكاذبِ الصريفِ
لا يعرفُ الصدْقَ منكَ قوْلاً والكذبُ منْ شيمةِ الضعيفِ

* * *

ويلٌ لِذي حُرَّةٍ أبيٍّ فيها وذي جبهةٍ عيُوفِ
أجْروْا عليهِ دُريهماتٍ تضيقُ بالملحِ والرغيفِ
حتى الضروريُّ — وهوَ حتمٌ — يضجُّ منْ جيْبِهِ النظيفِ
وإنْ شكا لم يجدْ سميعاً يا ويحَ ذي الراتِبِ الطفيفِ
ما دامَ لم يلتمسْ وسيطاً فإنَّ شكواهُ في الرفوفِ
والعيْشُ كالحرْبِ فيه أضحتْ هذي الوساطاتُ كالسيوفِ
يا (تجارةً) ضِقتُ منْ عماها وضقتُ بالمبصِرِ الكفيفِ
تعمَى عنِ الضامرِ المُجلِّي وتجعلُ السبْقَ للرديفِ

على شرف الدين

من أزهار الشر

لشارل بودلير

منظر

إننى أود أن أرقد على مقربة من السماء كعلماء الفلك ، لكى أنظم قصائدى الروحية فى جو من الطهارة وأن أكون راقداً بجوار أجراس أصغى إلى أناشيدها المهيبة التى تحملها الرياح ، سابحاً فى أحلامى .

حين أطل من علِّيتى ، وقد ذقنت على راحتى ، سأشاهد العمال فى مصنعهم ينشدون الأغانى ويلغطون ، وسأرى المداخن والأجراس ، وصوارى المدينة ، والسماء المترامية الأطراف التى تجعلنا نفكر فى الأبدية .

* * *

إنه لبديع أن ترى ، خلال الضباب ، النجمَ حين يتهلل فى زرقة السماء ، والمصباحَ فى النافذة .

وأن ترى أنهار الدخان ، وهى تتصاعد إلى قبة الجوزاء ، والقمر ينثر إشراقه الشاحب .

سأرى الربيع والصيف والخريف ، وعندما يُقبل الشتاء ، بصقيعه الممل ، سأغلق الأبواب والشبابيك لكى أشيد قصورى الخيالية الرائعة ، تحت جنح الظلام .

* * *

حينئذ أهفو بأحلامى إلى الآفاق الزرق ، وإلى الرياض ، والينابيع التى تذرف دموعها على المرمر ، وإلى القبلات ، والطيور التى تغرد صباحاً ومساء ، وإلى كل ما فى الهوى من براءة الطفولة .

ولن تستطيع الرياح ، مهما ثارت وعصفت بنوافذى أن ترفع جبينى من فوق مكتبى ،

لأننى سأكون ذاهلاً فى تلك النشوة التى أجدها حين أبعث الربيع بمشيئتى ، وحين أنتزع شمساً من فؤادى ، وحين أخلق جواً دافئاً من خواطرى الملتهبة .

ترجمة

عثمان على عسل



الدكتور أمين المعلوف باشا

فى ليلة الخميس ٢١ يناير لفظ العالم الجليل الدكتور أمين المعلوف باشا نفسه بعد مرض طويل حجبه عن الناس ومنعه عن العمل، فشق نعيه على جمهرة العلماء والأدباء، ممن عرفوا فضله على العلم واللغة، وعلموا مكانه فى الأدب والخلق، وصادقوا فيه الرجل الذى لا يتغير، والعالم الذى لا يدّعى، والعامل الذى لا يكل. كانت حياته رحمه الله كحياة النبع الصافى يرسل حواليه النماء والخصب من غير هدير ولا كدورة. ثم توفاه الله أمجد ما يكون ماضياً وأطيب ما يكون سمعة. كان ضابطاً ممتازاً فى القسم الطبى بالجيش المصرى، ثم قضى بضع سنوات فى الخرطوم. ولما قامت الحركة العربية فى الحرب الماضية انضم إليها، وكان من العاملين الصادقين فيها. ثم اختاره المغفور له الملك فيصل الأول كبيراً لأطباء جيش العراق، فأدى واجبه العلمى والعسكرى على أفضل وجه حتى ارتقى بفضل كفاءته وحسن بلائه إلى رتبة فريق. ثم بلغ سن التقاعد فرجع إلى القاهرة واشتغل بالبحث والتأليف فنشر مقالات ممتعة فى الحيوان والنبات والمصطلحات العلمية والشوارد اللغوية، ووضع فى الحيوان قاموساً يعتبر مرجعاً فى بابه. وقد اتصف الفقيد بالوفاء والمروءة والإباء، فأحلته جميع هذه الصفات منزلة رفيعة بين جميع من اتصلوا به.

رحمه الله رحمة واسعة وعزى عنه أسرته وأمته خير العزاء

١ — الأوامر بين الطاعة والعصيان

فى العدد ٢١٢ من مجلة « الثقافة » مقال للأستاذ أحمد أمين بك عنوانه (فى الطريق). وهو مقال ينطوى على فكرة دقيقة تستحق الإشارة وتستوجب التعقيب. فالأستاذ يظهر فى كلمته العجب البالغ من هذه الطاعة التى يحظى بها « عسكرى المرور » ويذهب فى تعليل ذلك إلى احتمالات شتى ينتهى برفضها جميعاً: فليس لشخصية عسكرى المرور عنده أثر فى إيجاد هذه الطاعة، لأن هناك « من هم ضعاف الشخصية ويسمع لقولهم فى الطريق كأقوياء الشخصية سواء بسواء .... » وليس لـ « قوة القانون »، ولا للخوف من « العقوبة الحتمية السريعة » التى يستتبعها الإخلال به، أثر أيضاً فى تحقيق ذلك الخضوع العجيب. ولهذا يحار الأستاذ -- كما يقول — فى بيان السبب فيتركه لقرائه. وهو يستعرض عقب هذا أوامر الأطباء التى تخالف، وأوامر الواعظين التى ترد وترفض، ثم أوامر المعلمين، وأوامر العسكرى نفسه ـ إذا جاوز المرور إلى البائعين والبائعات ـ وأوامر التسعيرة؛ تلك الأوامر التى تهمل جميعاً ويجملها كل مأمور بها تحت قدمه ودبر أذنه؛ أو يحتال على التخلص منها بألطف الحيل وأعجب المحاولات ... ويخلص الأستاذ من هذا إلى تقرير الحقيقة التالية وهى أن « فعل الأمر وحده لا يكفى فى التنفيذ، وإنما يحمل على التنفيذ أمران ممتزجان أتم الامتزاج، فعل الأمر ونفسية الآمر. فإذا كانت نفسية قوية وجدت السامع تتخاذل نفسه أمام الآمر، وأحس أنه أمام قوة كهربائية هائلة، فاضطر إلى تنفيذ فعل الأمر رغم أنفه » إلى آخر ما ورد فى المقال

ولقد فات الأستاذ فى هذا الموضع الإشارة إلى نقطة دقيقة كان ينبغى أن يوطد عليها نظريته فى الطاعة؛ تلك هى (شعور المأمور ونفسيته) لا حيال الآمر فى قوة شخصيته وضعفها، بل حيال الأمر نفسه فى نفعه له أو ضرره، وفى مبلغ إدراكه لهذا النفع أو الضرر

فالمريض لا يقرن أمر طبيبه بقوة شخصيته أو ضعفها، فينفذه أو يخل به بحسب ذلك. وإنما يقرنه بمبلغ شعوره الخاص إزاءه.

ولتوضيح هذا نقول إن أكثر المخالفة إنما تقع فى دور النقاهة والإبلال من المرض، حين يستروح المريض نسيم العافية، ويرى أنه جاوز غمرة الداء وسلم من مضاعفاته. فقد يدخل فى وهمه إذ ذاك أن أوامر الطبيب إنما هى من قبيل الاحتياط والتوقى، فلا عليه من مخالفتها أو إهمال الدقة فى تنفيذها، إذ الضرر فى ذلك يسير محتمل، إن لم يكن وهماً متخيلاً قد لا يتحقق له وجود. ولو عرف المريض ما تجر عليه هذه المخالفة وتيقن سوء مغبتها، لما أقدم على خلاف الطبيب فى أمر له، جل أو حقر.

ومثل هذا نقوله فيما يُرى من مخالفة أوامر الوعاظ والمعلمين،

وأوامر التسعيرة ، وأوامر العسكرى نفسه « حين يجاوز المرور إلى البائمين والبائمات » ...

ويؤدى بنا تقرير هذه الحقيقة إلى إدراك السبب الذى حار الأستاذ فى بيانه فتركه لقرائه ... إذ أن مخالفة « عسكرى المرور » فى إشارته معناها الموت المحقق تحت عجلات سيارة قادمة ، أو قاطرة ترام مندفعة ؛ وطاعة أمره هى النجاة بعينها من موت محتوم والسلامة من خطر ماثل يستشعره القلب وتراه العين . وهل يتردد العاقل لحظةً فى الاختيار بين سبيلين : أحدهما مُفْض إلى الموت والثانى موصولٌ بالسلامة محفوف بالنجاة والعافية ؟ ...

٢ — أين السليط من « السلاد »

يقول العلامة الكبير الأستاذ وحيد الأيوبى فى إجابة له عن معنى السليط ـ الزيت ـ : « أرى أن منه ما يقال له « سلطة » بفتحتين Salade » ... وقد يوهم هذا الكلام أن ثمة علاقة لفظية أو معنوية بين الأصلين العربى والإفرنجى ؛ وتسجيلاً لرأيى فى هذا الموضوع أقول :

جاء فى قاموس القرن العشرين ـ الإنجليزى ـ فى شرح مادة Salad ما خلاصته أن هذه اللفظة تطلق على مركَّب غذائى يتألف من عدة نباتات غير مطبوخة كالخس والهندباء والخردل والجرجير والبصل والطماطم وغيرها ... تقطع جميعاً وتعالج بالملح والخل وأصناف التوابل ...

وثمة نوع من الزيت ـ زيت الزيتون خاصة ـ وعصارة لبعض الأفاويه المعروفة ، يستعملان فى « تهيئة » هذا الإدام المشار إليه، ولذا يطلق عليهما اسم Salad-Oil أو Salad-Dressing فهذا كل ما وجدناه من علاقة بين الزيت المعروف ومدلول كلمة Salad . أما السليط فى اللغة العربية فهو ـ كما ورد فى القاموس ـ « الزيت ، وكل دهن عُصِر من حَبٍّ » ولا يخرج إلى معنى غير هذا ...

ومن ثم يتضح انقطاع العلاقة فى المعنى بين الأصلين العربى والأجنبى ، كما يتضح لنا انقطاع العلاقة اللفظية بينهما أيضاً ، إذا عرفنا أن كلمة Salad الإنجليزية ، و Salade الفرنسية ، و Salata الإيطالية بمعنى ملح . وواضح أن كلمة (سَلَطة) فى لهجتنا العامية تحريف لأحد هذه الألفاظ الأعجمية تسرب إلينا بحكم المخالطة ؛ فهى لا تمت إلى الأصل العربى بأدنى سبب

ومن الغريب أن الاستعمال المجازى لهذه الكلمة جرى فى اللغة العربية وفى غيرها مجرى متقارباً ؛ فمن معانى السليط عندنا : الشديد ، والحادّ من كل شىء ، والرجل الصخّاب (والمرأة سليطة) ... ويسمى الإنجليز أيام الشباب الهوجاء التى ينقصها الحنكة والتجارب Saladdays

على أن هذا التشابه الذى أوجدته الصدفة المحض بين الأصلين — فى لفظهما وفى معناهما الحقيقى أو المجازى — لا يحول بيننا وبين أن نقرر تمامَ انقطاع الصلة بينهما ؛ إلا أن يُثبت لنا أحد الأدباء بدليل قاطع وجود علاقة بين الأصلين العربى واللاتينى، وهذا ما لا نستطيع الجزم به ...

بقى أن نشير إلى أننا حاولنا تتبُّع اللفظ العربى إلى أصوله — إن كانت توجد — فى اللغتين العبرية والسريانية ؛ ولكن لم تُسعد المصادر التى بين أيدينا الآن على تحقيق هذه الرغبة ؛ فهذا باب آخر للبحث نتركه مفتوحاً لمن يحسن وُلوجَه ... والله يهدينا جميعاً إلى الحق .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

الرجولة والرجولية

يذهب بعض علماء اللغة فى كتبهم إلى التفرقة بين « الرجولة والرجولية » فيقولون : إن « الرجولة » مصدر يدل على مجرد الحدث وأما « الرجولية » فمصدر صناعى يدل على الحدث مع الدلالة على معنى المروءة والإقدام وحماية الذمار الخ . ويعللون لذلك بأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى

ويذهب بعضهم الآخر إلى أنه لا فارق بينهما ، فكلاهما مصدر لا يدل إلا على مجرد الحدث ، كما أنه لا فارق بين الطفولة والطفولية ، ويستدلون لذلك بأن معاجم اللغة تذكرها دون أن تفصح عن فرق بينها ولو كان لنبهت عليه .

وأما قولهم (إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) فذلك لبيان الغالب وليس بمطرد ...

فأى الرأيين أجدر بالصواب وأحق بالإتباع ؟ هذا ما أسأل قراء الرسالة عنه ولهم جزيل الثناء .

على محمود الشيخ

« إشراقة » ديوان التيجاني بشير

في سنة ١٩٣٥ حملت « الرسالة » الغراء لواء دعوة من أكرم الدعوات ، إذ بدأت تنشر على صفحاتها فصولاً تعرّف القراء فيها بالنهضة الأدبية الحديثة في الأقطار العربية ، وكان من وراء ذلك أن رأينا أقلاماً عربية قوية تسمعنا أصوات أصحابها من الأقطار الشقيقة في ميداني النثر والشعر ؛ وكان من بين هذه الأصوات التي انبعثت من فوق منبر « الرسالة » صوت شاعر الشباب السوداني التيجاني يوسف بشير الذي لم يمهله القدر فاستأثر به في عام ١٩٣٧ عن خمسة وعشرين عاماً استطاع في أثنائها على قلتها أن يسمعنا أغاريد مشجية من الشعر السوداني الحديث !

وقد قام الوجيه السوداني المعروف الأستاذ على البرير بطبع ديوان المرحوم التيجاني « إشراقة » على نفقته الخاصة وأهداه إلى روح ناظمه ، وصدره بكلمة للأستاذ الكبير محمد محمود جلال عن قصته مع الشاعر ، وكلمة للدكتور زكي مبارك عن الروحانية السودانية ، وسيوزع ريع الديوان على ذوي الشاعر ومواطنيه .

وقد ظهر فيما يقرب من ١٠٠ صفحة ، ويحوي قصائد جيدة للشاعر في الوجدانيات والإخوانيات والوطنيات والتصوف والرثاء والوصف وغير ذلك . وشعر التيجاني يمتاز بعمق الفكرة ورصانة الأسلوب والإحاطة بالموضوع والافتنان في المعاني ، ولا تتسع كلمة عابرة كهذه لتفصيل القول في ذلك ...

ونحن ننتظر أن يلقى الديوان ما هو جدير به من الإقبال ، وأن يعنى بدراسته والكتابة عنه أدباؤنا ، فهو أصدق صورة للشعر الحديث في القطر الشقيق !

أحمد الشرباصي

البكاء بعين واحدة

كنت وما زلت معجباً بأبيات الصِّمَّة بن عبد الله القشيري التي يقول في مطلعها :

حننت إلى ريا ، ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعبا كما معاً

وكنت أقف عند هذا البيت الذي يقول فيه :

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً

فأعجب كيف اتفق لهذا الشاعر أن يبكي بعين واحدة ، ثم يعود فيبكي بكلتا عينيه ؟! وكنت أتساءل : هل يتفق هذا لكل الناس أم أنها حال خاصة لا تخضع لقانون ثابت ، ولا تجري على سنة مطردة ؟... وأخذت أفكر فخطر لي أن هذا الشاعر قد يكون أعور ، فيتصور منه البكاء بعين واحدة ، وبدا لي هذا الخاطر معقولاً لولا اعتراض قام بالذهن ، هو أن كون الشاعر أعور إنما هو محض افتراض لا يقوم على أساس ، ولا ينهض على دليل . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هل يمكن أن تدمع العين العوراء حتى يتصور بكاء الأعور بكلتا عينيه ؟ وأخذت أبحث عما يدفع هذا الاعتراض ، ويصحح ذلك الافتراض ، وأخيراً وفقت إلى ذلك — وما توفيقي إلا بالله — فقد قرأت في « عبقرية عمر » للأستاذ الكبير العقاد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل متمم بن نويرة ، وكان هذا شديد الحزن لقتل أخيه مالك : — ما أشد ما لقيت على أخيك من الحزن ؟ فقال : كانت عيني هذه قد ذهبت فبكيت بالصحيحة فأكثرت البكاء ، حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدمع . ثم قرأت هذه الأبيات في الجزء الثالث من شرح ديوان الحماسة فوجدت التبريزي الشارح رحمه الله يعلق على البيت السالف بقوله : وإنما قال : « بكت عيني اليسرى » لأنه كان أعور

وبذلك سقط الاعتراض وصح الافتراض . والله أعلم .

ابراهيم محمد نجا

الشعر وجامعة فاروق

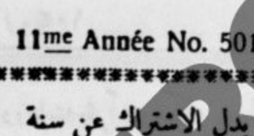
نهضت الحركة الأدبية بالثغر الحبيب نهضة مباركة منذ بزغت شمس جامعة فاروق . ولا غرو فإن حيوية الأدب لا تنتشر وتكتسب كما قال أستاذنا الكبير الزيات ، إلا « بمخالطة الصفوة من رجال الأدب ... وأنه إذا كان الاستمرار على دراسة الروائع الأدبية ضرورياً لضمان الخلود ، فإنه ولا ريب يكون لذوي القرائح الناشئة ضرورياً لاستكمال الوجود »

وإن أصدق شاهد على صدق هذه القولة الحكيمة من صاحب « الرسالة » الغراء ، أن روح الأدب قد تألقت مع إنشاء الجامعة الجديدة ؛ فكان من مظاهر هذه النهضة تكوين جماعة للشعر لأول مرة في كلية الحقوق يشرف عليها مدرس الشريعة الأستاذ عبد الفتاح البانوبي ، ويرأسها الشاعر حسين محمود البشبيشي

ولقد أقامت الجماعة مهرجانها الأول بدار الجامعة في الأسبوع الماضي ، ألقيت فيه بعض القصائد الجياد . وستوالي الجماعة إقامة مهرجاناتها الشعرية شهرياً ، وستختتمها بمهرجان كبير يشترك فيه شعراء الإسكندرية البرزون

عبد العزيز البسي





11me Année No. 501

Lundi - 7 - 2 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ عن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٥٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

فى السياسة القومية

بين الاخـــوة . . .

أسرتان أختان ورثتا أمجاد الدهر ، ورفعتا أركان الحضارة ، وعاشتا على النعماء والبأساء ثلاثة عشر قرناً يظلهما وطن كريم ، ويغذوهما نهر فياض ، وترعاهما شريعة سمحة ، وتربط بينهما أواصر خالدة من صلة القربى ، وحرمة الجوار ، ووحدة المنفعة ، لا يجوز أن يعبث بوحدتهما المقدسة عابث لنزوة غضب أو شهوة خلاف .

تلك كانت كلمتى لصديق ف . ب ، وهو من سراة الأقباط الذين اعتقدوا مبادئ الوفد منذ وضعها الزعيم العظيم سعد ؛ قلتها له حين أنكرت فى بعض حديثه معنى من معانى العصبية المفرّقة التى ماتت ألفاظها فى لغتنا المصرية منذ طويل . وكان صديق هذا إلى يوم قريب لساناً من ألسنة الوفد ، يؤمن برسالته ، ويخلص لسياسته ، ويخضع لزعامته ، ويعتقد أن مبادئه هى الدّين المشترك الذى تصلح عليه الأمة ، وتتحقق به المساواة ، وتشرق فيه العدالة ، ويطّهر به الدم المصرى من جراثيم الفرقة فلا يكون لابن النيل إلا وصف واحد يُشتق من مصريته ، لا من عقيدته ولا من عنصريته . فما هو إلا أن غضب من رجال الوفد غاضب ينتمى إليه حتى أصبحت مبادئ الوفد كفراً ، وسياسته غدراً ،

وزعامته نجراً ، وحكمه محاباة ؛ وحتى صار الخلاف بين رجل ورجل ، خلافاً بين عنصر وعنصر ، وبين دين ودين ، وبين كثرة وقلة سوى بينهما الفضل لا العدل ، فلم يعد هناك كثرة ولا قلة ، ولا عزة ولا ذلة ، ولا قرابة ولا بعد

أهكذا يا صديقى نُحكم الهوى فى الرأى ، وننصر العصبية على الوطنية ، ونصدع ما أراد سعد أن يُرأب ، ونقطع ما أمر الله أن يوصل ؟ إن كان لم يقنعك ما قلت ، فإنى لأرجو أن يقنعك ما أكتب :

إن توحيد الأمة معنى من توحيد الله لا يوسوس بتوهينه فى الصدور إلا شيطان . وإن هذا الشعب المفطور على السماحة والوداعة والألفة ، لم يسجل عليه تاريخه الطويل أن بعضه تعصب على بعضه إلا بمكر الدخيل أو غدر الخائن . وإن الإسلام الذى رتع فى ظلاله اليهودى المضطهد ، والأرمنى المبعد ، والروى المهاجر ، والأوربى المستعمر ، لا يمكن أن يكون مصدر شقاق بين عنصرين شقيقين خلقا من طينة واحدة ، ونبتا فى مغرس واحد . وإذا جاز للأجنبى أن يعكر الماء ليصيد ، ويفرق الأهواء ليستفيد ، فلا يجوز للوطنى البر أن يمزق الوحدة لينتقم ، ويوقظ العصبية ليغلب !

لقد كان التمييز بين المصرى وأخيه بالإسلامية والقبطية ، أو « بالأكثرية والأقلية » ، أثراً من آثار الحكم الجاهل ، أو أداة من أدوات الاستعمار اللئيم . ومصداق ذلك أن الأمر لم يكد يصير فى أهله حتى امحت الفروق ، وشاعت الحقوق ، وتعانق الهلال والصليب ، وتآخى الشيخ والقس ، وماتت الصحافة الطائفية ، وأصبح المصريون أمة واحدة تجد فيها المسلم والقبطى ، كما تجد الوفدى والدستورى ، ولكنك لا تجد للعقيدة الدينية أو النحلة السياسية أثراً سيئاً فى علاقة خاصة أو معاملة عامة . وبهذه الوحدة المقدسة تميزت مصر على أمم الشرق ، وقدمت إليهن مثلاً عالياً فى الوطنية الصادقة والسياسة الحكيمة

إن تقسيم الناس على عدد الأديان والألوان خلق من أخلاق الجاهلية لا تزال الإنسانية تقاسى ما ورثت من عقابيله . وإن استغلال هذه المعانى اليوم فى تحقيق غرض من أغراض السياسة وسيلة مكيافيلية لا يطمئن عليها ضميرى . وإن زعمك يا صديق أن غضب الأسرة لغضب واحد منها نزعة فى أصل الطبع لا حيلة فيها ، يكون له مساغ فى العقل إذا كان الغضب لها والخلاف من أجلها ، أما إذا كان الشقاق والانشقاق لخلاف فى السياسة العامة ، فإن فى مغالبة فريق بفريق ، ومواثبة عنصر بعنصر ، دليلاً على نية سوء لا يصلح صاحبها أن يكون زعيماً يطاع ولا إماماً يتبع .

* * *

لا يا صديقى ! لم تكن فكرة التميز والتحيز فى عهد من العهود سبيلاً إلى مصلحة الوطن ؛ فإن تقسيم الحقوق والواجبات على مقتضى النسبة العددية شديد على الفريق الأقل . وإن انقسام الأمة إلى فريقين متعارضين ، خليق بما يحمل من معانى الأثرة والتعصب أن يوقع الوحشة بين الإخوة فلا يجمعهم ظل ولا تدنيهم مودة

لك ياصديقى ولجميع الناس أن تختلفوا وتختصموا ؛ ولكن عليك وعلى جميع الناس أن تراعوا جانب الحق فى الخلاف ، وتؤثروا سلاح الحق فى الخصومة . وما دمتَ من رجال السياسة وطلاب الحكم فيجب أن يكون رأيك للجماعة وسعيك للجميع . أما أن تفرق لتسود ، وتقسم لتقود ، فذلك جرم وطنى لا تسعه مغفرة

إتقوا الله فى الوطن يا صديقى ، ولا تفتحوا عليه باب الفرقة فإنه باب ظاهره فيه الخراب ، وباطنه من قِبَله العذاب

لا تقولوا نحن وأنتم ، ولا فعلنا وفعلتم ؛ فإنها من بقايا الجمل التى كان يلقيها علينا الأجنبى فنمضغها مضغ الجيف ، ثم لا يأمن بها عيش ولا يسمن عليها بدن

نحن وأنتم إخوة توشّج ما بيننا من صلات النسب على طول القرون . فإذا قيل لكم إنكم طائفة فى أمة ، وذمة فى دين ، وعصبية فى حزب ، فادفعوا هذا القول الظنين بمنطق الوطنى المؤمن ، واربأوا بأنفسكم أن تكونوا مطايا ذُلُلاً لأصحاب المطامع يتقحمون بكم مزالق السياسة . واذكروا أن أثمن ما غنمناه من جهادنا الطويل هو توحيد الأمة ، وأن توحيد الأمة كما قلت معنى من توحيد الله لا يوسوس بتوهينه فى الصدور إلا شيطان

احمد حسن الزيات

هل أدت الجامعة رسالتها ؟

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

فى عصرية السبت الماضى أقيمت مناظرة فى كلية الآداب أريد بها تحديد المدى الذى وصلت إليه الجامعة فى تأدية رسالتها العلمية والأدبية والاجتماعية، واشترك فى المناظرة طالب وطالبة واثنان من الخريجين، واثنان من المدرسين، وقد دامت المناظرة نحو ثلاث ساعات، وحضرها جماهير من بيئات مختلفات، ولم يقع فيها ما يسوء برغم العنف الذى ثار تصريحاً أو تلميحاً بين المؤيدين والمعارضين. ومع أنى كنت أؤيد الرأى فقد راعتنى الحجج التى قدمها من عارضونى، لأن أحدهم وهو الأستاذ حسين دياب حضر ومعه عددان من مجلة (الرسالة) فيهما كلمات تشهد بأنى قلت مرتين بأن الجامعة لم تؤد رسالتها على الوجه المنشود

كانت كلمتى مكتوبة، ولكنى اختصرتها لضيق الوقت، فتجمع الحاضرون حولى عند الانصراف، ورجونى أن أنشرها فى «الرسالة» كاملة ليقرأوا ما فاتهم أن يسمعوه، فأنا أقدمها إلى «الرسالة» تحقيقاً لذلك الرجاء النبيل

وتكميلاً للغرض أسوق الملاحظات الآتية :

١ — أجمع المعارضون أن الصلة بين الجامعة وخريجيها منقطعة تمام الانقطاع، وأن الجامعة لا تعرف غير من تراهم من الطلبة والمدرسين. ولو كانت الجامعة أدت رسالتها لكان من الواجب أن تهيئ لأبنائها القدماء فرصة التلاقى فى رحابها فى كل عام مرة أو مرتين

٢ — كان اللحن الفظيع يغلب على بعض المعارضين، وكان الجمهور يقابل اللحن بالضجيج، وقد اعتذر أحد المعارضين بأن لحنه من الشواهد على أن الجامعة لم تؤد رسالتها، فكان ألطف اعتذار فى التاريخ الحديث !

٣ — وردت فى خطبتى كلمة موجهة إلى العميد، فأسرع بعض المدرسين ليسر فى أذنى كلاماً يرجونى فيه ألا أحرج العميد وكان الظن أن يدركوا أن العميد أقوى مما يظنون ؟

٤ — كان اثنان من المدرسين المشتركين فى المناظرة يقلدان الدكتور طه حسين فى التعابير وفى مخارج الحروف، وهذا دليل على ضعف الشخصية، فأنا أحب أن يكون لكل خطيب وجودٌ خاص

٥ — المنطق قد انعدم فى بعض أقوال المعارضين، فقد توهم أحدهم أن الجامعة لا تؤدى رسالتها إلا إذا عمل خريجوها بالمجان فى جميع الميادين، ونص بالحرف على أن الأطباء فى المستشفيات يتناولون مرتبات، وهذا فى رأيه ينافى الروح الجامعية

٦ — الألفاظ كانت فضفاضة عند بعض الخطباء حتى كدت أحس أن المناظرة لا تدور فى المدرج الأكبر بكلية الآداب !

٧ — كان أحد الخطباء يوهمنا أنه يرتجل مع أنه حفظ خطبته عن ظهر قلب !

٨ — حدثنا أحد المعارضين عن تقاليد الجامعات الأوربية بكلام هو غاية العجب، مع أن عينه لم تكتحل برؤية جامعة أوربية، كما قال أحد المؤيدين، فمن أين استقى هذا المدرس الفضال معلوماته المبعثرة عن تقاليد الجامعات الاوربية ؟

٩ — الأديب سعيد محروس كان يقلد الخطيب محمد شكرى فى الإشارات والنبرات، وهذا دليل على أن الروح لا يموت، فقد كان محمد شكرى أظهر خطباء الثورة، ثم انهزم لأنه عجز عن مسايرة الأحزاب

١٠ — الآنسة كوثر عبد السلام أجادت فى المعانى، ولكنها عقت النحو عقوقاً لا يطاق. فذكرتنا بقول أحد الشعراء :

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نًا وأحلى الحديث ما كان لحنا

١١ — حضر الأميرالاى على حلمى لشهود المناظرة، وفى الطريق إلى المدرج لقينا الدكتور محمود عزمى، فقال له سعادة الأميرالاى : لعلك حضرت لنفس الغرض ! فقال الأستاذ محمود عزمى : إن عندى حصتين فى معهد الصحافة. فقلت : هات تلاميذك ليشهدوا المناظرة، فقد يختزنون مناظر تنفع فى حياتهم الصحفية، فاعتذر بلطف وانصرف

هذه هى الصحافة التى تعرفها كلية الآداب، صحافة نظرية لا عملية، صحافة تأخذ وقودها من التاريخ لا من الحياة، صحافة

تنكر الرحلات من حجرة إلى حجرة فى مكان محدود ، مع أن من واجب الصحفى أن يرتحل من قطب الشمال إلى قطب الجنوب

أما بعد فأنا آسف على ما أثبت فى خطبتى من أن كلية الآداب خدمت الصحافة بانشاء معهد الصحافة ، ولن أمحو ما أثبت ، لأنى لا أريد التسجيل ، وإنما أريد الإيحاء

ولم يبق إلا أن يتفضل أخى الاستاذ الزيات فينشر خطبتى بالحرف ، مع الرجاء فى أن يتذكر أنى لم أثن على الجامعة المصرية بغير الحق ، رفع الله دعائمها إلى الأبد ، وجعلها منارة باقية إلى آخر الزمان .

* * *

أيهـا السادة (١)

حين دُعيت للمناظرة فى هذا الموضوع الطريف قلت لنفسى: إن لجنة المناظرات بكلية الآداب هبط عليها الوحى من حيث لا تحتسب ولا تعرف ، فإن هذا الوقت هو أنسب الأوقات لوزن أعمال جامعة فؤاد الأول . ألم تسمعوا بأن الاحتفال الرسمى بافتتاح جامعة فاروق الأول سيكون فى الأسبوع المقبل ؟

إن فى ذلك لفرصة لوزن ما لجامعة القاهرة وما عليها بالعدل والقسطاس ، وهو أيضاً توجيه لجامعة الاسكندرية ، فما أظنها تكره أن نمدّ إليها يد الرفق ، لنعاونها على مصارعة الأمواج ، وهى فى بلد الأثباج

وكان المنتظر أن أكون فى الصف الذى ينكر أن تكون الجامعة قد أدت رسالتها ، ولكن لجنة المناظرات رأت أن قوتى فى الهجوم ، فبخلت بإعطائى فرصة جديدة أرفع فيها العَلَم لقلمى وبيانى ، فى المكان الذى صاولت فيه كبار الرجال ، بغير تهيب لعواقب الصيال

أو لعلها أرادت أن أشهد علانية بتمجيد الجامعة بعد أن حاربت من حاربت من رجالها الأبطال . إن كان ذلك ما أرادت فلن تنال ما تريد ، لأن من رسالة الجامعة أن تروض أبناءها على الخلاف ، ونحن نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

فلا تحسبونى أغمدت القلم الذى أعددته لمصاولة زملائى ، ولا تتوهموا أنى سأعفى الجامعة من النقد الصريح ، يوم أراها تقع فيما يوجب الانتقاد ، فأنا أومن بأن الحرب حياة وبأن الصلح موت ، وأنا الذى قال حين تنادى رجال الأقلام إلى الوفاق :

دعوتم إلى وأد الخلاف فحاذروا   عواقب حِلفٍ خيرُ آثاره الختل

دُعوا الصلح للأموات فهو غذاؤهم   هنيئاً لهم ذاك المكان الذى حلُّوا

ألاَ هل سمعتم أن قبراً تحركتْ   حجارته فانزاح من فوق الثِّقْلُ

يجوز لقومٍ غيرنا أن يؤلفوا   عصائب يحميها من النكثة القتل

ونحن رجالٌ سرُّنا فى خلافنا   وقوّتنا العليا هى الفتك والصول

تآخى الظباء الرُّود رمزٌ لضعفها   وهل تعرف الآساد ما الجمع والشمل

أيهـا السادة :

أتذكرون المناظرة التى اشتركت فيها بهذا المكان منذ سنتين أو ثلاث ؟

لقد جئت وبيمينى صحائف مكتوبة ، لآمن التزيد الذى يستبيحه بعض المتناظرين ، رغبة فى كسب الأصوات ، أو طمعاً فى التغلب على مفكر لا يعتزّ بغير العقل والبيان

وقد رأيت أن ألقاكم بصحائف مكتوبة ، مع أن مقامى هذا لا يحتاج إلى احتراس ، بعد أن أعفتنى لجنة المناظرات من النضال حين خصّتنى بالجانب الأقوى فى مناظرة هذا المساء ، فاعرفوا أنى قيدت كلامى ، لأنى سألقيه فى أحد مدرجات الجامعة ، والجامعة لا ترضى لأبنائها أن يتركوا الأوابد بلا قيود

ولكن كيف أخاف الإسراف فى إبراز محامد الجامعة ، وليس فى الخير إسراف ؟

الجامعة هى كل ما غنمنا من جهاد الأعوام التى أربت على الستين فى مقاومة الاحتلال

الجامعة هى صوت مصر فى الشرق ، وقد اختارت الضفة الغربية من النيل رمزاً لما تسمو إليه من نقل عقل الغرب إلى روح الشرق

إن الجانب الذى سأتحدث عنه هو الجانب الأقوى ، ولكنه مزعج ، لأنه سيقهرنى على مواجهة مشكلة من أصعب المشكلات ، وهى توضيح الواضحات ، وهل ينكر أحدٌ أن الجامعة أدت

(١) من هنا تبتدئ الخطبة التى ألقى جزء منها فى المناظرة ، بلا تبديل ولا تعديل

رسالتها قبل أن يولد بعض مناظرىّ فى هذا المساء ؟

لم تكن للجامعة رسالة واحدة ، وإنما كانت لها رسالات ، وإليكم بساق الحديث :

كانت رسالتها الأولى أن تختبر العزائم والقلوب ، لتعرف استعداد الأمة للتحليق فى الأجواء العالية ، يوم كان جماعة من خلق الله يقولون : إن السياسة الحكيمة للتعليم هى إعداد موظفين مصقولين . ونحن نعرف المراد من ذلك الصقل ، فقد كان الغرض أن يكون عندنا موظفون لا يقولون « لا » ولو فى التشهد !!

وقد كان المظنون أن تخفق الجامعة فى تأدية تلك الرسالة ، فقد كان الأمر يومئذ إلى حكومة مصقولة ، حكومة تستهدى الاحتلال فى حل بعض المعضلات ، وكان الاحتلال يرى أن مصر تحتاج إلى كتاتيب لا إلى جامعات

فهل أفلحت الجامعة فى إيقاظ الروح القومى لتشعر المحتلين بأن مصر شبَّتْ عن الطوق ، وانتهت من أبجديات الكتاتيب ؟

هو ذلك ، فقد أقبلت الأمة على تأييد الجامعة إقبالاً منقطع النظير ، إقبالاً يشهد بأن فى الجسم الوهين عروقاً نابضات ، وأن مصر علّمت فلاسفة الإغريق والرومان فى العصر القديم ستكون موئلاً علمياً لليونان والطليان فى العصر الحديث

تلك الرسالة الأولى ، فما الرسالة الثانية ؟

كانت الرسالة الثانية أن تجد الجامعة طلاباً يسعون للظفر بإجازات علمية ، لا تعترف بها الحكومة المصرية ، طلاباً لا أمل لهم فى الوظائف والمناصب ، ولا حظ لهم غير التشرف بخدمة الدراسات العالية ، فى زمن كان فيه تراب الوظيفة أثمن من التبر المسبوك ، وأروع من خيوط الضياء

وذلك عهدٌ عرفته بدمى وروحى ، وعرفه معى زملاء من أبناء الجامعة فى عهدها الأول ... كنا يتامى ، وكان اليُتم المضطهد بعض ما ورثنا عن الأنبياء

لم يكن للجامعة ماضٍ تستند إليه ، فقد سبقتها المدارس العالية بعشرات السنين ، وسبقها الأزهر بعشرات القرون ، ولم يكن لنا إخوان فى أى ديوان ، فقد عشنا حيناً غرباء ، وكان من حق أى مخلوق أن يسخر منا كيف شاء ، والحر فى وطنه غريب

لقد حملنا أعباءنا الثقيلة بلا ظهير ولا معين ، ورحبنا بالمكاره السود ، لتقنع الأمة بأن عندنا رسالة لم يحملها أحد من قبل ، وهى رفع راية الفكر الصادق والقلم البليغ

فى ذلك العهد كنا نسمع أن علوى باشا يطوف على الوزارات عساه يجد أمكنة للعائدين الفائزين من بعثات الجامعة المصرية ، وكنا نسمع أنه يجاب بأن « الحكومة ستنظر فى الأمر » وهى عبارة ديوانية معناها أن الحكومة السنية لا تعرف من أعضاء البعثات إلا من تنفق عليهم من مالها الخاص ، كأن الجامعة كفرت حين عاونت الحكومة على تثقيف بعض أبناء الجيل الجديد !!

وحكومة مصر كما تعرفون تجهل أقدار الذين يعفونها من النفقات عند الرغبة فى التزود من الجامعات الأوربية والأمريكية لأغراض مردُّها حب السيطرة على العلم والعلماء

فهل جزعنا فيئسنا ؟

هيهات ، ثم هيهات ، فقد رحبنا بالجهاد فى مناصب الجامعة بعنفوان أقوى من عنفوان الزمان ، وقد انتصرنا على الحكومة ، وعلى الزمان

تلك الرسالة الثانية ، فما الرسالة الثالثة ؟

كان للجامعة وحىٌ يغزو القلوب والعقول ، وقد تسامى إلى غرض أعجب وأغرب ، وهو إنطاق الصخر الجلمود ، فقد أقنع الحكومة بأنْ لا بد من إنشاء جامعة فى الوطن الذى سبق جميع الأوطان إلى إنشاء الجامعات ، فتألفت لجنة حكومية عقدت فى أربع سنين جلسات تفوق الثمانين ، لتقول فى النهاية بتسمية المدارس العالية كليات ، وبعض أنصار الحكومة فى ذلك العهد كانوا يعرفون الأسماء ويجهلون المسميات

وحى الجامعة كان الوحى الصادق ، فقد انسحبت الحكومة من الميدان بعد اليأس ، وبقيت الجامعة تصنع بأحلام الشباب وقلوبهم وعقولهم ما تريد

فى تلكم الأيام كان أبناء الجامعة يقتحمون الميادين العلمية والأدبية ، وكانوا يقيمون البراهين الصوادق على أن فكرة الجامعة لن تموت ، ولو قامت فى طريقها ملايين العقبات

تلك الرسالة الثالثة

أيها السادة :

قبل أن أواجه العهد الثانى من عهود الجامعة المصرية ، العهد الذى ابتدأ فى سنة ١٩٢٥ ، وهو العهد الأرحب والأخصب ، أرى من الواجب أن أجمل القول فى العهد الأول ، بصورة تشعركم بقيمة الرسالات التى أدتها فى ذلك العهد

كان للجامعة مبعوثون إلى الجامعات الأوروبية من أمثال منصور فهمي ، ومحمود عزمى ، وصادق جوهر ، وأحمد ضيف .

ولا ينكر أحدٌ أن مبعوثى الجامعة كانوا أقوى من مبعوثى الحكومة . وكانوا أقدر على النضال فى الميادين العلمية والأدبية والاجتماعية ، وأنا فى هذا المقام أضرب الأمثال ، ولا أحاول الاستقصاء

وكان للجامعة فى ذلك العهد أبناء تثقفهم فى دارها من أمثال : طه حسين وكمال حلمى وفريد رفاعى وتوفيق الرعشلى وأحمد البيلى وحسن إبراهيم وعبد الوهاب عزام ومحمد إبراهيم الجزرى ، فماذا صنع هؤلاء ؟

لن أتحدث عن جهودهم بالتفصيل ، فأنتم تعرفون من جهودهم أكثر مما أعرف ، ويكفى أن أؤيد رأيى بشاهد واحد يصور لكم بعض ما صنعت الجامعة فى ذلك الحين

فى سنة ١٩١٤ تخرج أول دكتور من الجامعة المصرية ، وهو الدكتور طه حسين ، وقد قدّم لامتحان الدكتوراه رسالة سماها « ذكرى أبى العلاء » ، رسالة ظنها الناس تأليفاً كسائر التآليف ، ولكنها أدهشتهم حين طُبعت ، فقد رأوا أن للجامعة نفَساً أطيب من سائر الأنفاس ، وأدركوا أن الجامعة تخلق أبناءها خلقاً جديداً ، وأن لها رسالة جديدة ، وأنها مصباحٌ سيبذ ما سلف من المصابيح

ولم تكن رسالة الدكتور طه مثالاً يحتذيه طلبة الجامعة فحسبُ ، وإنما امتد أثرها إلى آفاق بعيدة من أقطار الشرق

وقد قدّم الدكتوز طه بعد ذلك بأعوام رسالة إلى جامعة باريس عن ابن خلدون ، ولكنها ليست فى قوة الرسالة التي قدمها إلى الجامعة المصرية عن أبى العلاء ، فكان هذا برهاناً على أصالة الجامعة المصرية فى تثقيف الأذواق والعقول

ثم ماذا ؟

ثم نظرت الجامعة فرأت الحكومة تخنق التعليم فى المعاهد العالية ، فأنشأت قسم الحقوق فى أعوام عجاف ، هى أعوام الحرب الماضية ، وكانت النتيجة أن تعترف الحكومة نفسها بأن أبناء الجامعة المضطهدة أقدر من أبنائها على الظفر بالدرجات العالية .

وفى ذلك العهد كانت دار الجامعة هى الموئل لكبريات الحفلات ، ففيها أقيم الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده ، مع أن الأزهر لم يحتفل بتأبين ذلك الإمام الجليل . وفيها احتُفل بتأبين فتحى باشا زغلول وعثمان باشا غالب ، وفيها احتُفل بذكرى رينان ، وفيها ألقيت عمرية حافظ إبراهيم وعلوية محمد عبد المطلب ، وعلوية عبد الحليم المصرى

وفى ذلك العهد ... ماذا وقع فى ذلك العهد ؟

كان مجلس الجامعة المصرية ينتظم أكابر المصريين ، وكان هو المكان الوحيد الذى يجتمع فيه أولئك الأكابر فى أمان من الرقباء ، وفيه تألف الوفد المصرى برياسة الزعيم سعد زغلول .

ألا تكون هذه الناحية الخطيرة جانباً من رسالة الجامعة فى عهدها الأول ؟

زكى مبارك

في التربية الديمقراطية

الحكم الذاتي في المدرسة (*)

للأستاذ السيد يعقوب بكر

سوف لا نعرض في هذا البحث للتجارب التي أجريت في هذه المسألة؛ فإن هذه التجارب كثيرة كثرة لا نستطيع معها حصرها في بحث مثل هذا البحث؛ وهي كذلك ذات صبغة بيئية إن صحّ هذا التعبير، فهناك تجارب إنجليزية وتجارب أمريكية وتجارب أسترالية وتجارب فرنسية، وطبيعي أن هذه التجارب لا تهمنا كمصريين لهم بيئتهم الخاصة وتعليمهم الخاص الذي توحي به هذه البيئة؛ هذا إلى أن من هذه التجارب ما كان مسرحه المدرسة الابتدائية وما كان مسرحه المدرسة الثانوية وما كان مسرحه الجامعة، وواضح أن هذه التجارب لا تصلح لمدارسنا وجامعاتنا لسبب بسيط جداً وهو أن مدارسنا وجامعاتنا تختلف عن تلك المدارس والجامعات الأجنبية التي جعلت مسارح تُجرى عليها تجارب الحكم الذاتي؛ كذلك أجريت تجارب في الحكم الذاتي على التلاميذ الذين لم يبلغوا سن البلوغ والمراهقة preadolescents وعلى الطلبة الذين بلغوا هذه السن adolescents، وهنا أيضاً لا نستطيع تطبيق هذه التجارب على من لم يبلغ هذه السن من تلاميذنا وعلى من بلغها لسبب بسيط جداً أيضاً، وهو أن هؤلاء يختلفون اختلافاً كبيراً عن نظرائهم في البلاد الغربية.

وإذن فلن نعرض لهذه التجارب التي أجريت في الحكم الذاتي. وإنما سنعرض فقط للمبادئ العامة التي تسيطر على هذا الموضوع.

***

وأول ما نفعله في هذا الصدد أن نبين مكان الحكم الذاتي من التأديب discipline.

(*) Self-Government in Schools

فنحن نعرف أن الأستاذ مكمان McMunn يقسم تطور التأديب من حيث البعد عن الحرية أو القرب منها إلى ثلاث مراحل متتابعة: مرحلة الإرهاب Phlebotomism، ومرحلة التأثير بالشخصية Impressionism، ومرحلة التحرير Emancipationism

ففي المرحلة الأولى كان المعول على القوة وحدها، وكانت العصا هي أداة التفاهم الوحيدة بين المعلم والتلميذ

وفي المرحلة الثانية - وهي مرحلة انتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثالثة - هذب المربون من حاشيتهم ورققوا من جفوتهم وإن لم يزودوا تلاميذهم بعد بالحرية الكاملة التي يتطلعون إليها والتي هي في الحق من حقهم

أما المرحلة الثالثة؛ فهي التي تمثلها المدرسة الحديثة في التربية وهذه المدرسة ترمي إلى تزويد التلميذ بحرية خالصة من كل قيد؛ ويجب أن تكون حرية التلميذ هذه إيجابية لا سلبية، فيجب - كما يقول السير روبرت بادن باول - أن يشجع التلميذ على أن يعمل ما يحب كما يحب وإن أدى به هذا إلى الخطأ، فبهذه الطريقة وحدها يمكنه أن يكتسب خبرة في هذه الحياة

والأستاذ ماك مان McMunn يرفض نوع التأديب الذي تضمنته المرحلة الثانية، ولكن الدكتور الكورث براون E. Elkworth Brown لا يقره على هذا الرفض

والسير جون آدمز يخرج من اعتباره النوع الأول من التأديب؛ ويترك النوع الثاني لمحك الحياة يظهر ما فيه من زيف أو صلاح؛ وينظر في النوع الثالث فيرى أن مفهومه يقتضي من المعلم أن يكظم شخصيته وأن يلفها في مدارج النسيان، فيقول إن هذا غير ممكن الحدوث، فشخصية المعلم تظهر بالرغم منه وتترك أثرها في التلاميذ، وهو لا يستطيع بحال ما أن يخلّص ما يلقيه على تلاميذه من أصباغ شخصيته. ويزيد السير جون آدمز على ذلك فيقول إن دعاة هذا المذهب الجديد يعترفون بصحة ما يقول

والذي نقصد إليه من كل هذا هو أن نقول إن الحكم الذاتي مظهر من مظاهر المدرسة الحديثة في التربية

وهنا يحسن أن نتحدث قليلاً عن تاريخ المسألة

فليس من شك في أن النظام يجب أن يتوفر فى التعليم المدرسى حتى يمكن لهذا التعليم أن يحقق الغاية المقصودة منه . لذلك كان النظام فى المدرسة أمراً على جانب كبير من الأهمية فى نظر الجميع . ومن ثمّ أخذت المدرسة تهدف إلى أن تبعث فى جوها نظاماً مباشراً immediate orderliness ، فما أدّى فى كثير من الأحيان إلى إهمال الغرض التربوى المقصود تحقيقه عن طريق النظام . ولكن ازدياد الاهتمام بالأفراد ولا سيما الأطفال ، ومطالبة المدرسة بإخراج تلاميذ قادرين على أن يشاركوا فى التعاون الاجتماعى فى هذه الحياة ، وتسلط علم نفس صحيح على المدارس ، كل هذا دعا إلى ترك هذا النوع من التأديب الذى لا يهدف إلا إلى مجرد النظام إلى نوع من التأديب آخر يتحقق من ورائه نمو الشخصية والتعاون الاجتماعى الثابت فى المدرسة

وقد تجلت تلك النزعة فى أمريكا فى عدة محاولات ترى إلى زيادة حرية الأطفال ومسئوليتهم فى مباشرة نواحى نشاطهم فى الفصل وفى خارج الفصل . ولقد ظهر أثر هذه النزعة أول ما ظهر فى الكليات والجامعات فيما يُعبر عنه باسم نظام الشرف honor system ثم ظهر بعد ذلك فى الحكم الذاتى فى المدارس العالية high schools ، وأخيراً ظهر فى المدارس الأولية

***

على أنه يحسن بنا هنا وقد أشرنا إلى نظام الشرف فى معرض كلامنا الوجيز عن تاريخ الحكم الذاتي أن نتحدث بإيجاز شديد عن الفرق بين هذين النظامين كما هما فى أمريكا . فنقول إن وجود نظام الشرف فى المدارس العالية يرجع إلى أنه لما كان طلبة هذه المدارس يتمتعون من قديم بقسط وافر من الحرية فى مباشرة وجوه نشاطهم المختلفة فى داخل هذه المدارس وفى خارجها ، فإن المدرسين والمباشرين لأمور هذه المدارس قد وصلوا هذه الحرية التى يتمتع بها الطلبة بنظام الامتحان وجعلوها تنفذ إليه لتدبر أمره . وكان الدافع لهم على ذلك أنهم لمسوا صعوبة التوفيق بين كبح نزعة الغش فى الامتحان والعمل — فى نفس الوقت — على خلق اتجاهات صحيحة وعادات صحيحة فى نفوس الطلبة

هذا عن نظام الشرف . أما الحكم الذاتى فى المدارس غير العالية فقد دفع إلى اصطناعه غرضان هما بدون شك أوسع مجالاً من الغرض الذى دفع إلى اصطناع نظام الشرف : فالغرض الأول هو إيجاد وسيلة لتعليم علم الحكم المدنى civics تكون أكثر موضوعية وإيجابية ، والغرض الثانى هو العمل على أن تنمّى حكومة المدرسة الروح الاجتماعية عند كل طالب .

فهذا هو الفرق بين النظامين .

على أن هناك نظاماً آخر يحسن أن نتحدث قليلاً عما بينه وبين نظام الحكم الذاتى من فروق ، ونعنى بهذا النظام نظام العُرفاء prefect system . فبين هذا النظام ونظام الحكم الذاتى ثلاثة فروق رئيسية : فالفرق الأول يتلخص فى أنه فى نظام العرفاء يخوّل السلطة عددٌ قليل من التلاميذ كبار السن بينما أن السلطة فى نظام الحكم الذاتى يخوّلها التلاميذ جماعة ، والفرق الثانى يتلخص فى أن أعمال العرفاء prefects تنفيذية أكثر منها تشريعية ؛ فنظم القوانين التى ينفذونها ليست من تشريعهم . والفرق الثالث يتلخص فى أن هؤلاء العرفاء يختارون من قبل ناظر المدرسة ويكونون مسئولين أمامه بدلاً من أن يكونوا نائبين عن الجماعة .

وهنا يحسن بك أن تسألنى عن كنه الحكم الذاتي لأقول لك إنه تخويل جماعة من التلاميذ سلطة كاملة لمباشرة شئون حياتهم المدرسية كلها أو بعضها .

وهذا الحكم الذاتى لم يصطنع عبثاً ، بل لتحقيق أغراض يُرجى تحقيقها من ورائه .

فمن هذه الأغراض تنمية القدرة على التعاون co-operation ونحن نعرف أن للتعاون أهميته العظيمة فى الدول الديمقراطية ، بل وفى ذلك المحيط الفسيح الذى نسميه بالمجتمع الكبير Great Society والذى نحن جميعاً أبعاض منه . وإن المجتمع الحديث

مدين بتقدمه بل وباستمرار وجوده لهذا التعاون الذى يربط بين أفراده بعضهم وبعض .

ومن هذه الأغراض تدريب التلاميذ تدريباً عملياً على أن يكونوا مواطنين مستنيرين ، فإن دروس علم الحكم المدنى لا يمكن أن تغنى هذا التدريب العملى بحال ما . فالكتب لا تستطيع بحال ما أن تطلعنا على دقائق آلة العمل الحكومية أو على الطريقة التى تدير بها الأعمال ، وإنما نطّلع على كل هذا بالتجربة وبالتجربة فقط .

وهناك غرض ثالث هو فى الحقيقة غرض علاجى . وبيان ذلك أن هناك أطفالاً ينزعون إلى أن يشعروا المجتمع بوجودهم وإلى أن يحملوه على الاعتراف بأهمية هذا الوجود ، فإذا لم يجد نزوعهم هذا متنفساً يخرج منه إلى عالم الواقع والحقيقة فإنه يتحول إلى عقدة نفسية تحمل هؤلاء الأطفال على أن يقفوا من قوانين المجتمع موقف العداء ، وبذلك تكون حياتهم العاطفية صراعاً مشتجراً بينهم وبين أولى الأمر . وعلى ذلك فيجب أن يوحى إلى هؤلاء المتمردين على المجتمع أن القانون ليس جماعاً من أوامر ونواه تملى عليهم وتفرض ، وإنما هو وسيلة تصطنع لتحقيق مثل عليا يطمح إليها أفراد المجتمع ويشاركونهم هم فى هذا الطموح . وليس كالحكم الذاتى وسيلة لغرس هذا فى نفوس هؤلاء المتمردين

فهذه أغراض ثلاثة رئيسية يرجى تحقيقها عن طريق الحكم الذاتى . وهناك أغراض أخرى ثانوية يصح أن نذكر بعضها .

فمن هذه الأغراض الثانوية تدريب التلاميذ على ضبط النفس ، وذلك لأن فى تدبيرهم لأمورهم المدرسية تدريباً لهم على ضبط أمورهم النفسية ؛ ولأن فى تدبيرهم لأمورهم المدرسية تقوية لعزيمتهم وشحذاً لإرادتهم ، ولا بد لضبط النفس من قوة فى العزم ومضاء فى الإرادة

ومن هذه الأغراض الثانوية أيضاً تقوية إحساس التلاميذ بقيمة النظام وأهميته . ومنها كذلك تدريب التلاميذ على سياسة الغير .

(للحديث بقية) السيد يعقوب بكر

من أزهار الشر

لشارل بودلير

عروج

ها أنتِ يا روحى ترفرفين هفافةً فوق الوهاد والغدران ، والجبال والغابات ، والسحب والبحار ، وفيما وراء الشمس والأثير ، والأفلاك النائية المرصعة بالنجوم .

وإنك لتعبرين الفضاء العميق ، مرحةً فى شهوة عارمة يعجز عنها البيان ، كسابح ماهر غشيه الذهول فى لجة الماء .

فلتحلق بعيداً ، بعيداً ، عن الجيف المنتنة . واصعدى إلى الهواء الأعلى ، لتتطهرى من أدرانها ، واحتسى النار الساطعة التى تغمر الآفاق المتألقة ، كخمر إلهية صافية .

طوبى لمن يستطيع أن ينطلق بجناح قوى إلى السموات المشرقة الساجية من وراء الهموم والآلام العريضة التى تنوء بأعبائها الحياة القاتمة !

طوبى لمن كانت خواطره كالقنابر تطير عند الصباح إلى السماء حرة طليقة !

طوبى لمن رنّق[1] فوق الحياة ، وأدرك بلا عناء لغة الزهور والكائنات الصامتة !

ترجمة

عثمان على عسل

(١) رنق الطائر حلق دون أن يحرك جناحيه

حكم فى الجنحة رقم ٨٤ عسكرية الجمالية سنة ١٩٤٣ بحبس مسعد جرجس توفيق ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لعرضه للبيع زيتاً بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ٤٧ عسكرية بولاق سنة ١٩٤٣ بحبس رزق مرزوق لمدة ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لامتناعه عن بيع أرز وزيت بالسعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ٩٠ عسكرية مصر الجديدة سنة ١٩٤٣ بحبس حسن أحمد عبد الفتاح ستة شهور مع الشغل وتغريمه خمسين جنيها وجلده عشرين جلدة والغلق لمدة أربعة أيام لبيعه لحماً بتلو بأزيد من التسعيرة

الحضارات القديمة في القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٤ —

الحضارة اليهودية

ينسب اليهود إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وقد أقام أجدادهم فى مصر من عهد يوسف بن يعقوب إلى عهد موسى بن عمران ، وهم قلة تدين بالتوحيد الذى دعا إليه إبراهيم أبو الأنبياء ، وكانت الوثنية فى ذلك العهد غالبة على الأرض ، ولها دول قوية فى مصر وغيرها من الأقطار . وقد لقى اليهود ما لقوا فى مصر من الذل والهوان فى سبيل دينهم ، إلى أن أراد الله تعالى إظهار دين التوحيد فى الأرض ، وإقامة حضارة جديدة تقوم على ذلك الأساس الذى يرفع من شأن الإنسانية ، وينقذها من الجهالات التى كانت تتردى فيها على عهد الوثنية .

وقد بشر الله تعالى بهذه الحضارة قبل أن تظهر على الأرض بقرون ، تعظيماً لشأنها ، وتفضيلاً لها على الحضارات الوثنية التى سبقتها ، لأنها ورثت محاسن تلك الحضارات ، وخلت من الطغيان والجهل الذى كان يشوه تلك المحاسن ، وقد جاء ذلك التبشير فى أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر ، فقال تعالى فى الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة القصص (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

فالذين استضعفوا فى الأرض هم اليهود ، والقرآن الكريم حين يرثى لاستضعافهم فى الأرض ، ولما لقوه من الذل والهوان فى مصر ، وحين يبشر بأن الله يريد أن يمن عليهم ويجعلهم الوارثين فى الأرض ، لا يحدث عنهم فى ذلك بعنوان أنهم يهود ، لأن مثل هذا لا يَعْنى القرآن الكريم بشىء ، وكل الناس عنده سَوَاسِيَةٌ من هذه الجهة ، وإنما يحدث عنهم بعنوان أنهم شعب موحد ، يريد الله أن يجزيهم خيراً على ما لقوه من الاستضعاف فى سبيل توحيدهم ، وأن يمن على الموحدين من اليهود وغيرهم بأن يجعلهم الوارثين فى الأرض ، فتقوم لهم دول تغلب عليها ، وتظهر لهم حضارات لا تذكر الحضارات التى سبقتها بجانبها . وقد صدق الله تعالى وعده ، فأخذ التوحيد يقوى شيئاً فشيئاً من عهد قيام دولة اليهود فى فلسطين ، وجعل يناضل الوثنية ويغزوها فى معاقلها ، وقد رفع لواءه فى ذلك النضال أولئك الأئمة الذين اختارهم الله تعالى لهداية البشر ، وكان أعظمهم فى ذلك الجهاد الشاق ثلاثة لا تزال آثارهم فيه باقية إلى عصرنا ، وهم : موسى صاحب الشريعة اليهودية ، وعيسى صاحب الشريعة النصرانية ، ومحمد صاحب الشريعة الإسلامية ، وأتباع هذه الشرائع هم الظاهرون الآن فى الأرض ، وحضارتهم هى الحضارة العليا ، وهى المثل الأعلى فى عصرنا

وقد بلغت الحضارة اليهودية أوج مجدها فى عهد داود وسليمان عليهما السلام ، فارتقت فيها العلوم والآداب وتقدمت الصناعة تقدماً عظيماً ، ونهضت التجارة نهوضاً كبيراً . وكان لسليمان عليه السلام أساطيل عظيمة تمخر عباب البحار ، حتى وصلت غرباً إلى بلاد الأندلس ، وجنوباً إلى بلاد اليمن وجنوب أفريقية . وقد لمعت سماء فلسطين فى عهده بما أقامه فيها من المدن العظيمة ، وبما شيده فيها من بيوت العبادة ، وبما رفعه فيها من الصروح والقصور الجميلة ، وهو مع هذا رسول من رسل الله الكرام ، وإمام من أولئك الأئمة الذين بشر الله بهم فى أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر

ولا شك فى أن ظهور هذا كله فى عهد سليمان أعظم رد على أعداء التوحيد ، لأنه يبين خطأهم فى ظنهم أن التوحيد يجافى الحضارة وينأى عن مظاهر الجمال التى تمتاز بها عن البداوة ، ولا يتسع لها صدره كما يتسع لها صدر الوثنية

وفيه أيضاً أعظم رد على أولئك المتنطعين فى الدين ، وهم الذين يتفقون فى ذلك الظن الخاطئ مع أعداء التوحيد ، فيظنون أن الدين ليس إلا خشونة وتقشفاً ، وأن المثل الأعلى فيه هو الزهد فى زينة الحياة الدنيا ، لا يفرقون فى ذلك بين الزينة التى أحلها الله تعالى وبين الزينة التى حرمها على عباده

وقد نوه القرآن الكريم بمظاهر الحضارة التى تمت فى عهد داود وسليمان فى آيات كثيرة منه ، فمن ذلك قوله تعالى فى الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من سورة سبأ « ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن

اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير . ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور »

ومن ذلك ما ورد فى شأن بلقيس ملكة سبأ ، وفى شأن الصرح العجيب الذى بناه لها ، وذلك فى الآيات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) من سورة النمل « قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ! وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

وكان هذا الصرح العجيب آية فى فن البناء . ذكر المفسرون أنه كان قصراً من الزجاج الأبيض كالماء ، وقد أقامه على ماء يجرى تحته ، وألقى فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب البحر ، ثم وضع سريره فى صدر المجلس وجلس عليه ، فلما جاءت بلقيس قال لها : ادخلى الصرح ، فحينئذ حسبته لجة عظيمة من الماء ، وكشفت عن ساقيها لتخوضها إليه ، فقال لها : إنه صرح ممرد من قوارير ، فحينئذ سترت ساقيها ، وآمنت بعظمة ملك سليمان عليه السلام

ولكن اليهود أدركهم فى حضارتهم من الغرور ما أردك غيرهم ، حتى زعموا أن ما وصلوا إليه فيها كان إيثاراً من الله لهم فركنوا إلى ذلك الغرور حتى سلبهم الله ما كانوا فيه من العز ، وسلط عليهم غيرهم من الأمم ، وإلى هذا يشير الله تعالى فى الآية (١٨) من سورة المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »

وقد أضافوا إلى ذلك الغرور القاتل الاستكانة للرؤساء حتى اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله فسار قادتهم وراء أهوائهم ، ولم يكن لهم من أممهم رقيب عليهم ، وكان لهذا أثره أيضاً فى القضاء على حضارتهم

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

ابن خــــلدون

مؤرخ الحضارة العربية

للأستاذ عيسى محمود ناصر

حياة ابن خلدون قصة من أعجب قصص الخيال ، ومغامرة لم تتح لكثير من عظماء الرجال ، لا يزال تراثه فريداً فى بابه بين آثار التفكير الإسلامى ، وما يزال يحتفظ بقيمته وروعته ، ويتبوأ مكانته بين التفكير العالمى . وها نحن أولاء بدأنا نتنبه إلى رجالنا لنقدرهم قدرهم ، وندرس آثارهم ، ونحفظ لهم مكانتهم ، ونحيى ذكراهم ، بما أدخل من نظام المسابقات التى تعقدها وزارة المعارف لطلبة السنة التوجيهية فى مواد الدراسة المختلفة ، وكان منها دراسة مقدمة ابن خلدون . ونحن بهذا النظام نحيى ذكرى فيلسوفنا الاجتماعى الكبير ، وقد مضى عليه أكثر من ستمائة عام ، وهو على قدمه يجب أن يكون مثالاً عالياً لجميع الشباب ، وأن يقرءوا مقدمته القيمة ، فهى ثروة لا تقدر فى تراث البيان العربى ، والتفكير العربى . على أن لابن خلدون صلة خاصة بنا نحن المصريين ؛ فلقد كانت له بمصر جولات ونظريات ، كما كانت مصر مثوى إقامته ، وإن كانت تونس تفخر به لأنها مستهل ولادته . وحسب ابن خلدون فخراً أنه السابق إلى وضع مبادئ علم الاجتماع الذى ما زال موضع إعجاب الغرب وتقديره . ولست فى هذه العجالة متعرضاً لنشأته ، وتاريخ حياته فهى فى متناول الطلبة . على أنه عنى بنفسه فوضع ترجمة له دونها بقلمه ، وصور فيها كثيراً من أطوار حياته ، وما تقلد من مناصب ، وما قام من رحلات ومغامرات .

بدأ ابن خلدون مؤلفه التاريخى العظيم وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد نضجت مباحثه ومطالعاته فى الكتب والحياة بعد أن قطع نحو ربع قرن يخوض معترك السياسة متقلباً فى خدمة القصور والدول المغربية يدرس شئونها ونظمها ، ويستقصى سيرها وأخبارها متغلغلاً بين القبائل البربرية يدرس طبائعها ، وأحوالها ، وتقاليدها فى الحياة العامة والخاصة ، وقد أعانه على ذلك ذهنه الخصب المتوقد ذكاء ، وعزلته فى قلعة « سلامة » على حدود تونس الغربية فلقد كانت عزلة مباركة موفقة لبث فيها أربعة أعوام نعم بالاستقرار والهدوء المستمر بعيداً عن غمار السياسة والدسائس السلطانية والمخاطر التجوالية والحربية ، وقد استغرق فى كتابة مقدمته خمسة أشهر ثم نقحها وهذبها بعد ذلك ثم شرع بعد إتمامها فى كتابة تاريخه ، وقد رفعه إلى السلطان أبى العباس المغربى ، وأنشده قصيدة طويلة يشيد فيها بسيرته وأعماله ، ويستدر عطفه ورعايته ، وينوه بكتابه يقول فيها :

وإليك من سير الزمان وأهله عبراً يدين بفضلها من يعدل
والله ما أسرفت فيما قلته شيئاً ولا الإسراف منى يجمل

ولقد كان ابن خلدون أعظم سياسى ومفكر عرفته إفريقية والأندلس فى القرن الثامن الهجرى .

ابن خلدون فى مصر

غادر ابن خلدون تونس لينتظم فى ركب الحجاج ، ولكنه لم يحقق تلك الغاية فقد نزل القاهرة ليقضى أيامه بمصر فى هدوء ودعة واستقرار ، وكانت القاهرة يومئذ موئل التفكير الإسلامى فى المشرق والمغرب ولبلاطها الشهرة الواسعة فى حماية العلوم والآداب ، فبهرت ابن خلدون ضخامة القاهرة وعظمتها كما بهرت كل من رآها من أعلام المشرق والمغرب فوصفها بقوله : « فرأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، وإيوان الإسلام ، وكرسى الملك » ولقد كان المجتمع القاهرى يعرف الكثير عن شخصه وسيرته ، ولا سيما مقدمته التى أذاعت فضله ، فأقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب ، وقد كان ابن خلدون محدثاً بارعاً ، رائع المحاضرة ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه ؛ هذا إلى فصاحته وجمال صورته ، فتقرب من السلطان الظاهر برقوق .

وإنه لمنظر شائق ذلك الذى يقدمه إلينا ابن خلدون عن مجلسه ، ومن حوله العلماء والكبراء يشهدون الدرس الأول حيث يقول : « وانقضى ذلك المجلس ، وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار »

عين ابن خلدون قاضياً لقضاة المالكية تنويهاً بذكره ، وإعلاناً لشأنه ، وقد ثارت حوله عاصفة شديدة بسبب الحقد والسعاية ، وقد بين ما كان يسود جو القضاء فى مصر فى ذلك الحين من جهل وفساد فى الذمة ، وأنه حاول إقامة العدل الصارم النزه عن كل شائبة ، وما زال أمره بين جزر ومد إلى أن عزل من منصبه ، وغادره موفور الكرامة والهيبة ، فانقطع إلى الدرس

والتأليف إلى أن أذن له السلطان بأداء فريضة الحج ، ثم عاد بطريق البحر حتى القصير مخترقاً الصعيد بطريق النيل فوصل القاهرة

وليس فى حياة ابن خلدون فى هذه الفترة التى قضاها بمصر ما يستحق الذكر سوى سعيه إلى عقد الصلات بين البلاطين القاهرى والمغربى ، فهو يصف المهاداة بين صلاح الدين ، وبنى عبد المؤمن من ملوك المغرب ، وبين الناصر قلاوون وملوك بنى مرين ، ويصف الهدايا المصرية والمغربية فبدأ سلطان تونس بإهداء خيل مسومة وسروج ذهبية

لبث ابن خلدون بعيداً عن منصب القضاء أربعة عشر عاماً وكان بالفيوم يعنى بقمح ضيعته التى يستحقها من الأوقاف ، فاستدعاه السلطان إلى القضاء ، فلما استقرت الأمور بمصر استأذن فى السفر إلى بيت المقدس فأذن له ؛ فشهد المسجدِ الأقصى وقبر الخليل وبعض الآثار ثم عاد من رحلته إلى القاهرة . ثم وردت الأنباء بانقضاض « تيمورلنك » بجيوشه على الشام واستيلائه على حلب فى مناظر هائلة من السفك والتخريب فروعت مصر ، وهرع « الناصر فرج » بجيوشه لملاقاة الفاتح التترى ورده ، وقد اشتبك جنود مصر بجند الفاتح فى ظاهر دمشق فى معارك شديدة ثبت فيها المصريون ، وبدأت مفاوضات الصلح بينهما ، ولكن خلافاً دبّ فى معسكر المصريين ، ومؤامرة دبرت لخلع السلطان ؛ فترك السلطان دمشق لمصيرها ورجع إلى القاهرة . وهنا تتجلى لنا نزعة مؤرخنا الفيلسوف فى مغامراته ، فقد رأى أن يعتصم بالجرأة وأن يغادر جماعة المترددين إلى معسكر الفاتح فيستأمنه على نفسه ومصيره ، ويصف لنا ابن خلدون ذلك اللقاء بقوله : « ودخلت عليه « المراد تيمورلنك » بخيمة جلوسه متكئاً على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، فلما دخلت عليه انحنيت بالسلام ، وأومأت إيماءة الخضوع فرفع رأسه ، ومد يده إلى فقبلتها » ، وتحدث الفاتح طويلاً إلى المؤرخ ، وحدثه المورخ بأنه كان يسمع به ، ويتمنى لقاءه منذ أربعين سنة ، واستطاع ابن خلدون أن يقنع الرؤساء بالتسليم ، وفتحت دمشق أبوابها للفاتح فنجت من بطشه . وقد قدم ابن خلدون إلى الفاتح هدية هى : مصحف رائق ، وسجادة أنيقة ، ونسخة من البردة وأربع علب من حلاوة مصر الفاخرة . فوضع « تيمورلنك » المصحف فوق رأسه ثم سأله عن البردة ، وذاق من الحلوى ووزع منها على الحاضرين ، وقد أنكر مؤرخ مصرى معاصر هو المقريزى هذه الرواية ، وانضم إليه ابن إياس المؤرخ المصرى

وما لبث ابن خلدون يولى منصب القضاء فى مصر ويعزل ست مرات بسبب كيد خصومه ودسائسهم له إلى أن توفى سنة ثمان وثمانمائة هجرية وقد بلغ نيفاً وسبعين سنة من حياة باهرة حافلة بجليل الحوادث وروائع التفكير والابتكار ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة المعزية وهى يومئذ من مقابر العظماء والعلماء

قضى ابن خلدون فى مصر ثلاثة وعشرين عاماً كانت أقل مراحل حياته حوادث وإنتاجاً ؛ فقد عاش بعيداً عن شئون الدولة السياسية بعد أن لبث بالمغرب ربع قرن وهو يتجرد من ثوب السياسى المغامر ليتشح بثوب العالم المقتدر . على أنه لم يستطع أن ينشئ له بمصر مدرسة يطبعها بطابعه وآرائه ومناهجه وذلك راجع إلى روح النفور والخصومة ، فقد سبقه إلى مصر حكمه على أهلها بأنهم قوم يغلب عليهم الفرح والخفة والغفلة عن العواقب ، على أن ابن خلدون كان يحظى بتقدير فريق قوى من الرأى العام المصرى المفكر وعلى رأسه العلامة المقريزى الذى تأثر بنظرياته تأثراً كبيراً كما يظهر أثر ابن خلدون فى اعتماد بعض أكابر الكتاب المعاصرين عليه والاقتباس من مقدمته وتاريخه ، ومن هؤلاء القلقشندى صاحب صبح الأعشى

أثر ابن خلدون الفكرى والاجتماعى

اعتبر ابن خلدون التاريخ علماً يستحق الدرس لا رواية تدون وتقرأ ، فانتهى به البحث إلى وضع نوع من الفلسفة الاجتماعية ، وكتب مقدمة مؤلفه التاريخى لتكون تمهيداً يقرأ على ضوئها التاريخ ، وتفهم دقائقه فجاءت وحدة مستقلة من الابتكار الفائق تسجل مذهباً جديداً فى فهم الظواهر الاجتماعية وتعليلها ، وفى فهم التاريخ ونقده وتحليله ؛ فهو يحاول أن يتتبع المجتمع فى جميع أطواره منذ نشأته وبداوته إلى استقراره وانتظامه فى المصر والدولة وتردده بين الضعف والقوة والفتوة والكهولة والنهوض والسقوط مقسما موضوعه هذا إلى ستة فصول كبيرة هى:

١ — العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض

٢ — العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل

٣ — الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية
٤ — العمران الحضرى والبلدان والأمصار
٥ — الصناعات والمعاش ووجوه الكسب
٦ — العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه

وهذا التقسيم يشهد بتفوق هذا الذهن العبقرى وطرائقه وقوة تدليله وجدله . وأجود هذه الفصول (الفصل الثالث) وهو خاص بالدولة والملك وخواصهما مبيناً أن للملك طبائع وللدولة أعماراً كالأشخاص، فهو يقدر لها ثلاثة أجيال فى الغالب، ويقدر الجيل بأربعين عاماً متأثراً في هذا التقدير بما ورد فى القرآن الكريم عن بنى إسرائيل حين فقدوا عصبيتهم وكانوا عاجزين فعاقبهم الله بالتيه فى قفار سيناء أربعين سنة ليخلق منهم جيلاً جديداً يقوى على المطالبة والتغلب . وفى هذا الفصل تبدو نظرياته الاجتماعية وتحليله للمجتمع ، كما يدل ذلك على براعة ذهنه . ثم يتناول الدولة وتحولها من البداوة إلى الحضارة فى الفصل الرابع ، وبيان أطوارها المختلفة ، وأثر الموالى والمصطنعين فى هذا التطور . ثم يتناول الملك والإمامة والخلافة واختلاف الآراء فى شأنهما ومذاهب الشيعة والخطط الدينية من القضاء والعدالة والسكة ، ثم الوزارة ودواوين الأعمال والجباية والرسائل والشرطة وقيادة الأساطيل ورسوم الملك والحروب ومذاهبها والمكوس ونظم التجارة ، ثم يتحدث عن البلدان والأمصار ونشأة المدن واختلاف ظروفها من خصب ورفاهية وجدب وقفر وتفاوت فى الغلات والصناعات واللغة

من هذا كله تتبينون أن ابن خلدون مخترع هـذا العلم وصاحب الفضل الأول في ابتكاره وهو ما يسميه « بالعمران والاجتماع البشرى» فقد أفاض فى هذه النظريات مصحوبة بالشواهد مترابطاً بعضها ببعض، وكل ما خلفه أسلافه نحات مبعثرة ضئيلة . على أن هذا العلم الذى استحدثه ابن خلدون اتخذ من حيث مادته وموضوعاته مكانة بين علومنا الحديثة فى الاجتماع وفلسفة التاريخ والنظام السياسى والاقتصاد السـياسى . وفى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية ما يؤيد ذلك

أما أسلوبه فخاص يتميز به ابن خلدون من غيره فى العرض والتنظيم ، كما أن مقدمته تمتاز بطرافة موضوعاتها وروعة أسلوبها الأدبى الذى يجمع بين البساطة وقوة التعبير ، ودقة التدليل ، وحسن الأداء والتناسق . والمقدمة مثل حسن للفصاحة المرسلة والعرض الشائق المنظم ؛ وذلك على الرغم مما يطرأ أحياناً من ضعف فى العبارة وضعف فى التأليف وغرابة فى التعبير وشذوذ فى اللفظ يرجع إلى نشأة ابن خلدون البربرية . وأسلوبه فى تاريخه أقل درجة من أسلوبه فى مقدمته . على أن لهـذه المقدمة تأثيراً قوياً فى الكتابة فى أوائل العصر الحاضر إذ كانت الأسلوب الأمثل لكتاب الصحف والمجلات فى بدء النهضة الحديثة ، فقد نشرت المقدمة لأول مرة فى مصر سنة ١٨٥٧م فرفعت الأسلوب الأدبى فى مصر والشرق من السجع وتكلف البديع والزخارف اللفظية التى تستهلك المعانى ، إلى الاسترسال فى الكتابة فكانت نموذجاً يحتذى ويضرب به المثل ، فارتقى النثر الفنى والعلمى إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن من الإجادة والإتقان ...

(البقية فى العدد القادم)

عيسى محمود ناصر
المدرس بمدرسة الفيوم الثانوية

السيطرة على الجو

للأديب عبد المنعم محمد الزيادى

[السيطرة على الجو من مستلزمات الفريق المهاجم إذا أراد أن يوطد هجومه ويجعله ساحقاً ماحقاً . كما أنها من مستلزمات الفريق المدافع إذا أراد أن يجعل دفاعه فعالا ناجحاً . ولكنها للفريق المهاجم ألزم وأشد نفعاً لأنه بدونها يتعرض لأشد الأخطار وأقساها من خصمه الذى يملك السيطرة على الجو . وقد تسنى للحلفاء أن يقهروا جيوش روميل لأنهم سيطروا على الجو كما أنهم الآن على وشك الهجوم الحاسم على تونس فى شمال أفريقيا بعد إذ استكملوا سيطرتهم على الجو أو كادوا . وفى هذا المقال أحاول أن أضع صورة للقتال الذى يجرى بين القاذفات والطاردات من جهة ، وبين القاذفات ومراكز الدفاع المضادة للطائرات من جهة أخرى ، قبل أن تتم السيطرة على الجو لأحد الطرفين .]

كشاف أمريكى جديد

يعتمد قائد القاذفة بجانب قنابله على عامل المفاجأة وهو سلاح لا يقل فتكا عن أى سلاح آخر فهو إذ يقطع الأفق بمعدل خمسة أميال فى الدقيقة لا يترك لخصمه سوى أمد قصير يأخذ فيه حذره ، ثم هو يتخذ من الليل والسحاب حجاباً دون رؤيته ، فضلاً عن أنه ليس فى الاستطاعة سماعه حتى بأشد أجهزة الإصغاء حساسية على بعد أكثر من ثمانية أميال . كل ذلك لا يترك سوى أمد قصير للطاردات لتقوم للقائه ، وللمدافع المضادة لتتأهب له ، وللمدنيين ليلجأوا إلى المخابىء ، كما أنه من الصعب - أو على الأقل كان دائماً من الصعب - على الأنوار الكاشفة أن تجده فى الضباب أو السحاب ، ولو كان فوق الرؤوس . غير أن هناك طرازاً جديداً من الكشافات يستعمله سلاح الإشارة فى الجيش الأمريكى أحدث انقلاباً عظيما فى الأسلحة المضادة للطائرات . وتتراوح المساحة التى تقع فى دائرة عمله بين ٥٠ و ٧٥ ميلاً . كما أنه لا يستطيع أن يكتشف الطائرة فى حدود هذه المساحة فحسب ؛ بل إنه يستطيع أن يحدد مكانها على ارتفاع بضع مئات من الأقدام . وعندئذ - بفضله - يمكن أن تصوب المدافع المضادة حتى لتدرك قنابلها الطائرة المختفية فى قلب الضباب الكثيف . ويشبه الكشاف الجديد جهاز الأنوار الباحثة ؛ إلا أنه يرسل بدلاً من شعاع النور شعاعاً كثيفاً من أمواج الراديو ، فإذا ما التقت هذه الأمواج بجسم صلب (الطائرة) ارتدت مسرعة من نفس الطريق الذى اتخذته فى ذهابها إلى ذلك الجسم . وبقياس الزمن الذى اتخذته الأمواج فى رحلتها ذهاباً وإياباً ، بالإضافة إلى الاتجاه الذى ارتدت منه يمكن أن يحدد مركز الطائرة بالضبط . وكل ذلك تفعله الآلات بطريقة أوتوماتيكية . وليست المدافع المضادة وحدها هي التى يمكن تعبويبها إلى جسم الطائرة بفضل ذلك الكشاف ، بل يمكن توجيه المطاردات كذلك إلى مكان القاذفات المهاجمة وذلك بالتزامها اتجاه أشعة الكشاف

الكشاف الحالى

ولا شك أن هذا الكشاف الجديد سيأخذ مكان أجهزة الإصغاء والتحديد والأنوار الكاشفة المستعملة الآن . فجهاز الإصغاء والتحديد الحالى يستطيع أن يلتقط أزيز الطائرة على ارتفاع أقصاه ثمانية أميال ولكن له عيوب خطيرة . فالرياح العالية تقطع عليه خط سيره ، كما أن حفيف الأشجار وزئير الأمواج المتكسرة على الصخور أو الشاطىء ، وأصوات أبواق السيارات - حتى ولو كانت دونه أميالاً - تشوش على المستمعين . ويشبه جهاز الإصغاء المستعمل اليوم مجموعة من مكبرات الصوت مثبتة فوق حامل ، وتقع على بعد بضع مئات من الياردات من مركز البطارية المضادة للطائرات . وعلى هيكل الجهاز الذى فى الإمكان إدارته فى أى اتجاه بواسطة عجلات يدوية - توجد أربعة أو أكثر من الأبواق لاقطات فى بؤرة كل واحدة منها « ميكروفون » حساس ينقل الاهتزازات الآتية خلال المكبرات إلى مكان الاستماع الرئيسى . وتستطيع « آذان » الآلة أن تحدد الاتجاه الذى يصدر منه الصوت كما تعطى المسافة التى تصدر عنها الاهتزازات . وعلى بعد نحو مائتى قدم تجاه جهاز التحديد توجد إشارات كهربائية تفضى إلى مراكز الأنوار الكاشفة . وهناك تجد مجموعة من المدادات التى تبين بطريقة أوتوماتيكية الزوايا التى يجب أن توجه الأنوار بموجبها حتى تضىء جسم الطائرة التى حدد الجهاز ارتفاعها . وهناك أيضاً ضوابط كهربائية ترتفع وتنخفض وتوجه المصابيح الكاشفة . وإذ تتأرجح مؤشرات المدادات ، يدير جنود المصابيح الكاشفة العجلات اليدوية فيجعلون أشعة المصابيح على الطائرة مهما تحركت أو تحولت .

وتبلغ قوة الشماع الكشاف نحو ٨٠ مليون شمعة ، وله عدسة عاكسة نصف قطرها ٦٠ بوصة ؛ وهو يرسل في الليل الصافي نوره إلى مسافة سبعة أميال . والمصابيح الكشافة قائمة على حوامل من المطاط المتين يغذيها مولد كهربائي (دينامو) على هيئة مركبة . فإذا أريد حماية هدف مهم ضربت بطاريات الأنوار الكشافة نطاقها حوله على مسافة من البعد تكفي لأن تجعل الطائرة المغيرة دائماً في متناول أية مجموعة من هذه المصابيح .

احكام الرماية العالية

تستطيع المدافع المضادة الثابتة التي قطرها ٤ر٢ بوصة ، والتي توضع عادة حول الموانئ الهامة أو مستودعات الذخائر أو الأهداف العسكرية الثابتة الأخرى ؛ تستطيع أن تقذف القنابل التي تزن الواحدة منها ٣٣ رطلاً إلى ارتفاع ٠٠٠ر٣٠ قدم بمعدل ٢٥ قنبلة في الدقيقة . وتقذف المدافع المتحركة التي قطرها ثلاث بوصات قنابل زنة الواحدة منها ١٨ رطلاً إلى ارتفاع ٠٠٠ر٢٠ قدم بصورة فعالة ؛ فإن الحد الأقصى لمدى هذه المدافع يفوق هذا الارتفاع بكثير ؛ إلا أن الإحكام عندئذ يقل في دقته . وتستعمل المدافع الصغيرة التي قطرها ٥ر١ بوصة والتي تطلق ١٢ قنبلة في الدقيقة ، ومدافع الماكينة (المدافع الرشاشة) المضادة للطائرات ضد الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض .

ويمكن للمدافع التي قطرها ثلاث بوصات أن تُجرّ بمعدل ٥٠ ميلاً في الساعة بواسطة مركباتها، وتحتاج فقط إلى عشر دقائق لإعدادها للطلقة الأولى منذ وقت وصول البطارية إلى مركزها .

وإذا أمكنت رؤية الطائرة المغيرة حين تقع على مرمى المدفع الحديث المضاد للطائرات ، فالإصابة حاسمة في هذه الحالة . وتجعل آلة التوجيه مدافع البطارية الأربعة مُتجهة أوتوماتيكيا نحو هدفها ولو كانت الطائرة تسير بسرعة ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميلاً في الساعة . وآلة التوجيه هذه عبارة عن صندوق مساحته نحو ثلاثة أقدام مربعة ، وهو مركب على قاعدة متحركة على بعد بضع مئات من الأقدام من البطارية ، وبجانبه محدد الارتفاع وهو اسطوانة طولها ستة أقدام وقطرها نحو قدم ، وهو كذلك مركب على قاعدة متحركة . ويتولى أمر محدد الارتفاع ثلاثة رجال . فمنذ اللحظة التي تظهر فيها طائرات العدو يجعل اثنان من الجنود — أيديهما على العجلات وأعينهما إلى السماء — منظار محدد الارتفاع على الهدف دائماً . وخلال هذا المنظار يرى الجندي صورة مزدوجة للطائرة المغيرة ، فواجبه عندئذ أن يحرك عجلته اليدوية حتى تنطبق الصورتان بعضهما على بعض ، وعند ما يتم له ذلك يُسجل مُحدّد الارتفاع المسافة التي تفصله عن الطائرة . وهذه المعلومات ترسل أوتوماتيكياً إلى آلة التوجيه . وفوق آلة منظاران آخران يُشرف على كل منهما عامل ، وهذه أيضاً يحتفظ بها متجهة نحو الهدف بواسطة عجلات سهلة الإدارة فتسجل سرعة الطائرة العمودية والأفقية . أما صندوق التوجيه فيحتوي في داخله على عداد يحول نتيجة محدد الارتفاع ونتيجة منظاريه هو إلى مقدار الزوايا التي تُصوّب بمقتضاها المدافع إلى الهدف . وتساعد آلة التوجيه كذلك على إعداد خزان القذائف في المدفع أوتوماتيكياً كي يهيئ القنابل لتنفجر على مسافة مناسبة بقرب الهدف ، إذ يجب أن تنفجر القنبلة على بعد ٢٥٠ قدماً من هدفها حتى يُمكن أن تُسبّب شظاياها خسائر ذات بال في الطائرة المغيرة .

(البقية في العدد القادم)

عبد المنعم محمد الزيادي
معهد الصحافة بالجامعة الأمريكية

عاطفة الأبوة

في «أعاصير مغرب»

للأستاذ إدوارد حنا سعد

في ديوان «أعاصير مغرب» الذي صدر حديثاً للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد موضع لبعض الدهشة، فقد وجدنا فيه الشاعر الذي نعرف، ولكننا لم نجد فيه العاشق الذي نعهد. فإن من الصعب أن يقال إن الأستاذ العقاد الذي كان يقول في دواوينه الأولى -- عند ما يلمس خداع العشيقة أو يشك في ذلك -- :

جمالك سم في الضلوع وحسرة ... ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الكأس والطلا ... ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي

والذي كان يقول:

ما كنت يوماً بالأنام موكلا ... فأعد منهم من يضل ويرشد
لو كنت نوحاً لم تفدك سفينتي ... إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا

هو نفسه الذي يقول في ديوانه الجديد:

أعفيك من حلية الوفاء ... إنك أحلى من الوفاء
خوني فما أسهل التقصي ... عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل في حسابي ... فقدك يا زينة النساء

وقد حاول بعض الكتاب أن يرد هذا الاختلاف إلى أساسه، فقال الأستاذ كامل الشناوي في الأهرام: «إن العقاد الشاعر كان ينظم وعين العقاد الكاتب الفيلسوف ترمقه وترعاه»

ولكني أرى أن الأستاذ الشناوي قد أخطأ المحز وكان الأولى به أن يقول إن عاطفة الأبوة كانت ترمق العقاد وترعاه، بل كانت تسيطر عليه وتملي نفسها على شعره إملاء.

فقد بلغ الأستاذ العقاد سن الخمسين وهي السن التي تهدأ فيها فورات العشق وتبدأ النفس تستعرض مواكب الذكرى وتحن إلى الحياة الوادعة وإلى حنان الأسرة. ويكون هذا الشعور - أقوى ما يكون - في النفس المصرية التي انغرس فيها من قديم معنى الأسرة وتعلقت بها

وقد يصادف الإنسان في هذه السن عشيقة يجد في سنها أو حركاتها أو سماتها ما يوقظ فيه من جديد عاطفة الأبوة، فيختلط الحب الجنسي وهو أثرة مستترة، بالحب الأبوي وهو إيثار صريح، فيكون منهما مزاج نقرأه الآن في أعاصير مغرب فهذا الديوان الفذ حافل بأوصاف الطفولة وتدليلها وألاعيبها وحلواها إلى حد يلفت النظر:

غريرة تسأل ما الحب؟
بنيتي هـذا هو الحب
ضمي تغيرك يا بنية وابغي منه الأمل

بنية ما صنعت، جزاك ربي ... بحب في مشيبك مثل حبي

ماذا تخبىء طفلة ... رقت ورق قناعها
ما شب من نار طبخنا ... فوقها حلوى الهوى
فكم لعبة وقعت من يديك ... وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه
إني أشاهد كيف يفطم ... في القلوب رضاعها

فإذا تركنا هذه الأبيات الحافلة بصور الطفولة طالعتنا أبيات فياضة بعاطفة أبوة صادقة دافقة

يقول الشاعر الكبير

أحسبني الأكبر حتى إذا ... عانقتني ألفيتني الأصغرا

وهو بيت صادق جميل في وصف عناق عشيقين، ولكن ليس أجمل منه ولا أصدق في وصف عناق الأب لابنته، حين يجد نفسه وقد عادت فيها من جديد صغيرة فياضة بتيارات الحياة ويقول:

تم الكتاب وألقت باليراع يدي ... وضمن الطرس إحساسي وإدراكي
ما لي به غير مسرور ولا كلف ... ألا يسر يميناً نبهها الزاكي
ضيعت فيك مسراتي فما بقيت ... لي من مسرة شيء غير لقياك

فهل من محض المصادفة أن يقول الأستاذ هذا الكلام الآن، والآن فقط وهو الذي قضى أكثر من ثلاثين عاماً يكتب وينظم ويعتز بشعره وكتابته إلى أبعد حدود الاعتزاز لشد ما غيرت هذه العاطفة الجديدة من نفس أستاذنا الكبير!

إن كان خلفك للوعود تدللاً ... عكانك الغالي لدى فأخلفي
ما كنت أتبعه القطيعة آنة ... هو منك واعجبي يزيد تشوفي

وقد هداه إلهامه الصادق فقال:

تحديت الحياة فهل جزتني ... بهذا الحب عن ذاك التحدي

نعم تحداها بوحدته وانصرافه عن الزواج أو هـذا الجانب

على الشاطىء

وهيفاء تهفو إليها القلوبُ   ويشرق منها ضياء الجمالْ
لها رقة الزهر فى غصنه   إذا داعبتـه رياح الشَّمالْ
أقامت على الشاطىء العبقرىّ   كإحدى عذارى الرؤى والخيال
وللريح عربدة فى المياهِ   وللموج وسوسة فى الرمالْ

يحدثها الموج عن سره   وما سره غير حب قديمْ
يكاد النسيم يطير بهـا   إذا وقفت فى مهب النسيمْ
وتحسبها العين بعض الضياء   فتخشى من النظر المستديمْ
ولو لم تحطها قيود الحياةِ   لطارت هناك وراء السديمْ

تعربد فى الثوب أيدى الرياح   وتوشك ... لولا نداء الحياءْ
تطير إليهـا طيور المنى   وتحنو عليها طيوف الضياءْ
عليها من الأفق سمت الجلالِ   وفيها من البحر معنى الصفاءْ
وفيها من النور سر الحيـاة   وفيها من الليل سحر الخفاءْ

من منغصات الحياة كما قال هام لسارة وهو يحاورها

وما دمنا بصدد بحث أدبى ، فإنى أبيح لنفسى أن أبتعد عن المجاملات التافهة فأقول إن هذه العاطفة التى يقول علماء النفس إنها قد تنصرف إلى الحيوانات الأليفة ، تبدو فى أعاصير مغرب ، ففيه عشرون صفحة عن « بيجو » الكلب الأمين الذى أحس الأستاذ لموته بالحزن (الوجيع)

فإذا فهمنا غزليات العقاد الجديدة على هذا الضوء الجديد استطعنا أن ننفذ إلى جمالها الباطن . وإذا كانت الطفلة قد عقت أو كادت ، فإن للأستاذ الكبير أبوة روحية على الكثيرين من تلاميذه وعشاق أدبه المنتشرين فى كل مكان تقرأ فيه اللغة العربية ، وهم لا يكنون للأستاذ إلا الحب الصادق والوفاء الخالص . ويسرنى بل ويشرفنى أن أكون من بينهم .

(اسكندرية)   ادوارد حنا سعد

أهيم غراماً بهذا الجمال   وأقبس منه ضياء الحياهْ
أرى فيه كل أمانى الشبابِ   ترفرف من حول تلك الشفاهْ
أعانق من شغفى طيفـه   وألثم من لهفـتى رؤاهْ
يرى فيه جسمىَ سر الحياة   وروحى ترى فيه روح الإلهْ

دعينى أغنيك شعر الصبا   وأعزف لحن الهوى والغزلْ
دعينى أنام بروحى على   فراش النهود ، ومهد المقلْ
ولا تحرمينى سلاف العناقِ   ولا تمنعينى رحيق القبـلْ
وكونى كما شاء فن الخيالِ   وبدع الفنون ، ووحى الأملْ

هناك لدى الأفق عند الغروب   يطير جناح ، ويخفى شراعْ
وتشدو الرياح ، وفى شدوها   أسًى كامن وجوًى والتياعْ
وتُحتضر الشمس . .إيا للأسى   لهـذا الجمال الحزين المُضاعْ
على وجنتيها شحوب الفراق   وفى مقلتيها دموع الوداعْ

وغابت عن الأفق شمس المغيبِ   وقد ذوَّبت قلبها فى الشفقْ
كأنى أرى دم قلبى يسيل   كأنى أرى مهجتى تحترقْ
لَيفجعنى أن يغيب الضياء   ويَحزُننى أن يجىء الغسقْ
ستأتين يا شمس عند الصباح   فهل نلتقى ثم لا نفترقْ ؟ !

وألقى المساء ظلال الدجى   على السكون أشباح جن تحومْ
فليس على البحر ضوء يلوح   ولا فى السماء تضىء النجومْ
فقامت تودعه فى سكون   وراحت إلى بيتها فى سهومْ
كأنى بهـا كوكبًا حائرًا   توشّحه فى السماء الغيومْ

وعدت إلى غرفتى باكيًا   لأقضىَ ليل الأسى والنُّواحْ
أحدث نفسى حديث الجوى   وأنشد قلبى نشيد الجراحْ
وأرنو إلى عابرات الدجى   وأصغى إلى نائحات الرياحْ
وأمضى إلى البحر عند الصباح   فهل «هى» عائدة فى الصباحْ ؟

(القاهرة)   ابرهيم محمد نجا



أين « الرسالة » ؟

طلبتها من الباعة مرة ومرة . ثم ظننت أنها مرت بمدينتنا دون أن تعطيها نصيبها من محصول الفكر ، فبعثت و كتبت إلى القاهرة والأسكندرية فقيل لى : إن « الرسالة » الحبيبة لم تصدر !

يا سبحان الله ! وأخيراً بشرنى الصديق الأستاذ الخضرى أمين مكتبة دمنهور أن « الرسالة » جاءت إلى المكتبة ، ولكنها تنذر بأن هذا العدد للمشتركين فقط لأن الورق ...

وهنــا صحت قبل الدكتور المبارك « ليتنى من المشتركين » لقد ذقنا أزمة الدقيق وأزمة البترول وأزمة السكر ، فهل تصدقنا يا صاحب الرسالة إن قلنا إنه لم تحز فى نفوسنا ولم تبلبل خواطرنا أزمة كأزمة « الرسالة » ؟

يقول الدكتور المبارك : « أ كان يجب ألا تقتصر « الرسالة » على الأدب الصرف لتجد من يسأل عنها حين تحتجب » ؟

وهذا حق ! إنها ضريبة الأدب تدفعها « الرسالة » كما يدفعها كل أديب ينصرف لأدبه فلا يجد من يسأل عنه

وإذن « فأزمة الرسالة أزمة الأدب اليتيم الذى لا يسأل عنه أحد حين يغيب » !

فهل تنحرف « الرسالة » عن هدفها لتجد من يسأل عنها ؟ إن لسان الحال يقول :

لقد صــددنا كما صــددتم فهــل ندمتم كما ندمنا ؟

والجواب عند « الرسالة » وعند صاحب كل رسالة ...

وأخيراً فالأزمة كما يقول الدكتور المبارك ليست أزمة الورق فهو موجود ! وإذن فالقضية قضية الأدب والأدباء ، و « سنعرف طاقة الأدب فى اجتياز هذه المحنة العاتية » .

عبد المعطى المسيرى

حول رسالة الجامعة

فى مساء السبت ٢٩ يناير ١٩٤٣ أقيمت بكلية الآداب مناظرة اشترك فيها فريق من الأساتذة والطلاب ، وشهدها مئات من شباب الجامعتين الأزهرية والفؤادية وغيرهم ، وكان موضوعها : (الجامعة أدت رسالتها) . والذى ألاحظه أن هناك خطأ فى موضوع المناظرة ، أو قل إنه نزعة من نزعات العجلة والتسرع هى التى أوحت إلى لجنة المناظرات بكلية الآداب عرض هذا الموضوع السابق لأوانه على بساط البحث فى مناظرة عامة ، إذ لم يمض على الجامعة زمن يصح لنا بعده أن نتساءل : أنجحت الجامعة فى رسالتها أم لم تنجح ؟ ... لقد صدر القانون بإنشاء الجامعة المصرية الفؤادية فى مارس سنة ١٩٢٥ ، فلم يمر عليها إلى اليوم إلا نحو سبعة عشر عاما ، وهى كعام واحد فى حياة فرد من الأفراد ، ولا يُسأل الفرد بعد عام من نزوله إلى ميدان الحياة أنجح أم لا ؛ فيجب أن ننتظر على الجامعة عشرات السنين حتى تؤدى فى سبيل غايتها ما يذكر فيحكم عليه ، وإلا فهى لا تزال تعد العدة وتأخذ الأهبة ولم تسر فى الطريق بعد ، وإن خُيِّل لقوم أنها أدت أشياء وأشياء !... وإذا كانت الجامعة الأزهرية قد مر عليها ألف عام ولا يزال هناك من يخشى أن تقام مناظرة عنوانها : « هل أدى الأزهر رسالته ؟ » فماذا يكون شأن الجامعة الفؤادية وهى بالنسبة للأزهر فى العمر لا تزال ذلك الوليد الجديد ؟

بل إننا لم نتفق بعد على رسالة الجامعة المصرية ، ففريق يقول إن رسالتها تحرير الفكر ، وفريق يقول بل التقدم العلمى ، وفريق يقول بل بث الأفكار والأخلاق وأصول الاجتماع ، وفريق يقول بل التخصص للتوسع فى دراسة طائفة من العلوم ، وفريق وفريق ... فكيف بنا نتساءل عن نجاح الجامعة فى رسالتها وهى لم تعرف بعد ما هى تلك الرسالة ؟ ...

نعم إن الجامعة قد اتخذت الأسباب والمظاهر الجامعية ، فهناك كليات فخمة ، وأقسام مختلفة ، وشهادات متنوعة ، ومدرجات ومحاضرات وأساتذة وعمداء ... ولكن هذا كله مقدمة وعدة للبدء فى العمل وللأخذ فى أداء الرسالة ، فكيف نسبق الزمن ، ونحكم على الشىء قبل أن يوجد ، أو على الأقل قبل أن يتم منه جانب ذو بال ؟ ...

أحمد الشرباصى

جامعة الأسكندرية

فى يوم الإثنين المبارك ٨ من فبراير ١٩٤٣ يشرف جلالة الملك المعظم بالزيارة جامعة فاروق الأول بالأسكندرية ، وهى الجامعة التى افتتحت فى بدء هذا العام الدراسى ، فتعود إلى الأذهان ذكرى جامعة الأسكندرية القديمة التى ظلت تحمل لواء العلم

فى العالم المتمدن إذ ذاك زهاء قرنين من الزمان . وبمناسبة زيارة المليك للجامعة الحديثة نحب أن نتحدث عن تاريخ الجامعة القديمة

أنشأ هذه الجامعة بطليموس سوتر فى حى البروكيون بجوار القصر الملكى على نسق مدارس الفلاسفة الأثينيين ، وكانت الغاية من إنشائها أن تجذب إليها النابهين من العلماء والمفكرين والشعراء والأدباء ، وكان الطلاب المقيدون بها معفين من المصروفات بل تنفق الجامعة عليهم

ولم تلبث الأسكندرية وجامعتها أن جذبتا العلماء النابهين والأدباء وكبار الشعراء حتى إن الأسكندرية غدت فى القرن الثالث قبل الميلاد أكبر مركز علمى فى العالم وخاصة فى الطب والجغرافيا والرياضة والفلك والأدب — وقد كانت الجامعة مؤلفة من عدة مدارس : مدرسة للطب والتشريح والجراحة ، ومدرسة الرياضيات والفلك ، ومدرسة القانون والفلسفة ، وكان يتصل ببنائها بستان كبير وحديقة لعلم النبات ومرصد ومن هذا نرى أنها كانت جامعة من أكبر الجامعات

وبجوار الجامعة أنشئت المكتبة التى كانت أكبر مكتبة عرفها العالم القديم . بدأ فى إنشائها بطليموس سوتر (٣٠٥ ـ ٢٨٣ ق م) ، ولكن لم يتم تجهيزها ويكمل نظامها إلا على يد خلفه بطليموس فيلادلفوس (٢٨٣ ـ ٢٤٥ ق م) وقد كانت تحوى المكتبة أجل مؤلفات العالم القديمة من مصرية إلى عبرية ويونانية ؛ ويغلو كثير من الكتاب فى تقدير عدد الكتب التى كانت بالمكتبة غلواً يصعب على العقل تصديقه ، ولكن هذه المبالغة إن دلت على شىء فإنما تدل على الكثرة ، ويقدر بعض المؤرخين عدد الكتب بـ ٤٩٠ ألف كتاب وهو رقم يصعب تصديقه مما دعا بعض المؤرخين إلى أن يفترضوا أن المكتبة لم تكن مرجعاً للعلماء والباحثين فحسب ، ولكنها كانت مكاناً لنسخ الكتب وبيعها . هذا وجدير بنا أن نذكر أن هذه الكتب القيمة كانت طعاماً للنيران أثناء النزاع الذى أودى بالدولة البطلمية وجعل مصر جزءاً من الأمبراطورية الرومانية .

وقد كان من أكبر علماء الأسكندرية الفلكى العظيم إراتستين الذى كان نابغة زمانه فى الأدب والفلك والجغرافيا ، وقد كان عميد دار المكتب وإليه عهد بطليموس الثالث بتربية ابنه ولى العهد . وقد أصبحت هذه سنة ، فكان أمناء المكتبة يعلمون أولياء العهد

ومن أكبر العلماء المصريين فى العهد البطلمى مانيتون ، وإليه عهد بطليموس الأول بكتابة تاريخ مصر ففعل وكتب تاريخاً دقيقاً وافياً ، ومن الأسف أن معظمه قد ضاع ، على أن ما بقى ظل يكون معلوماتنا عن تاريخ مصر القديم حتى القرن التاسع عشر ، وبهذا العمل العظيم صحح مانيتون ما كان يدرس خطأ من تاريخ مصر القديم فى الجامعة

أبو الفتوح عطيفة

إجابة

طالعت قول الأستاذ المفضال السيد محمود عزت عرفة ، وأرجو إذن السيد الكريم فى قولى لماذا ننسب السلطة Salade إلى الملح Sel ولا ننسبها إلى السليط الذى معناه الزيت أو الزيت الجيد وهو الأقرب ؟

المقرونة — بفتح فاسكان — اسم نوع من الطعام من عجين وسمن ، وكان فى زمن الجاهلية ، وهى ما يقال له الآن « مكرونة » Macaroni

(وهيب)

أين السليط من « السالاد »

فى الكلمة التى نشرناها تحت هذا العنوان (ع ٥٠٠) من « الرسالة » سقط سطر كامل من إحدى الفقرات ، فأخل ذلك بالمعنى الذى نقصده ، وأوجد فى الكلام تناقضاً لعله لم يخفَ على الكثيرين من القراء ...

فقد بينا أولاً انقطاع العلاقة فى المعنى بين اللفظين العربى والإفرنجى (سليط و Salade) ؛ ثم أوردنا فى إثبات انقطاع العلاقة اللفظية بينهما أيضاً ، ما جاء هكذا : كما يتضح لنا انقطاع العلاقه اللفظية بينهما أيضاً ، إذ عرفنا أن كلمة Salad الإنجليزية و Salade الفرنسية ، و Salata الإيطالية بمعنى ملح »

وواضح أننا لا نقصد مطلقاً القول بأن هذه الألفاظ تؤدى معنى ملح ، بعد أن سبق فبينا — فى نفس الكلمة — حقيقة معنى (السالاد) وتركيبه عند القوم ... وإنما صحة الكلام بعد إثبات الساقط منه تكون هكذا : « ... و Salata الإيطالية القديمة كلها مشتقة من اللفظ اللاتينى القديم Sal بمعنى ملح »

محمود عزت عرفة

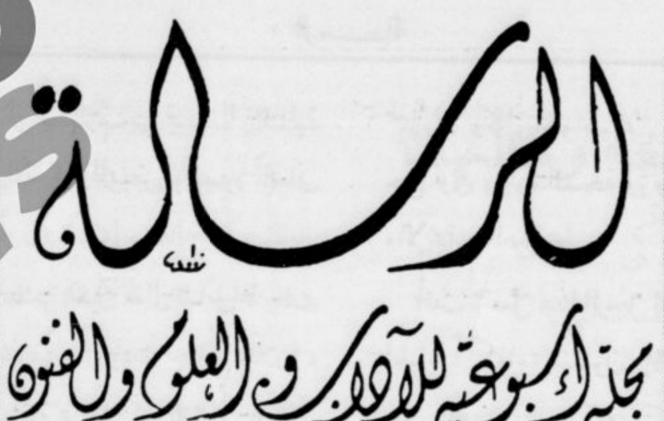
حكم فى الجنحة العسكرية ١٤٦١ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٦ ـ ١ ـ ٩٤٣ بحبس عبد العاطى محمد هوارى صاحب مخبز بالفشن ثلاثة شهور شغل وغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق ثلاثة أيام لأنه ورد خبزاً لسجن الفشن يقل وزن الرغيف عن الوزن القانونى



11me Année No. 502

Lundi - 15 - 2 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٥٠٢ «القاهرة في يوم الإثنين ١٠ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ فبراير سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

في الإصلاح الاجتماعي

أمر عسكرى ...

لو كانت الأوامر العسكرية كلها من نوع الأمر العسكرى بردم البرك والمستنقعات لتمنينا أن نظل على هذا النظام دهراً طويلاً . ذلك أن هذا الأمر وما يشبهه من الأمر بعقوبة من يفطر جهراً فى شهر رمضان ، أو من يبيع خمراً فى يوم مقدس ، إنما هو نفحة من نفحات الحكم العُمَرى الذى لا ينهض الشرق بغيره والعلة فى أن نهوضنا منوط بهذا الضرب من الحكم ، أننا مصابون بالقصور الذاتى فى الخير والشر ، فلا نأتمر بالمعروف إلا بدافع ، ولا نتهى عن المنكر إلا برادع . وأظهر أعراض هذا الركود النفسى فينا أننا نقول ولا نفعل ، ونسمع ولا نطيع ، ونعكف على ما ورثنا نعبده ولا نجدده ، ونجمد على ما كسبنا لا نغيره ولا نزيّده !

كم وزارة فكرت فى ردم المستنقعات والبرك ! وكم لجنة ألفت لتحقيق هذه الفكرة ! وكم مشروع وضع لتنفيذ هذا التحقيق ! وأخيراً صدر على الرغم من تسويف اللجان ، وممارضة الإهمال والنسيان ، قانون ؛ واقتضى ذلك القانون أن تُنشأ وظائف ، ويحدد اختصاص ، ويقرر تفتيش ، ويسجّل إحصاء .

ولكن القانون يظل كلاماً كسائر الكلام حتى ينفذ . والتنفيذ عمل من الأعمال يحتاج إلى إرادة ؛ والمريض بالقصور الذاتى لا يريد ولا يملك أن يريد

صدر قانون ردم البرك منذ عشر سنين فقال الناس : جفت موارد الموت ، وعفت مواطن البعوض ، وبادت جراثيم الملاريا ، وآن للفلاح المسكين أن يحس العافية . ولكن القانون العادى رحب البال ، يقبل العذر ويأخذ الأمور بالملاينة ؛ فالبركة الفلانية يملكها الباشا فلان ، فهو يرجو من القانون أن يؤجله إلى يوم القدرة . والبركة العلانية يملكها الأمير علان ، فهو يطلب إلى القانون أن يمهله حتى تنقضى العُسْرة . والقرويون الذين هدّهم الحمى ووضع لإنقاذهم هذا القانون تقابل عرائضهم بالإعراض ، وتُدفع مطالبهم بالاعتراض ، وتعلل شفاعتهم بالمطل

***

أنا من أهل قرية وصفتها من قبل لقراء الرسالة بأنها جزيرة من الأكواخ والحظائر فى وسط مستنقع محيط من مصافى المزارع ، نمت على أسَنه وعفَنه جراثيم الأمراض المتوطنة ، فجعلت كل وجه فى صُفار الخوف ، وكل جسم فى هزال الجوع ، وكل حى فى همود الموت . وعلى هذه الحال الشديدة قطعت مراحل عمرها الماضى لا يزهر فيها شباب ، ولا تثمر بها كهولة . لذلك لم نكد نسمع بصدور هذا القانون حتى رفعنا أصوات الاستغاثة ، فأغاثتنا الوزارة المختصة بالمفتش وراء المفتش ، والتقرير عقبَ التقرير ، والوعد بعد الوعد ؛ ثم وقفت عند ذلك فلا تجيب عن سؤال ، ولا تصيخ لشكوى حال ؛ لأن ما تستطيعه قامت به ، وكل ما تستطيعه لا يعدو القول والكتابة . ثم تعاقب وزراء الصحة على هذا القانون وهو كلمات ميتة فلم يبعثوا فيه الحياة ؛ ومضوا على المنهج المألوف من كفاح المرض بالتقارير والأرقام حتى اكتظت القرى والقبور بضحايا البلهارسيا والأنكلستوما والملاريا والطحال على الرغم من المستشفيات المنشأة على آخر طراز ، والمعامل المجهزة بأحدث جهاز ، والصيدليات المزودة بأندر الأدوية . ففكر الناس وأطالوا التفكير ، ثم سألوا وأكثروا السؤال : هل فى مصر وزارة للصحة ؟ وهل فى وزارة الصحة أطباء ؟ وهل لأطباء الصحة ضمائر ؟ وكان الجواب عن هذه الأسئلة هو السكوت المريب ، حتى تولى وزارة الصحة وزيرها القائم فكان هو الجواب القاطع والإيجاب الصريح .

أثبت بالفعل هذا الرجل العظيم أن فى مصر وزارة للصحة فيها أطباء أكفاء ينهضون إذا نُبهوا ، ويعملون إذا وجهوا ؛ وأن المنصب الذى كان مكتباً ومرتباً وأبهة ، يستطيع أن يكون أعظم القوى وأفعلها فى الإصلاح الاجتماعى بمكافحة المرض ، وهو شر بلايانا الثلاث . ومن كان يعرف ما فعله وهو مشرف على صحة القاهرة ، كان يتوقع ما فعله وهو قائم على وزارة الصحة .

ولعل أظهر المزايا فى هذا الرجل النشيط العامل قوة العزم وسرعة التنفيذ . لذلك أعرض عن قانون ردم البرك واستصدر هذا الأمر العسكرى الموفق ، فلم يكد يمضى على صدوره عشرة أيام ، حتى فعل ما لم يفعله ذلك القانون العادى فى عشرة أعوام ؛ إذْ أدخل فى ملك الحكومة البرك التى خنّست هم أصحابها عن التعهد بردمها قبل الأجل المحدد ، ومساحتها ٤٠٥٠ فدان ستردمها مصلحة الشؤون القروية ، ثم تستغلها بالتأجير أو تُصرّفها بالبيع . أما البرك التى تعهد أصحابها بردمها وهى ١٥٠٠ فدان فقد جعل لهؤلاء أطول الأجلين ستة أشهر ينتهى الردم قبل انتهائها وإلا أخذهم القضاء العسكرى بالعقاب الشديد . وبذلك يُقضى بانقضاء هذا الأجل على مصدر من مصادر الهُلك انفجر على مصر بالعلل والأسقام منذ جرى بين صحراويها النيل .

***

إن الحكم العسكرى فرصة مؤاتية لوزارتى الصحة والشؤون الاجتماعية يحسن بهما انتهازها لمعالجة الإصلاح الاجتماعى بأسرع الوسائل وأقرب الطرق . وإن فى مصر من باطل العادات وفاسد الاعتقادات ما لا يمحوه إلا صرامة هذا الحكم . وفى خبرة الوزيرين الجليلين ولقانتهما ما يغنى عن ضرب الأمثال . والإصلاح الناجع قبل هذا وبعد هذا عمل يثمر لا كلام يقال

احمد حسن الزيات

هل أدت الجامعة رسالتها ؟

للدكتور زكى مبارك

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

إن الجامعة التى أُنشئت لمقاومة الاحتلال ، هى الدار التى ارتفع فيها صوت الاستقلال

فما السرّ فى أن يكون للجامعة هذا السلطان ؟ ما السرّ فى أن تصنع فى الأيام القصار ما عجز عنه غيرها فى الأعوام الطوال ؟

لا تسألوها ولا تسألونى ، فقد تواصينا على الكتمان ، وسرّ المجد لا يذاع

ليست الجامعة حجرات ، ولا غرفات ، ولا مدرجات ، ولا وظائف ، وإنما هى : روحٌ وفكرٌ وعقلٌ وبيان

ثم أواجه العهد الثانى فأقول :

فى صيف سنة ١٩٢٥ أخذت الحكومة فى التأهب لتنفيذ مشروع ترددت فى تنفيذه سنتين « فإن الاتفاق بينها وبين الجامعة عُقد فى سنة ١٩٢٣ ، يوم كان الرجل العظيم زكى باشا أبو السعود وزيراً للمعارف » وكان مصدر التردد أن الحكومة لا تعرف بالتحديد كيف يكون نظام الجامعة فى عهدها الجديد

ثم بدا للجامعة الجديدة أن تراعى تقاليد الجامعة القديمة فتستشير أقطاب الجامعات الأوربية فى الأوضاع التى تحمى تنفيذ المشروع من الإخفاق

وما هى إلا أيام حتى استطاعت أن تستقدم كبار الأساتذة من الجامعات الفرنسية والبلجيكية والإنجليزية

ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث أنشئت كلية جديدة اسمها كلية العلوم ، وهى الكلية التى عجزت الجامعة عن إنشائها فى عهدها الأول ، بحجة أن كلية العلوم لا تُرتجل ، كما صرح المسيو بوفيليه ، وكان أحد خطباء حفلة الافتتاح فى ديسمبر سنة ١٩٠٨ إذ قال :

Une Faculté des Sciences ne s'impovise pas.

كان إنشاء كلية العلوم أداء لرسالة جديدة من رسالات الجامعة المصرية ، ولكنها رسالة مزدوجة ، لأنها أرادت أن تضع حجراً جديداً فى بناء كلية الطب ، حيث فرضت أن لا يدخل الطالب كلية الطب إلا بعد أن يأخذ زاده العلمي من كلية العلوم ، وهو تقليدٌ جميل ، لا يمترى فى جماله غير الجهلاء

ثم رأت الجامعة أيضاً أن لا يدخل طالبٌ كلية الحقوق إلا بعد أن يُمضى سنتين فى كلية الآداب ، ليتزود بالحقائق الأدبية والفلسفية ، عساه يصير فيما بعد من أئمة التشريع

والطلبة الذين انتفعوا بذلك النظام هم المرجع فى هذه الأيام لدراسة القوانين

أيها السادة :

كانت المشكلة فى العهد الجديد أن تعرف الجامعة كيف تُقنع الحكومة بقيمتها الذاتية ، وكان الرأى أن تسير الجامعة على النظام الفرنسى ، وهو يقضى بقصر التعليم الجامعى على أربع كليات : الآداب والعلوم والطب والحقوق ، ثم رأت أن تسير على النظام الإنجليزى فترفع رايتها على جميع المعاهد العالية ، ولى على هذا النظام اعتراضات لا يتسع لها المجال

والمهم هو النص على أن الجامعة استطاعت أن تسيطر على جميع الفروع بالتعليم العالى ، وأن تعلن استقلالها عن وزارة المعارف ، وهذا مغنمٌ ليس بالقليل ، وهل من القليل أن تكون الجامعة دولة فى جبين الدولة ، وأن يكون التعرض لأحد مدرسيها مما يفتح باب الجدال فى مجلسى البرلمان ؟

عندنا جامعة بالفعل ، لا بالقول ، وعندنا جامعيون لا يقبلون وظائف الحكومة إلا متفضلين ، لأن الجامعة أعدتهم للجهاد فى الحياة بلا سناد من هذا الوزير أو ذاك

رسالة الجامعة هى نصر الحياة على الموت ، وقد نصرنا الحياة على الموت ، فليجرب خصومنا حظوظهم فى محاربتنا إن استطاعوا وأنا أخشى أن يستطيعوا ، فقد سمعت أنهم يملكون بلايين ودشالين من القبور التى ترجع إلى عهد آدم وحواء !

أفى نيّف وثلاثين عاماً تصنع الجامعة هذا الصنيع ، فتُمزّ الذاتية الأدبية والعلمية ، وتقول للرجل المفكر كن وجوداً ذاتيًّا فيكون ؟

كان ذلك لأنها أسست على التقوى ، والتقوى هى الخوف ،

وكانت الجامعة تخاف أن ينهزم السلطان الأدبي والعلمى فى هذه البلاد ، وقد انتصرت ، لأن الخوف هو باب الأمان

أيها السادة :

إن تاريخ الجامعة فى عهدها الجديد لا يتجاوز سبعة عشر عاماً ، وتلك مدة لا تكفى لإيجاد محصول تباهى به الجامعات التى طال عهدها بالوجود ، فكيف أصل إلى إقناعكم بأنها أدت رسالات لم تؤدَّ من قبل ؟

أمامى مصاعب ترجع إلى أن الجامعة فى عهدها الجديد قد انتظمت معاهد لها تواريخ ، فكلية الطب حلت محل مدرسة الطب ، ومدرسة الطب المصرية « مدرسة قصر العينى » قامت بخدمات كبار فى أزمان طوال ، وقد كُتِبَ عنها فى اللغات الأوربية عشرات المؤلفات والبحوث ، ولقد كان مجدها يهزنى هِزة الازدهاء حين أرى ما كُتب عنها فى المكتبة الطبية بحىّ السوربون

ومع ذلك فمن السهل أن أقرر أن مدرسة الطب قد ازدهرت ازدهاراً ملحوظاً حين انضمت إلى الجامعة فى عهدها الجديد ، فقد ضخمت ميزانيتها ، واتسعت مبانيها ، ومضت إلى آفاق لم يفكر فيها أبناؤها الأولون

استطاعت كلية الطب بفضل أساتذتها وخريجيها أن تقوم بعقد مؤتمرات سنوية فى مختلف البلاد العربية ، وهى مؤتمراتٌ تعرَّف فيها أطباء العرب بعضهم إلى بعض ، وتلاقت فيها قلوب لم يتيسر لها التلاقي قبل تلك المؤتمرات ، وإن وُجِد حِلفٌ عربىٌّ بعد زمن قصير أو طويل فسيذكر التاريخ أن لأعضاء الجمعية الطبية المصرية يداً مباركة فى إيجاد الحِلف المنشود ، ولعله قريب !

فإن كنتم فى ريب من إحياء مدرسة الطب بعد أن صارت كلية فتذكروا اسم الدكتور على باشا ابراهيم ، فأعظم منصب كان يصل إليه مثل هذا الرجل العظيم هو أن يكون وزيراً ، وقد كان ، ولكنه ما كان يصل إلى منصب مدير الجامعة المصرية لو ظلت تلك المدرسة بمنأى عن الحرم الجامعى ، وخَلقُ الوزراء سهلٌ جدًّا فى العهود البرلمانية ، أما خلق شخصية تتولى إدارة الجامعة فهو رهين بالأهلية الجامعية

وهنا أعقب على معالى الدكتور على باشا إبراهيم بمناسبة الجواب الذى قدمه إلى مجلة الإثنين وقد سألته عما يختار من ألقابه الكثيرة فاختار لقب « الجراح »

وإنما أوجه إليه هذا العتب ، لأن براعته فى الجراحة لم تكن المؤهل الوحيد لصلاحيته لإدارة الجامعة المصرية ، وإنما أهلته لهذا المنصب مزايا كثيرة ، منها أنه من كبار مفكرينا ومنها أنه من أحد الرجال القلال الذين يعنون بتربية الأذواق ، ومنها أنه منوَّع الثقافة بحيث يستطيع أن يشترك فى الأحاديث التى تتصل بجميع الكليات

ثم أذكر أن معالى الدكتور عبد الواحد الوكيل لم يترك دروسه فى كلية الطب بعد أن صار وزير الصحة العمومية ، فهل يقع هذا إلا من رجل صقلته الروح الجامعية ؟

قولوا الحق واعترفوا بأن لكلية الطب مذاقاً غير مذاق مدرسة الطب ، مع الاعتراف بما لمدرسة الطب القديمة من أمجاد سيحفظها التاريخ

ثم يجىء القول عن مدرسة الهندسة بعد أن صارت كلية ، ومعلوماتى عن هذه الكلية قليلة ، لأنى مهندس معانى ، لا مهندس مبانى

ومع هذا يصح الحكم بأن الجامعة خلقت كلية الهندسة خلقاً جديداً ، فقد وجهتها إلى مرامىَ جديدة ، حين أوحت إلى أبنائها أن يشتركوا اشتراكا فعليًّا فى أكثر الأعمال الهندسية ، وكانت من قبل وقفاً على خلائق ليس لها فى هذه الديار أنساب

ولنفرض أن كلية الهندسة لم تأت بجديد ، فهل تنسون أنها تبالغ فى اختيار الطلاب ؟

ألم تسمعوا أن صدقى باشا عجز عن إلحاق أحد أبنائه بكلية الهندسة مع أنه استطاع حل البرلمان ؟

وسلطان الجامعة من هذه الناحية ليس اعتسافاً ، وإنما هو تعبير عن قوة الذاتية المصرية

ثم يجىء القول عن كلية الحقوق ، وهى وريثة مدرسة الحقوق ، ولطلبة مدرسة الحقوق القديمة تاريخ صوّره شاعرنا حافظ ابراهيم حين قال :

وكيف يضيع للطلاب حقٌّ وهم فى مصر طُلاَّب الحقوق

وما كادت مدرسة الحقوق تصبح كلية حتى اهتدت إلى أن لها غرضين أساسيين هما جلة الرأى فيما تتسامى إليه من كرائم الأغراض

الغرض الأول هو البرهنة على أن اللغة العربية قديرة على الإفصاح عن دقائق القوانين . وأنا لا أتحيز لوطنى إن قررتُ أننا سبقنا جميع البلاد العربيـة إلى التأليف الجيد فى مختلف فنون التشريع

أما الغرض الثانى فهو معاونة الشعوب العربية على استرداد الثقة بالفقه الإسلامى ، وهو أخصب من الفقه الرومانى بمراحل طوال ...

وفى هذا المقام تلوح فرصة للكلام عن الدكتور السنهورى فقد نهض بعبء فى تلقيح القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية ، وهو جامعى قديم ، لأنه كان من طلبة قسم الحقوق بالجامعة المصرية فى عهدها الأول ، ولأنه كان عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية فى عهدها الجديد . ولو أن الدكتور السنهورى أعفى نفسه من السياسة وتقلبات السياسة لأدى لوطنه خدمات أعظم وأنفع ، فقد دعى لوضع القانون المدنى العراق ، ولكن منصب وكيل وزارة المعارف أغراه بالاعتذار ، مع أنى ألححت عليه فى أن يترك ذلك المنصب الخداع ليؤدى لسمعة مصر العلمية خدمة مأثورة فى العراق الشقيق

ويضاف إلى هـذين الغرضين غرضٌ ثالث : هو الرغبة الشريفة فى معاونة الأمم العربيـة على التعمق فى الدراسات القانونية ، ولن ننسى فضل العراق فى إظهار ثقته النبيلة بكلية الحقوق المصرية ، فقد رأى أن يستأنس بها فى تقوية كلية الحقوق العراقية . وهذه الالتفاتة من جانب العراق تقوى ثقتنا بالكلية المصرية ، وتدعونا إلى تأييدها بجميع ما نملك من فنون التأييد

هل أحتاج إلى القول بأن كلية الحقوق غير مدرسة الحقوق ؟

لقد نشأتْ فيها أقسام جديدة بعد الليسانس ، نشأتْ فيها دراسات لم تكن معروفة قبل عهد الأنظمة الجامعية ، وبهذا استطاعت أن تقدم ألواناً جديدة من فقه التشريع ، وما أحب أن أزيد

وهنالك كلية مجهولة هى كلية الزراعة ، فهل تظنونها صورة من مدرسة الزراعة ؟

إبحثوا تعرفوا أن كلية الزراعة أمدت أبناءها بأفكار وآراء لم تعرفها مدرسة الزراعة ، فقد حاولوا وسيحاولون الاستيلاء على الأراضى التى لم تجد من يحسن استغلالها على الوجه الصحيح ، وقد كان من آثار جهودهم فى تنمية الثروة الزراعية أن أعلن أصحاب البساتين شكواهم من رخص الفواكه قبل أن تغليها أعوام الحرب

أما كلية التجارة فمكانها معروف ، فقد استطاع أبناؤها أن يكونوا السناد المتين لبنك مصر وشركاته المتنوعات ، وأنتم تعرفون أن بنك مصر توجيه جديد لأكثر أمم الشرق ، فهو أول بنك نزه تحريراته وحساباته عن اللغات الأجنبية ، واعتمد كل الاعتماد على اللغة العربية

أيها السادة

بقى القول فى كلية الآداب ، وكلية الآداب لها الصدارة فى جميع الجامعات ، ومن أجل هذا كانت كليتنا الغالية على يمين من يدخل حَرَم الجامعة المصرية

ومع ذلك فكلية الآداب هى صاحبة الحظ الأوفر من الشقاء فى جميع الجامعات ، لأنها تعالج أموراً دقيقة لا تفطن إليها الجماهير إلا بعد زمن أو أزمان

ألوان المعايش تحتاج فى كل يوم إلى المهندس والتاجر والزارع والمحامى والطبيب ، وهى تستغنى بكل سهولة عن الأديب والمؤرخ والفيلسوف ، وهل يحتاج الناس إلى الأدب كما يحتاجون إلى الرغيف

ورقة مرقومة من كلية الطب تمنح حاملها العيش الرغيد ، وكذلك يقال فى الأوراق التى تمنحها سائر الكليات

أما نحن فلا يعرفنا الجمهور ولا تعرفنا الدولة إلا بعد أن نبالغ فى إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

ولهذا أرجوكم السماح بعرض بعض الخدمات التى أدتها كلية الآداب إلى الوطن الحافظ للجميل ! !

كلية الآداب هى الكلية المظلومة ، وسيلاحقها الظلم إلى أن تستطيع إقناع الأمة بأن الأدب مقدم على الرغيف ، فهل تستطيع أقلامنا أن تروض الأمة على الإيمان بأن زاد العقول مقدَّم على زاد البطون ؟

إن جهادنا سيطول ويطول ، إلى أن تذكر مصر أنها الأمة التى سبقت جميع الأمم إلى وضع تمثال للكاتب المفكر قبل ألوف السنين

سنرى كيف تستطيع كلية الآداب أن تقنع الأمة بأنها

أنفع من كلية الطب ، وسنرى كيف يمكن إقناع الأمة بأن احتياجها إلى الأديب أشد من احتياجها إلى الطبيب ... يوم ذاك يصح القول بأن الجامعة أدت رسالتها خير أداء

وإلى أن يجيء ذلك اليوم أذكر بإيجاز بعض ما صنعت كلية الآداب ، فاذا صنعت كلية الآداب ؟

وهل تستطيعون أن تتناسوا جهود الأساتذة والخريجين بكلية الآداب ؟

التأليف عندنا ، فما رأى هذا العصر أقوى من كتاب الأدب الجاهلي وكتاب النثر الفني ، من حيث البلبلة الفكرية في الحياة الأدبية . ونحن الذين غيرنا اتجاه الأدب في مدارس الدولة من حال إلى أحوال

والترجمة عندنا ، فأبناء كلية الآداب هم الذين ترجموا دائرة المعارف الإسلامية مع تحقيقات يعترف بقيمتها المؤلفون الأصلاء

والشعر عندنا ، فليتقدم لمصاولتي في الشعر من يطيق ، ولن يطيق

والمجد القومي عندنا ، ففي كليتنا الغالية أقيمت معاهد للدراسات الأثرية من فرعونية وإسلامية ، بحيث يستطيع الفتى المصري أن يعرف فضائل الأجداد والآباء

ونحن الذين فكرنا في أن يكون مدرسو اللغات الحية مصريين لا أجانب ، ويشرفني أن أكون صاحب هذا الاقتراح ، وقد نفذه العدو الصديق طه حسين

ونحن الذين ابتدعنا الرحلات العلمية إلى البلاد العربية ، ومن الطريف أن أنص على أن الحج الجامعي إلى بيت الله الحرام هو من ابتكار كلية الآداب ، وقد وصلت عدواه إلى طلبة الأزهر الشريف ، فتذكروا أن الحج من أركان الدين الحنيف

كليتنا عظيمة التأثير في الجيل الجديد ، ولا ينكر فضلها إلا مكابرٌ أو جحود

أيها السادة

لكليتنا الغالية أمجادٌ جديرة بالتسجيل ، وأخصُّ تلك الأمجاد حرية الفتاة في ارتياد المعاهد العالية ، وهذا لم يقع بمصر لأول مرة إلا في كلية الآداب

كانت رفيقتي في دروس الأدب والفلسفة والتاريخ فتاةٌ لطيفة الروح ، وهي الآنسة مىّ ربيبة الجامعة المصرية ، وعنوان الكاتبة الموهوبة في اللغة العربية

وأنا لم أشترك في رثاء هذه الكاتبة ، لأني لا أزال أراها رأى القلب ، ولأني لا أحب أن أصدق أن الفناء يجوز على شبابها الجميل ، وكان من بسمات الوجود

وقبل أن تموت مى رأيت تأثير كلية الآداب حين زرت الموصل في ربيع سنة ١٩٣٨ ، فقد رأيت المدينة كلها مشغولة بكتاب أخرجته فتاة من طالبات كلية الحقوق

كلية الآداب هي أول معهد مصري أباح اختلاط الجنسين في المعاهد العالية ، وهو مبدأ يرضى عنه قوم ويغضب عليه أقوام ولكنه مبدأ ، وللمبادئ قيمة ، ولو أقيمت أساسها على ضلال

وكلية الآداب هي أول معهد مصري فكر في إمداد الصحافة بقوى جديدة مزودة بأهم أقوات الأذواق والعقول ، وسيكون لأبناء معهد الصحافة تأثير جميل في صحافة الجيل الجديد

أيها السادة

ستسمعون في هذه الليلة كلاماً في تجريح الجامعة ، من أبناء الجامعة أنفسهم ، فلا تظنوا ذلك التجريح من صور العقوق وإنما يجب أن تعدوه من صور الوفاء ، لأنه من أقوى البراهين على أن الجامعة أدت رسالتها خير أداء

أهم رسالة من رسالات الجامعة هي خلق القلق الروحي والعقلي ، فإن غلبني مناظريّ في هذا المساء فسيكون فوزهم تأييداً لحجتي . وهل تنسون أن الأشبال لا يصاولون آباءهم إلا بعد أن يصبحوا من الأسود ؟

لا أعرف ما الذي سيقول مناظريّ الفضلاء ، ولكني أخشى أن يفوتهم مقتلٌ هو أضعف مقاتل الجامعة المصرية ، وهو عجزها الفاضح عن أن تجعل اللغة العربية لغة التدريس في جميع المواد بجميع الكليات

لقد قضيت عشر سنين في الدعوة إلى هذا المبدأ القومي ، فما استمع مستمعٌ ولا استجاب مستجيب ، فليلتفت مناظريّ إلى هذا المقتل ، وليقولوا لرجال الجامعة إن السبات قد يفضي إلى الموت ثم إلى الفناء

لا يجوز في أية جامعة أوربية أو أمريكية أن يؤدَّى امتحان بغير اللغة القومية ، إلا أن يكون امتحاناً في إحدى اللغات الأجنبية ، أما الجامعة المصرية فتسمح بأن يؤدَّى الامتحان بغير اللغة العربية في المباحث الإسلامية ، وهذا هو الكفر بعد الإيمان !

الحضارات القديمة

فى القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

(تتمة)

الحضارة اليونانية

اليونان من الجنس الآرى الذى ينتسب إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وهم أول من حمل لواء الحضارة من ذلك الجنس ، وتمتاز حضاراتهم على غيرها من الحضارات بالنهضة العلمية التى قامت على أساسها ، وما زالت ترعاها وتتعهدها حتى ترعرعت وازدهرت ، وظهر فيها من أعلام الفكر أولئك الفلاسفة الذين رفعوا منار العلم ، ووصلوا فيه إلى ما لم يصل إليه أحد قبلهم ، فأقاموه على أسس ثابتة ، وجعلوا له حدوداً ومعالم ظاهرة ، وقد بلغ من قوة تلك الأسس وظهور تلك المعالم أنها لا تزال ثابتة إلى عصرنا ، وأن كل نهضة علمية حدثت بعدها تحذو حذوها ، وتجرى على منوالها ، فتبنى على تلك الأسس ، ولا تتخطى تلك الحدود والمعالم ، ويكون كل همها أن تصلح فيها خطأ أو تزيد على آثارها آثاراً جديدة

جرّحوا الجامعة ، جرّحوها بعنف ، لتستيقظ فتثور على الغفلة والجهل ...

قولوا وأطنبوا ، فإن لم تفعلوا — وستفعلون — فسآخذ الكلمة من أفواهكم لأسمع الجامعة ما تحب أن تسمع ، فرضاها عن هذه الحال رضا اليأس ، لا فرح التحليق فى أعالى الجواء .

جولوا وصولوا ، يا بنى الأم الروحية ، وقاتلوها وقاتلونى ، لأرى أنكم وهبتم العزائم الفواتك ، والأرواح الصحاح

أنا أثنيت على الجامعة بالحق ، فجرحوها بالحق ، لتأمنوا صيالى فى ردكم إلى شرعة العدل والإنصاف

وإلى اللقاء بعد أن أسمع ما عندكم من حجج وبراهين ، فلن تضام الجامعة وفى الوجود رجل هو أصدق أبنائها الأوفياء

زكى مبارك

٩ — ٢٠

وكما تمتاز الحضارة اليونانية بهذا تمتاز بأمر آخر له خطره ، وهو محاولتها جمع العالم على حضارة واحدة ، وإخضاع الشعوب البشرية لسلطان واحد ، حتى يمكنها أن تتقارب وتتفاهم ، وأن تتعاون فى كل عمل يرفع شأن البشر ، ويعود عليه بالخير والرفاهية ، والحضارة اليونانية فى تلك المحاولة على عكس الحضارة اليهودية ، لأن اليهود كانوا يعتقدون أن حضارتهم حباء من الله لهم ، وأنهم أوثروا بها إيثاراً على غيرهم من الشعوب ، فلا يصح لهم أن يشركوا فيها غيرهم ، ولهذا عاشوا منعزلين عن غيرهم من الشعوب ، ولم يحاولوا أن يضموا شعباً منها إلى حظيرتهم

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الغرضين الحميدين فى الحضارة اليونانية ، وفصلهما أحسن تفصيل فى سورة الكهف من الآية — ٨٣ — إلى الآية — ٩٨ — (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً ، فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سبباً ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ، ثم اتبع سببا ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا)

فهذه الآيات تفيد أن ذا القرنين كان يرمى إلى أمرين عظيمين ، أولهما جمع الشعوب فى شرق الأرض وغربها تحت حكمه ، ليكون لهم جميعاً سلطان واحد يجمع كلمتهم ، ويقرب مسافات الخلف بينهم . وثانيهما نشر العلم والحضارة بين تلك الشعوب ، فمن آمن وأذعن لذلك جزاه أحسن الجزاء ، ومن لم

يؤمن ويذعن لذلك ناله ما يناله من العذاب ، وقد تم لذى القرنين من ذلك ما أراد ، فجمع أكثر الشعوب المتحضرة تحت حكمه ، ثم عمل على أن يحفظها من الشعوب المتوحشة التى كانت تغير عليها ، وتخرب ما تخرب من آثار الحضارة فيها

وذو القرنين الذى تم له كل هذا هو الاسكندر المقدونى اليونانى ، كان أبوه فيليب ملك مقدونيا ، وكان ملكاً عظيم القدر ، عمل على أن يجمع بين البلاد اليونانية فى حلف تتولى مقدونيا زعامته ، ثم يوجه قوة اليونان بعد توحيدها نحو الفتح الخارجى ، ولكنه قتل قبل أن يتم غايته ، فخلفه ابنه الاسكندر على عرش مقدونيا ، وكانت سنه عند ولايته عشرين سنة ، وقد ورث عن أبيه بعد الهمة وقوة العزم ، وزاد عليه بتربيته على يد أرسطو الفيلسوف المعروف ، فنشأ محباً للفلسفة والعلم ، عاملاً على نشرهما فى أنحاء المعمور . وقد أراد أولاً أن يخضع بلاد اليونان كلها لسلطانه ، فإذا تم له إخضاعها توجه إلى ذلك الفتح الذى يجمع الشعوب تحت رايته ، وكانت دولة الفرس على عهده أكبر دول الأرض ، فعمل على قهرها أولاً ، وعبر مضيق الدردنيل إلى الأناضول ، فانتزعه من أيدى الفرس ، وأوقع بجيوشهم فى موقعة إسُوسْ ، ثم اتجه غرباً نحو الشام ومصر فانتزعهما أيضاً من أيدى الفرس ، وما زال يسير غرباً حتى بلغ عين الشمس بواحة سيوة ، وهى العين الحمئة أو الحامية التى ذكر القرآن أنه بلغها فى فتوحاتها الغربية ، ثم عاد فاتجه نحو الشرق قاصداً بلاد فارس ، ليقضى على دولة الفرس فيها ، وما زال يسير شرقاً حتى بلغ سهول الهند الشمالية ، ولم يبق أمامه إلا بلاد يأجوج ومأجوج التى ذكر القرآن أنه وصل شرقاً إليها

ولا شك أن هذا الاتفاق بين فتوحات ذى القرنين والاسكندر المقدونى دليل على أنهما شخص واحد ، وقد ثبت مع ذلك أن الاسكندر المقدونى كان يلقب بذى القرنين ، وفى هذا دليل آخر على أنه هو ذو القرنين الوارد فى القرآن . وقد ذهب إلى هذا الرأى كثير من المفسرين ، ومن رأى منهم أن ذا القرنين غير الاسكندر المقدونى فقد خبط فى بيانه خبط عشواء ، ولم يهتد إلى ملك يثبت التاريخ الصحيح أنه كانت له تلك الفتوحات .

ولا يوجد لدى الذين يأبون أن يكون ذو القرنين هو الاسكندر المقدونى إلا أنه كان على دين فلاسفة اليونان ، ولم يكن رسولاً يدعو إلى الإيمان كما هو ظاهر القرآن فى قوله : (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب) ونحوه مما ورد فى الآيات السابقة . ولنا فى الجواب عن هذا أن نذهب إلى أن الفلسفة اليونانية لم تكن فلسفة وثنية مادية ، وإنما كانت فلسفة توحيدية روحية ، إذ كان العقل عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأفلاطون وأرسطو يعد مظهراً للروح ، وأكبر دليل على أن لها وجوداً مستقلاً عن الجسد ، فتنفصل منه بعد الموت ، وتصمد إلى عالم أرفع من هذا العالم ، وهذا هو الإيمان بالتوحيد والبعث الذى دعت إليه الأديان السماوية . وقد كان فى أولئك الفلاسفة من ادعى الإلهام والوحى كفيثاغورس وسقراط ، وهى دعوى لا يوجد فى الإسلام ما يمنع من قبولها ، لأنه يمتاز على غيره من الأديان بأنه لا يجعل الرسالة السماوية وقفاً على قوم من الأقوام ، وقد قال الله تعالى فى الآية (٢٤) من سورة فاطر : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وإذا كان فى آثار أولئك الفلاسفة ما يخالف الدين ، فإنه يمكن أن يكون من التحريف الذى أصاب الفلسفة اليونانية ، كما أصاب الأديان السماوية القديمة . على أن كثيراً من أنصار هذه الفلسفة فى اليهودية والنصرانية والإسلام لا يرون أنها تخالف هذه الديانات ، وقد استخدموا علومها وآلاتها فى نصرة الدين ، حتى صار علم الكلام فى هذه الديانات متأثراً إلى حد كبير بهذه الفلسفة

ويمكننا أن نذهب فى الجواب عن ذلك مذهباً آخر نسلم فيه أنه لم يكن فى هذه الفلسفة وأصحابها إلهام ولا وحى ، وأنهم وصلوا إليها بنظر العقل ، فإنه يبقى مع هذا أن أولئك الفلاسفة اجتهدوا بعقولهم فى الوصول إلى الحقيقة المطلقة ، فوصلوا فى ذلك إلى أسمى ما وصلت إليه العقول فى العصور القديمة ، وإلى ما استحق التقدير من كل من ظهر بعدهم من الأمم إلى عصرنا الحاضر ، فإذا ذكر القرآن آثار علم من أولئك الأعلام ، فإنه يقدر منها ما يستحق التقدير من كل منصف ، وإذا كان فيها شىء من المؤاخذات فإن الله لا ينظر إليها فى هذه الحالة ، كما قال تعالى فى الآية (١٥) من سورة الإسراء : « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر

ابن خـــــلدون
مؤرخ الحضارة العربية

للأستاذ عيسى محمود ناصر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

الكلام على الفصلين الثالث والرابع

يمكن أن يقسم كلام ابن خلدون فيهما أقساماً ثلاثة : الإقليم والبيئة الجغرافية والدين ؛ فلقد تتبع المجتمع البدوى والحضرى وحكومته على اختلاف ضروبها ووسائل الارتزاق ولم تعد أحكامه فى سياسة الممالك الاستبدادية التى ذكرها فى مقدمته مطردة فى عصرنا هذا إذ أصبحت طريقة الحكم فى هذا العصر دستورية مبنية على الحكم النيابى الذى يؤيده الدستور ويدعو إليه سواء أكانت جمهورية أم ملكية ، على أن معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة تختلف كثيراً عن حالتها السابقة

ومن رأى ابن خلدون أن هناك ثلاث ظواهر مستقلة عن المجتمع تؤثر فيه باستمرار هى : الإقليم والبيئة والجغرافية والدين ، وقد تأثر فى نظرياته الجغرافية « ببطليموس » الجغرافى

أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » . وقد فعل القرآن الكريم ما يقرب من هذا مع الروم فى حروبهم مع الفرس ، فراعى لهم أنهم على كل حال أهل كتاب ، وبشر المسلمين بنصرهم فى الآيات الأولى من سورة الروم « ألم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ؛ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم »

أما قوله تعالى : « قلنا يا ذا القرنين » فلا يفيد إلا أن ذا القرنين كان فى تلك الفتوحات وفيما يقصده منها مسيراً بأمر الله وقد ذكرنا أنه كان له فى تلك الفتوحات مقاصد نبيلة ، وكل شىء يحصل فى هذه الدنيا فبأمر الله وتقديره .

عبد المتعال الصعيدى

اليونانى ، وبالإدريسى الجغرافى العربى ، وهو فى هذا يبين أن البيئة الجغرافية وسيلة إلى شرح الأقاليم المختلفة ، وأن درجات الحرارة المختلفة تؤثر فى أجسام الناس وأخلاقهم ، ومن ثم فى الحضارة ؛ فسواد لون سكان الجنوب يرجع إلى شدة الحر حيث الشمس محرقة دائماً ، وأما لون أهل الشمال فأبيض للسبب العكسى . أما الأقاليم المعتدلة فأجسامهم أقوى وأوفر توازناً فى حين أن أهل الأقاليم المنحرفة مجردون عن الحضارة ، فهم همج لا يعرفون شريعة ولا حكومة ولا ديناً ، وأخلاقهم فى غاية التناقض ، ولكنها بعيدة عن أن تكون مجتمعاً متحضراً . ويعلمنا التاريخ أن الحضارة لم توجد قط إلا فى البلاد المعتدلة ، وأن درجة كمالها تختلف بقربها أو بعدها عن الإقليمين المنحرفين ، ولهذا كان الإقليم الرابع الذى يشغل الوسط والذى يتمتع بحرارة معتدلة ينعم دائماً بضروب الحضارة ، ففيه الحكومات والشرائع والأديان المنزلة والعلوم والفنون . ويضع ابن خلدون فى ذلك الإقليم المعتدل : الشام والعراق ، فالشام مهد اليهودية والنصرانية ، والعراق كان بها الحضارة الآشورية ، ولكنه اعترضته صعوبة أن بلاد العرب مهد الإسلام ، وموطن العربية — ليست من الأقاليم المعتدلة ، ولكن البحر يحوطها من ثلاث جهات فأثرت رطوبته فى الهواء ولطفت من قيظها المفرط . ثم قال : إن بأخلاق أهل الجنوب خفة وطيشاً ، وإنهم لا يعرفون السكينة ، ويقضون معظم حياتهم في اللهو والرقص ؛ فالحرارة مخلخلة للهواء والبخار زائدة فى كميته ، وقد اتفق ابن خلدون و « منتسكيو » فى أثر البرودة والحرارة فى الأجسام ، ولكننا لا نرى فى هذا العصر أثراً لمقاومة البرد والحر ، وهناك برهان قاطع على أن نظرية الإقليم كما يشرحها « أرسطو » وابن خلدون و « مونتسكيو » ليست معصومة من الزلل ؛ فابن خلدون يرى أن سكان الشام والعراق هم أكثر الشعوب فوزاً بذلك الامتياز ، و « مونتسكيو » يرى المثل الأعلى فى أمم الشمال ، و « أرسطو » يرى الشعب اليونانى هو الذى بعث ذلك التقدم إلى باقى الشعوب

ثم تكلم ابن خلدون عن الروح البشرية والنبوة والكهانة ، وهو لا يعتبر الدين من عوامل الحضارة ، ولا يعلق على تأثيره فيها

أهمية كبيرة ، والواقع غير ذلك ؛ فالمجتمعات تتأثر بالدين وله تأثير قوى فى النفوس ، والدين مادة غزيرة من الفلسفة والتقاليد والمعتقدات . ولقد وفق ابن خلدون بين الفلسفة والدين كما وفق ابن رشد بينهما

ويؤخذ على ابن خلدون فى مقدمته إنحاؤه على العرب وقسوته فى الحكم عليهم فى كثير من سياسة الملك ؛ فقد غمطهم حقهم ، وشدد النكير عليهم ، فنعي عليهم عجزهم عن التغلب إلا على البسائط ويقول : إنهم لا يتغلبون على قطر إلا أصابه الخراب المطلق ، فهم يهدمون الصروح ، وينتصبون أملاك المغلوبين مستشهداً بتخريب إفريقية الشمالية فى القرن الخامس ، وأنهم يجهلون سياسة الملك . والتاريخ وحده أقوم دليل على دحض هذه المفتريات . ويبدو فى كلامه هذا التحامل على العرب ، وإنه لعربى حضرمىّ ، ولكن ذلك راجع إلى العصبية المغربية ؛ فأهل المغرب لهم عواطفهم وتقاليدهم ، وهم قد خرجوا من سلطان العرب منذ القرن الثانى للهجرة .

أما تحامله على العرب وعجزهم عن التغلب إلا على البسائط كسهول الشام والعراق ومصر وساحل إفريقية الشمالية فمردود بحوادث التاريخ فقد نسى ابن خلدون أو تناسى أنهم فتحوا فارس واستقروا هناك أكثر من قرنين ، وأنهم فتحوا بلاد الأندلس ، وأسسوا فيها حضارة وملكاً كبيراً استمر أكثر من ثمانية قرون

أما تخريب إفريقية الشمالية فى القرن الخامس فلم يكن إلا بأمر الخليفة الفاطمى . ثم مَنْ هم العرب الذين فعلوا ذلك ؟ إنهم بدو أعراب لم يتكافوا تربية ولا نظاماً . ولنا شاهد من تأسيس حضارة العرب فى فارس والشام وأسبانيا وإفريقية . ثم يقول : إن العرب ليسوا أهلاً لتأسيس الدولة إلا من طريق أثر دينى قوىّ ، وإنهم يجهلون سياسة الملك مع أنهم قبضوا على ناحية الحكم فى الدولة الإسلامية فى العصور الوسطى والحديثة وكانوا أقدر وأعدل وأمهر ؛ فقد هيئوا للشعوب المغلوبة أسباب التقدم العقلى المادىّ . ويقول : إنهم يبالغون فى احتقار العلوم والفنون مستنداً إلى أن معظم العلماء فرس وموال . ولكن أيغيب عن ذهنه أن هؤلاء البدو فرضوا دينهم ولغتهم على دولتى الفرس والروم ؟ اللهم إنها العصبية المغربية تغلبت عليه !

ابن خلدون والنقد الحديث

يصف الأوربيون ابن خلدون بأنه « مونتسكيو » العرب . وقد ترجمت مقدمته ونظرياته إلى اللغات الحية . وفي منتصف القرن التاسع عشر عنى النقد الأوربى بابن خلدون ونظرياته الاجتماعية عناية خاصة ، وكان أعجب ما فى هذا الاستكشاف أن يظفر الغربيون فى تراث هذا المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى . وقد ردد « مكيافللى » المؤرخ السياسى الإيطالى الذى ظهر بعد وفاة ابن خلدون بأكثر من قرن كثيراً من نظرياته وآرائه كما رددها « مونتسكيو » المشرع الفيلسوف الاجتماعى الفرنسى و « آدم سميث » الفيلسوف الاقتصادى وغيرهم ، ولابن خلدون فضل السبق فى هذه الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفة التاريخية .

ويعتبر كتاب «الأمير» «لمكيافللى» كمقدمة ابن خلدون . على أن ابن خلدون أغزر مادة وأوسع أفقاً من « مكيافللى » ذلك لأن مؤرخنا اتخذ من المجتمع كله وما يعرض فيه من الظواهر مادة أساسية لدرسه معللاً لها على ضوء التاريخ . أما « مكيافللى » فيدرس الدولة فقط أو يدرس أنواعاً معينة من التاريخ اليونانى أو الرومانى القديم ، أو تاريخ إيطاليا فى عصره ، أو يدرس شخصية الأمير أو الحاكم ؛ وهذه الدراسة المحددة تقابل الفصل الثالث من مقـدمة ابن خلدون وإن كان ابن خلدون يفوق « مكيافللى » ، ويبتدع نظرية العصبية ونظرية أعمـال الدولة وخواصها من الناحية الاجتماعية . ويمتاز « مكيافللى » من جهة أخرى بسلامة منطقه ودقة عرضه وتدليله وجمال أسلوبه ؛ وهو فى فلسفته هذه وصم آراءه ونظرياته بالصرامة والقسوة والخبث حتى كانت فى عصرنا الحاضر مضرب المثل للسياسة الغادرة التى لا ضمير لها ولا وازع فتغاضت عن المثل العليا للانسانية والخلقية ؛ فالنفاق والشح ، والضعة ، والقسوة ، والإرهاب ، والختل ، ونـكث العهود ، وإهدار الإخلاص ، والصداقة ، والأمانة ، والدين والوفاء ، كل أولئك تقوم عليه هذه السياسة «المكيافللية» وهى عنوان السياسة العملية القوية الخاطفة التى نشاهدها فى هذا العصر بين بعض الأمم والأفراد

وقد اعتبر ابن خلدون مؤرخاً لحضارة الدول الإسلامية ، فتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم والخطط العامة ، كالقضاء ، والشرطة ، والإدارة ، وتطورها فى الدول الإسلامية كما تحدث عن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن الحرة والحرف والصناعات ، ووجوه الكسب والمعاش ثم عن العلوم والفنون والآداب وتطورها فى العالم الإسلامى ، وإنما عالج هذه المسائل اعتقاداً منه أنها صور لهذا العمران ، ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران

وقد أثرت فى آرائه العلمية مبادئ «أرسطو» و«أفلاطون» وبخاصة الجمهورية لأفلاطون كما أثرت فى آرائه فلسفة فيتاغورس الأفلاطونية ، وكما أثر فيها المسعودى أيما تأثير ، وقد استطاع أن يقرر منذ خمسة قرون أصل السلطتين الروحية والزمنية كما يقررها أساتذة القانون السياسى والدينى

ويمكن أن توصف فلسفته بأنها يغلب عليها التشاؤم والتطير ، ولكن تشاؤمه تشاؤم رجل مستسلم غير مكترث ، فهو لا يحكم وإنما يشاهد ، وهو بذلك يدلل على ذهنية علمية . ويرى بعض المستشرقين أن مصدر هذا انحطاط الدولة الإسلامية وتأخر الحضارة فى العصر الذى كتب فيه ابن خلدون مقدمته ، وإلى الظروف السياسة التى تقلب فيها وعصفت به ، وما أصابه فى حياته فى خويصة نفسه من ألم وخيبة أمل

وقد أوضح أهمية المال وبعد أثره فى قوى الدولة الداخلية ، وذكر كيف يقضى سوء الإدارة المالية والإسراف دائماً على الدولة بالفناء

ومن رأيه أن تأسيس الدولة سابق على تأسيس المدن ، لأن الدولة وسيلة لتأسيس هذه المدن ؛ فالقبيلة لا تستطيع ذلك قبل أن تتخذ شكل الدولة المنظمة تجتمع قوتها فى الحكومة ، فقد بنيت بغداد بأمر الخليفة المنصور ، وبنيت الفسطاط والكوفة والبصرة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ، وابتنى القائد جوهر مدينة القاهرة تنفيذاً لأمر المعز لدين الله الفاطمى ، ولحماية المدينة من الغارات تحاط بالأسوار الطبيعية والصناعية ، وتصان صحة السكان بجودة الهواء وغزارة الماء . وقد بين أن العرب لم يحسنوا اختيار مواقع مدنهم لأنهم يعنون بالمراعى ، وأنهم يجهلون بأن للهواء صفات يجب اعتبارها ؛ لأنهم تعودوا حياة التجوال والانتقال ؛ لذلك لم تكن المدن التى أسسها العرب فى بدء الإسلام فى العراق وأفريقية أهلاً للحضارة الثابتة ، وأن تقاوم صروف الزمن ، فقد زالت حينما سقطت دولها ؛ ولكن هذا الرأى مردود بأن الكوفة والبصرة لا زالتا موجودتين فى عهد ابن خلدون . وعنده أن تقدم الحضارة يتوقف على مزايا الأرض ومزايا الحكومة وكثرة السكان ، فمن الأرض تستخرج كل المواد الأولية ، والحكومة يجب أن تكون قوية عادلة كريمة ، وكذلك عمر الحضارة منوط بعمر الدولة لأن سقوطها يفضى إلى سقوط العاصمة ، ومن ثم تصاب الحضارة بضربة شديدة ؛ ولكن الحكومة الجديدة المتغلبة إذا كانت حازمة قوية استطاعت فى الحال أن ترد إلى العاصمة كل رخائها ، أما كثرة السكان فتخلق الحضارة ، وكلما كثر السكان كثرت المدنية وازداد الغنى واتسع المجال لتحصيل ثمار الترف !

ويرى ابن خلدون أن من أسباب ضعف الدولة انغماسها فى الترف وضعف العصبية أو الحزب الذى أنشأها وما ينشأ عن هذا الضعف من مطالب بعض الجنود الأجانب الذين يتخذهم بعض الملوك لحمايتهم . ولا شك أن لفيلسوفنا آراء ومذاهب ونظريات يؤيدها العلم الحديث والعرف ، وما نراه فى هذا العصر من قيام دولة وسقوط أخرى واختلاف الناس فى مذاهب الحياة وفهم الأخلاق . وقد عنيت أن أجلو أمام القارئ بعض هذه الآراء تاركا له فرصة الاستيعاب والتمحيص والموازنات الدقيقة . والله ولى التوفيق

عيسى محمود ناصر
المدرس بمدرسة الفيوم الثانوية

مصادر هذا المقال :

١ — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية
٢ — ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربي
٣ — ابن خلدون حياته وتراثه الفكرى
٤ — مقدمة ابن خلدون — ترجمة الكاتب بقلمه

السيطرة على الجو

للأديب عبد المنعم محمد الزيادى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

« بيض » القاذفات

والبيض هنا هو القنابل فى عرف الأمريكيين ! أما القنابل المتفجرة العادية فلها غلاف ثقيل ينقسم إلى شظايا كثيرة تتطاير بمجرد انفجارها . وهذه القنابل تستعمل خاصة ضد الأفراد . وإذا انفجرت قنبلة من هـذا النوع زنتها مائة رطل ، فإن شظاياها تتطاير فى دائرة نصف قطرها خمسون ياردة . أما قنابل المهابط « الباراشوت » — وهى تستعمل ضد الأفراد كذلك — فتلقيها الطائرات عندما تكون على ارتفاع يقل عن ثمانمائة قدم، ولا تستطيع حينئذ أن تلقى قنابل متفجرة عادية خشية أن تصيبها شظاياها . فقنابل المهابط تتخذ طريقها ببطء متأرجحة فى الهواء إلى أسفل ولا تنفجر حتى تكون القاذفة قد ابتعدت تماماً . ويمكن كذلك أن تهيأ لتنفجر وهى ما تزال فى الهواء حتى تنشر شظاياها على الأفراد الذين يحتمون بالخنادق المكشوفة التى قد تقيهم شر القنابل المتفجرة العالية . أما القنابل المدمرة فلها غلاف رقيق يصلح لأن يحملها سليمة خلال أسطح المبانى التى تمر خلالها، ثم تأخذ حولها من المواد الشديدة الانفجار فى التدمير والتحطيم بمساعدة ضغط الهواء الشديد الذي يتولد مع سقوطها . ويقرر الخبراء أن مثل هذه القنبلة لو قدر لها أن تدفن فى الأرض قبل انفجارها ، فإنها عند انفجارها تنسف الأرض بمعدّل نصف ياردة مربعة من الأرض لكل رطل من المواد المتفجرة التى تحملها ؛ وهى تحمل من المواد المتفجرة ما بين ٢٥٠ و ١٠٠٠ رطل

« سلة خبز » مولوتوف

اكتشف الروسيون أن القنابل المحرقة تكون أشد فتكا إذا ألقيت على البناء الذى تمزق بفعل القنابل المدمرة ، وعلى هذا الأساس اخترعوا « سلة خبز » مولوتوف . وهذه السلة تشبه من الخارج القنبلة العادية تماماً . وتحتوى فى داخلها على ٢٠ أو ٣٠ أسطوانة صغيرة تحمل مواد محرقة وقنبلة مدمرة عادية فى الوسط . وتسقط القنبلة المدمرة من السلة على ارتفاع معلوم فتنتشر الاسطوانات المحرقة حولها فسرعان ما تلتهب قطع الخشب أو القماش أو الورق التى تناثرت بفعل القنبلة المتفجرة . وربما كانت القنبلة البطيئة الانفجار هى أفظع وأشد أنواع القنابل فتكا ؛ فعندما تصطدم القنبلة بالأرض ، يحدث التصادم كسراً فى زجاجة ملأى بحامض يبدأ فى شق طريقه خلال حواجز معدنية قابلة للذوبان فيه حتى يصل إلى المادة المنفجرة ، وإذ يختلط بها يحدث الانفجار . وبالتحكم فى سمك الحوائط المعدنية يمكن تنظيم وصوله إلى المـادة المتفجرة فى خلال بضع ساعات أو بضعة أيام إذا أريد ذلك

فوق الهدف

يصعب — بطبيعة الحال — أن تختفي مدن بأكلها عن أنظار القاذفات . وقد استعمل الطلاء (الكاموفلاج) للوقاية من الغارات الجوية فى الحرب العظمى الماضية ، فكانت الخطوط الجوية الكثيرة الملونة — على هيئة حمار الوحش — على أرض السهول والوديان تحدث اضطراباً شديداً للرائى . وقد وجد خبراء الوقاية أن هذا الخلط بين الألوان شديد التأثير على الملاحظين الجويين، لذلك طلوا أسطح المبانى الهامة بلون الحشائش أو الأحجار المجاورة كما غطوا الحوائط الجانبيـة بكروم اصطناعية . وقد أصبحت ترسانة « ولويتش » غاية فى التنكر بفضل ما نما حولها وفوقها من الحشائش ، حتى لقد أصبح عمالها يسمونها « بالبيت الأخضر » .

ومن المعروف أن المركبات السريعة هدف سهل للطائرات المنخفضة ، لكنه أصبح فى الإمكان جعلها « غابة متحركة » — كما قال أحد عامة لندن — وذلك بنثر الأوراق والأغصان والشجيرات على جوانبها وأسطحها . فإذا سار صف من هذه المركبات المتنكرة فى الطريق بجانب صف من الأشجار ، استطاعت أن تحتجب تماماً عن أعين الطيار اللاحظ . ولقد جدّ البريطانيون والألمانيون على السواء فى الاهتمام بالإظلام الليلى ، وذلك لسبب وجيه ؛ فقد دلت التجارب على أن عود الثقاب

اللتهب يمكن رؤيته من الطائرة على ارتفاع نصف ميل ، كما أنه يمكن رؤية المصباح المضاد على ارتفاع ميل وربع بوضوح تام ، والنافذة المضاءة على بعد ١٢ ميلاً . إلا أن هناك أشياء لا يمكن إظلامها تماماً ؛ فالموانئ وخطوط السكك الحديدية لا بد أن يظهر منها بعض الضوء . وأشد من ذلك وأنكى مجارى الأنهار ، فإنه فى أشد الليالى ظلاماً يظهر النهر كشريط ضيق لامع يرى فى جلاء ووضوح . ولا يمكن لأشد الاحتياطات إحكاماً أن تخفى الهدف تماماً إذا أخذت له صورة واضحة من الجو ، فالطباعة السوداء والبيضاء تظهر الوديان والسهول بوضوح ، كما تكشف خداع الألوان الذى قد يخدع العين المجردة . ولما كان من الصعب أن تقترب الطائرات من القواعد المهمة خلال النهار لتصويرها ، فإن فن التصوير الليلى قد تطور كثيراً . فعند ما تصبح الطائرة المتكشفة فوق البقعة المراد تصويرها ، يلقى المصور قنبلة من المغنسيوم ، وهذه تنفجر فى الجو على ارتفاع معلوم فتخرج ضوءاً ناصع البياض . وإذ يبلغ الضوء أقصى شدته يسبب حركة فى غطاء عدسة آلة التصوير ، فيتم التقاط الصورة من تلقاء ذاتها . وفى إحدى الصور التى أخذت على ارتفاع ١٢٠٠ قدم ظهرت كل شجرة فى نصف قطر طوله ثلاثة أميال بغاية الوضوح والجلاء

الهبوط إلى الأرض

لجنود المهابط الذين يسبق نزولهم غزو إحدى الجهات كما للجنود الذين تظلهم الطائرات قيمة عملية عظيمة الشأن ؛ فهم يحتلون المطارات الهامة أو يخربون المنشآت العسكرية ويربكون العدو إرباكا له قيمته للجيش المهاجم . لذلك اهتم الحلفاء بالإكثار من فرق هؤلاء الجنود وإحسان تدريبهم . وتحتاج الوحدة المهاجمة من جنود المهابط التى يبلغ عدد رجالها الألف ، إلى نحو ١٢٥ طائرة . تأتى فى المقدمة ثلاثون منها من قاذفات القنابل أو المنقضات ، تتبعها عن كثب عشرة من ناقلات جنود المهابط ثم خمسون طائرة من ناقلات الجنود حمولة الواحدة منها ٢٥ جندياً لنقل رجال القوة النظامية ، فى حين تحمل خمس طائرات أخرى عتاد هذه القوة الثقيل وهو يتكون عادة من ١٥٠٫٠٠٠ شحنة من الذخائر ، ٣٠ موتوسيكلا ، ٣٦٧ مدفعاً رشاشاً ، وستة مدافع مضادة للدبابات . ويحرس هذه القوة عدد من المطاردات يبلغ الثلاثين أو أكثر . فإذا ما بلغت القوة الهدف بدأت المدافع الرشاشة تصليه ناراً حامية حتى تقضى تماماً على مقاومة رجاله . ثم تنزل قوة من رجال المهابط يتراوح عددها بين مائة وثلاثمائة جندى ؛ ويفصل بين نزول جندى ونزول الآخر ثلاث ثوان بحيث يهبطون إلى الأرض فى جماعات صغيرة . ويحمل كل خمسة منهم مدفعاً رشاشاً صغيراً كما يحمل كل منهم مسدساً ، فإن البنادق والمدافع الرشاشة غالباً ما تسبب كسراً فى أذرع أو أرجل الجنود الهابطين ، فأصبحت هذه المعدات تلقى على حدة فى شحنات بواسطة مهابط تقل فى مساحتها عن المهابط (البارشوات) العادية سهلة الفتح من تلقاء ذاتها . وبمجرد أن يسيطر جنود المهابط على الهدف المقصود تتصل الوحدة الجوية بالقوة الرئيسية التى تهبط فى نظام دقيق . فلا يمضى سوى ساعة واحدة حتى تكون القوة قد بدأت الزحف . أما جندى المهابط فيتلقى تدريباً حربياً يفوق كل ما يناله جندى آخر فى الخدمة العسكرية . فالمراد من تدريبه أن يعرف كيف يهبط إلى الأرض دون أن يؤذى نفسه ، وكيف يختار أحسن الأمكنة لنزوله . وهو يستعمل لذلك نموذجاً معقداً يبين الأراضى الصعبة ومكانها . والمفروض فى كل رجل أن يكون خبيراً بفن الإشارة وقيادة الطائرات . ويجب أن يكون تام التدريب على كيفية استعمال الأنواع الأجنبية من المدافع الرشاشة والأسلحة الأخرى التى يمكن أن يغنمها . من ذلك ترى أنه لا يصلح سوى أشد الناس ذكاء وسرعة خاطر لهذا الطراز من القتال

أسلحة لمركبات الجو

ما برح سلاح الطيران الملكى البريطانى يرفع من شأن المدفعية الجوية من حيث الدقة والقدرة على الفتك والتخريب . فإن قائد مطاردة من طراز « سبيتفاير » يستطيع بتصويب طائرته نحو الهدف بمساعدة المنظار ثم الضغط على الزر الخاص ،

٤٩ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعات

مياه الآبار في القاهرة مشربة بالملوحة، فيجلب السقاءون الماء من النيل للسكان متعيشين من هذه المهنة. وكذلك يجلبون الماء من الخليج الذي يشق العاصمة أثناء الفيضان، أو بالحرى مدة الشهور الأربعة التي تعقب فتح هذا الخليج. ويجلبونه من النيل في غير ذلك الوقت، وهم ينقلون الماء في مزادات من الجلد على الجمال والحمير، وقد يحملونه على ظهورهم في قرب صغيرة لمسافة قريبة (أنظر شكل رقم ٥٧) ويطلق على المزادة التي يحملها الجمل لفظ «رِيْ» والرى زقان واسعان من جلد البقر. ويسمى ما يحمله الحمار «قربة» وتكون من جلد الماعز. ويحمل السقاء كذلك قربة من جلد الماعز إذا لم يملك حماراً. ويسع الرى ثلاث قرب أو أربعاً. ويصيح السقاء عادة: (يعوض الله) فيدل هذا الهتاف على مروره. ويكاد أجر السقاء على القربة التي يحملها ميلاً ونصف ميل أو ميلين، لا يتجاوز أكثر من مليمين



(شكل ٥٧)

ويوجد أيضاً سقاءون يزودون المارة بالماء. ويسمى بعضهم (سقا شربة) (شكل ٥٨)، ويحمل هؤلاء قربة ذات أنبوبة نحاسية طويلة ويصبون الماء للظمآن في طاس نحاسي أو قلة من

أن يطلق ١٢٠ طلقة في الثانية من ثمانية مدافع رشاشة مثبتة في جناحي الطائرة. وهذه المقدرة الفائقة على إطلاق النار من مستلزمات سرعة المطاردة التي لا تمكن المدفعي من أن يبقى فوق هدفه أكثر من ثانية أو ثانيتين في كل مرة يزوره فيها. والمدافع موضوعة بحيث تلتقي خطوط نيرانها على مدى بضع مئات من الأقدام أمام الطائرة. وقد اخترع سلاح الطيران البريطاني «طابية» تركب على القاذفة وبها أربعة مدافع أو أكثر تدور بدورانها وهذا يُمكّن المدافع من أن تطلق نيرانها في أي اتجاه. وهذه الطوابي توجد على ذنب القاذفة وجسمها ومقدمتها. وتستعمل هذه المدافع كابا أثناء القتال رصاصاً يترك وراءه أثراً. فقدمة الرصاصة ملأى بمركب فسفوري فإذا انطلقت في الجو تركت أثراً واضحاً من الدخان في النهار أو من النار في الليل. فإذا كان بين كل خمس رصاصات واحدة من ذوات الأثر أمكن للعين أن ترى وتتبع خط الضرب. ولا يخفى أن رؤية الإنسان أين يضرب من الأهمية بمكان عظيم وبخاصة في الدفعية الجوية الحديثة حيث سرعة عمليات الهجوم والدفاع عظيمة بحيث يكاد يكون من المستحيل تتبع الهدف في البقعة التي يحددها المنظار

أصديق أم عدو ؟

لكل طائرة علامة أو أكثر للتعرّف عليها إن كانت صديقة. وهي غالباً ضوء صغير في الذنب والقاع، يمكن أن يصحبه مفتاح تلغرافي بجانب القائد. وتُعطى علامات التعارف هذه للطيارين جميعاً في كل ليلة لتكون بمثابة كلمة المرور بين الطائرات وبعضها أو بين الطائرات وبطاريات المدافع المضادة. فقد يرى قائد في سلاح الجو البريطاني يقوم بأعمال الدورية مثلاً إشارة غريبة في طائرة أخرى مرت به قد تكون معادية. وعندئذ يُضيء بإشارة التعارف فإذا ردّ عليه الآخر بالإشارة المتفق عليها تابع سيره، وإذا لم تكن الإشارة بما يتوقعه تحسس توّاً زرّ مدافعه الرشاشة.

عبد المنعم محمد الزبادي
معهد الصحافة بالجامعة الأمريكية

الفخار . وهناك طبقة كثيرة العدد تمتهن الحرفة نفسها ويسمى الواحد منها (حَملِيا) (شكل ٥٩) وأغلب هؤلاء دراويش من الرفاعية أو البيومية ، وهم معفون من ضريبة الفردة . ويحمل الحملى على ظهره إبريقاً من فخار رمادى يبرد الماء، ويحمل أحياناً قلة من الماء المعطر بماء الزهر المقطر من زهر النارنج ، ليقدمه إلى أفضل عملائه . وكثيراً ما يضع فى فوهة الأبريق غصناً من النارنج. ويتناول الحملى من أفراد الطبقتين العليا والوسطى قطعة فضة إلى خمس فضة .

(شكل ٥٨) سقا شربة

ولا يتناول من الفقراء شيئاً أو يتناول منهم قطعة خبز أو أى طعام آخر يضعه فى جراب يعلقه على جانبه . ويصادف المرء كثيراً من الحمليين وبعض السقائين فى ساحات الحفلات الدينية ، كالموالد

(شكل ٥٩) حملى

وغيرها التى تقام في القاهرة وضواحيها . وكثيراً ما ينفحهم زائرو قبور الأولياء نقوداً فى مناسبات كهذه ليوزعوا الماء على الراغبين من المارة . وتسمى هذه الصدقة (تسبيل) ، وتكون إكراماً للولى ، أو فى مناسبات أخرى غير الموالد . ويسمح لهؤلاء السقائين فى هذه الأحوال أن يملأوا الأبريق أو القربة من « سبيل » عام ، لأنهم لا يتناولون شيئاً من المارة . وهم ينشدون لهذه المناسبة لحناً قصيراً ، داعين الظمآن ليتناول من هذه الصدقة المقدمة باسم الله فيقولون : (سبيل الله ياعطشان) ويدعون لمن قدم الإحسان أن تكون الجنة والمغفرة من نصيبه فيقولون (الجنة والمغفرة لك يا صاحب السبيل)

ويوجد آخرون ، تماثل مهنتهم مهنة الحملى . ومن هؤلاء ، بائع العرقسوس المذكور فى فصل سابق . ويحمل العرقسوسى جرة حمراء من الفخار على جانبه الأيسر ويربطها بسير من جلد أو غيره ويسندها بيده اليسرى (شكل ٦٠) كما يحشو فوهة الجرة بليف النخل ويحمل طاسين من النحاس

(شكل ٦٠) عرقسوسى

أو قدحين من الصينى أو أكثر يقرعهما معاً . ويتجول كثير من بائعى الشراب بالطريقة نفسها . ويحمل بائع الشراب عادة وعاء «الشيشة» الزجاجى ملآن بمنقوع الزبيب فى يده اليسرى ، وأبريقاً كبيراً من القصدير أو النحاس الأحمر ، وقللاً زجاجية فى يده اليمنى . ويحمل بعضهم صينية مستديرة من النحاس الأحمر المبيض وعليها قلل ملأى من « التين المبلول » أو « البلح المبلول » ، « وسطلة » نحاسية أو طاسا من الفخار الصينى . ويباع السحلب أيضاً بالطريقة نفسها ، والسوبيا كذلك ، وهى تصنع من لب عبد اللاوى يبل ويدق ثم ينقع فى الماء ثم يصفى ويحلى بالسكر ، وقد تصنع من الأرز بدلاً من اللب . وتحمل السوبيا فى أوعية كأوعية الزبيب ؛ غير أن الأكواب هنا توضع فى وعاء من القصدير يشده البائع بحزام إلى وسطه .

ذكرت قبلاً أن كثيراً من فقراء القاهرة يتعيشون من تنظيف الشبك . ويحمل « المسلكاتى » أى منظف الشبك سلوكاً طويلة لهذا الغرض يضمها فى عصى مجوفة ثلاث أو أربع

أو فى أنابيب من القصابير، يشدها معاً ويعلقها على كتفه (شكل ٦١) ويعلق مع العصى أو الأنابيب حقيبة صغيرة من الجلد بها ألياف من القنب يلفها أعلى السلك لتنظيف الشبك . ولا يتناول المسلكاتى على تنظيف الشبك الواحد أكثر من نصف فضة

يتعيش الكثير من الطبقة السفلى رجالاً ونساء ، فى القاهرة وغيرها من مدن مصر ، من التسول . والكثير من هؤلاء كما هو المتوقع ، دجالون كريهون ، فبعضهم يشق مظهره على المرء ولكنه يجمع أموالاً وافرة . وقد حدث

(شكل ٦١) مسلكاتى

منذ شهور قليلة حادث من هذا النوع شاع أمره فى القاهرة . ذلك أنه كان هناك فلاح ضرير تقوده ابنته فى شوارع القاهرة وهما يكادان يسيران عاريين دائماً . وقد تعود هذا الفلاح أن يدعو يومياً إلى منزله سائلاً تركياً ضريراً ، فيتناول العشاء معه . وفى ذات ليلة غاب الفلاح عن منزله ، ولكن ابنته أعدت العشاء للصديق التركى الذى جلس يأكل وحده . وحدث أثناء ذلك أن مد يده إلى جانبه فوقعت على جرة ملآنة نقوداً . فلم يتردد فى حملها وهو منصرف . وكان فى الجرة مائة كيس وعشرة من قطع الخيرية ، وهي قطع صغيرة ذات تسعة قروش ، أى ما يساوى حينئذ أكثر من خمسمائة وخمسين جنيهاً . فذهب المجنى عليه إلى القلعة يطلب إنصافه ، فاستعاد ماله ما عدا أربعين خيرية كان اللص قد أنفقها ، وقد حرم التسول على الفلاح بعد ذلك . وكثيراً ما يشاهد المرء فى القاهرة الأطفال عراة تماماً . وقد رأيت كثيراً فتيات بين سن الأثنى عشر والعشرين يتسولن

فى الطرق دون أن يسترهن غير قطعة رثة حول الكشح وقلما يتأثر هؤلاء من برد الشتاء أو حر الصيف لتعودهم ذلك من الطفولة . ويستطيع الرجال أن يناموا فى بعض المساجد . وليست حال المتسولين ، من وجوه أخرى ، سيئة جداً كما قد يرى الأجنبى من مظهرهم . ويكاد المتسولون بلا ريب أن يحصلوا على طعام أو نقود تكفى لسد حاجاتهم الضرورية ، وذلك نتيجة لميل المصريين إلى الإحسان ، وتعود التجار تناول الطعام فى دكاكينهم وإعطاء السائلين شيئاً منه . وهناك متسولون ينفقون جانباً كبيراً مما يجمعونه صباحاً فى التمتع بتدخين الحشيش ليلاً فيتخيلون أنهم أسعد الناس

ولا تخرج صيحات المتسولين فى القاهرة عن دعاء الله . ومن أكثر الأدعية شيوعاً قولهم : (يامحنن يارب !) (لله يامحسنين) (أنا طالب من عند ربى رغيف عيش) (يا مانت كريم يارب) (أنا ضيف الله والنبى) . وقولهم مساء : (عشاى عليك يارب) وفى ليلة الجمعة : (ليلة الجمعة الفضيلة) وفى يوم الجمعة : (يوم الجمعة الفضيل) . وكان هناك متسول ، تعود أن يمر بدارى يومياً ، يقول : (توكل على الله ! لا إله إلا الله) وإنى أسمع الآن متسولة تصيح : (عشاى عليك يا رب . من إيدى مؤمن كريم موحد بالله . يا أسيادى !) . ويرد الناس المتسولين عادة ، إذ أنهم كثيرون بحيث لا يمكن المرء أن يعطى كل من يسأله ، بقولهم : (الله يساعدك) . (الله يرزق) . (الله يعطيك) . (الله يعينك) . ولا يرضى السائل برفض لا يتضمن ما سبق ذكره أو ما يماثله . ومن المعتاد أن يرى المرء فى أشد الشوارع ازدحاماً سائلاً يطلب ثمن رغيف عيش يمسكه فى يده بينما يتبعه بائع الخبز . ويتجول بعض السائلين ولا سيما الدراويش ، وهم ينشدون قصائد فى مدح النبى صلعم ، أو يدقون الصنوج أو طبلة صغيرة . ويتجول الدراويش بين قرى الريف للتسول . وقد رأيتهم يمتطون الجياد . كما شاهدت أخيراً أحدهم يتنقل بين الأكواخ على جواد يستجدى الخبز ويصحبه رجلان يحمل كل منهما بيرقاً ، وثالث يقرع طبلاً

(يتبع)

عدلى طاهر نور

في ظلال النيل

أنس الوجود . . . !

يَا شِرَاعاً عَبَرَ الْمَاضِي إِلَى وَادِي الْخُلُودِ !
وَتَهَادَى فِي حِمَى فِرْعَوْنَ مَرْفُوعَ الْبُنُودِ
وَمَضَى فِي مَوْكِبِ الذِّكْرَى إِلَى دُنْيَا جُدُودِي
مِلْ مَعَ الْمَوْجِ بِنَا . . . هَا هُنَا أُنْسَ الْوُجُودِ !

***

هَيْكَلٌ غَنَّى لَهُ الدَّهْرُ أَنَاشِيدَ الْجَلَالِ !
وَبَنَاهُ فِي ظِلَالِ النِّيلِ أَبْنَاءُ الْمَعَالِي
وَرَعَاهُ الْمَجْدُ فَوْقَ الْأَرْضِ عُنْوَانَ الْمُحَالِ !
هَاهُنَا أَغْفَتْ مَعَ الْأَمْوَاجِ أَحْلَامُ اللَّيَالِي ! !

***

مَالَتِ الشَّمْسُ عَلَى أَعْتَابِهِ عِنْدَ الْغُرُوبِ !
وَسَجَا اللَّيْلُ فَأَصْغَيْتُ إِلَى هَمْسِ الْغُيُوبِ ! !
مَوْكِبٌ يَخْتَالُ فِي عِزَّتِهِ مَجْدُ الشُّعُوبِ
وَرُؤًى مِنْ فِتْنَةِ الْوَادِي وَأَحْلَامِ الْقُلُوبِ !

***

يَا خَيَالِي عُدْ إِلَى مَاضٍ مِنَ الْمَجْدِ تَلِيدِ
وَاسْتَمِعْ هَمْسَ الْمَعَالِي مِنْ فَمِ الْأَمْسِ الْبَعِيدِ !
وَامْضِ بِي فِي رَكْبِ فِرْعَوْنَ أُغَنِّي بِنَشِيدِي !
وَأُحَيِّي مَا بَنَاهُ فِي حِمَى النِّيلِ السَّعِيدِ !

***

عُمُدٌ عَزَّتْ عَلَى الْأَرْضِ بِأَسْرَارِ السَّمَاءِ !
وَسَقَاهَا النِّيلُ مِنْ أَمْوَاهِهِ مَعْنَى الْبَقَاءِ !
وَحَمَتْهَا عَزْمَةُ الْأَبْطَالِ مِنْ شَرِّ الْفَنَاءِ !
فَتَسَامَى فِي حِمَاهَا الْمَجْدُ خَفَّاقَ اللِّوَاءِ !

***

وَجَرَى فِي ظِلِّهَا النِّيلُ نَعِيماً وَسَلَامَا !
وَجَمَالاً يَمْلَأُ الشَّطَّيْنِ حُبًّا وَهُيَامَا !
الْأَغَارِيدُ كُئُوسٌ . . . وَالصَّنَادِيدُ نَدَامَى !
فِتْنَةُ الْحَاضِرِ فِي الدُّنْيَا وَمَعْبُودُ الْقُدَامَى !

***

وَمَضَى يَنْسَابُ نَشْوَانَ بِخَمْرٍ وَعَبِيرِ !
مِنْ دُعَاءِ الشَّعْبِ مَجْرَاهُ وَمِنْ لَحْنِ الْبَشِيرِ !
فَاحْتَمَى فِي ظِلِّهِ الْمَكْدُودُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ !
وَتَلَاقَى مَجْدُنَا الْأَوَّلُ بِالْمَجْدِ الْأَخِيرِ ! !

***

يَا شِرَاعاً عَبَرَ الْمَاضِي إِلَى وَادِي الْخُلُودِ !
وَتَهَادَى فِي حِمَى فِرْعَوْنَ مَرْفُوعَ الْبُنُودِ
وَمَضَى فِي مَوْكِبِ الذِّكْرَى إِلَى دُنْيَا جُدُودِي
مِلْ مَعَ الْمَوْجِ بِنَا . . . هَاهُنَا أُنْسُ الْوُجُودِ !

« القاهرة » محمود السيد شعبان



هل هو توارد خواطر ؟

المنابع الثرة التي تفيض منها جداول التفكير البشري قاطبة هي في حقيقة الأمر واحدة ؛ وهذه المنابع الفياضة هي هذه العواطف المشاعة بين بني الإنسان كافة من سرور وحزن وحب وبغض ، وأمل وألم . الخ . فهذه العواطف المشاعة بين كل الناس وهي التي تسيطر على اتجاهاتهم النفسية فتنعكس صورها على — مراياها — ما ينطقون وما يكتبون ، والاختلاف والتمايز في الكتابة والمنطق إنما يجيئنا من بعد ذلك فهما ينتجان من طرق التعبير والتصوير ، ومقدار استيعاب الفكر والقلم لما تلتقطه عدسة المخيلة من صور وأشباح وانطباعات وتأثرات . وفي هذا الميدان تتبارى فرسان الكلام ، فيتقدم سابق ، ويتأخر لاحق ؛ وفي هذا المجال نتعرف بلاغة البليغ وإسفاف المسف ولون كل منهما . ذلك لأن لكل واحد منهم مشربه الخاص لا يشاركه فيه سواه وإن اتحدت الغايات والمعاني في أغلب الأحيان . وعلى هذا فإننا إذا وجدنا مقالتين أو قصيدتين اتحدتا في كل شيء في اللفظ والأسلوب والمعنى فيحق أن يستوقفنا هذا الاتحاد . لأنه إما أن يكون منشؤه من (توارد خواطر) نادر المثال . أومن هجوم أحد الكاتبين أو الشاعرين على نتاج زميله وهذا ما يدعى بالسرقة في اصطلاح أهل البيان

***

أثار هذه الخواطر سياحة عملتها في ديوانين حديثين هما (الملاح التائه) للأستاذ الشاعر المبدع علي محمود طه . و (نسمات الربيع) للأستاذ صالح الحامد العلوي

وبحق أقول ، إن كلا الديوانين خصب ممتع للنفس والفكر ، وكلا الشاعرين مجدد أو يحاول التجديد فيما هو بسبيله . وقد راقتني في أثناء (سياحتي) هذه قصيدة في أول الديوانين بعنوان « غرفة الشاعر » تبدت لي في جمالها الخاص واتساقها وروعة فنها كالروض الأغن باكره الغيث في أيام الربيع فابتسمت زهوره من فوق الغصون فتنة للناظرين

وقد تلوت هذه القصيدة مراراً فيما بيني وبين نفسي وأنشدتها تكراراً لبعض زملائي من الأدباء . وحازت من إعجابنا جميعاً ما جعلنا نبتاع الديوان الذي يضم (باقتها) العاطرة تقديراً لأريجها الفواح

ثم ماذا ؟

ثم بعد أيام تناولت ديوان (النسمات) وسحت في رياضه وغياضه مستقبلاً عذب نسماته ، فإذا بي أعثر فيه على قصيدة تماثل تلك التي اقتطفتها من روض (الملاح التائه ، أو بحره . وهي تحمل عنواناً دانياً من عنوانها هو (صباح الشاعر ، وتحمل معاني وأهدافاً ووزناً وألفاظاً مثلها . فاستوقف نظري هذا (التماثل) الغريب واحتار فكري أمام هذا — الاتحاد — المريب . فهل هو يا ترى من باب (توارد الخواطر أو يدخل في (الباب الآخر) ؟

(مكة المكرمة) عبد القدوس الأنصاري

حاشية : قصيدة « غرفة الشاعر » هي في الصفحة ٣٥ من ديوان الملاح التائه (الطبعة الجديدة) ومطلعها :

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل وما زلت غارقاً في شجونك

وقصيدة « صباح الشاعر » هي في الصفحة ٧ من ديوان (نسمات الربيع) طبع مطبعة التأليف والترجمة والنشر بمصر

ومستهلها :

أيها الشاعر استفق ذهب الليل فقم وبك حي نور صباحك

الرسالة والورق

لِمَ يا أيامُ غيبتِ الرسالهْ	مشرع الحق الذي أجرى زلالهْ
والربيعَ الطلق في إشراقه	ناشراً في صفحةِ الكون جمالهْ
والسنا اللماحَ في أنواره	ضربَ العلم على أيدي الجهالهْ
(ورق الطبع) لئن غابت فمن	بعدها يحملُ أعباءَ الرسالهْ ؟

مصطفى علي عبد الرحمن

في المطابقة اللفظية بين اللغات

إن التشابه اللفظي بين بعض كلماتٍ من لغات مختلفة ، حقيقةٌ قد تثير الدهشة لدى الكثيرين ؛ ومن السهل والطريف معاً تتبعُ ذلك عند من يلم بأكثر من لغة واحدة . على أن التعليل لهذه الظاهرة يسيرٌ واضح يتلخص في أن الحروف التي تتحرك بها عضلات اللسان محدودة لا تتجاوز الثلاثين ، في حين تتنوع لغات البشر وتتعدد ، ويرتفع عدد الكلمات في بعضها إلى عشرات الألوف ومئاتها . فإذا قلنا نحن « نير » مشيرين إلى هذه الأداة التي توضع على عاتق الثور ، قال الإنجليزي « Near » يعنون الداني أو القريب ... وهكذا .

ويبدو لى أن عالمنا اللغوى الكبير الأستاذ « الأيوبى » يستقرى أمثال هذه الكلمات الأعجمية – خلال بعض إجاباته – قاصداً ردّها إلى أصل عربى قد لا يرتبط بها فى شىء إلا أن يشبهها فى بعض الحروف .

ونحن مع شكرنا له على غرضه النبيل من هذا المجهود نقرر أن أصحاب كل لغة هم أدرى الناس بمنابع ألفاظها وأصول اشتقاقها . فإذا قلنا للفرنسى إن كلمتكم « Salade » مأخوذة من كلمتنا (سليط) ، فأنكر وقال : بل هى مشتقة من Sal اللاتينية ، كان من الواجب علينا أن نكذب أنفسنا ونصدقه ، ما لم تكن حجتنا على هذا الأخذ قوية .

فكيف والظاهر يؤيده والتاريخ اللغوى يصدق زعمه ؟ !...

هل يريد أستاذنا الكبير أن يقول إن العربية أقرب إلى هذه اللغات من أصلها اللاتينى ؟ ... ذلك ما لا نظنه .

وإننا حين نكتفى من المعجم الأوربى بقوله إن لفظة « كذا » مشتقة من الأصل اللاتينى أو اليونانى « كذا » يجب ألا نكتفى ممن ينسب هذا إلى العربية بغير الدليل التاريخى القاطع ، ولا عبرة بالمشابهة اللفظية كما أوضحنا .

يضاف إلى هذا أننا نجد الألفاظ العربية الدخيلة فى هذه اللغات منصوصاً عليها فى معاجمها ، مع ذكر خطوات اشتقاقها إن أمكن تتبعها ، فلم يعد من حقنا بعد كل هذا أن ننسب إلى لغتنا لفظاً أجنبياً ، ما لم تنص على ذلك معاجم القوم ، أو يقم الدليل القاطع من عندنا على صحة نسبته إلى لغتنا ...

ذلك رأيى الخاص فى هذا الموضوع ، وللأستاذ الكبير أن يؤيده أو يفنده . وأعود إلى إجابته الأخيرة عن (المقرونة) وما ذكره من أنها هى التى يقال لها اليوم مكرونة : Macaroni فأقول إن هذا كلام يعوزه الدليل وتنقصه الحجة القاطعة . والذى تذكره المعاجم الموثوق بها ، ويؤيده العقل أن هذه اللفظة الإنجليزية تحريف للاسم الإيطالى القديم Maccaroni وهذا الأخير مشتق من الفعل . Maccare بمعنى يسحق أو يمصر To Crush فهل يتيسر لنا أن نثبت وجود علاقة صحيحة بين المقرونة العربية و Maccaroni الإيطالية ؟ وهل كانت المقرونة – وهى التى يقول الأستاذ إنها من طعام أهل الجاهلية – معروفة لدى الشرقيين بنفس الاسم ، عندما اتصل بهم الإيطاليون ، وبادلوهم منافع السلم وفواجع الحرب ؟

ذلك ما نطالب أستاذنا الكبير بإثباته قبل التسليم له بوجهة نظره ، وثمة شىء آخر أحب أن أذكره ، وهو أن الإنجليز يطلقون اسم الشعر المكرونى Macaroni على نوع من النظم الفكاهى عندهم يتألف من مزيج من الألفاظ بعضها أوربى حديث وبعضها لاتينى قديم . وفى قاموسنا المحيط للفيروزبادى نجد ما نصه : « والمقرون من أسباب الشعر ما اقترنت فيه ثلاث حركات بعدها ساكن ، كمُتَفا من متفاعلنْ وعَلَتُن من مفاعلتن » فهل الشعر (المكرونى) عندهم منقول من شعرنا هذا المقرون ؟! إن الأخذ بمجرد التشابه فى اللفظ قد يدفعنا إلى إصدار ذلك الحكم ؛ وما نشك أن السير فى تلك السبيل ينتهى بنا إلى تسجيل مفارقات مضحكة لا نستسيغها إلا أن تجىء على سبيل الإضحاك ليس غير . أما أن نقصد بها الجد كل الجد ، ونرمى بالنظر فيها إلى البحث العلمى الصحيح ، فذلك أمر فيه نظر . وأى نظر

وفى انتظار « إجابة » أستاذنا « الوحيد » نتوجه إليه بعاطر التحية وأذكى السلام .

محمود عزت عرفة

تكريم كتاب تركيا

من أنباء استانبول أن معالى حسن على يويل وزير المعارف التركية افتتح الاحتفالات بالعيد الخمسينى الذى أقيم فى جامعة استانبول لتكريم كتابها الذين ظلوا ٥٠ عاماً يسدون الخدمات الجليلة للأدب التركى

وقد بدأ معظم الكتاب المحتفل بهم حياتهم الأدبية رازحين تحت نير أسوأ عصور العسف والجور أيام حكم السلطان عبد الحميد الذى كان يخاف ويخشى جميع ألوان التثقيف ، ويقف سداً منيعاً فى سبيلها . أما احتفال أمس فقد جرى فى جو على نقيض ذلك العهد الغابر

وكان فى طليعة المحتفل بهم الأساتذة حسين جاهد يالشين

الكاتب والروائي الشهير وهلال زيا والشاعر محمد أمين

وقد ألقى الأستاذ حسين بالشين خطاباً أشار فيه إلى الأوقات العصيبة . ثم نصح الشباب بألا يصغوا إلا إلى صوت ضميرهم فقط

وأفضى الأستاذ بعد انتهاء الاحتفال بحديث إلى وكالة الأنباء العربية قال فيه : « إن حوادث اليوم واحتفالاته لهي خير جزاء عن الخمسين عاماً التي قضيتها أميناً على خدمة مثلى العليا وضميرى »

الوطن والوطنية

ألقى حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك رئيس « لجنة ترقية التمثيل والسينما » حديثاً من محطة الإذاعة اللاسلكية عن الوطن والوطنية بمناسبة تمثيل الفرقة المصرية رواية « الوطن » للكاتب الفرنسي المعروف فيكتوريان سارد . وقد استهل حديثه القيم بأبيات حماسية من الشعر العربي في تمجيد الوطن وببعض الأحاديث النبوية والحكم النثرية . وقال إن الأدب شعراً ونثراً وكذلك القصة المسرحية تفيض بحوادث البطولة والتضحية في سبيل الوطن . ثم تحدث بعد ذلك عن رسالة الفرقة المصرية للتمثيل والسينما وواجبها نحو تثقيف الشعب وبسط موضوع رواية الوطن . واختتم حديثه قائلاً : « مثل هذه الرواية جديرة بالمشاهدة واستقصاء الحوادث . ولعل فيها اليوم مثلاً بليغ الدلالة على سمو النفوس التي تعاني البلاء في سبيل نصرة الحق والعدل وإعلاء كلمة الديمقراطية والحرية »

من شعر حافظ المنسى

ساق إلى القدر هذه القطعة الفكاهية النادرة من شعر المرحوم حافظ إبراهيم في صحيفة من مجلة قديمة قدم إلى فيها أحد الباعة بعض الحاجات ، وهذه القطعة لم تنشر في الديوان القديم ولا في الجديد

وأعتقد أن الدكتور مبارك ربما كان يعلم من يعرض به المرحوم حافظ في أبياته ، وهذه هي الأبيات :

حدثونا بأن قرداً مُسِناً لبس الخزَّ مرة واختالا

وأتى للطيور في يوم عيد وهي من بهجة تفيض جمالا

قال إني أبو الجمال وثوبي شاهد جل صدقه وتعالى

قال الطير : أيها القرد مهلاً أنت تبغي من الحياة محالا

كل ثوب إلى البلى ثم يبقى جوهر النفس للعيون مثالا

أنت قرد وإن سرقت من الطا ووس ذيلاه ومن حلاه جمالا

أحمد محمد

الوطن

كانت الجيوش الأسبانية تحتل بلاد الفلمنك (بلجيكا وهولندا) حوالي عام ١٥٦٧ ، وكان الدوق (ألب) نائب العاهل الأسباني لا يتورع هو وصحبه عن أن يذيق الأهلين كل أنواع التعذيب والموت والدمار ؛ وكانت بروكسل عاصمة بلجيكا قد تحولت إلى معسكر لهم ، وكان الوطنيون والخارجون على الكنيسة الكاثوليكية يزجون في السجون . ولكن هذا التعذيب لم يفت في عضد الوطنيين ، ولم يثن عزمهم عن الكفاح والتضحية في سبيل الوطن

هذا هو موضوع رواية الوطن التي ألفها الكاتب الفرنسي المعروف فكتوريان ساردو وترجمها وأخرجها الأستاذ زكي طليمات وقدمتها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى على مسرح دار الأوبرا الملكية في الأسبوع الماضي .

وقد اشترك في تمثيل هذه الرواية أقطاب التمثيل في الفرقة وفي مقدمتهم الأساتذة : حسين رياض ، أحمد علام ، زكي رستم . عبد العزيز خليل . عباس فارس . والسيدات : إحسان شريف وروحية خالد وغيرهم . وقام الممثلون جميعاً بأدوارهم على أكمل وجه ووفقوا كل التوفيق في أداء أدوارهم . وكأنما خلق كل منهم لتمثيل الدور الذي أسند إليه . وتلك غاية المقدرة فيما نرى

أما الإخراج فقد جاء آية بينة على مقدرة الأستاذ زكي طليمات المدير الفني للفرقة وإنه لجدير بكل تقدير وإعجاب

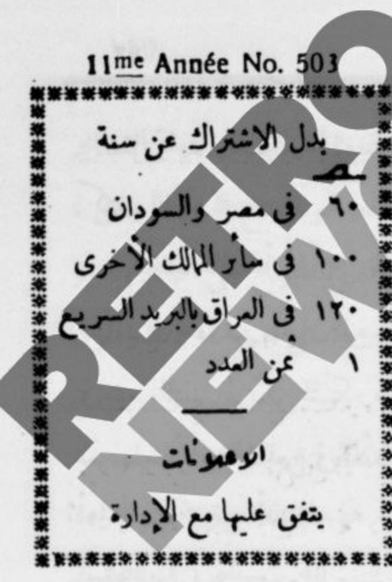
ولا يسعنا بعد ما ذكرنا إلا أن نقدم أصدق التهاني إلى القائمين على أمر الفرقة المصرية وعلى رأسهم صاحب العزة الأستاذ محمد صلاح الدين بك ، ونتمنى للفرقة نهضة مباركة وتقدماً مطرداً في عهدها الجديد

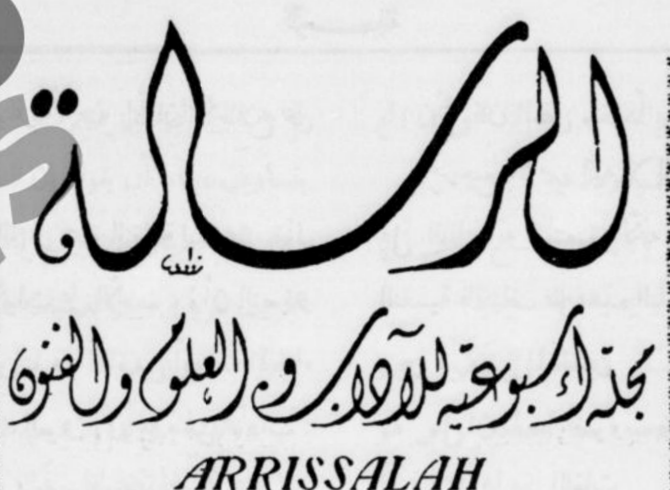
عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 503 — Lundi - 22 - 2 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٥٠٣ «القاهرة في يوم الإثنين ١٧ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهــرس

نحو من النحو!

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... نعلم ما كتبتموه عن العلاقة بين كبرياء المتنبي وولعه بالتصغير في الهجاء ، وإنه أكثر ما يُرى مصغراً حين يهجو مغيظاً محنقاً أو يستخف متعالياً محتقراً كما يقول عن كويفير والخويدم والنويبية والأحيمق والأعيّر والشويعر وأهيل الزمان وأهيل العصر إلى آخر هذه الأمثلة التي أكثرتم من ضربها وقلتم « إنه إذا لم يصغر المهجو باللفظ صغره بالمعنى ، فكان أعداؤه اللئام عنده شيئاً قليلاً كما قال :

يؤذى القليل من اللئام بطبعه   من لا يقل كما يقل ويلؤم

وإنه قد يلعب بهذا الإحساس الماثل في نفسه على الدوام لعب المرء بعادة مغروسة فيه فيتخذ منه نكتة نحوية كقوله على ذكر ابني عضد الدولة :

وكان ابنا عدو كاثراه   له ياءى حروف أنيسيان

يريد أن يقول : إذا كاثر العدو عضد الدولة بابنين كابنيه فجعل الله ابني العدو كياءين تضافان إلى كلمة إنسان فتزيدانه في عدد الحروف وتنقصانه في القدر

ثم قلتم : وهذا غير غريب من رجل شديد الإحساس

بالصغر واعتاد التصغير باللفظ وعرف عنه إدمان الاطلاع على كتب النحو »

« وقد اطلعنا أخيراً على مقالة فى مجلة الثقافة لبعضهم يقول فيها : إن هذا من طغيان النفسانيات على الأدب ، وأن التصغير فى شعر المتنبى لم يكن لتكبره وإنما هو أداة من أدوات الهجاء يعرفها شعراء هذا الفن فى الأدب العربى وفى غيره من الآداب : أداة لصيقة بفن أدبى بذاته لا وليدة لطبيعة نفسية عند من يستخدمها ، وليست هناك رابطة تلازم بين التكبر والتصغير حتى ولا فى شعر المتنبى نفسه لأنه قد يستخدمه للتعظيم كما قال :

أحاد أم سداس فى أحاد لييلتنا المنوطــة بالتنادى

إلى آخر ما جاء فى مقالة الثقافة

فهل لكم أن تدلوا برأيكم فى تعقيب الكاتب لأنه تفسير لرأيكم وفيه بيان لمسألة من مسائل النفسيات والأدب ؟ ... الخ »

محمد جابر

***

والذى نراه فى التعقيب الذى أشار إليه الأديب أن استعمال التصغير للتعظيم لا يبطل استعماله للتحقير ، وأن صيغة التصغير ليست أداة لصيقة بكل هجاء كما جاء فى مقال الكاتب بمجلة الثقافة ، فلا يزال استخدام المتنبى هذه الصيغة بتلك الكثرة التى لم تعهد فى شعر غيره أمراً يرجع إلى خلائقه الشخصية ويرجع البحث فيه إلى النفسيات التى لا انفصال بينها وبين الأدب ، لأن الأدب قبل كل شىء تعبير عن شعور ، وليس أولى من النفسيات بالبحث فى كل شعور

فليست صيغة التصغير أداة لصيقة بالهجاء ، ولم نرها قط بهذه الكثرة فى أشعار الهجائين المنقطعين لهذا الباب أو المشهورين به قبل سائر الأبواب

والمتنبى لم يكن من شعراء الهجاء المشهورين به فى اللغة العربية ، وإنما اشتهر به شعراء آخرون كالحطيئة وجرير والفرزدق ودعبل وابن الرومى على التخصيص

فلم لم يكثر التصغير فى أشعار هؤلاء الهجائين ؟

ولم كان المتنبى منفرداً بهذا الإكثار ؟

مرجع الأمر إليه لا إلى الهجاء ، وأقرب شىء أن يخطر على البال أنه استصغر لأنه تكبر ، وأنه صبغ هجاءه بصبغته النفسية فاختلف من هذه الناحية لأنها هى ناحية الاختلاف بينه وبين غيره من الهجائين

على أن الهجاء ضروب وليس بضرب واحد فى اللغة العربية أو فيما عداها من اللغات

ومرجع الأمر فى تعدد ضروبه إلى تعدد النفوس وتعدد الأمزجة وتعدد الشعور الذى يشعر به الهاجى نحو من يهجوه

فهناك هجاء الرجل الوضيع المهين

وهناك هجاء الرجل المتكبر العزيز

وهناك هجاء الرجل المهذب الشريف

وهناك هجاء المتوقح البذىء

وهناك هجاء التهكم والسخرية ، وهجاء العنف واللدد ، وهجاء النقد وهجاء الإيذاء

ومناط التفرقة بينها هو النفسيات وما تشمله من فوارق الحس والعاطفة ، وليس المرجع فيها إلى باب فى علم النحو يتكلم على مواضع التصغير

وأعجب شىء يقال هو أن المتنبى لم يستصغر المهجوين ولم يكثر من التصغير لأنه متكبر ، بل أكثر منه لسبب آخر ... ثم لا يدرى أحد ما هو ذلك السبب الآخر ؟

لم يمتنع الاستصغار بسبب التكبر ؟ ولم لا يكون التكبر سبباً للاستصغار ؟ أى عجب فى ذلك ؟ بل أى مخالفة فيه للمعقول والمعهود ! بل أى شىء أقرب منه إلى الفهم والتعليل ؟

أيمتنع هـذا القول لأنه من النفسيات وكل ما كان من النفسيات فهو ممنوع غير مقبول ؟

أيمتنع لأن قراراً مجهولاً لا نعرف نحن مصدره قضى بمنعه وتحريمه وإقصائه من عالم الفرض والتقدير ؟

إننا لا ننفى أن المتنبى كان متكبراً مطبوعاً على الكبرياء ، ولا ننفى أن المتكبر مطبوع على أن يستصغر الناس ، ولا ننفى

أن صيغة التصغير تستعمل للتصغير والتحقير ، فلماذا ننفى أن ولع المتنبي بالتصغير مرجعه إلى طبيعة الكبرياء فيه ؟

لماذا ؟ للنفسيات التي يسمع باسمها من يسمع فيظن أنها حجاب حائل بين المتنبي والاستصغار بصيغة التصغير ؟

أما أن المتنبي قد استعمل التصغير للتعظيم والتكبير ، فهو إذا صح لا يمنع أن التصغير يستخدم أيضاً للتصغير ، بل هو الأصل والتعظيم مجاز عارض عليه

يقول أحد إنني رأيت الملمات فى أيدى الفقراء ، فيجىء سامع بالنفسيات — أو قل سامع بالاقتصاديات — فيقول : كلا . كلا . هذا بعيد ! هذا غير معقول ! هذا إقحام للاقتصاديات فى شئون الحس والعيان ! لأننى رأيت بعينى الملمات فى خزانة المصرف الكبير ، وفى خزانة الغنى المظيم !

كلام ظريف !

نعم ظريف كذلك الكلام الذى يبطل باب التصغير للتصغير جملة واحدة لأن التصغير قد استعمل حيناً فى معنى التكبير ... !

* * *

على أن البيت الذى قيل إن المتنبي خالف به هذه السنة لا يدل بمعنى من معانيه على أنه قد نسى فيه الكبرياء أو نسى عادة الاستصغار

فهو يقول فى وصف الليلة التى ضاق بها :

أحاد أم سداس فى أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادى

ومن الميسور أن يلحظ القارئ لهجة التأفف فى تصغيره تلك الليلة المبرمة ، كأنه يستكبر أن يعروه الضيق من ذلك الشىء الصغير ، وإن لج به المطال

وهبه مع ذلك كان ينوى التعظيم والتقديس لتلك الليلة المبرمة ولا ينوى أن يتأفف منها ويستكثر عليها أن تبرمه وتثقل عليه ، فهل كلمة فى قصيدة واحدة تبطل عشرين كلمة فى عشرين قصيدة ! ؟ وهل يحصل كل هذا لأجل خاطر « النفسيات » قدس الله سرها وبارك فى عمرها !

ولقد كان كثيراً من كاتب المقال الذى أشار إليه الأديب صاحب الخطاب أن يزعم أن التحقير والتكبير فى صيغة التصغير يتساويان ، فأما أن يقول إن التحقير هو الممتنع الذى لا يعقل ، وأن الاستصغار من جانب المتكبر المطبوع على الكبرياء هو الغريب المريب فتلك نفسيات لله درها من نفسيات ! ! وفنون حماها الله من فنون !!

وما نشك فى أن الأديب « محمد جابر » رجل يريد أن يضحك ولا يريد في الحقيقة تفسيراً لما هو غنى عن التفسير ؛ فإن لم يجد شبعه من الضحك فى طراز تلك النفسيات ومعرض تلك الفنون فغاية ما عندى من القول أن المتنبي رحمه الله لم يشرفني بأمانة سره ، ولم يطلعني على دخائل صدره ، فإذا كان قد ذكر لبعضهم أنه لم يولع بالتصغير لقصد التصغير فهو وذمته فيما ادعاه ، وللأديب عليه اليمين الحاسمة إن تردد فى قبول دعواه ! . أما نحن فغاية ما نعلمه أن المتنبي كان رجلاً متكبراً ، وأن المتكبر يستصغر الناس فلا عجب أن يولع بصيغة التصغير . وهذا حسبنا وحسب القارئ فيما زعمناه

عباس محمود العقاد

القـــوة الفردية
هى أساس القوة الاجتماعية

[رسالة مهداة إلى معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية]

للدكتور زكى مبارك

فى العام الأسبق نشرتُ مقالات عن الفقراء والأغنياء تقوم على أساس القول بأن الفقر مرض ولكل مرض أسباب ، وأن الغنى عافية ولكل عافية أسباب

وقد قوبلت تلك المقالات بالاستنكار من كل جانب، وعدّها الناس تحاملاً على الفقراء، وتلطفاً مع الأغنياء ، مع أنى كتبتها لوجه الله والحق ، ولم يكن هناك باعث غير الرغبة الصحيحة فى عرض آراء قد اقتنعت بصحتها كل الاقتناع

ثم مرت شهور طوال وأنا أفكر فى أسباب غضب الجمهور على تلك المقالات ، فلم أجدها ترجع إلا إلى سبب واحد : هو مجاراة النزعة الموروثة فى الترفق بالفقراء ، والغض من أقدار الأغنياء ، فقد مرّت أزمان والناس لا يقرأون غير كلمات معسولة فى الدعوة إلى الرأفة والرحمة والبر والحنان فيما يتصل بمعاملة الفقراء ، وكلمات مسمومة فى إنذار الأغنياء بعواقب الحرص على كنز الأموال

وأقول إن هذه الألوان الكلامية كانت تليق بزمان غير هذا الزمان ، يوم كانت الكلمة اللطيفة تنفع الفقير بعض النفع لما فيها من المواساة ، ويوم كانت الكلمة القاسية تصدُّ الغنىّ عن المبالغة فى طلب الجاه والمال

أما اليوم فقد تغيرت مذاهب الحياة أشد التغير ، ولم يبق للكلام المعسول أى قيمة فى مواساة الفقراء ، ولم يعد للكلام المسموم أى وزن فى تقويم الأغنياء

نحن فى زمن الحقائق ، وليس للكاتب المرائى فى هذا الزمن مكان .

نحن فى زمن الحقائق ، والحقائق تنطق بأن الفقر مرض ، وأن الغنى عافية . والمريض الذى لا يبحث عن أسباب مرضه ليتجنبها هو مريض فى طريق الموت

يجب أن نقنع كل فرد بأن الغنى طوع يديه إن أراد

يجب أن نقنع كل فرد بأن الوصول إلى الرزق ليس من المشكلات ، فجهاد ساعتين اثنتين من كل يوم يكفى للظفر بالزاد الذى يغنى عن سؤال الناس

وميادين الحياة فى كل أرض تتسع للعيش ، العيش الذى يُطلَب بالعمل لا بالسؤال

إن الفقر هو انعدام الرزق ، والغنى هو وجود الرزق

أقول هـذا لأدفع وهماً من أسخف الأوهام ، وهو الوهم الذى يقول كاذباً بأن الأغنياء هم الذين يملكون القصور والبساتين ، وأن الفقراء هم الذين لا يملكون قصوراً ولا بساتين

العامل الذى يكسب خمسة قروش فى اليوم ليدخل على أهله فى المساء ومعه القوت الحلال من الخبز والبصل والفول هو من كبار الأغنياء

والخادم الذى يصدُق فى بيت مخدومه ويقدّم لأهله فى كل شهر عشرات القروش هو من كبار الأغنياء

الغِنَى الحق هو انعدام الاحتياج إلى الصدقات ، فما تجوز الصدقة إلى على من يُحرَم القدرة على الكسب الشريف

ومن قال غير هذا القول فهو كاتب يتملق المجتمع ويطمع فى شهرة محرّمة ، والشهرة كالرزق فيها حرام وحلال

إن التباكى أو البكاء لن ينفع الفقراء بشىء ، ولو جُمعتْ دموع الباكين من الكتّاب والشعراء والخطباء لكانت أقل من أن تملأ كوباً ينقع غلة فقير ظمآن

أدباؤنا لن يؤدوا رسالتهم الاجتماعية إلا يوم يستطيعون إقناع الكنّاس بأنه يؤدى مهمة وطنية

لو كان فى مصر أدبٌ اجتماعىٌّ صادق لكان من ثماره أن يتغنى الكنّاس بفضل مكنسته وهى من أظهر شواهد المدنية

ولكن الكناس يجد من أدباء مصر من يبكي على مصيره بكاء التماسيح

الغبار يؤذى الرئتين فيورث السل

كذلك قال الأطباء

فهل سمعتم أن كناساً مات بالسل ؟

إن الله يحمى الكناسين ، لأنهم يؤدون خدمة عمومية ، ولم يبق إلا أن يفهم الكناسون هذا المعنى ، ليدركوا أنهم جنود جندهم الوطن لخدمة الإنسانية

وقد طال تباكى الأدباء على الفلاحين ، فهل فى أدبائنا من يفهم أن الفلاحين فى غنى عن تباكيهم المصطنع ؟

قالوا إن الفلاح يبيت مع الجاموسة فى حظيرة واحدة ، وفاتهم أن المبيت مع الجاموسة أطهر وأشرف من المبيت فى غرفة مفروشة بأحد المنازل التى يعرفها المتأنقون من أدباء هذا الجيل الظريف ! !

إن حياة الفلاح فى صحبة مواشيه حياة تفيض بالروح والوجدان ، فهو ينظر إلى مواشيه برفق يعادل نظره إلى أبنائه الأعزاء ، وهو يسهر حول حظيرة ثوره حين يمرض ، كما يسهر حول فراش ابنه حين يمرض ، وهو لا يسمح بذبح ماشية مريضة إلا طاعة لعقيدة توحى إليه أن من الإساءة للحيوان الأليف أن يموت موت « الفطيس » وكذلك تكون المسارعة إلى ذبح الحيوان المريض باباً من التكريم ، لا ضرباً من الاستغلال

على هذا النحو من الفهم كانت الحياة فى الريف ، فقد رأيت ناساً يسهرون ومعهم مصباح حول ثور مريض ، كأنهم يتوهمون أن المصباح يؤنسه بعض الإيناس . وتلك صورة تشهد بصدق الفطرة المصرية فى إدراك منافع الطير والحيوان

والذى يفهم الريف حق الفهم يدرك السبب فى عبادة المصريين القدماء للأنعام ، وهذه العبادة فهمت على غير وجهها الصحيح . فما كان الغرض أن يكون البقر آلهة يُعبَدون من دون الله ؛ وإنما كان الغرض أن يكون تقديس البقر نوعاً من صيانة النعمة الربانية ، على نحو ما يصنع الفلاح المسلم حين يكره ترك فتات الخبز فى الطريق ، لأنه يرى من كفر النعمة أن تداس بقايا الخبز بالأقدام

إن البقرة والثور من العناصر الأصيلة فى الثروة المصرية ، ومن أجل هذا المعنى كانت هاتور وكان أبيس من المعبودات فى زمن الفراعين . وعن مصر أُخِذت عبادة البقر فى الأقطار الهندية ، وتلك وثنية تستحق العطف ، إذا فكرنا فى سببها الصحيح

وقد حدثنى سعادة الأستاذ طه الراوى أن الحجاج كان يحرّم ذبح البقر ، وأنشد أبياتاً قالها العراقيون فى السخرية من هذا التحريم ، فممن أخذ الحجاج ذلك البدع الطريف ؟

هل أخذه عن مصر ؟ هل أخذه عن الهند ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما استوحى المنافع الحقيقية للبقر فى بناء العمران

ونحن فى هذا العهد نسرف فى أكل اللحوم إسرافاً يحمل الحكومة على تقييد بيع اللحوم ، وإن تمادينا على هذه الحال فستزول المعانى الشعرية التى يحسها الفلاح فى رعاية مواشيه ، وسيمسى الفلاح وهو آلة فى أيدى الجزارين !

فهل يجوز بعد هذا الكلام أن يتمادى الكتاب المتحذلقون فى تعيير الفلاح بأنه ينام فى حظائر الأبقار والجواميس ؟

إن لله حكمة فى أن يجعل لنا أصدقاء نافعين من الطير والحيوان ، أصدقاء لا يطالبون بشىء ، ولا يثورون على الحرمان !

كان أحد ملوك فرنسا يقول إن الذى يهمنى أن يعم الرخاء بحيث يجد كل فرنسى دجاجة لمائدة يوم الأحد ... والرخاء عندى أن يكون فى دار كل فلاح بقرة أو جاموسة ، فمتى نذيع هذا المعنى بأقلامنا ؟ ومتى نترك تعييره بمصاحبة المواشى ؟

كانت بيوت المياسير من أهل القاهرة تشتمل على حظيرة للأنعام ، وكان هذا يلاحظ فى تخطيط البيوت ، فهل ترجع هذه النزعة السليمة ، ولو فى البيوت التى تقام فى الضواحى ؟

وكان الفرن ملحوظاً فى كل بيت ، ثم تمدّنا فكانت العاقبة أن نعانى ذم الخبازين !

وكانت أكثر البيوت فى القاهرة تنتظر زادها « الصابح » من خيرات الريف يوم كان للقاهريين صلات بالريف ، وقد انقطعت تلك الصلات بفضل التمدن الحديث

أما بعد فأين أنا مما أريد ؟

أنا أدعو إلى تقوية الذاتية فى كل فرد ، وإلى تمجيد كل مهنة ، وإلى احترام كل جهاد فى سبيل الرزق الحلال .

أنا أدعو العمال الذين ينقلون الأحجار إلى الفرح برؤية المبانى الشواهق ، لأن لهم يداً فى رفع البناء .

وأدعو الكناسين إلى الفرح برؤية الأصحاء ، لأن لهم يداً

فى دفع ما يحمل الغبار من أوباء . وأدعو عمال المطابع إلى الفرح بنهضة مصر العلمية ، لأن لهم يداً فى إبراز نفائس المؤلفات

الحياة الطيبة هى الحياة التى يسودها الرضا والابتهاج ، وفى مقدور كل فرد أن يحيا هذه الحياة ، لو سكت الكتّاب المتحذلقون فلم يبغّضوا الحياة إلى الأحياء

هل تتوهمون أن السعادة لا تكون إلا من نصيب من يرتادون الملاهى أو يملكون البيوت والسيارات والفدادين ؟

لو عرف الفلاح المجاهد فى سبيل القوت أنه يُغنى أمته قبل أن يغتنى لشعر بسعادة تفوق الوصف . ولو عرف الخادم أنه يساعد بأمانته على تجميل الحياة لأدرك أنه من السعداء

هل توجد فى الدنيا مهنة حقيرة ؟ لا ، وإنما يوجد فى الدنيا حقراء ، وهم الذين يريدون أكل العيش بلا جهاد .

ثم أما بعد فهذا درس فى الأخلاق التى نرجو أن تسود فى هذا الجيل وهو درسٌ أوحته القصة الآتية :

كنت أسير فى أحد البلاد ومعي رجلٌ متعلم له وظيفة ملحوظة فى الريف ، فرأينا جماعة من الفلاحين يجاهدون فى نقل « عدّة وابور » مياه ، فتنهد ذلك المتعلم وقال : أُنظُر كيف يشقى الفلاحون !

ثم بالغ فى التنهد إلى أن خِيفت على عينيه من الدمع

عند ذلك قلت : ومن ينقل هذه « العدّة » إذا تخلى عنها هؤلاء الرجال الأشداء ؟

فقال : هذه الحكومة تسمى نفسها حكومة الشعب ، ومع ذلك لا تحمى هؤلاء المساكين من هذه الأثقال

فقلت : وهل ترى من واجب حكومة الشعب أن تحمى الشعب من الجهاد فى سبيل الحياة ؟

وطالت اللجاجة بينى وبين ذلك « المتعلم » ، وانتهى الأمر بأن زاد اقتناعه بأنى عدو الفلاحين

لو كان ذلك المتعلم من أرباب الأذواق لوجد فى ذلك المنظر فرصة لنظم قصيدة يمجّد بها النشاط المصرى ، النشاط الموروث عن الآباء والأجداد ، فالفلاحون المصريون هم أقوى الفلاحين فى الدنيا بلا استثناء ، ولو اشتركوا فى مصارعة دولية لكانوا الفائزين .

ما العيب فى أن يعانى الفلاحون عرق الجبين ؟

وما العيب فى أن لا يعرفوا غير الفؤوس والمحاريث ؟

وما العيب فى أن يمشوا حفاة الأقدام ؟

وما العيب فى أن يكونوا شُعثاً لا زينة لهم غير كرم النفوس ؟

هل تعرفون السعادة التى يشعر بها الفلاح وهو يوصى أهله بأن يوقظوه قبل الشروق ليدرك صلاة الصبح ؟

هل تدركون فرح الفلاح بقدوم شهر الصيام ؟

كان فى مصر فِلاحة وكان فيها فلاحون ، واليوم عرفتْ مصرُ أو عرف بعض كتابها أن حياة الفلاح بؤس فى بؤس ، وأن الواجب تنبيهه إلى ما خفى عليه من الشقاء والعناء

أنا عدوّ الفلاح ، ولكن أى فلاح ؟

أنا عدو الفلاح الذى يصدّق ما يسمع أو ما يقرأ فى التهوين من شأن الريف

أنا عدو من يجهل نعمة الله عليه ، والله قد أغدق نعمه على جميع الأحياء ، فمتى نشكر الله على نعمه السوابغ ؟ ومتى نعرف أننا لم نوفه حقه من الثناء ؟

زكى مبارك

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

عصرها :

عاشت السيدة سُكينة فى القرن الأول الهجرى وهو القرن الذى تمخضت فيه « طيبة » بحوادث عظام وحروب كبرى وانقلاب فى السياسة والدين والعلم والأدب والفن : منها شع نور الإسلام على العالم وأضاء سبل الهداية ؛ ومنها خرجت جيوش الخلفاء الراشدين وفتحت الأمصار ؛ وإليها جاءت الوفود تعرض إسلامها وولاءها ؛ وفيها انصبت كنوز القياصرة والأكاسرة فأثرى أهلها بعد فقر ونعموا بعد شظف العيش .

فيها تطاحنت أحزاب قريش على الخلافة وفاز الحزب الأموى وخضع لهم الناس رغبة فى عطائهم أو رهبة من سيوفهم . واقتضت سياسة الأمويين أن تقصر شباب قريش فى مكة والمدينة وأن تغدق عليهم العطايا الكثيرة لتشغلهم فى نعيم الدنيا ولذاتها وتبعدهم عن مناصب الحكم .

اجتمع فى فتيان قريش الشباب والفراغ والجدة ؛ فكان الهوى والأمل المنشود ؛ وكان الغزل الأباحى العفيف ، وكانت مجالس الأنس والطرب ، وكان الصيد والقنص ، وكانت حلقات الأدب تعقد فى وادى العقيق ومنتزهات المدينة ، وحول الغدران . وتحت النخيل . وحتى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكنت ترى ابن أبى ربيعة قد جلس تحت أثيل العقيق وقد اجتمع حوله نسوة وهو يداعبهن وينشدهن أشعاره ويستمع إلى حديثهن ، ويخالسهن النظرات . وهن يتوددن إليه فإذا ما وقعت إحداهن فى عينه فقد قارن . ذلك لأنه سيتغزل بها ويشهرها فى شعره الذى يقال فى المدينة فلا يلبث أن يصل إلى خراسان . ومنية كل فتاة أن تستميل هذا الشاعر أو غيره ممن نهج طريقته فتعده وتمنيه ليقول فيها شعراً تباهى بها أترابها بأنها قد خلبت قلبه وملكت هواه . وحتى الأميرات وبنات الطبقة الأرستقراطية فإنهن كن يبذلن الأموال لمن يأتيهن بشعر قاله أحد الشعراء فيهن . وكان الشعراء أنفسهم يتغزلون بكل شريفة أو أميرة لا يريدون بذلك إثماً ولا نكراً وإنما يذهبون مذهب المدح والدعابة . وقد حجت بنت لعبد الملك بن مروان ورغبت أن يقول فيها ابن أبى ربيعة شعراً ، ورغب هو كذلك ولكنه خشى بطش الحجاج . ولما همت بالرجوع قالت « قدمنا مكة فأقمنا أشهراً فما استطاع الفاسق ابن أبى ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلهو بها فى سفرنا هذا » وبلغ عمر ذلك فقال قصيدته التى أولها :

راع الفؤادَ تفرقُ الأحباب يوم الرحيل فهاج لى أطرابى

ولما حلت إليها أعطت لحاملها فى كل بيت عشرة دنانير .

وهذا الغزل الإباحى العفيف انتشر فى الحجاز وخاصة فى المدينة فترنم به الشبان . وغنت به القيان . وأنشده الكهول . واهتز له الشيوخ والزهاد . فابن عباس وهو من نعلم علمه وزهده وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من ابن أبى ربيعة شعره فى المسجد الحرام ويهتز له .

وساعد هذا الترف على ظهور الغناء فى المدينة وانتشاره بين معظم الشعب ؛ فكانت المدينة مهد الغناء ، لأن الحياة المرحة التى كان يحياها أهل المدينة تستدعى اللهو والطرب . ووجد بالمدينة فى هذا العصر عشرات المغنين والمغنيات من الذين برعوا فى هذه الصناعة وتفننوا فى ألحانهم ، وأحدثوا ألحاناً جديدة لم تكن معلومة عند العرب كما استعملوا آلات الطرب والمعازف كالعود والبربط والقضيب والمزهر والدف . وكانت المغنية « جميلة » تعلم الفتيات هذا الفن ودارها أشبه ما يكون بمدرسة فنون يتخرج منها عشاق الفن والطرب

وترى فقهاء المدينة يتساهلون فى تحليل الغناء بعكس فقهاء الشام والعراق . ولم يبق منهم شريف ولا دنىء يتحاشى عنه حتى الصحابة والزهاد فإنهم كانوا يعجبهم الغناء ويهتزون له . كان حسان بن ثابت إذا سمع عزة الميلاء يبكى . وكان أبو السائب

المخزومى يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان مع هذا ينحرف عن محرابه ويسمع غناء ابن سريج ثم يعود لصلاته . وهذا عطاء ابن أبى رباح الذى هو من أعلم أهل المدينة وأزهدهم كان يسمع الغناء ويهتز له . وقد حُكّم بين الغريض وابن سُرَيْج فحكم للثانى . ومر بالأوقص المخزومى قاضى المدينة سكران وهو يتغنى بليل فأشرف عليه وقال : « يا هذا أتيت حراماً ، وأيقظت نياماً ، وغنيت خطأ . خذه عنى » وأصلح له الغناء

وظرف عباد أهل الحجاز مما يضرب به المثل ، وكانوا لا يرون فى الحب بأساً إذا لم تكن فيه ريبة . وبلغ من ظرفهم أن أبا السائب المخزومى تعلق يوماً بأستار الكعبة وأخذ يقول : اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة عليهم يا أرحم الراحمين » . فقال له رجل : يا أبا السائب أفى المقام تقول هذا المقال ؟ ! فقال له : « إليك عنى ! الدعاء لهم أفضل من حجة بعمرة »

بجانب هذا كله نجد فى المدينة حركة علمية قوية لا نجدها فى غيرها من البلدان ؛ ذلك لأنها مهبط الوحى الثانى بها نزل التشريع وبها عقدت مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر الصحابة الكرام الإقامة بها . وقام فيها العبادلة وأحبار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ـ فلا عجب إذا رأينا المدينة تصبح قبلة العلماء ومحط طلاب الفقه والتفسير والحديث والمغازى . فما من فقيه أو محدث أو طالب للأجناد إلا وتراه يقصد مدينة الرسول الأعظم ليتصل بصحابته وينال بغيته

وإذا ما دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هالك ما تجده من الحلقات المنتشرة فى فنائه الواسع . هذه هى حلقة قد تصدرها أحد الصحابة الكرام يشرح للناس ما سمعه عن الرسول ، ويفسر لهم آى الذكر الحكيم . وهناك حلقة أخرى توسطها أحد الذين اشتركوا فى فتح العراق وهو يقص عليهم أيام القادسية ونهاوند وما أفاضه الله على عباده المؤمنين من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة . وهكذا قل عن بقية الحلقات فزخرت المدينة بالفقهاء ورواة الحديث وطلاب السير والمغازى

وتمتعت المرأة الحجازية بحرية واسعة فى هذا العصر : شاركت الرجل فى الحفلات العامة والحلقات العلمية والأدبية وحضرت مجالس الأنس والطرب وارتادت متنزهات المدينة . ومنهن من أضرت بهن هذه الحرية فأسأن استعمالها وأسففن وتبذلن، بل فُقن الرجال فى الخلاعة والمجون . يتمثل لنا هذا فى وادى العقيق وحلقات المغنين ومجالس المخنثين واجتماعات الشعراء . حتى أن بعضهن شاركن الرجل فى التغنى وركوب الخيل « فقد كانت أم سعيد الإسلمية وبنت ليحى بن الحكم بن أبى العاص من أمجن النساء ؛ كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليها حتى تبدو خلاخليهن »

على أنه ظهر فتيات من الطبقة الأرستقراطية مثلن الفضيلة والعفاف والشرف بأجلى مظاهرها . يتجلى لنا هذا فى السيدات سكينة بنت الحسين وعقيلة بنت عقيل بن أبى طالب وعائشة بنت طلحة وغيرهن كثير

فسكينة بنت الحسين كانت المثل الأعلى فى العفاف والنبل والشرف والحشمة والوقار يحضر ببابها الشعراء والفقهاء ورواة الحديث والعلماء والزهاد حتى المغنون والمضحكون ، فتأذن لمن تشاء منهم فيدخلون صالتها المعدة للاستقبال وتعقد مجالس العلم والأدب فى دارها وتشارك هى فى تلك المجالس من وراء ستار . وقلما كان يخلو دارها من شعراء يطلبون صلتها ، أو رواة يحتكمون إليها ، أو علماء يتجادلون بحضرتها ، أو فقهاء يأخذون عنها . أو أشعب يضحكها أو مغنى يطربها . وهكذا شاركت الشعب فى أفراحه وأتراحه وترفعت عن تبذله وخلاعته .

فى هذا العصر الحافل بحسناته وسيئاته تألق نجم السيدة سكينة فى عالم العلم والأدب والفن .

(يتبع) سعيد الديوه جى
بالموصل

حكم فى القضية ٦٨ سنة ١٩٤٣ عسكرية مصر الجديدة بحبس عبدالرحمن عبد الرحمن على ثلاثة شهور بالشغل ونشر الحكم على نفقته فى جريدتين وتعليقه على محله والقسم ستة شهور وغلق محله ثلاثة أيام والمصادرة لبيعه فحماً بأزيد من السعر المحدد له

حركة الإصلاح وحديث عيسى بن هشام

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

نشرت لى الرسالة الغراء كلمة فى « حديث عيسى بن هشام » تناولت فيها أسلوبه ومنزلته القصصية ، ثم بدا لى رأى فى هذا الكتاب آثرت أن أكتبه ، علّ الطلبة المتسابقين يجدون فيه قبل الامتحان ما يهديهم إلى فهم المقصود من الكتاب .

حركة الإصلاح

استطاع الغربيون فى القرن التاسع عشر أن يثبتوا أقدامهم فى أقطار الشرق : يبسطون سلطانهم السياسى فى كثير منها ويتذرعون فى بعضها بالتبشير وإنشاء المدارس ويعالجون التجارة فى أقطار أخرى . وقد حملوا إلى كل هذه الأقطار فيما حملوا ألوانا من العادات والتقاليد والأخلاق وضروباً من المدنية والحضارة لم يشهدها الشرق من قبل . فانقسم الشرقيون حيال هذا الجديد الطارىء فريقين : فريقاً يتحفظ ويتصون ويرى الوقوف عند القديم الذى شوهته العصور المظلمة وأذهب بهاءه الجمود الطويل ، وفريقاً آخر قد فتنته المدنية الغربية وما فيها ، فاندفع فى تيارها على غير هدى وبصيرة فأصاب منها ما لا يغنى ولا يفيد وأساء إلى تقاليده وأخلاقه

رأى المصلحون هذه الحال فلم يعجبهم هذا الجمود المزرى ولم يرقهم هذا الاندفاع المقيت فقاموا بحركة للاصلاح ، قوامها التجديد فى حدود المعقول الذى لا يتنافى مع روح الدين ومبادئه وأصوله وغاياته ، والوقوف فى وجه الفوضى التى أوشكت أن تقضى على كل قديم جليل . وكان أول مجاهر بهذا الإصلاح زعيم الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ، فقد دعا إلى مبادئه فى بلاده والهند والحجاز وتركيا ، ووصل إلى مصر عام سنة ١٨٧١ مبيناً مناهجه الإصلاحى فلاقى من المفكرين قبولاً ، ورأوا فيه المنقذ للشرق والهادى إلى طريق الصواب

رأوا فى آرائه ثورة على العلماء الجامدين الذين أساءوا إلى الدين بجمودهم حتى جعلوه فى معزل عن الحياة العامة ، وثورة سياسية تدعو إلى إشراك الشعب فى الحكم إشراكا يظهر أثره ، وثورة أخرى تنتظم نواحى الأخلاق والاجتماع والأدب ؛ فقد دعا إلى الاقتداء بالسلف فى أخلاقهم ومبادئهم ، وأراد من الأدب العربى أن يكون أداة لنشر الأفكار والعلوم لا ألفاظاً جوفاء تقوم على الزخارف اللفظية والحُلَى الكلامية ولا تحمل من المعانى قليلاً ولا كثيراً . ولم تلبث هذه المبادىء السامية أن وجدت من المصريين أعواناً عرفوا قدرها وأذاعوا بها : فكان منهم المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصلح الدينى الكبير . وكان منهم من جاهر بالدعوة السياسية فى كتابته وشعره وطالب بالدستور ، وتألفت جماعات لبعث الكتب القديمة ، وكان من هذه الجماعات جماعة تألفت سنة ١٨٩٨ ، وكان من أعضائها حسن باشا عاصم ، وأحمد بك تيمور ، وعلى بك بهجت ، وغيرهم . وإنما فعلوا ذلك ليُطلعوا المتأدبين على طراز قوى من الأدب يغنيهم عن تقليب النظر فى الضعيف الساقط من المنثور والمنظوم . وقام دعاة الإصلاح الاجتماعى ممن تَقِفوا مبادىء جمال الدين يعلنون آراءهم للناس فى صدق ويقين

حديث عيسى بن هشام

كان لرجال الإصلاح الدينى كالشيخ محمد عبده ومن سار على طريقة آراء نافذة فى الإصلاح الاجتماعى ظهرت فى كتاباتهم ودعوتهم ، إلا أن رسالتهم الدينية شغلتهم بعض الشىء عن التفرغ لنواحى المجتمع فنهض بها غيرهم نهضة قوية وكان منهم محمد المويلحى فى كتابه « حديث عيسى بن هشام »

ولم يقتصر المويلحى على المجتمع والأخلاق بل تناول أموراً أخرى تتصل بهما وتؤثر فيهما تأثيراً كبيراً أو قليلاً وهى السياسة والدين والأدب ولكنه لم يمعن فى هذه النواحى لأنه يعلم أن لها رجالاً يقومون بها .

وبعد فهل سرى روح جمال الدين إلى المويلحى وهل أثر فيه التأثير الذى جعله يتجه هذا الاتجاه ؟ !

لقد كان جمال الدين مدرسة تخرج فيها كل من شهد الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وكان محمد المويلحي من هؤلاء ولعلك تستطيع أن تدرك هذا الارتباط المتين من رسالة . « جمال الدين » فى صدر « حديث عيسى بن هشام » فقد وافق ما بهذا الكتاب مبادئ جمال الدين التى يدعو إليها وأصابت كتابات المويلحي هوى فى نفسه فقرظه هذا التقريظ البليغ .

ونحن إذا تلمسنا هذا الارتباط فى كتابة المويلحي وجدناه بيناً ظاهراً ، فهو يرى أن فساد المجتمع راجع إلى تقليد المصريين للأجانب تقليداً أعمى وتهالكهم على التظاهر بمظاهر الغرب ، ويقول إنهم قد أساءوا إلى أخلاقهم وعاداتهم ونظمهم حين لجئوا إلى هذا التقليد :

١ — ذلك لأنهم استنوا بهذا التقليد سُنَناً جديدة ضارة لم تكن معروفة من قبل فى مصر كالانتحار .

٢ — وهم كذلك أساءوا التقليد فنقلوا عن الغرب مفاسد قد قيدها الغرب بقيود فجعلوها هم مباحة لا قيد فيها ولا شرط كالقمار والبغاء والخمور .

٣ — وهم تعلقوا بالمظاهر الكاذبة فى التقليد، وتركوا المهم من مدنية الغربيين . وفى هذا يقول : « فأصبحوا فى الضلال يعمهون وفى البهتان يتسكعون ، واكتفوا بهذا الطلاء الزائل من المدنية الغربية »

٤ — ولقد كان هذا التقليد سبباً فى تركهم العادات الكريمة المتوارثة عن الأجداد والأسلاف فهو يقول : « ونبذوا ما كان عليه أسلافهم من الحق ظهرياً ، فانهدم الأساس ووهت الأركان وانقض البنيان وتقطعت بهم الأسباب فأصبحوا فى الضلال يعمهون وفى البهتان يتسكعون »

٥ — على أن هذا النقل كان مخالفاً لطبيعة البيئات والأجناس فإن ما يصلح للغرب قد لا يصلح للشرق ، وما يراه الغربيون أمراً مألوفاً نراه نحن أمراً منكراً لتقاليدنا وأمزجتنا وما توارثناه عن السلف من عادات وآداب ، والمويلحي يضرب لذلك مثلاً التمثيل المنقول عن الغرب بزمته وأشخاصه وأصوله : « ولن تخلو قصة من قصصهم التى يمثلونها عن ذكر العشق والغرام وما من رواية لهم إلا والعاشقان يكونان فيها كالفاتحة والخاتمة لها ، وهو وإن كان مقبولاً عند الغربيين مسموحاً به لموافقة العادة عندهم ، ولكونه شيئاً لا عيب فيه يجهر به فتياتهم وفتيانهم بل هو أصل من أصول التزاوج بينهم قضت به رطوبة الإقليم وطبيعة الحال إلى ما يهيج الشعور ويثير ثائرة الخيال لكنه غير مقبول عند الشرقيين ولا مسموح به فى عاداتهم ... »

هذه هي الأسباب التى يعزو إليها المويلحي فساد المجتمع والأخلاق وهى كما ترى ما أشار إليه جمال الدين وتردد على ألسنة المصلحين . ولم يبق بعد هذا إلا أن نشير إلى الإصلاح الأدبى والدينى فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » ليتضح للقارئ الارتباط المتين بين دعوة جمال الدين ودعوة المويلحي .

لم يكن المويلحي من علماء الدين وإنما كان من الأدباء المصلحين الذين وجهوا أكبر جهودهم إلى المجتمع والأخلاق ، فهو إذا كتب فى الدين كتب ليحارب الجمود دون تعمق فى التفصيلات ؛ وهو إذا انتقد العلماء أراد من وراء هذا النقد توجيههم إلى الاشتراك فى الحياة العامة ليتحقق صلاح المجتمع والأخلاق .

فهو يرمى فى كتابه طوائف من الناس بالاستهتار وضعف العقيدة فيقول على لسان حفيد الباشا « لست أسمع لهذا الكذب والخرف وليس لى اليوم من جد ولا والد ، ولا أنا ممن يصدق حديث البعث فى الآخرة فكيف برجوع الموتى فى الدنيا »

أما الخرافات التى علقت بالأذهان فهو يلم بها إلماماً فى سياق حديثه عن كبراء العصر الماضى . وقد جلس أحد العلماء ينسب إلى السيد عبد القادر الكيلانى إحياء الغريق كما ينسب إليه أن الله قد وعده بأن من ينظر إليه يوم الجمعه يكون ولياً مقرباً ، وإذا نظر إلى التراب يكون ذهباً إلى آخر ما ورد فى هذه القصة . ونحن نعلم علم اليقين أن المويلحي قصد بهذه القصة إظهار ما ران على الدين وأصوله ومبادئه من خرافات يجب الإقلاع عنها والبعد عن التعلق بأمثالها لأنها تبعد عن روح الدين ورسالته

وهو يرجو من الدين أن يصلح لكل حياة وأن يكون دافعاً إلى إصلاح المجتمع وعاملاً من عوامل الخير والسيادة الإنسانية ، فإن اقتصر الدين على النسك والعبادة ، واتكل الناس على أعمالهم

التعبدية التي يقومون بها غافلين عن فعل الخير وتقديم المعونة للبشر كان آلياً لاخير فيه لصلاح الناس. وفى الكتاب ما يشير إلى ذلك على لسان الباشا فهو يقول: « وقد غرتنى فى دنياى من مثل هذا الشيخ ما يهوّن علىّ ارتكاب المخزيات وفضائح الشرور فى معاملة الناس ارتكاناً على نهار أصومه وليل أقومه ... فنمت عن عمل الخير وغفلت عن بذل المعروف »

فلعلك تدرك بعد هذا أن المويلحى له دعوة دينية قوامها التمشى مع المدنية والبعد عن الخرافات وخدمة الإنسانية. وهذه الدعوة هى غاية جمال الدين، وهى ما قام به الشيخ محمد عبده

أما الأدب فإن المويلحى يرى أنه لا يرتقى ولا تسمو عبارته ولا تجود معانيه إلا إذا اتصل الأدباء بالتراث العربى القديم يقلبون فى عباراته البليغة وأساليبه الرصينة. ويرى أنه لا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بنشر الكتب القديمة وطبعها حتى تكون فى متناول الناس جميعاً، ويعجب من بقاء الكتب المخطوطة فى المكتبة العامة بعيدة عن أيدى الناس قائلاً إن هذا يعرضها للتلف ويفوت الغرض منها ويجعل النفع بها محدوداً؛ وهو يشتط فى هذا الرأى فيقول: « أى نفع وفائدة للأمة المصرية الإسلامية فى أن تنشر بين يديها رمم الفراعنة فى الأنتكخانة، وتقبر أرواح العلماء والحكماء فى الكتبخانة ». وهذا الكلام وإن أجراه المويلحى على لسان أحد الأشخاص إلا أن المتتبع لكلامه فى هذا الصدد يعلم إيمانه بهذا الكلام

ولم ينس المويلحى الثقافة الحديثة وأثرها فى الأديب فهو يقول فى عزلة الباشا عن الناس: « وعكفت مع الباشا فى عزلتنا أذهب به كل مذهب، وأنتقل به من مطلب إلى مطلب فى مطالعة الأشعار والكتب من تاريخ وأدب ومن حكم متينة قويمة وشتى علوم حديثة وقديمة »

وغاية المويلحى من كل هذا أن يتصل الأدباء بالأدب العربى القديم لأنه منبع لكل بارع وفاخر من الأساليب، وأن ينالوا من الثقافة الحديثة حظاً كبيراً لأنهم فى حاجة إلى هذه الثقافة التى تمدهم بالأفكار والمعانى؛ ثم هو لا يعجبه رصف الألفاظ الجوفاء التى لا تحمل معنى قيماً. ولذلك ساق فى حفلة العرس خطبة وقصيدة ليبين نوعاً من الأدب التافه شعره ونثره. وقد عقب عليهما ساخراً بقوله: « ثم انتهينا بحمد الله من الشاعر بعد الخطيب

وهذه الدعوة الأدبية هى دعوة جمال الدين ومن سار على نهجه من بعده. وقد استطاع المويلحى بلباقته الأدبية القصصية أن يضمن كتابه هذه النواحى الإصلاحية فى أسلوب شائق جذاب يستهوى الناس. ولم ينس أن يذكر ما كان لدعاة الإصلاح وزعماء النهضة من فضل عليه فهو يقول فى إهداء كتابه: « وأهديه إلى أرواح المرحومين الأديب الوالد، والحكيم جمال الدين، والعالم محمد عبده، واللغوى الشنقيطى، والشاعر البارودى ... أولئك الذين أنعم الله عليهم وأولئك الذين تأدبت تأدبهم وأخذت عنهم »

(الفيوم) **أحمد أبو بكر ابراهيم**

رسالة الجاحظ

في مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

الجاحظ أمة في الأدب وحده، وعالم محقق لا يسبر له غور أو يدرك لاتساع فطنته مدى. وهو إلى جانب موسوعاته التي كشفت عن غزارة ذهنه ورحابة عقله، قد ترك لنا مجموعة رسائل يمكن أن نعدّها في باب الموجزات بالقياس إلى تصانيفه التي يطول فيها استطراده وتتسع منادح تفكيره

ولكن إيجازه في هذه الرسائل غير مقصر بها ولا مخلّ؛ إذ تعالج كل منها موضوعاً قائماً بنفسه في إحاطة لا تترك وراءها فراغاً أو نقصاً، واستيعاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. ومن هذه الرسائل رسالة عنوانها: في مناقب الترك وعامة جند الخلافة[1]

وإنها لآية من آيات الجاحظ؛ تقفنا من تفكيره على صورة جميلة، وترسم لنا خطوطاً واضحة المعالم لبعض وجوه تصرفه في الكتابة والتصنيف.

وهو يبدو في هذه الرسالة عظيم الاحتفاء بشئون السياسة على عهده، قويّ المساهمة، بقلمه وبذهنه، في خدمة قضية يراها جديرة بأن يعمل لها ويسعى في سبيلها.

وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى الفتح بن خاقان صاحب المتوكل ونديمه المصطفى في حياته، والذي قاسمه مصرعه الرهيب فيما بعد على يد المنتصر ابنه وولي عهده ...

على أن الرسالة لم تكتب في ذلك العهد، وإنما كتبت أيامَ المعتصم ثامن خلفاء بني العباس؛ ولم يتهيأ للجاحظ أن يُبْلغها إليه فبقيت حبيسة طيلة عهده، ثم مدة الواثق من بعده، حتى تهيأ لها الظهور أخيراً في أيام المتوكل. والجاحظ نفسه يشير إلى هذه الحقيقة كما سنرى ذلك فيما بعد. ولكن الذي يعنينا الآن هو التحقق من بواعث تحرير هذه الرسالة، ثم النظر في أسباب احتباسها طيلة هذه الفترة حتى ظهرت في عهد المتوكل. وما من ريب في أنه كان للعوامل السياسية أثر قوي في كل هذا فما الذي دفع الجاحظ أولاً إلى كتابة هذه الرسالة؟

لقد تولى المعتصم الخلافة بعد أخيه المأمون، وكان مثله ممن يقدر النبوغ ويحتفل بالمواهب حيثما ظهرت، فانفسح مجال التفوق في دولته أمام العناصر غير العربية. على أن نزعة المأمون كانت علمية كما هو معروف؛ أما المعتصم فكان شجاعاً باسلاً رب سيف ورمح، لا قلم ولا كتاب. كان «الخليفة الأمي» كما وصف نفسه في كثير من الصدق، ولكنه تفرد إلى جانب ذلك بصفات سامية في البأس والشجاعة؛ فكان فارس بني العباس المعلم، وأضرب رجال دولتهم في البطولة بسهم

ولقد استكثر من غلمان الأتراك في جيشه ليتقوى بهم على الخراسانية الذين نهضت على أكتافهم دولة المأمون، واستقدم كثيراً من أبناء فرغانة وأشروسنة ليستعز ببأسهم على من كانت تموج بهم بغداد من مختلف طوائف الجند بين عرب وأبناء[1] وموال وخرسانيين

وما نشك في أن الجاحظ كتب رسالته على هذا العهد متشيعاً بذلك للخليفة وحزبه. ولقد كان الجاحظ أديباً موهوباً محظوظاً، وقل في الأدباء من يجمع بين هاتين الفضيلتين. كان يحب أن يستفيد، ثم هو يعرف كيف يستفيد؛ ولكن تطور الأمور ألجأه — برغمه — إلى أن يحبس رسالته حتى حين، إذ كان التنافس قد اشتد وقتئذ بين هذه الطوائف المختلفة في أجناسها وجِبِلّاتها، المتباينة في أطماعها وفي أهوائها. وتطورت الحال إلى أكثر من هذا؛ إلى اصطدام دموي عنيف، وفتنة هوجاء جامحة، حيكت فيها الدسائس الخفية والظاهرة، ودبرت الاغتيالات المحقة والمبطلة، فطاحت رؤوس، وأهدرت دماء، وهاجت أوشاب من العامة بإيعاز من رؤوساء الأجناد، وائتمرت الطوائف جميعاً بالأتراك الذين خصهم الخليفة بإيثاره، وبوأهم رفيع المناصب في دواوين حكومته وثكنات عسكره

(١) يسميها ياقوت: كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك أنظر ترجمة الجاحظ ج ١٦ ص ١٠٧ من معجم الأدباء

(١) الأبناء قوم من العجم كانوا يسكنون بلاد اليمن، ويرجع أول عهدهم بها إلى عام ٥٧٦ م حين استنجد سيف بن ذي يزن الحميري بكسرى أنوشروان ضد غزاة بلاده من الحبش، فأرسل معه «وهرز» على رأس جيش احتل به صنعاء وطرد الأحباش. وقد بقيت للفرس السيطرة على هذه البلاد حتى ظهر الإسلام واعتنقه أهلها عام ٦٣٢ م (١٠ هـ)

وينبغي هنا أن نشير إلى بعض الوقائع الثابتة لتمثل الحالة التى سادت البلاد فى ذلك العهد تمثيلاً أقرب إلى الوضوح

١ — كان الأفشين[١] من أشهر قواد المعتصم الأتراك ، وقد أبلى البلاء الأعظم فى الحروب التى اشترك فيها دفاعاً عن حوزة الخلافة ، وبسطاً لسلطان الدولة فى عصرى المأمون والمعتصم . ولكنه لم يكن مع ذلك خالى النفس من كراهية العرب ، والتسخُّط على منافسيه من أفرادهم وأعيانهم . ولقد كان حسده للقائد العربى أبى دُلَف (القاسم بن عيسى العجلى) أمراً مشهوراً ؛ حتى لأشهد عليه مرة بجناية وقتل ، وأزمع أن يقتص منه ، لولا أن بادر أحمد بن أبى دُوَاد[٢] كاتب المعتصم ومشيره فأدركه قبل نفوذ الأمر فيه ؛ وأنذر الأفشين أن بصيبه بسوء ، ثم رفع القصة إلى الخليفة ، فاستحسن صنيعه فى المبادرة بإنقاذ أبى دلف ، وعنف الأفشين على ما كان قد وطد العزم عليه . . . ولم يلبث هـذا القائد — وهو من هو ضراوة وسوء معتقَد — أن حاول الاستقلال بمسقط رأسه أشروسنة ، فانكشف أمره على يد عبد الله بن طاهر الأمير العربى فى خراسان وكان فى ذلك مهلكه ونهاية شأنه . ونذكر هنا بعض ما قاله أبو تمام من قصيدة يسجل فيها حادث إحراق الأفشين وصلبه :

ما كان لولا قبح غدرة (حيدر) ليكون فى الإسلام عامُ (فجار)
ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى
ناراً يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرتَ شِقَ إزار
مشبوبة رُفعت لأعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للسارى
صلى لها حيًّا وكان وقودَها ميتاً ، ويدخلها مع الفجار

٢ — كان عجيف بن عنبسة من قواد الأتراك الناقين على المعتصم بعض تصرفه ـ ورضى الناس جميعاً غاية لا تدرك ـ وكان قد صحبه فى حصار عمورية (عام ٢٢٣ هـ) . وهناك أوغر صدر العباس بن المأمون حتى أطمعه فى قتل عمه . ودخل معه فى ذلك جماعة ممن انطوت نفوسهم على الكيد للمعتصم وتربُّص الشر به . ولكن الخليفة اطلع على سر هذا التدبير ، فقتل عجيفا ومن مالأه ؛ وحبس العباس ابن أخيه حتى مات من وطأة الضر وفرط الأذى . . .

٣ — ومن تدابير الكيد فى ذلك العهد ما أوغر به القوم صدر المعتصم على خالد بن يزيد الشيبانى أحدِ ولاته من العرب حتى أزاله عن ولايته وطالبه بأموال جسيمة ؛ فلم يجد من يشد أزره فى هذه المحنة إلا أحمد بن أبى دواد[١] الذى شفع له عند المعتصم حتى عفا عنه ، وخلع عليه وأعفاه مما كان قد أمره به من الخروج منتفياً إلى الحجاز .

وفى هذا يقول أبو تمام أيضاً من قصيدة يمدح بها خالداً ويهنئه :

سيل طَمى لو لم يذُدْهُ ذائدٌ لتبطحتْ أُولاهُ بالبطحاء
وغدت بطون منًى مُعَنًى من سيْبه وغدت حِراً منـه ظهور حِراء
وتعرَّفتْ عرفاتُ زاخره ولم يُخصَص كَداء منه بالإكداء
ولطاب مرتبعٌ بطيبةَ واكتستْ بُردَيْن : بردَ ثرًى وبرد ثراء
لا يُحرَمِ الحرمان خيراً ! إنهم حُرِموا به نوءاً من الأنواء . . .

تعد هذه الحوادث ـ وغيرها كثير ـ من عوامل نشوب الفتنة التى أشرنا إليها آنفاً ؛ لأن هذا التحرش بين الترك من ناحية ، والعرب والخراسانيين وسائر الموتورين من ناحية أخرى ، لم يلبث أن تحول إلى اصطدام عنيف تكررت فيه حوادث العدوان فى طرقات بغداد ، واضطرب معه حبل الأمن فى أرجائها ؛ حتى لم يجد الخليفة بدًّا من أن ينهض بجنده المختار إلى عاصمته الجديدة سُر من رأى ، ليحسم بذلك وجه النزاع ويهدِّئ من سورات النفوس . . . فى مثل هذه الظروف لم يكن يتيسر للجاحظ

---

(١) هو حيدر بن كاوس من أبناء ملوك أشروسنة ، والأفشين لقب لهم . أما أشروسنة فهى كورة فيما وراء النهر ، بين فرغانة وسمرقند

(٢) فى كتاب « إبهام الأعلام » للمرحوم محمود مصطفى : « يقول ابن خلكان دواد بضم الدال وفتح الواو . وفى القاموس المحيط فى مادة « دود » وأحمد بن دواد معروف . ومن هذا يظهر لك خطأ من يهمز الواو ، وقد وقع فى ذلك كثير » اهـ .

(١) يقول المرحوم الخضرى بك فى محاضراته : كان فى ابن أبى دواد عصبية عربية ، ولعل هذا أفاد العرب وحفظ لهم شيئاً من مقامهم فى عهد المعتصم الذى جعل القوة كلها لغلمان الأتراك ، الذين استكثر منهم ومن قوادهم . . .

رسالة الجاحظ

في مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

الجاحظ أمة في الأدب وحده ، وعالم محقق لا يسبر له غور أو يدرك لاتساع فطنته مدى . وهو إلى جانب موسوعاته التي كشفت عن غزارة ذهنه ورحابة عقله ، قد ترك لنا مجموعة رسائل يمكن أن نعدّها في باب الموجزات بالقياس إلى تصانيفه التي يطول فيها استطراده وتتسع منادح تفكيره

ولكن إيجازه في هذه الرسائل غير مقصر بها ولا مخلّ ؛ إذ تعالج كل منها موضوعاً قائماً بنفسه في إحاطة لا تترك وراءها فراغاً أو نقصاً، واستيعاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ومن هذه الرسائل رسالة عنوانها : في مناقب الترك وعامة جند الخلافة[1]

وإنها لآية من آيات الجاحظ ؛ تقفنا من تفكيره على صورة جيلة ، وترسم لنا خطوطاً واضحة المعالم لبعض وجوه تصرفه في الكتابة والتصنيف .

وهو يبدو في هذه الرسالة عظيم الاحتفاء بشئون السياسة على عهده ، قويّ المساهمة ، بقلمه وبذهنه ، في خدمة قضية يراها جديرة بأن يعمل لها ويسعى في سبيلها .

وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى الفتح بن خاقان صاحب المتوكل ونديمه المصطفى في حياته ، والذي قاسمه مصرعه الرهيب فيما بعد على يد المنتصر ابنه وولي عهده ...

على أن الرسالة لم تكتب في ذلك العهد ، وإنما كتبت أيامَ المعتصم ثامن خلفاء بني العباس ؛ ولم يتهيأ للجاحظ أن يُبْلغها إليه فبقيت حبيسة طيلة عهده ، ثم مدة الواثق من بعده ، حتى تهيأ لها الظهور أخيراً في أيام المتوكل . والجاحظ نفسه يشير إلى هذه الحقيقة كما سنرى ذلك فيما بعد . ولكن الذي يعنينا الآن هو التحقق من بواعث تحرير هذه الرسالة ، ثم النظر في أسباب احتباسها طيلة هذه الفترة حتى ظهرت في عهد المتوكل . وما من ريب في أنه كان للعوامل السياسية أثر قوي في كل هذا فما الذي دفع الجاحظ أولاً إلى كتابة هذه الرسالة ؟

لقد تولى المعتصم الخلافة بعد أخيه المأمون ، وكان مثله ممن يقدر النبوغ ويحتفل بالمواهب حيثما ظهرت ، فانفسح مجال التفوق في دولته أمام العناصر غير العربية . على أن نزعة المأمون كانت علمية كما هو معروف ؛ أما المعتصم فكان شجاعاً باسلاً رب سيف ورمح ، لا قلم ولا كتاب . كان «الخليفة الأمي» كما وصف نفسه في كثير من الصدق ، ولكنه تفرد إلى جانب ذلك بصفات سامية في البأس والشجاعة ؛ فكان فارس بني العباس العلم ، وأضرب رجال دولتهم في البطولة بسهم

ولقد استكثر من غلمان الأتراك في جيشه ليتقوى بهم على الخراسانية الذين نهضت على أكتافهم دولة المأمون ، واستقدم كثيراً من أبناء فرغانة وأشروسنة ليستعز ببأسهم على من كانت تموج بهم بغداد من مختلف طوائف الجند بين عرب وأبناء[1] وموال وخرسانيين

وما نشك في أن الجاحظ كتب رسالته على هذا العهد متشيعاً بذلك للخليفة وحزبه . ولقد كان الجاحظ أديباً موهوباً محظوظاً ، وقل في الأدباء من يجمع بين هاتين الفضيلتين . كان يحب أن يستفيد ، ثم هو يعرف كيف يستفيد ؛ ولكن تطور الأمور ألجأه — برغمه — إلى أن يحبس رسالته حتى حين ، إذ كان التنافس قد اشتد وقتئذ بين هذه الطوائف المختلفة في أجناسها وجبلّاتها ، المتباينة في أطماعها وفي أهوائها . وتطورت الحال إلى أكثر من هذا ؛ إلى اصطدام دموي عنيف ، وفتنة هوجاء جامحة ، حيكت فيها الدسائس الخفية والظاهرة ، ودبرت الاغتيالات المحقة والمبطلة ، فطاحت رؤوس ، وأهدرت دماء ، وهاجت أوشاب من العامة بإيعاز من رؤوساء الأجناد ، وائتمرت الطوائف جميعاً بالأتراك الذين خصهم الخليفة بإيثاره ، وبوأهم رفيع المناصب في دواوين حكومته وتكنات عسكره

---

(١) يسميها ياقوت : كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك أنظر ترجمة الجاحظ ج ١٦ ص ١٠٧ من معجم الأدباء

(١) الأبناء قوم من العجم كانوا يسكنون بلاد اليمن ، ويرجع أول عهدهم بها إلى عام ٥٧٦م حين استنجد سيف بن ذي يزن الحميري بكسرى أنوشروان ضد غزاة بلاده من الحبش ، فأرسل معه « وهرز » على رأس جيش احتل به صنعاء وطرد الأحباش . وقد بقيت للفرس السيطرة على هذه البلاد حتى ظهر الاسلام واعتنقه أهلها عام ٦٣٢م (١٠هـ)

وينبغي هنا أن نشير إلى بعض الوقائع الثابتة لتمثل الحالة التي سادت البلاد في ذلك العهد تمثيلاً أقرب إلى الوضوح

١ — كان الأفشين[1] من أشهر قواد المعتصم الأتراك، وقد أبلى البلاء الأعظم في الحروب التي اشترك فيها دفاعاً عن حوزة الخلافة، وبسطاً لسلطان الدولة في عصرى المأمون والمعتصم. ولكنه لم يكن مع ذلك خالي النفس من كراهية العرب، والتسخُّط على منافسيه من أفرادهم وأعيانهم. ولقد كان حسده للقائد العربي أبي دُلَف (القاسم بن عيسى العجلي) أمراً مشهوراً؛ حتى لا تُشهد عليه مرة بجناية وقتل، وأزمع أن يقتص منه، لولا أن بادر أحمد بن أبي دُوَاد[2] كاتب المعتصم ومشيره فأدركه قبل نفوذ الأمر فيه؛ وأنذر الأفشين أن يصيبه بسوء، ثم رفع القصة إلى الخليفة، فاستحسن صنيعه في المبادرة بإنقاذ أبي دلف، وعنف الأفشين على ما كان قد وطد العزم عليه . . . ولم يلبث هذا القائد — وهو من هو ضراوة وسوء معتقَد — أن حاول الاستقلال بمسقط رأسه أشروسنة، فانكشف أمره على يد عبد الله بن طاهر الأمير العربي في خراسان وكان في ذلك مهلكه ونهاية شأنه. ونذكر هنا بعض ما قاله أبو تمام من قصيدة يسجل فيها حادث إحراق الأفشين وصلبه:

ما كان لولا قبح غدرة (حيدر) ليكون في الإسلام عامُ (فجار)
ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى
ناراً يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شِق إزار
مشبوبة رُفعت لأعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للسارى
صلى لها حيًّا وكان وقودها ميتاً، ويدخلها مع الفجار

٢ — كان عجيف بن عنبسة من قواد الأتراك الناقمين على المعتصم بعض تصرفه — ورضى الناس جميعاً غاية لا تدرك — وكان قد صحبه في حصار عمورية (عام ٢٢٣ هـ). وهناك أوغر صدر العباس بن المأمون حتى أطمعه في قتل عمه. ودخل معه في ذلك جماعة ممن انطوت نفوسهم على الكيد للمعتصم وتربُّص الشرِّ به. ولكن الخليفة اطلع على سر هذا التدبير، فقتل عجيفا ومن مالأه؛ وحبس العباس ابن أخيه حتى مات من وطأة القهر وفرط الأذى . . .

٣ — ومن تدابير الكيد في ذلك العهد ما أوغر به القوم صدر المعتصم على خالد بن يزيد الشيباني أحدِ ولاته من العرب حتى أزاله عن ولايته وطالبه بأموال جسيمة؛ فلم يجد من يشد أزره في هذه المحنة إلا أحمد بن أبي دواد[1] الذي شفع له عند المعتصم حتى عفا عنه، وخلع عليه وأعفاه مما كان قد أمره به من الخروج منتفياً إلى الحجاز.

وفي هذا يقول أبو تمام أيضاً من قصيدة يمدح بها خالداً ويهنئه:

سيل طَمَى لو لم يذُدْهُ ذائدٌ لتبطحتْ أولاهُ بالبطحاء
وغدت بطون منًى مُنًى من سَيْبه وغدت حِراً منه ظهور حِراء
وتعرَّفت عرفاتُ زاخره ولم يُخصص كَداءُ منه بالإكداء
ولطاب مرتبعٌ بطيبةَ واكتستْ بُردَين: بُردَ ثرًى وبرد ثراء
لا يُحرَمِ الحرمانُ خيراً! إنهم حُرموا به نوءاً من الأنواء . . .

تعد هذه الحوادث — وغيرها كثير — من عوامل نشوب الفتنة التي أشرنا إليها آنفاً؛ لأن هذا التحرش بين الترك من ناحية، والعرب والخراسانيين وسائر الموتورين من ناحية أخرى، لم يلبث أن تحول إلى اصطدام عنيف تكررت فيه حوادث العدوان في طرقات بغداد، واضطرب معه حبل الأمن في أرجائها؛ حتى لم يجد الخليفة بدًّا من أن ينهض بجنده المختار إلى عاصمته الجديدة سُر من رأى، ليحسم بذلك وجه النزاع ويهدِّئ من سورات النفوس . . . في مثل هذه الظروف لم يكن يتيسر للجاحظ

(١) هو حيدر بن كاوس من أبناء ملوك أشروسنة، والأفشين لقب لهم. أما أشروسنة فهي كورة فيما وراء النهر، بين فرغانة وسمرقند

(٢) في كتاب «إبهام الأعلام» للمرحوم محمود مصطفى: «يقول ابن خلكان دواد بضم الدال وفتح الواو. وفي القاموس المحيط في مادة «دود» وأحمد بن دواد معروف. ومن هذا يظهر لك خطأ من يهمز الواو، وقد وقع في ذلك كثير» اهـ.

(١) يقول المرحوم الخضري بك في محاضراته: كان في ابن أبي دواد عصبية عربية، ولعل هذا أفاد العرب وحفظ لهم شيئاً من مقامهم في عهد المعتصم الذي جعل القوة كلها لغلمان الأتراك، الذين استكثر منهم ومن قوادهم . . .

لماذا لا أثق
بأقوال النحاة ولا اللغويين
للأب أنستاس ماري الكرملي

١ — تصدير

إني لا أثق « دائماً » بكل ما ينطق به النحاة ولا اللغويون ولو كانوا أدلاء أجلاء، بل أعرضه على محك النقد والتحقيق، وتدقيق النظر فيه، فإن أظهر المحك صدق إبرزهم، وافقت عليه وقيدته عندى بكل فخر وإجلال، واعتبار وإكبار، وإلا نبذته نبذ النواة، أو نبذ آراء المشعوذين النحاة الهواة. وذلك لأن الإنسان، محل النسيان، ولأن الجواد قد يكبو، والسيف قد ينبو. وما العصمة والكمال، إلا لرب الجلال

ولهذا ترانى لا أثق إلا بما ينقله السلف إلينا من أقوال المحققين الأقدمين، كما قلت مراراً لا تحصى. وأمثلة ما قد أخطأوا القول فيه أكثر من أن يعد، ولا تسعه مجلة موقوتة، لأن ما جمعته يقع فى مجلد ضخم « لا تهضمه معدة مجلة » لثقله عليها، ولثقله أيضاً على معد قرائها الكرام الأجلاء

وأنا أذكر هنا بعض الشيء، بمنزلة ما أذهب إليه من كلامى الذى عنوت به مقالى هذا

٢ — ورود فعلى جمعا لأكثر من لفظين

أنقل هنا ما جاء فى تاج العروس فى مادة (ظ ر ب) حرفاً بحرف، قال: « نقل شيخنا عن أبى حيان: ليس لنا جمع على فعلى، بالكسر، غير هذين اللفظين [ظِربى وحِجلى] ويقال: أن أبا الطيب المتنبى لقى أبا على الفارسى، فقال له: كم لنا من الجموع على فعلى، بالكسر؟ - فقال أبو الطيب بديهة: حجلى وظربى، لا ثالث لهما

فما زال أبو على يبحث: هل يستدرك عليه ثالثة وكان رمداً فلم يمكن له ذلك، حتى قيل إنه مع كثرة المراجعة، ورمد عينيه، آل به الأمر إلى ضعف بصره. ويقال إنه عمى بسبب ذلك، والله أعلم

ثم قال: وهى من الغرائب الدالة على معرفة أبى الطيب وسعة اطلاعه. انتهى كلام الشارح على الحجلى: اسم للجمع »

قلنا: الجمع لفظة تشمل الجمع بصيغه المختلفة، واسم الجمع وشبه الجمع: والظاهر أن الذين جاؤوا بعد أبى الطيب وأبى على الفارسى لم يجدوا فى كلام العرب جمعاً، ولا اسم جمع، ولا شبه جمع على فعلى، بكسر الأول. أفهذا صحيح؟

أن يقدم رسالته فى « مناقب الترك » وإن كان هذا لا ينفى احتمال وجود أسباب أخرى حالت دون تقديمها؛ مما قد يشير إليه قولُ الجاحظ فى مفتتح رسالته: « هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله — رضى الله تعالى عنه ونضر وجهه — فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحها، فلذلك لم أعرض للاخبار عنها ... ».

... أخيراً توفى المعتصم عام ٢٢٧هـ وتولى بعده ابنه أبو جعفر هرون الواثق بالله؛ وكانت النفوس وقتئذ ما تزال ثائرة، ومظاهر الأحوال لم تتغير إلى الحد الذى يبيح للجاحظ أن يقدم على ما كان عنه من قبل محجما.

وإذا افترضنا زوال الأسباب القديمة، فإن الفرصة لم تكن تعرض، والمناسبة التى يلائمها إظهار رسالة فى مدح الترك وإبراز مفاخرهم لم تكن تعنّ؛ والجاحظ يعلم أن لكل مقام مقالاً، وأن الكلمة من شعر أو نثر تفقد أكثر قيمتها إذا هي برزت فى غير موضعها أو ظهرت دون مناسبتها. وتلك حقيقة يتحراها أكثر الأدباء قديماً وحديثاً فى عرض إنتاجهم؛ وإنها لأدل على صدق الأدب وصحة الاستلهام، وأدعى إلى قوة التأثر وبلاغة التأثير معاً. وما (أدب المناسبات) إلا صورة صادقة من الأدب الحى يعجز عنه جماعة المقحمين ممن لا تواتيهم قرائحهم فى كل حين، فينبزون أصحابه بلقب النُّسَّاخ أو النظامين؛ وفرقُ ما بين الطائفتين تيقظُ بديهة أو غفوتها، واستجابة خاطر أو استعصاؤه ...

(للمقال بقية) محمود عزت عرفة

قال نحر اللغويين المتأخرين ، وإمام أئمتهم ، الشيخ محمد محمود الشنقيطي ، في حاشية له على المخصص ٨ : ١٥٦ ما هذا نصه بحروفه :

« قلت : قول علي بن سيدة : الحجلى الخ خلاف الأصح ؛ وقلده فيه من قلده . والأصح أن فِعلى بالكسر من أبنية الجمع النادرة ، ولم يسمع منها إلا لفظتان ، وهما : الحِجلى هذه والظربى جمع الظربان . ونظمهما شيخ شيوخ مشايخنا المختار ابن بون في احمراره ذيل الألفية ، حيث قال رحمه الله تعالى :

فِعلى بما أجمع ظربان حجل ، وليس باسم الجمع في القول الأجل

ومن الدليل على ذلك الحكاية المحفوظة المروية عن سيف الدولة . روى عنه أنه سأل ليلة أصحاب سمره ، وفيهما المتنبي فقال لهم : كم من جمع لنا على فعلى ؟ — فأجابه المتنبي في الحال بقوله : حجلي وظربى ، وكان في مجلسه ذلك العلماء والأدباء والشعراء ، وفيهم أبو علي الفارسيّ ، فلم يزد واحد منهم لفظة تثلثهما .

« وبعد انتهاء المسامرة ، ذهب أبو علي إلى بيته ، وسهر يطالع كتب اللغة والعربية ، فلم يجد لهما ثالثة ، فبسبب ذلك كان يتعجب من حفظ المتنبي لغة العرب ، وتبحُّره فيها

« قلت : وجد الدماميني بعد قرون لفظة ثالثة وهي : مِعزى جمع معز ، ونظمها أستاذنا وشيخنا عبد الوهاب جَدُود بقوله :

وثالث اللفظين لفظ يَعْزَى ، إلى الدماميني وهو مِعْزَى

انتهى وكتبه راويه حافظهُ محقّقه محمد محمود لطف الله تعالى به . آمين . » انتهي

أقول وأنا صاحب هذا المقال : ويزاد على الثلاثة المتقدم ذكرها ستة أخر وهي :

الأول : العِرقى جمع عِرقاة . قال في المخصص (١٥ : ١٨٧) : والعِرْقى جمع عِرقاة . من قولهم : إستأصل الله عرقاتهم . عن الفارسيّ ، ولم يحكها غيره . » اهـ . قلنا : وكفى بالفارسي حجة ثبتاً ؛ مع أننا رأينا أنه طالع كتب اللغة فلم يعثر على مثال ثالث على فِعلى ، فيكون وجده بعد بحثه الأول عنه .

الثاني : قال الجوهري : العِمق ، بكسر العين ، شجر بالحجاز وتهامة . كذا يرى في النسخة المطبوعة في بولاق . وفي أربع نسخ خطية قديمة عندنا ، وإحداها منقولة عن نسخة المؤلف نفسه . وكلها تذكر هذه الكلمات : العمق بالكسر شجر بالحجاز وتهامة ، ولم نقل واحدة : « شجرة » فالعِمق إذا شبه جمع ، أو جمع على تعبير النحاة واللغويين ، فيكون واحدها عمقاة .

الثالث : قال الفارسي : العِفرى جمع عفراة . وأنشد عن ابن دريد : إذا صعد الدهر إلى عفراته

(عن المخصَّص ١٥ : ١٨٧)

الرابع : جاء في لسان العرب في مادة (صحن) : « الأزهري الصحِناة ، بوزن فِعلاة ، إذا ذهبت عنها الهاء دخلها التنوين ، وتجمع على الصِّحْنا (هكذا كتبت بألف قائمة) والذي في المخصص : الصِّحْنى ، بألف قاعدة وبطرح الهاء .

الخامس : ذِفرى وهي جمع ذِفراة ، وهي العظم الثاني خلف الأذن (المخصص ١٥ : ١٨٩)

السادس : الشِّيْزى . قالوا : شجر تعمل منه الجفان ، ولم يذكروا لها واحداً . ومنهم من قال : واحدها الشيز . والعلم عند الله .

٣ — الخلاصة :

جاءت تسعة ألفاظ على (فِعلى) المكسورة الأول ، وهي : الحِجلى ، والظربى ، والمعزى ، والعرقي ، والعِمْقي ، والعفرى ، والصحنى ، والذفرى ، والشيزى . ولعل هناك غيرها ونحن نجهلها . فنطلب من القراء أن يوافونا بها ، ولهم منا الشكر سلفاً .

القسم الثاني — فُعَلَى

قال الشارح في رسم (أرب) : « الأُرَبى » بفتح الراء والموحدة ، مع ضم أوله ، مقصوراً ، هكذا ضبطهُ ابن مالك ، وأبو حيَّان ، وابن هشام : الداهية . أنشد الجوهري لابن أحمر :

فلما غشى ليلى وأيقنتُ أنها ، هي الأُرَبى جازت بأم حبوى

قلت : وهي كشُعَبَى ، وأُرَمى ، ولا رابع لهـا . » انتهى .

قلنا : شُعَبَى : إسم موضع .

ونزيد على ذلك أن لهن أخوات أخر منها :

وهى الرابعة : الأُرَنَى ، بهمزة فراء ، فنون فألف . وهو حبّ بقل يطرح فى اللبن ، فيثخنه ويجبنه . ويقال للرجل : إنت كالأربى .

والخامسة : وهى أُدَمى ، بهمزة ودال مهملة فلام فألف وهو موضع . وقيل : الأُدمى ، حجارة فى أرض بنى قُشَيْر .

والسادسة : جُنَفَى وهى اسم موضع ، بجيم فنون ففاء فألف

والسابعة : الُجمَبى وهى بجيم وعين مهملة فباء موحدة تحتية فألف ، وجمعها الُجعَب والُجعَبات ، وهى عظام النمل اللائى يمضضن ، ولها أفواه واسعة .

والثامنة : تُوَمي ، بتاء مثناة فواو فميم فألف . قال المجد فى قاموسه : وتوى كأربي . موضع فى الجزيرة . وذكرهُ ياقوت بصورة توَما بالتحريك : موضع بالجزيرة . عن نصر . اهـ فيجوز لك أن تختار إحدى اللغتين ، لأن كلا من المجد وياقوت حجة ثبت .

والتاسعة : بُشرَى ، وهى على ما فى ياقوت كبشرى لكنى سمعتها من شيخى الجليل السيد محمود شكرى الألوسى كأُربى ، وترى مضبوطة فى القاموس .

والعاشرة ، تلّ بُوَنَى بباء مضمومة فواو مفتوحة فنون مفتوحة فألف . وسمعتها من شيخى الألوسى كأُربى . أما الشارح فقد قال : تل بونى كشورى قرية بالكوفة . هكذا فى النسخ ، والصواب فيه بُوَنَّا ، بضم الباء وفتح الواو وتشديد النون ، كما ضبطه نصر رحمه الله تعالى ، وهى ناحية بسواد العراق قريب الكوفة » اهـ . وفى ياقوت : « تل بَوَنَّا بفتحتين وتشديد النون ، من قرى الكوفة . قال مالك بن أسماء الفزارى :

حبذا ليلتى بتـــل بَوَنَّـا حيث نُسقى شرابنا ونُغَنَّى

ومررنا بنسوةٍ عطراتٍ وسماعٍ وقَرْقَفٍ فنزلنا

حينما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنَّا جُنِنَّا

حدثنا ابن كناسة أن عمر لما لقى مالكاً ، استنشده شيئاً من شعره ، فأنشده . فقال له عمر : ما أحسن شعرك لولا أسمع قرى تذكرها فيه[1] فقال : مثل ماذا ؟ . قال : مثل قولك :

أشهدتِنى أم كنت غائبة فى ليلتى بحديثةِ القسبِ

ومثل قولك :

حبذا ليلتى بتـــلّ بَوَنَّا حيث نُسقى شرابنا ونُغَنَّى

فقال مالك : هى قرى البلد الذى أنا فيه ، وهى مثل ما تذكره أنت فى شعرك من أرض بلادك . قال : مثل ماذا ؟ فقال : مثل قولك هذا :

ما على الرَّبْع بالبُلَيَّيْن لو بَيَّن رجع السلام أو لو أجابا

فأمسك ابن أبى ربيعة » اهـ

فهذه أربع روايات مختلفة : رواية الألوسى ، وهى رواية صحيحة . والألوسي من أبناء هذه الديار ، وصاحب الدار أدرى بما فيها . ورواية القاموس ولابد من أنه سمعها من أحد شيوخه ، أو أصابها فى كتب من تقدمه ، أو ربما كانت الرواية الشائعة فى عصره . ورواية نصر وهو حجة فى ذكر أسماء المدن والبلدان والمواضع . ورواية ياقوت ، وياقوت معروف بصدق النقل لأسماء المواضع والأمكنة

أما نحن فلا نكذب أحداً من هؤلاء النقلة ، لأنهم كلهم رواة ثقات ، وحجج أثبات . فالأخذ برواياتهم من أحسن الوسائل للاحتفاظ بما نقلوه إلينا ، والاعتماد عليهم

الخلاصة :

لنا من الألفاظ الواردة على فُعَلَى ، بضم ففتحتين ، فألف مقصورة عشرة ألفاظ على أقل تقدير — لا ثلاثة كما قالوا — أو كما قال صاحب تاج العروس ، ولعل هناك ضعف هذا العدد ونحن نجهله ، ويذكره لنا غيرنا من المتتبعين لدقائق العربية

القسم الثالث – تفاعيل

قال السيد مرتضى عبادة (ب ش ر) : « التباشير وليس له نظير إلا ثلاثة أحرف . تعاشيب الأرض ، وتعاجيب الدهر ، وتفاطير النبات والشباب »

قلنا : وهناك خامس وهو التناشير بتاء مثناة فوقية ، فنون ، فألف ، فشين مثلثة : فياء مثناة تحتية ، فراء وهى كتابة لغلمان الكتاب بلا واحد (القاموس)

وسادس وهو النفاطير ، بنون موحدة ، فوقية ، ففاء فألف فطاء فياء مثناة تحتية ، فراء

(١) وفى الأصل المطبوع : لو لا أسمع قرى التى تذكرها فيه ، وهو خطأ



حول جامعة الإسكندرية

نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ مقالاً للأستاذ منصور جاب الله تحت عنوان « يوم الأسكندرية » ، وقد عرج فيه الكاتب على مكتبة الأسكندرية قائلاً :

« إن ثلاثة عشر قرناً تتجرم بعد احتراق مكتبة الأسكندرية لحقبة جد طويلة ، فاليوم يرأب الصدع ، ويرد إلى المدينة الخالدة اعتبارها العلمي وتعاود مكانتها الثقافية » ، والذي يسوق هذه العبارة في مقاله الجلىّ يؤمن برأى من نسب حريق مكتبة الأسكندرية على يد عمرو بن العاص

وقد ناقش هذا الخبر كثير من علماء الإفرنج مثل « بطلر » و « جوستاف ليبون » وغيرهم فلم يمكنهم الجزم بأن عمرو ابن العاص هو الذي أحرقها حقيقة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب كما زعم بعضهم ، بل ولم يؤيد هذه الدعوى أحد من المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامى ، مثل «أوتيخوس» الذى وصف فتح الأسكندرية بإسهاب

وأما ما نسبه أبو الفرج الملطى فى كتابه «مختصر الدول» عن حريق المكتبة على يد عمرو بن العاص ، فقد فنده كل من « بطلر » و « سديو » و «جوستاف ليبون» وغيرهم . والغريب أن هذه الرواية يذكرها رجل من أطراف بلاد الفرس بعد فتح الأسكندرية بنحو ستمائة سنة ، ولم يتعرض لهـا المؤرخ المسيحى البطريرق «أوتيخوس» الذى قلنا إنه أسهب فى فتح الأسكندرية . على أن تعاليم الدين الإسلامى تخالف هذه الرواية ؛ إذ ترمى إلى عدم التعرض للكتب الدينيـة اليهودية والمسيحية المأخوذة فى الحرب ولا يجوز حرقها – أما كتب الفلسفة والطب والتاريخ والشعر وسواها من العلوم غير الدينية ، فإنه يجوز للمسلمين الانتفاع بها

والمعروف أن هذه المكتبة لم تكن موجودة إبان الفتح الإسلامى اللهم إلا بقايا من جدران حوائطها

والصحيح الذى لا مرية فيه : أن المكتبة حرقت مرتين : المرة الأولى تم فيها حرق القسم الأكبر منها على يد جنود

قال اللحيانى : يقال فى الأرض نفاطير من عشب ، أى نبذ متفرقة لا واحد لها

وسابع ، وهو تصاريف الدهر ، بتاء مثناة فوقية فصاد ، فألف ، فراء فياء مثناة تحتية ، ففاء

وثامن وهو تخاليف الأمور ، بتـاء مثناة فوقية ، وخاء ، وألف ، ولام وياء مثناة تحتية ، وفى الآخر فاء

وتاسع وهو التباريح . قال فى التاج فى (ب ر ح) : « به تباريح الشوق ، أى توهجه . والتباريح : الشدائد . وقيل : هى كلف المعيشة فى مشقة . قال شيخنا : وهو من الجموع التى لا مفرد لهـا . وقيل : تبريح . واستعمله المحدثون ، وليس بثبت » انتهى

وعاشر هو التباكير . قال الشارح فى (بشر) : « التباشير ألوان النخيل أول ما يرطب ، وهو التباكير » انتهى . أى بتاء مثناة فوقية ، وباء موحدة تحية ، فألف ، فكاف ، فياء مثناة تحتية ، فراء فى الآخر

وحادى عشر وهو التعانيق ، بتـاء مثناة فوقية ، يليها عين مهملة ، فألف ، فنون مكسورة فياء مثناة تحتية وفى الآخر قاف وهو موضع فى شق العالية . قال زهير :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو
واقفر من سلمى التعانيق والثقل

(عن ياقوت فى ١ : ٨٥٤ من طبعة أوربة)

وثانى عشر وهو التلافيف وهو بالتاء المثناة واللام فالألف فالفاء فالياء المثناة التحتية وفى الآخر الفاء

قال فى تاج العروس فى رسم (لفف) . يقال : هذا تلافيف من عشب أى نبات ملتف لا واحد له »

الخلاصـــة

هذه اثنا عشر حرفاً على وزن تفاعيل لا واحد لهـا . وقد قالوا إنها أربعة لا أكثر . ونحن لا ندعى بأننا ذكرنا كل ما ورد فى اللغة ، بل بعض ما حضرنا حين كتابة هذه الكلمة وهناك ما يضاعف هذا العدد موارد كثيرة .

(للمقال بقية)

الاب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

« يوليوس قيصر » سنة ٤٧ ق . م وأما القسم الثانى من المكتبة فقد تم حرقه فى عهد القيصر « طيودوس » سنة ٣٩١م بأمر الأسقف « نيتوفيل » بواسطة جماعة من المتعصبين للنصرانية . والدليل القاطع أيضاً على عدم وجود المكتبة حتى قبيل الفتح الإسلامى ما ذكره المؤرخ « أورازيوس » عن زيارته للأسكندرية قبل سنة ٤١٤م ، إذ قال : « إنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب »

على أن العرب لم يدخلوا الأسكندرية إلا بعد استيلائهم عليها بأحد عشر شهراً — وقد ذكر فى عهد الصلح الذى أبرم بين عمرو بن العاص والمقوقس : أنه يجوز للروم أن يحملوا إلى بلادهم كل أمتعتهم . وفى غضون هذه المدة كان البحر مفتوحاً ولم تكن أمامهم صعوبات تعوقهم عن حمل كتب المكتبة إلى بلادهم إذا كانت موجودة ؛ وهذا ينهض دليلاً آخر على عدم وجود المكتبة إبان الفتح الإسلامى .

عبد العظيم أحمد هيبة

١ — موقف مجلة الأزهر من النبوة والعبقرية

كتبت مجلة الأزهر فى جزء المحرم سنة ١٣٦٢ مقالاً فى ذكرى الهجرة ، فرقت فيه بين النبوة والعبقرية ، فذكرت أن النبوة روح إلهية تتجلى معها قوة الحق فى أروع مظاهرها ، فتؤيد القائمين بها خرقاً للسنن الثابتة ، ونقضاً للعادات المقررة ، فيدرك الناس أنهم إزاء إرادة إلهية لا يقف فى طريقها حائل ، ولا تثبت فى مقاومتها قوة . أما العبقرية فهى هبة ليس للقوة العقلية أثر فى إيجادها ، تعجز عن مجرد حمل الناس على تقدير ما تأتى به ، حتى إن أكثر العباقرة عاشوا غير مقدرين ، ولم يفهم الناس جلالة ما أتوا به إلا بعد أن ماتوا بعدة قرون ، ثم بنت على هذا أن نجاح الدعوة الإسلامية لم يكن فيه أى أثر للعبقرية ، وإنما كان معجزة عظيمة جعلها الله دليلاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومجلة الأزهر تقصد بهذا أن تهدم الأساس الذى قام عليه كتاب عبقرية محمد للأستاذ العقاد ، مع أن هذا الأساس لا شىء فيه من جهة الدين ، وقد بنيت عليه قبل ظهور ذلك الكتاب مقالاتى فى السياسة الأسبوعية — أثر السياسة النبوية فى نجاح الدعوة الإسلامية — فقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم مع الوحى مجال فسيح يعمل فيه كانسان ، فيجتهد فى بعض أحكام الدين ، وينظر فى أمور الدنيا ، ويبحث ما يعرض له من مسائل السلم والحرب ، وقد أظهر فى ذلك المجال براعة عظيمة تشهد له بكمال العبقرية ، ومع هذا كان يدركه فيه ما يدرك كل إنسان ، فيلفته الله تعالى إليه ، ويهديه إلى ما كان ينبغى أن يعمل فيه ، وكل هذا جاء به القرآن الكريم ، وتشهد به كتب السيرة والأصول . ولعل مجلة الأزهر تتوهم أن التسليم بهذا قد يجر إلى التسليم بأن ذلك النجاح كان للعبقرية وحدها ، كما زعمه بعض أعداء الإسلام ، ومثل هذا التوهم الخاطئ هو العقبة الآن فى سبيل كل إصلاح .

عبد المتعال الصعيدى

٢ — اصلاح تحريف فى آية قرآنية

جاء فى مقالى الأخير من مقالات (الحضارات القديمة فى القرآن الكريم) هذه الآية : « بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم » والصواب الرحيم بدل الحكيم .

ع ١٠

بين الرجولة والرجولية

يسأل الأديب « على محمود الشيخ » فى العدد (٥٠٠) من الرسالة ، عن نحو « الرجولة والرجولية » الواردين فى كتب اللغة ، هل معناهما واحد كما يقول بعض الناس ؟ أو الثانى مصدر صناعى كما يقول آخرون ؟

وأجيب : أنهما مختلفان ، فالرجولة مصدر سماعى لا فعل له ، ومعناه ضد الأنوثة ، ومثله الرُّجْلة

و « الرجوليَّة وكذا الرُّجْلية » كل منهما مصدر سماعى صناعى بزيادة ياء النسبة (الأول من الرجولة ، والثانى من الرُّجلة) وهما يزيدان زيادة على المصدر العام كمال هذه الصفة فى الشخص المحدث عنه ، والمعانى اللازمة لهذا الكمال ، مثل الشجاعة والإقدام وإباء الضيم

والطفولة خلاف الرجولة و « الطفولية » تدل على هذا المعنى

ولوازمه ، من العجز المطلق عن تحمل أعباء الحياة ، واستدرار العطف والشفقة

والعروبة ضد العجمة ؛ و « العروبية » تزيد على هذا الدلالة على شمائل العربي وخصائصه . ومثل ما ذكر يقال في الرهبة و « الرهبانية » ، والفروسة و « الفروسية » ، والألوهة و « الألوهية » ، والربوبة و « الربوبية » ، والجاهل و « الجاهلية » والخنزوان (الكبر) « والخنزوانية » والأريح[1] و « الأريحية » (الارتياح للندى) . وكلها مصادر مسموعة عن العرب .

أما أن علماء اللغة لم يذكروا فارقاً بين الرجولة والرجولية مثلاً ، فلأنهم إنما يعنون ببيان المعاني الوضعية للألفاظ ، وأما المعاني اللازمية فلم يتصدوا لذكرها ، لأنها وظيفة علماء المعقول ، كالمناطقة والحكماء .

ثم إن تحميل المصادر الصناعية العربية للمعاني التي ذكرناها جاء من قِبل زيادة العرب الياء المشدودة ، التي هي في الأصل للنسبة ، ثم تنوسيت النسبة وأريد من اللفظ المعنى المصدري مع لوازمه ، وألحقو به التاء رعاية لأنه كان في الأصل صفة لموصوف مؤنث كالحال مثلاً

وكان هذا النوع من المصادر يسمى عند قدماء النحاة « بالنظائر » وهي ما جرى على وجه النسب ، قاله ابن سيدة في المخصص

ونظراً لقلتها في اللغة ، إبان العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ولوجود ياء النسبة فيها لم يلحقها الأقدمون بالمصادر العامة ، بل سموها باسم خاص . لكن تلك التسمية لم تشهر بين العلماء إذ ذاك فسماها بعضهم « بالمصادر الصناعية » ، وذاعت هذه التسمية إلى عصرنا هذا . وقد أولع المحدثون وبخاصة علماء المنطق بصوغ هذه المصادر من أسماء الأعيان وغيرها ، فقالوا : الحيوانية والإنسانية والناطقية والجسمية والحجرية ، والإسمية والحرفية ، والفاعلية والمفعولية والعلمية ؛ وقالوا : الكيفية والكمية والماهية

(١) اسم تفضيل من راح يريح : إذا اشتم رائحة الشيء . عن المصباح المنير ٢٠ ، ١١

فالمصدر الصناعي بمعنى المصنوع على وزان ما صنعه العرب من هذا النوع ، فهو كقولهم : المصدر القياسي بمعنى المقيس ، والمصدر السماعي بمعنى المسموع . وهي تسمية اصطلاحية حديثة وإن كان جنس مسماها عربياً قديماً . هذا وإن شئت إيضاحاً أكثر ، فعليك أن تراجع الكلمة القيمة التي كتبها المغفور له الأستاذ الشيخ « أحمد الأسكندري » في مجلة « مجمع اللغة العربية الملكي » (ص ٢١١ — ٢١٥ ج ١) : احتجاجاً لقرار المجمع قياسية المصدر الصناعي ، ففيها الغنى لمن طلب المزيد ، والله الهادي إلى سواء السبيل

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

هل يتسع القلب لأكثر من حب واحد ؟

كنت أطالع في مجلة الإثنين عدد ٤٥١ فلفت نظري رأي الدكتور زكي مبارك عند ما سئل هل يتسع القلب لأكثر من حب واحد ؟

قال إني أصبحت أعتقد بعد تجارب أن القلب جارحة من الجوارح كالعين مثلاً ؛ وهذا ما أعتقده أنا أيضاً (والأغلبية من الناس) . غير أنه قال : كما أن العين تقدر أن ترى ملايين من المرئيات ، كذلك القلب يقدر أن يحب مليون مرة . وهذا لا أوافق عليه ، فإن الحب شيء روحاني والمرئيات أجسام ملموسة غير روحانية . الحب مرض نفساني « مرض القلب » ، فلو أن العين أصيبت بسهم وأدميت فإنها لا تستطيع أن ترى أكثر ، وكذلك القلب ، فإذا أصيب بسهم الحب مثلاً فإنه يمرض ، وإذا مرض فلا يستطيع أن يحب أكثر . وكم من قلوب أصيبت بسهم الحب ! قال عمر بن أبي ربيعة :

راميات بأسهم ريشها الهدب
تشق القلوب قبل الجلود

(فلسطين) — جورج شاربكاس

سرقة شعرية:

كان يوم ٩ فبراير موسماً حافلاً بكلية الآداب ؛ فلقد غص مدرجها بمختلف الطبقات من أساتذة وطلاب ومدعون ، خفوا للاحتفال بذكرى مولد جلالة الملك — أعزه الله — وتلك سنة درجت عليها الكلية كما قال الدكتور حسن ابراهيم فى كلمته التى افتتح بها الحفل — وكان جميلاً أن نرى ونسمع ألواناً جديدة من المظاهر التى عبرت عن اتجاهات الفن فى العصور الحديثة ونال معظمها إعجاب النظارة — غير أنه استدعى انتباهى شىء واحد قصدته فى هذه الكلمة — ذلك هو قصيدة الشاعر « رجاء العزبى » الطالب بكلية الآداب ومطلعها :

صدحت على فنن طيور الوادى   يا حسن ما صدح الحمام الشادى

وهى جميلة حقاً حتى استعيدت أكثر أبياتها مما دل على حسن وقعها ، ولكنه خيل إلى عند ما سمعتها أننى أستعرض ماضياً وقع ؛ وقد كان ذلك حقاً !

فالقصيدة لشاعر معاصر هو الأستاذ محمد محمد عمر — قالها بمناسبة عيد ميلاد جلالة الملك (فؤاد) طيب الله ثراه وعنوانها : « آية الولاء » ، والقصيدة بين يدى كما سمعتها من شاعرنا الجامعى بتحوير استدعته المناسبة

فإلى من سمعوا هذه القصيدة أسوق ذلك التصحيح خالصاً لوجه الحق .

عبد الغنى محمد

رابطة العروبة:

« تكونت بجامعة فاروق الأول جماعة باسم (رابطة العروبة لطلبة جامعة فاروق الأول) تضم طلبة مختلف كليات تلك الجامعة المهتمين بقضية الوحدة العربية ، والراغبين فى العمل فى سبيلها ، وبث الدعوة إليها .

وغرض الرابطة الأساسى العمل بكافة الوسائل الممكنة وخاصة الثقافية منها على تحقيق الوحدة العربية ، ونشر الدعوة إليها ، ولتحقيق ذلك ستتذرع الرابطة بوسائل منها :

١ — تنظيم محاضرات ومناظرات تتناول الشئون العربية الهامة .

٢ — تقوية الصلات الأخوية والثقافية بين الطلبة المصريين وإخوانهم فى البلاد العربية الأخرى بتنظيم المراسلات بينهم ، وغير ذلك .

٣ — الدعوة إلى مؤتمرات تضم طلبة الجامعات العربية المختلفة للنظر فيما يهمهم من توحيد الأحوال الثقافية فى البلاد العربية وفى غير ذلك مما يمس قضية الوحدة العربية . وغير هذه من الوسائل المؤدية إلى تحقيق غرض الرابطة الأساسى .

والدعوة موجهة إلى طلبة جامعة فاروق ـ وهم من شباب هذه الأمة الذين عليهم تعتمد فى بناء مستقبلها ـ إلى الدخول فى هذه الرابطة التى ستباشر نشاطها قريباً إن شاء الله . »

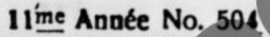
جمال أحمد بدر
القائم بأعمال الرابطة

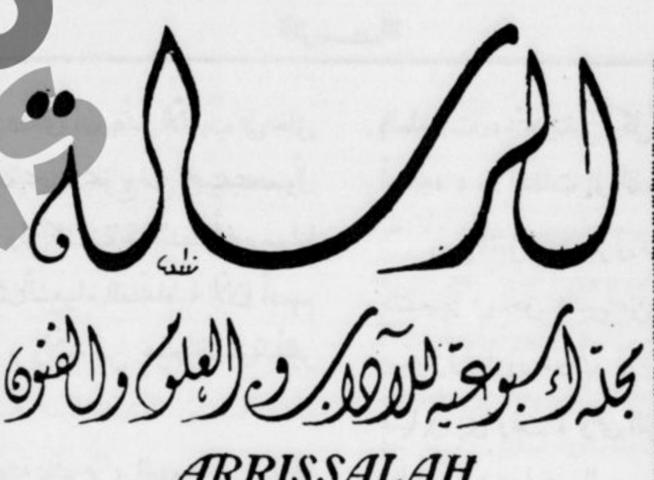
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 504

Lundi - 1 - 3 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق أول مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

رســـالة الأديب

للدكتور زكى مبارك

رسالة الأديب — كلام قد ينفع — الحلوة إلى القلب

فى أحد الأعداد الأخيرة من مجلة الجمهور البيروتية كتب الأستاذ إلياس أبو شبكة كلمة فى السؤال عما ترك شوقى وجبران من التوجيهات النافعة فى السياسة القومية ، وهو ينتظر أن يجود الجيل الجديد بأدباء قادرين على خلق تلك التوجيهات . وفى العدد الأخير من مجلة المصور القاهرية كتب الأستاذ فكرى أباظة يقول إن قصيدة ستالينجراد للشاعر على محمود طه هزته هزًّا ، وهو يرجو أن يعود الشعراء المصريون إلى التغنى بالقومية والوطنية ، ولا سيما العقاد ومطران

وأقول : إن من رسالة الأديب أن يتجه إلى آمال وطنه من حين إلى حين ، أو فى كل حين ، وفقاً لما يجيش بصدره من نوازع وميول ، ولكن من العقوق للأديب أن نجحد فضله إذا لم يجعل الآمال الوطنية قِبلته فى جميع الأحايين

والقول الفصل فى هذه القضية أن رسالة الأديب هى خلق ذوق الحياة ، فمن الواجب أن تتجه مراميه جميعاً إلى ذلك الخلق فى أى صورة ، وعلى أىّ شكل . وقد قلت مرات : إن الأديب الحق هو الذى يستطيع بقلمه أن ينقلك من ضلال إلى هدًى

أو من هدًى إلى ضلال . والمهم عندى أن يقدر الأديب على خلق الفتن الروحية والذوقية والعقلية ، بحيث تخرج من صحبته بحصول جديد من القلق أو الاطمئنان . ولو كانت غاية الأدب أن يرسم لنا خطط المستقبل لوجب أن نترك الشعراء القدماء ، لأن أدبهم يعجز عن توجيه الجيل الجديد ، ولأنه من هذه الناحية أعجز من أدب شوقى وأدب جبران

أشعار المعرى لا تنفع القومية بشىء ، القومية فى مدلولها الحديث ، ولو شئت لقلت إنها كانت أذًى على قومية ذلك الزمان ، لأن منحاها يتجه إلى الهدم لا إلى البناء ، ولكن قراءة أشعار المعرى تنفع فى تقوية الذاتية ، وتروض القارئ على الاعتداد بالنفس ، وتثيره على الرياء الاجتماعى . وثمرات هذا الأدب لا تقل قيمة عن ثمرات الأدب الذى يرينا كيف نواجه مشكلات العصر الجديد

رسالة الأديب هى خلق ذوق الحياة ، أو هى نصر الحياة على الموت ، والقليل من هذه الرسالة فى هذا الاتجاه يصنع الأعاجيب فى إحياء الممالك والشعوب

كلام قد ينفع

صديق ...

لم يبق بدٌّ من توجيه نظرك إلى أشياء خفيتْ عليك عدداً من السنين ، واستوجبت أن أزهد فى لقائك ، برغم ما بينى وبينك من وداد عجزت عن محوه الأيام . هى أشياء تملى منك ، فتصرفنى عنك ، وتجعل محضرك أثقل من الحديث المعاد

أنت ياصديقى مغرم بالسؤال عما لا يعنيك من شؤون الناس ، ولا سيما الوظفين ، كأنك تتوهم أن أعمالى تنحصر فى استقصاء الدقائق والخفايا من أحوال الزملاء ، وكأن الحياة عندى وعندك قيلٌ وقال ، وبحثٌ وسؤال ، مع أنك تعرف جيداً أنى لم أسألك يوماً عن شأن من شؤونك ، إلا أن تتلطف أنت فتستشيرنى فى بعض المعضلات من أحوال دنياك ، ثم تكون النتيجة أن أنسى ما أفضيت به إلىّ بعد لحظات قصار أو طوال

يجب أن تكون شواغلنا الحقيقية مقصورة على ما ينفع ، ولا نفع فى استقصاء أحوال الناس ، إلا فى الحدود المتصلة بالمعاملات ، ثم يمضى كلٌّ إلى سبيله المرسوم فى طلب الرزق أو المجد ، بلا التفات إلى الفضول الذى لا يشتهيه غير صغار العقول

ومن أثقل مايضجرنى منك حرصك فى كل لقاء على تذكيرى بالتقصير فى حق نفسى من الوجهة الدنيوية ، وأنا أبغض من يبصّرنى بأمور دنياى ، لأنى رسمت لحياتى كلها خطة لا أحيد عنها فى أى وقت ، وهى الظفر بأكبر نصيب من أنصبة الفكر والرأى . وهذا هو السبب فى أن تكون أوقاتى كلها مشغولة برياضات ذهنية وعقلية وروحية ، وهو أيضاً السبب فى طول الخلوة إلى القلم ، بحيث لا يمضى يوم يجوز نعته بالفراغ ، ولو كان من أيام الأعياد

والغريب أنك لا تساجلنى فيما أكتب ، ولا تحاول تنبيهى إلى ما يغيب عنى ، وإنما تسأل دائماً عما سأجنى من الأدب ، وتحاول بالتصريح أو التلميح أن تفهمنى أن كل شىء ما خلا المالَ ضياع فى ضياع !

وأنا لا أزهد فى المال ولا أدعو إلى الزهد فيه ، ولكنى أفهم أن الغِنى بالنسبة إلى أهل العلم والأدب غِنًى محدود ، وينبغى أن يظل كذلك ، لتبقى لأهل العلم والأدب أشواق إلى المعانى ، وليتحرروا من أسر الغنى الفضفاض ، فله شواغل تحدّ من وثبات العقول ، وسَبَحات الأرواح ، وخطرات القلوب

ليس لى بصديق من يختار لى غير ما اخترت لنفسى ، وأنت تخذّلنى تخذيلاً فظيعاً كلما لقيتنى ، لأنك تحاول تهوين نعمة الله فى قلبى ، وأنا أعتقد أنى من الذين منّ الله عليهم بنعمة التوفيق ، فله الحمد وعليه الثناء

أتريد الحق ؟

الحق أنك تحاول الدفاع عن كسلك بأسلوب ملفوف ، فأنت تهون من شأن الجهاد الأدبى بحجة أنه قليل الربح ، وتلك حجة واهية ، فللجهاد الأدبى أرباح أيسرها الشعور بقيمة الجهاد ، ولو كان لى أملٌ فى تقويمك لذكرتك للمرة الأولى بعد الألف بأن حياتك صارت غاية فى الهُزال ، وأنك لا تستحق اللقمة التى تأكل ، ولا الخرقة التى تلبس ، وما أنفقه أهلك وأنفقته الدولة فى تعليمك وتثقيفك قد ضاع إلى آخر الزمان

عندك ألقاب علمية ، وبيدك وظيفة رسمية ، ولكنك على نفسك وعلى الوطن بلاء

كيف يجوز أن تمرّ أيام وأسابيع وشهور وأعوام ولا نقرأ لك بحثاً جيداً أو غير جيد ، ولا نسمع من أخبارك غير البراعة فى تسقُّط أخبار الناس ، ولا نلقاك إلا فى القهوة إن أردنا أن نلقاك ، ولا نأخذ عنك غير المعلومات السخيفة عن الدرجات والترقيات ؟ وكيف يكون كل همك أن تسألنى عما بينى وبين الرؤساء من صلات ، ولا يخطر فى بالك أن تسألنى عما بينى وبين الله من صلات ؟

وتعيب على أن أقضى أيامى فى نضال وصيال ، فما الذى غنمت أنت من قضاء دهرك فى التلطُّف والتظرُّف ، بمصانعة هذا ومجاملة ذاك ؟

ما تذكرت ماضيك إلا تحسَّرتُ وتفجعت ، فقد كنت فتى مرجو المخايل ، وكان جهادك فى طلب العلم مضرب الأمثال ، فكيف وقع حجر الجمود فوق رأسك فشطره شطرين ، شطراً للنميمة وشطراً للاغتياب ؟

وأنا مع هذا أحبك وأحفظ عهدك ، ولكن كيف أتقى شرك ، يا شرّير ؟

إن لقاءك يؤذينى أعنف الإيذاء ، لأنه يريبنى فى العدل ، فما يجوز لمن يكون فى مثل حالك من تعطيل مواهبه الأساسية أن يجد القوت

إرتع والعبْ ، فإن الرزق لا يفوت السوائم المهملات !

صديقى

لا تفكر فى لقائى بعد اليوم ، إلا أن تغيِّر ما بنفسك ، فترجع فتى كالذى عهدت ، فتى يعتمد على الله لا على الناس ، ويؤمن بأن الله لا يرفع أحداً بغير حق ، لأنه يضع الموازين فى جميع الشؤون ، بحيث يمكن القول بأن المصادفة لا مكان لها فى الوجود

أتراني ألقاك مع الرجاء لا مع الخوف ؟

أنا أخاف من لقائك لأنك تخذلنى وتعوقنى ، أيها العالم الجبان !

لطف الله بى وبك ، وهدانى وهداك !

الخلوة الى القلب

لا أدرى كيف صرت إلى ما صرت إليه من الزهد فى لقاء الناس ، أو لعلنى أدرى ، فقد صرت لا أفكر فى لقاء صاحب أو صديق إلا إذا وثقت بأن لقاءه يوحى إلى القلب أشياء

وهل يتسع الوقت لمسامرة من لا يوحون بشىء ؟

إن الحياة أقصر من أن نضيعها فى مصاحبة الموسومين بالغباوة والجهل

الصديق الذى أجالسه فيثير فى نفسى الشوق إلى امتشاق القلم لتدوين بعض المعانى هو الصديق ، وأنا أرحب بلقائه فى كل حين

والأصل فى الصديق أن يكون على مثال القلب ، فتحاوره كما تحاور قلبك بلا تحفظ ولا احتراس ، عندئذ يتفتح القلب عن مكنونات يبدعها الحوار اللطيف

ومن أدبى فى حياتى أن أحرص أشد الحرص على أصدقائى ، وأن أتعصب لهم بحق وبغير حق ، وأن أنتهز الفرص للحديث عنهم ولو فى صورة الملام ، وكان ذلك لأنى أومن بأن من حق من وثقوا بنا فصادقونا أن نبذل فى البر بهم ما نملك من كلمة الخير ، وهى كلمة لا يضن بها غير المفطورين على الشح اللئيم

والخلوة إلى القلب ، أو إلى الصديق الذى بمنزلة القلب ، هى فرصة الوحى الأدبى ، وهذه الخلوة كانت السبب الأصيل فى تفوق الأدباء القدماء

وهل ننسى أن الأنبياء لم يتلقوا الوحى إلا فى أعقاب الخلوات إلى القلوب ؟

أقول هذا لأشرح السبب فى قلة الشعر بجميع البلاد فى هذا العهد ، فالشعر لا يكون إلا بالغناء ، ولا يتيسر الغناء مع الضجيج

إن أحلام القلوب لا تجمع بسهولة ، وكيف وهى فى شرود الأوابد ؟ إن للقلب أعماقاً أبعد غوراً من أعماق المحيط ، وستكتشف جميع المجاهيل قبل أن تكتشف سرائر القلوب

يجب على الكاتب أن يخلو إلى قلبه لحظات من كل يوم ، عساه يعرف بعض الملامح من سريرة القلب والروح

لا يفرح برؤية الناس والأنهار والبحار والمزارع والبساتين إلا من يعجز عن رؤية هذه الخلائق فوق ساحة القلب

فمتى نكون من أرباب القلوب ؟

متى ؟ ثم متى ؟

إن انتظارنا سيطول !

زكي مبارك

من أيام الفتوح

من مؤتة إلى اليرموك

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

فى العام الثالث بعد الستمائة من الميلاد ، وذلكم قبل بعثة الرسول بست سنين، اشتعلت الحرب بين الروم والفرس . وهى حلقة من سلسلة طويلة من الحروب بُدِئت منذ ظهر الرومان فى غرب آسيا ، واستمرت بين الرومان والأشكانيين ، ثم ورثها الساسانيون والبيزنطيون حتى شغلت من التاريخ سبعة قرون بين الاشتعال والخمود . وهذه الحلقات الأخيرة التى سبقت البعثة واستمرت بعد الهجرة سبع سنين قد اهتم بها العرب ونزلت فيها آية من القرآن : « غلبت الرومُ فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيَغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . انتصر الفرس فى عهد كسرى برويز على الروم زهاء عشرين سنة متوالية فسلبوهم كل ما ملكوا فى آسيا ، وفتحوا بيت المقدس وأخذوا الصليب الكبير ، ثم غلبوهم على مصر . وظهرت جيوش الفرس على أبواب القسطنطينية مرات . وظن الناس أن الروم لا تقوم لهم قائمة

ثم أجمع الروم أمرهم ، وقادهم هرقل من ظفر إلى ظفر خمس سنين أتت على كل ما ناله الفرس فى الحروب المتمادية . وخلع كسرى برويز بعد أن أخرجته الهزائم من دار ملكه ومات ذليلاً حزيناً ، وخلفه ابنه قباد الثانى فصالح هرقل على أن يرد على الروم كل ما سلبوه فى آسيا ومصر وأن يرد الصليب المقدس . وسار هرقل فى أعظم مواكبه إلى بيت المقدس ليضع الصليب موضعه فى ديسمبر سنة ٦٢٩ م . وبلغ هرقل من العزة والهيبة والصيت ما بلغ

— ٢ —

فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة بعد غزوة خيبر بشهرين وجه رسول الله ، ثلاثة آلاف من أصحابه إلى الشام ، وجعل القيادة لزيد بن حارثة ، فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة . وكان هذا إيذاناً ببعد الشقة ، وجسامة المطلب، وعظيم الخطر

لماذا سيّر الرسول صلوات الله عليه جيشاً لحرب الروم فى أرض بعيدة ؟ يقول المؤرخون أن الغسانيين قتلوا رسوله إلى أمير بصرى ؛ ولكن أحسب الأمر أوسع من هذا فقد أراد المسلمون أن يرهبوا الطامعين فيهم ويعرفوا موقف القبائل العربية الضاربة فى سلطان الروم من المسلمين : أحرب هم أم سلم .

سار المسلمون إلى مَعان فإذا هرقل الذى حالفه الظفر خمس سنين حتى رد إلى سلطان الروم ما أخذه الفرس وزلزل سلطان كسرى فى ديار كسرى ـ قد جمع فى مآب جموعاً حاشدة من الروم والعرب ـ وتشاور المسلمون وهمّوا بأن يكتبوا إلى الرسول ولكن ابن رواحة قال : « يا قوم والله إن الذى تكرهون للّذى خرجتم له ؛ خرجتم تطلبون الشهادة ؛ وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة . مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنَيين : إما ظهور وإما شهادة » .

التقى الجمعان عند مؤتة وهى قرية فى البلقاء التى تسمى اليوم شرقى الأردن ، إلى الشرق من الطرف الجنوبى للبحر الميت . واستمرت الحرب وقاتل زيد بالراية حتى قتل ، وتقدم جعفر للشهادة فقاتل حتى نالها . وتلاه ابن رواحة فقتل . فاجتمع الناس على القائد المحنّك المظفر خالد بن الوليد فقاتل كما يقاتل خالد حتى تراجع بالجيش الصغير فأنقذه من الجموع المطبقة عليه فِعل القائد الحازم لا يهلك جيشه فى معركة خاسرة .

ثم شغل المسلمون بفتح مكة وما تلاه من الأحداث . وبعد سنة من موقعة مؤتة دعا الرسول إلى غزو الروم « فى زمن عسرة من الحر ، وجدب من البلاد » زمن تدعو فيه إلى الحرب إلى ضرورة لا مناص منها . وعلم الناس أنهم يدعون لغزو الروم ، غزو بنى الأصفر وهم يعلمون من سلطانهم وقوتهم وانتصارهم على الفرس ما يملؤهم هيبة . حتى قال بعض المنافقين : « أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ؛ والله لكأنى بكم غداً مقرنين فى الحبال »

سار الجيش إلى تبوك ، وكانت على حدود البلاد الخاضعة لسلطان الروم فى الشمال ؛ فأقام بضع عشرة ليلة وصالح الرسول صلوات الله عليه أهل دومة الجندل وأيلى وجربار وأذرُح . ورجع المسلمون وقد صالحوا من صالحوا وأرهبوا القبائل الضاربة فى الشمال ، وأعلموا الروم أنهم غير عاجزين عن الجمع والسير للقتال . وكانت غزوة ذات أثر فى تمكين هيبة المسلمين فى القبائل الشمالية ، ومحو ما أصاب المجاهدين فى مؤتة ، والتمهيد لإقامة سلطان الإسلام فى تلك الأرجاء

— ٤ —

ثم أعد الرسول جيشاً للمسير إلى البلقاء حيث تراجع المسلمون فى غزوة مؤتة وجعل عليه أسامة بن زيد أول قائد للمسلمين

أيهـــا المرضى (*)

للأستاذ راشد رستم

[إذا كان المريض يخاف المرض
فان الصحيح منـه أخوف]
« الـكاتب »

شفاكم الله وعافاكم

إنـكم اليوم مرضى وقد كنتم أصحاء ، فلا تجزعوا بل اعملوا على أن تعودوا أصحاء

إن الأصل فى الحياة الصحة والعافية ، أما المرض فهو حال تصيب الناس لحـكمة من السماء — تصقلهم به وتهيؤهم ثم تنبههم أن يكونوا دائماً أصحاء

* * *

لا تنظروا إلى الأصحاء ، بل انظروا إلى المرضى من إخوانـكم ؛ بل انظروا إلى أنفسكم

قد يصير الصحيح مريضاً والمريض صحيحاً ، إذ لا صحيح دائماً ولا مريض دائماً

إن الأصحاء لم يكونوا دائماً « هم » الأصحاء ، فهونوا على أنفسكم ، ولا تضعفوها جنب ضعف أجسامكم ، إذ هى التى تشفيكم وهى التى تنجيكم ، وهى التى تعيدكم صحتكم الأولى

إن المرض ضعف فلا تزيدوا الضعيف ضعفاً

إن ضعف النفوس أخطر من ضعف الأجسام

وإذا تهيأ للمرء أن تـكون له نفس صحيحة قوية فلا يضعفها بأن يخضعها لحـكم هذا الجسم المريض الضعيف المضطرب

تلك القوى الـكامنة فى النفوس إن هى إلا مدد سحرى من تيار الروح العلوى ترفع عن الضعيف ضعفه ، وتقوم له بما يعجز عنه دواؤه وأطباؤه

* * *

وإذا كان المرض قيداً كما يراه المريض، فإن للأصحاء هموما وقيوداً،

وإذا أفلت الزمن من يد المريض فلا يظنن أن الصحيح عليه قادر

إن الزمان يقبض ولا يقبض عليه ، فلا الصحيح قوى على الزمن ولا المريض ضعيف على الزمن

لا تطلبوا الشفاء إلا من الله ، ثم من أنفسكم التى يجب أن تـكون مع الله

أما الزائرون فلا تعتبوا

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الألمى

لعل له عذراً وأنت تلوم . ومن الناس من لا يحب أن يجد صديقه هزيلاً ، فـكيف به يرضى أن يراه عليلاً !

* * *

تحولوا عن هؤلاء وعن هؤلاء ، واتجهوا دائماً إلى أصدقائنا الأطباء

إن الطبيب هو الصديق الطبيعى للمريض

وإذا لم يستطع الطبيب أن يكون صديقاً للمريض فلماذا أراد أن يكون طبيباً !

ليس يكفى أن يكون الطبيب عدواً للمرض حتى يعتبر صديقاً للمريض!

(*) للـكاتب مقال « إلى الأصحاء » فى الرسالة عدد ٤٠٦

فى تلك الغزوة وتوفى الرسول واشتعلت الفتنة فى الجزيرة وسأل الناس أبا بكر أن يبقى الجيش ليقى المدينـة غارات القبائل المرتدة ولـكن خليفة رسول أصر الإصرار كله على أن ينفذ الجيش الذى أمده رسول الله . فسار الجيش إلى حيث أمر الرسول فغنم وسلم . وذلـكم فى السنة الحادية عشرة . وهو تدبير عظيم لم يلقه الروم ومن والاهم من العرب بكفاية من الاهتمام والتفـكير

— ٥ —

وبعد سنة وأشهر من رجوع جيش أسامة ـ وذلـكم أوائل السنة الثالثة عشرة عزم المسلمون على فتح الشام وسيّر أبو بكر جيوشاً أربعة لهذا الفتح . وتتابعت الوقائع إلى الموقعة الحاطمة موقعة اليرموك التى جعلت هرقل يودع الشام وداعا لا لقاء بعده . وقد أدار هذه الموقعة الفاصلة خالد بن الوليد ، القائد الذى شهد مؤتة وانحاز بجيشه نخلصه من براثن الموت . ولولا ضيق المجال لفصلت القول وسردت الحوادث مبيناً عن الصلات الجامعة ، والقرابة الواشجة ، بين هذه الأحداث . تلـكم صور متفرقة فى كتب التاريخ ، شتيتة فى رأى مطالعيه ؛ ولـكنها فى الحق أوجه حقيقة واحدة ، أو أمواج من بحر واحد ، أو فصول متتابعة من كتاب : أوجه من هذا اليقين الذى ملأ قلوب العرب المسلمين ، وأمواج من هذا الجهاد الذى اعتزمه العرب المسلمون ، وفصول من هذا المجد الذى سطره العرب المسلمون قصة أولها خالد ينحاش بجيشه ليقيه غائلة الروم ، وآخرها خالد يقدم بجيشه ليمحو سلطان الروم ، ويمد سلطان المسلمين على الشام وما وراء الشام ؛ وفى ثناياها حقائق من الأخلاق والسنن والتاريخ هى التى تجلت سريعاً فجمعت فى سلطان العرب المشرق والمغرب وإن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

عبد الوهاب عزام

الحكم الذاتى فى المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

– ٢ –

ولنتكلم الآن عن مجالات scopes الحكم الذاتى

فنحن يمكننا أن نعتبر البيت فى المدرسة الداخلية أحسن مجال يمكن أن يصطنع فيه الحكم الذاتى . فالبيت من جهة أضيق من أن يعجز بعض أفراده عن تدبير أمره تدبيراً محكماً ، والحياة فيه تقدم أكبر قدر من وجوه النشاط المختلفة التى يمكن للتلاميذ أن يتخذوا منها ميداناً لتدبيرهم وتنظيمهم

وهناك مجال آخر من مجالات الحكم الذاتى هو الفصل المدرسى class or form . والمآخذ على هذا المجال تتلخص فى أن الأغراض التى يرمى الفصل إلى تحقيقها أولا وقبل كل شيء تخرج من مجال الحكم الذاتى كثيراً من نواحى حياة الأطفال الاجتماعية التى هى ألصق بهم ؛ وفى أن انتقالات التلاميذ كل سنة من فرقة إلى فرقة أعلى يصحبها فى كثير من الأحوال تغيير مستمر فى أعضاء الحكم الذاتى

وهناك مجال ثالث للحكم الذاتى هو تلك الجمعيات التى يؤلفها التلاميذ قاصدين بها إلى ممارسة وجوه من النشاط تضيق عنها جدران المدرسة كالجمعيات الأدبية والجمعيات التمثيلية وجمعيات فلاحة البساتين وجمعيات التصوير وغيرها

وأخيراً يمكن أن نجعل من المدرسة كلها مجالاً للحكم الذاتى . ولكن هذا لا يمكن أن يتأتى بسهولة إلا إذا كان تلاميذ المدرسة لا يزيدون عن أربعين طفلاً أو خمسين

فهذه هى المجالات التى يمكن أن يتخذ منها الحكم الذاتى مسرحاً يمثل عليه دوره . على أننا لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن نتناول الحكم الذاتى فى الفصل بشىء من التفصيل . فنحن نريد أن نقول إنه ليس من الضرورى فى كل الأحوال أن يمتد الحكم الذاتى إلى نطاق الفصل . وبيان ذلك أنه إذا كان ثم عداء متوارث بين التلاميذ من جهة والدرس والمدرسين من جهة أخرى ، وإذا كانت حياة التلاميذ خارج المدرسة حياة يتناوبها العسف والضغط ، فإن الحاجة تكون حينئذ ماسة إلى

يتقدم المريض إلى الطبيب وهو يود أن يكون له كل ما يريد تلك ظاهرة من ظواهر المرض لا تخفى على أحد

غير أنها قد تفوت على من لا يجب أن تفوت عليه ، نعم تفوت على الطبيب ، تمر عليه دون أن يقيم لها وزناً — هنالك يختل ميزان الإنسانية ، لأنه بيد الطبيب ، ولا يعود المريض ، ولا غير المريض ، يرى فى الطبيب ذلك الهيكل القدسى الذى يقصد إليه ليلتقى بالروح والجسد بين يديه ...

ولكن المريض كالغريق ، يتعلق بكل ما يرى وما يجد — إذن فيا رحمة الله اهبطى على قلب الطبيب ! ويا سكينته انزلى على قلب المريض ، ويا لله ألطف بهذا الإنسان ، وهذا الإنسان ...

***

وهكذا لن يستطيع المريض أن يفر من رحمة الله ، فقد وسعت رحمته كل شىء ، وإلى أى النواحى اتجه ، وإلى أى المؤاسين قصد ، فى رحمة الرحمن البرء والرضا والأمان

وإن لله لحكمة بين الناس فى دنيا الأمراض ، إذ يولد ابن آدم وليس عليه غير الصحة والعافية ، حتى إذا استلمهما أخذ يخضعهما لأغراض فى الحياة مدى الحياة ، ثم يذهب وقد ذهبت عنه الصحة والعافية وأغراض الحياة ...

وإن فى المرض لآية يدرك بها المرء معنى الصحة ، وإنها هى الحياة ، وإنها من الله ، وأنه لا شىء سواها ، ولا أحد سواه

خذ نفسك أيها المريض بيقين الشفاء ، وجسمك بصحيح العلاج ، ثم اصبر فإن الله كما قضى لك بما تحب منه ، يقضى عليك أن تصبر له على ما يحب فيك ...

وكن عبده وألق القياد لحكمه

***

وهو الله يمتحن الطبيب بالمريض ، ليس ليعلم قدر علمه ، إذ فوق كل ذى علم عليم ، وإنما ليسأله الواجب الذى ارتضاه لنفسه ، والمهمة التى أقسم عليها ، أليس هو الذى اختار المهنة التى يعمل لها ؟

إلى الأطباء إذن أيها المرضى . لا تسألوهم الشفاء ، وإنما اسألوهم وسيلتهم إلى الشفاء — أن يكونوا لكم أصدقاء ، بل ونعم الأصدقاء

إن الطب تخمين ، والإنسانية يقين ، و « الحكيم » البصير يسير بينهما وهو آمن وأمين . إذ شتان بين طالب الله وطالب من الله ...

إن الرحمة لم ترفع بعد من الأرض إلى السماء ، أيها المرضى وأيها الأصحاء ...

فمن كان له قلب فله الرضا من كل شىء ...

(بحيرة قارون) راشد رستم

قدر من الحكم الذاتي يتناول الفصل . أما إذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمدرسين علاقة تسودها المودة والصفاء ، وكان التلاميذ من جانبهم يميلون إلى التعلم ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الحرية خارج المدرسة ، فمن المشكوك فيه حينئذ أن يكون الحكم الذاتي شيئاً ضرورياً مرغوباً فيه

كذلك لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن ننبه إلى أن وجوه النشاط في داخل المدرسة مرتبطة أشد الارتباط بوجوه النشاط في خارجها وأن الحكم الذاتي في خارج الفصل لا يمكن لهذا السبب أن يتم له النجاح إذا كانت الأمور في الفصل تجري على قواعد بالية عتيقة

وليس للحكم الذاتي نظام خاص صالح لكل الأحوال ، وإنما هو يتكيف بحسب الحالة التي يوجد فيها ، فالسن ، والجنس وتقاليد المدرسة ، وشخصية المدرسين ، وطبيعة البيئة التي يأتي منها التلاميذ ، والمثل الاجتماعية التي يُرمى إلى تحقيقها — كل هذه يجب أن تترك في الحكم الذاتي أثرها وتكيفه وفقها .

وأنا أعتقد أن قيمة الحكم الذاتي تزيد وأن مجاله يتسع إذا أمكن أن نبثّ فيه روحاً اقتصادية . وذلك يكون بإعطاء التلاميذ في كل أسبوع قدراً معيناً من المال يستطيعون به أن يدبّروا الأمور المالية المختلفة التي كان يقوم بها من قبل مدبّرو شئون المدرسة . فيستطيعون مثلاً أن يشتروا ما هم في حاجة إليه من الأقلام وأقلام الرصاص ، وأن يشتروا الجرائد اللازمة للمكتبة ، وأن يشتروا جميع الأدوات اللازمة للألعاب games سواء أكانت داخل المدرسة أو خارجها ، وأن يشتروا حاكياً أو مذياعاً ، وأن يؤثثوا غرفة هادئة للمطالعة ، وأن يقوموا بالرحلات الخ . وكل هذا يستدعي بالطبع وجود مصرف في المدرسة يودَع فيه ما يُعطاه التلاميذ من مال ، ويقوم على تدبير أمره أحد هؤلاء التلاميذ . وكل هذا يستدعي أيضاً أن تقدم اللجان المختلفة ميزانياتها ، وأن تفحص هذه الميزانيات لجنة مالية مختصة لتقرر ما تراه .

وقد يكون من بين التلاميذ الذين يصطنعون الحكم الذاتي — ومعظمهم من غير شك قد بلغ سن الشباب — بعض التلاميذ الذين لم يبلغوا هذه السن بعد . فهؤلاء التلاميذ الأحداث يمكنهم أن يشاركوا في عملية الحكم الذاتي ، ولكن على شرط ألا يكون عددهم كبيراً جداً . وهنا يفترق نظام الحكم الذاتي عن نظام العرفاء الذي يُخضع التلاميذ الصغار لسلطة التلاميذ الكبار .

ويجب أن يعتبر الحكم الذاتي وسيلة يعاقب بها التلاميذ بعضهم بعضا . وعلى ذلك فيجب ألا يكون العقاب إلا حين يكون من ورائه صونٌ لقوانين الحكم الذاتي من أن تُنقض ، تلك القوانين التي شرّعها التلاميذ أنفسهم وقصدوا بها إلى ما فيه الخير لهم جميعاً . على أن هذا العقاب يجب أن يكون خالصاً من الغلّ مبرءاً من الضغينة . فالقوة إذن سناد لقانون الحكم الذاتي في مجتمع التلاميذ كما أنها سناد القانون في المجتمع الكبير . ولكن كلما قوي شعور التلاميذ بما فيه مصلحتهم العامة فإن الحاجة إلى العقاب تقل .

وهنا يأتي الكلام عن مسألة من أهم مسائل الحكم الذاتي : فيجب ألا يتطرق إلى الأذهان أن نظام الحكم الذاتي يرفع عن عاتق ناظر المدرسة ومدرّسيها مسئولية التأديب ، فهو على العكس من ذلك يزيد من مدى هذه المسئولية ؛ وذلك لأن عملية الضبط لا ترمي حينئذ إلى حفظ النظام order فقط بل إلى غاية تربويّة كذلك . ومعنى هذا أن عملية الضبط في هذا النظام لا تقصد مباشرة إلى مجرد حفظ النظام ، وإنما هي تقصد عن طريق غير مباشر لا إلى منع النظام من أن يتطرّق إليه العبث ويخترمه الخلل . وإنما تصطنع عمليةُ الضبط هذا الطريقَ غير المباشر لتكفل للغاية التربوية التي يرمي إليها الحكم الذاتي أن تتحقّق ، وما هذه الغاية التربويّة إلا إفساح المجال لشخصيات التلاميذ حتى تنمو وتترعرع .

ولكن هذا النوع من الحرية لا يرضى به دعاة التحرير Emancipationists . فهم يقولون إنه ليس إلا مسخاً للحرية ؛ ذلك لأنه يفرض على التلاميذ ما يريده المدرس ، فإذا أراد هؤلاء أن ينطلقوا مع سجيّتهم فيما يفعلون فإنهم سرعان ما يعوّقون . وإنما ينادي دعاة التحرير بحرية خالصة من القيود ينطلق معها التلاميذ أينما يريدون فيقعون فيما يقعون فيه من أخطاء ويعالجون هذه الأخطاء كما يحبون

على أن الأستاذ جون آدمز لا يرتضى مذهب هؤلاء . فهو ينادى بأن تكون للمدرس السلطة العليا ، تلك السلطة التى تحفظ على جماعة التلاميذ صالحها العام الذى قد تودى به الحرية المتطرفة . أضف إلى ذلك أن الحياة الواقعيـة حياة مفعمة بالقيود : القيود العامة التى تغلنا بها الحياة فى المجتمع ، والقيود الخاصة التى يغلنا بها من نخضع له أو من نخضع لهم . فإذا كان التلاميذ لن يواجهوا فى المستقبل حياة خالصة من القيود ، فأحر بهم أن يعوّدوا منذ الصغر الخضوع لسلطة مرب أو مربية يقصد كل منهما إلى تهيئة ظروف المدرسة بحيث تكفل لسلوك التلاميذ وشخصيتهم الترعرع والنماء

ويرى الأستاذ أسبورن Osborne أن تقسم السلطة مناصفة بين الناظر والمدرسين من جهة والتلاميذ من جهة أخرى . وهو يعتقد أن هذا التقسيم لا يضير نظام الحكم الذاتى في شيء . فالناظر مثلاً يمكنه أن يفرض على التلاميـذ مزاولة الألعاب الرياضية فى أيام معينة من الأسبوع ، ثم يترك لهم توزيع ضروب هذه الألعاب على هذه الأيام ، فيجعلون هذا اليوم للكريكيت cricket وذاك للكشف وهلم جرا . على أنه لا يمكن فصل هاتين السلطتين فصلاً تاماً ، فيجب على الناظر والمدرسين أن يصغوا إلى ما يوجهه لهم التلاميذ من نقد ، وإن كانوا يملكون حق إهمال هذا النقد

وقد عرض الأستاذ جردن ماكاى A. L. Gordon Mackay لهـذه المسألة ، فقال إنه لا يمكن أن يتحقق نظام الحكم الذاتى من غير وجود المربى . ولكى يبيّن صحة ذلك انتقل إلى وظيفة المربى ، فقال إنها تتلخص فى العمل على نشر القدرة Ability المنطوية ، ثم العمل على تنمية قدرة تلاميذه جماعة وأفراداً . فالمربى أولاً مرشد وفيلسوف وصديق ، وهو إلى ذلك ناصح أمين فى كل ما يتعلق بالدروس والاجتماعات وسائر وجوه النشاط فى الفصل .

على أنه يجب أن يتصف بصفات معينة تعينه على أن يكون كذلك ، وهذه الصفات ليست إلا صدى للعلاقة التى تربطه بالتلاميذ . فهو يجب أن يثق بأنه قادر على معاونة تلاميذه على نشر مواهبهم الكامنة ، وهو يجب أن يعتقد أن نفوس تلاميذه تنطوى على حكمة كثيرة مخبأة ، أو على صفات أخرى تستحق أن يكد فى سبيل إماطة اللثام عنها ، وهو يجب أن يكون ذا عقل واسع الثقافة ، وشخصية منسجمة الأطراف متوافقة الأنغام ، وقدرة على التنفيذ ، وهو يجب أن يجمع إلى هذه الخصال كلها حباً للأطفال يلهبه الحماس ، ولكن الحماس الذى يخفف من حدته الحذر ويبعد غوره التبصر

ويزيد الأستاذ ماكاى على ذلك ، فيقول إن المربى يجب أن يشعر تلاميذه بأن نجاحهم ونجاحهم فقط هو الهدف الأسمى للمربى ، وأنه ما وجد إلا للوصول إلى هـذا الهدف . وعلى ذلك يجب أن يحملهم باستمرار على أن يهـدفوا نحو شكل من أشكال الكمال هو فى الحقيقة أبعد من أن يتناوله ذرعهم ، وأن يشعرهم بأنهم إن فشلوا فى الوصول إلى هذا الكمال فلسوف يستطيعون فيما بعد أن يحاولوا محاولات أخرى تحدوها خبرة أوسع

والمربى كذلك يجب أن يوفق بين نواحى الضعف فى المربى ونواحى القوة ، فيمطى من هذه لتلك ليصل بالمربى فى آخر الأمر إلى حال من التوازن قائمة على تعاون ملكاته وتواصلها

وصفوة القول أن نظام الحكم الذاتى يتطلب وجود المربى ليلعب فيه دوره الهام .

(للحديث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٢ —

أمها :

بينما الفاروق فى المسجد الجامع وحوله شيوخ المهاجرين والأنصار ، إذا بشيخ مهيب يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدى الفاروق وحياه بتحية الخلافة ، فردها عليه الخليفة وقال له : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ القيس بن عدى الـكلبى . فعرفه عمر ؛ وكيف لا يعرف صاحب بكر الذى أغار عليهم فى يوم فلج فى الجاهلية ؟! فقال له عمر : ماذا تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه فقبله . ودعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من « قضاعة » وهذا أول رجل عقد له على المسلمين بالشام ولم يصل ركعة واحدة ؛ ذلك لما له من المنزلة السامية بين قومه . وأراد على بن أبى طالب أن يزيد فى شرف هذا الشيخ فنهض إليه وأخذ بثيابه وقال له : يا عم ، أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وصهره ، وهذان ابناى من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا . سر الشيخ من هذه الساعة الميمونة التى نال فيها ما لم يكن بتوقعه : اهتدى بنور الإسلام ، وتولى إمرة قضاعة بالشام ، وهذا ابن عم الرسول وزوج ابنته يريد أن يشرفه بمصاهرته . فالتفت إلى على بن أبى طالب والفرح قد ملأ قلبه والبشر طافح فى وجهه وقال له : « وقد أنكحتك يا على المحياة بنت امرئ القيس . وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس . وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس » وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن امتازت بفصاحة لسانها ورجاحة عقلها فكان الحسين يحبها حباً جماً لما رآه من كمالها وعقلها . ولامه أخوه الحسن على هذا فقال :

لعمرك إننى لأحب داراً … تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى … وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وإن غابوا مضيعاً … حياتى أو يغيبنى التراب

كانت الرباب مع زوجها مثالاً للمرأة المسلمة الصالحة شاركته أفراحه وأتراحه ورافقته حتى فى ساحة جهاده وشهدت بعينها مصرعه ورثته بقولها :

إن الذى كان نوراً يستضاء به … بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحة … عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به … وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى؟ ومن للسائلين ؟ ومن … يغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا ابتغى صهراً بصهركم … حتى أغيب بين الرمل والطين

وقد برت الرباب بقسمها فكم تقدم إليها من شريف وأمير وخطبها بعد مصرع زوجها ، وكان جوابها لكل خاطب : « ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقضت الرباب حياتها حانية على ولديها عبد الله وسكينة .

نشأتها وزواجها :

تولت الرباب تربية ابنتها سكينة بنفسها فأرضعتها الفصاحة والبلاغة منذ صغرها وأطلعتها على أشعار العرب وأخبارهم . وكثيراً ما كانت ترسلها إلى حلقات العلماء ومجالس رواة الحديث فتأخذ عنهم . كما كانت تقص عليها مآثر آبائها وأجدادها ، فتذكرها بجدها الأعظم منقذ العالم من الشرك وهاديه إلى طريق الحق . وتسرد عليها أخبار جدها فتى الفتيان « حيدر » ما كان عليه من البطولة والعلم والفقه فى الدين . وكانت الفتاة ذكية الفؤاد تصغى إلى هذه الأحاديث بكل شوق وتفخر بمآثر أجدادها التى دونها كل فخر ، فاهتدت بنورهم وتسنمت ذروة المجد الشامخ

ولما بلغت سن الزواج زوجها أبوها من ابن عمها عبد الله ابن الحسن . وبعد وفاته تقدم إليها شبان قريش يطلبون يدها فلم يوفق سوى أحد الأبطال الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة والمروءة والكرم — ذلك هو مصعب بن الزبير — أمهرها مليون درهم وأهدى لأخيها أربعين ألف دينار . وزفت إليه وهى كالنار الموقدة حسناً وجمالاً ، وكان الخليفة عبد الملك ينفس على مصعب هذا الزواج ، وقد صرح بذلك لجلسائه فقال : « أشجع الناس مصعب بن الزبير الذى جمع فى بيته بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين »

كان مصعب يحبها حباً جماً ويؤثرها على غيرها لعقلها وأدبها وحسبها وقضى معها أسعد أيام حياته ، ولكن كل هناء يعقبه عزاء ، فلم تطل أيامه معها حتى لقى حتفه . دخل عليها يوم قتله فنزع ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه لينزل ساحة

الوغى . علمت سكينة أنها الساعة الأخيرة وأنها ستفارقه فراق الأبد فلم تمالك نفسها وصاحت : « واحزناه عليك يا مصعب » وما هى إلا ساعات معدودة حتى أتاها خبر استشهاده . فخرجت إلى ساحة الوغى لتنظر البطل المجندل فطلبته بين القتلى وعرفته بشامة كانت فى خده فوقفت عليه وقالت : « يرحمك الله ، نعم بعل المرأة المسلمة كنت » أدركت والله ما قال عنتر :

وخليـل غانية تركت مجندلاً بالقاع لم يعهد ولم يتثلم
فهتكت بالرمح الطويل أهابه ليس الكريم على القنا بمحرم

وقفت سكينة طويلاً أمام هـذا البطل المضرج بدمائه . وتذكرت أيام نكبتها بشهيد كربلاء ، ومن أمامها المناظر المحزنة والمصائب التى توالت على آل البيت . وها هى تفجع اليوم بزوجها كما فجعت بأهلها من قبل ففاض الدمع من عينها والشعر من قلبها وقالت ترثيه :

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى يرى القتل إلا ما عليه حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما

ثم احتسبت واسترجعت ، وأمرت بدفن زوجها ثم عادت إلى الكوفة لتلم شعثها وتلحق بأهلها . ولما أرادت السفر تجمع إليها أهل الكوفة ليسلموا عليها ، كأنهم لم يسلموا زوجها قبل أيام ولم يسلموا أباها وأخاها قبله ، وكأنهم لم يخذلوا جدها . ولـكن سكينة من نعرف دهاءها وعقلها فهى أجل من أن تنخدع بظاهر القول . وقد صرحت لهم بمـا يكنه صدرها من البغض فقالت لهم : « لا جزاكم الله عنى خيراً ، ولا أخلف عليكم بخير ، يعلم الله إنى أبغضكم ، قتلتم جدى علياً ، وقتلتم أبى الحسين ، وأخى علياً ، وزوجى مصعباً . فبأى وجه تلقوننى ، أيتمتمونى صغيرة ، وأرملتمونى كبيرة .

أراد عبد الملك أن يغتنم فرصة قتل زوجها ، وكانت كل مُنيته أن يتزوجها ليحظى بالجمال والعقل والشرف ، ولـكن هيهات أن يجد حبه إلى قلبها سبيلاً . ولما عرض عليها أمر خطبتها قالت : « والله لا يتزوجنى قاتله أبداً » . خطبها الأصبغ بن عبد العزيز والى مصر . فـكتبت إليه أن أرض مصر وخمة . فبنى لها « مدينة الأصبغ » ولـكن هذا الأمر لم يرق فى عين عبد الملك لحسده وكتب إليه : أن أختر ولاية مصر أو سكينة . فـكف عن زواجها . خطبها بعد ذلك زيد بن عثمان بن عفان فشرطت عليه : ألا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يخالفها فى أمر تريده ، وأن يكون أمر خروجها بيدها . فرضى وسلم أموره بيدها كما أرادت . ولـكن صاحبنا هذا كان بخيلاً فلم يطق صبراً على ما تفيضه سكينة على الشعراء والفقهاء وحلقات الأدب وما كانت تنفقه فى قصرها وغدواتها ومتنزهاتها . فغلب بخله على هواه وتخلى عنها .

آثرت سكينة بعد هذا أن تعيش منفردة مع جواريها بمكان ناء عن المدينة وضوضائها تتمتع بهدوء الطبيعة وجمالها الفتان فلم تجد مكاناً أجمل من وادى العقيق الفتان . فباعت مالها بالزوراء وعمرت لها قصراً فخماً بهذا الوادى الجميل . وكلما فاض الوادى كانت تخرج إلى محل السيل يحف بها جواريها . وفى أحد الأيام جلست على حافة الوادى تمتع نظرها بما يحف بها من الأزهار والحشائش وأشجار الأثيل ، وكانت السماء صافية والنسيم عليلاً والناس منتشرون حول الوادى يمتعون أنفسهم بهـذا الجمال الفتان . أعجبها هذا المنظر البهيج فالتفتت إلى جواريها وقالت : « والله لهذه الساعة فى هذا القصر خير من الزوراء » .

(يتبع) سعيد الديوه جى
بالموصـل

حكم فى الجنحة رقم ١١١ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٣ بتسليم سيد محمود على صالح لوالده وغلق محله ثمانية أيام والمصادرة والنشر والتعليق لبيعه أدره عوجه بأكثر من السعر المحدد



رسالة الجاحظ

فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

مات الخليفة الواثق عام ٢٣٢ هـ وتولى بعده أخوه جعفر المتوكل على الله ؛ وكان النزاع الذى طال أمده قد أحدث رد فعل فى نفوس المصلحين ومحبى السلام ، فبذلت جهود جبارة للتوفيق بين المتنازعين ، وإزالة روح الحسد والتنافس التى طغت على العلاقة بين طوائف الجند ، ووشجت بنفوس الرؤساء من كل فريق . وكان على رأس هؤلاء المخلصين الداعين إلى الإصلاح نديم المتوكل وصاحبه الأثير : الفتح بن خاقان[1] الذى تقدم إليه الجاحظ برسالته فى مفاخر الترك بعد أن أضاف إليها مقدمة قصيرة ملائمة . ولا شك أنه فى هذه الفترة أيضاً زاد من عنوانها لجعله « فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة » ... إذ الرسالة الأصيلة - بعد حذف المقدمة التى توجه بالخطاب فيها إلى الفتح - مقصورة على ذكر مفاخر الأتراك والإشادة بفضلهم على سائر الأجناس ، فى حربهم وسياستهم وصناعتهم وأخلاقهم ، وكل ما يكون موضع فخر ومحل تمايز وتفاضل

والفتح من الترك ، فما يضيره أن يطنب الجاحظ فى فضائل بنى جنسه ؛ ثم هو من دعاة الألفة والإصلاح فلا يضير الجاحظ أن يوطىء لرسالته بحديث فى مزايا هذه الألفة يضمنه من فضائل تلك الطوائف جميعاً ما يجعل كلامه أقوى فى التأثير وأدعى إلى القبول بذلك خرجت الرسالة فى قسمين : مقدمة فى فصل التآلف وضرورة اتفاق الكلمة مع حديث فى مزايا كل طائفة من طوائف الأجناد سوى الترك ؛ ثم فصل طويل فى مناقب الترك خاصة ، وهو الرسالة القديمة بعينها ...

أما المقدمة المستحدثة فيبدأ الجاحظ فيها بالإشارة إلى ما يضطلع به الفتح بن خاقان من الدفاع عن الخلافة والترغيب فى الالتفاف حولها ، والسعي إلى توطيد التآلف بين أنصارها ، وإقرار فضيلة الطاعة وبث روح الود والمناصحة فيهم ؛ ثم يقول متوجهاً بالحديث إلى الفتح :

«وذكرت أبقاك الله أنك جالست أخلاطاً من جند الخلافة ، وجماعة من أبناء الدعوة ، وشيوخاً من جلة الشيعة ، وكهولا من أبناء رجال الدولة والمنسوبين إلى الطاعة والمناصحة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة . وأن رجلا من عرض تلك الجماعة ومن حاشية تلك الجلة ارتجل الكلام ارتجال مستبد ، وتفرد به تفرد معجب ... وزعم أن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام : خراسانى وتركى ومولى وعربى وبنوى ... وأنك اعترضت على هذا المتكلم المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان » . ويورد الجاحظ عقب هذا بعض ما رد به الفتح على ذلك الخطيب الداعى إلى التفرقة ، ويقول له : « فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة ، وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكانفة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة » . ثم يشير الجاحظ إلى أن هذا الخطيب ذكر فى معرض كلامة جملا من مفاخر هذه الأجناس وجمهرة من مناقبهم ، وأنه أطنب فى ذلك ما شاء له الإطناب ولكنه « ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم ، وأضرب عنهم صفحاً فلم يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل وبرهان كل صنف ... »

ويذكر الجاحظ - على لسان الخطيب أيضاً - مفاخر هذه الأجناس الأربعة سوى الأتراك ، فيطنب فى مزايا الخراسانيين والعرب والموالى ثم الأبناء . ويتخذ من إهمال شأن الأتراك وسيلة إلى الحديث عنهم ؛ أى إلى إبراز رسالته الأولى فى مناقبهم وهو يسلك إلى ذلك ألطف المسالك فيقول : « إن ذهبنا - حفظك الله - بعقب هذه الاحتجاجات ، وعند منقطع هذه الاستدلالات ، نستعمل المفاوضة بمناقب الأتراك والموازنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف ، سلكنا فى هذا الكتاب سبيل أهل الخصومات فى كتبهم ، وطريق أصحاب الأهواء فى الاختلاف الذى بينهم . وكتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة ، ولنزيد فى الألفة إن كانت مؤتلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم ... »

ولا يخلص الجاحظ إلى رسالته الأولى فى مناقب الترك حتى يعاود التمهيد لها والتمويه عن غرضه السابق منها فيقول : « وهم فى معظم الأمر وكبر الشأن وعمود النسب متفقون ، فالأتراك

---

(١) أبو محمد الفتح بن خاقان بن أحمد وقيل ابن غرطوج ، التركى . قال ابن النديم : كان من أولاد الملوك واتخذه المتوكل أخاً وكان يقدمه على جميع أولاده . قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية . هـ

خراسانية وموالى الخلفاء قَصَرة[١] ، فقد صار فضل التركى إلى الجميع راجعاً ، وصار شرفه إلى شرفهم زائداً »

وينتقل الجاحظ بعد هذا إلى رسالته الأصيلة ؛ وبديهى أن سطورها الأولى مما كتبه قبل تقديمها إلى الفتح بن خاقان ، لأنه يقول فيها بعد التسمية : « هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضي الله تعالى عنه ونضر وجهه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحها ... »

ولا نستطيع بحال ما أن نحدد مدى التحوير الذى أدخله فى هذا الموضع ، ولكنا نقول إنه تحوير ألجأته إليه الضرورة ، إذ لا أقل من أن يتوجه بالخطاب من المعتصم المتوفى إلى الفتح الذى تحولت إليه الرسالة

ويبدأ الجاحظ حديثه عن مناقب الترك بسرد قصة فحواها أن حميد بن عبد الحميد[٢] كان جالساً — مع جماعة أسماهم — فى دار المأمون إذ خرج عليهم رسول من عنده فقال : يقول لكم أمير المؤمنين متفرقين ومجتمعين ، ليكتب كل رجل منكم دعواه وحجته ، وليقل أيما أحب إلى كل قائد منكم — إذا كان فى عدته وصحبه وثقاته — أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجى ؟ ... فأجمع القوم على أن لقاء الترك أهون من لقاء الشراة ؛ إلا حميداً فإنه خالف هذا الرأى وبالغ فى التهويل من شأن الترك والإشادة ببطولتهم فى حربهم . وعقد من الموازنة بينهم وبين الخوارج ما انتهى به إلى تصويب رأيه وتثبيت حجته

وبلغ الحديث المأمون فقال : ليس بالترك حاجة إلى حكم حاكم بعد حميد ! فإن حميداً قد مارس الفريقين ، وحميد خراسانى وحميد عربى ، فليس للتهمة عليه طريق ...

ويمضى الجاحظ إلى غايته من إعلاء شأن الأتراك فيذكر من عجائبهم فى حربهم ومن طرائف أقوال الرواة والمحدثين عنهم كل ما تطرب له النفس ويطول به العجب ؛ وهو لا يستشهد فى كلامه إلا بأقوال رجال من ثقات العرب والخراسانيين — سوى الترك — حتى يكون ذلك أبعد عن التهمة وأقوم بالحجة ، وأدعى إلى الاقتناع . فيحكى عن سعيد بن عقبة بن سلم الهنائى ، ويختم ما ينقله عنه بقوله : « فهذا قول سعيد بن عقبة ورأيه وحديثه ، وهو عربى خراسانى » . ويروى بعض ما يقصه ثمامة بن أشرس ويعقب قائلاً : « هذا ثمامة بن أشرس وهو عربى لا يتهم فى الإخبار عنهم » . ويروى أيضاً عن يزيد بن مزيد الشيبانى ما وصف به الموقعة التى قتل فيها دولَبا التركىُّ الوليدَ ابن طريف الخارجى[١] . ويقص عن قتيبة بن مسلم طرائف أخر . ويرى الجاحظ خلال هذا بعض ما شاهده بنفسه فيقول : « وأنا أخبرك أنى قد رأيت منهم شيئاً عجيباً وأمراً غريباً . رأيت فى بعض غزوات المأمون سماطى خيل على جنبتى الطريق بقرب المنزل : مائة فارس من الأتراك فى الجانب الأيمن ، ومائة من سائر الناس فى الجانب الأيسر ، وإذا هم قد اصطفوا ينتظرون مجىء المأمون وقد انتصف النهار واشتد الحر . فورد عليهم وجميع الأتراك جلوس على ظهور خيولهم إلا ثلاثة أو أربعة ! وجميع تلك الأخلاط من الجند قد رموا بنفوسهم إلى الأرض إلا ثلاثة أو أربعة ! فقلت لصاحب لى : أنظر أى شىء اتفق لنا ؛ أشهد أن المعتصم كان أعرف بهم حين جمعهم واصطنعهم[٢] »

ولا يفرغ الجاحظ من حديثه فى هذه الرسالة حتى يكرر النصَّ على أنه إنما وضعها بغية التأليف بين القلوب وجمع الكلمة وتوحيد القصد والغاية ؛ وأنها ليست من كتب المناقضات أو إظهار التبحّر فى العلم والاتساع فى المعرفة ؛ لأنه لا يهدف إلى شىء من هذا ، وإنما هو يرمى إلى التوفيق من أوجز طريق ، ويرى « أن القليل الذى يجمع خير من الكثير الذى يفرق » ...

... بهذا التصرف البديع تهيأ للجاحظ أن ينشر رسالته بعد أن يئس من إخراجها أو كاد ، فازداد بها فضلاً إلى فضل ، وارتفع معها مكانة فوق مكانة ؛ وهو لم يُحرم مع ذلك أن يُعدّ من الذائدين عن الوحدة ، الداعين إلى التآلف والوئام ، المصلحين بين هذه الطوائف المتدابرة والفرق المتنافرة ؛ وتلك أغراض لا نستطيع الجزم بأن واحداً منها كان يجول بخاطره وهو يضع رسالته الأولى على عهد المعتصم .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

---

(١) فى القاموس المحيط : هو ابن عمى قصرة وضم ، ومقصورة وقصيرة أى دانى النسب . اهـ

(٢) حميد بن عبد الحميد الطوسى من أشهر قواد العباسيين ، وهو والد سليمان بن حميد الذى قتل وهو عامل على سمرقند فى عهد الرشيد ووالد محمد بن حميد الذى قتل فى حرب بابك الخرمي على عهد المأمون

---

(١) المشهور فى التاريخ أن قاتل الوليد بن طريف هو يزيد بن مزيد الشيباني نفسه ، وكان ذلك فى مبارزة بينهما فى وقعة الحديثة قرب الأنبار عام ١٧٩ هـ

(٥) نفهم من هذا أن أول عهد المعتصم بجنود الترك يرجع إلى أيام ولايته العهد فى حياة أخيه المأمون ، وكان إذ ذاك والياً على الشام ومصر . ومن الثابت أن الأفشين قام باعداد بعض الثورات فى مصر وبرقة بأمر من المعتصم على حياة المأمون .

لماذا لا أثق

بأقوال النحاة ولا اللغويين

للأب أنستاس مارى الكرملى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

القسم الرابع

فعلول (المفعول الأول)

قال السيد مرتضى بعد مادة (ص ر ق) وقبل رسم (ص ف ر ق) — وهو غريب — ما يأتى ، ونحن نذكره بحذافيره على طوله لما فيه من الفائدة الجزيلة :

« الصعفوق ، بالفتح : اللئيم من الرجال . قاله الليث . وصعفوق : بلدة باليمامة ، فيها قناة يجرى منها نهر كبير ، لهم فيها وقعة ، ويقال : صعفوقة بالهاء ، وليس فى الكلام فعلول سواه . قال الحسين بن إبراهيم النطيرى فى كتابه دستور اللغة : فعلول في لسان العرب مضموم ، إلا حرفا واحداً ، وهو صعفوق ؛ لموضع فى اليمامة .

وأما خرنوب بالفتح ، فضعيف . قال الصاغانى : وأما الفصيح فيضم خاؤه ، أو يشد راؤه مع حذف النون ، كما فى العباب . وقال شيخنا : لا يفتح خرنوب ، إلا إذا كان مضعفاً ، وحذفت منه النون ، فقيل خروب ، أما ما دامت فيه النون ، فإنه غير مسموع . قال : وأما برغوث الذى حكى فيه الخليل التثليث فى الكتاب الذى ألفه فيه ، فلا يثبت ، ولا يلتفت إليه . وأما عصفور الذى حكى فيه الشيخ الشهاب القسطلانى عن ابن رشيق ، فهو أيضاً غير ثابت ، ولا موافق عليه . والله أعلم . اه .

« قلت (أى الشارح) : وقال ابن برى : رأيت بخط أبى سهل الهروى على حاشية كتاب : جاء على فَعلول : صعفوق وصعقول ، لضرب من الكمأة ، وبعكوكة الوادى ، لجانبه . قال ابن برى : أما بعكوكة الوادى ، وبعكوكة الشسر ، فذكرها السيرافى وغيره بالضم لا غير ، أعنى بضم الباء . وأما الصعقول ، لضرب من الكمأة فليس بمعروف ، ولو كان معروفا لذكره أبو حنيفة فى كتاب النبات ، وأظنه نبطياً أو أعجميا » . اه

« قلت (أى الشارح) : ولا يلزم من عدم ذكر أبى حنيفة إياه فى كتابه أن لا يكون من كلام العرب ، فان من حفظ حجة على من لم يحفظ . فتأمل ذلك . والصعافقة جمع صعفوق : خول لبنى مروان ، أنزلهم اليمامة . ومروان بن أبى حفصة منهم ، قاله الليث . قال : ولم يجيء فى الكلام فعلول إلا صعفوق وحرف آخر . ويقال لهم : بنو صعفوق ، وآل صعفوق . قال العجاج :

من آل صعفوق وأتباع أخر ، من طائمين لا ينالون النمر

قال الأزهرى : ويضم صاده . ونصه : كل ما جاء على فعلول ، فهو مضموم الأول ، مثل : زنبور ، وبهلول ، وعمروس ، وما أشبه ذلك ، إلا حرفاً جاء نادراً ، وهو بنو صعفوق ، لخول باليمامة . وبعضهم يقول صعفوق ، بالضم . انتهى — وقال الصاغانى : صعفوق ممنوع من الصرف للعجمة والمعرفة ، وهو وزن نادر ، سموا لأنهم سكنوا قرية باليمامة تسمى صعفوق ، كما تقدم . وقيل : الصعافقة : قوم كان آباؤهم عبيداً فاستعربوا . وقيل : هم قوم من بقايا الأمم الخالية ضلت أنسابهم . ويقال : مسكنهم بالحجاز . وقال الليث : الصعافقة : القوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال عندهم ، ولا نقد عندهم ، فإذا اشترى التجار شيئاً ، دخلوا معهم فيه . ومنه حديث الشعبي : ما جاءك عن أصحاب محمد ، ودع ما يقول هؤلاء الصعافقة . أراد أن هؤلاء ليس عندهم فقه ولا علم بمنزلة أولئك التجار الذين ليس لهم رؤوس أموال . الواحد : صعفق وصعفق وصعفوق ، بالفتح . واقتصر الجوهرى على الأولين ، والجمع صعافيق أيضاً . قال أبو النجم :

يوم قدرنا والعزيز من قدر ، وآبت الخيل وقضّين الوطر
من الصعافيق وأدركنا المِئَر

أراد بالصعافيق أنهم ضعفاء ، ليست لهم شجاعة ، ولا سلاح ، ولا قوة على قتالنا » اه آخر كلام التاج بنصه على فيه من الطول

رأى الألوسى فى الصعافيق

ونزيد على ما تقدم ، أننا كنا سألنا فى سنة ١٨٩٥ أستاذنا الكبير ، محمود شكرى الألوسى ، عن هؤلاء القوم وأصلهم ، لأنه كان واقفاً أتم الوقوف على ما يتعلق بأخبار العرب وقدمائهم ، وما يتصل بهم . فقال لى : « إنهم يونانيو الأصل ، أتى بهم عبيد أسرى فى صدر الإسلام ، ثم بيعوا ، فوضعوا فى قرية من اليمامة عرفت باسمهم ؛ ثم اتخذوا خولاً ، ومن اليمامة انبثوا

في سائر ديار العرب ، فاستعربوا ، فأسلموا ، فاندمجوا بأهالي تلك الربوع ، ولم يبق منهم باقٍ » انتهى .

رأينا الخاص بنا

وعليه فيكون هذا الاسم يوناني الأصل ، وهو بفتح الأول ومنحوت من قولهم saphês أي ظاهر وواضح وصافٍ ، و Agareuô أي تكلم جهاراً في مجلس أو نادٍ ، أو تكلم كلاماً جهورياً ، لأن الحرف بتمامه saphgeoros . وذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يتكلمون ببراعة ومهارة بين أيدي الناس ، ترغيباً في البضاعة والتجارة أو في أي مهنة يزاولونها أو يتخذونها . واليونانيون - حتى عوامهم معروفون بالتشدق . ولما كان هذا الاسم يونانياً ، واشتهر بالفتح قبل أن تضبط قواعد اللغة ضبطاً محكماً بالأقيسة والقواعد ، لم يكن قتل هذا اللفظ سهلاً ، فاشتهر بين الناطقين بالضاد ، وفشا فشواً غريباً في جميع طبقات الناس ، ولما جاء أرباب القواعد ، لم تصادف لها مزدرعاً طيباً فبقي اللفظ على علاته . ولهذا قد يقاس هذا الحرف أيضاً على القواعد الشائعة ، ولا مانع من ذلك .

فلا جرم أن الفتح هو الأصح ، لقدمه في اللغة ، ولتمكنه فيها ولا سبيل إلى إنكاره ، لاستحكامه في الأنفس وفي الدواوين اللغوية والتاريخية منذ أقدم الأزمنة ، أي منذ نأناة الإسلام . وأما ضبطه بالضم فيكون من باب إجراء أحكام القياس .

إذن يجوز الضبطان ويبقى الفتح هو الأعلى ، وأصح المثال الأمثل الذي يقاس عليه ما يأتي من الحروف على نحوه .

ما جاء من الألفاظ على صعفوق بالفتح

وأما أن هناك غير صعفوق من الألفاظ فما لا شبهة فيه ولا يمكن أن ينكر ، من ذلك : الصعقول ، وقد مر الكلام عليها ، فهي الحرف الثاني

والثالث : ترفوق

والرابع : طرخون

والخامس : برشوم ، لضرب من التمر أو النخل

والسادس : قربوس ، على لغة ذكرها التاج

والسابع : بعكوك وقد مر ذكرها

والثامن : كرموص

والتاسع : صندوق على لغة ذكرها الشارح

والعاشر كندوج

والحادي عشر : سنطور وهو من كلام المولدين

والثاني عشر : برغوث . على لغة وإن أنكرها بعضهم

والثالث عشر : خرنوب ، وإن أنكرها بعضهم ، وهي لغة مشهورة

والرابع عشر : عمروس ، علم رجل . قال في القاموس : « وفتحه من لحن المحدثين » ، ثم زاد الشارح : « وتحريفهم لغرابة بناء فعلول ، سوى صعفوق ، وهو نادر ، قاله الصاغاني

١٥ — حمدون (القاموس واللغويون)

١٦ — سعدون (التاج)

١٧ — زرنوق في قولهم : الزرنوقان ، بالضم ، ويفتح (القاموس) وزاد في التاج بعد قوله : ويفتح « حكاه اللحياني رواه عنه كراع . قال: ولا نظير له إلا بنو صعفوق : خَول باليمامة . وقال ابن جني : الزَّرنوق بفتح الزاي . فَعْنول ، وهو غريب . ويقال الزرنوق بضمها » ا . هـ

١٨ — خلدون ومنه ابن خلدون ، وجميع من ترجم له ضبطه بفتح الأول ، ولم يضبطه أحد بضمه وهو أشهر من أن يذكر

١٩ — سمهوط . قال ياقوت : « بفتح أوله وسكون ثانيه ويقال بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطئ النيل بالصعيد ، دون فرشوط . والله أعلم .

٢١ — سحنون . كذا ضبطه جميع من ترجم لمن اشتهر بهذا الاسم . من ذلك عبد السلام بن سعيد بن حميد التنوخي الملقب بسحنون . ومحمد بن سحنون التنوخي

٢١ — عبدون . ومنه عبد المجيد بن عبدون . الفهري ، من أبناء المائة السادسة

٢٢ — عبدوس . ومنه محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبدوس من أبناء المائة الثالثة . وعبدوس بن زيد ، طبيب من أبناء المائة الرابعة

٢٣ — دستور . جاء في التاج في مادة (دستر) . وفي الأساس : الوزير : الدستور . قال شيخنا : وأصله الفتح ، وإنما ضم لما عرب ، ليلحق بأوزان العرب ، فليس الفتح فيه خطأ محضاً ، كما زعمه الحريري ، وولعت العامة في إطلاقه على معنى الإذن » . ا هـ

٢٤ — عصفور . قال في كشف الطرة ص٢٣٣ : « عصفور في لغة حكاها ابن رشيق ، والمشهور فيه الضم » ا هـ .

٥٠ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعات

تعتبر الزراعة أهم أعمال المصريين، ويباشرها كما سبق أن ذكرت جميع السكان ما عدا القليل منهم . ويخصب النيل الجزء الأكبر من الأراضي القابلة للزراعة بفيضانه السنوي . ولكن الحقول التي تجاور النهر والقنوات الكبيرة يحفر فيها جور للماء وتروى بآلات مختلفة الأنواع . والشادوف أكثر هذه الآلات شيوعاً ، وهو يتكون من عمودين من الخشب ، أو من الطين والعصى ، أو من الطين والبردى ، يرتفعان إلى خمس أقدام تقريباً ، ويبلغ ما بينهما أقل من ثلاث أقدام ، ويعلوها قطعة خشبية أفقية تمتد من ثمة إلى أخرى ، ويعلق بها عتلة رفيعة تتكون من فرع شجرة ، وينتهي أحد طرفيها بثقالة من الطين ، والطرف الآخر بوعاء يعلق بواسطة قضيبين طويلين من النخيل ، ويصنع الوعاء على شكل طاس من السلال أو من طوق ونسيج من الصوف أو الجلد . ويرفع الماء في هذا الوعاء إلى علو ثماني أقدام تقريباً ويقذف به في حوض معد لذلك . ويلزم لرفع المياه إلى الحقول في أعالي الصعيد عند ما ينخفض النيل أربعة شواديف أو خمسة . وهناك شواديف كثيرة ذات عتلتين يحركها رجلان . ويعتبر الري بالشادوف عملاً شاقاً للغاية . وتوجد آلة أخرى للري وهي « الساقية » وتكاد تكون وحدها المستعملة لري الحدائق في مصر . وتتكون الساقية خاصة من عجلة عمودية ترفع المياه في مجموعة متتابعة من أوعية فخارية مشدودة بحبال ، وعجلة عمودية ثابتة ذات ضروس مثبتة إلى المحور ذاته ، وعجلة كبيرة أفقية ذات ضروس يديرها ثوران أو بقرتان أو حيوان واحد فتحرك العجلتين السابقتين . وتصنع الآلة صناعة غليظة ويحدث تحريكها طقطقة كريهة . وهناك آلة ثالثة تسمى « تابوت » يستعملها المصريون لري الأراضي شمال مصر حيث لا يلزم رفع المياه إلا لارتفاع قليل . ويشبه التابوت الساقية نوعاً ، والفرق الرئيسي بينهما أن للتابوت ، بدلاً من عجلة الساقية ذات الأوعية ، عجلة كبيرة مجوفة الدائرة ترفع فيها المياه . وتستعمل (القطوة) في الأقاليم نفسها . وهي وعاء مثل وعاء الشادوف يشد إلى حبال أربعة ، ويستعمل كثيراً لرفع المياه إلى جرة التابوت . ويحرك القطوة رجلان يمسك كل منهما بحبلين . وتقسم الأرض في نظام الري الصناعي إلى مربعات صغيرة يحدها ارتفاع من التراب أو إلى أخاديد ، فيسيل الماء من الآلة في قناة ضيقة إلى المربعات أو الأخاديد الواحد تلو الآخر

لا تزرع الأراضي (الري) أي التي يغمرها الفيضان ، ماعدا القليل منها ، إلامرة واحدة في السنة فيبذر القمح والشعير والعدس والفول والترمس والحمص الخ بعد انسحاب المياه في آخر اكتوبر أو ابتداء نوفبر تقريباً . ويسمي هذا الموسم «الشتوى» . أما الأراضي « الشراقي » وهي التي لا يصل إليها الفيضان لعلوها وبعض الأراضي « الري » فتنتج ثلاث غلات سنوياً بفضل الري الصناعي ، وإن لم تكن الأراضي الشراقي جميعها تزرع هكذا . وتنتج الأراضي التي تروى صناعياً أولاً المحصول الشتوى ، إذ هي تبذر مع الأراضي الري في وقت واحد ، بالقمح والشعير على العموم . وعقب ذلك تبدأ زراعة الصيفي أو ما يسمونه في الصعيد القيظي

---

٢٥ — شمعون بالشين المعجمة والميم والعين المهملة . هكذا ضبطه صاحب القاموس

٢٦ — سمغون ، مثل السابق ، إلا أنه بالغين المعجمة ذكره أيضاً القاموس

٢٧ — سنهور ، بالسين المهملة (القاموس والتاج وياقوت)

٢٨ — شنهور كالسابقة ، لكنها بالشين المعجمة (التاج)

٢٩ — بركون (القاموس وياقوت)

٣٠ — جوع برقوع . قال الشارح : « كعصفور وصعفوق جاء الأخير نادراً ندرة صعفوق » . اهـ

الخلاصة :

ليس فعلول من الأوزان النادرة ، وقد ذكرنا من الشواهد على كثرتها وهي ثلاثون . ولو أمعنا في البحث لضعفناها ، وربما مراراً ، لكننا اجتزأنا بهذا القدر إثباتاً لما ذكرناه ، من أن هذه القاعدة ، وهي ليس لفعلول سوى حرفين ، غير صحيح ألبتة ، فيجب نقضها وتذريتها في الهواء هباء منثوراً !

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

٢٠ - ١٢

أو « الجيفى » وتكون عند الاعتدال الربيعى تقريباً أو بعد ذلك فيزرع « الذرة الصيفى » أو النيلج أو القطن الخ . وأخيراً تأتى الزراعة « الدميرى » مدة ارتفاع النيل وتبدأ عند الانقلاب الصيفى أو بعده بقليل ، فتبذر « الذرة الصيفى » مرة أخرى أو « الذرة الشامى » الخ . وهكذا تجود الأرض بحصول ثالث . ويزرع القصب على مساحة كبيرة فى الصعيد . ويزرع الأرز فى الأراضى المنخفضة قرب البحر الأبيض المتوسط

يستعمل المصريون (النورج) لفصل حبوب القمح والشعير وقطع القش للعلف . والنورج آله على هيئة مقعد تسير على عجلات حديدية صغيرة ، أو صفائح مستديرة دقيقة ، عددها على العموم إحدى عشرة عجلة مثبتة إلى ثلاثة محاور ، أربع عجلات فى المحور الأمامى ، وأربع فى المحور الخلفى ، وثلاث فى المحور الأوسط . ويجر النورج بقرتان ، أو ثوران يدوران فى حلقة فوق الحبوب . أما المحراث وآلات الفلاحة الأخرى ، فهى ذات نوع بدائى .

تشغل الملاحة النيلية عدداً كبيراً من المصريين . وأغلب نوتية النيل أقوياء بارزو العضلات . وهم يقاسون مشقة شديدة فى التجديف وسحب المراكب ودفعها (بالمدرة) ، ولكنهم كثيرو الجذل ؛ ويزيد سرورهم كلما كثر عملهم ، إذ هم يسلون أنفسهم بالغناء . ويتعرض أكثر الربابنة خبرة إلى جنوح سفنهم نتيجة للتغيرات المتواصلة التى تحدث فى مجرى النيل ، ويلزم حينئذ أن ينزل البحارة إلى الماء لدفع المركب بظهورهم وأكتافهم . وتصنع المراكب النيلية بطريقة تمنعها من الاصطدام بحيث يغوص مقدمها فى الماء عن مؤخرها ، ومن ثم يلزم أن تكون الدفة كبيرة جداً . وتكون أحسن أنواع المراكب النيلية ، وهى كثيرة العدد ، بسيطة الشكل رشيقة . وتكون غالباً على طول بين ثلاثين وأربعين قدماً . ويكون لها ساريتان وشراعان مثلثان كبيران ، وقمرة تتلو المؤخرة وترتفع إلى أربع أقدام تقريباً [١] ، وتشغل القمرة ربع المركب أو ثلثها طولاً ؛ وكثيراً ما تشغل الثلثين أو أكثر . ويستخدم عادة ملاح ليمسك حبل الشراع الرئيسى إذ أن الزوابع الفجائية تكثر على النيل فيستطيع أن يترك الشراع يخفق عند أقل إشارة . ويجب أن يكون المسافر حذراً بصفة خاصة مها اعتدل الجو

عدلى طاهر نور

(١) وأصبحت قمرات المراكب أخيراً أكثر ارتفاعا ، لتلائم حاجات السياح الأوربيين



وداع . . . !

نشرتْ على الأفقِ البعيدِ قلاعَها   تلك السفينة أزمعت إقلاعَها
قد خلَّفتني كالغريب بشاطئٍ   أودعتُ أسراري به فأضاعها
السحْبُ أحبابٌ تمزّق شملهم   والشمس غاربةٌ تذيب شعاعها
يبدو على الموج اللعوب ويختفي   كسراب قافلة يروم خداعها
وسلوّ ثاكلةٍ وأمنِ مضلَّلٍ   وكدمع عاشقة ، دعت فأطاعها
تذرى مدامعَها فإن مسَّ الأسى   بردُ التجلد ، حاولت إرجاعها

مضت السفينة بالكنوز وودعت   أرض الصبابة : شطها و بقاعها
ووقفت ثمَّةَ لا أطيق فراقها   قبل الوداع ولا أطيق وداعها
ضمت جوانحُها هناءةَ عاشقٍ   لو يُسأل الدنيا بديلاً ، باعها
وضياء مكفوفٍ وغفوةَ ساهد   ومباه قافلةِ الهوى ومتاعها
كيف استحال هناؤهن مواجداً   بل كيف غيَّرتْ السنونُ طباعها
أين الهوى ، وشكوكه ويقينه ؟   كانت رؤى حلم جفتْ هجّاعها
أيام كان لنا جنيناً يُرتجى   ملأ الجوانح بالنعيم وراعها
ومساء مولده السعيد بجنةٍ   نفتِ الرقيب وغيبّت مناعها
بل أين يومَ حبا على بُسُط المنى   طفلاً تبيح له الجنان رضاعها . . .
. . . أغرت به أرض الشقاء ضباعها   حسداً وأضرتْ بالغرير سباعها
وا رحمتا للمستظل بدوحةٍ   لا ظلها يلفى ولا أسجاعها
وا رحمتا للقلب بات نعيمه   ناراً تزيد على المدى لذّاعها

مضت السفينة بالكنوزِ وودعت   أرض الصبابة : شطها و بقاعها
أخفت بخفاق المياه صفاحها   ورمت لخفاق الرياح شراعها
يهفو إلينا بالشجون وطالما   أهدى البشائر باللقا وأشاعها
طوراً تحجّبُه الدموع وتارةً   يهتز رفّافَ المنى لمّاعها
فإخالها ألفت هنا مرسلتها   وإخالها مدّت إليَّ ذراعها
ما أضعف الجبار في أوهامه   طفلاً وما أقوى الرؤى وصراعها
حيناً تغرد للغرام وتارةً   تبكي الصبابة : وُجْدَها وضياعها

(الاسكندرية)   **ادوارد حنا سعد**

أنشودة الحرب لأبليس

أنشودتى ترقص ألحانها   على هوى رقص بنياتى
نوافراً حولى كبعض الدمى   يعلنَّ فى الليل مسراتى
على الدم المسفوح أقدامها   وفوق أجسام وهامات
إرادة الله لها قيمة   والحرب هذى من إراداتى
هيأتها سراً وأطعمتها   شراً وألوان العداوات
حتى إذاما اضطرمت نارها   وأسفرت عن وجه سعلاة
قمت على آثارها ضاحكا   وا بؤس أحياء وأموات !

مصباحى الأحمر أوقدته   وأقبلت نحوى فراشاتى
أطعمها الموت فلا تنثنى   تقول لى هات لنا هات
وأمة فرقت ما بينها   حتى غدت أشتات أشتات
وعفت بعد الأمن نسوانها   شوارداً فى عرض موماة
كشفت عنها الستر فى ليلة   رهيبة من بعض ليلاتى
بكى لها السرحان من رحمة   ولم يكن فيها بمنجاة
وبلدة صيرتها بلقعاً   من بعد أنهار وجنات
يصيح فيها الموت مستشعراً   خوفاً ويمضى تحت راياتى
وطفلة أطعمت أحشاءها   ذئباً ونسراً فى العشيات
ودار أنس قد رعاها الهوى   هدمتها بالمدفع العاتى
فهل درى آدم بعض الذى   يلقى بنوه من نكاياتى
وهل درت حواء شكرى لها   من يوم عهدى فى السموات
بناتها ما حدن عن نهجها   كلا ولا عفن وصياتى
يقتدن بالرفق قلوب الورى   إلى منى خمر ولذات

أنشودتى تقطر ألحانها   دماً ودمعاً من ضحياتى
هدية لله قدمتها   ولم يزل يخشى هداياتى
صاعدة بين دخان الوغى   حاملة بعض ابتساماتى

(حلب)   **عمر أبو قوس**

حكم فى الجنحة ٤٦ أبو قرقاص سنة ١٩٤٣ بحبس كل من محمد حسين خليل وعبد الوارث صالح جزارين بابيوها ثلاثة شهور شغل وتغريم كل منهما ١٠٠ جنيه والمصادرة لبيعهما لحوم بأكثر من التسعيرة



رجعة إلى المذاهب الصوفية

اطلع القراء الكرام على فتوى[1] « الإمام الطرطوشي » (في المذاهب الصوفية) وفيها يقول : مذهب الصوفية بطالة وجهالة ... ثم كان أن عززنا هذه الفتوى بنشر[2] رأي أئمة الفقه في هذه المذاهب . وفي الحق أن فتوى الطرطوشي وفي رأي أئمة الفقه الدليل القاطع على بطلان تلك الطرائق القدد التي أفسدت على الناس عقائدهم ، ومكنت للوثنية من نفوسهم ، حتى إذا ما جئت لتردهم إلى دين الفطرة من توحيد الألوهية والربوبية لووا رءوسهم واستغشوا ثيابهم، ثم قالوا : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض ؟

وإن في هذه الطوائف من يعرف الحق ولكنه ينكره عناداً وحرصاً على ما ينعم به من مال وجاه ، كدأب الذين من قبلهم : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا . وهؤلاء هم الرؤساء (المسلكون) الذين اتخذوا الانتساب إلى تلك الطرق حرفة لأكل أموال الناس بالباطل . أمّا ما عدا هؤلاء من الطالبين أو المريدين ، فإن للشيخ (المسلك) سلطة خاصة عليهم حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ، حتى لو أمره بمعصية لكان عليه أن يعتقد أنها الخيرة وأن فعلها متمين عليه . فكان من قواعدهم التسليم المحض ، والطاعة العمياء . وقالوا إن الوصول إلى العرفان المطلق لا يكون إلا بهذا .

ومن ثم زادوا أمراً إدًّا في الدين هو أظهر من كل ما عداه قبحاً وهدماً للدين « وهو[3] زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فإذا اقترف أحدهم ذنباً فأنكر عليه منكر قالوا في المجرم إنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفي المنكر إنه من أهل الشريعة فلا التفات إليه . كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين ، وأنه يحاسبهم بوجهين ، ويعاملهم معاملتين — حاش لله ولدينه — نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ، ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله ما يعلو أفهام العامة بما يشير إليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها إلا الراسخون في العلم فحسب العامة من هذا الوقوف عند ظاهره ، ومن آتاه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تصل إليه أفهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه في خلقه . فهذا ما يسمونه علم الحقيقة لا سواه ، وليس فيه شيء يخالف الشريعة أو ينافيها » اهـ

أما ما يموه به المتصوفة على العامة وأشباه العامة بحيلهم ودجلهم لإثبات ما يزعمونه لأنفسهم من كرامات فهو ضرب من ضروب السحر كان يقوم بمثله الكهان من العرب في الجاهلية « وكانت[1] أكثر مخاريق الحلاج من باب المواطآت[2] .

ومواطآت الحلاج هي أنه كان يتفق مع أناس من رجاله على ما يلبسون به على الناس بدعوى الكرامات . وقد اكتشف ذلك في عصره كما بينه التنوخي في جامع التواريخ « نشوار المحاضرة » ومنه أن رجلاً جاء بصفة مسترشد وإنما هو مختبر فقال له الحلاج : تَشَـهَّ على ما شئت فقال : أريد سمكاً طرياً وكانوا في بعض بلاد الجبل البعيدة عن الأنهار والبحر ، فدخل بيتاً خالياً من داره وأغلق عليه بابه ، وعاد بعد ساعة طويلة وقد خاض وحلاً إلى ركبتيه وبيده سمكة تضطرب وزعم أنه دعا الله فأمره أن يذهب إلى البطائح قال : فمضيت إلى البطائح فخضت الأهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه . فقال الرجل : تدعني أدخل البيت فإن لم ينكشف لي حيلة فيه آمنت بك . فقال : شأنك . فدخل وبعد عناء وتنقيب اهتدى إلى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الفاكهة والثمار والنوار ومنها ما ليس من وقته ولكنه محفوظ بحيلة صناعية ، ووجد فيها خزائن مليحة فيها أنواع الأطعمة

(١) الرسالة : العدد ٤٤٨ من السنة العاشرة
(٢) الرسالة : العدد ٤٥٢ من « «
(٣) تفسير المنار ج ٢ للمغفور له السيد رشيد رضا

(١) نقلا عن تفسير المنار لمؤلفه المغفور له السيد محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٥٤

(٢) المواطآت جمع مواطأة وهي الاتفاق بين اثنين أو أكثر على أمر والمخاريق جمع مخراق وهي في الأصل خرق كانوا يفتلونها ويلعبون بها بادارتها بخفة ومهارة .

الناضجة والحوائج لما يهيأ بسرعة ورأى فى الدار بركة ماء مملوءة سمكاً فأخذ واحدة منها وخرج ... فتبعه الحلاج فرمى بالسمكة وجهه وصدره وهرب . وأقسم الحلاج ليقتلنه إن حدث أحداً بذلك ولو فى تخوم الأرض . ولم يحدث بها الرجل إلا بعد قتله لعلمه بأنه لو أمر أحد المفتونين به أن يقتله فإنه يفعل »

وبعد فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع — اتخذوا الشيوخ أنداداً ، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة . إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

(كفر الندرة) أحمد أحمد القصير

مثل الحقيقة فى رأى أفلاطون

أورد التوحيدى فى مقايساته مقالة لأفلاطون جاء فيها « إن الحق لم يُصبه الناس فى كل وجوهه ، ولا أخطأوه فى كل وجوهه ، بل أصاب منه كل إنسان جهة . ومثال ذلك عميان انطلقوا إلى فيل ، وأخذ كل واحد منهم جارحة منه ، فجسها بيده ومثلها فى نفسه ، فأخبر الذى مس الرِّجْل أن خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة بأصل الشجرة وجذع النخلة ، وأخبر الذى مس الظهر أن خلقته شبيهة بالهضبة العالية والرابية المرتفعة ، وأخبر الذى مس أذنه أنه منبسط دقيق يطويه وينشره . فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك ، وكلٌ ما[1] يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطأ والغلط والجهل فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر إلى الصدق كيف جمعهم ، وانظر إلى الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم ؟

وأنت إذا امتثلت قول أفلاطون هذا خير امتثيل ، استطعت أن تجد فيه تفسيراً لما يقوم بين الناس من نزاع فى كل مجال فلا يكاد الناس يتفقون فى أية ناحية من نواحى الفكر والوجود على الرغم من أن الحقيقة فى ذاتها واحدة . والسر فى هذا الاختلاف ، أن الذهن البشرى لا يستطيع — لفرط قصوره وعجزه — أن يحيط بالأمر الذى ينظر إليه إحاطة وافية ، ولذلك نراه يقصر نظره على ناحية واحدة من نواحيه ، فلا يصيب منه إلا جهة واحدة ، ومن ثم تفوته جهاته الأخرى التى عمى عنها . والذى يحدث أن الجهة التى يصيبها الفرد الواحد تكون مغايرة لما يصيبه غيره من الأفراد ، فينشأ من ذلك الاختلاف والتنازع . وليس ثمة شك فى أن كل ما يقوم بين الفلاسفة والمفكرين من خلاف فى الرأى ، إنما يترتب على اختلاف « الجهات » التى ينظر منها كل واحد منهم . وكثيراً ما تكون آراؤهم جميعاً صحيحة صائبة على الرغم من التعارض الذى يوحى به ظاهر القول . ولعل المرء لا يعدم لذلك فى الطبيعة نفسها ، مثالاً حياً صادقاً : فإن المنظر الطبيعى الواحد ، يختلف أشد الاختلاف تبعاً للجهة التى ينظر منها الإنسان إليه حتى إنك لترى صورتين قد أخذتا لمنظر واحد ، فتتوهم أنهما تمثلان منظرين مختلفين ، وما ذلك إلا لأن الجهة التى أخذت منها الصورة الواحدة ، مختلفة عن تلك التى أخذت منها الصورة الأخرى .

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

فتاوى المفتى الأكبر

أقر معالى وزير العدل جمع فتاوى فضيلة مفتى الديار المصرية الحالى ، وتبويبها مع مقارنتها بالمحفوظ من فتاوى مفتى مصر السابقين ووضع ذلك كله فى كتاب يطبع على نفقة الوزارة وقد جاء فى مذكرة هذا القرار ما يلى :

كتب الواقعات والفتاوى من أقوى الدعائم التى قام عليها بناء الثروة الفقهية الإسلامية وقديماً عنى الملوك والوزراء وسواهم بجمع فتاوى المفتين ونشرها حتى تكونت منها موسعات فقهية عظيمة النفع جليلة القدر ؛ غير أنه منذ بداية هذا القرن لم يظهر بمصر شىء منها ومكانة مصر من العالم الإسلامى تدعوها إلى أن

---

(١) ما هنا زائدة ، وهو تعبير شائع الاستعمال فى كلام التوحيدى (أنظر الامتاع والمؤانسة ، الجزء الأول ، ص ٢٣)

تكون أول من يعمل على تتابع حلقات هذه السلسلة الفقهية العظمى .

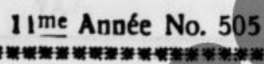
وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الحنفية ومفتى الديار المصرية الحالى قد قضى فى منصب الإفتاء قرابة خمسة عشر عاماً أصدر فى خلالها مجموعة ثمينة من الفتاوى اشتملت على بحوث ضافية وتحقيقات قيمة ، وجمع للنصوص الفقهية وتحريرها وتطبيقها أحسن تطبيق على حوادث هذا العصر فكانت من أفضل المراجع الفقهية وأمتنها حتى لقد رغب الكثيرون من رجال القضاء وسواهم فى ترتيب هذه الفتاوى ونشرها وتكرر إبلاغ هذه الرغبة إلينا . وقد رأينا أن الفائدة تكون أتم ، والنفع أعظم إذا انضم إلى ذلك مقارنة هذه الفتاوى بما هو محفوظ من فتاوى المغفور لهم مفتى مصر السابقين وخاصة فتاوى : الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي .

حكم فى القضية ٢٢٣١ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد فردوس محمود مصطفى بغرامة ٢٠٠ قرش والنشر والتعليق لأنها باعتبارها مديرة محل عمومي (بنسيون) لم تعلن عن الأسعار بالنسبة المؤية بمحلها العمومى

حكم فى القضية ٢٣٠٩ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد ادوارد زنانيرى صاحب رستوران الأرمنياس بغرامة ٢٠٠ قرش والنشر والتعليق لبيعه مشروبات روحية بسعر أكثر من السعر المقرر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





11me Année No. 505

Lundi - 8 - 3 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ربيع أول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٨ مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

أسس الإصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

الإصلاح المرتجل ، أو الإصلاح الجزاف ، قلما ينفع وقد يضير

ونعني بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف كل إصلاح لا يُنظر فيه إلى الحاجة التي تدعو إليه ، ولا إلى الأساس الذي يقوم عليه . فهو كالدواء الذي يُعطى قبل معرفة الداء ، أو كالعلاج الذي يعالج به الجهلاء كل داء : يفيد إن أفاد مصادفة واتفاقاً ، ويضير - إن ضار - لأن الشأن فيه أن يضير

فلا بد لكل إصلاح من أساس يقوم عليه ، ومن حاجة يغني فيها بمقدارها وعلى حسب البيئة التي تنشأ فيها

ولا بد لأولئك كله من تقدير صحيح لكثير من الأمور

نقول ذلك لأن حديث الإصلاح في العالم يجري على كل لسان ، وينقله المتحدثون في مصر ليقيسوا عليه مايقبل القياس ، وبخاصة ما نقلته الأنباء البرقية عن « مشروع بيفردج » في البلاد الإنجليزية ، وما يرتبط به من الشُّعب التي لا عداد لها في نواحي السياسة والاقتصاد والأخلاق

ولا نريد هنا تفصيل القول في هذا المشروع ، فلهذا التفصيل وقته حين ترد إلينا البحوث المسهبة التي أحاطت به من جانب القبول ومن جانب الإنكار ، ومن جانب آخر غير القبول

والإنكار وهو الاعتراف بالأساس كله - أو ببعض الأساس - ثم التعقيب عليه بالإضافة أو التعديل

فحسبنا الآن أن نقول إن المشروع يشتمل على النظم التي تكفل إعانة العجزة والعاطلين ووقاية الأطفال وتأمين الصحة العامة وتعويض المصابين في الأعمال القومية ، وما شاكل ذلك من ضروب الإعانة والصيانة والترفيه

حسبنا هذا الآن إلى أن يحين الأوان للبحث المفصل في أجزائه، والمقابلة المفصلة بينه وبين نظائره من مواطن الإصلاح في البلاد المصرية ، وفي البلاد الشرقية على التعميم

إلا أن الوقت قد حان - بل حان جداً - لإقامة هذه المشروعات الإصلاحية كلها على أساسها القويم ، حذراً من يوم نصاب فيه بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف ، فلا ننجو من غوائله إلا بعد حرب أخرى كالحرب الحاضرة ، وساءت تلك من نجاة هي والمصيبة سواء !

هذا الإصلاح على أي أساس يقوم ؟

إن بعض الفضلاء الذين عقبوا على مشروع بيفردج في مصر قد فهموا منه أنه غلبة للمذهب الحكومي على المذهب الفردي في معقل الفلسفة الفردية ، وهو البلاد الإنجليزية

وقبل التعقيب على هذا الفهم لا غنى لنا عن بيان وجيز لما نقصده من المذهب الحكومي والمذهب الفردي في صدد هذا الإصلاح ، وصدد كل إصلاح من قبيله

فالمذاهب الاجتماعية تتشعب كثيراً بين الأمم الأوربية ، ولكنها بعد هذا التشعب تنحصر في طرفين اثنين جامعين ، وهما توسيع الحرية الفردية أو توسيع الرقابة الحكومية

فالديمقراطية تميل إلى توسيع الحرية الفردية

والنازية والفاشية والشيوعية - أيضاً - تميل إلى توسيع الرقابة الحكومية

وأنصار الديمقراطية يرون أن الرقابة الحكومية ينبغي أن تتناول الأقل الأقل من شئون الأفراد الخاصة والعامة ، ولا تمتد إلى شأن من شئون العقيدة أو التربية أو المعاملة إلا بحساب شديد وقدر مقدور لا يتجوز في المزيد

وأنصار الرقابة الحكومية ينوطون بالحكومة تدبير الثروة العامة وتدبير التربية العامة والهيمنة على الأعمال ورؤس الأموال والعلاقة بين أصحاب المصانع وعمالهم وأصحاب المتاجر والمشترين منهم ، كأنما جميع هؤلاء موظفون في شركة كبيرة أو ديوان كبير

والميل الغالب بين الإنجليز هو الميل إلى الحرية الفردية سواء تمثلت في الديمقراطية أو في نظام من النظم التي تشبهها وتؤمن بصلاحها .

نزع القوم إلى ذلك في مسائل الاقتصاد ، وفي مسائل السياسة ، وفي مسائل الأخلاق ، وفي مسائل الآداب والفنون والعلوم . فالحرية الفردية عندهم هي النعمة التي لا تعدلها نعمة ، والحكومات كلها عندهم إنما هي وسيلة من وسائل تحقيق هذه النعمة الكبرى : معيار صلاحها هو مقدار فلاحها في تحقيق هذه الغاية التي لا تعلوها غاية

وتتلخص مذهب القوم هذا في كتاب هربرت سبنسر عن الفرد والدولة ، أو عن « الإنسان » والحكومة ، تكبيراً لمكان الفرد ، وحداً من مكان الدولة

وساعد القوم على الإيمان بهذا المذهب أنهم من قديم الزمان فرديون غالون في حب الحرية الفردية ، أو هم فرديون تاريخياً وجغرافياً ونفسياً باتفاق الزمان والمكان ، وأحداث الحياة ، وتطورات النفوس

هم سكان جزيرة منعزلون ، وأقاليمهم كانت فيما مضى ولايات منعزلة يشبه أن يكون كل أمير في ولاية ملكاً مستقلاً لا يدين للحكومة العامة بغير الولاء من بعيد ؛ وهم ركاب سفن تعودوا أن تكون كل سفينة كأنها وحدة مستقلة فوق الماء وتحت السماء ؛ وهم تجار يحرصون على حرية الأخذ والعطاء ؛ وهم من سلالات الشمال « الضبابي » التي تعود أهلها الإيواء إلى المنازل كأنها القلاع والحصون لا يطرقها طارق بغير إذن من أصحابها . فهم حريون فرديون معرقون

أفنستطيع أن نقول اليوم إن مشروع الإصلاح الجديد قد قلب هذه الأوضاع جميعها رأساً على عقب وخرج بهزيمة الحرية الفردية في معاقل الديمقراطية ؟

إن قلنا ذلك فنحن ناقضون لمنطق الحوادث ، بل منطق الحرب الحاضرة على الخصوص

لأن الحرب الحاضرة في صميم لبابها حرب بين المعسكرين

المتقابلين : معسكر الحرية الفردية ومعسكر الرقابة الحكومية .
فمنطق الحوادث إذا انتصر الديمقراطيون ألا تنهزم الديمقراطية ، ولا تنتصر عليها الرقابة الحكومية فى نطاق واسع بعيد الآماد

وجائز أن تقتبس الديمقراطية بعض الحسنات من النظم الأخرى التى تقبل « الاندماج » فى بنيتها

ولكن الذى لا يجوز أن تنتصر فيصاب مبدأها بالهزيمة ، وينهدم أساسها الذى قامت عليه

إنما الحقيقة أن مشروع بيفردج وما يحكيه من مشروعات الإصلاح هو انتصار للديمقراطية على الفاشية والشيوعية فى جوهر الخلاف بين المعسكرين

هو انتصار للقول بتعاون الطبقات على القول بحرب الطبقات ، ومن ثم فهو انتصار للديمقراطيين على المعسكر الذى يقابلهم فى الحرب الحاضرة

فالديمقراطية هى حكم الأمة بالأمة للأمة ، ولا تناقض بين هذا المبدأ — أو هذا الأساس — وبين تعاون طبقات الأمة على المعيشة الاجتماعية

وأنصار الرقابة الحكومية هم القائلون بحرب الطبقات ، وهم الذين يرجعون بالتاريخ من قديم إلى غلبة طبقة واحدة وتسخير سائر الطبقات لمنافع تلك الطبقة ، ويعتقدون أن تفسيرهم للتاريخ الإنسانى يقتضى فى النهاية أن تتغلب الطبقة العاملة وحدها على الدولة فتنزع الأموال والأملاك وتدخلها فى حوزة الدولة التى لن يكون فيها يومئذ غير طبقة واحدة

فعبرة الحرب الحاضرة هى انتصار الديمقراطية التى تقول بتعاون جميع الطبقات

بل تقول بعموم مذهب التعاون فى العلاقات الدولية والعلاقات الوطنية الداخلية على السواء

وإذا كان للتاريخ الإنسانى معنى فهذا هو منطق الحوادث فى صراع اليوم ، وهذا هو منطق الحرب الحاضرة إذا شاءت لها الأقدار أن تجرى إلى نهايتها على استقامة واعتدال

ونحن نؤمن أن الحرية الفردية هى رائد التاريخ الإنسانى من قديم الزمان ، وأنها هى مناط التقدم فى الحياة الاجتماعية وفى الحياة النفسية بلا اختلاف

ويخطئ من يرجعون بنشأة الحرية الفردية إلى الثورات الحديثة ، أو إلى العهد الذى شاعت فيه كلمة الديمقراطية على ألسنة الخاصة والعامة فى الجيلين الأخيرين

فالحرية الفردية — أو الديمقراطية — قد نشأت مع الأديان السماوية فى اليوم الذى آمن فيه الإنسان بالروح وآمن بالتكليف ، وآمن بالمساواة بين الأرواح أمام العزة الإلهية

يومئذ عرف الفرد أنه فرد له روح تناط بها الفرائض والواجبات ، ويناط بها الثواب والعقاب

ويومئذ أصبح الإنسان « وحدة » مستقلة أمام الله

ويومئذ قام أساس الديمقراطية فى الأرض قياماً لا يزول ولن يزول ، إلا أن يذهب التاريخ فوضى بغير دلالة وغير اتجاه

ولهذا آمنا حق الإيمان بهزيمة الطغيان فى هذا الصراع القائم على الرغم من ظواهر النجاح فى بداية الصراع . لأننا آمنا حق الإيمان أنه واقف فى طريق التيار الجارف ، وأن الإنسانية لو كانت تريد أن تدين بالقوة الغاشمة لما كانت بها حاجة إلى الأديان تظهر بعد القوة الغاشمة ، وهى ـ أى القوة الغاشمة ـ عند الإنسانية من بداية عهدها ، بل من بداية عهد الحيوان

ولهذا نفهم أن مشروعات الإصلاح على مثال مشروع بيفردج لا تدل على هزيمة الحرية الفردية ولا يمكن أن تدل عليها وتطمع فى النجاح ...

ولكنها تدل على التعاون بين الطبقات ، والتعاون بين الأمم ، والتعاون بين الأفراد

تدل على العالمية ، وهى اتساع لحرية الفرد فى العالم كله ، واتساع لحرية كل وطن من الأوطان

وهى تقدم فى الاتجاه القديم : الاتجاه الذى تجلى يوم آمن الإنسان بروحه وتكليفه واستقلاله بين يدى الله

فالحرب الحاضرة قد أظهرت أن الأمم تحارب متعاونات بين جميع طبقاتها ، وينبغى أن تجنى فضائل السلم فى جميع طبقاتها

وعلى هذا الأساس يقوم الإصلاح الصحيح السالك فى سبيل التاريخ ، وليس على أساس التناحر بين الطبقات بغير أمل فى التوفيق والتعاون والسلام

تبقى الطبقات وتتعاون على المثال الذى ظهر فى هذه الحرب

أظـــــرف يوم!

للدكـتور زكى مبارك

إنتظر أبنائى سيارة الليسيه خمسين دقيقة أو تزيد. انتظروها على باب البيت، بين المطر المنهمر والريح العصوف

وحين أشفقتْ أمهم فدعتهم إلى الدخول أجابوا ضاحكين: هذا أظرف يوم!

ثم جاءت السيارة فأقلتهم برفق إلى معهدهم المحبوب، ولعلهم لم يحبوا معهدهم بأكثر مما أحبوه فى هذا اليوم، فلن تكون الدروس غير حكايات وأقاصيص، ولن يكون المدرسون غير أطفال كبار يفرحون بمنظر المطر الهتّان!

وبقيت فى البيت أسائل نفسى عما أصنع، فما يجوز أن أخرج فى مثل هذا اليوم، وهو لا يصلح لغير اقتناص الأوابد من الذكريات

لم يكن المطر غريباً علىّ، فقد تمتعت به أعواماً في الديار الفرنسية. ولن أنسى فضله يوم دخلت مدينة الهاڤر أول مرة فى سنة ١٩٢٧، فقد أتاح الفرصة لمحادثة ريحانة مطاولة على غير ميعاد... نظرت إليها بعين الغريب الحائر وقلت:

Madame, est-ce qu'il pleut souvent ici ?

وبين السؤال والجواب تلاقَى روحان، وكان المطر سبب التلاقي

وفكرت فى «المطرية» التى نسيتها على سُلَّم البيت المحبوب فى باريس، يوم فارقتها آخر مرة فى صيف سنة ١٩٣٣[١]

وعلى محطة ليون تذكرت تلك «المطرية»، وجاءت فلانة لتوديعى، فلانة التى كانت قالت:

Docteur, vous vous trompez !

يومئذ أوصيت فلانة بأن ترجع إلى البيت المحبوب لتأخذ المطرية التى نسيتها هناك

تذكرت وتذكرت

تذكرت أنى حين رجعت إلى بغداد فى صيف سنة ١٩٣٩ مع «وفد مصر» للاشتراك فى تأبين الملك غازى رأيت فى شارع الرشيد إنسانة تشبه تلك الفلانة، فطوّفت حولها مرات إلى أن صرختْ: Tiens ! Je ne vous pas reconnu !

فقلت: لا غرابة فى أن لا تعرفينى، فشمس بغداد تزيغ عيون الباريسيات

كان أمر هذه الفلانة عجباً من العجب، كانت فتاةً غريبة الروح، وقد تركت دينها لتعتنق دينى، بعد مصاولات روحية يضيق عن شرحها هذا الحديث

وما السبيل إلى قضاء لحظات أعرف بها كيف تحدَّرتْ هذه الموجة إلى بغداد؟

— ندخل هذا الفندق؟

— لا، فهو فندق مطروق!

— وهذا الفندق؟

— هو فندق حوله شبهات!

(١) المطرية هى الكلمة التى أختارها ترجمة لكلمة Parapluie، ويخطىء من يسميها شمسية

العالمية. فتؤخذ الضرائب من القادرين لمعونة من يحتاجون إلى المعونة ومن تتوقف على معونتهم سلامة البنية الاجتماعية

وقد أوشك أن يصبح المالك فى ضيعته أو فى مصنعه مديراً موظفاً من قبل الأمة لا يتقاضى أجراً على عمله أكثر من الأجر الذى يتقاضاه المدير، بعد حسبان الضرائب والأتاوات

فهذا هو اتجاه الإصلاح فى المستقبل القريب، وسيمضى على هذا النحو فيما نعتقد إلى المستقبل البعيد

على أساس الديمقراطية والحرية الفردية والتعاون بين الطبقات ينبغي أن يقوم كل إصلاح محمود العواقب، وعندئذ نستطيع أن نقول إن انتصار الديمقراطية منطق مفهوم، لأنه انتصار للحرية الفردية وللحرية العالمية، ومرحلة معقولة من مراحل التاريخ.

عباس محمود العقاد

-- وإلى أين نتجه يا شيطانة ، وقد عرفتِ من خفايا بغداد أضعاف ما أعرف ؟

— إلى فندق مود

وكان فندق مود هو الفندق الذى نزل به « وفد مصر » ، وكان اجتماعى بها فيه يُـعَدّ فضيحة فى أنظار المصريين والعراقيين

قال حمد باشا الباسل : ما تلك بيمينك يا دكتور مبارك ؟

فأجبت : هى حيّـة هديتها إلى الإسلام يوم كنت فى باريس !

ثم دارت بينى وبينها كؤوس من الشراب الحلال

وهممت بدفع ثمن الكؤوس فاعترض الأستاذ عبد المسيح وزير ، وتلطّـف حمد باشا فقال : لو رأيتكما بعصر لجعلت « قصر الباسل » مقركما إلى آخر الزمان !

ثم دعانى حمد باشا إليه فى جانب من بهو الفندق ليُسرّ فى أذنى كلمات

— ما هذا الذى تصنعه بنفسك يا دكتور مبارك ؟

— وما ذا أصنع بنفسى يا باشا ؟

— ما قدومك علينا بهذه المخلوقة المتبرجة ؟

— هى التى قدمت علىّ من باريس

— أنت عرفت هذه الفتاة فى باريس ؟

— وهديتُـها إلى الإسلام

— أنت تَـهدى إلى الإسلام ؟

— إسألها تخبرك !

ثم نظرت إلى حمد باشا وقلت :

— هل تعرف « الحَـلُوبة » ؟

— وما الحلوبة ؟

— هى أمطار عنيفة مزلزلة تفاجىء العراق فى بعض أيام الشتاء

— فهمتُ فهمت !

— ما ذا فهمت يا باشا ؟

— فهمت أن هذه حلوبة تقع على قلبك فى الصيف لا فى الشتاء

— نعم ، وبهذا تم المعجزة فى الحياة العراقية !

ثم عاد حمد باشا فقال :

— أيطول هذا المجلس ؟

— أى مجلس ؟

— المجلس الذى يدور فيه الغزل بطريق العلانية !

ثم التفتّ فرأيت الجارم بك يوغل فى التنكيت ، ورأيت الدكتور عزام يروى أشعاراً ، فأخذت بذراع الفلانة وانصرفت ولكن إلى أين ؟

إلى الفندق الذى تقيم به مع خطيبها العراق ، وكانت حدثته عنى أحاديث شوّقته إلى أن يرانى

— دكتور ، أنت الذى سميت هذه الفتاة ليلى ؟

— وأنا الذى علمتها كيف تكتب اسمها بحروف عربية

— وترى أن أقترن بها ؟

— وأرى أن « تتطوق » بها ؟

— إيش لون ؟

— تلك عبارة مصرية ، ستفهمها بعد حين

ولم أدر ما جدّ فى الدنيا بعد ذلك اليوم ، وإنما أذكر أنى تلقيت خطاباً من (ليلى المريضة فى باريس) تقول فيه :

قُـتِل السيد رستم حيدر ، وكان النصير الأوحد لخطيبى ، فما الذى ترى فى مصيره ومصيرى ؟ »

فى تلك اللحظة تذكرت سعادة الأستاذ طه الراوى ، وهو غاية فى كرم النفس وشرف الروح ... هل أكتب إليه بخبر فلانة وفلان ؟

وأسرعت الدنيا فأثارت الحرب ، وأمست أحاديث المحبين عبثاً فى عبث ، ومجوناً فى مجون !

كانت الحرب هى «الحَـلُوبة» الدنيوية لا العراقية ، والعراق مظلوم فى اتهامه بالشقاق ، فتاريخه فى أسوأ أحواله أهدأ من تاريخ الأمم التى تدّعى الشوق إلى السلام والقرار والاطمئنان

حلوبة العراق لا تدوم غير ساعات ، أما حلوبة الغرب فلا تنقضى إلا بعد سنين

ما هذا الذى أرى ؟ ما هذا ؟ ما هذا ؟

هذه أمطار وبروق ورعود !

لم يبق من تقليد مصر للغرب إلا أن تتشبه بجوه فى هـذا الهذَر المقوت !

وأنظر فأرى صدرى ينقبض حين يخفّ المطر لحظة أو لحظتين ، وكان المظنون أن أفرح بميل الجوّ إلى الاعتدال

ما السر فى هذه النزعة الغريبة ؟ ما السر فى الفرح بهطول الأمطار فى بلاد أغناها النيل عن الغيث ؟

لعل ذلك يرجع إلى أن « الإنسان الأول » يحتلّ صدورنا من حيث لا نعرف ، وإلا فـكيف جاز لأبنائى أن يقولوا إن هذا اليوم هو أظرف يوم ؟

كان الماء من أسباب الوقاية عند القدماء ، الوقاية من غارات السباع والوحوش ، وكانت المياه سبباً فى انتصار المصريين فى أعظم معركة من معارك الحروب الصليبية ، وهى المعركة التى اشترك فيها النيل ، فقد أحاط بالأعداء من كل جانب ، وقضى عليهم بالخذلان

وهنا أذكر حواراً دار فوق منبر الأزهر فى أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ :

حضر الخطيب محمد بك أبو شادى ذات ليلة ليحدثنا عن الأخطار المخوفة من سيطرة الإنجليز على السودان ، فقال فيما قال إن تلك السيطرة قد تـكون سبباً فى منع مياه النيل عن الأراضي المصرية

عند ذلك علوت المنبر وقلت ينبغى أن نبحث عن أسباب منطقية لاحتفاظ مصر بالسودان . وأنا أرى أن مسألة المياه قليلة الأهمية ، لأن حياة السودان فى تحدر مياه النيل إلى الأراضى المصرية . ولو وجد السودان من يساعده على احتكار مياه النيل لتعرض لآفات من الحُمّيات لا يعلم أذاها غير علّام الغيوب

ثم ماذا ؟

ثم طافت بالقلب خواطر حول شعور المصريين بظواهر الوجود

وأقول بصراحة إن الذين ينظمون الأغانى يخطئون أبشع الخطأ فى الإكثار من التغنى بالرياض والبساتين

إن المصريين لا يفهمون هذه الأشياء ، ولن يذوقوها لو فهموها ، لأن مصر خضراء فى جميع الفصول ، وهى من أجل هذا لا تشعر بقدوم الربيع ، لأن دهرها كله ربيع

الروض كلمة غير مفهومة ، أو كلمة لا تذاق ، فى الديار المصرية على نحو ما يفهمها ويذوقها شعراء العرب فى البلاد التى تتأذى بالشتاء

المصرى لا يدرك تقلبات الجو إلا فى أندر الأحوال ، وهل فى مصر جوٌّ يتقلب ؟

دخلت على المسيو دى كومنين وأنا محزون فى يوم مَطيرٍ فقال :

Mon cher ami, aujourd'hui il pleut, demain il fera beau.

ولـكن المطر لم ينتظر إلى الغد ، فقد صفت السماء قبل أن ينتهي الحديث

والمسيو دي كومنين يلازم سرير المرض منذ أسابيع ، ولم أفـكر فى عيادته لأنى أكره رؤية الآساد وهى مراض

سمعت أيضاً أن الأستاذ محمد الهمياوى مريض ، وأن أطباء مستشفى الدمرداش قد احتجزوه عامدين بعد الشفاء ، لأنهم علموا أن أحد أبنائه مات ، وليس من المصلحة لمريض في دور النقاهة أن يدخل بيتاً شعاره السواد

هل يعرف أبناء هذا الجيل أن الهمياوى كان أخطر مفنِّد لمشروع « ملنر » فى السنين الخوالى ؟

عند الله جزاؤك يا صديق ، لا عند الوطن ، فقد كدت أومن بأن الوطن المصرى لا يحفظ الجميل

الهمياوى مريض ، وسيعافى بإذن الله حين يقرأ هـذه الـكلمات ، فلعل دواءه فى أن يجد صديقاً يذكره بالخير وهو عليل

ما هذا الجو العبوس ؟ وما هذا المطر الهتُون ؟

وما شقانى بمرض الأستاذ محمد الهمياوى ومرض المسيو دى كومنين ؟

وأين الأستاذ محمد عوض جبريل ؟

أين إخوان عرفتهم يوم كانت الدنيا تسمح بأن يأنس صديق إلى صديق ؟

إن الأستاذ أسعد داغر مريض منذ شهرين ، وهو صورة من صور الوداد الصحيح ، فأين من توجع لعلته بقصيدة فى جريدة الأهرام ، وهى تنشر قصائد فى التوجع لمرضى الروس واليونان ؟

ثم ماذا ؟

ثم أنتهز هذه الفرصة لتوضيح حقيقة غفل عنها أكثر الباحثين فأقول :

ليس فى مصر أحزاب بالمعنى الذى يفهمه الأوربيون ، لأن جو مصر لا يوحى بالاختلاف كما يوحى بالائتلاف

وإذن يكون النجاح الحزبى فى مصر مقصوراً على الجماعات التى تعرف كيف تأتلف ، وهذا هو الواقع بالفعل ، فما فازت جماعة فى مصر إلا بمراعاة ما فى الجو المصرى من الثبات

والفرد كالجماعة فى مصر ، فى مقدور كل فرد أن ينجح إذا مشى فى طريق واحد إلى آخر الشوط ، أما التنقل من حال إلى أحوال فهو نذير الانحلال

الإنسان ابن جوه ، وجو مصر لا يعرف التقلب ، ولو راجعنا تواريخ الفائزين فى معترك الحياة المصرية لرأيناهم جميعاً من أهل الثبات فى الأفكار والآراء

إن المصرى يتكلف ويتصنع حين يرائى ، لأن جو مصر لا يساعد على الرياء

والحقد الأسود فى مصر لا يقع إلا من رجل نَسَبُهُ فى مصر مدخول . وبكلمة واحدة تصفى ما بينك وبين خصمك من أبناء هذه البلاد ، لأن فطرة المصرى منقولة عن جوه ، وهو غاية فى الصفاء

ولكن ما هذا اليوم « الملخبط » ؟

إنى أخشى أن يجعل مقالى هذا « لخبطة فى لخبطة » !

هو ذلك ، فقد انتقلت من حديث إلى أحاديث بلا نظام ولا ترتيب .

سيصفو الجو ، سيصفو بعد ساعات ، لا بعد أيام

الإنسان ابن جوه ؟

كذلك قلت ، فما بالى أعانى شجوناً تحترب فى جميع الأحايين ؟

ما حالى فى دنياى ؟ وما نصيبى من الجو المفطور على الصفاء ؟

لا بأس ، فبحرف أو نصف حرف أبدد ما حولى من المصاعب حين أريد ، ولن أريد ، لأن الصراحة فى الخصومة معنىً نقلته عن وطنى ، وأنا لوطنى أوفى الأوفياء

أعظم عيب فى مصر هو أنها لا ترضى عن التفاوت فى المواهب فهى لا تلتفت أبداً إلى الأوساط من الرجال فى أى ميدان

وهذا العيب فضيلة عبقرية ، ونحن به فرحون

لن نترك فرصة تمرّ بلا برهان على صحة البنوّة لهذه السماء

وما صحّتْ فى غير مصر سماء ، فتقشّى أيتها الغيوم الدخيلة على سماء هذه البلاد

هذا أظرف يوم ؟

نعم ، هو أظرف يوم ، لأنى أسلمت فيه العنان للقلم الجموح

زكى مبارك

الحكم الذاتى فى المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تتمة)

وهناك مسألة أخرى يصح التحدث عنها ، وهى مسألة الإيماز suggestion والحكم الذاتى

فللايماز أشكال كثيرة . ومن أعود هذه الأشكال بالفائدة شكلان : الإيماز الإيجابى ، والإيماز السلبى . والإيماز السلبى فيما يبدو أكثر فائدة فى مضمار التربية

فالمربى يركن إلى الإيماز الإيجابى حين يجد تلميذه أو تلاميذه ينهجون سنناً يؤدى بهم فيما بعد إلى إعوجاج تربوى . فإذا لم يرعو تلميذه أو تلاميذه عن انتهاج هذا السنن فله حينئذ أن يسلك أحد سبيلين : فإما أن يصطنع العسف ، وإما أن يرفض تحمل مسئولية ما يحدث . وصفوة القول أنه إذا وجد المربى تلميذاً ينتهج سنناً فى انتهاجه ضرر تربوى ، فعليه إذا استطاع أن يحول بينه وبينه ، وإلا فليخبر من بيدهم القوة

على أنه يجب ألا يركن إلى الإيماز الإيجابى كثيراً ، ولكن إذا مست الحاجة إليه فليصطنع بغير تردد

أما الإيماز السلبى فهو أدعى إلى الاهتمام . ذلك لأنه الوسيلة التى يصطنعها المربى لتدريب تلاميذه على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب ، وبذلك يعمل على أن يحقق لهم شخصيتهم العقلية . ومتى مرن هؤلاء التلاميذ على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى مرحلة العمل المثمر

ولنضرب للايماز السلبى مثلاً نوضح به هذا الذى نقول . فلنفرض أن هناك فصلاً يصطنع فيه الحكم الذاتى ، وأن تلاميذ هذا الفصل يبحثون مثلاً مشكلة التأديب . فهناك نجد هؤلاء التلاميذ عاطلين من العقول الناضجة ومن الخبرة بالحياة ، وأنهم لهذا يغفلون فى اعتبارهم بعض الأحوال ، فإذا ما وصلوا إلى رأى ما فى هذه المسألة ، فإن رأيهم هذا يكون رأياً مبتسراً غير مبنى على اعتبار جميع الأحوال . وهنا يأتى دور المدرس ، فإما أن يضع فى نطاق اعتبارهم حالة ما لم يتناولها رأيهم ، وإما أن يسألهم مباشرة عما إذا كان خطر ببالهم أنهم أغفلوا اعتبار عامل من العوامل . فإذا أدى بهم هذا إلى أن يعيدوا النظر فى رأيهم ويصلوا بذلك إلى كنه المسألة ، فإن المدرس يكون حينئذ قد اصطنع الإيماز السلبى ليعينهم على الوصول إلى هذا الرأى الصحيح . وإذا لم يستطيعوا الوصول إلى هذا الرأى الصحيح فعلى المدرس حينئذ أن يدعهم وما وصلوا إليه . فإنهم سيدركون بالخبرة أنهم كانوا على خطأ ، وأنهم لم يدخلوا فى اعتبارهم جميع الحقائق

وهنا مسألة ثالثة هى مسألة تأثيرات repercussions الحكم الذاتى . فللحكم الذاتى تأثير فيما يتعلق بالحياة ، وتأثير فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة . ولنتكلم عن كل من هذه التأثيرات

١ — فيما يتعلق بالحياة

من وجوه النقد التى يمكن أن توجه إلى نظام الحكم الذاتى أنه يجبل التلاميذ على أن يحيوا حياة مثلى بينها وبين واقع الحياة أمد بعيد ، بحيث أنهم حين يلجون باب هذه الحياة يجدون أنفسهم مضطرين إلى أن يفصلوا مما نشئوا عليه لينغمروا فيما هم فيه

والجواب على هذا الاعتراض أن الحكم الذاتى حين ينشئ التلاميذ على أن يحيوا هذه الحياة المثلى يعمل على إصلاح واقع الحياة وعلى معالجة ما فيها من عيوب . أما إذا نشأ التلاميذ على أن يحيوا حياة تشبه حياتهم الواقعة فإنه حينئذ لا يضطلع بأى إصلاح ، وإنما يضمن للحياة الواقعة بقاءها على ما هى عليه من تخلف وقصور .

وهناك جواب آخر يتلخص فى أنه يلاحظ دائماً فى أن التلاميذ يسلكون مسلكا مضاداً لما يريده عليهم أساتذتهم . فاذا كان أساتذتهم يريدونهم على اعتناق الآراء القديمة البالية ، فإنهم على العكس من ذلك يعتنقون الآراء الثورية الهادمة ، وإذا كانوا يريدونهم على اعتناق الآراء الثورية المجددة فإنهم على على العكس من ذلك ينتهجون نهجاً محافظاً . فهذه الحال الأخيرة هى ما نراه فى نظام الحكم الذاتى . على أننا لا نقصد بالمحافظة

هنا الجمود ، بل المحافظة على خير ما فى التراث القديم من تقاليد ثبتت على محك الزمان . ومعنى هذا كله أن نظام الحكم الذاتى يبث فى نفوس التلاميذ روحاً مجددة ولكن على أساس من القديم ، روحاً تجمع بين طرافة الجديد وعراقة القديم ، روحاً تجدد ولكن لا تبدد

٢ — فيما يتعلق بالمنزل

لا شك فى أن نظام الحكم الذاتى الذى ينشأ عليه الطفل فى المدرسة يطبع هذا الطفل بطابع خاص ويحيله شخصاً آخر ويبث فيه روح الحرية والشجاعة ، بحيث تراه فى المنزل وقد خلع رداءه القديم ، فأخذ يُكثر من الأسئلة ويجادل أبويه ولا يكتم رأياً من آرائه ، ويصبح بذلك كله مبعث فوضى واضطراب فى البيت . ولكن بمرور الزمن نجد هذا الطفل قد أخذ يستشعر روح السعادة ، ويكون بذلك مبعث سعادة فى البيت .

فإذا ما لاءم الوالدان بين نفسيهما وما يعتنقه من رأى فإن الحكم الذاتى يكون حينئذ قد امتد أثره إليهما عن طريق غير مباشر . أما إذا لم يستجيبا له فهما على الأقل سيضطران إلى معاودة النظر فى فلسفتهم فى الحياة .

وصفوة القول أن للحكم الذاتى فى المدرسة يداً تستطيع أن تمتد إلى المنزل فتتناوله بالتغيير والتبديل .

٣ — فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة

يخيل إلىّ أن نظام الحكم الذاتى يؤهل التلاميذ لأن يكونوا فى المستقبل رجالاً يقومون بما تفرضه عليهم الحياة من واجبات ، وزعماء يقودون الجماعات ويسوسون الجماهير . وليس من شك فى أن هذا راجع إلى ما يبثه نظام الحكم الذاتى فى نفوس التلاميذ من الاعتماد على النفس والقدرة على سياسة الغير .

***

وللحكم الذاتى أنصار وخصوم . فكما أن له أنصار ينادون بوجوب اصطناعه فى كل مدرسة فإن له خصوماً لا يفهمون منه إلا أنه نوع من البلشفية Bolshvism ، نوع من البلشفية يتخلى فيه المدرس عن سلطته التقليدية ليتولاها عنه التلاميذ . وهم يقولون إنهم لا يخدعون بما يزعمه أصحاب هذا النظام من حق المدرس فى الإشراف والتوجيه . ذلك لأنهم لا يعترفون بسلطة إلا سلطة المدرس ، ولا يؤمنون بحق إلا حقه

فهؤلاء هم خصوم الحكم الذاتى . على أنهم لن تقدر لهم الغلبة عليه . ذلك لأنه صدى للحياة المتجددة ، وهم صدى للقديم الموغل فى القدم ؛ وكيف يميت الصدى الحى صدى كاد يأكله الفناء ؟ ألا إن الحياة لا تبقى إلا على ما يسايرها فى سيرها الأبدى ، أما ما يتخلف عن مسايرتها فقد حق عليه أن يموت على مدرجة الطريق غير مرثىّ من أحد أو مبكىّ من أحد . هذه سنة الحياة ، وسنة الأحياء ، وسنة كل شىء .

السيد يعقوب بكر

ميـــدان تونس

للأستاذ محمد إبراهيم حسن
مدرس بكلية الآداب

تمثل تونس الميدان الأول فى حوض البحر المتوسط إذ تواجه فيه قوات المحور جيوش الحلفاء فى أكثر من موضع. وكل من الطرفين يدافع دفاعا مستميتا. وستحدث قريباً فى هذا الميدان موقعة خطيرة ستلعب دوراً هاماً فى الحرب الحاضرة فى هذا الشطر من العالم

ذلك لأن المسيطر على هـذا الميدان يتحكم فى كل أجزاء الحوض المتوسط. فإن كتب النصر للمحور فقد حمى بذلك جنوب أوربا، أو على الأقل إيطاليا من غزو الحلفاء. بل لا يبعد أن يعيد المحور كرته فى السيطرة على شمال إفريقيا ليحول حوض البحر الأبيض إلى بحيرة محورية. أما إذا كتب النصر للحلفاء فستكون الطامة الكبرى على المحور إذ تتعرض إيطاليا للغزو لا محالة، فالشقة قريبة جداً. ولا سيما أن الحذاء الإيطالى مكشوف من جميع نواحيه تقريباً لضرب الطائرات وإصابة الأهداف، كما أن تحصين هذه الشواطىء الطويلة أمر صعب على المحور بعد أن أنهكته روسيا من ناحية، وحاصرته بريطانيا بحرياً من ناحية أخرى. كما أن استيلاء الحلفاء على تونس سيطهر شمال أفريقيا من المحور، ويسهل الملاحة فى هذا الحوض، وتعود الطرق الملاحية مطمئنة إلى حد كبير بين الهند والجزر البريطانية عَبْر مضيق جبل طارق. ولا شك أن هذا النصر سيؤثر كثيراً على سياسة الدول المحايدة فى هـذا الحوض ونعنى مصر وتركيا وأسبانيا.

ومما يزيد فى أهمية هذا الميدان أنه يساعد كثيراً فى التموين، فتونس غنية بمحاصلاتها الزراعية من حبوب وفاكهة، وسواحلها تسيطر عليها موانى صالحة لإيواء السفن، مثل: تونس وبنزرت وقابس وسوس والحمامات، وكلها تقع على رؤوس خلجان عميقة، كما أنها تتصل بالداخل بشبكة من السكك الحديدية تمر فى الأودية والممرات الجبلية، كما أن كل هـذه الموانى على اتصال وثيق بالسكك الحديدية والطرق الصالحة

من هذه النظرة العارضة يبدو السبب واضحاً فى هذا القتال العنيف وتلك المغامرات التى نسمع بها فى الصحف بين وقت وآخر. ولـكن الغريب فى هذا الميدان هو ضعف التقدم من الجانبين؛ فلقد عهدنا فى الجيوش الألمانية تلك الحروب الخاطفة والدقة البالغـة اللتين ظهرتا فى الإغارة على نروج والدانمرك فى إبريل عام ١٩٤٠، وعلى بلجيكا وهولندا وفرنسا فى مايو من ذلك العام. ولـكن هذه الآلة الدقيقة لم تعمل فى ميدان تونس بدقتها المعهودة، وبدلاً من أن تنتهى من حركاتها الحربية فى أسابيع معدودات نجدها وقد مضى عليها بضعة شهور وهى لا تزداد إلا بعداً عن الغرض الذى تنشده



(ميـــدان تونس)

ـــــــــ حدود سياسية
---------- خطوط حديدية

ولعل هذه الظاهرة تعلل بعوامل كثيرة منها: طبيعة هذا الميدان المعقد إذ ينقسم إلى إقليمين متباينين هما الإقليم الجبلى

الذى يشمل معظم الميدان ، والإقليم السهلى الذى يمثل شريطاً يضيق ويتسع . ويتكون الإقليم الجبلى من سلسلة الأطلس البحرية فى الشمال ، وسلسلة أطلس الصحراء فى الجنوب ، وبينهما الطرف الشرقى من هضبة الشطوط ، ويكثر فى هذا الإقليم الممرات الوعرة مثل ممر قصرين الذى استولت عليه القوات الأمريكية أخيراً . وهذه الممرات تمثل كميناً صعباً وتعقد شباكا معقدة لكل من الطرفين المتحاربين . ويقطع هذه الممرات السكك الحديدية التى تسهل اتصال مدن الداخل بموانى الساحل .

أما الإقليم السهلى فيحيط بالإقليم الجبلى من ثلاثة مواضع : فهو سهل ساحلى ضيق فى الشمال تشرف عليه الأطلس البحرية ، ويضيق جداً حول بنزرت ، ثم يبتعد قليلاً عن تونس . وهو فى الجنوب قد شغل معظمه ببحيرة شط الجريد . أما فى الشرق فيمثل شريطاً ساحلياً يتسع فى الوسط ويضيق فى الشمال حيث تقرب الأطلس البحرية من الساحل ، ويضيق فى الجنوب حيث تقرب أطلس الصحراء من الساحل فى منطقة قابس . ولا شك أن الموضعين خطيران من الناحية الحربية لأن كلا منهما يمثل عنق زجاجة تسهل للمسيطر عليه مهمة الدفاع والهجوم عند الضرورة . ولذلك يرجح أن القوات الألمانية المتقهقرة فى طرابلس لا ينتظر أن تقاوم كثيراً عند خط مارث بل ربما تحصن نفسها عند عنق قابس إن أعطيت الفرصة

يظهر إذن أن هذا الميدان معقد جداً من الناحية الجغرافية مما يصعب الحركات الحربية ، فإن كان المناخ هو العامل الأول لبطء الحركات العسكرية فى الميدان الروسى فى فصل الشتاء . فإن طبيعة السطح هى العامل الأول لبطء تقدم الجيوش فى الميدان التونسى ليس فى الشتاء فقط بل طول العام .

ومما زاد فى هذا البطء من الجانب الألمانى هو تقسيم القوات المحاربة : فقسم فى الشمال وقسم فى الوسط فى منطقة سيدى بوزيد وقسم فى الجنوب يمثل الجيش الألمانى المتقهقر ، والجانب المحورى، يعمل على الاتحاد لضرب الحلفاء ضربة قاضية ، وجانب الحلفاء يعمل على العزلة لضرب كل على حده . ولا شك أنه حتى الآن من الصعب أن نحكم أى الكفتين هى الراجحة .

وهناك عامل ثالث لا يقل عن العاملين الأولين أهمته وهو أن كلاًّ من الطرفين قوى صلب الجانب مصمم على الدفاع راغب فى النصر . ويواجه المحور عدواً من نوع جديد يخالف ما صادفه فى تلك الدول الضعيفة التى اكتسحها فى أول الحرب وظن بذلك أن النصر بسرعة خاطفة هو غرضه الأول ولا شك أنه بالغه . فاليوم يواجه فى روسيا وتونس عدواً قوياً . ولا شك أن الغلبة لمن يصمد فى الميدان .

محمد ابراهيم حسن

حكم فى الجنحة العسكرية ٣٦ بنى مزار سنة ١٩٤٣ بجلسة ٨-٢-٩٤٢ بحبس أبو بكر حمودة شحاتة جزار بمصرة حجاج ثلاثة شهور شغل وغرامة ٢٠٠ جنيه والمصادرة لبيعه لحم بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٦ ــ ١٢ ــ ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٦ منيا القمح سنة ٩٤٣ بحبس وحيدة عطية مندور من منيا القمح ثلاثة شهور بشغل وغرامة ١٠٠ جنيه لعرضها للبيع قمح بأزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ٩٢٠ سنة ١٩٤٢ السيدة ضد حسين على العربى بغرامة خمسين جنيها والنشر والتعليق وغلق المحل ثلاثة أيام والمصادرة لبيعه أرزا بأزيد من التسعيرة

واسط مدينة الحجاج

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

لا يخفى على المتتبع ما للثقافة والعمران فى أية بلدة من البلدان من تأثير عظيم يقيم لهما وزناً كبيراً بين باقى المدن والأمصار . فقد يتحدث المتحدث عن بلدة واحدة ذات شأن فى مملكة من الممالك فتجعل البلدة لهذه المملكة شأناً بين الأمم والشعوب . وفخامة المدن نتيجة الثقافة والعمران ، وهما أساسان رصينان فى أسس الحضارة البشرية التى سمت على أحوال باقى المخلوقات فى الطبيعة . ونقصد بالثقافة العلم والفن ومعاهدهما التى تدعى بالمدارس والجامعات على اختلاف أشكالها وأنواع مسمياتها . فهى المناهل الرائقة للعلم والفن . وكلما ازداد عدد هذه البيوت ازداد مقدار التقدم الثقافى والتهذيب العلمى وبهما تكمل سيادة الأفراد فى المجتمع البشرى . وكذلك العمران ونقصد به المؤسسات المتنوعة لكل ما ينفع الفرد فى حياته سواء أكان ذلك من أجل صحته أم عيشه أو اكتسابه . كل هذه المؤسسات تعود عليه بالنفع العميم لمواطنيه كافة من أبناء قومه وغيرهم .

ولقد دلت أبحاثنا عن تاريخ واسط الذى ما زلنا نداب على استقصاء أخباره أن لمدارس هذه المدينة المندثرة أهمية كبيرة فى تاريخها وإن كان ما توصلنا إلى معرفته منها قليلاً . فإن معاهدها الثقافية لم تقتصر على عدد معلوم تحيط به المعرفة بل كانت هنالك فى واسط الربط التى كانت تكون بمثابة مدارس تدرّس فيهما علوم الدين وخاصة القرآن الكريم ، وما يتعلق به من التفسير وما يخص قواعد الصرف والنحو وعلوم البيان والبديع والنثر والشعر ، وكذلك الفقه والعلوم الشرعية وفلسفة الكون والتوحيد وغيرها ؛ كما أننا نعلم أنه كان يتخذ فى كل مسجد من المساجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم الدينية . فكان يعتبر كل مسجد بمثابة مدرسة من المدارس ، وكان فيها كتاتيب لتعليم الصغار وتهيئتهم لقبول هذه العلوم . ولم تشتهر مدينة واسط كما يظهر لنا إلا بالمدارس الآتى ذكرها على ما دونه المؤرخون الرحالون من أبنائها ، ولعلهم لم يجدوا أشهر منها فى زمانهم . فأولاها مدرسة الأمير خطلبرس ، وكانت تقع هذه المدرسة بالقرب من دجلة فى الجهة الشمالية الغربية من الجانب الشرقى كما يغلب على الظن ، لأن مدينة واسط كانت راكبة دجلة من الجانبين كبغداد . وقد نص على تعيين موقعها العلامة المؤرخ ابن الدبيثى فى مخطوطه المحفوظ الآن فى الخزانة الأهلية بباريس حيث قال فيه : « جعفر بن مظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة . توفى بواسط سنة ٦١٠هـ . فدفن بها بمدرسة (خطلبرس) أعلى البلد » اهـ[(١)] . وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد الأمراء الذين حكموا فى واسط اسمه خطلوبرس ذكره جماعة من المؤرخين يطول بنا تفصيل أقوالهم هنا[(٢)] . وهى من مؤسسات القرن السادس للهجرة لاتفاق أكثر المؤرخين على تحديد وجود الحاكم المذكور فى هذا القرن . ونستدل من أخبار هؤلاء المؤرخين أن المدرسة كانت كبيرة حتى كانت فيها مقبرة لدفن مشاهير الرجال العلماء فيها . وذكر ابن حجر فى الدرر مدرسة بواسط تعرف بالمدرسة البرانية لوقوعها فى أعلى البلد ولعلها هى لاتفاق المؤرخين على تعيين هذا الموضع[(٣)] . وتليها مدرسة الغزنوى بواسط وهو : محمود بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الفضل الغزنوى حدث بكتاب تفسير الفقهاء ، وتكذيب السفهاء لأبى الفتح عبد الصمد بن محمود بن يوسف الغزنوى عن ولده القاضى يحيي بن عبد الصمد عن أبيه ذكره الحافظ ابن النجار وقال : صحب أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالى وأخذ عنه علم الوعظ وقدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ثم انتقل إلى واسط فسكنها إلى حين وفاته . وقرأت فى كتاب القاضى أبى الحسين على الواسطى بخطه قال : توفى محمود الغزنوى يوم الجمعة ودفن يوم السبت ثامن شعبان

---

(١) أفادناه الدكتور مصطفى جواد

(٢) راجع الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٢١٢ ط مصر وكتاب العبر لابن خلدون جـ ٣ ص ٥١٩ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٢٤ ط مصر وكتاب الجامع المختصر لابن الساعى الخازن فى حوادث سنة ٥٩٧

(٣) الدرر الكامنة للعسقلانى جـ ٤ ص ٤١٩ وطبقات الشافعية للسبكي جـ ٦ ص ٢٥٠

سنة ثلاث وستين وخمسمائة فى مدرسته بمحلة الوراقين وكان يوماً مشهوداً »[1] .

ثم تعقبها مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام الجاوانى الكردى ورد ذكره فى مخطوطة تاريخ واسط لأسلم بن سهل ابن حبيب الرزاز الواسطى المعروف ببحشل حيث ذيلت فى آخر المخطوطة الفقرة التالية : « سمع جميع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل ... وذلك بواسط فى مدرسة شرف الدولة محمد ابن ورام نور الله ضريحه في مجالس آخرها الاثنين رابع عشر من ذى القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة »[2] . فإذا كان آخر قراءة المخطوطة فى هـذه السنة فلا شك أن تشييد المدرسة المذكورة يسبق هذا التاريخ المذكور بكثير

ثم تأتى بعدها مدرسة للحنفية ذكرها ابن الساعى الخازن وذكر مدرسها أبا المحاسن عبد اللطيف المعروف بابن الكيال الواسطى قاضى واسط المشرف على ديوانها الزمامى . تولى القضاء بواسط بعدأبيه . وكانت وفاة أبي المحاسن هذا سنة خمس وستمائة[3]

ومن مدارسها أيضاً المدرسة الشرقية الشرابية ذكرها ابن القوطى البغدادى فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ . حيث يذكر فتحها فى هذه السنة بالجانب الشرقي من واسط على دجلة وهى التى أمر بانشائها شرف الدين أبو الفضائل الشرابى للشافعية ، وكانت مجاورة لجامع كان داثراً فأمر بتجديد عمارته ورتب بها للتدريس العدل أحمد بن نجا الواسطى ومعيدان واثنان وعشرين فقيهاً ، وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها ، وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان تاج الدين معلى ابن الدباهى الناظر بواسط والقاضى والنقيبان : نقيب بنى العباس ونقيب بنى أبى طالب والشعراء والقراء ، وكان المتولى لعمارتها وجعل النظر إليه وإلى عقبه فى وقفها أبو حفص عمر بن أبي إسحاق الدروق[4] ، وكان ذا مال كثير فائض وجاه عريض عمر ، إلى جانب جامع ابن رقاقا رباطاً وأسكنه جماعة من الفقراء ، ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ويُسمع الحديث ، وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية . وأنشأ قريباً من مدرسة الشرابى هذه رباطاً آخر على شاطئ دجلة وتربة يدفن فيها ووقف عليها وقوفاً سنية[1] وممن درّسوا بالمدرسة الشرقية الشرابية عماد الدين زكريا القزوينى قاضى واسط صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد فلم يزل كذلك إلى أن مات . وكان حسن السيرة عفيفاً[2] . ومن مدارسها أيضاً المدرسة التى وصفها ابن بطوطة فى رحلته ولم يذكر اسمها وإنما يذكر اسم بانيها وهو الشيخ تقى الدين عبد المحسن الواسطى الذى كان من كبار أهل واسط وفقهائها ، وقال فيه إنه يعطى كل معلم بها كسوة فى السنة ويجرى له نفقة فى كل يوم ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم بها ثم يقول : « وقد لقيته وأضافنى وزودنى تمراً ودراهم » فتكون رحلة ابن بطوطة إلى واسط فى إبان تشييد هذه المدرسة التى قال فيها إنها مدرسة حافلة فيها نحو ثلثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعليم القرآن وهى من منشئات أوائل القرن الثامن الهجرى[3] . ويجد الباحث فى تاريخ واسط مدارس بأسماء المحدثين والرواة والفقهاء كانوا يتخذونها بأسمائهم أو يجعلون قسما من بيوتهم مدرسة يجتمع إليها طلاب العلم من المدينة أو من أنحاء أخرى

هذا مجمل ما تمكنت من العثور عليه من أخبار مدارس واسط . ويقينى أن وجود هذه المدارس فى مدد متقاربة هو الرجة العلمية التى حدثت فى أواخر أيام الدولة العباسية لا سيما عهد الوزير نظام الملك وزير آلب أرسلان وملكشاه السلجوقيين فهو الذى نعش الرح العلمى فى زمانه بفتحه المدارس النظامية فى أنحاء الشرق العربى والعجمى فتأثرت واسط هـذه الآثار وعاد لها نشاطها العلمى والثقافى وهى أم المقرئين والمحدثين والفقهاء الذين درسوا وأفتوا فى مختلف البلدان العربية وأخصها بغداد مركز الخلافة العباسية حيث كثرفى معاهدها العلمية الأساتذة الواسطيون

ومن أخبار العمران فى واسط أن نذكر مارستانها وأطباءها الذين عثرنا على أسمائهم فى سياق البحث . وأول أطباء واسط

---

(١) الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية لعبد القادر القوشى المصرى جـ ٢ ص ١٠٤ ط الهند

(٢) مخطوطة بحشل ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ فى المتحف العراقى ببغداد

(٣) الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢٨٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(١) و (٢) الحوادث الجامعة ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٣) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١١٤ ط مصر

تياذوق طبيب الحجاج بن يعلف له نوادر. وألفاظ مستحسنة فى صناعة الطب وقد عمر طويلاً. صحب الحجاج والى العراق وخدمه بصناعة الطب، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته؛ وله تفاصيل مع الحجاج لا يسعنا ذكرها. وقد توفى بواسط فى نحو سنة تسعين للهجرة، وله من الكتب كناش كبير أى كتاب جامع ألفه لابنه، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها وشتى من تفسير أسماء الأدوية. وله تلاميذ أجلة تقدموا بعده. ذكره عدة مؤرخين. ثم يليه تلميذه فرات بن شماتة الذى كان طبيباً لعيسى بن موسى الذى دعاه المهدى إلى خلع نفسه وتولية الهادى[1]، ومن الأطباء أيضاً يوسف الواسطى الذى قرأ عليه جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع الذى كان من أطباء المقتدر وخواصه[2] ومنهم أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحرانى كان طبيباً مقدما كأبيه، وكان طبيب المقتدر خصيصاً به، ثم خدم القاهر وإليه يرجع وعلى وصفه يعتمد. ومن أخباره أنه لما كان الخليفة الراضى بالله استدعى بحكم التركي سنانا وكان بواسط وسأله الانحدار إليه ولم يتمكن من الطلوع فى ذلك قبل موت الراضى لملازمة سنان بخدمته، فانحدر إليه وأكرمه ووصله. وله حديث طويل فيه نصح وإرشاد يطول بنا وصفه حتى أنه حمل بحكم على عمل دارضيافة بواسط وقت المجاعة فأكرمه سنانا غاية الإكرام وعظمه غاية التعظيم[3]

ومن أهم البيمارستانات التى شيدت بواسط البيمارستان الذى شاد بذكره المؤرخون، أنشأه مؤيد الملك أبو على الحسن الرخجى وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة مدبر دولة الخليفة القادر بالله العباسى فى العراق جميعه سنة ٤١٣ هـ وأكثر فيه من الأدوية والأشربة والعقاقير، ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه؛ وصفه عدة مؤرخين أيضاً[4]. ومن مشاهير أطباء هذا البيمارستان أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى. كان من الحذاق فى الطب وله فيه إصابات حسنة وقد قتل فى سنة ٤٩٧ هـ، فيكون موته قريباً من عهد تشييد البيمارستان المذكور[1]. وممن نحن جديرون بذكره الطبيب الكبير موفق الدين أحمد بن محمد المعروف بأبى طاهر بن البرخشى كان من أهل واسط وكان فاضلاً فى الصناعة الطبية كاملاً فى الفنون الأدبية والفلسفة والحكمة والطب، وكان كريم الشمائل ظريف المخايل لا يخال إلا الأكابر، ولا يألف إلا الصدور، وكان مع ذلك مأوى الضعفاء وملجأ الملهوفين كثير الإحسان، وقد كان من أهل القرن السادس للهجرة. قيل إنه كان حيا بواسط سنة ستين وخمسمائة، وكان عنده أدب بارع ومعرفة بالنظم والنثر فلابد أن أبا طاهر البرخشى كان من الذين خدموا فى البيمارستان المذكور أو من الذين اتصلوا بأطبائه ما دام أنه كان إذ ذاك من مشاهير أطباء واسط ومن الذين عاشوا بعد تشييد البيمارستان المذكور[2]

ومن الأطباء أيضاً أبو الفرج سعيد بن ابراهيم الواسطى، هذا كان طبيباً وقساً وراهباً[3] وممن نزحوا إلى واسط لممارسة هذه المهنة العظيمة الشأن أبو العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى الحكيم الطبيب النصرانى النيلى الأصل نزيل واسط، كان طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً فى وقته عالماً بصناعة الطب مرتزقاً بها جيل المشاركة محمود المعالجة وله مع ذلك أدب طريف وخاطر فى النظم، وكان مولعاً بالألغاز والمعميات. توفى فى أوائل سنة ستين وخمسمائة إذ كان معاصراً لأبى طاهر البرخشى المذكور آنفاً[4]

هذا ما وقع إلينا من أخبار أطباء واسط ومارستانها ولعلنا نعثر على غيرهم فى المستقبل والله ولى التوفيق.

(بغداد) **يوسف يعقوب مسكونى**

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبي إصيبعة جـ ١ ص ٢١ – ٢٣ ثم ص ١٦١ — ١٦٣ وأخبار العلماء القفطى مادة تاه وباه.

(٢) عيون الأنباء أيضاً جـ ١ ص ١٤٤

(٣) أخبار العلماء للقفطي مادة سين ونون.

(٤) الكامل لابن الأثير جـ ٩ ص ٢٣١ ط بولاق والعينى فى عقد الجمان فى حوادث سنة ٤١٣ وسنة ٤٣٠ وابن شاكر الكتبي فى عيون التواريخ وابن كثير فى البداية والنهاية حوادث سنة ٤١٣ وغيرهم كالجامع = المختصر لابن الساعى جـ ٩ ص ٢٢ فى حوادث سنة ٥٩٠ وآخر من أخذ عنهم الدكتور احمد عيسى المصرى صاحب تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ص ١٩٨

(١) الكامل لابن الأثير جـ ١٠ ص ٢٥٩

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى إصيبعه جـ ١ ص ٢٥٦، ٢٥٧

(٣) المجدل لمارى بن سليمان ط رومية ص ١٤٢ لغاية ١٥٢

(٤) أخبار العلماء للقفطي ص ٢١٥ ط مصر

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

- ٣ -

صالونها

ولئن ظهرت صالونات فتيات الطبقة الأرستقراطية فى الغرب حوالى القرن الثامن عشر ، فقد كانت هذه الصالونات معروفة فى الأندلس قبل ذلك بقرون . فكان صالون « ولادة بنت المستكفى » مجمع العلماء والشعراء وأهل الفن والأدب . وهذه الصالونات كانت منتشرة فى المدينة منذ القرن الأول الهجرى . والذى نراه أن أول ظهورها فى الشرق كان فى المدينة المنورة على عهد الدولة الأموية ، وأول من سن هذا هى السيدة سكينة ، ثم تبعها بعد ذلك سيدات قريش

امتازت ندوة سكينة بفخامتها وجلالتها ، ذلك لأنها ندوة سكينة التى نعرف أدبها الرفيع وعلمها وظرفها ومروءتها وميلها إلى تشجيع كل نابغ ، والأخذ بيد كل سائر ، تهديهم الطريق وتذلل لهم العقبات ، وترشدهم إلى مواضع الضعف فى علمهم وأدبهم وفنهم . وفى بيتها غرف للانتظار وأخرى للضيافة يتزاحم فيها الشعراء والأدباء والفقهاء ورواة الحديث والمغنون . وقلما كان يمر بالمدينة أمير أو شريف أو نابغ أو عالم إلا ويعرج إلى هذه الندوة عش الأدباء وكعبة العلماء والفقهاء

وكم اجتمع الشعراء ببابها والناس حولهم يطلبون الإذن منها لينشدوها أشعارهم أملاً فى صلتها أو طلباً لإبداء رأيها . وكم انتظر الشعراء ببابها أياماً حتى يؤذن لهم . والشيء المعتاد عند أهل المدينة هو أن يترددوا إلى ندوتها ليشاهدوا مباراة الشعراء فيها ، أو الحلقات العلمية التى تعقد . أو مجالس رواة الحديث التى تدور ، وكانت السيدة سكينة تشارك فى هذا كله من وراء حجاب بحيث تراهم ولا يرونها ، يحف بها جواريها اللاتى يروين الأحاديث ويحفظن الأشعار

اجتمع الفرزدق وجرير وجميل وكثير ونصيب فى موسم الحج . فقال بعضهم لبعض : لا تجتمعون فى مثل هذه الساعة ، فهلموا نفعل شيئاً نذكر به فى الزمان . فقال جرير : هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها أن تكون سبباً لما أردتم . قالوا : نعم الرأى . وانطلقوا فاستأذنوا . فخرجت جارية وأعلمت مولاتها بقدومهم . فأذنت لهم فقصدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم . وأخرجت إليهم جارية وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيكم الفرزدق ؟ قال : أنا . قالت : أنت القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره

قال : نعم . قالت : ما وفقت ولا أصبت . أما آيست من تعريضك بعودة صدق محمودة ؟ ما دعاك إلى إفشاء سرك وسرها ؟ أفلا سترت على نفسك وعليها ؟ خذ الألف درهم وانصرف . ثم دخلت وخرجت ، وقالت : أيكم جرير ؟ قال جرير : هأنذا . قالت : أأنت القائل ؟ :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

قال جرير : أنا قلته . قالت : فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم حين رددتها ، وقد تجشمت إليك هول الليل . أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت لها « نفسى فداؤك فادخلى بسلام . خذ هذه الألفين والحق بأهلك . ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت : أيكم القائل :

ولو لا أن يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسى النشء الصغار

بنفسى كل مهضوم حشاها ... إذا ظلمت فليس لها انتظار

قال نصيب : أنا قلته . قالت : غزلت وأحسنت ولا كرمت، لأنك مبوت إلى الصغار وتركت الناهضات بأحمالها . خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها . ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت : أيكم القائل :

وأعجبنى يا عز منك خلائق ... كرام إذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا ... ودفعك أسباب المنى حين يطمع

وإنك لا تدرى كريماً مطلته ... أيشتد إن لاقاك أو يتضرع

قال كُثَيِّر : أنا قلته . قالت : غزلت وأحسنت . خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها . ثم انصرفت إلى مولاتها ثم خرجت فقالت : أيكم القائل :

لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد

يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأى جهاد غيرهن أريد

وأفضل أيامى وأفضل مشهد ... إذا هيج بى يوماً وهن قعود

قال جميل : أنا قلته . قالت : غزلت وأحسنت وكرمت

وعففت ، أدخل . فلما دخل سلم . فقالت له سكينة : « أنت الذى جعلت قتيلنا شهيداً ، وحديثنا بشاشة ، وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ، ولم تتعد ذلك إلى قبيح ، خذ هذه الألف درهم وابسط لنا العذر ، أنت أشمرهم »

على أن هذا التبصر بالشعر وفنونه والمآخذ الدقيقة على الشعراء لم يكن ليتهيأ لغير سكينة ، فقد كان لها فوق ذكائها المتوقد ، من عوامل الوراثة من والديها ما ساعدها على ذلك . لجدها سيد فصحاء العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمها بدوية نشأت فى البادية وتلقت الفصاحة عن شعرائها وبلغائها وهى شاعرة رقيقة . ناهيك عن محيطها الذى نشأت به وهى المدينة المنورة عش الأدباء والشعراء ، ومنشأ الغزل الإباحى العفيف — كل هذه العوامل أثرت فى السيدة سكينة وجعلتها تفوق بنات قريش فى بصرها الثاقب ورأيها الصائب وأدبها الرفيع

نرى رواة الشعراء يختصمون وكل يفضل صاحبه فإذا جدال وإذا خصام وينشدون حكماً صائباً يقدر أن يوفق فى مثل هذا الموقف الحرج فيقضى لفحل على فحل دون خوف أو حذر أو تعصب . ومن لهم فى مثل هذا الموقف ؟ وأنى لهم ذلك الحكم الواسع الاطلاع على أشعار العرب وأنسابها وأخبارها ليوفق فى حكمه ؟ ومن يعرض نفسه لتهكم جرير أو لفحش الفرزدق أو لهجو الأحوص . هذا ما لا يجرؤ عليه أحد . ولا يتهيأ لغير « السيدة سكينة » . اجتمع بالمدينة رواة الشعراء جرير ونصيب وكثير وجميل والأحوص فأدلى كل منهم أن صاحبه أشعر وتراضوا بأن يحتكموا إلى سكينة بنت الحسين . فقصدوا ندوتها وعرضوا عليها الأمر فأذنت لهم . فدخلوا . قالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟!

ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزناً من ذا يهيم بها بعدى

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده ألا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تواسلا وتوعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح النهار تفرقا

قال : نعم . فالت : ألا قال « حتى إذا وضح النهار تعانقا » . ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فيا ليتنى أعمى أصم تقودنى بثينة لا يخفى علىَّ كلامها

قال . نعم . قالت . رحم الله صاحبك . إنه كان صادقاً فى شعره ، وكان جميلاً كاسمه . فحكمت له ، ورضى الجميع بالحكم

ميلها للغناء

وللسيدة سكينة شعور رقيق وحب للجمال — وهل يحب الجمال إلا الجميل — هى جميلة فى صورتها ، جميلة فى صوتها ، جميلة فى نفسها ، وجميلة حتى فى تهكمها ونقدها . ففاض هذا الجمال من روحها الطيبة الطاهرة ، وغمر ندوتها ، وجعلها معرضاً للفن والجمال .

وما الغناء إلا مظهر من مظاهر الجمال الروحى الذى تجيش به الأنفس فتهتز له القلوب فتردده ألحاناً .

كان يعجبها الغناء وتهتز له : وكان المغنون يقصدون صالونها ويعرضون فيه ألحانهم الجديدة وأصواتهم المبتكرة التى لم تكن معلومة عند العرب . وكان « الفريض » مولاها يلازم هذه الندوة ويشرف على مرتاديها من أهل الفن . اعتنت السيدة سكينة بتربيته وأسلمته إلى المغنين وما زال يسمو أمره حتى بلغ فى الغناء ما بلغ .

وهذا « حنين المغنى العراقي المشهور يشد الرحال إلى المدينة المنورة تلبية لدعوة زملائه المغنين فيها . ولما كان على مرحلة منها ازدحم الناس لمشاهدته ـ فلم ير يوماً كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ ـ وأمل كل سرى وشريف أن يحل حنين ضيفاً عنده . ولكن كل شرف دون شرف السيدة سكينة ، ومن له من الشرف والمروءة مثل ما لها ؟ عرج حنين إلى دارها ليسلم عليها ويستأذنها فى الغناء عندها قبل كل أحد . فأذنت له بالدخول . ثم أذنت للناس إذناً عاماً وأقبل أهل المدينة كعادتهم إلى صالتها ليسمعوا أنغام حنين ، غصت الدار وصعدوا فوق السطح وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا ثم ابتدر حنين يغنى :

هلا بكيت على الشباب الذاهب وكففت عن ذم المشيب الأيب

فازدحم الناس على السطح وسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعاً إلا « حنين » فإنه مات تحت الهدم .

على أن المصائب التى اعتورتها منذ صغرها لم تترك قلبها خالياً من الحزن والأسى ، وكيف يخلو قلبها من الحزن وقد شهدت أعظم المصائب ؟ فقد كانت تأنس بالنوح وتخفف به آلامها وأحزانها . ومن أحق بالنوح منها ؟ وهل النوح إلا أنغام الحزن والأسى ؟ !

كانت تبعث بالأشعار المحزنة إلى المغنين ليصوغوا بها ألحاناً يناح بها . كما كانت تختار من ذوى الأصوات الشجية وتسلمهم إلى المغنين ليعلموهم النوح ، وقد بعثت مملوكها عبد الملك إلى ابن سريج وأمرته أن يعلمه النياحة . ولما توفى عمها « أبو القاسم محمد بن الحنفية » ناح عليه نوحاً فى الغاية من الجودة .

(يتبع)

سعيد الديوه جى
بالموصل

الأزهر حصن الدين
وينبوع الأدب

للأستاذ حسن عبد العال
صاحب جريدة « الاصلاح » الحلبية

فقدت استنبول صفة عاصمة الإسلام بزوال الخلافة منها وانتقلت هذه الصفة إلى القاهرة ، وكانت القاهرة مع وجود الخلافة فى عاصمة الأمبراطورية العثمانية عاصمة « عملية » للاسلام ، فقد حفظت آثار الإسلام وأخذت طابعاً إسلامياً بارزاً فى مساجدها القديمة ومدارسها الدينية ، وعاداتها التاريخية ، ومواسمها الذهبية ، وهى الآن مركز لأعظم جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى العالم ففيها الأزهر ، والأزهر دعامة الإسلام وركن العروبة ؛ وينبوع الأدب وقاموس اللغة ، وقد حفظ الأزهر مآثر الإسلام وبالغ فى إغداق الفضل على اللغة العربية حتى صانها من الفناء وضمنها من البلاء ، وأحاطها بسياج صد عنها المكاره فنعمت فى أروقته وعاشت فى ظلاله حتى صدرت إلى مجاهل الهند والصين ، وبلغت آداب العرب ذروة المجد فى هيكل الأزهر ، حتى أشرقت على العالم العربى بجمالها وبهائها ، وغرف العرب والمسلمون من معينها فى كل زمان ومكان ، وتدفقت شهداً من أفواه الأدباء الفطاحل

هذه صورة عن الأزهر ، وهو على كل حال أجل وأفضل ، ولئن كان فى حالته المتواضعة ومتانته فى الدفاع عن العروبة والإسلام قذى فى عين جماعة السخفاء من المتأدبين ، وحصناً لا يثبت فقرهم الأدبى أمام غناه فى المناعة والجبروت ، لقد نجده ضرورة للأدب وحياة للقومية ، ونوراً للعالم الإسلامى ؛ وفى هذه الضرورة وهذه الحياة وهذا النور رحمة تصيب كل من نطق بالضاد وآمن بالله الأحد ، رحمة عامة شاملة ، لو جزأتها إلى تراكيب الاصطلاحات الحديثة لكان معنى هذه الرحمة اقتصاداً أو سياسة واجتماعاً ، ارتبطت بها أجزاء العالم الإسلامى المبعثرة ، والأقطار العربية المتفرقة . وإن شئت الدليل فقل لى ما يكون شأن عالم إسلامى بدون هذه الجامعة ؟ وما حالة بلاد العرب بدون هذا للغتها ؟ وما قيمة القومية بلا لغة ذات قواعد وآداب ؟ ولأذهب بك إلى شىء أقرب من هذا كله ، ولأذكرك بحقيقة تلمسها وتؤمن بها ، لتعتقد ببداهة فضائل الأزهر ، فلولاه لما قرأت أدباً لطه حسين ، ولا تلذذت بما كتب عبدالوهاب عزام ، ولا أخذتك روعة علم أحمد أمين ، ولا استنزفت مقالات أحمد حسن الزيات كل ما فى نفسك من إعجاب ، ولا كان سعد أخطب الخطباء وأحسن الزعماء ، والمنفلوطى فى طليعة الكتاب . كلهم طلبوا فى الأزهر وحفظوا ألفية ابن مالك ، وقرأوا مجموعة المتون ، واستظهروا رسالات الكتاب ودواوين الشعراء ، وحفظوا القرآن والحديث ، وحضروا دروس المعانى والبيان والبديع والتفسير وفقه اللغة ، حتى علموا بلغتهم ودينهم ، ورسخت أسس أدب أمتهم فى صدورهم ؛ ثم مالوا إلى آداب الأمم الأخرى وأقبلوا عليها إقبال العالم بالأدب ، ونقلوا روائعها إلى قومهم ، فأحسنوا الانتقاء ، وأتونا بأدب متين جميل جيد السبك ، حسن الأسلوب غزير المادة كان الأدب الحديث لهذا الزمان ، ولكنه كان مؤسساً على فضل الأزهر وأصوله فى التدريس ، ولو لم يكن كذلك لقرأنا الآن أدباً ركيكا وخيالا بارداً كله لحن يتطاير منه السخف ، فالحمد لله على نعمة الأزهر وأدباء الأزهر وعلوم الأزهر فلقد أغنى الأمة العربية بالأدب الممتاز ، وجعلها فى حل من الاقتصار على أدب يكتبه جماعة من أدبائنا الحديثين ، ممن تأدبوا من هوامش الأدب وأطراف الكتب ...

وبعد فالأزهر كله فضل وفخر . وفخرى منه أننى طلبت فيه

حسن عبد العال



من جنايات المذاهب الصوفية

قرأت فى باب البريد الأدبى رقم ٥٠٤ كلمة عن المذاهب الصوفية وتنكب بعض رجالها وأتباعها الطريق السوى ، ذكر فيها كاتبها الفاضل عن تفسير المنار بعض ما كان للحلاج من مواطآت كان الغرض منها أن يلقى فى روع العامة وأشباه العامة أنه ممن آثرهم الله بعلم الغيب والقدرة على المعجز من الأمور

وقد بعثنى ما قرأت إلى كتابة هذه الكلمة الموجزة عن هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم متصوفين ومشايخ الطريق ، الذين بما لبَّسوا على العامة وأشباه العامة وبما اندس بينهم من الجهال بالشرع والحق ، صاروا غير أهل لشىء مما يتمتعون به من تشريف وتكريم

محيى الدين بن عربى من أساطين المتصوفة ، وممن لا يزال لهم أتباع كُثر فى البلاد الإسلامية ، على بُعد فلسفته النظرية والأخلاقية عن الدين ، ويكفى أن نشير إلى بعض ما يرى فى الأخلاق

١ — إنه بما ذهب إليه من القول « بوحدة الوجود » وما يستلزمه هذا القول من اعتبار العالم كله صوراً ومجالى ومظاهر لله الذى هو وحده الموجود ، قد أتى الأخلاق من قواعدها ، إذ لا معنى للمسئولية الأخلاقية التى هى مناط الثواب والعقاب ؛ لأن للآثم أخلاقياً أن يقول : ما دام الله الذى اتخذنى مظهراً له هو الذى فعل حقيقة ما يُظَن أنه فِعْل لى ، كيف يستقيم أن أكون أنا المسؤول !

٢ — ويظهر أن الشيخ الأكبر (كما ينعته أتباعه) لا يتهيب أن يصل به مذهبه إلى هذا الحد فيما يتصل بالأخلاق . إنه يرى أن الذى وصل إلى درجة المحبة الحق يباح له أن يتجاوز حدود ما أنزل الله ، بعد أن لازم زمناً طويلاً حفظها ؛ لأن من أحكام المحب أو من صفاته أنه كالدابة جرحه جُبار ![1] بل إنه ليرى أن هذا الصنيع من المحب لا يعتبر مجاوزة للحدود إلا فى نظرنا نحن ، أما بالنسبة إليه فهو كأهل بدر الذين أباح لهم أن يفعلوا ما يشاءون فقد غفر لهم ، وإذاً فتصرف المحب هو تصرف فيما أبيح له ! وإذا تركنا هذا القياس الخاطئ للمحب على أهل بدر، رأينا ابن عربى يذكر تملة أخرى لما أجاز من تعدى المحب حدود ما أنزل الله ؛ إذ يرى أن هذا المحب — وهو ولهان مدله العقل لا تدبير له فى رأيه — غير مؤاخذ فيما يصدر عنه ، وغير مطالب بالآداب التى لا يطالب بها إلا من كان له عقل[1]

وبعد : فهل لنا بعد هذا أن نعالج فى جد مشكلة هؤلاء المتصوفة ، أعنى الذين عرفوا منهم بالإلحاد فى العقيدة ، والضلال فى الأخلاق ، وأكل أموال أتباعهم الجهال بالباطل !

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

(١) الفتوحات المسكية لابن عدلى عزلى ج٢ ص ٣٥٨

(١) نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٥٩ . وهذه المسألة موفاة فى كتابى « فلسفة الأخلاق فى الاسلام »

العالم العربى

أهاب الأستاذ محمد عوض محمد فى مجلة الثقافة بزعماء المسلمين لإعداد الخطط التى تؤول إلى ما فيه اليُمن والفلاح . ومن واجبات المصلحين المخلصين حثّ القادة على العمل المثمر لوضع الدعائم التى يقوم عليها صرحُ الوحدة العربية وتوجيه آراء الأمة نحو المثل العليا والسير بالشعب نحو المحجَّة السامية .

وما نخال مقالُ الأستاذ إلاّ توطئةً لمقالات أُخَر ودراسات شاملة نأمل منه ومن حضرات المفكرين أمثاله أن يمهروا بها العالم العربىّ ، ولا أقول الإسلامى

فالوطنية الحق ليست وقفاً على دين من الأديان ؛ وإن فى مسيحى الشرق العربى من الشباب الطامحين المثقفين الأحرار من يُدِلون على الملأ : قاصيه ودانيه بعروبتهم ويفخرون بقوميتهم ، ويتعصّبون لهـا كأشدّ المسلمين اعتزازاً بالوطنية وتعلقاً بالعروبة .

وإنى أرى أن يعدلَ كتّابنا عن اسم « العالم الإسلامى » إلى « العالم العربى » عند ما يعرضون للوطنية وللاستقلال بالدراسة والبحث لأنه أدلُّ تسمية وأدق تعبيراً .

وبعد ، فما أنا من يتحرَّج بالإسم الدينى هذا يطلق على البلاد

العربية الغالية ، والمسلمون إخوان لي أثيرون على قلبي ، ولهم في نفسي ـ كما لهم في كل نفس تؤمن بالعروبة ـ مكانة لا تعدلها المكانات ، وإنما أودّ أن نجرّد نحن الشرقيين معنى الوطنية من الطائفية ، فالطائفية كما نعلم جميعاً لم تكن إلا بلاء في وطن كثرت فيه الملل وتعددت فيه المذاهب والنحل .

والطائفية كانت ـ لنكد الطالع وشؤمه ـ الثغرة التي نفذ منها دعاة السوء إلى بنياننا القومي فصدّعوه ، وما فينا على ما أعتقد من ينكر هذه الحقيقة إلا من أضله التعصب سواء السبيل ، وغشّت على بصيرته نوازع الأهواء .

نحن اليوم أشد ما نكون حاجة إلى التكاتف والتساند وتوحيد الجهود لدرء ما قد يهدد الكيان العربي من أخطار . وعربٌ نحن سواء كنا مسلمين أم نصارى ، وحريٌّ بنا أن فرّقت بيننا المذاهب أن تجمعنا العروبة فهي خير آصرة تتآلف عليها القلوب وتتوثق بها العرى ، فللعروبة يجب أن تهفو النفوس وباسمها فلتنطق الأفواه

« بيروت » جورج سلمتي

تراث بني اسرائيل

يخطىء المفسرين الأستاذ الصعيدي فيما ذهبوا إليه من أن الله عز وجل رد بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه ، فأعطاهم جميع ما تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ؛ معتمداً على أن تاريخ مصر وتاريخ بني إسرائيل لا يثبتان عودة الإسرائيليين إلى مصر ولا قيام ملك لهم فيها قبل ظهور الإسلام ؛ ثم يقول : والحق أن الله تعالى يشير إلى بساتين وعيون كانت لهم في فلسطين ، وأن الضمير في (أورثناها) يعود إلى مطلق الجنات والعيون ؛ لا إلى خصوص ما كان في مصر على ذلك العهد ، وهذا من أسلوب الاستخدام المألوب في لغة العرب

ومقال الأستاذ صريح ؛ أو ظاهر ـ على لغة الأزهريين ـ في خمس دعاوى ، أن المفسرين قاطبة على هذا الرأى ، وأنهم جميعاً مخطئون ؛ وأن التاريخ ينفي عودة بني إسرائيل لأنه لم يثبتها ، وأن الأستاذ وحده مبتكر هذا الرأى ، وأنه الحق .

ولكن ما قول الأستاذ في أن ما نقله عن المفسرين إنما هو رأى جمهورهم ـ لا رأى جميعهم ـ بناء على الظاهر ، ولا يعدل عن الظاهر كما يقول الأزهريون إلا بقاطع . ولا قاطع ، وأن التاريخ إذا سكت عن إثبات شيء لا يكون حجة على نفيه ، ومن القضايا الأزهرية « عدم الدليل ليس دليلاً على العدم » .

فكيف وقد أثبت التاريخ القديم رجوع بني إسرائيل إلى مصر ؟ قال الألوسي : ورأيت في بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى وبقوا معه بمصر عشر سنين[1] . وجاء في كتاب البشرية ص ٨٨ لمؤلفه لينج أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر الذي فر إلى بلاد الحبشة حكم مصر ثلاث عشر سنة[2]

والمتبادر من قوله تعالى : « ويستخلفكم في الأرض » ، ومن قوله « ثم قلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض » ، ومن قوله سبحانه « وأورثنا بني إسرائيل » أنهم رجعوا إلى مصر . وقد حكى الألوسي تأويلاً آخر هو عين ما قاله الأستاذ الصعيدي إلى أن قال : وأخذ قوم بقول الحسن وهو رجوع بني إسرائيل إلى مصر وقال لا عبرة بالتواريخ وحسبنا كتاب الله تعالى فهو أصدق القائلين[3]

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

من نوادر العرب

نوادر العرب كثيرة ، يعثر عليها المرء في تضاعيف الكتب التاريخية ، وثنايا المصنفات الإخبارية . وإني لراوٍ لك فيما يلي طرفاً مما التقطته[4] من نوادرهم

١ ـ كان أبو حية النميري جباناً ، وكان له سيف ليس

---

(١) تفسير سورة الشعراء (٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ٩٨ والموضوع مبسوط في المنار ، وإنما اكتفينا بهذه اللمحة مع الاشارة إلى الأصل إيثاراً للقصد في القول والورق

(٣) تفسير سورة الدخان عند قوله تعالى : « وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » وقد سقطت الأرض من مقال الأستاذ الصعيدي . أنظر العدد ٤٩٩

(٤) لفت نظرى صديقى الثقة المحقق الأستاذ محمود شاكر إلى ما ورد في « لسان العرب » تحت مادة « ل ق ط » ؛ وهو : « التقط الشيء : عثر عليه من غير قصد ولا طلب » فدلني بذلك على التعبير الذي يفيد المعنى المتطلب تماماً . . .

بينه وبين الحية فرق ، وكان يسميه « لعاب المنية » . وذات يوم وقف النميرى على باب داره ليلاً ، وقد جرد سيفه وهو يقول : « أيها المغتر بنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ؛ خير قليل ، وسيف صقيل ، هو لعاب المنية الذى سمعت به . أخرج بالعفو عنك ، وإلا دخلت بالعقوبة عليك » ! وظل واقفاً لا يجسر على الدخول ، مخافة أن يكون فيه لص فاتك . فجاء رجل من أهله ، فدفع الباب فانفتح ... وخرج منه كلب يعدو كالأرنب ، فسقط أبو حية النميرى على قفاه وهو يقول : « الحمد لله الذى مسخك كلباً ، وكفانى حرباً » !

٢ — دخل رجل أعور على معن بن زائدة ، فأمر له بجائزة . وكان «معن» جوداً ؛ ثم دخل عليه رجل آخر ، وكان مثل زميله أعور ، فأمر له بجائزة ... فعادا يمشيان جنباً إلى جنب بحيث صارت عيناهما المكفوفتان جوار بعضهما البعض . . . فقال معن : « لقد أعطيتكما منفردين ، فماذا تريدان ؟ » فقال أحدهما : « بيننا رجل أعمى يستحق الصدقة » ، فأعطاهما معن ضعف ما أخذاه ، فقال أحدهما :

ألم ترنى وعمراً حين نغشى ... نريد السوق ليس لنا نظير

أماشيه على يُمنَى يديْه ... وفيما بيننا رجل ضرير !

٣ — وأما نوادر البخلاء فليس لها حصر ، ولذلك نجترئ بذكر هذه النادرة الطريفة :

طبخ أحد البخلاء قدْراً ، وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : « ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام ! » فقالت : « وأى زحام وما ثمَّ إلا أنا وأنت ؟ » فقال : « كنت أحب أن أكون أنا والقدْر » !

زكريا ابراهيم

كليوباترة

منذ أمد بعيد واستديو لاما يعمل عملاً متواصلاً فى إنتاج فلم (كليوباترة) ، وقد ابتدأ عرض هذا الفلم الذى اشترك فى تمثيله جماعة منتقاة من الممثلين والممثلات نذكر منهم الأساتذة : بدر لاما ، منسى فهمى ، السيد زيادة ، حسن كامل ، والآنسة أمينة رزق ، وزوزو بيبل . والمطربة درية أحمد وغيرهم . وقد أخرج هذا الفلم التاريخى العظيم المخرج المعروف الأستاذ ابراهيم لاما

عبد الفتاح متولى غبن

حاليا



الرجا حجز أماكنكم مقدماً

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 506

Lundi - 15 - 3 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٧ ـ دفاع عن البلاغة

الـــذوق

يكثر ترداد كلمة (الذوق) في البلاغة، كما يكثر ترداد كلمة (العقل) في الفلسفة. ذلك لأن حاسة الذوق هي أداة الفن، كما أن ملـكة العقل هي أداة العلم. فمن لا يذق لا يدرك الجمال، كذلك من لا يفقه لا يعرف الحق. ولم تؤتَ البلاغة إلا من فساد الذوق فيمن يكتب أو فيمن يقرأ. ولم أجد فيما أُثر من أدبنا، ولا فيما نقل إلى لغتنا، كلاماً يفيد طالب البلاغة في موضوع الذوق على ما له من بليغ الأثر في إنشاء العمل الفني وصحة تقديره ودقة نقده. لذلك لم أر من الفضول، وأنا في مقام الدفاع عن البلاغة، أن أحاول تجلية هذا المعنى بمقدار ما يحسن الاستطراد في موضوع يؤدَّى على الطرف الأقصى من الإيجاز

* * *

ما هو الذوق؟ الذوق حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر. وقديماً فطن الناس إلى الشبه بين الذوق الحسي الذي يميز بين الطعوم، وبين هذا الذوق المعنوى الذي يحكم في نتاج الفنون. وما أظنهم وقفوا بوجه الشبه بين هاتين الحاستين عند طبيعة الإدراك، وإنما تعدوا به إلى قابليتهما للكمال والنقص، واختلافهما بين الناس باختلاف الزمان والمكان والخلق والملامة

على أن التنوع والتغير والاختلاف فى الذوق الحسى أضعف وأقل، لأن مجاله مادى محدود؛ وإدراك المادى قريب، واستيعاب المحدود ممكن، وفعل الطبيعة والبيئة فى تطور الغرائز بطىء لا يكاد يحس. أما الذوق المعنوى فمجاله ما يُعجب وما لا يعجب من أعمال النفس والذهن. والمعجب وغير المعجب من هذه الأعمال أمور لا تزال تتأثر بعوامل الزمن والإقليم والجنس والتربية والثقافة والحضارة والطبقة والسن؛ وكما التبست هذه الأمور التبس الذوق الذى يسيرها ويدبرها ويفرق بينها ويحكم عليها.

فالذوق الحسى مرجعه إلى الطبيعة وللطبيعة طريقة واحدة؛ والذوق المعنوى مرجعه إلى العادة وللعادة طرق متعددة. وإذن لا يمكن الظفر بذوق عام تصدر عنه أحكام الناس على الأعمال الفنية، فإن ما يعجب الحضرى قد لا يعجب البدوى، وما يطرب المصرى قد لا يطرب الأوربى؛ فرقص (بيا) خِزْىٌ عند الغربيين، وغناء (جانيت) نهيق عند الشرقيين. وفى الغالب نرى الشىء الواحد يثير الاستحسان فى نفس والاستهجان فى أخرى. فكيف نجعل الذوق إذن ميزاناً فى البلاغة وهو على هذا الاختلاف؟

إن للذوق مصدرين يستمد منهما الحكم فى جميع قضاياه: الأول العقل المتزن، وهو يحكم فى التناسب والقصد والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة، أو بين الطريقة والغاية. والذوق المستمد من هذا المصدر له ما للعقل من الوضوح الذى يشرق فى كل نفس مهذبة؛ وقواعده كقواعد العقل لا تتغير لأنه ثابت مطرد. والفنان الذى أوتى ثقوب الذهن يكون فى مأمن من الزيغ إذا اتبع قواعد الفن لأنها وضعت على هذا الأساس المكين

والمصدر الآخر هو العاطفة، وهى الشعور الواقع على النفس مباشرة من طريق الحواس. وهنا كان مجال الاختلاف وسبب التباين؛ لأن الحقيقة فى الفنون غير الحقيقة فى العلوم: هى فى العلوم محصورة مضبوطة، ولكنها فى الفنون منتشرة مبسوطة؛ ومن ذلك كان التدرج من الحسن إلى الأحسن، ومن الفائق إلى الممتاز. ولم ينشىء هذه الفروق إلا هذا الذوق العاطفى الذى يتولد من الصفات والعادات والحوادث فيجعل الحقيقة الفنية تختلف فى نفسها من شعب إلى شعب، ومن قرن إلى قرن، حتى لتختلف فى المكان الواحد، وفى الزمان الواحد، وفى الإنسان الواحد، تبعاً لحالات العواطف وانطباعات الحوادث واختلافات الميول

ضع نموذجاً أمام مائة طالب ليرسموه، ثم انظر بعد ذلك فيما عملوا تجد الرسوم كلها تتشابه لأول وهلة؛ فإذا أطلت فيها النظر لا تجد رسمين منها يتشابهان، لأن الذوق الخاص بكل راسم جعل الصور تختلف فى حقيقتها، وإن لم تختلف فى جوهرها وطبيعتها

لا بد للذوق إذن من استمداد العقل والعاطفة كليهما فى تكوين حكمه: هذا بمقتضى المنطق السليم، وتلك بمقتضى الشعور الحاصل. ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضى الأعلى وهو الطبيعة. وللطبيعة، والحمد لله، قانون نافذ على كل كائن. وقد كان للناس قبل أن يوجد الفن ذوق معنوى خلقته الطبيعة فيهم كما تخلق الغرائز؛ وكان لهذه الحاسة من ميلها ونفورها قاض يحكم على كل شىء فلا يخطئ حكمه. فلما ظهر الفن لم يعارض الطبيعة ولم يناقضها، وإنما حسنها وزينها وعمل أحسن مما عملت باتباع طريقتها واقتباس وسيلتها وملاحظة تطورها

إن الفنان كلما دنا من الطبيعة كان أنق وأصدق. أنظر إلى أدب الجاهليين من العرب والإغريق تجد أظهر خصائصه الحقيقة والسذاجة والوضوح. ذلك لأن البدوى أو الهمجى يمتاز بقوة بصره وحدة سمعه؛ وإن حاسته المعنوية التى تتصل بعينه وأذنه تمتاز كذلك بوضوح الإدراك وصدق الحساسة. وإذا كان ذوقه أضعف من ذوق المتمدن فى التحليل والتحديد والتمييز، فإنه ثابت غير مضطرب، خالص غير مشوب. لقد اخترع البدوى المجازات البيانية والصور الخطابية قبل أن ينشأ الفن ويوضع البيان. ولقد كان إذا ما ضرَّم النوى أنفاسه، وأرمض الهوى نفسه، يخاطب الغُيَّاب ويظنهم يسمعونه، ويكلم الأطلال والأموات ويعتقد أنهم يفهمونه. إسمعه حين تصيبه مصيبة فيشكو، أو تسعفه صنيعة فيشكر، أو تمسه إهانة فينتقم، تجده قد شعر بأثر ذلك فى نفسه كل الشعور، وأداه بالعبارة الملائمة أصدق الأداء؛ فلا يوارب ولا يبالغ ولا يتكلف. لأن الطبيعة صادقة لا تعرف التمويه، صريحة لا تقبل الرياء.

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٢٠)

في ضيافة الهلالي باشا (*)

للدكتور زكي مبارك

كانت جريدة الأهرام نشرت أن جماعة من الوزراء سيزورون المنوفية ، وأن في منهاج الزيارة شهود اجتماع يعقده النواب والشيوخ في سنتريس ، فاستفسرت من حضرة الأستاذ شافعي البنا عن المراد من ذلك الاجتماع ، فقال إنه للترحيب بالوزراء وهم في الطريق إلى عاصمة المنوفية ، وإنما اختيرت سنتريس لأنها الملتقى لبلاد مركز أشمون ، ولأنها أول بلد على بحر شبين بعد عبور القناطر الخيرية

قلت لنفسي : إن اسمي يخطر في البال حين تذكر سنتريس ، فما الذي يمنع من دعوة وزير المعارف للتفضل بزيارة داري هناك ؟

وكان المفهوم عندي أن الدعوة ستقابل بالاعتذار الرقيق ، فقد كنت أعرف أن الوقت لا يتسع للزيارات ، ولكن الهلالي باشا أعزه الله تقبل دعوتي بأحسن القبول ، كأني وجهتها إليه وهو في أسيوط وطن الشهامة والجود

وفي مكتب الوزير دار الحديث على الصورة الآتية :

— أهلاً بنابغة سنتريس !

— هذا اللقب لا يكفي يا معالي الوزير في تحيتي

— وكيف ؟

— لأن الأستاذ عباس حافظ هو الذي منحني هذا اللقب في مناوشة أدبية ، وهو يريد أني نابغة سنتريس فقط ، ولست مفكراً عالمياً ، كما أريد لنفسي . وللأدباء مسالك تعجز عنها الشياطين !

— كنت أحسب أنك منحت هذا اللقب لكثرة ما تتحدث عن سنتريس

— لو صح هذا لجاز أن أكون أيضاً « نابغة أسيوط » فلي فيها قصائد ، وسأنشر عنها كتاباً بعد حين

— أسيوط أوحت إليك أشياء ؟

— هي مدينة موحية ، ولعلك توافق على أن لشارع الهلالي هناك جاذبية تفوق الوصف ، وما دخلت أسيوط إلا جملته طريقي إلى النيل

— لذلك الشارع تاريخ ، فقد كان مع الأراضي التي حواليه بستاناً من بساتين جدي ، وكان البستان هو الممر الموصل بين قصره بالمدينة وذهبيته بالنيل ، فأين أنا من تلك الحياة ؟ وأين مني ذلك الثراء ؟

— إن ثروة جدك لم تضع ، يا معالي الوزير ، فلها صورة باقية هي علمك وفضلك ، وفي بعض الآثار أن ذكاء المرء محسوب عليه ، فالذكاء رزقك ، وهو أطيب الأرزاق

— من فضل الله على أهل الأدب أن يحبب إليهم المعاني

— وفي سبيل المعاني سترى أني بخلت على جيبي بثمن شجرتين عظيمتين قامتا في مدخل البيت

— وما حديث الشجرتين ؟

— إن تكلا باشا صاحب جريدة الأهرام بنى في ضواحي سنتريس قصراً لا يعلو عليه غير هاتين الشجرتين ، فأنا أعزهما كل الإعزاز لأطول بهما قصر الرجل الذي قلت فيه :

ينازعني في سِنتريسَ منـــازعٌ
له من جَدَا (الأهرام) مرتبَعٌ خَصبُ

إلى آخر القصيدة التي سأثبتها في الطبعة الثانية من ديواني

— سأزور دارك ، مع الشكر لدعوتك الكريمة ، وإن كان مكاني في رحلة الوزراء إلى المنوفية مكان الضيف

— وزير المعارف لا يكون ضيفاً بالمنوفية ، لأن المنوفية تمد مصر بجماهير كثيرة من المعلمين ، وأنت وزير المعلمين ، وسيكون الجميع ضيوفك هناك

كان يجب أن أدعو الوزراء الذين يشتركون في رحلة المنوفية ، ولكن كيف أدعوهم وقد ضاق الوقت ؟

دعوت معالي الأستاذ فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون فتلطف بالقبول ، ولم يفته أن ينص على أن اسم سنتريس اسم جميل

ومررت على معالي وزير العدل ، وهو رجل أبغضه بعض البغض ، لأنه يريد بجهاده ونضاله أن يكون الرجل الأول في المنوفية لا في سنتريس ! فقال حين رآني : ما كنت أعرف أن الهلالي باشا يعزك إلى هذا الحد . ففهمت أن الهلالي باشا حدثه عن دعوتي قبل أن أصل إليه بلحظات

(*) هذا المقال رياضة للقلم على الوصف الخالي من المبالغات ، وهو أصعب الأوصاف

ثم رجوت الأستاذ شافعي البنا أن ينوب عنى فى دعوة من لم أستطع دعوتهم لضيق الوقت ، وهو أخ نعمت بمودته شهوراً طوالاً فى غياهب الاعتقال

* * *

فى عصرية اليوم الذى يسبق يوم الاحتفال دخلت سنتريس لأرى كيف استطاع أبنائى بمعونة بنى أعمامهم إعداد حديقة الدار لاستقبال الوزراء

وهناك وجدت نواب مركز أشمون يتحاورون فيما ينبغى أن يقال

سمعت كلمات لم تعجبنى ، فسارعت إلى تفنيدها فيما بينى وبين نفسى ، لأتخذ منها مادة أنتفع بها فى إحدى المقالات ، ولأشير عليهم بإخفائها عن الوزراء ، إن خفت أن يقولوها فى حضور الوزراء .

فقلت فى نفسى : وما العيب فى ذلك ؟ هل نُـقلتْ أطيان المنوفية إلى القليوبية أو الغربية ؟ إن الذى وقع لا يزيد عن أن العائلات الكبيرة تفرعت إلى عائلات صغيرة ، ومن هنا تعددت المِلكيات فى المنوفية ، وهذا باب من قوة الشخصية ، فلكل فلاح فى هذا الإقليم وجود صحيح ، وهو لهذا صورة نموذجية من الرق المنشود

وسمعتهم يقولون : يجب أن نعرض مطالب المنوفية على الوزراء

فقلت فى نفسى : الأفضل أن يقال إن المنوفية فى استعداد لمعاونة الوزراء على إصلاح سائر الأقاليم ، لأنها تملك أكبر عدد من المفكرين

والتفتّ فرأيت الأخ العزيز محمد أفندى محمود عمدة سَمَلاى يجذب يدى ليُسرّ فى أذنى كمات ، فما تلك الكلمات ؟

هو يرى أن نقيم الزينات على باب البيت

وأنا أرى أن يبقى البيت بصورته الطبيعية ، لأنى أبغض الحسن المجلوب

ثم غَلب رأيه وحضر الفراشون لتزيين مدخل البيت ، فسمعت منهم كلمات غير مفهومة ، ولكنى تظاهرت بالعلم وتركتهم يتصرفون فى حدود ما يحسنون

« شُوَيَة كُرُنات ، شوية كُرُنات »

فما هذا من الوجهة اللغوية ؟

الكلمة الأولى مفهومة ، فالشُوَيَة مؤنث الشُوَىّ ، والشوىّ مصغر شىّ المخفف عن شىء ، ولكن ما « الكُرُنات » ؟

دار ذهنى مرة ومرات إلى أن عرفت أنها منقولة عن الكلمة الفرنسية Couronne وعلى هذا تكون الكُرُنات هى التيجان

لا بأس ، فللأدب الفرنسى فى عقلى ديون ، ومن حقه أن يزور دارى مع الوزراء .

* * *

أما بعد فنحن فى صبيحة الاحتفال ، وقد تجمّعت خلائق فى سنتريس يعجز عن عدّها الإحصاء

وهذا هو « البُرْجاس » ، فما البُرجاس ؟

هو لعب الخيل ، وتلك كلمة قاموسية هُجرت فى أكثر البلاد ، وبقيت مأنوسة فى سنتريس

لم يكن منظوراً أن يحضر الوزراء فى الميعاد . ومَن الذى يَفرض على رجال مكدودين أن يحضروا يومَ راحتهم فى الميعاد ؟ لم يبق إلا أن تتمتع تلك الجماهير بلعب الخيل ، وفى لعب الخيل متعة ذوقية تذكّر أبناء المنوفية بماضيهم فى الفروسية

وبجانب لعب الخيل تقوم المزامير والطبول فى لونها القديم والحديث : فتسمع مرةً « يا نخلتين فى العلالى » وتسمع مرة « بالك مع مين يا شاغل بالى »

ثم تنظر فترى بُنَـيّات المدارس الأولية من سملاى وسنتريس فتلتفت إلى ماضى صِباك ، يوم كنت تخطب طِفلةً وهى فى المهد ، لأنك سمعت أن أمها من رائعات الجمال ...

أما الأطفال فقل فيهم ما تشاء . ولقد سرّنى أن أرى أطفال سملاى وسنتريس فى صحة وعافية . وأى أطفال ؟

الحمد لله على نعمته ، فما فيهم سقيمٌ ولا ضعيف ، وإنما هم الطلائع لجيل سيكون برعاية الله أقوى الأجيال

إن وزارة الصحة لا تخاف على سنتريس حين تتعرض بلاد مركز أشمون لإحدى الآفات ، فهواء سنتريس شفاء من كل داء ، وهل تذكر وزارة الصحة أن بلدنا كلفها شيئاً من المتاعب ؟

إن الله يعلم أن سنتريس تعتمد على رعايته السامية ؛ وإن الله يعلم أن أهل سنتريس أحوج الناس إلى رعايته السامية ، فهو بكرمه وفضله ولطفه يقيهم الأسواء

قضاء لحظة تحت سماء سنتريس تُذهب همومى ولو كانت أثقل من الجبال ، فلهذا البلد روحانية منقولة عن اعتماد أهله على

واهب الخيرات والثمرات ، ورعاية الله لمن يتوكلون عليه لا تحتاج إلى بيان .

***

حضرت ثُلّة من الشُّرطة للمحافظة على النظام ، ولكن الأهالى لم يحوجوهم إلى تعب ، فقد عرف كل فرد واجبه ، وسادت الرغبة فى أن تكون الحفلة غاية فى الصفاء

ومع هذا أنظر فأجد رئيس نقطة النمناعية يشكو من أن أحد أقربائى يحاول الشغب فى الاحتفال ، وبعد التحرى ظهر أن حامد أفندى عثمان يطلب من الحاضرين إمضاء عريضة تَرفع إلى وزير المعارف ، ليتفضل الوزير بإنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس

عند ذلك ابتسمت وقلت : يسرنى أن يعرف حضرة الضابط أن معالى الهلالى باشا يحب هذا النوع من الشغب . والمطالبةُ بإنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس شغبٌ لطيف . ثم أخذت العريضة لأقدمها إلى معالى الوزير بنفسى ، وستكون أجمل هدية أقدمها إليه

وأقبل الخيّالة يَعدُون ويَركضون تبشيراً بقدوم الزائرين ، فهتفت الجماهير بحياة جلالة الملك ، وصدحت الموسيقا بالسلام الملكى ثم تعالت الهتافات بأسماء الوزراء وباسم رئيسهم الجليل ، شفاه الله وعافاه

كان مع الركب جماعة من المحررين والمصورين ، وهم جميعاً أصدقاء ، وكان فرحى بلقائهم فرح الأديب بالأديب

وبعد تناول القهوة وقف النائب المحترم سليم أبو العلا فألقى خطبة طويلة تحدث فيها عن أعمال الذين حضروا من الوزراء ، وقد قوبلت خطبته بالإعجاب

وكانت النية أن يخطب الأستاذ عبد البر زهران ، ولكن الوقت لم يتسع لما يريد . ثم نهض معالى الأستاذ صبرى باشا أبو علم فألقى كلمة لطيفة شكر بها نواب مركز أشمون ، واعتذر بلطف لمن ضاق الوقت عن سماع ما أعدوا من الكلمات الجياد

وفى تلك اللحظة تموّجت تلك الجماهير لتزور دارى مع الوزراء ، فكان منظر لن تنساه سنتريس ، ولو طال الزمان

لقد أقيمت فى بلدنا حفلات كثيرة سمع فيها أهل بلدنا أصوات رجال مشاهير من رؤساء الوزارات ، ولكنى أستبعد أن يكونوا فرحوا بقدر ما فرحوا فى هذا اليوم السعيد

أمرُ الوزراء الوفديين عجَبٌ فى عَجَب !! إنك تنقدهم كيف شئت فى المجالس والمنتديات ، ولكنك لا تستطيع صدّ الجماهير عن الوفاء لهم إلى أبعد حدود الوفاء

لم أكن وفديًّا فى أى يوم ، ولا دعوت هؤلاء الوزراء للتفضل بزيارة دارى إلا لغاية أدبية ، هى أن تضيفهم سنتريس ، وهي المكان الذى اختاره للاحتفاء بهم نواب مركز أشمون ، فما الذى يملك من السحر هؤلاء الوفديون ؟

كان السرادق الذى أعدّه النواب يضيق برغم رحابته عن إعلان الفرح بقدوم أولئك الوزراء ، فلما وجدت الجماهير فرصة للترحيب بهم فى حديقة الدار تدافعوا تدافع الأمواج ، وأعلنوا فرحهم بهتاف يشق أجواز السماء

وفى هذا الزحام وقف وزير المعارف ليسمع النشيد :

سنتريسٌ فى سرور وهنــــاء وحبور

وقف برجاء من الأديب محمود عبد العزيز ، برغم ذلك الجو الضجّاج

أين الوقت ؟ أين ؟

إن الوزراء سيصلون الجمعة فى شنوان ، فمن الواجب أن نعفيهم من الخطب الطوال

قال الأستاذ عبد السميع الطوخى فقرات من خطبته ، وقال الأستاذ محمد شما أبياتاً من قصيدته ، ودعانى وزير العدل إلى أن ألقى خطبتى ، فماذا أقول ؟

قلت : إن الحاضرين جميعاً فى ضيافة الهلالى باشا ... وطويت خطبتى . فما الذى كان فى الخطبة المطوية ؟

الجواب عند شجرات الورد فى حديقة دارى ، وهى قد حدثتنى أن الزهر يعيش يوماً أو يومين ، أما جذور أشجار الورد فهى فى صلابة الجلمود ، ومنها تتخذ « البيبة » التى تعجز عن إحراقها النيران

دعابة الهلالى باشا هى زهر الورد

وصلابة الهلالى باشا هى جذع الورد

وهل منعت وداعة هذا الرجل من أن يكون أحزم الرجال ؟

زكى مبارك

ذكرى السيد جمال الدين

للأســتاذ محمود شلبي

أمم فى رجل ، وبركان ثائر يرمى بالحمم والنار ، وصورة حية فذة عجيبة تسمى من النور وإلى النور . رجل أقام العالم وأقعده ، وهز الشرق هزة عنيفة فأحيا العقول بعد مواتها ، فتنبه الغافل ونشط العاقل وخر الباطل ذليلاً خاشعاً إلى الأذقان

ذلكم يا صاحبى ، الأستاذ الفيلسوف السيد جمال الدين الأفغانى المتوفى صباح يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ميلادية

ولد فى قرية (أسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية ، وفى السنة الثامنة من عمره أجلس للتعليم وعنى والده بتربيته فأيد العناية به قوة فى فطرته ، وإشراق فى قريحته ، وذكاء فى مدركته ، فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها

واستكمل الغاية من دروسه فى الثامنة عشرة من سنه ، ثم عرض له سفر إلى البلاد الهندية ، فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الأوربية الجديدة

ثم ذهب إلى مكة حاجا ، ثم عاد إلى بلاده ، ولم يمكث طويلاً حتى تاقت نفسه إلى الحركة فيمم وجهــه شطر الهند وتلقته حكومتها بحفاوة وإجلال

وهبط مصر أربعــين يوماً تردد فيها على الجامع الأزهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا إليه كل الميل ، ولـكنه تعجل بالسفر إلى الآستانة

وصل الآستانة وهو مع ذلك بزيه الأفغانى : قباء ، وكساء ، وعمامة عجراء ؛ وحومت عليه لفضله قلوب الأمراء والوزراء ، وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وأدبه ، وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم . وبعد ستة أشهر سمى عضواً فى مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة فى آرائه وأشار إلى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب إليها رفقاؤه

ودعى لإلقاء خطاب فى دار الفنون للحث على الصناعات ، فلبى بعد امتناع ، وما ألقى الخطاب حتى ثارت عليه ثائرة الرجعيين فصدر إليه الأمر بمغادرة الآستانة بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود إن شاء ، ففارق الآستانة مظلوماً فى حقه ، مغلوباً لحدته ، وحمله بعض من كان معه على التحول إلى مصر

مال الشيخ إلى مصر ، فهوت إليه أفئدة من الناس ، وتحلق حوله طلاب المعرفة من كل صنف ، ثم وجَّه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم العقول ؛ فنشطت لذلك ألباب ، واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة وإنشاء الفصول الأدبية والحكمية والدينية ، فاشتغلوا على نظره وبرعوا ، وتقدم فن الكتابة فى مصر بسعيه

وهنا اصطدم الحق بالباطل ، فنفس عليه الشيوخ مكانته ، وشغب عليه سفلة المتعلمين وهم شر من سفلة الجاهلين ، ولـكنه واصل وثبته الفكرية وأشعل النار فى الهمم الخامدة ، وظل دائباً عاملاً حتى دعى من حيدر آباد إلى كلكته وألزمته حكومة الهند الإقامة فيها

ولمـا وضعت الحرب أوزارها ، أصعد إلى مدينة لوندرة وأقام بها أياماً قلائل ، ثم انتقل عنها إلى باريس وأقام بها ما يزيد على ثلاث سنين وافاه فى أثنائها الإمام محمد عبده .

هذا هو الرجل العجيب ، أنشأه القدر إنشاء ليكون الشعلة المقدسة فى الشرق ، فى زمان هبت فيه ريح الجهل تريد أن تطفئ نور الله .

ولقد أجمع على احترامه الغرب والشرق ، وشهدت له الآستانة وباريس وبطرسبرج بالعبقرية والغيرة والحمية على الدين .

ونظرة واحدة إلى حياة الرجل ، تدلنا على قوة شكيمته فى الحق ، وسلطته على دقائق المعانى وتحديدها وإبرازها فى صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له ، يشد هذا وذاك قلب سليم ، وحلم عظيم ، وقوة اعتماد على الله لا يبالى ما تأتى به صروف الدهر . تتضافر هذه القوى الذهنية والقلبية والخلقية داخل بنيان الرجل ، فتندفع متعطشة إلى النور والحرية ، فيندفع البطل إلى طموحه كالأسد الوثاب ، ويتخطى العراقيل المكدسة فى طريقه حتى ينال ما يبغى أو يرتقب بارقة تلوح .

إلى الأب أنستاس ماري الكرملي

لا ... بل النحاة واللغويون ثقات!

للأستاذ عبد الحميد عنتر

نشرت « الرسالة » فى العدد (٥٠٣) مقالاً ضافياً للأستاذ « الأب أنستاس مارى الكرملى » تحت عنوان (لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين) . عدَّد فيه بعض مآخذ عليهم ، توجب عدم ثقته « دائماً » بأقوالهم ، ولو كانوا أدلاء أجلاء ، إلا بعد عرضها على محك النقد والتحقيق ، فإن أظهر المحك صدق إبريزهم ، وافق عليها وقيدها عنده ، وإلا نبذها نبذ النواة ؛ ثم عرض لذكر شيء من أخطائهم التى جمع منها ما يقع فى مجلد ضخم . هذا ملخص تصديره

وسيكون كلامى إلى « الأب » فى ثلاثة مقامات :

الأول — فى منزلته اللغوية

الثانى — فى تخطئته النحاة واللغويين

الثالث — فى مبلغ هذه التخطئة من الصواب أو الخطأ

فأقول ، مراعياً الإيجاز قصارى جهدى ، ومن الحق تعالى أستمد السداد

المقام الأول

لا ينكر أحد أن للأب « أنستاس » البحَّاثة الراوية ، جولات فى ميادين اللغة وصولات ، وأنه يطرف قراء العربية الفينة بعد الفينة ، ببحوثه الشيقة ، ونقاشاته اللغوية الدقيقة الممتعة ؛ ولا غرو ، فإنه بذلك يحافظ على تراث أجداده الفصحاء وأسلافه من العرب العرباء . ونحن لا ننسى قولاته الضافية باحثاً منقباً عن اللغة على صفحات « الأهرام » أيام الرخاء (أعادها الله على العالم أجمع) فنحمد له غيرته على العربية ، وحدبه على خدمتها ، وولوعه بالبحث عن شواردها ، فهو من أكابر الباحثين فى اللغة المحدثين ، وإن لم نر له معجماً يضارع « أقرب الموارد » للقس « سعيد الشرتونى » أو « المنجد » للأب «لويس اليسوعى» مثلاً

المقام الثانى

ظاهر عنوان المقال يحمل فى طياته المقدمات ونتيجتها الحتمية الآتية :

الأب يبنى بحوثه وتحقيقاته اللغوية على أقوال اللغويين

لقد كان السيد جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة ، قوى الرغبة فى إنقاذ المصريين من الذل ، فدخل الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء ، ثم أنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسوى، ودعا تابعته من العلماء والوجهاء إليه ، فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة . وعظم إقبال الناس عليه حتى أقلق من بيدهم الأمر وقتئذ .

أنظر إلى الرجل وهو يخاطب العوام ليستثيرهم ، فيقول ما معناه : « ... لو كان فى عروقكم دم فيه كريات حياة ، وفى رؤوسكم أعصاب تتأثر ، لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة ، ولما صبرتم على هذه الضعة والخمول ، ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم ضاحكون . تناوبتكم أيدى الرعاة ، ثم اليونان والرومان والفرس ، ثم العرب والأكراد والمماليك ، ثم الفرنسيس والمماليك .. وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ، ويهيض عظامكم بأداة عسفه ، وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لا حس لكم ولا صوت . أنظروا أهرام مصر وهيا كل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرشيد فلاح

هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ، انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول ... » .

لقد كان للرجل من حياته مقصدان : علمى وهو تنبيه المسلمين إلى الإصلاح الدينى والعلمى بالكتابة والخطابة ، وسياسى اجتماعى وهو ترقية الشرق أية دولة كانت غير مفرق بين وطنه وسائر البلدان .

وهكذا النفوس ذات الآفاق الرحيبة التى لا تقف عند غاية إلا لتتخطاها إلى أخرى أسمى منها .

محمود شلبى

والنحاة ، والنحاة واللغويون فى نظره مخطئون غير موثوق بأقوالهم . فالنتيجة المنطقية أنه هو الآخر مخطئ غير موثوق بأقواله ، ويلزم هذه النتيجة نتيجة عامة ، هى أنه لا يثق أحد بأقوال النحويين واللغويين أجمعين !! وأحسب « الأب » لا يرضى لنفسه تلك الوصمة الشنعاء ، كما أعتقد عدم صحة النتيجة العامة بالبداهة

على أن من يسمع كلمة (أخطأ اللغويون . أخطأ النحاة) . التى رددها « الأب » فى مقاله ، يفهم أن اللغة قد أحيط بها ، وأن علماء اللغة والنحو قوّضوا بنيانها ، وهدموا أركانه ! مع أن ما نسبه إليهم فى مقاله من الخطأ (فى انتقاده) لا يعدو أنهم حصروا عدداً من الألفاظ على زنة خاصة ، وجاء هو ومَن قبله بقليل يقولون :

إن فى اللغة أوزاناً أُخَر تنقض هذا الحصر .

والخلاصة : أنه جعل خطأهم فى العدّ ، خطأ فى اللغة !

لا . يا سيدى . إن الخطأ فى اللغة شئ آخر . هو أن يفسر اللغوى لفظاً بغير معناه الذى تواضع عليه العرب ، كأنه يفسر (الماء) بمعنى العسل ، أو يجعل معنى (نَصر) لمقلوبه وهو (رصَن) ، أو نحو ذلك . ومثلك لا يحتاج إلى هذا البيان . فالحق أن العنوان بظاهره قريب ، وإن تنصل الأب من هذه الريبة : بأنه لا يثق إلا بأقوال القُدامى من النحويين وعلماء اللغة . وإذا وضح أن الخطأ الذى ألصق بعلماء النحو واللغة إنما هو (فى العدد) لا (فى اللغة) . وجب أن يقول الأب معي : (إن النحاة واللغويين أثبات ثقات) ، وإن كان توثيقهم فى الحقيقة قطعىّ الثبوت قبل أن أوجد أنا والأب بمئات السنين .

وإن كان الأستاذ يريد بالخطأ ما وقع لصاحب القاموس أو غيره من اللغويين ، فمثل هذا لم يسلم منه لغوى ولا نحوى . هذا صاحب القاموس يحصى أخطاء صحاح الجوهرى ، وهذا صاحب الجاسوس يحصى أخطاء القاموس ، وهذا الشيخ ابراهيم ناصيف اليازجى اللُّبنانى ، والعلامة أحمد تيمور باشا ، يؤلف كل منهما فى مؤاخذات لغوية على كتاب لسان العرب ، ومع ذلك لم يجرؤ أحد فيما أعلم ، على القول برفع الثقة عن القاموس أو عن لسان العرب ؛ بل لا يزالان ولن يزالا أمّ مراجع للعلماء ، وأضوأ نبراس للأدباء من الكتاب والشعراء . وبعد فأظن أن هذا المقام قد استوفى حقه من التوضيح والتدليل .

المقام الثالث

قلنا : إن الخطأ الذى نوه الأب بذكره فى مقاله — هو خطأ النحاة واللغويين فى (حصر الألفاظ لبعض الأوزان) ، وهو المحور الذى يدور عليه مقاله الطويل ، المقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول — فِعْلى

أورد الأب هنا قول النحاة واللغويين : ليس لنا من الجموع على وزن (فِعْلى) ، ألا حِجْلى (جمع حَجَل لطائر) وظِربى (جمع ظَرِبان لدابة خبيثة الريح) ، ولا ثالث لهما ، ثم أخذ يندد بعلماء النحو واللغة ، من عهد أبى الطيب المتنبى ، وأبى على الفارسى إلى عهد اللغوي الكبير الشنقيطى . فإنه لم يعثر أحد منهم على ثالث لهذا الوزن ، إلا الدمامينى ، فقد وجد ثالثاً بعد طول عناء ، وهو لفظ مِعْزَى جمع معزاة ، حتى جاء الشنقيطى والأب أنستاس ، فعثرا فى المخصص وغيره على ستة جموع (أسماء جموع) بوزن فِعْلى ، (وكلها من غريب اللغة) . وهى : العِرْقي (أصول الشجر الممتدة فى الأرض إلى أسفل) والعِمْقى (شجر أمر من الحنظل بالحجاز وتهامة) ، والعِفْرى (ريش عنق الديك) ، والصِّحْنَى (نوع من السمك ، وهو معرّب ، ومعناه الصِّير) والذِّفْرَى (إسم جمع للعظم النائئ خلف الأذن ، واحدته ذفراة) ، والشِّيزَى (خشب تصنع منه الجِفان) . بهذه الكلمات ظهر خطأ النحاة وعلماء اللغة فى قولهم : ولا ثالث لهما .

قلت : لم يصب الأب شاكلة الصواب فى هذه التخطئة ؛ فإن نظرة غير فاحصة فى قواعد النحو والتصريف ترشدنا إلى صواب ما قاله الأقدمون ، وخطأ ما جاء به المتأخرون ، وإلى القارئ البيان :

أثبت النحاة اللغويون وغيرهم ، كلمتى (حِجْلى وظِرِبَى) فى معرض الكلام على موانع الصرف ، وحكموا لهما بحكم (ذكرى) التى تمنع من الصرف لألف التأنيث المقصورة

فلا يدلها التنوين أبداً ، وليس لهما ثالث فى اللغة يحكم له بهذا الحكم . وأما (مِعزى) وما ذكر معها ، ففيها عن العرب وجهان : الصرف وعدمه . فالمصروف منها ألفه للالحاق بدرهم ، وغير المنون منها ألفهُ للتأنيث .

ومما تجب معرفته صرفيًا أن وزنى « فَعْلى وفِعلى » إذا ورد لها مفرد بالتاء كأرطاة (شجرة) مفرد أرطى ، ومِعْزاة ، مفرد معزى — تحتم أن تكون الألف مع التاء فيه للالحاق : الأول بدحرجة ، والثانى بزِبْرِقة ، ولا يجوز أن تكون الألف الصاحبة للتأنيث ؛ إذ لا يجتمع فى الكلمة أداتا تأنيث ، فإذا عرى المفرد عن التاء ، فقيل : أرطي ومِعزى ، كان القياس يوجب أن تكون الألف إذن للالحاق ، ويكون اللفظ معها منونًا . لكن العرب صرفتهما تارة لحاً لأصلهما مع التاء ، ومنعتهما الصرف تارة أخرى ، لأن ألفهما تشبه ألف جَرْنجى وذكرى

والخلاصة : أن ما عدا « حجلى وظربى » لا يتحتم فيه منع الصرف . وإذن فلا ثالث لهما يتحتم فيه المنع . وعلى ذلك فأبو على الفارسى ، والمتنبى وشارح القاموس ، ومن لف لِفّهم ، كانوا على حق فيما ذهبوا إليه !

القسم الثانى — فِعَلى

نقل الأب عن تاج العروس ، شرح القاموس ، أنه لم يجيء على هذا الوزن إلا ثلاث كلمات لا رابع لها . وهى : أُرَبى (الداهية) وشُعَبى وأدمى (موضعان) . ثم ذكر الأب لها أخوات بلغت ستاً ؛ فتكون الألفاظ الواردة على هذا الوزن عشرة ، لا أربعة كما قال صاحب التاج

أقول : ما قاله الأستاذ هنا صواب حقاً ؛ لكن سبقه إلى هذا النقد أحد النحاة المتأخرين . قال الأشمونى عند شرح قول ابن مالك :

والاشتهار فى مبانى الأولى يبديه وزن أُرَبى والطُّولى

« وزعم ابن قتيبة أنها لا رابع لها ، ويرد عليه : أُرنى (حب يعقد به اللبن) ، وجنفى لموضع ، وجُمَبى لكبار النمل » اهـ

وهذه المآخذ أهون من أن تضع من قدر ابن قتيبة ، أو ترفع الثقة بقوله . وصاحب التاج ثقة تابع فى النقل لابن قتيبة ، وجل « من أحاط بكل شىء علماً » . والفضل كل الفضل للمتقدم

القسم الثالث — تفاعيل

أثبت الأب هنا عن تاج العروس قول العرب : « تباشير الصبح ، وتعاشيب الأرض ، وتماجيب الدهر ، وتفاطير النبات والشباب ، ولا خامس لها ؛ ثم قال (الأب) : هناك سبع كلمات من هذا القبيل ، وذكرها ، فتكون العدة اثنى عشر جمعاً على وزن « تفاعيل » ، لا أربعة كما قال صاحب التاج ، وربما كان فى اللغة ضعف هذا العدد أو أكثر . هذا كلامه

وأقول : ما قاله الأب عين الصواب ، ولكن ما كان يحسن منه أن يذيع من على منبر « الرسالة » ، وهي الصحيفة العالمية للآداب والعلوم والفنون — أن مثل هذا خطأ فى اللغة ! بل كان الأخلق به — وهو على ما وصفت آنفاً من الدقة فى البحث والتحرى للصواب — أن يقول : ذلك تقصير من اللغويين فى الاستيعاب ، وحكم منهم على مالم يعلموا نفيه أو ثبوته ، أو نحو ذلك من العبارات التى تلتئم وما نسبه إليهم من عيب (إن صح أن يكون ما صدر منهم عيباً)

وكلنا يعلم أن لغة العرب لغة ضخمة ، وأن العبء الذى تحمله اللغويون والنحاة ، فى سبيل جمع شتاتها ، وتنسيق كلماتها والمحافظة على سلامتها من الخطأ واللحن — كان أثقل الأعباء التى تحملها العلماء ، منذ بدء التأليف والتدوين إلى وقتنا هذا

فكيف يقال مع ذلك : لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين ؛ لأنهم أخطأوا فى حصر بعض الألفاظ ؟ !

الحق أن هذا أو أقل من هذا لا يصح أن يقال .

(يتبع)

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

حكم فى الجنحة العسكرية ١٠٥ سمالوط سنة ١٩٤٣ بجلسة ١٥ يوليه سنة ١٩٤٣ بحبس حسن أحمد محمد الحولى مزارع بسمالوط ثلاثة شهور شغل وغرامه ١٠٠ جنيه والمصادرة لبيعه شوال سباخ كيماوى بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ٣٤ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٣ بتغريم إمام محمد سليمان خمسين جنيها وعمر عمر ستين جنيها والنشر والتعليق والغلق لعرضهما خبزا بأزيد من السعر المحدد

للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

في كتابه قصة المومياء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

أف[1]، تلك المدينة الضخمة الواسعة، لم تعد تضم بين أحضانها إلا المرضى والعجزة والمسنين الذين لم يعودوا بعد قادرين على الحركة، والعبيد المكلفين بحراسة المنازل؛ فى الشوارع والميادين، وطرق أبى الهول، وأقواس المعابد والأرصفة، يجرى سيل من الناس متجه إلى النيل؛ ويزخرف هذا الجمع الحاشد اختلاف عجيب، فالمصريون يكونون القسم الأعظم، ويعرفون بسمات وجوههم النقية، وبقاماتهم الرشيقة العالية، وبثيابهم من الكتان الدقيق، ومناطقهم المثناة باعتناء، وبعضهم يلف رأسه بنسيج ذى خطوط زرق أو خضر، ووسطهم مشدود بسراويل ضيقة، وظهرهم عار له لون الصلصال المحروق

فى هذا الجمهور الوطنى تظهر نماذج مختلفة لأجناس أجنبية: فزنوج أعالى النيل سود كآلهة من البازلت، أذرعتهم مطوقة بحلقات كبيرة من العاج، وتتأرجح فى آذانهم حلى بربرية؛ والأثيوبيون ذوو الألوان البرنزية، والسحنات النافرة، قلقون برغمهم فى هذه الحضارة كأنهم حيوانات متوحشة فى وضح النهار؛ والأسيويون يعرفون بلونهم الأصفر الرائق، وعيونهم الزرق، ولحاهم الجمدة على شكل حلزونى، ويعصبون رءوسهم بقلانس مثبتة بعصائب، ويلبسون أردية مطرزة ذات أهداب؛ أما اليونانيون فيرتدون جلود الحيوانات يعلقونها بعواتقهم، ويتركون أذرعتهم وسيقانهم الموشومة وشماً غريباً، ويحملون ريش طير فوق رءوسهم التى يتدلى منها ضفيرتان، تصيران واحدة تنظم على هيئة قرط على الصدغ

فى وسط هذا الزحام يمشى الرهبان عليهم الهيبة والوقار، رءوسهم محلوقة، ويلفون أجسامهم بجلد النمر، بحيث يبدو فم الحيوان كأنه مشبك حزام، وفى أقدامهم أحذيتهم، وبأيديهم عصى من شجر السنط قد كتب عليها بالهيرغليفية؛ ويسير الجند إلى جنوبهم خناجرهم ذوات المسامير الفضية، وعلى ظهورهم تروسهم، وفى أيديهم فئوسهم؛ والشخصيات المبجلة يحلى صدورها أوسمة التشريف، ويحييها العبيد بالانحناء، ووضع الأيدى إلى أسفل بالقرب من الأرض؛ وتمشى بجانب الحيطان فى هيئة متواضعة حزينة نسوة فقيرات، يكدن يكن عاريات، ينحنين تحت ثقل أبنائهن، المتدلين من أعناقهن فى خرق بالية أو قفف من الحصير، بينما تختال فتيات جميلات يصحبهن ثلاث توابع أو أربع — فى أثوابهن الطويلة الشفافة، التى تنعقد عند أسفل صدورهن بوشاح أطرافه مرسلة، ويضىء فوقهن اللؤلؤ والذهب، ويفوح منهن رائحة الأزهار والعطور

وبين الرّجّالة تمضى الهوادج يحملها الأثيوبيون بخطى سريعة منتظمة، والمجلات الخفيفة المسرحية بحصن يزينها جلال ذات أهداب، ويحمل رأسها الريش؛ أما العربات التى تحمل أسرا ويجرها الثيران، فتمشى باتئاد، وتجد طريقها بعسر بين الجمهور الذى لا يأبه بأن يداس؛ وغالباً ما اضطر السائقون إلى أن يضربوا بسياطهم المتمهلين والذين لا يخلون الطريق

هذا وفوق النهر حركة غير عادية، فعلى طول المدينة قد غطى النيل برغم سعته، ولم يعد فى الوسع رؤية مائه بقوارب من كل صنف، فمن زوارق ذات حيزوم وسكان عاليين، إلى أخرى ذات ألوان وتذهيب، فكلها كان مستخدماً، ولم يستنكف حتى من ركوب المراكب المعدة لنقل البهائم وحمل الفواكه، ولا الأرمات المصنوعة من خشب الخيزران، والتى كانت معدة فى العادة لحمل أوعية الصلصال

ليس من السهل عبور النهر من جانب إلى جانب، وسط جمهور يربى على ألف ألف نسمة، بل يجب لذلك كل مهارة نوتية طيبة ونشاطهم.

ماء النيل تضربه المجاذيف وتشقه السكانات، فيرغى ويزبد كأنه بحر، ويكون آلاف الدوامات التى تضعف قوة التيار

والزوارق فى مجموعها مختلفة ومبهجة، فبعضها ينتهى كل من طرفيه بزهرة كبيرة من أزهار اللوتس تنحنى إلى الداخل،

(١) ذلك — كما يقول الكاتب — هو الاسم المصرى للمدينة التى كان القدماء يدعونها طيبة ذات الأبواب المائة.

وتربط بساقها راية ، والبعض حيزومة على شكل هلال ينهض طرفاه فوق الماء ، ومنها ما يحمل فوقه نوعاً من الأبراج أو السطوح يقف فوقها رؤساء النوتية ، وبعضها مكون من ثلاثة جذوع ربطت بالحبال ، ويحركها بجذاف ؛ أما المراكب المعدة لنقل الحيوانات والعربات فقد ربط بعضها إلى بعض ، ووضع عليها معبر يسمح بالصعود والنزول من غير كبير عناء ، وقد كان عددها عظيما ، وعليها تصهل الأحصنة المطهمة ، وتضرب الخشب بحوافرها الرنانة ، والثيران قلقة تنحني إلى النهر بعقاتها التي يسيل منها خيوط من اللعاب ، ولكنها تهدأ إذا لاطفها قوادها .

يضبط النوتية حركات المجدفين بالتصفيق ، ويجثم الملاحون فوق الكوثل[1] ، أو يمشون فوق سقف المركب يصدرون أوامرهم ، ويرسمون خطة السير الضرورية للانزلاق بين هذه الكثرة المرتبكة من الزوارق ، وبرغم الاحتراس كانت الزوارق تصطدم أحياناً

هذه الآلاف من السفن المطلى أغلبها باللون الأبيض ، والمزخرفة بزينة خضراء وزرقاء وحمراء ، والمحملة بالرجال والنساء اللابسات ملابس من ألوان شتى أخفت سطح النيل تماما في أماكن كثيرة ، وأظهرت تحت الأشعة الساطعة لشمس مصر منظراً ساطعاً باهراً في حركته ، وكان الماء المتحرك بكل قوته يضيء ويبرق كأنه فضة خالصة ، أو شمس كسرت آلاف الأجزاء

لقد كانت الزوارق ثقيلة بمن عليها وأبراجها مليئة بالعابرين، وفوق سطحها يجلس الرجال والنساء والأطفال متربعين ، تلك الجلسة العزيزة لدى الشعب المصرى . ولدى رؤيتهم يخيل إلى المرء أنهم قضاة أوزيريس ، لولا أن منظرهم لا يدل على التأمل ، وهو سمة قضاة الموت ، بل على العكس يشعر بأقصى ما يكون من السرور

في الحق أن فرعون عاد منتصراً ، يقود معه عدداً ضخما من الأسرى ؛ فطيبة غارقة في السرور ، وشعبها قد خرج بأجمعه إلى المحبوب أمون رع رب التيجان ، مدبر المملكة الطاهرة ، القدير على كل شيء إله الشمس ، منظم شئون العالم

على الجانب الغربي للنهر ، لم يكن الازدحام أقل شدة من الشاطئ الشرقي ، وقد جاء سكان أحياء ممنون والقرى المجاورة ،

(١) مؤخر السفينة

وفى كل لحظة تحمل الزوارق أناساً جدداً ترسو بهم فوق الأرصفة فتزيد كثافة الجمهور ، بينما العربات التي لا تمد تشق طريقها إلى ميدان العرض ، وتختفي عجلاتها كأنها مغموس بين الغبار الذهبي الذى تثيره . لقد صارت طيبة في هذه اللحظة خراباً ، كما لو أن فاتحاً قاد شعبها أسيراً .

والمنظر ، مع ذلك ، جدير بأن يصور ، ففي وسط الخضرة اليانعة التي ينهض فيها النخيل بتيجانه ، تبدو الألوان الزاهية للمتنزهات والقصور وخيام الصيف محاطة بأشجار الجميز ، و (الست المستحية) ، وكثير من أحواض المياه يضيء في الشمس ، والدوالى تشتبك محاليقها في عرائش مقوسة ، وفى النهاية يبدو شبح قصر رمسيس بأبراجه الهائلة ، وجدرانه الضخمة ، وصواريه المذهبة المزخرفة ، ترفرف فوقها الرايات في الهواء ، وأبعد من ذلك إلى الشمال يبدو التمثالان الضخمان الجالسان على عرشهما في وضع خالد لا يتأثر ، وكأنهما جبل صخرى ذو شكل إنساني يقوم أمام مدخل معبد أمينوفيس ، ويتراءى في لون ناصل الرمسيوم الذى يبعد قليلاً ، والمقبرة الوحيدة للكاهن الأكبر ، ولكننا من أحد الجوانب نستطيع أن نرى قصر منفتاح .

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

(تتمــــــة)

مزاحها وتهكمها :

إنتهى الفرزدق من حجته ويمم شطر المدينة المنورة ليسلم على السيدة سكينة أملاً فى صلتها ورغبة فى ثنائها ليغيظ بهذا خصمه بل أكبر أعدائه « جريراً » . والفرزدق من الحزب العلوى ، طورد وسجن واضطهد بسبب تشيعه لهم . ولم يكتم هذا الحب الصادق لآل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أمام الخليفة هشام . ولكن هذا لم يخلصه من انتقاد السيدة سكينة وتهكمها به . ولما مثل فى ندوتها سألته : من أشعر الناس ؟ — وهى تعلم مكانته من الشعر فهو أنخر الشعراء الأمويين وأمدحهم وأمتنهم أسلوباً وأجزلهم لفظاً — قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذى يقول :

بنفسى من تجنبه عزيز ... علىَّ ومَنْ زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ... ويطرقنى إذا هجع النيام

ولا شىء يغيظ الفرزدق أكثر من تفضيل قرنه وخصمه الألد جرير عليه . بهت الفرزدق وأسقط فى يده . وماذا يصنع مع سكينة التى تريد أن تلعب بعقل هذا الشيخ ؟ قال لها : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . قالت : لا أحب فاخرج عنى . خرج الفرزدق يتعثر فى أذياله ، ويخشى أن يشيع هذا الخبر فيسمعه جرير ويتخذه حجة له عليه . وفى اليوم الثانى عزم على أن يعيد الكرة لعل الله يشرح صدر سكينة فتشمله بعطفها وتمن عليه بكلمة ثناء تجبر بها كسره . ولما مثل فى صالونها قالت له : من أشعر الناس ؟ قال: أنا . قالت : كذبت ، أشعر منك صاحبك حيث يقول :

لولا الحياء لهاج لى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا هجع الضجيع فراشها ... كتم الحديث وعفت الأسرار

فقال لها : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . فأمرت به فأخرج . ضاقت عليه الأرض بما رحبت فلا يدرى ماذا يعمل وبمن يلوذ . ولكنه لم يقطع أمله من صلتها وثنائها . فقصدها فى اليوم الثالث . ولما مثل فى صالونها ، سألته : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إن العيون التى فى طرفها حَوَر ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

علم الفرزدق بأن شعر جرير قد وقع فى قلبها لرقته وسلاسة ألفاظه وخلوه من الفحش والخبث ، فهو يمثل النفس الطاهرة الطيبة . عندئذ لجأ الفرزدق إلى التلطف والتوسل ، فقال لها : « يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن لى عليك حقاً عظيماً : خرجت من مكة إرادة السلام عليك فكان جزائى منك تكذيبى ومنعى من أن أسمعك » وعرّض لها بكلامه أن تهبه جارية وضيئة من جواريها أعجبته . فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية . وقالت : « يا فرزدق أحسن صحبتها فإنى آثرتك بها » .

وأحاديثها مع عروة بن أذينة كثيرة . وهو من فقهاء المدينة ومحدثيها . وقد أخذ عنه الإمام مالك . كان من الأتقياء ولكن قلبه لم يخلص من الهوى . كان يحب وكان يعشق ولكن كان يستر حبه ويكتم هواه — ومهما حاول المرء كتم هواه فلا بد أن يظهر يوماً علي لسانه

بينما كانت تسير سكينة بوادى العقيق رأت هذا الشيخ فمالت إليه بموكبها ووقفت عليه وقالت له : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنك تقى ؟! قال : نعم . قالت : أفأنت الذى تقول :

قالت وأبثثتها وجــــدى فبحت به
قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لهــا
غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها : نعم

قالت : « من حولى من الجوارى حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم » وكيف يخرج هذا الغزل الرقيق من قلب خال من الهوى وإن لصاحبه من حب الجمال ما جعله يتخذ له قصراً فى وسط العقيق عش الأدباء والظرفاء والمجان .

ومن تهكمها : أنها كانت فى مأتم فيه بنت لعثمان بن عفان . فقالت بنت عثمان مفتخرة : « أنا بنت الشهيد » فسكتت سكينة فقال المؤذن : « أشهد أن محمداً رسول الله » فالتفتت إلى بنت عثمان وقالت لها : « هذا أبى أم أبوك ؟ ! » فبهتت العثمانية وقالت : « لا أفخر عليكم أبداً »

وكانت تسلك طريق الدعابة والمزح فى حياتها ، ونوادرها أكثر من أن تحصى

ومن ذلك أن لسعتها دبيرة . فقالت لها أمها مالك ؟ فضحكت وقالت : « لسعتنى دبيرة ، مثل الأبيرة ، أوجعتنى قطيرة » .

وبعثت مرة إلى صاحب الشرطة : أنه قد دخل علينا رجل شامى فابعث إلينا بالشرط . فركب معهم وأتى إلى باب سكينة . فأمرت ففتح له . ثم أمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه برغوثاً وقالت : « هذا الشامي الذى شكوناه » فانصرفوا يضحكون . ولعل أجمل مزحها كان مع أشعب خادمها ومضحكها . وكم لاقى هذا المخنث من تنفيذ أوامرها الأمرين : تارة تأمر جواريها أن يطأن بطنه وطأً شديداً تكاد تخرج أمعاؤه منه . أو تأمرهن أن يخنقنه أو يسحبنه على وجهه ويلقى خارج الدار . أو تأمره أن يقلد أصوات الحيوانات فيموى كالهرة أو يهر كالكلب . غضبت يوماً عليه فدعت حجاماً ليحلق لحيته . فقال له الحجام : انفخ شدقيك حتى أتمكن منك — وأشعب حتى فى مثل هذه الحالة يحاول أن يضحك سيدته — فقال للحجام : « أمرتك أن تعلمنى الزمر أو أن تحلق لحيتى ؟ ! » فضحكت وعفت عنه .

وغضبت عليه مرة أخرى فأمرت أن يتخذ بيت من عود ويوضع فيه بيض وتبن وأدخلت أشعب به . وحلفت ألا يخرج من البيت حتى يحضن البيض كله إلى أن يفقس . ففعل أشعب — وكلما دخل زائر إلى دار سكينة كان أشعب يقرقر مثل الدجاجة — حتى فقس البيض كله فراريج . وأمرت أن تربى الفراخ بدارها . وكانت تنسبهن إليه وتقول : « بنات أشعب »

تأثيرها فى المجتمع

ولم تقتصر شهرتها بين أهل عصرها فى العلم والأدب والفن بل كان لها تأثير شديد فى كل ما تفعله . فلم تظهر بزى إلا انتشر بين فتيات الطبقة الأرستقراطية وتعداهن إلى بقية الطبقات . ذلك لأن السيدة سكينة أول من ابتكره وظهر به . كما كانت تصفف جمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه . وصارت الجمة « السكينية » هى المتبعة فى تصفيف الشعر . ولم يقتصر هذا التقليد على النساء بل إن فتيان قريش أخذوا ينسقون شعورهم على مثالها . وكان عمر بن عبد العزيز إذا رأى رجلاً يصفف جمته « السكينية » جلده وأمر بحلق شعر رأسه .

وأما تنسيق ندوتها وما يجد فيها من رياش وأثاث ورياحين فكان حديث فتيات قريش . فما من فتاة إلا وتزور هذه الندوة لتنظر ما استجد بها مما أبدعته قريحة سكينة لتقلدها فى ذلك .

فإن السيدة سكينة هى سيدة نساء عصرها على الإطلاق . كانت أحسنهن عقلاً وأظرفهن وأعلمهن وأعلاهن مقاماً وأرفعهن أدباً . تجالس الأجلة من قريش ويسعى إلى مجلسها أصحاب العلم وأرباب الفن يستمعون إلى محاضرتها أو يلتمسون صلتها . كما كانت تطرح عليهم الأسئلة وتجادلهم بما يقولون وتنتقد آراءهم ولا تخشى فى الحق لومة لائم ؛ ولهذا نرى قاصديها يحسبون لها حساباً . هكذا تألق هذا النجم فى سماء المدينة وظل يهتدى به حتى سنة ١١٧هـ

وفاتها

وفى صباح يوم شديد الحر فاضت روحها وانتقلت إلى جوار ربها . خرج النعش يتهادى بين الجموع المحتشدة والقلوب الخاشعة والعيون الدامعة . ولكنها « حتى على الموت لا تخلو من الحسد » فإن أمير المدينة خالد بن عبد الملك أمر أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر وجلس الناس حولها حتى العشاء ولم يحضر ؛ وغلبهم النعاس فأوقدوا حولها عوداً بأربعمائة دينار وصلوا عليها جماعات جماعات . وفى صباح اليوم التالى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

أقفرت الدار من سكينة فلا شعراء ينشدون ، ولا علماء يتجادلون ، ولا رواة يحدثون ، ولا أدباء يحتكمون .

« أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لبد »

(الموصل) سعيد الديوه جى

الذكرى الباسمة

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان (*)

JEAN RICHEPIN

للأستاذ عبد العزيز العجيزى

لن أنسى لك أبداً أول حديث فى الحب ، فعلى الرغم من انصرافى إلى الصلوات ، إلى الحسرات وتأوهات الضمير ، سأجثم كابياً ؛ غير جائل بالفكر فيما يثير الفزع فى نفسى ، بل سابحاً بخاطرى فى ذكرى ليلة مقمرة ولت ولم تعد

***

لن أنسى لك أبداً أول مناغاة ساحرة ، ولا ما ألاقيه من عنت الزمان وتتابع الحدثان وغفلة النسيان ، ولا من تكدير الصفو وعبوس الجو ؛ فقد طويت صفحات حظى طياً ، لأودع فى ثناياها فؤاد وردتى الناعسة .

***

لن أنسى أبداً أول عُرس لربيع أيامنا ، حينما لمع لى سنا عينيك وبدا أشد فتنة وخلابة وإغراء من السماء الصافية ، والغابة الزاهية ، والشمس الغاربة ؛ حينما قبلت عبير الهوى المترقرق من ثغرك الباسم . لن أنسى ذلك أبداً وإن غيبتنى المنون ...

***

الأطيار سكرى بسلاف شفاه الأزهار ، والأغانى والأغاريد راقصة على خدود الورود ، لا لشىء سوى ارتشاف عذب نغمات هوانا . فواهاً لهذا الطير ! وواهاً لهـــذا الزهر ! بل واهاً لغرامنا الجامح وحبنا الهائم !

***

فى نشوة تلك الساعة غاب صوابنا حتى عن حمد الله ، وتوهمنا اللحظات تمضى على رسلها بينما الحب مقيم دفين ، فرتبنا لقاء الزمن الوليد ترتيب العصفور لوكره . مسكين ! مسكين أيها الطفل الوليد ؛ فقـد أخذتنا غفوة سمعنا فيها هتاف صوت يردد : كل شىء لا يفنى .

***

لكن، أواه! إنى لا أروم إثارة أحزانى وأشجانى. أواه حبيبتى ! أواه رفيقة صباى ! أواه ليلاى ! سوف يُنفخ دائماً فى مزمار آهاتى وشكاتى . سوف أتنقل فى روض ذكراك ، جانياً قطوف حلاوتك وأفاويق عفتك ، متنسما شذى قبلاتك الناجية مناجاة قبلات القمر الحالم .

***

أهيم بذكرى قدك الرخص البارع ، وغصنك المعتدل الفارع ، ذكرى جسدك الذى مازج أشواقى فى معبدها الروحانى ، ذكرى أريج أديمك الأشذ من رحيق عتيق المدام ، ذكرى الأزهار الفواحة بمداعبة جيدك الأندى من الفجر ؛ ذكرى مرقدنا الحاقد على هوانا ، الملتهب غيرة وحسداً .

***

أهيم بذكرى أيامى السادرة فى ثنايا عمرى ، ويغمرنى عُباب ذكرياتى المقدسة . وحين يشتعل رأسى شيباً ، ويغضن الهرم وجهى ، وأصبح مثل « كاساندر »[1] سأستمد الدفء من قبس ربيع حيـــاتى ؛ وسألتمس دائماً حرارة هـــذا القبس من تحت ذرات الرماد .

***

عندما يهب إعصار الفناء ، وأحس برد الموت يتمشى فىّ ، سأذكر ربيع عمرنا الطلق النضير . وألفظ حين ذاك النفس الأخير ، فيخبو سراج ذكراى ، وتنعم هنالك روحى بالضوء السنى فى هيكلها النورانى ، وأودع الحياة فى موكب الذكرى ناعم البال ، إلى أفق باسم لألاء .

(المنصورة) عبد العزيز العجيزى

(*) شاعر فرنسى من شعراء القرن التاسع عشر يمتاز بألفاظه الموسيقية ومعانيه الخيالية . له دواوين شعرية جمة ، أهمها : « المناغاة » ومنها ترجمنا هذه النغمة الشذية .

(١) مثل يطلق على كل مسن جاحد فى تصديق عواقب الأمور رغم بصيرته .

٥١ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل الخامس عشر

استعمال التبغ والبن والحشيش والأفيون الخ

إن تحريم الخمر بأنواعها في التشريع الإسلامي ، جعل المسلمين يلجأون إلى وسائل أخرى تسبب لهم نشوة خفيفة أو ضروباً مختلفة من الطرب الشديد

وأكثر هذه الوسائل انتشاراً في أغلب البلدان الإسلامية ما يسميه العرب « كيفاً » وهو تدخين التبغ ، ولا يمكنني أن أترجم هذا اللفظ بأكثر من « لذة لطيفة » . ويبدو أن هذا التبغ أدخل إلى تركيا وجزيرة العرب وغيرهما من بلاد الشرق قبيل القرن السابع عشر من الميلاد[١] أي بعد سنوات قليلة من انتظام تصديره كسلعة تجارية من أمريكا إلى أوربا الغربية . وكثيراً ما اشتد الجدل حول إباحة التدخين للمسلم[٢] غير أن ذلك جائز الآن . وقد غير التبغ من طباع المدمنين عليه من الترك والعرب وجعلهم على الأخص أكثر كسلاً مما كانوا عليه قبلاً ، فهم يضيعون في تدخين شبكهم وقتاً طويلاً . إلا أنه كان ذا أثر آخر حسن ، فقد أغنى إلى قدر كبير عن استعمال النبيذ الذي يضر على الأقل بصحة سكان الأقاليم الحارة . وتقدم قصص ألف ليلة وليلة التي كتبت قبل استعمال التبغ في الشرق والتي تصور لنا بلا ريب عادات العرب وشمائلهم في ذلك الوقت تصويراً صادقاً ، تقدم هذه القصص أدلة وافرة على أن المسلمين وقتئذ أو في العصر السابق مباشرة كانوا يشربون النبيذ علانية . ويمكن أن نقول دفاعاً عن الشبك - كما يستعمله العرب والترك - أن أنواع التبغ الخفيفة التي يستعملونها عادة لها تأثير لطيف . فهي تهدئ الجهاز العصبي وترهف الذهن بدلاً من أن تبلده . ولا شك أن الشبك يتضمن كثيراً من ملذات الشرقيين ويقدم إلى الفلاح منعشاً رخيصاً زهيداً ويبعده في الغالب عن الملذات المضرة

وتعتبر القهوة ، نعيماً مماثلاً للتبغ وتؤخذ معه ، وقد ساعدا على جعل النبيذ أقل انتشاراً بين العرب . ويؤيد هذا الافتراض لفظ « القهوة » وهي تسمية عربية قديمة للنبيذ . ويقال إن هذا الشراب المنعش اكتشفه في الجزء الأخير من القرن السابع للهجرة أو الثالث عشر من الميلاد متعبد عابد الشيخ عمر دفعه الاضطهاد إلى أحد جبال اليمن مع بعض أتباعه ، وحمله الجوع إلى أن يشرب منقوع البن الذي ينبت هناك بالطبيعة . غير أن استعمال البن لم ينتشر في اليمن إلا بعد هذا الزمن بجيلين . وقد استوردت مصر البن بين سنتي ٩٠٠ و ٩١٠ هجرية أي في أواخر القرن الخامس عشر أو ابتداء القرن السادس عشر من الميلاد ، أو قبل إدخال التبغ إلى الشرق بجيل تقريباً . وكان يشربه حينئذ في جامع الأزهر فقراء اليمن ومكة والمدينة الذين وجدوا فيه منشطاً لهم على العبادة والتسبيح ، وكانوا يعكفون على شربه بكثرة . وأدخل البن إلى الأستانة بعد ذلك بنصف قرن تقريباً[١] . وقد أثارت القهوة منازعات حادة بين المتعبدين والمتعلمين في جزيرة العرب ومصر والأستانة . فكان كثير من العلماء يؤكد أن القهوة لها خصائص مسكرة فتحرم على

---

(١) يقول الاسحاقي أن عادة التدخين بدأت تنتشر في مصر بين عامي ١٠١٠ و ١٠١٢ هجرية (١٦٠١ - ١٦٠٣ ميلادية)

(٢) يروي الجبرتي أنه كثيراً ما كان يحدث في عهد محمد علي باشا البدكشي الذي ولي مصر ١١٠٦ إلى ١١٥٨ هجرية أن يجبر كل من يحمل شبكاً على أكل حجر الشبك ومحتوياته الملتهبة . وقد يبدو هذا غير معقول ولكن الأسنان القوية تستطيع أن تهشم حجر الشبك (المؤلف)

« وفي أيامه (أيام محمد باشا اليدكشي) كتب فرمان بتحريم شرب الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت ، ونزل الأغا والوالي فنادوا بذلك وشددوا في الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون، وصار الأغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذي يوضع فيه الدخان بالنار » . أنظر تاريخ الجبرتي الفصل الثاني في ذكر حوادث مصر وولاتها . الفقرة الخاصة بتولية محمد باشا البدكشي مصر (المترجم)

(١) أنظر دساسي De Sacy في : مختارات من الأدب العربي Chrestomathie Arabe الجزء الأول ص ٤١٢ - ٤٨٣ الطبعة الثانية

المسلمين[1] بينما كان آخرون يقررون أن للقهوة فضائل ، إحداها مقاومة النوم فتكون عوناً قوياً للأتقياء على عبادتهم ليلاً .

وكثيراً ما كان بيع البن حينئذ يحرم ويحلل حسب رأى الحاكم . أما الآن فيقول جميع المسلمين تقريباً بحل القهوة ، ويفرطون فى استعمالها ، وحتى الوهابيون الذين هم أشد المسلمين صرامة فى الحكم على التبغ والتمسك بأحكام القرآن والحديث . وكانت القهوة تجهز قبلا من حب البن وقشره معاً . ولا تزال تعدّ فى جزيرة العرب منهما معاً أو من القشر فقط . وتحضّر فى البلاد الشرقية الأخرى من الحب وحده يقلى ويطحن أولاً فأولاً .

فى القاهرة أكثر من ألف « قهوة »[2] . والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود[3] . ويقوم على طول الواجهة ، ما عدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثاً وعرضها كذلك تقريباً . وفى داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة . ويرتاد المقاهى أفراد الطبقة السفلى والتجار وتزدحم بهم عصراً ومساء . وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغه . ويقدم « القهوجى » القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد أو عشر فضة « للبكرج » الصغير الذى يسع ثلاثة فناجين أو أربعة[4] . ويحتفظ القهوجى أيضاً بعدد من آلات التدخين من نرجيلة وشيشة وجوزة[5] . وتستعمل هذه الأخيرة فى تدخين التمباك والحشيش الذى يباع فى بعض المقاهى . ويتردد الموسيقيون ، والمحدثون على بعض المقاهى فى الأعياد الدينية خاصة

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وقد نسب بعضهم إلى القهوة الاضرار بالعقل والبدن إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجدال والفتن وحصول ما أدى إلى منع بيعها وكسر أوانيها بل وإلى تعزير باعتها بالضرب وغيره . أنظر الباب الأول من كتاب : « عمدة الصفوة فى حل القهوة » للشيخ عبد القادر محمد الأنصارى الجزيرى (المترجم)

(٢) يطلق لفظ القهوة ، وهو اسم الشراب على المكان الذى تباع فيه

(٣) أنظر الرسم الموجود فى الفصل الحادي والعشرين

(٤) وكثيراً ما يباع فى المقهى أيضاً فى ليالى الأعياد خاصة شراب الزنجبيل المحلى بالسكر

(٥) وصفت هذه الآلات فى فصل سابق

غروب ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَا لِي أحِسُّ كَأَنَّ عُمْرِيَ فى يَدِ الأَحْزَانِ يُطْوَى ؟!
نَفْسِي تَنَاهَبَهَا الشَّقَاءُ وَلَمْ تَجِدْ فِي الجِسْمِ مَأْوَى
قَلْبِي أَذَلَّتْهُ الجِرَاحُ فَمَا يُطِيقُ بِهِنَّ شَكْوَى
حُبِّي اسْتَحَالَ رِوَايَةً لِلدَّمْعِ يَعْصِرُهَا فَتُرْوَى
وَصِبَا غَرَامِيَ صَارَ أَبْعَدَ مِنْ مَشِيبِ الغَيْبِ شَأْوَا
أَغْدُو ، وَأُمْسِي ... وَالأَسَى نَارٌ أُذَابُ بِهَا وَأُكْوَى !
رَبَّاهُ ! مَا أَنَا ؟ ... هَلْ وُجِدْتُ عَلَى زَمَانِ النَّاسِ سَهْوَا !
سَوَّيْتَنِي رُوحاً ... تَمَرَّدَ أَنْ يَرَى الأَرْضَ مَثْوَى
وَأَنَا التُّرَابُ ! فَكَيْفَ صِرْتُ هَوًى ، وَتَعْذِيباً ، وَشَجْوَا !
شُرُفَاتُ غَيْبِكَ لَا يُتِحْنَ لِغَيْرِ مَنْ يَبْكِي دُنُوَّا
وَأَنَا إِلَيْكَ ذَرَفْتُ أَيَّامِي فَزَادَ دَمِي عُتُوَّا
وَرَأَيْتُ سِحْرَكَ فِي الوُجُودِ أَضَلَّ إِحْسَاسِي وَأَغْوَى !
النَّهْرُ جَبَّارٌ عَصَاكَ فَلَاحَ مَحْمُوماً تَلَوَّى
وَالعِطْرُ زِنْدِيقٌ يُذِيعُ عَذَابَهُ ... وَيَقُولُ : سَلْوَى !
وَالطَّيْرُ مَجْرُوحُ الغِنَاءِ وَيُلْبِسُ الآهَاتِ صَفْوَا
وَالرِّيحُ جِنٌّ آثِمٌ وَخَزَتْهُ زَلَّتُهُ فَدَوَّى ...
... وَطَوَى الفَضَاءَ مُزَمْجِراً مُتَضَرِّعاً يَسْتَلُّ عَفْوَا !
وَالشَّمْسُ مَشْلُولٌ تَلَفَّعَ بِالغُيُومِ وَدَسَّ بَلْوَى ...
... فَلَقَتْ عَلَى شَفَقِ المَغِيبِ كَأَنَّهَا فى النَّارِ تُشْوَى !
وَاللَّيْلُ أَقْبَلَ يَمْلَأُ القِيعَانَ أَسْرَاراً وَنَجْوَى ...
وَأَنَا الغَرِيبُ شَرِبْتُ أَحْزَانِي فَقِيلَ : شَرِبْتُ لَهْوَا
وَبَكَيْتُ حَتَّى خِلْتُ أَجْفَانِي مُعَذِّبَتِي وَنَشْوَى !
مَاذَا رَجَائِي فى الحَيَاةِ إِذَا انْتَهَى مَا كُنْتُ أَهْوَى
وَوَقَفْتُ أَحْفِرُ لِلْجِرَاحِ طَرِيقَهَا ... فَتَعُودُ شَدْوَا !

محمود حسن اسماعيل

نظرة جديدة

فى «ليالى الملاح التائه»

بمناسبة طبعته الجديدة

للأديب حسين محمود البشبيشى

من حيوية الفن الحق أن يتجدد أثره فى النفس برغم تقادم العهد ، بما يبعث فى نفس المتأمل من أحاسيس . وإنى لأجد اليوم فى الحديث عن « ليالى الملاح التائه » نشوة المقبل على شيء جديد وما ذاك إلا لتجدد ما يهيجه الديوان من بوارق الحس . وسنحاول فى هذا المقال أن نسبر غور هذه النفس الشعور ونرجع عبقريتها الفنية إلى أسسها الأصيلة . تنهض شاعرية صاحب الليالى على أساسين : سعة الفقل المطلع ، ووضاءة الشور الفنى . فإنك لتلمح أثر العامل الأول فى مسايرة الشاعر لكل ما يضطرب فى عالم الإنسانية من أفراح وأحزان . فقد طلع علينا الشاعر الفنان فى كثير من المناسبات وسجل الكثير من المرائى الفاتنة ، وإن ذلك ليظهر جلياً فى قصائده : مصرع الربان ، وبحيرة كومو ؛ وليس أدل على أصالة هذا الأساس فى نفسه من مسايرته له فى كل الأحايين ، وما عهدنا بقصائد : عيد الميلاد ، وستالينجراد ببعيد ! ... مثل هذا يدل على أن الشاعر قد نزع قيود الشخصية المحدودة وحلق فى جو الإنسانية الفسيح فأطلع طائره يمجد مصرع الربان ، وداعب قيثاره بخلدثبات ستالينجراد ، وذاب لهفة وتقدراً وإعجاباً بفتنة فينسيا . ورأى بحيرة كومو وراقه منها :

بهج فى كنوزها للمحبين مدّخر
بابل أم بحيرة أم قصور من الدرر
أم رؤى الخلد فى الحياة تمثلن للبشر

هاله السحر منها فهتف :

لا تقل أخصب الثرى فهنا أورق الحجر !!

وما كان ليستطيع أن يقول سوى هذا وهو العابد للجمال والقائل :

هاهنا يشعر الجماد ويوحى لمن شعر !

تلك لمحة تكشف عن انطلاق شاعرنا من قيود البيئة المحدودة ونظرته إلى مفاتن ومباهج الكون كوحدة تنعكس فى قلبه الشاعر !

أما الأساس الثانى فهو وضاءة الشاعرية التى توشك أن تطبعه بطابع خاص يكسب قصيده عذوبة فى الجرس ، ورقة فى الصياغة ، وأناقة فى اختيار الكلمات التى تطالعك كالعروس فى جلوتها . ومن منا لم يطرب لروعته الموسيقية وفتنة التركيب وحسن الاختيار الموفق للبحر الذى نسج منه الجندول وروعة اختتامه بعض أبياتها بكلمات توشك أن ترقص من رقة النغم ... مثل « خمره ، ثغره ، عبره ، إثره ... » إن القارئ ليوشك أن يجد نفسه مترنماً مرتلاً لتلك الأبيات التى تتوجها هذه الكلمات فى غير ما شعور وبغير إرادة

تلك هى الحيوية الموسيقية عند ملاحنا التائه . وإنها لتملك عليه حواسه وتنظمها وتسيرها فتراه وقد تأمل فى مظاهر الجمال ، وبواعث الشعر تتوافر على حسه المشاعر ، وتتوالى على قلبه العواطف فلا يسعه إلا أن يعبر عن هذه العواطف المنثالة المتدفقة فى أنغام تجمع بين صدق العاطفة وتدافع الحس ... وهو حينئذ يحسن أن يعبر فى مقاطع رنانة قصيرة تعطى القارئ فكرة سرعة الانتقال النفسى الوجدانى ... أنظر إليه وقد تدفق قائلاً فى عاطفة متدفقة تظهر جلية فى تدافع النغمات فى كلمات ... (دعوات) و (فرحة) و (نشيد) ...

مهرجانٌ ممالك الشرق فيه دعوات ، وفرحة ، ونشيد !!

وإن ذلك ليظهر أيضاً فى قوله :

وسلمت يا مولاى للوطن الذى بك يستظل ، ويستعز ، ويسلم

فقد تزاحمت وتواترت الخواطر والأحاسيس فهتف قائلاً « بك يستظل » ، ثم تدفق مفرداً « ويستعز » ، ثم صاح منشداً « ويسلم » . ومن هذا قوله :

صوامع رهبان ، محاريب سجَّد هيا كل أرباب ، عروش قياصر

وثمة ناحية أخرى جديرة بالتأمل أخطأ فهمها بعض الناس ... وهي ميل ملاحنا التائه إلى تكرار بعض الصور والألفاظ مما جعل بعض مراض القلوب يتوهمون أن ذلك وليد قصور في التخيل وضيق في الأفق ... وما ذلك من الحق في شيء . بل إننا لننظر إلى الأمر نظرة المتأمل فنقول : التكرار عندنا نوعان ... تكرار يوشك أن يقتصر على مرتين أو ثلاث ، وتكرار لا تحدّه أرقام فهو طليق طلاقة الحس المعبر ... والأول نراه من مظاهر القصور ، والثاني نعتقد أنه من آثار الاتصال بين مظهر التعبير وجوهر الشعور . وعلى طه في تكراره فنان يساير مشاعره ويعجب بفنه ؛ وهيهات أن يستطيع الخلاص من قيد عواطفه . وإذا كان في قرارته حبٌّ لشيء أو معنى فلا أقل من أن ينطلق مردداً له مستطيباً لتكراره ... ولكنه حين يكررها يبدل في عرض مشاعره ويلبسها ثوباً جديداً تستشف من خلاله اتصالها بوشائج قوية مع أصولها الثابتة في أغوار نفسه . ولعل المسألة تظهر جلية إذا علم القارئ أن أهم صفة في خلق شاعرنا هي الوفاء ... فما يستغرب إذاً منه الوفاء لبعض أحاسيسه ... ! وما تلك الأحاسيس والصور التي يطيب للملاح أن يكررها ... ؟ هي : (الحلم ، الأشباح . الزورق . الكأس) نعم إن المتأمل ليهوله كثرة ما ردد شاعرنا العبقري هذه الكلمات ... ولكننا بقليل من التأمل نقول إن هذه الكلمات وإن اختلفت في الدلالة فقد اتفقت في الباعث الأصيل لها ... وإليك الدليل ... إن الانفعال الذي تحسه عند تصورك الحلم وانطلاقه هو بلا ريب ما تحسه عند توهمك الشبح وتهاويله . وما يصدق على الأحلام والأشباح يصدق على الكأس وعصيرها . وهل كانت الكأس إلا الوسيلة للانطلاق في جواء سحيرة فسيحة ؟ وإن ما يصدق على الأحلام والأشباح والكأس ليصدق على حيرة الزورق ، فإن حيرته لتمطيك رهبة الرياح الهوج والأمواج الرعن ... هذا وإلى القارئ بعض هذا التكرار الفني الجميل الذي يرتكز على طبيعة حق فقد كرر كلمة الحلم قائلاً :

(حلم مثلته في خاطري) ، (يا عروس البحر يا حلم الخيال) ، (غرقان في حلم عذب تسلسله) و (أحلام الليالي الكواعب)

وتكراره لكلمة الكأس (لو سقى مثواك بالكأس الصبيب) ، (هي الكأس مشرقة في يديك) ، (هي الكأس والوتر) . وتكراره لكلمة الزورق (وضمنا فيه زورق يجري) ، (يسرى عليها للملائك زورق) ، (ترقب النيل تحت زورقه) .

... وثمة ناحية أخرى تلمحها خلال ديوانه وهي أن أصدق ما صاغه في حب وطنه كان وهو في غربة عنه ؛ وتلك بارقة نفسية عميقة تدلنا على أن الفاقد للشيء هو خير من يقدره ... أنظر إليه كيف تذكر النيل ومصر وهو على ضفاف (كومو) وفي جلوة الجندول بفينسيا . وبعد فلا يسعنا إلا أن نهتف أن هذا الشاعر المغرم بالأشباح والحيرة والشرود والأحلام والزورق خير مثال لتأثر الشاعر وتقيده بأحاسيسه الأصيلة ... أفلم يخضع لهذه الحيرة السابحة والأحلام والأشباح فأبى إلا أن يكون ملاحاً تائهاً ...

محيي محمود البشبيشي



هل الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم

يعتقد بعض المؤرخين خطأ أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم . فنجد المقريزى والمسعودى يحاولان أن يثبتا أنه (هو) ، وكذلك الأستاذ فريد وجدى فى دائرة معارفه ، وغيرهم كثيرون . ومنهم من يدعى أن سبب تسميته بذى القرنين أنه ملك قرنى الدنيا ، وأن له ضفيرتين ، أو أنه شجاع كالكبش ، وغير ذلك من الترهات التى لا يجوز أن يعتمد عليها المؤرخ . ويخيل إلى أن سبب خطئهم جميعاً هو عدم اطلاعهم على التوراة . فلو رجعنا إليها لعرفنا سبب هذه التسمية التى ألصقها المؤرخون خطأ بالإسكندر

ولكى نلم بالوضوع يحسن أن نتساءل : لماذا ذكر القرآن الكريم شيئاً عن ذى القرنين ؟ وجواب ذلك سيوضح لنا كل شىء : سأل اليهود وكفار قريش النبى عليه الصلاة والسلام عن شخص لم يذكروا اسمه جاب الدنيا شرقاً وغرباً ، وكان له ملك عظيم . ويقصد اليهود بذلك ذا القرنين المذكور فى التوراة . فنزلت آيات القرآن الكريم عن ذى القرنين فى سورة الكهف . وإليك رواية التوراة : رأى النبى دانيال عليه السلام فى المنام كبشاً ذا قرنين وفسره فى التوراة بمملكة فارس التى لم تكن قد ظهرت بعد . ورأى كبشاً آخر ذا قرن واحد يهجم على هذا الكبش ذى القرنين ويقتله . وفسره فى التوراة بملك من ملوك اليونان سيظهر في المستقبل ويقضى على دولة الفرس العظيمة ... وعلى ذلك فالمقصود بذى القرنين دولة فارس العظيمة التى أسسها الملك كورش والتى تنتهى بالملك دارا الثالث الذى فى عهده قضى الإسكندر على دولة الفرس . والمقصود بذى القرن الواحد الإسكندر الأكبر

ودولة فارس كانت عاصمتها سوس فى جنوب غرب إيران . وكان الشعب الفارسى فى الجنوب والميديون فى الشمال . والقرنان إشارة إلى هذين الجنسين . والقرن الواحد إشارة إلى أن اليونان جنس واحد . وكانت دولة فارس تملك عدا بلادها التركستان فى وسط آسيا ، وبابل فى حوض نهرى الدجلة والفرات من الجنوب ، وآشور فى شمال بلاد النهرين ، وبلاد آسيا الصغرى ، والمستعمرات اليونانية التى بها ، وبلاد الفينيقيين بسورية ، وأرض العبرانيين بفلسطين ، ومصر ... وعلى ذلك فالآيات القرآنية الكريمة التى جاءت فى سورة الكهف هى فى الحقيقة تاريخ دولة برمتها ، والأعمال التى قام بها ملوكها . ومع ذلك إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجده يرفع ذا القرنين إلى مصاف المؤمنين ، فى حين أن الإسكندر الأكبر كان وثنياً يدعى أنه ابن الإله آمون ، وأوصى بأن يدفن بعد موته بمعبد آمون بسيوة . وكان متهتكاً يميل إلى الفجور وشرب الخمر وكان ذلك سبب وفاته . وكانت جثته تعبد بعد موته . فلا يعقل أن يكون هو ذا القرنين الذى يقول فيه القرآن الكريم : (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) . والآية الكريمة التى تقول : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) تنطبق على الملك كورش الذى اتجه غرباً وفتح بلاد الفينيقيين بسورية حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط (فوجد الشمس تغرب فيه) . أما سد يأجوج ومأجوج فالذى أقامه هو الملك كورش أيضاً ، وهو الآن فى موضع اسمه (دربند) ومعناها السد ، وهو أثر سد قديم بين الجبال فى بلاد التركستان فى وسط آسيا . ويروى الرواة فى تلك البلاد أنه كان خلف هذا المكان قديماً قبيلتان : إحداهما تسمى ياقوق والأخرى ماقوق . ولقد غار السد بفعل الزلازل . وهذا يفسر قوله تعالى : (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء) . ومن نسل يأجوج ومأجوج كانت جيوش تيمورلنك وحفيده هولاكو الذين خربوا بغداد وأسقطوا الدولة العباسية .

من هذا نرى أن الإسكندر ليس ذا القرنين ، وعلى ذلك ليس من العدل أن نلصق به هذا اللقب بالإكراه . وإذا كان ولا بد أن نجعل له قروناً فلا مانع من تسميته بذى القرن الواحد .

الدكتور ابراهيم الدسوقى

حول تراث بنى اسرائيل

قرأت ما كتبه الأستاذ السالك رداً على تخطئتى للمفسرين فى تراث بنى إسرائيل ، فوجدته يؤيد ما ذكروه من رجوع بنى إسرائيل إلى مصر بأن الألوسى رأى فى بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى وبقوا معه بمصر عشر سنين ، وبأن صاحب

كتاب الأصول البشرية ذكر أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر الذى فر إلى بلاد الحبشة حكم مصر ثلاث عشرة سنة ، وبأن المتبادر من قوله تعالى : (ويستخلفكم فى الأرض) . وقوله : (قلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) وقوله : (وأورثناها بنى إسرائيل) أنهم رجعوا إلى مصر

وكل هذا لا يفيد الأستاذ الساكت بشىء ، لأن الله تعالى قد عين ذلك التراث فى قوله : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) فالأرض المباركة هى أرض الأنبياء من المسجد الأقصى وما حوله ، كما قال تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) وهى الأرض المقدسة التى ذكر الله أنه كتبها لهم فى قوله : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم) فهذه الأرض هى التى كانت مطمح بنى إسرائيل ، وهى الإرث الذى كانوا يتطلعون إليه ، وأرسل موسى لأجل أن يمكنهم منه

وقد فصل الله تعالى ما جرى لبنى إسرائيل بعد مجاوزتهم البحر ، وكرره فى سور كثيرة من القرآن الكريم ، وذكر من ذلك أنه حاول أن يحملهم على دخول الأرض التى وعدوا بها ، فهابوا قتال أهلها (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين)

ولم يذكر الله تعالى فيما فصله وكرره من ذلك أنهم رجعوا إلى مصر ، وهو لو صح حادث عظيم ما كان الله تعالى ليهمل ذكره ، على أن أولئك القوم الذين عجزوا عن فتح بيت المقدس ، وأظهروا ذلك العجز والجبن ، لا يعقل أن يقووا على فتح مصر ، ولا يعقل إلا أن يبقوا فى ذلك التيه الذى ضربه الله عليهم ، وإلا أن يحرمهم الله نعيم مصر أيضاً جزاء فسقهم وعصيانهم

ولا شك بعد هذا فى أن ظاهر القرآن الكريم يشهد لذلك التفسير الذى ذكرته ، وهو التفسير الذى يتفق مع المعروف من تاريخ مصر القديم وتاريخ بنى إسرائيل ، ولا اعتداد بتلك الروايات المجهولة التى ذكرت فى المنار وغيره ، ولم تبين لنا كيف ملك موسى مصر ، ولا كيف تركها بعد أن تمكن منها

والله يعلم أنى لم أطلع على ذلك التفسير الذى يتفق تفسيرى معه ، وإنما كان ذلك من توارد الخواطر ، والخطب فيه سهل .

عبد المتعال الصعيدى

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ٢٠٢)

وهل تنتظر من رجل لا يقول إلا ليعبر عما فى نفسه أن يقول غير ما فى نفسه ؟ وكيف يجازف بالألفاظ حين يصف وهو لا يصف إلا ما أثر فى قلبه أو وقع تحت حسه ؟ فليت شعرى هل نستطيع أن نكون اليوم كالبدو طبيعيين نستلهم الواقع ونستوحى الطبيعة ! اليقين الذى لا ريب فيه أننا لا نستطيع ، لأن حياتنا قد أصبحت من التركب والتعقد والتصنع بحيث لا تجد غريزة على جبلتها ، ولا عادة على طبيعتها ، ولا عاطفة من عواطف الناس على أصلها وحقيقتها . فنحن نتغزل من غير حب ، ونمدح من غير عاطفة ، ونصف ما لم نر ، ونقص ما لم يقع ، ونتقمص فى القصص أشخاصاً خياليين أو حقيقيين فنتكلم بلسانهم ، ونشعر بشعورهم . فكيف نستطيع فى هذه الأحوال أن نجد العبارة والحرارة اللتين يجدهما البدوى أو الهمجى ، من دون كد ولا معاناة ؟ لقد جعلنا الطبيعة بالتصنع فنًّا ، فينبغى أن نجعل الفن بالتطبع طبيعة .

« للكلام بقية »

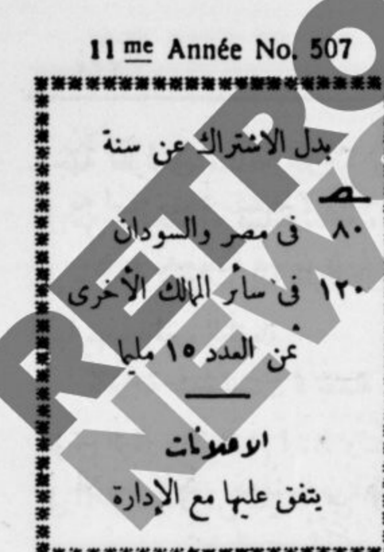
احمد حسن الزيات

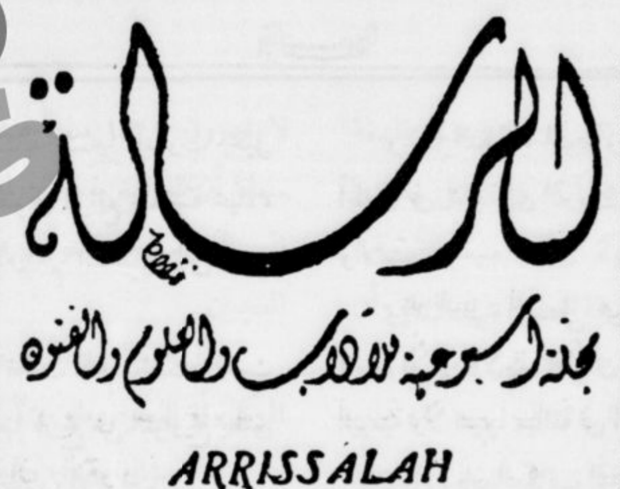
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 507

Lundi - 22 - 3 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٧ «القاهرة في يوم الإثنين ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

فلسفة الترجمة

للأستاذ عباس محمود العقاد

مر بمصر في الشهر الأخير كاتب من أشهر كتاب السير والتراجم بين الإنجليز المصريين ، وهو الأستاذ فيليب جودالا Philip Gudalla صاحب سيرة شرشل وسيرة بالمرستون وسيرة نابليون الثالث بطل الإمبراطورية الثانية ، وسيرة ولنجتون القائد الإنجليزي المعروف ، ويحسبها بعضهم خير ما كتب في مادة السير والتراجم على الإجمال ، وهذا عدا التراجم القصيرة التي كتبها لكثير من القادة والأدباء من الإنجليز وغير الإنجليز

وقد دعاه « الاتحاد الإنجليزي المصري » بالقاهرة إلى المحاضرة فيه ، فاختار للكلام موضوعاً هو أقرب الموضوعات إليه وأولاها أن يخاطب السامعين والقراء فيه وهو « عمل المترجم » أو عمل الكاتب الذي يُدوِّن تاريخ العظماء ومن لهم تاريخ يستحق التدوين

والحق أنه أدى عمل المحاضر في الأندية العامة أحسن أداء ، فلم يكن متعمقاً معاظلاً يتعب السامع الذي يتتبع الحديث ويريد أن يفهمه وهو يصغي إليه ؛ ولم يكن هيناً يقول ما ليس يستحق الإصغاء ولا يخرج السامع منه بمحصول يفيد ، بل قال ما يفيد ويمتع ، وأودع حديثه السهل زبدة الآراء التي يستصوبها من

وجهة نظره فى صناعة الترجمة وكتابة السير بأسلوب يخيل إلى من يستخفه أنه تسلية ساعة ، وهو فى الواقع خلاصة حياة ، بل خلاصة حيوات إذا نظرنا إلى التراجم الكثيرة التى خرج منها بهذه الخبرة الطويلة

فالترجمة عنده ليست « بقصة » طلقت اللهو والعبث ولبست لبوس الوقار والاحترام ! ... ولكنها تاريخ من التواريخ يطبق على الأفراد بدلاً من تطبيقه على الأوطان والأقوام

وهى من ثم جديرة بأكبر عناية فى العصور الحديثة التى شاع فيها تهوين الفرد وتعظيم شأن القوى والعوامل الجامعة ، فإن الفرد ولا ريب يدل على شىء كثير ، لأنه يرتفع على القمة فيشير إلى اتجاه التيار ، فإن لم يكن هو الفعال لكل شىء فى زمانه فهو على التحقيق دليل على مجرى الزمن وعلى ما يكمن وراءه من الدوافع والمؤثرات

وقال : إن الفرق بين فرنسا قبل نيف وثلاثين سنة وفرنسا اليوم إنما هو فى جملته فرق بين رجلين : بين فوش وبيتان ! كما أن تاريخ انجلترا فى السنوات الأخيرة إنما هو مظهر الفرق بين شمبرلين وشرشل

ولما تعرض لفن السيرة أو فن كتابتها حذر الكاتب من فتنتين تغريانه من جانبين مختلفين : أحدهما جانب البلاغة الأدبية ، والآخر جانب النظريات النفسية أو « السيكولوجية »

فليس الغرض من الترجمة إخراج قطعة من الأدب البليغ ، وإن صح أن تجىء أدباً بليغاً فى عرض الطريق

وليس الغرض منها عرض النظريات النفسية التى قلما تفضى إلى يقين ، لأنها بين شىء مفروض معلوم من قبل ، وشىء لا نفرضه ولا نعلمه على الإطلاق ، وفى كلا الأمرين مضلة تستلزم التحذير

إنما الترجمة عمل « يدوى » كما يقال إذا شئنا أن نقابل بينها وبين الخلق الخيالى أو الخلق المثالى الذى يتطوح فيه بعض رجال الفنون . فى حدود هذا العمل المتواضع ينبغى أن يقبع المترجمون !

ثم حذر الكاتب من خطأين آخرين عند الكتابة عن الأقدمين : خطأ النظر « الفوقانى » أو النظر إلى أعلى وهو ينتهى إلى الإطناب فى الحماسيات والبطوليات وتخيل الأقدمين كأنهم جيل من العمالقة أو الملائكة العلويين

وخطأ النظر « التحتانى » أو الترفع عن الأقدمين كأنهم أطفال فى حاجة إلى التربيت والإغضاء ، مع شىء من الابتسام والاستهزاء

وإنما النظرة الوسطى هى النظرة القويمة ، أو النظرة السواء لا إلى الأعلى ولا إلى الأدنى ، فنراهم بالعين التى تنظر إلى الحياة اليومية ولا تعيبها مبالغة فى الإكبار أو مبالغة فى التصغير

وقال : إن الكاتب الذى يشغل ذهنه فترة طويلة بالبحث فى سيرة عظيم من العظماء لا يلبث أن يشعر عامداً أو غير عامد أنه تقمص ثياب « سكرتير خصوصى » لذلك العظيم ... فهو يجاريه فى ميوله وبدواته ، ويترقب ملاحظاته وإشاراته ، فيفوته من ثم أن يستقل بذهنه فى النظر إليه . وهذه أيضاً فتنة من فتن الترجمة المغرية للكتابة ، عليهم أن يتقوها جاهدين ليكتبوا عن عظمائهم عادلين مستقلين

وعلى هذا النمط كانت محاضرته طريفة مفيدة ، عليها الطابع الشخصى الذى ينم على تجارب الكاتب نفسه ويصطبغ بصبغة منه ، وفيها الأحكام العامة والآراء الأساسية التى تصلح للمشاركة والاقتباس

وقد لقيناه فى منزل صديقنا الدكتور هيكل باشا فسرنا منه أنه مسرور من الجمهور المصرى المثقف الذى تحدث إليه ، وأنه يلاحظ أنه لم يشعر بفرق قط بين الجمهور الذى كان يتحدث إليه فى البلاد الإنجليزية والجمهور الذى تحدث إليه فى القاهرة ، فالمصريون كما قال يضحكون فى مواضع الضحك التى يفطن لها الإنجليز ، ويشبهون نظراءهم من السامعين هناك فى التفاتات الذهن ومواقف التعقيب عند الإصغاء إلى حديث

قال : والضحك علامة الحضارة ، لأن الشعوب البربرية لا تضحك ، فذكرنا فى تلك اللحظة قولة نيتشه إن الضحك من نكتة واحدة هو أول الدلائل على تقارب فكرين . وقلنا : بهذه العلامة نثق كل الثقة أن المصريين أعظم المتمدنين !

وسألناه : ألا تنوى أن تكتب شيئاً عن مصر بعد هذه الرحلة ؟ فقال مبتسما : لا أزعم أننى أكتب عن وطن بعد رحلة أيام ... ثم قال : ولعلى أنا الرجل الوحيد الذى قضى فى روسيا أسبوعاً ولم يكتب عنها سفراً طويل الصفحات

* * *

تلك خلاصة مقربة لجلة الآراء التى تشتمل عليها فلسفة الترجمة فى رأى الأستاذ جوداللا ، وهى آراء نوافقه على معظمها ولا نكاد نخالفه إلا فى الميل إلى البطولة أو إلى الصبغة الأدبية ، فإذا استطاع الكاتب أن يستروح نفحة البطولة من مترجمه وأن يبثها فى قلوب قرائه فهو فى اعتقادنا عمل لا ضير فيه ، بل هو واجب مطلوب مفيد لا غبار عليه

وكذلك إذا استطاع أن يرضى ذوق الفن ويرضى الحقيقة فى وقت واحد فتلك غاية حرية أن تتطاول إليها أعناق الكتاب ، لأن تجميل الحياة بالصدق الفنى غرض من الأغراض النبيلة التى نخلص إليها من طريق التراجم كما نخاص إليها من طريق الشعر والنحت والتصوير والغناء ، فكل حياة خلت من الجمال الفنى ومن الصورة المثالية التى يسبغ عليها ذلك الجمال هى حياة فاترة أو حياة ناقصة لا تستحق أن تعاش ، وإنما مقياس الحياة التى تكشف عنها التراجم والسير هى الحياة التى تعاش

وفيما عدا ذلك نوافق الأستاذ جوداللا فى فلسفته التى اختارها بعد التجربة الطويلة لصناعة الترجمة وتمثيل العظماء

نوافقه ونحن نعلم صعوبة هذه الموافقة في زمن كثر فيه المنكرون لقيمة الفرد وقيمة العظمة ، وتردد فيه القول بسلطان العوامل الاجتماعية كأنه هو السلطان الذى ليس وراءه سلطان

وقد رأينا فعلاً كاتباً انجليزياً يعقب على محاضرة الأستاذ جوداللا من هذه الناحية ، ويسأله سؤالاً يلخص مواضع اعتراضه فيقول : هل هتلر ظهر فى البيئة الألمانية لأنها بيئة مقلوبة أو أن هذه البيئة انقلبت لأن هتلر ظهر فيها ؟

والظاهر من سؤال المعترض أنه يأخذ بالقول القائل إن الفرد نتيجة منفعلة ، وليس بسبب فاعل فى الحوادث التاريخية ، وأن العظيم لا ينبغ فى أمة إلا إذا تمهدت له دواعى الظهور من تكوين تلك الأمة ؛ فالعوامل الاجتماعية إذن هى موضع البحث والالتفات ، وليست عظمة العظماء ولا جهود الأفراد

وهذا مذهب مبالغ فيه قد جنح إليه الاشتراكيون على الخصوص لأنهم يردون العوامل كلها إلى المجتمع وعناصر تكوينه ومعيشة أبنائه ، ولكنهم مهما يبالغوا فى هذا فلن يستطيعوا أن يزعموا أن العظماء والصغراء سواء ، وأن النوابغ لا يقدرون على عمل يعجز عنه المحرومون من النبوغ . ومتى كان مسلما أن النوابغ يعملون وأن عملهم لا يذهب سدى فهذا هو المهم الذى يستحق النوابغ من أجله دراسة الدارسين وإعجاب المعجبين

يسأل السائلون الفارغون : من صاحب الفضل فى السياحة ؟ المركب أو البحر أو الريح ؟

وهذا سؤال فارغ كما قلنا لأن السياحة كلمة لا معنى لها إذا انفرد المركب أو انفرد البحر أو انفردت الريح

ففى الساعة التى نلفظ فيها كلمة السياحة البحرية تتمثل لنا كل هذه العناصر مجتمعات ، ولكنها تتمثل أو لا تتمثل تعجز كل العجز عن إنكار حق المركب فى إتمام السياحة ، وحق المسافر فى الاختيار بين مركب ومركب ، وحق الشركات فى إنشاء المراكب ورصد المسافات كيفما كانت البحار والرياح .

وكذلك العظمة المشهورة كلمة تستلزم وجود الآدميين الذين يشتهر بينهم العظيم بغير فلسفة ولا تعمق ولا استطلاع لمغيبات . ولكن ماذا فى هذا مما ينفى أن العظيم أفعل من الصغير ، وأن هذه الأفعال جديرة بالتقديم والتأخير فى سير الأمور ؟

فالفرد شىء والعوامل الاجتماعية شىء ، ومن قال إن الفرد لا يهم فقد أنكر الغاية من إصلاح المجتمع كله ، لأن كل إصلاح لا ينتهى إلى الاهتمام بالأفراد فهو إصلاح تركه وإنجازه سواء .

عباس محمود العقاد

الشعب هو المسئول
عن الاصلاح الاجتماعي
للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

ليتك شهدت المناظرة التي أقيمت بكلية الآداب في مساء الأحد الماضي ، لترى مبلغ ما وصلنا إليه من حرية الفكر والرأى ، ولترى كيف يستبيح ناسٌ إيذاء إخوانهم بلا استبقاء ، ولترى أيضاً كيف تطغى العامية الفكرية على بعض من وُسموا بالتثقيف

وسأصف جوّ تلك المناظرة بإيجاز ، أداء لحق « الرسالة » ، فمن قرائها ألوفٌ يحبون أن يعرفوا كيف يشتجر القاهريون في ميادين الحجج والبراهين

كانت المناظرة برياسة معالي الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية ، وقد سُبِقت بحفلة شاى أعدها عميد كلية الآداب ترحيباً بالوزير وبالمتناظرين وكبار المدعوين

وبعد الشاى رأينا الوزير ينتحى ناحية ليراجع خطبة طويلة معصلة بموضوع المناظرة ، فعرفت أننا سنقضى شطراً من الليل في نقاش وجدال ، وقد هممت بمراجعة الوزير ، ثم تركت الأمور تجرى إلى مداها المرسوم في ضمير الغيب

وحين وصلنا إلى المدرّج الأكبر بالكلية رأينا جماهير كثيرة وعانينا قيظاً قد اقتُبست ناره من وهج القلوب ... ألقى العميد كلمة ترحيب بالوزير ، وألقى أحد الطلبة كلمة ثانية ، ورأى الوزير أن يطوى خطبته لضيق الوقت ، ثم دعا المتناظرين إلى الكلام

كنت الخطيب الأول ، وكانت خطبتي مكتوبة ، ولكنى رأيت الجوّ يوجب أن أعرض الموضوع بصورة خطابية ، وفى دقائق ، لأستبقى الفرصة الباقية ، فرصة المنبر الأكبر على صفحات « الرسالة » الصديق

لن أحدثك عما قوبلت به خطبتي من الإعجاب ، وإنما أحدثك عن مُناظر قصر خطبته على مناوشتي بأساليب يمجّها الذوق ، مع أن المناظرة في كلية الآداب ، وبرياسة وزير الشؤون الاجتماعية !

حضر هذا المُناظر وفى قلبه أشياء ، فهو لن ينسى أنى أفحمته منذ عامين في محاضرة ألقاها بأحد الأندية تأييداً لفكرة وهمية نبتت في بعض خرائب الرءوس ، وهو لا يستطيع نشر تلك المحاضرة بأى حال ، لأنها من صنوف البهتان

كان الظن أن يتسامى حضرة المناظر تلك المعركة الأدبية ، وأن يجعل همه الأول والأخير في شرح الرأى الذى ارتضاه في مناظرة ذلك المساء ، ولكنه جعل همه في التحرش بالدكتور زكي مبارك وتأليب الجمهور عليه بطريقة عدّها الحاضرون ضرباً من التحدى المقفوت

ليست المناظرة قتالاً بين شخص وشخص ، وإنما هى نضال بين رأى ورأى ، وليست المناظرة فرصة للتشفى ، وإنما هى فرصة للتصافى

أترك هذا وأذكر أنى أعجبت في ذلك المساء بخطيبين مجّدا الفكر والرأى ، أحدهما الأستاذ صالح جودت ، وثانيهما الأستاذ حسين دياب ، ومع أنهما جَرَيا في ميدانين متعارضين فقد استطاعا الظفر بالحمد والثناء

قال صالح : إن اعتماد الشعب على الحكومة تحوّل إلى طمع في الحكومة . وهذه فكرة دقيقة جداً

وقال صالح أيضاً : إن الذين يقيمون الحفلات الخيرية لمعونة الفقراء لا يفتحون مغاليق الجيوب إلا بفضل المراقص المسبوقة بأكواب الصهباء

وهذا كلامٌ يجب أن يقال . ولو مرةً واحدة ، عساه ينفع بعض الجميات

وقال حسين : إن الحكومة هى التى تُسأل عن الإصلاح الاجتماعي ، لأن عندها وسائل يعجز عن مثلها الشعب ... وقال أيضاً : إن يقظة الحكومة لا تغنى الشعب عن الاهتمام بما يجب عليه في تدبير أمور المعاش ... وهذا وذاك من الكلام النفيس

أما لغة المتناظرين فكانت سليمة ، بغض النظر عن اللحن المضحك ، اللحن الذى تكرر ثم تكرر من الخطيب اللحان ، وهو فلان !

أيهون منبر كلية الآداب إلى الحد الذى يسمح بأن يعلوه خطيب لا يعرف الأوليات من قواعد اللغة العربية ؟

اتقوا الله يا ناس فى منبر كلية الآداب !

ومن ذلك الخطيب ؟

سأذكر اسمه يوم يغيّر ما بنفسه بعد قراءة هذا الدرس

سأذكر اسمه يوم يعرف أن المناظر لا يكتفى بالقصاصات من المجلات

إن خطبة عميد كلية الآداب لم تزد عن أربعة أسطر ، وهو مع ذلك تلاها تلاوة ليأمن الخطأ فى الإعراب ، أما فلان فقد فعل بنفسه ما لا يفعل الأعداء

ثم ماذا ؟ ثم أعلن معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق أن رأيه كوزير أن يستزيد الحكومة من المسئوليات . فقلت : ومن واجب الشعب أن يتحمل جميع المسئوليات

ثم ؟ ثم أسجل خطبتى فى « الرسالة » لتُسجَّل فى ضمير الزمان ، وليعرف من لا يعرف أن للمصريين جذوات فكرية مقبوسة من نار الخلود .

***

أيها السادة :

أحييكم باسم الفكر والرأى ، ثم أشكر من تفضلوا فدعونى للاشتراك فى هذه المناظرة ، فقد هيأوا فرصة جديدة لتوضيح نظرية نفر منها الجمهور حين عرضتها فى بعض الجرائد والمجلات ، وهى النظرية التى تقول بأن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع ، وبأن الشعب هو المسئول فى جميع الأحوال عما يتعرض له من متاعب وصعاب

وسأعرض تلك النظرية فى هذا المساء بأسلوب جديد ، راجياً أن تراعوا أننا فى رحاب كلية الآداب ، فلا يثور من تعودوا الثورة على الحق فى المناظرات الماضية ، وراجياً أن تذكروا أن ما تضيق به صدوركم اليوم قد يصبح من المألوفات بعد حين

أما بعد فمن المسئول عن الإصلاح الاجتماعى : الشعب أم الحكومة ؟

فى شرح هذه المعضلة أقول :

أنا أقبل إلقاء جميع المسئوليات على الحكومة ، إذا صح عندى أن الشعب طفلٌ لا يفرق بين التمرة والجمرة ، على نحو ما كانت الحال فى طفولة الشعوب

أما اليوم وقد اكتملت قُوى الشعب وتخطى العهود الفطرية فمن الواجب أن يُسأل عن كل شىء ، وأن يكون إليه الأمر فى جميع الشؤون

وما السبب فى إنشاء الحكومات ؟

إفترض جان جاك روسُّو أن الخلائق اجتمعت يوماً للتشاور فى الصورة التى تصان بها الحياة الاجتماعية ، وأن كل فرد تنازل عن جزء من حريته ، ليتكون من تلك الأجزاء قوة تحمى المجتمع من عدوان الأقوياء على الضعفاء

وقد آن أن نسترد ما تركنا من حريتنا باسم صيانة المجتمع . آن أن نكرم الإنسانية بأن تُسأل أمام الضمائر لا أمام القوانين ، فإن من العار على الإنسانية أن يطول احتياج بنيها إلى حكام يصدونهم عن تقارض الظلم والاضطهاد

كل أمة تحتاج إلى وزارة اسمها وزارة العدل ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الأمم لم تصل إلى الرق الصحيح ، ومعناه أن بنى الناس بعضهم على بعض خطر يرتقب فى كل حين

لا مانع من أن تكون فى الدنيا محاكم ، على شرط أن لا يُحتكم إليها إلا فى القضايا التى تحتاج إلى اجتهاد القضاة ، أما القضايا التى يقال فيها إن الحلال بين والحرام بين فاحتياج الإنسانية فيها إلى القضاة ضرب من الإسفاف

المثال الصحيح للأخلاق السليمة هو أن تعرف مالك وما عليك ، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وتبغض لأخيك ما تبغض لنفسك ، ويكون رأيك فى تقدير المشكلات الاجتماعية هو الميزان

قال فلاسفة العرب : « الإنسان مدنى بالطبع » ، ومعنى هذا أنه يكره التوحد الموحش ، ويميل إلى الوداد والإخاء ، وكذلك كان حاله بالفعل ، لولا بدوات ترده إلى عهود الوحشية من حين إلى أحايين

ويقول التاريخ الاجتماعى : إن الدنيا فى عهود الظلمات كان فيها شهود يُستأجرون كما يستأجر الفتاك . وقد انقرض هذا الصنف من الناس أو كاد . وتلك بداية لطيفة ، فقد نستغنى يوماً

عن الحاكم ، وقد يصبح كل فرد وهو مسئول أمام الضمير لا أمام القانون

أليس من العيب على الإنسانية أن تحتاج إلى جيوش من القضاة والمحامين فى شؤون يحكم فيها الضمير قبل أن يحكم القضاء ؟

فى بضع مئين من السنين يتحول بعض الحجر إلى مرمر ، وقد مرت ألوف وألوف من السنين ولم يتحول الإنسان إلى ملك

فبأى وجه تلقى الإنسانية بارئها يوم يقوم الحساب ؟

الحكمة اليونانية تقول : اعرف نفسك بنفسك

والحكمة الإسلامية تقول : الإثم ما حاك فى صدرك

ونحن مع هذا وذاك لا نسير فى الطريق إلا معتمدين على أسندة من رعاية الحكومات ... كأننا خلائق تحبو فى فجر التاريخ !

أقدم أمة أقيمت فيها حكومة هي الأمة المصرية ، وكان ذلك من أبواب المجد ، يوم كان النظام حلما يداعب خيال الإنسانية

وستكون مصر أول أمة تعيش بلا حكومة ، وسيكون ذلك أعظم آيات المجد ، لأنه الشاهد على السمو الذى تغنى به الحكماء ، جيلاً بعد جيل

نحن سبقنا جميع الشعوب إلى إقامة النظام الحكومى ، يوم كان أصلح أداة لكبح الطغيان الفردى والاجتماعى

وسنسبق جميع الشعوب إلى الاستغناء عن النظام الحكومى ، لأنه يطعن فى قدرة الإنسانية على مغالبة الأهواء

وماضينا فى التاريخ القديم يطمعنا فى تحقيق هذا الأمل الجميل ، فنحن الذين أقمنا النظام الشمسى قبل أن تعرفه أمم الشرق والمغرب . ونحن الذين غزونا بالروح أمماً لم تكن تغزى بغير السيف . وقد وصلت فنون أجدادنا إلى أمريكا قبل أن يكتشفها كولومبوس بأزمان وأزمان ... ألم تسمعوا أن أمريكا وجدت فيها آثار بها ملامح من الفنون المصرية ؟

وتحرش بنا الأوربيون متجمعين عشرات السنين لعهد الحروب الصليبية ، فرددناهم على أعقابهم بعد أن زودناهم بأصول المدنية الشرقية ، وهى أساس المدنية الغربية

ونحن كنا الحصون التى صدت غارات المغول ، ومن قبل ذلك بقرون أوحينا إلى الإسكندر الأكبر أن يتجشم متاعب السفر إلى الواحات ليزور معبداً يجمع بين الرحموت والجبروت ، وهو معبد آمون ، آمون الذى دخل اسمه جميع اللغات فصار «آمين» التى تقال عقب الدعاء

أرضنا هى الأرض ، وسماؤنا هى السماء ، ومجدنا هو المجد ، وخلودنا هو الخلود

فما الذى يمنع من أن نكون أول أمة تعتز بالقوة الذاتية ؟

ما الذى يمنع من أن نكون حكام أنفسنا فى جميع الشؤون ؟

وما الذى يمنع من أن نسبق جميع الأمم إلى فهم الغاية الصحيحة من قوة الروحانية ؟

لكل أمة عذر فى التخلف ، ولا عذر لمصر فى التخلف ، وهى أقدم حجاز بين الحق والباطل والهدى والضلال

وتاريخنا الحديث لا يقلُّ عظمةً عن تاريخنا القديم ، فقد حيكت حولنا الدسائس الدولية بالألوف ، وكانت بلادنا مصطرعاً لأشتات من الجيوش ، فهل غُلبنا فى الميادين الفكرية ، حين غلبنا فى الميادين الحربية ؟

أين الدولة التى تستطيع أن تزعم أنها نقلت القلب المصرى من مكان إلى مكان ؟

أين الدولة التى استطاعت أن تصدّ الفكر المصرى عن التغلغل فى آفاق الشرق ؟

لبلادنا خصائص أصيلة أيسرُها القدرة على قهر عوادى الاضمحلال ، وكيف تضمحل أرض نجد فيها الماء فى كل بقعة ، والله جعل من الماء كل شىء حىّ ؟

أول كُفر عرفته الخلائق هو كفر المصريين ، وأول إيمان عرفته الخلائق هو إيمان المصريين ، وأشهر الأفراح أفراح المصريين ، وأشهر الأحزان أحزان المصريين

هل عرف تاريخ الجاهلية أعظم من المعابد المصرية ؟

وهل عرف التاريخ الإسلامى أروع من المساجد المصرية ؟

وهل يوجد للفلاح المصرى نظيرٌ فى أى أرض ؟

وهل يوجد ماء أعذب من ماء النيل ؟

وهل عُرفت العظمة فى المبانى قبل أن تُعرف فى هذه البلاد ؟

وهل يوجد فى الدنيا ناس يفوقون المصريين فى حلاوة الشمائل ولطافة الطباع ؟

لم يبق إلا أن نتفرد بالابتكار الأخير ، وهو الابتكار الذى

عجز عنه من اهتدوا إلى البخار والكهرباء ، وهذا الابتكار هو الكشف عن الجوانب المستورة من الأرواح والقلوب ، الجوانب النقية ، ففي قلب كل رجل غابة عذراء لا تغرّد فوق أدواحها غير بلابل الطهر والصفاء

إجمعوا جوعكم ، واستعينوا بفكريكم ، لتكتشفوا الواحة المجهولة في الضمائر المصرية ، فقلبي يحدثني بأن في هذا الوادي سرائر مطوية تفوق الأحجار التي يشق في البحث عنها علماء الحفريات !

أنفقوا في البحث عن الضمائر الحية مِعشار ما تنفقون في البحث عن الأحجار الميتة ، واعلموا أن مصر لن تموت ، لأنها مؤيدة بروح الحق الذي لا يموت

أين مصر التي عرفناها أو جهلناها ، وأين مكانها الأصيل في تاريخ الوجود ؟

ستكون أول أمة تعيش بلا حكومة ، لتقيم البرهان على أنها فوق الشبهات والأضاليل

قد تقولون : إن واقع الحياة لا يعرف هذا الخيال ... وأقول : إن الأمر في هذه الأيام يؤيد ما تقولون ، فلو عاشت الأمة بلا حكومة أسبوعاً أو أسبوعين لانتشرت الفوضى وعمّ الاضطراب وشاع الفساد

ولكني مع هذا أجزم بأن الحكومة لا تستطيع بأي حال رعاية أمة فقيرة في نواحي التماسك الذاتي والاجتماعي ، فخضوع الأمم للشرائع والقوانين لا يكون خضوعاً شريفاً إلا إن صدر عن إرادة ذاتية مردُّها إلى أدب الأحرار لا أدب العبيد

ونحن في مصر نفهم هذه المعاني ، فوزير المعارف يعتمد على ضمائر المدرسين ، ووزير العدل يعتمد على إيمان الناس بأدب المعاملات ، وكذلك يقال في الأمور التي يعالجها سائر الوزراء

قد سمعتم أو قرأتم أن وزارة الوقاية وزارة وقتية تنتهي مهمتها بانتهاء الحرب ، فما المستقبل الذي ينتظر وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

أنا أقدِّر أن مهمتها ستنتهي بعد أمدٍ قريب ، يوم يفهم الشعب واجبه في الإصلاح الاجتماعي ، ويوم يدرك أن احتياجه إلى عون الحكومة في تلك الشؤون ضربٌ من الفقر في الروح والوجدان

وهذا المستقبل لن يكون بعيداً كما نتخوف ، فالشواهد تنطق بأن ضمير الأمة سيستيقظ بعد طول السبات ، ولعله استيقظ بالفعل . ألا ترون أن الأمة تتسامى إلى أمور كانت قبل قبل اليوم من تهويل الخيال ؟

قبل أن تشب الحرب ويغلو الورق كان متوسط ما تخرج المطابع المصرية في كل يوم اثني عشر مجلداً ، وكان لصحافتنا المقام الثالث بعد الصحافة الإنجليزية والأمريكية ، وكنا أول أمم الشرق في إحياء الذخائر العربية والإسلامية ، وسيكون لنا بعد الحرب ميادين يعتز بها العقل والبيان

ومعنى هذا أن يقظة الذكاء المصري يقظة حقيقية ، وأن تحليقاتنا في سموات الفكر والرأي لم تكن أضغاث أحلام ، فكيف تستبعدون أن يستيقظ الضمير المصري فيغني الحكومة عن التعب في مداواة الأمراض الفردية والاجتماعية ؟

إنْ تعادل الضمير والذكاء في مصر فستصبح الأمة المصرية أمة نموذجية ، وستبدع في الأدب النفسي آيات لا نظائر لها ولا أمثال

إن أفضل الفروض في وصف الصلة بين الحاكمين والمحكومين هي أن تشبَّه بالصلة بين الآباء والأبناء ، فهل سمعتم أن أباً يحب أن يكون ابنه عالة عليه في جميع الشئون !

ونحن اليوم في مطلع حياة جديدة ، ولا بد لنا من رياضة أنفسنا على الاضطلاع بحمل جميع الأعباء

وسنجاهد ونجاهد إلى أن تشعر الحكومة أنها تعيش في أمة مثالية لا تحتاج إلى حكام في أي ميدان

سنجاهد ونجاهد إلى أن تنقلب الحاكم بفضل اعتماد الشعب على الاحتكام إلى الضمائر والقلوب

لن يطول صبر الإنسانية على هذه الحياة الوضيعة ، وهي الحياة التي لا يزدجر فيها مزدجر إلا خوفاً من سطوة القضاء

إن الاستقامة السليمة هي التي تنبعث من النفس ، كما يستقيم العود حين تكتمل قواه ، أما الاستقامة التي توجبها قوى خارجية فهي استقامة العود الذي يُستر ضعفه بأسندة من الجريد ، وهذا حال الأخلاق التي لا تستقيم إلا بأسندة من القانون

إن الجوارح الروحية تعطلت بسبب الاعتماد على الحكومة

فى مختلف الشؤون ، وإن المواهب النفسية تهدمت بسبب التفريط فى رياضتها على النفاذ والمضاء

الأمم الضعيفة تكل أمورها إلى الحكومات لتستريح من الجهاد ، أما الأمم القوية فتنهض بأحمالها الثقال لتتشرف بالجهاد

وآفة الاعتماد على الحكومة آفة مخوفة على الأمة المصرية ، ويجب النص على هذه الآفة بذكر بعض الشواهد ، عسانا نزهد فيما استمرأناه من التواكل البغيض

التعليم كله ملقى على كاهل الحكومة ، وما فكر فرد أو جماعة فى إنشاء مدرسة إلا على نية التبعية لوزارة المعارف ، بأى صورة من صور التبعية

وقد نهضت الأمة يوماً فأنشأت الجامعة ، ولكن النهوض ثقل عليها فأسلمتها إلى الحكومة !

وأنشأت الجمعية الخيرية الإسلامية بضع مدارس ، ثم أسلمتها إلى الحكومة

ومنذ أعوام تعرضت مدرسة الأقباط بالقاهرة لمتاعب مالية ، تخذلها أعيان الأقباط ولم ينجدها غير الحكومة

فما هذا الفقر المدقع فى العزائم والنفوس ؟

أتكون أحوال التعليم كهذه الأحوال فى البلاد الإنجليزية والأمريكية ؟

وكيف والتعليم فى تلك البلاد ترجع أكثر شؤونه إلى هيئات مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال أو بعض الاستقلال؟

واعتمادنا على الحكومة ظهر بصورة بشعة يوم خيف على « بنك مصر » من زعازع الحرب ، فالحكومة هى التى تقدمت لحماية البنك ، وبذلك ضاعت فرصة على أغنياء الأمة ، وأى فرصة ؟

لقد كان فى مقدور الأغنياء أن يتعاونوا على رعاية تلك المؤسسة القومية ، وهى رعاية مضمونة الربح ، وكان من المؤكد أن تدر عليهم الخيرات فى أعوام الحرب ، ولكنهم تهاونوا تهاون العاجزين عن إدراك ما ينتظر من المنافع ، وتركوا الحكومة تدبر الأمر كما تريد

وآفة الاعتماد على الحكومة زلزلت الثقة بالكفاية الفردية ، وهل يتهالك المتعلمون على وظائف الحكومة إلا ليقال إنهم وصلوا إلى شىء ، فى بلد يرى الوظيفة كل شىء ؟

كل ما رأيناه من هذه النواحى أهون من الناحية التى تساق فى مناظرة هذا المساء ، فإن ناساً يرجون أن تنوب الحكومة عن الأمة فى الإصلاح الاجتماعى ، وقد يرجون غداً أو بعد غد أن توزع الإصلاحات الاجتماعية والفردية فى بطاقات ؛ وقد يرجون أيضاً أن تنوب الحكومة عنهم فى اختيار ألوان الطعام والشراب !

الأساس الذى أراه لبناء المستقبل أن تكون روح الشعب وروح الحكومة ممثلة فى كل فرد ، فيكون الرجل حاكما ومحكوماً فى آن ، حاكما لهواه ومحكوماً لنهاه ، ثم تتلاقى قوى الأفراد كما تتلاقى القطرات الطاهرة من الغيوث فتخلق نهراً فى مثل عظمة النيل

أنا أنتظر اليوم الذى يقال فيه على سبيل التفكه بحوادث التاريخ : كان فى الدنيا حكومات وبرلمانات ، وكانت الدنيا فى بعض العهود ميادين قتال بين الآراء والأهواء

فإن لم نر ذلك اليوم ، وهو فى رأيى قريب ، فلنخلقه فى صدورنا ، ولنكن رجالاً يستفتون ضمائرهم فى جميع الشؤون ، ولا يخافون الناس ، لأن النزاهة الروحية تخلق الأمان والاطمئنان ، ولأن الصدق يحمى صاحبه من عدوان الباغين والظالمين .

وسبحان من لو شاء لحقق هذا الرجاء .

زكى مبارك

حكم فى الجنحة العسكرية ٣٤ أبو قرقاص سنة ١٩٤٣ بجلسة ٢٢ /٢ سنة ١٩٤٣ بحبس وديع ملك ميخائيل كاتب بشركة الغاز المصرية ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لبيعه كروسين بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ١١٦٢ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح علقاية ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (اللحم) بأزيد من السعر المحدد

حكم فى القضية ١٠١ سنة ١٩٤٣ ضد أحمد صبر فخرى عبد الموجود غزالى بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه ونشر الحكم وتعليقه وإغلاق المحل ثلاثة أيام ومصادرة القماش موضوع الجريمة لامتناعه عن بيع قماش بالسعر المحدد

قلمى !!

للأستاذ « د . خ »

إلىّ إلىّ يا قلمى فاكتب صلاتى وخُطّ نُسُكى !
إن غِناءك القديم يُفعم قلبى بذكريات الجمال والحب ، فاصدحْ كمهدك ، ورقرق أناشيدك ، واسكبْ فى روحى الظامئةِ أغاريدك !

طالما غنيْتَ يا قلمى الحبيب فأصغَتِ السماء ، وتهلل البدر ، ورقصت الملائكة ، واهتز الورد ... فماذا أصابك ؟

هات يا قلمى كأسَ بيانك نشربْها على ذِكْرِ الماضي الجميل الفِضّىّ الذى غدا أحلاماً كالحمائم البيض ، تَرِد ظِماءً وتصدُرُ ظِماءً ، فأين ماؤك ؟

هل حقٌّ أن جَنّتك أوشكت أن تُصَوّح ، وأن يَنبوعَك كاد أن يغيض ؟ إذن فأين أنتَ فى هذه الدنيا الصّاخبة التى تُدَوّى فى المشرقيْن ، وتضطرب فى المغربيْن ، وأنت مُنطَوٍ على نفسك ، عاكفٌ على أحزانك ، سادرٌ فى آلامك ، يُشجيك أن أعز الإخوان عليك قد هجرك ، وأن مرضاً ألمّ بصاحبك فقطعه عن الدنيا قد كدّر عليك صفو الحياة ، وأن المروءة والوفاء قد ذهبا أدراج الرياح ، فلم يكتب إليك حبيب ، ولم يحن إلى لقائك إلف ، ولم يُسْلِكَ فى وحدتك الوحشةِ مواس ! !

لله يا قلمى ما أبدعت لأحبائك من جناتٍ ، وما فجّرتَ فى جنّاتك من عيون ، وما جعلت فيهن من حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون !

ألم تصور لهم شباباً لا يعرف الهرم ، وجمالاً لا تمتد إليه يد الذبول ؟

ألم تلهب أفئدتهم بالحرارة التى أشعتَها فى كلماتك ، والأحرف العاشقة التى نفثتَها من شباتك ؟

ألم تجوّد لهم ألحاناً أرْويت بها نفوسهم الصادية ، وأسكنتهم منها فى قصور عالية ، من نور وبَلُّور ؟

ألم تُبدع لهم طوبى من وَرْد وريحان ، وبهار وسُوسَان ، فمنحتهم دمك ، وخلعت على شيخوختهم شبابك ، وأغشَيتَ بطول السهر من أجْلهم عينيك ، وجلبْتَ على صاحبك العناء ليستريحوا ، والشقاء لينعموا ، والمرض ليصحوا ... وأنت مع ذاك متنفّسى الذى لا أعرف أن أشكوَ إلا إليك ... ولا أستمد العَوْن إلا منك ، ولا أفرّج الكربة عن صدرى إلا بك ، ولا أستروح الحياة إلا فى ظلك ، ولا أجلو صَدَأها إلا بشدوك ، ولا أنير حلكتها إلا بنور إيمانكَ ، حتى تَنقشعَ ظلماتُها بما ترقرق فيها من ضوء بيانك ، وتنجاب غياهبُها بفيضٍ من لألاءِ عرفانك ! !

لماذا صمتّ هكذا يا قلمى الحبيب ؟ ألست تُحسِن أن تغنى مع هذه الأقلام التى تملأ الوادى دَوِيّا ؟ ألست تُجيد أن تنبت الزهر يانعاً فى قلوب العذارى ؟ ألست تستطيع أن ترقرق الدمع فى عيون المحبين ؟ ألست تقدر أن تسكب فى قلوبهم رضى ورحمة ؟ ألا يسعك أن تَشْدُوَ فى هدأة الليل النائم فتلين أفئدة وتتسلى أفئدة ؟ ! هل هكذا تنسى أُودّاءك المكلومين والمحزونين ؟ تخاف علىّ ؟ لماذا ؟ لأن الأطباء آثروا عافيتى على عافيتك ؟ وأى أديب لا تساقط نفسه من قلمه أنفُساً ؟ تُرْ على الطب يا قلمى جعلت فداءك ! ! إن الذى يقتلنى هو هذا الصمت وذاك السكون ! ! ما قيمة الحياة التى تنقضى فى مثل هذه العزلة الرخيصة والركود الآسن ؟ ! لقد مللتُ من طول ما قرأتُ فلا تجعلنى أنانياً ! لماذا أعيش فى سجن هذه الوحدة لنفسى فقط ، فلا يكاد الوجود يحس بى ؟ لماذا آخذ ولا أعطى ؟ لماذا جمدت الدموع فى عينىّ ، والرحمة فى قلبى ، والشعر فى روحى ، فلست أبكى فى هذه الزحمة من البكاء والآلام والدم ؟ أبأمر الأطباء تصمت عامين طويلين يا قلمى الحبيب ؟ هل انتفعت إذن بهذا الصمت الطويل ؟ هل رد جودك بُرْدَ الشباب على جسمى المحطم ؟ هل أسا العِلّةَ تخلّفُك عن موكب الحياة ؟ تصمت عامين كاملين فى أحفل حقبة من عمر الإنسانية ، وخلال مأساتها الدامية ؟ ألا ما أرخص الحياة التى يُبقى عليها أطباؤك ، وما أحبّ إلىّ أن تتخذ من دمائها مداداً يكفى لكتابة سطر فى سجل محنتها !

منعك أطباؤك من إدمان السهر ، فهل نمت ؟ وحظروا عليك طول الإكباب على الكتب فهل سلوت ؟ وقالوا لك أرح

ذهنك فهل منحوا أطياف المعرفة من الإلمام به ؟ لشد ما ضحكوا عليك ولهوْا بك يا قلبى الحبيب ! ولشد ما أضحكوا عليك هوميروس وإسخيلوس وصحبهما الآخرين ! !

إستيقظ إذن !

فتّح أكمامَ الورد وآماقَ النرجس وحدقَ البنفسج ، وأرْوِ روح الحديقة الظامئ مما عندك من أمواه الغزل والحب والجمال !

إستيقظ إذن ! واسكب الشعر والأضواء والمباهج فى حواشى الكون ، وأطلق بلابلك تخفف من أشجان العذارى بالتسجيع والترجيع ، وتملأ الدنيا غناء وموسيقاً !

تطمع أن تعيش عمراً طويلاً راكداً هكذا ؟ إذن ما فائدة هذا العمر الطويل الذى لا يصلك فيه بالعالم شيء ؟ ما قيمة هذا الظلام الذى لا يتألق فيه نجم ؟ ما أشبه خطأ الأطباء فى هذا بالغلطة التى وقعت فيها أورورا ! ! هل تذكر أورُورَا ؟ هل تذكر ربة الفجر ذات الأنامل الوردية ؟ هل تذكر حينما أحبَّت الفتى تِيتُون حبًّا دَلَّه فؤادها وأرق نومها وسعَّر أنفاسها وجعلها تخر تحت أقدام الآلهة فى أولمب طالبةً له الخلود ، فلما أوتيت سُؤْلها وفرحت به ، وراحت تحتسى وإياه أفاويق الغرام أياماً بعد أيام ... ذكرت أن تيتون من بنى الموتى ... وأنه لا بد أن تدركه الشيخوخة يوماً ما ... ثم كان ما خافت أورُورَا أن يكون ... وشرع الشيب يُنبت إبره فى رأس فتاها الحبيب ... فلما تنهدت ... و ... صبرت ! لكن الوجهَ الجميل المشرق ، والفمَ الرقيق الباسم ، والجسمَ القوى السَّامق ، والأذرع الملفوفة العاتية ، والنفس المتدفقة الحارة ، ... و ... والشباب الفَيْنان الذى كانت تلف حوله الصبوات والأماني ... كل ذلك أخذ يخبو ويخمد ، ويتغير ويتبدل ، حتى أمسى تيتون كومة من الحطام ... والذكريات ! ! فزهدته أورُورَا وعافته ، بعد ما أسفت على أنها لم تسأل له الآلهة مع ذاك الخلود الذى لا نهاية له ، شباباً لا آخر له ... ولما ضاقت به ، تمنت على الآلهة الأمانى فسبخته ! ... وهكذا كانت خاتمة تيتون !

فهل تريد لى عمراً طويلاً كعمر تيتون يا قلبى الحبيب ؟ لشد ما يفزعنى ذلك ! لشدَّ ما تفزعنى هذه الشيخوخة التى يثقل فيها الأب على الأبناء ، ودبيب القدم المتهالك على أديم الغبراء ! إطْوِ عشرين حجة فى غيابة المستقبل ثم ابحث عن بريق عينيك تجد فيهما ظلاماً ، وعن تألق وجنتيك تر فوقهما قتاماً ، وعن آمال الفؤاد تجدها مِلْئه آلاماً ! !

انفذ يا قلبى إلى حديقة الحياة فوسوس فى آذان الورد ، واطبع القبَل فوق أجياد الزنبق ، وانفث السحر فى صفحة الغدير ، وسقسق مع البلابل لتسلى المنبولين ، وغنِّ فالقافلة قد جدَّ بها المسير !

حذار يا قلبى الحبيب أن تكون متجهماً للحياة أو ناقماً على الناس ، فأنت هنا لتبدع شيئاً جميلاً فى هذه الدنيا ، أو لتكمل نقصاً من كثير من أوجه النقص التى تعيبها ... وماذا تنقم من الناس ؟ ولماذا لا تنال شرفك بأن تكون خادمهم المتواضع ؟ ألست ترى إلى هذه الأقلام المتهافتة التى تنفث السم فى أخلاق ذويك ؟ ألست تراها كيف تغازل الشهوات النائمة ، والعواطف الرخيصة ، والألباب الشاردة ، والقلوب الضالة ؟ تفتنها بالأدب المخنث ، وتهيجها بالأسلوب الماجن ، وتمزق حياءها بالغرام الذى لا يخجل ، والفسوق الذى لا يرعوى ، والرذيلة التى جثمت على صدر فرنسا فأوهت بنيانها وزلزلت أركانها وأسلمتها للهوان والخذلان ! ... يكتبون للشرق عن غادات بلزاك ، وقيان شاتوريان ، والعبد الأسود الذى تَسَوَّرَ إلى شهرزاد فى فحمة الليل ليطفئ ما فى قلبها ولتطفئ ما فى قلبه ... !! يا للهول !! ماذا يكتب هؤلاء الضالون لهذا الوطن المنكوب بهم ؟ ! متى كانت مصر فى حاجة إلى فولاذ ينصب فى أخلاق بنيها كما هى اليوم ، بدلاً من هذا السم الذى تتجرعه ولا تكاد تسيغه ؟ ... وأنت مع ذاك يا قلبى تغط فى سباتك العميق لا توقظك أحداث الزمن ، ولا تدميك صرخة الإنسانية ، ولا يُفزعك أنين السماء ، ولا يُشجيك بكاء الملائكة ، ولا يُروِّعك أن يأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان ! لقد انتهت الإنسانية إلى المأساة التى أفزعت أفلاطون وأوحت إليه أحلام الطوبى ، وروَّعت توماس مور ووسوست إليه برُؤى الفردوس ... الفردوس الجميل الشعرى الذى يلهم المفكرين ويغازل ألباب المصلحين ! ! لماذا تغمض هكذا أيها القلم كما يغمض الطفل المفزوع يرى المنظر المروِّع فيطير له لبه ، وينخلع له قلبه ، وتطير نفسه شعاعاً ؟ ألا يجد يداً

عطوفاً فتنقذه ، ولا نجدة من السماء فتباعد بينه وبين ما يرى ؟!

ألا لقد أصبحت خشيتك الأطباء تعلة ، هي أقسى على صاحبك من العلة ؛ وصار خوفك على صحته من الداء ، داء أشق على روحه من جميع الأدواء ... وها أنتذا قد أصابك الصمم ، وجرّ عليك سكونك البكم ، فلست تتوجع لأبناء وارسو ، ولا يضنيك أن يحصد الموت شعب روتردام ، ولا يهمك أن تنشق الأرض تحت كوفنترى ، ولا أن تبيد ستالينجراد ، ولا أن يبلع اليم جواريه ؛ ولست ترثى لعذارى كييف ، ولا يفزعك ما أنزله الثاورون بكولون ... ثم ها هي ذى اليونان العزيزة ، هيلاس الخالدة ، جنة الأولمب وفردوس الخالدين ... اليونان التي حَبَّبتُك عليها طويلاً يا قلبي ، فعلمتك الجمال وألهمتك الفن وجرى منها في عودك ماء الحب ... اليونان التي وهبتْك أحلامها واستودعتك أسرارها وتفيأْت تحت شباتك ظلالها ... هل ذكرتها في تلك المحنة الطائلة التي لطمت فيها قفا التنشدق ، وهزمت جيوش باعة الإسفنج ، حتى أتاها الهون فأضاعوا شجاعتها بكثرة العدد ، وطفوا فيها على مارس بالعُدد ، فأذلوا الأولمب ، ودنسوا رحاب زيوس ، ونشروا سمادير الكآبة على جبين مينرفا ، وأطاشوا سهام كيوبيد ، وفجروا الدمع من عيني ڤينوس !!

أما تزال تبكي يا قلبي الحبيب ؟! أما تزال تؤثر الصمت إشفاقاً على صاحبك ، ورثاء لأخيك ؛ إذن ... فاليك البشرى التي تأسو علتك ، وتمسح عَـبْرتك ، وترد عليك ما فاتك من شباب ... ها هو ذا صاحبك يتفيأ ظل الجنة التي تحوطه فيها القلوب الحبيبة .. القلوب التي تطب له ما لم يطب الأُساة النُطس ، وتعالجه في جنباتها الأرواح الطاهرة التي سلمت من كل رجس ، فهي لصاحبك من علته شفاء . (د . خ)

إلى الأب أنستاس مارى الكرملى

لا ... بل النحاة واللغويون ثقات !

الأســتاذ عبد الحميد عنتر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

القسم الرابع

فعلول (المفتوح الأول)

١ — جاء فى « الرسالة » بالعدد (٥٠٤) بين قوسين هكذا (المفعول الأول) ، بعد لفظ (فَعْلول) ولعله تحريف ؛ وصوابه (المفتوح الأول) .

٢ — أثبت الأب هنا قول اللغويين : إنه لم يجىء على زنة (فَعلول) إلا لفظ (صَعفوق) وهو اللئيم من الرجال ، أو بلدة باليمامة ؛ ثم أخذ ينفخ فى بوق (توت عنخ أمون الحربى) حتى أثارها حرباً شعواء ، أشنَّها على جميع اللغويين : القدامى منهم والمحدثين . قائلاً : لقد فحصت ونقبت ، وحققت ودققت ، فإذا الكلمات التى جاءت على هذا الوزن تبلغ الثلاثين أو تزيد ، وإذن فيجب نقض القاعدة القائلة : « ليس لفعلول فى اللغة سوى حرف أو حرفين » وتذريتها فى الهواء هباء منثوراً . انتهى كلامه ببعض تصرف

قلت (وهو ختام القول) : إن الذى قاله اللغويون وتبعهم النحاة صحيح مستقيم ، وإن القاعدة التى أسسوها متينة سليمة .

وإيفاء بما وعدت من الإيجاز أجمل ردى فيما يلى :

١ — إن الـ ٢٩ حرفاً التى زادها الأب على كلمة (صعفوق) موزعة كما يأتى :

(بعضهـا) منكر لم يثبت إلا بطريق الاستنتاج ، وهو (صعقول) لضرب من الكمأة !

(وبعضهـا) روى بالضم والفتح ، ولكن الضم أفصح وأشهر . من ذلك : عُصفور ودُستور وبُرغوث وخُرنوب (الخروب) وبرشوم (أبكر النخل بالبصرة)

(وبعضها) على زنة (فَعَلول) بفتحتين ، وهو (قَرَبوس) ، وسكون الراء لغة ضعيفة .

(وبعضها) على زنة (فَعْلون) لا (فعلول !) ومنه : حمدون وسعدون وخلدون وسحنون ، والضم فى هذا أفصح ، وعبدون ، ويكثر هذا الوزن فى الأعلام الشخصية .

٢ — عجبت كل العجب كيف يذكر الأب حمدون وما على شاكلته ، ممثلاً به لما جاء على (فَعلول) ، مع أن قواعد الميزان الصرفى تأبى ذلك كل الأباء . وإنما هى على زنة (فعلون) كما بنيت ، وكما هو مسطور فى كتب التصريف ! !

٣ — أتحدى « الأب » أن يأتى بكلمة واحدة ، عربية أو معربة ، جاءت على وزن (فَعْلول) بفتح فسكون باتفاق علماء اللغة غير صَعْفوقَ المعرب من اليونانية كما قيل . إن فعل ذلك كنت له من الشاكرين .

٤ — كثرة ممارستى لتدريس « علم الصرف » تسمح لى بأن أستفتح السر في امتناع العرب من النطق بألفاظ على زنة (فَعْلول) استقلالاً .

وبيان ذلك ، أن العرب أكثرت من استعمال الألفاظ التى على وزن (فُعْلول) بضم الأول ، أصيلة ومعربة ، كالشمروخ (فرع العِذق) ، والأُثكول والعُثكول (كلاهما بمعنى الشمروخ) ، والعُنقود والعصفور والدُّستور ، وغيرها كثير فى اللغة ، ولم تستعمل على زنة فَعْلول إلا صعفوق المعرب ، ومع ذلك روى فيه ضم الأول وإن كان ضعيفاً . والسر فى هذا خفة الانتقال من ضم إلى ضم بينهما سكون . فالضم فى الأول يناسب الواو التى قبل الطرف . أما بناء (فَعْلول) الذى

كلامنا فيه ، فأوله مفتوح . والفتحة لا تناسب الواو التى هى بنت الضمة ، ففيه الانتقال من الفتح ، وهو خفيف ، إلى الضم وهو ثقيل ؛ ولم يحفِل العرب بالسكون المتوسط الذى يخفف أمر الثقل ؛ لأن الضم بعده سكون ثم ضم ، أسلس فى لسانهم من فتح بعده سكون ثم ضم ؛ لذلك كان فتح الأول فى الكلمات التى ورد فيها الضم لغة ضعيفة متروكة . وهذا تعليل لما اقتضاه ذوق العرب آمل أن يكون صحيحاً .

وبعد ، فقد أثبت البحث اللغوى ، أن النحاة واللغويين ، كانوا على يقين لا يخالجه شك ، حين قالوا : (ليس فى اللغة اسم على وزن فعلول غير (صعفوق) وقد انعقد الإجماع على أنه معرب دخيل ! وإذن فليس للأب أنستاس ، ولا لغيره من أرباب البحوث اللغوية بعد هذا البيان — أن يرفع عقيرته فوق المنبر الأدبى العلمي العالمى منبر « الرسالة » بقوله : (لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين) بل الأجدر به والأليق بمنزلته أن يقول : إن اللغويين والنحاة ، أعلام أثبات ثقات .

وأقول أخيراً : إنى لا أجد مثلاً للنحاة واللغويين مع الأب أنستاس ، إلا قول من قال :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الأبل

وقول الآخر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافيـة هجانى

جمّلنا الله بحلية الأدب ، وجنبنا مواقع الخطل والزلل ، بمنه وكرمه .

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية



للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

في كتابه قصة الموميـــاء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

بالقرب من سلسلة جبال ليبيا يقع حى ممنون الذى يسكنه من يهيئون حاجات الموت ، لأن عمله لا ينقطع أبداً ، وعبثاً تنتشر الحياة بضوضائها ، فالعصائب تجهز ، والتوابيت تغطى بالنقوش الهيروغليفية ، وبعض الأجداث الباردة ممتد على سرير الموت ذى القوائم التى تحاكى أرجل الأسد أو ابن آوى وينتظر أن يزين الزينة الأبدية .

ولدى الأفق الجبال الليبية تتضح قممها الجيرية فوق صفحة السماء النقية ، ويبدو جسمها الأجرد الذى نحتت فيه النواويس والقبور .

وعندما يتجه المرء ببصره إلى الجانب الآخر من النهر لا يجد المنظر أقل من ذلك جمالاً : فأشعة الشمس تكسو باللون الوردى سفح سلسلة جبال العرب ، والهيكل الضخم الهائل لقصر الشمال استطاع البعد أن يصغره قليلاً ، وقد نهضت أبراجه من الجرانيت ، وأعمدته الهائلة فوق منازل المدينة ؛ وأمام القصر تمتد ساحة فسيحة تسلم إلى النهر بسلمين على الجانبين ، وفى الوسط طريق الكباش يقود إلى برج ضخم ، يسبقه تمثالان هائلان وزوج من المسلات العالية يقطع رأساها الهرميان زرقة السماء الصافية .

وإلى الخلف من أعلى حائط السور يبدو جانب معبد آمون ، وإلى اليمين قليلاً ينهض معبد « خنسو » ومعبد « أفت » ويرى وجه برج ضخم ، ومسلتان طولها ستون ذراعاً تبينان مبدأ هذا المشى الهائل ، ذى الألف من التماثيل التى جسمها جسم أسد ورأسها رأس كبش ، ويمتد هذا المشى من قصر الشمال إلى قصر الجنوب ، وعلى جانبيه نرى هذه التماثيل الكبيرة مستديرة النيل

وبعيداً من ذلك يتراءى غير واضح فى الأشعة الوردية أفاريز عليها قرص الشمس الساحر ناشراً جناحيه الواسعين ، ورءوس التماثيل الضخمة ذات الهيئة الوادعة ، وزوايا الصروح العالية ، والطنوف المنضدة ، ومسلات من الجرانيت ، ومجموعات من النخيل يتفتح سمفها كأنه باقات من العشب ، وقصر الجنوب قد زها بحيطانه العالية الملونة ، وسواريه المزينة بالأعلام ، وأبوابه الماثلة ومسلاته ، وقطمان أبى هوله ؛ وفضلاً عن هذا ، كلما امتد الطرف استطاع أن يرى طيبة تمتد بقصورها وكليات كهنتها ومنازلها ، ويجد خطوطاً زرقاء ضعيفة ، تشير فى نهايات الأفق إلى قمم الأسوار ورءوس الأبواب

كان ميدان العرض شاسعاً قد مهد بعناية لإبداء العظمة العسكرية ، وبه أطورة يجب أن يكون قد استخدم فيها طيلة سنوات عديدة عشرات الأجناس التى قيدت إلى مصر مستعبدة ؛ وهذه الأطورة تكون إطاراً بارزاً لهذا المستطيل العظيم ، وخلفها حيطان من اللبن مصنوعة بانحناء ، ويقف عليها ، على ارتفاعات متفاوتة مئات الآلاف من المصريين الذين يظلون فى اضطراب دائم ، هذا الاضطراب الذى يميز الجمهور ، حتى حين يبدو أنه لا يتحرك ، وتلمع فى الشمس ملابسهم البيضاء أو المزخرفة بألوان ناصعة .

وخلف هذا النطاق من النظارة تجد العجلات والعربات والهوادج ، يحرسها الحوذيون والسائقون والعبيد ولها منظر شعب راجل ، فقد كان عددها عظيما جداً ، وإن طيبة عجيبة العالم القديم كان بها من السكان ما يربى على بعض الممالك

وكان الرمل المجتمع الدقيق للميدان الواسع المحاط بمليون رأس ، يلمع كأنه معدن براق تحت ضوء يسقط من سماء زرقاء ، كأنها مينا تماثيل أوزيريس

إلى الجانب الجنوبى من ميدان العرض ينقطع البناء ، وينفتح طريق محاذ لسلسلة جبال ليبيا ، ويمتد إلى بلاد النوبة العليا ، وفى الجهة المقابلة ينشق الجدار ، ويسمح للطريق لأن يستمر حتى قصور رمسيس ، عابراً بين الحيطان الضخمة

سمعت من بعيد ضجة عجيبه مبهمة قوية ، كضجة البحر ، حين يقترب ، وغلبت ضوضاء الجماهير . وهكذا يصمت زئير الأسد سواء جماعات ابن آوى . وبعدئذ أخذت تتميز أصوات الآلات من بين هذه العاصفة الأرضية التى أثارتها عربات الحرب

والمشية المتزنة للرجال من المحاربين ؛ وقد ملأ هـذه الناحية من السماء غبار مصفر كهذا الذى تثيره رياح الصحراء ؛ ومع ذلك كان الجو راكداً فلم تـكن تهب نسمة واحدة ؛ وأدقُّ سعف النخل ظل ساكناً لا يتحرك ، كما لو كان منحوتاً من الجرانيت على رءوس أعمدة من الصخر ؛ ولم ترتعش على الخدود الندية للسيدات شعرة واحدة ، والعصائب المزخرفة التى زينهن بها الحلاقون تمتد متكاسلة خلف ظهورهن

هذا الغبار الناعم قد أثاره الجيش وصار فوقه كسحاب أشقر زادت الضوضاء ، وانشقت عاصفة الغبار ، وبدأت الصفوف الأولى من الموسيقيين تبدو فى الميدان الواسع لتنعش الجمهور الذى بدأ يتعب من الانتظار تحت شمس تذيب الجماجم إلا جماجم المصريين

وقفت طليعة الجيش من الموسيقيين بضع لحظات ، وأخذ جماعات القسس والمنتخبون من أعيان مدينـة طيبة يعبرون ميدان العرض ليستقبلوا فرعون ، واصطفوا على هيئة سياج ، عليهم أعظم مظاهر الاحترام ، وتركوا الطريق حراً لمرور الموكب

لقد كانت الموسيقى التى تستطيع وحدها أن تـكوّن جيشاً صغيراً ، تتألف من الطبول والطنابير والأبواق والصلاصل

مرت الفرقة الأولى تغنى لحناً مدوياً هاتفاً بالنصر ، فى أبواق قصيرة من النحاس اللامع كأنه الذهب ، وكل واحد من الموسيقيين يحمل نفيراً آخر تحت إبطه ، فـكأن الآلة هى التى تتعب لا الرجل

كان زى هؤلاء الجند مكوناً من نوع من السراويل قصيرة ، مضمومة بمنطقة طرفاها العريضان يتدليان إلى الأمام ، ومن عصابة غرس فيها ريشتان من ريش النعام ، مختلفتا الاتجاه ، وهذه العصابة تضم شعرهم الثقيل . ووضع الريش كذلك يذكرنا بقرون الجعارين ، ويمنح الذين يتزينون بها منظراً غريباً كالحشرات

وضاربو الطبول يلبسون دروعاً مثناة لخسب ، ويضربون بقضب من خشب الجميز جلد حمر الوحش لطبولهم المعلقة بحمالات من الجلد ، متبعين النسق الذى يعينه رئيس لهم يضرب بكفّيه ، وكثيراً ما يتجه إليهم

يأتى بعد ضاربى الطبول اللاعبون بالصلاصل ، وهؤلاء يهزون آلاتهم بحركات عنيفة متقطعة ، ويدقون فى نظام حلقاتهم المعدنية على قضب أربعة من البرنز .

وحاملو الطنابير يعرضون أمامهم طنابيرهم المستطيلة والمحمولة بمصابة خلف أعناقهم ، ويدقون عليها بقوة بمقابض أيديهم

كل جماعة من الموسيقيين ليست بأقل من مائتى رجل ، ولـكن عاصفة الضوضاء التى تنتج من الأبواق والطبول والصلاصل والطنابير ليست بذات خطر ، ولا هى مخيفة تحت قبة السماء الواسعة ، وفى وسط هذا الفضاء الشاسع ، وبين طنين هذا الشعب ، وعلى رأس جيش يتقدم وله عجيج المياه الثجاجة

وهل كثير أن يتقدم ثمانمائة من الموسيقيين ركب فرعون ، محبوب آمون — رع ، والذى أقيمت له التماثيل الضخمة من البازلت والجرانيت ترتفع إلى ستين ذراعاً ، وقد نقش اسمه على الآثار الخالدة ، ونحت تاريخه وصور على حيطان ردهات المعابد ذات الأعمدة ، وعلى جدران الأبراج ، والأفاريز التى لا تنتهى ، وصور صوراً لا حصر لها ؟ أيكون كثيراً على ملك قابض على ناصية مائة شعب مغلوب ؟ على حاكم يؤدب الممالك بسوطه من أعلى عرشه ؟ على شمس حية تبهر الأعين وتريغها ؟

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أحمد جبوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

من معارج الروح

نحن ؟ !

نَسَخَتْنِي رُوحِكِ السَّمْحَةُ شِعْراً وَمُنَى
وَشَدَتْ بِي فِي الْمَحَارِيبِ صَلَاةً وَغِنَا
ثُمَّ نَدَّتْ أُفُقَ الرُّوحِ جَلَالاً وَسَنَا
أَنْتِ يَا دُنْيَايَ مَنْ أَنْتِ ؟ وَآهاً ! مَنْ أَنَا !

أَنَا فِكْرٌ عَاشَ فِي ظِلِّكِ فَنًّا سَامِيَا
أَنَا طَيْفٌ رَفَّ فِي وَادِيكِ مَعْنًى شَاكِيَا
أَنَا نَايٌ ذَابَ فِي قُدْسِكِ لَحْناً شَادِيَا
أَنَا رُوحٌ طَارَ فِي الْحُبِّ فَرَاشاً صَادِيَا

أَنَا هَذَا ، مَرَّةً أُخْرَى ، فَمَنْ أَنْتِ إِذَنْ ؟
أَنْتِ مَنْ تَسْمُو وَتَسْتَعْلِي عَلَى فِكْرِ الزَّمَنْ
أَنْتِ مَنْ طَهَّرْتِ مِحْرَابِي بِأَقْبَاسِ الْفِتَنْ !
أَنْتِ مَنْ فَجَّرْتِ عُودِي فِي سَمَوَاتِكِ فَنْ

ثُمَّ مَنْ نَحْنُ جَمِيعاً ؟ نَحْنُ خَمَّارٌ وَشَرْبُ !
نحن مَسْحُورَانِ يَا دُنْيَايَ : عَيْنَانِ وَقَلْبُ ؟
نَحْنُ قِدِّيسَانِ فِي الْمَعْبَدِ : قُرْبَانٌ وَرَبُّ !
نَحْنُ فِي الدُّنْيَا ، كَمَا شِئْنَا ، صَبَابَاتٌ وَحُبُّ !

(القاهرة) محمد الديب صابر

دمعة على الماضى !

ثَارَتْ بِقَلْبِي ضَيْعَةُ الْحَيْرَانِ   فِي اللَّيْلِ وَامْتَصَّتْ دَمِي أَحْزَانِي
وَوَجَدْتُنِي سَأْمَانَ لَيْسَ يُحِيطُ بِي   إِلَّا طُيُوفُ مَتَاعِبِي وَهَوَانِي !
لَهْفَانَ أَرْسُفُ فِي قُيُودِ مَوَاجِعِي   وَتَشُوقُ نَفْسِي فَرْحَةَ الطَّيَرَانِ
أَجْتَازُ أَشْجَانِي الَّتِي قَدْ أَغْرَقَتْ   أَسْرَارَهَا رُوحِي إِلَى أَشْجَانِ !
فَكَأَنَّ رُوحِي مَوْجَةٌ مَدْفُوعَةٌ   غَمَرَتْ صُخُورَ الْحُزْنِ فِي شُطْآنِي
لَكِنْ أُحِسُّ بُرُوزَهَا لَا يَنْثَنِي   مُتَجَمِّداً بِالْيَأْسِ فِي أَرْكَانِي !
وَكَأَنَّ عُمْرِي شَاطِئٌ مُسْتَوْحِشٌ   قَدْ بَاعَدَتْهُ غَمْرَةُ النِّسْيَانِ
فَسَعَتْ مِنَ الْمَاضِي إِلَيْهِ زُمْرَةٌ   مِنْ ذِكْرَيَاتِي عَذْبَةُ الْأَلْوَانِ
أَذْكَى تَخَطُّرُهَا بِنَفْسِي حَسْرَةً   أَبَدِيَّةً مَشْبُوبَةَ النِّيرَانِ ! ...
مَا مَاتَ مَاضِيَّ الَّذِي أَحْبَبْتُهُ   لَكِنَّهُ يَمْشِي عَلَى وِجْدَانِي !
إِنِّي أَرَاهُ ! غَيْرَ أَنَّ زَمَانَهُ   وَلَّى ، وَعَزَّتْ خُدْعَةُ السُّلْوَانِ
وَكَأَنَّ ذَاكَ الْعَهْدَ أَيْكٌ سَاحِرٌ   أَنَا مِنْهُ مَطْرُودٌ عَنِ الْأَكْنَانِ
وَلَئِنْ يُحَلِّقُ بِي حَنِينِي فَوْقَهُ   فَإِلَيْهِ مِنِّي دَمْعَةُ الْحِرْمَانِ
تِلْكَ الْعِشَاشُ سَكَنْتُهَا وَحَبِبْتُهَا   هِيَ مَا مَضَى مِنْ رَاحَتِي وَأَمَانِي
أَوَّاهُ لَوْ حَنَّتْ إِلَيَّ وَأَوْمَأَتْ   لِي أَنْ أَعِيشَ بِظِلِّهَا الْفَيْنَانِ
وَحَطَمْتُ هَذَا السَّدَّ عَنِّي عَابِراً   نَحْوَ الْقَدِيمِ مَفَازَةَ الْأَزْمَانِ
مُتَخَطِّياً أَسْوَارَ عَيْشٍ حَاضِرٍ   قَدْ خَصَّنِي بِالظُّلْمِ وَالنُّكْرَانِ
وَجَثَوْتُ فِي أَظْلَالِهِ مُتَمَنِّياً   لَوْ أَنَّهُ بَاقٍ ! بِلَا دَوَرَانِ !
لَكِنَّ شِرْعَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا جَرَتْ   بِالْعُمْرِ نَحْوَ نِهَايَةِ الْإِنْسَانِ
هَيْهَاتَ أَحْيَا فِي الْقَدِيمِ ، فَقَدْ مَضَى
وَأَفَقْتُ مِنْهُ عَلَى الْأَسَى أَبْكَانِي

عبد الرحمن الخميسي

عودة « الرسالة »

جنَّ بى شوق إلى طيف الرسالة   فتلفَّت عسى ألقى خياله !

مهبط الإلهام والسحر العجيب
ومنار العلم والفنِّ الحبيب
والهدى البسَّام فى ليل الكروب
كم أضاءت ظلمة الشك الرهيب
بالذى يفتن من سحر الأديب
والذى يبهر من فنٍّ خصيب
كيف غابت عن عيونٍ وقلوب
علَّمتها كيف تشدو بالنسيب



ذو القرنين هو الإسكندر المقدوني

ظهر في العدد — ٥٠٦ — من مجلة الرسالة الغراء مقال لبعض الفضلاء تحت عنوان — هل الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور في القرآن، وقد أنكر فيه أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر، وذهب في ذلك مذهباً يكفي في ظهور بطلانه أن الأدلة التي أتى بها لإبطال المذهب الأول تبطله أيضاً. ولا أضعف من مذهب تقوم أدلة صاحبه على بطلانه، فقد أنكر أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر لأنه كان وثنياً، وذو القرنين بنص القرآن كان مؤمناً، ولأن ذكر القرآن لذي القرنين كان جواباً عن سؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم عن شخص لم يذكروا اسمه، جاب الدنيا شرقاً وغرباً، وكان له ملك عظيم، وهم يقصدون بذلك ما ورد في رؤيا دنيال أنه رأى كبشاً ذا قرنين، وقد فسر ذلك بمملكة فارس التي لم تكن ظهرت بعد، ثم رأى كبشاً ذا قرن واحد يهجم على الكبش ذي القرنين ويقتله، وقد فسر ذلك بملك من اليونان يظهر ويقضي على دولة الفرس؛ وعلى هذا يكون المقصود بذي القرنين دولة الفرس، وبذي القرن الواحد الإسكندر المقدوني

فالدليل الأول إذا أبطل أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر يبطل أيضاً أن يكون هو دولة الفرس، لأنها كانت دولة وثنية غير مؤمنة. والدليل الثاني إذا أبطل أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر، لأنه كان في تلك الرؤيا ذا قرن واحد، يبطل أيضاً أن يكون ذو القرنين هو دولة الفرس، لأن سؤال اليهود كان عن شخص لا عن دولة، والقرآن صريح أيضاً في أنه كان ملكاً واحداً لا ملوكاً متعددة، وحمله مع ذلك على دولة الفرس بمكان من التهافت، وهو أضعف ما قيل في ذي القرنين من الأقوال الكثيرة

هذا ولاشك أن رؤيا دانيال كما لم تقتض أن يلقب الإسكندر بذي القرن الواحد، لا تمنع أن يلقب بذي القرنين لسبب من الأسباب. وقد جاء في مجلة المقتطف أنه عثر على نقود مضروبة في عهده، فوجد فيها صورته والتاج بقرنيه على رأسه، ولا أدل من هذا على أنه كان معروفاً بذلك اللقب. وقد ذكر ابن العبري المؤرخ السرياني أن الإسكندر المقدوني هو الذي بنى سد يأجوج ومأجوج، وأنه شرع بعده في بناء السد الأعظم بمدينة باب الأبواب، فوضع له أساساً عظيماً، وقد بحث عنه ملوك الفرس حتى عثروا عليه، وبنوا عليه ذلك السد الذي فرغوا منه في عهد كسرى أنوشروان. وكاتب ذلك المقال يرى أن هذا السد هو سد يأجوج ومأجوج، فإذا صح ذلك فهو من بناء الإسكندر كما ذكره ابن العبري

وقد وفقت في مقالي الأخير من مقالاتي — الحضارات القديمة في القرآن الكريم — بين إيمان ذي القرنين في القرآن وبين ما ورد في تاريخ الإسكندر مما لا يتفق ظاهره مع ذلك، وأزيد على ذلك هنا أنه ورد في كتاب مناهج الألباب المصرية لرفاعة بك، أن الإسكندر كان يتظاهر باتباع ديانة ما يفتحه من الممالك وإن لم تكن صحيحة في رأيه، يقصد بذلك التقرب إلى أهلها، وحملهم على حب حكمه. على أن تلك الآلهة كانت في أصلها رجالاً من عظماء قومهم أو صلحائهم، ومن الممكن أن يكون تعظيم الإسكندر لها بالنظر إلى أصلها، وأنه لم يكن يعتقد أنها آلهة، وهذا يكفي في نفي الوثنية عنه. ولا يفوتني أن أنبه صاحب المقال إلى أن هولاكو كان أسبق من تيمورلنك

عبد المتعال الصعيدي

جن بي شوقي إلى طيف الرسالة فتلفّت عسى ألقى خياله

فرحة غنّت بأشواق الأماني
للذي ألهم أسرار المعاني
والذي أيقظ وسنان الأغاني
وأشاع الفن في كل مكان
وأحال الفن ذَوْباً من جنان
مهبط الإلهام من سحر البيان
مُجتلى الخلد على مرّ الزمان

عاد!! ها قد عاد لي طيفُ الرسالة!

فانتشى قلبي ونادى ... يا جلاله!

حسين محمود البشبيشي

١ — فتاوى السيد رشيد رضا

نشرت الرسالة فى العدد (٥٠٤) أن معالى وزير العدل قد أقر جمع فتاوى فضيلة مفتى الديار المصرية الحالى ، ورأى « أن الفائدة تكون أتم والنفع أعظم إذا انضم إلى ذلك مقارنة هذه الفتاوى بما هو محفوظ من فتاوى المغفور لهم مفتى مصر السابقين وخاصة فتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده والشيخ بخيت »

وهذا الذى أقره وزير العدل إنما هو ولا ريب عمل جليل يستأهل من أجله كل ثناء وحمد ؛ بيد أننا نرغب زيادة فى تمام الفائدة والنفع أن تشمل هذه المقارنة فتاوى المغفور له العلامة الجليل محمد رشيد رضا من أحكم الفتاوى التى صدرت فى الثلث الأول من هذا القرن شاملة لكل باب من أبواب الفقه الإسلامى . وأن الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم لأول من يعرف فضل هذه الفتاوى ويقدرها حق قدرها ، وقد كان يطلب من صاحبها قبل موته جمعها وطبعها .

٢ — حول ذكرى السيد جمال الدين

لقد أحسن الأستاذ محمود شلبى فيما كتبه بالرسالة عن السيد جمال الدين ، ذلك الذى قال فيه الفيلسوف الفرنسى أرنست رنان « كنت أتمثل أمامى عند ما كنت أخاطبه ابن سينا أو ابن رشد أو واحداً من أساطين الحكمة الشرقيين »

وقال فيه الأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق باشا « حسبُه من عظمة ومجد أنه فى تاريخ الشرق الحديث أول داع إلى الحرية وأول شهيد فى سبيل الحرية » وذكر عنه الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك « أن الأمم الشرقية جمعاء مدينة بنهضتها السياسية والفكرية إليه » ولا نُفيض فى القول لأننا الآن على غير طريق دراسة شخصية هذا الرجل الذى كان أمة وحده ، وإنما نذكر أنه إذا كان إحياء ذكرى العظماء هو بعض ما يجب لهم على الناس ، وأن الكاتب الفاضل قد أحسن فيما كتب عن ذكرى هذا العظيم الذى جحدنا فضله ونسينا ذكره فإننا نبين مضطرين — خدمة للحق — أنه قد نقل إلى كلمته الوجيزة أكثر من خمسين سطراً بنصها مما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده وأديب إسحاق وسليم العنحورى والسيد رشيد رضا فى تأريخ السيد الأفغانى ولم يشر إلى هذا النقل (يراجع الصفحات ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٧٣ من الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام)

ولقد كان الأجدر بالكاتب أن يشير إلى ذلك رعاية لحرمة الأمانة العلمية وتنويهاً بمن سبقونا إلى ترجمة السيد وبيان فضله .

(المنصورة) محمود أبو ريه

توضيح شبهة فى كتاب عبقرية عمر

عبقرية عمر شاهد عدل كبقية الشواهد على عبقرية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فقد حلل ووجه كثيراً من أقوال عمر ومواقفه ، ولم يترك فى ذلك مغمزاً لغامز أو اعتراضاً لناقد . وعهدى بالأستاذ أنه ثبت ، وما نجح إلا النادر فى الاعتراض عليه ؛ وذلك يرجع لترويه فى كتابته ؛ ولكنه استوقفنى قول الأستاذ فى عبقرية عمر صفحة (٢٨٥) أن المتعة كانت حلالاً أيام النبى عليه السلام ، وأن سيدنا عمر هو الذى نهى عنها وضرب عليها ، وأتى بقول سيدنا عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله ، أنا أنهى عنهما واضرب عليهما .

والواقع ليس كذلك ، لأن المتعة حرمها النبى عليه السلام عام حجة الوداع ولم يتركها حلالاً إلى خلافة عمر ؛ وفى الصحيحين ما يؤيد هذا . نعم إن المتعة كانت حلالاً فى صدر الإسلام للمضطر ، ثم حرمت عام خيبر ، ثم أبيحت عام الفتح ، ثم حرمت عام حجة الوداع ، وهذا رأى الشافعى ، وقال ما معناه أنه لا يعلم شيئاً تكرر فيه النسخ إلا المتعة . والبيهقى يصحح تحريمه عام الفتح لئلا يلزم النسخ مرتين . وللأستاذ بعد هذا خالص تقديرنا وإعجابنا

(فلسطين) رضا محمد دبابنة
إمام الفرعون

السعادة فى نظر ديكارت

كتب ديكارت إلى الأميرة إليزابث رسالة بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٦٤٥ ، قال فيها : « إننا لسنا نجد فرداً واحداً لا يرغب فى أن يكون سعيداً ، ومع ذلك فإن عدد الذين ينالون السعادة فعلاً عدد ضئيل ، لأن كثيرين من الناس لا يعرفون الوسيلة التى بها يحققون لأنفسهم السعادة » . وليست سعادة الإنسان — فى نظر ديكارت — متوقفة على الحظ Fortune أو الظروف

الخارجية ، وإنما هي تتوقف أولاً وبالذات على الفرد نفسه . ولذلك نرى ديكارت في رسائله التي كتبها إلى الملكة كريستين ، يحاول أن يثبت لها أن « كل إنسان عاقل يجب ألا يفحص عن[1] خيره وسعادته إلا في نفسه ، وأننا نستطيع أن نحصل على كل ما يلزمنا بأقل جهد وأدنى تكاليف »

«Tout homme raisonable ne doit chercher qu'en lui-même son bien et sa félicité, et que nous avons à peu de frais tout ce qu'il nous faut» (Let. sur la Morale; Introd. P. XXIII.)

وكان تأثير ديكارت على الملكة كريستين تأثيراً قوياً فعالاً ، حتى أنها كتبت تقول في ٢٧ فبراير سنة ١٦٥٤ ، بعد تنازلها عن عرش السويد : « إنني في هدوء واطمئنان ، لأن خيري ليس في يد القدر ، وسعادتي ليست تحت سلطان الحظ . أجل ، فأنا سعيدة مهما تكن الظروف ومهما يحدث لي »

وقد كتب ديكارت إلى الأميرة اليزابيث ، في شهر مايو سنة ١٦٤٥ ، يقول : « إنني أميل دائماً إلى أن أنظر إلى الأشياء التي تتمثل أمام ناظري ، من « وجهة » نظر تبديها لي حسنة تجلب الرضى ، بحيث أن في وسعي أن أقول : إن سعادتي الأولى تتوقف عليّ وحدي » ، وفي هذه العبارة ينحصر سر السعادة في نظر ديكارت ، لأنه « ليس هناك أحداث ألمية ممعنة في الشر — في نظر الناس — ، إلا ويستطيع الإنسان بعقله وفطنته أن ينظر إليها من « وجهة » تبديها له مواتية نافعة » وفضلاً عن ذلك فإنه « ليس ثمة شر ، لا يستطيع المرء أن يستخرج منه وجهاً من الخير أو المنفعة ، إذا كان لديه عقل سليم »

«... il n'y a aucun mal, dont on ne puisse tirer quelque avantage, ayant le bon sens.» p. 55.

وأما خير وسيلة لتحصيل السعادة ، فتلك هي أنه « إذا وجد الإنسان نفسه حيال اعتبارات مختلفة ، كلها صحيحة ، ولكن بعضاً منها يحملنا على أن نكون سعداء ، والبعض الآخر — بخلاف ذلك — يحول دون تحصيل السعادة ؛ فإنه يبدو لي أن الحكمة تتطلب أن نسارع إلى أن نأخذ بالاعتبارات التي توفر لنا السعادة وتكفل لنا الرضى . . . وإذ كانت كل أمور الحياة هي مما يمكن أن يُنظر إليه من جانب فيبدو حسناً طيباً ، وينظر إليه من جانب آخر فيبدو ناقصاً معيباً ، فإني أعتقد أنه إنْ وجب على المرء استخدام مهارته في أمر ما ، فذلك أولاً وبالذات في أن يعرف كيف ينظر إلى أمور الحياة من « وجهة » تبديها له محققة لفائدته ومصلحته ، بشرط أن لا يكون في ذلك خادعاً لنفسه » (من رسالة إلى الأميرة إليزابيث بتاريخ ٦ اكتوبر سنة ١٦٤٥)

زكريا ابراهيم

(١) من الأخطاء الجارية على أقلام بعض الكتاب قولهم : « فحص الشيء » بتعدية الفعل ، والصواب أن يقال فحص عن الشيء بمعنى بحث عنه ، كما ورد في معاجم اللغة ومصنفات الكتاب العرب

أسد أباد : لا أسعد أباد

نشر الأستاذ محمود شلبي كلمة طيبة حيا بها فقيد الشرق السيد جمال الدين الأفغاني بمناسبة ذكرى وفاته . إلا أنه اشتبه على مؤرخي السيد موطن ميلاده

وقد ولد السيد في شهر شعبان ١٢٥٤هـ في قرية (أسد باد) لا (أسعد أباد) فقرية (أسد أباد) هي التي تقع على الساحل الشرقي لوادي (كُنَـرْ) مديرية في الشرق لعاصمة أفغانستان (كابل)

وهذه القرية الآن خربة ولم يبق منها إلا الأثر . فوالد السيد هو معروف السيد صفدر الشريف : وأما والدته فمن جهة الأم من أشراف أهل البيت ، وأما من جهة الأب فمن قبيلة (يوسف زايْ) الأفغاني

محمد عبد الغفار الهاشمي الأفغاني

تصويب

حدثت أخطاء مطبعية في القسم الأول من مقال « لا . . . بل النحاة واللغويون ثقات » أنبه على أهمها هنا ، مراعياً أن اللفظ الأول من كل اثنين خطأ ، وما بعده الصواب وهي :

كأنه يفسر — كأن يفسر . قريب — مريب . مراجع — مرجع . ظبي — ظرْبي . يدلها — يدخلها . يفهم — تفهم

عبد الحميد عنتر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 508

Lundi - 29 - 3 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٨ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٨ - دفاع عن البلاغة

٢ — الـذوق

كان الذوق في العصور الذهبية يتكوّن في الأديب — كما ذكرنا من قبل — بالدراسة الفقهية لعلوم الأدب، والقراءة النقدية لروائع الفن، والصحبة المتصلة لأمراء البيان، وغشيان مجالسهم، وطول الاستماع إليهم، وأخذ النفس بمحاكاتهم، وامتحان الآراء والأذواق بمحاكّهم، بعد أن يجمع الأديب وعاء قلبه على خير ما أُثر عن العباقرة الذاهبين من بليغ النظم والنثر في الأحوال المختلفة والأغراض المتنوعة. فلما خلت تلك العصور، وذهب في سبيلها أحبار البلاغة، وجاء هذا العصر الآلي العجول، نشأ عن انتشار الثقافة السطحية فيه نوع من المساواة الظاهرية بين الأذهان في التحصيل والتفكير، فأخذ كل أديب يقرر ولا يستشير، ويجيب ولا يسأل، ويكتب ولا يقرأ. ولماذا يقرأ؟ إن الكتاب المعاصرين لا يكادون في رأيه يتميزون عليه، وإن الأدباء المتقدمين لا يمتون إلى حياته بسبب؛ والأبهاء والأندية لا تسمر بأدب الجاحظ ولا بحكمة المتنبي ولا بفلسفة أبي العلاء؛ وأكثر أولياء الناس لغتهم أجنبية وثقافتهم أوربية فلا يعرفون قيمة الأدب العالي، ولا يرفعون مكانة الأديب الحق

إنما يقرأ متأدبو اليوم صحف الأخبار ومجلات الفكاهة

وأقاصيص اللهو وملخصات العلم . وأكثر ما يقرأون صور منقولة أو مقبوسة عن أدب الغرب لا تربى فى القارئ إلا ذوقاً مذبذباً لا يثبت على لون ولا يستقيم على خطة . ومثل هذا الذوق الملفق المستعار لا ينظر إلى (الأمالى) و (الأغانى) و (اللزوميات) إلا كما ينظر إلى العمامة والقباء والجبة ؛ فهى فى حكمه أشياء قضت عليها (المودة) ؛ وللمودة فى كل يوم زى يتجدد معه الذوق ويتعدد !

وليس معنى ذلك أن الذوق الأدبى العربى فسد فى كل نفس ؛ إنما نتحدث عن الكثرة ؛ والكثرة فى عهد الديمقراطية تتحكم فى القلة : تحدد لها المستوى ، وتعين لها الاتجاه ، وتنصب أمامها الغرض ؛ بَلْهَ العدوى ، فإنها إلى الأصحاء مؤكدة سريعة

على أن فى كتاب العربية المعاصرين صفوة مختارة لا تزال فى وسط هذه الأذواق المتنوعة المتناقضة مخلصة للذوق الطبيعى الخالص ، تذود عنه ، وتدعو إليه ، وتأبى أن تنزل به إلى تمليق الدهماء ولو فقدت فى سبيله انتشار الصوت ورواج القلم . وأغلب هذه الصفوة من أبناء الأزهر ودار العلوم ومن تلمذ لهم ، لأن الذوق الأدبى عندهم هدى من الوحى الإلهى أنزله الله فى القرآن ، وأرسله فى الأدب ؛ فجرى فى النفوس المؤمنة مجرى العقيدة لا يحسن فى مكان دون مكان ، ولا يصلح لزمن دون زمن

ولكن أصحاب الذوق السقيم يرمون أصحاب الذوق السليم بالقدم والتقليد ؛ كأنهم يجهلون أن الجِدَّة والأصالة إنما تكونان فى العبقرية لا فى الذوق : تكونان فى الفكرة والعاطفة والصورة ، وفى ابتكار السمات للطبع ، والحركات للنفس ، والنزعات للهوى ؛ وفى استنباط الوسائل للاقناع والإمتاع والتأثير والتشويق والإفادة ؛ وفى ابتداع الكلمة الصادقة الشاعرة والجملة البارعة النادرة والأسلوب الحى الذى يلائم الموضوع ويوائم الطبيعة . بذلك استطاع الجاحظ أن يكون غير ابن المقفع ، وابن العميد غير الجاحظ ، والبديع غير ابن العميد ، وأبو نواس غير مسلم ابن الوليد ، وأبو تمام غير أبى نواس ، والمتنبى غير أبى تمام ، وأبو العلاء غير هؤلاء جميعاً ؛ ولكن الذوق الذى جمع فنهم وفرق بينهم ظل واحداً لا يكاد يختلف

***

كان المخلصون للأدب فى عهد انتشاره وازدهاره يجعلون من ثمار القرائح موضوعاً للنقد الدقيق الصادق ، فيؤلفون الكتب فى الموازنات ، ويعقدون المجالس للمناظرات ، ويضعون الموازين القسط للكتاب والشعراء ، فلا ينبه شاعر لجاهه ، ولا ينبغ كاتب لمنصبه . أما النقد اليوم فأكثره زور وعبث . هو فى أغلب الأمر رأى يصدر عن مجاملة أو جهالة ، ثم ينتقل من فم إلى فم ، ومن مجلس إلى مجلس ، ومن بلد إلى بلد ؛ والناس فى عصر السرعة الآلية والثقافة الضحلة يأخذون الرأى من غير تمحيص ، ويمطونه بدون ؛ كترات . فهذا الكاتب فى رأيهم زعيم الكتاب لأنهم يقرأون اسمه فى كل صحيفة ، ويسمعون ذكره فى كل مناسبة ! وهذا الكتاب فى زعمهم زعيم الكتب لأنه قرر فى المدارس أو انتشر فى الأيدى أو تحدث به الناس ! أما أن ينقدوا الكاتب أو يقرأوا الكتاب فذلك شيء لا يقع فى الهوى ولا يدخل فى الاختصاص . ومن هنا كان الرأى العام الأدبى فى مصر قائماً على التقليد والتابعة ؛ ومن التقليد والتابعة لا يولد ذوق خاص ، ولا يوجد رأى مستقل

إن مستقبل البلاغة منوط بتغلب الذوق الطبيعى المأثور على الذوق المزيف المستحدث . وإذا قلتَ إن سلامة القومية المصرية موقوفة كذلك على هذا التغلب لم تَعْدُ الحق ؛ لأن الأذواق والأخلاق والعادات هى عناصر الشخصية التى تميز فرداً من فرد وأمة من أمة . وسبيل الغلبة والفلج للذوق الحر تربيته وتقويته . وأقرب الوسائل إلى ذلك التعليمُ الصحيح والمثل العالى . فإذا عنى القائمون على الثقافة بتعليم اللغة على النحو الذى تعلم به اللغات الأوربية فى الغرب ، وعرضوا على النشء النماذج العليا من الأدب قديمه وحديثه ، ورغبوه فى قراءتها بالعرض المشوِّق والطبع الأنيق والمكافأة الحسنة ، رجونا أن تنشأ الأذواق على الصحة وتجرى على الطبع ، فتعاف الأدب الرخيص ، وتستبشع الأسلوب الغث ، وتنكر النقد المزيف . وإذن تَنْقى رياض الأدب من الحشرات والطفيليات فلا تسمع فيها لغواً ولا تأثيماً ولا شعوذة

إن معلمى اللغة فى كل أمة هم وحدهم المسئولون عن تكوين الذوق السليم والخلق القويم فى الناشئ . وإن ما نجده فى مصر من فوضى الأخلاق والأذواق لدليل على أن فى بعض معلمى العربية ضعفاً فى الاستعداد أو نقصاً فى الإعداد نضرع إلى القائمين على شئون التعليم أن يعملوا مخلصين لعلاجه . وما نظن (الدراسة العليا) التى فرضت على بعضهم فى هذا العام هى وحدها الدواء الناجع فى هذا العلاج .

« للكلام بقية » احمد حسن الزيات

علوم اللغة العربية في المدارس الثانوية

للدكتور زكي مبارك

تمهيد

جرت وزارة المعارف منذ أعوام على الاستفادة من إجازة نصف السنة بجعلها مؤتمرات للمفتشين يتبادلون فيها الآراء حول مناهج التعليم وأحوال التلاميذ

وحديث اليوم عن الأسئلة التي وجهتها المراقبة العامة للتعليم الثانوي إلى مفتشي التعليم الثانوي، وهي أسئلة دار حولها الجدال يومين، وقيلت فيها أقوال تستحق التسجيل، وقد استشرت زملائي في إعلان بعض تلك الأقوال، فأجابوا بالترحيب

ظاهرة إنسانية

لا أعرف كيف دارت المناقشات بين مفتشي الرياضة والعلوم والمواد الاجتماعية، ولكني أعرف كيف دارت المناقشات بين مفتشي اللغة العربية

كان الشوق إلى الكلام شديداً جدًّا، وكان كل مفتش يحب أن يتكلم بإطناب، وكأنه يريد أن يكون المتكلم الوحيد!

كان في المفتشين من يقف ليخطب، مع أن الجمهور الذي تألف منا لم يزد عن أحد عشر كوكباً!

ومع أن شهوتي إلى الكلام قليلة لكثرة ما أعبّر بالقلم عما يجول في صدري، فقد زاحمتُ بعنف لأتكلم أنا أيضاً، وقد تكلمت حتى اشتفيت!

فما سرّ الشوق إلى الكلام حين يتلاقى الناس؟

يرجع ذلك فيما أفترض إلى أن طرائق التفاهم عند الإنسان قد انحصرت في طريق واحد: هو النطق، وبذلك عُطّلت طرائق التفاهم بالرمز والإشارة والإيماء

والظاهر أن انحصار التفاهم في النطق فضيلة إنسانية، فضيلة دعا إليها اشتباك الأغراض بصورة لا ينفع فيها غير التحديد بالألفاظ

والظاهر أيضاً أن اختراع الكتابة من أعظم المخترعات الإنسانية، لأنه يرى إلى تسجيل الألفاظ قبل أن تضيع، وإلى تقييد ما فيها من مسئوليات

هل أريد أن أقول إن «المسجِّل» غاب عن اجتماعات المفتشين، وأنهم لو كانوا يعرفون أن كلامهم ستُسجَّل كما وقعت لاقتصدوا في الخطابة بعض الاقتصاد؟

إن الآداب الدينية توصي بأن نحترس، وتوجب أن نفهم أن الإنسان ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد. فالخوفُ من تدوين الألفاظ بابٌ إلى أدب اللسان

وليس معنى هذا أن المفتشين قالوا كلاماً لا ينبغي أن يقال — لا — ولكن معناه أنهم لو عرفوا أن كلامهم سيسجَّل لأعدّوا كلاماً أقوى من الكلام الذي قيل، مع أنه من الكلام النفيس

كل شيء صائرٌ إلى التحديد، فالإنسان كان يعبّر بالإشارة، ثم ارتقى فصار يعبّر باللفظ، ثم ارتقى فصار يعبّر بالكتابة، وسيرتقي مرةً جديدة فتكون له لغة واحدة، لغة محدودة لا يتطرق إليها لَبْس، ولا يعتريها غموض

من متاعب الإنسانية أن اللفظ الواحد في اللغة الواحدة قد يختلف مدلوله باختلاف الأذواق، بحيث يكون مدحاً عند هذا وقدحاً عند ذاك

وأعصابنا تتأثر بالألفاظ، أو باختلاف ما نفهم من مدلولات الألفاظ، فمتى تزول أسباب هذا الاختلاف؟

الرأي عندي أن هذه البلبلة الخطرة من أعظم مزايا الإنسانية، ولكن كيف؟

القوة الحقيقية للانسان هي قدرته الأصيلة على الظفر بأكبر محصول من اشتجار العواطف والأحاسيس والآراء والأهواء

ولو توحدت اللغات والتعابير فزالت جميع أسباب الاختلاف لتحول الإنسان إلى صورة آليّة لا يسيّرها غير ضريم «البنزين»

نحن نختلف أقل مما يجب، ويا ويلنا إذا لم نختلف!

المثال الصحيح للاتفاق هو أمة النمل، ونحن نكره التشبه بأمة النمل

الاختلاف هو الذي خلق العلوم والمدنيات، وهو الذي أوجب أن يكون لكل ثمرة مَذاق

الاختلاف واجب، أما التعادي فهو بلاء

الإنشاء

قالت مراقبة التعليم الثانوى : إن إنشاء التلاميذ لا تزال تكثر فيه الأغلاط النحوية والصرفية والإملائية ، ثم دعت المفتشين إلى أن يشيروا بما يرون لعلاج هذه الحال ، فماذا قالوا ؟

قال الأستاذ جاد المولى بك : إن أهم المظاهر لمعرفة اللغات هو إجادة الخطابة والكتابة ، وإن فى المدرسين أنفسهم من يصعب عليه الإنشاء ، ولعله يصعُب أيضاً على بعض المفتشين ! فمن الواجب أن يراض التلميذ على الكتابة والخطابة رياضة جدية وأن تكون قدرتهم على هذين الفنين أول مايهم المدرسين

وقال الأستاذ منصور سليمان : إن تعليم الإنشاء فى المدارس المصرية قد ابتُلى بآفة قبيحة ، آفة موبقة للفكر ، وهى الحرص على الزخرف وعلى الإطناب فى جميع الموضوعات . وقد رأيت فى أحوال كثيرة أن التلميذ يثاب على التطويل بأكثر مما يثاب على التدقيق . ومن هنا شاع القول بأن اللغة العربية تمتاز بالتهويل والإسراف . وشكوى المدرسين من التعب فى تصحيح دفاتر الإنشاء لا تستحق أى التفات ، لأنهم مصدر هذا التعب ، فهم الذين يوحون إلى تلاميذهم أن الإطالة من علائم البيان

مشكلة الإنشاء

كلام الأستاذ منصور سليمان يتيح الفرصة لأن أفصل رأيي فى هذه المشكلة ، وهى مشكلة أساسية ، فما الذى دعا إلى ضعف التلاميذ فى الانشاء ؟

السبب الأول هو سيطرة المدرس على لغة التلميذ ، ومعنى هذا أن المدرس ينتظر دائماً أن يعبِّر التلميذ عن غرضه بألفاظ مخزونة فى ذاكرة المدرس

وتصحيحات بعض المدرسين تؤيد هذا القول ، فهم يدورون حول ألفاظ أعدوها لكل موضوع ، وهم يسجلون بالقلم الأحمر تلك الألفاظ تسجيلاً يظهر أثره فى جميع الكراريس

بعض المدرسين يملون على تلاميذهم ألفاظاً وتعابير تصلح لكل موضوع ، كما يزعمون ، وهى طريقة عقيمة ، ولا يعتمد عليها غير المدرس الببغاء !

السبب الثانى هو تحكُّم المدرس فى عقل التلميذ ، فهو يطلب منه أن يفكر كما يفكر ، وأن يرى الدنيا بعينيه ويسمعها بأذنيه ، ولا يخطر فى باله أن كل تلميذ له تصوُّر خاص ، وأن التلاميذ يختلفون فى الأفكار كما يختلفون فى الملامح

وقد يتفق أن نرى التلاميذ فى الموضوع الواحد يثبتون أقوالاً وآراء مقتربة كل الاقتراب ، فنفهم أن المدرس أنزل عليهم الوحى الكاذب أو الصادق ، وكنا نرجو أن يفكر فى تقوية مواهبهم تقوية سليمة ، وذلك لا يتم بغير دعوتهم إلى شرح مايعتلج فى صدورهم من المعانى والأغراض شرحاً لا تهيمن عليه قوة خارجية

السبب الثالث هو تقديم موضوعات بعيدة عن مدارك التلاميذ ، وأريد بها الموضوعات الميتة ، الموضوعات التى لا تأخذ وقودها من الحياة الواقعية

ومَرَدُّ هذا إلى الجهل بحيويات التلاميذ ، فلهم اتجاهات فردية واجتماعية غير اتجاهات المدرسين ، ومن الواجب أن تكون موضوعات الإنشاء فى شرح تلك الاتجاهات

وهل ينتظر المدرس أن يجيد التلاميذ فى كتابة موضوع تلقاه وهو تلميذ قبل عشرين سنة أو تزيد ؟

فى المدرسين من لا يختار موضوع الإنشاء ، وفيهم من ينقل الموضوعات التى ألقيت على تلاميذ المدرسة الفلانية ، وفيهم من يكرر الموضوع الواحد بضع سنين

الإنشاء اسمه إنشاء

فاختيار الموضوع إنشاء

واللفتة الذهنية عند المدرس بابٌ من الانشاء

وخطأ التلميذ ، الخطأ المنقول عن طبيعته الذاتية فن من الانشاء

والمهمُّ هو أن نجد فى الصف المكوَّن من ثلاثين تلميذاً ثلاثين صورة من التفكير والأداء ، لا صورة منسوخة من حضرة المدرس المفضال !

السبب الرابع إقبال المدرس على تصحيح الكراريس وفى ذهنه صورة محدودة للاجابات ، فهو يهمل كل فكرة منحرفة عن تلك الصورة ، ولا يثيب التلميذ إلا بقدر محاذاته للعناصر التى فرضها عليه قبل الشروع فى الإنشاء

وهذه الطريقة تقتل شخصية التلميذ ، وتميت فيه بواكير

الابتداع والافتتان . وما ظنكم بتلميذ يرى الخير كل الخير فى محاكاة المدرس ، ويهمل ملكاته الإبداعية كل الإهمال ؟

ما ظنكم بتلميذ يراض على الإيمان بأن رأى المدرس هو الرأى ، وتقضى عليه التجارب المدرسية بأن يفهم أن نجاحه يقاس بمقياس رأى المدرس ؟

هذه الظاهرة موجودة بالفعل ، وهى السبب فى الإكثار من دروس الإنشاء الشفوى ، وهى دروس عقيمة ، لأن الغرض منها توجيه التلاميذ توجيهاً حرفياً إلى الأفكار التى يحب المدرس إثباتها فى موضوع الإنشاء

ومن أغرب ما يقع أن يقيد المدرس فوق السبورة ألفاظاً وتعابير تساعد التلاميذ على إبراز العناصر الأساسية ، وتكون النتيجة أن تكثر المبتذلات «الكليشيهات» فنرى فى الكراريس جميعاً صوراً موحدة فى الأداء ، وهذا نقل لا إنشاء

وهنا أقترح أن تقصر دروس الإنشاء الشفوى على المدارس الابتدائية ، لأنهـا توجيه للمبتدئين . أما المدارس الثانوية فلا تجوز فيها دروس الإنشاء الشفوى ، لأنها تزيد فى اتكال التلميذ على المدرس ، والاتكال باب إلى البلادة والخمود

وأقترح أيضاً أن تكتب أكثر الموضوعات فى الفصل ، ليعرف المدرس قوى تلاميذه على الوجه الصحيح

وهل ننسى أن بعض التلاميذ يعتمدون على غيرهم فى الإنشاء ليَلقَوا المدرسين بأساليب مثقلة بالزخرف والتنميق ؟

وهل ننسى أن فى المدرسين من يغيب عنه ما فى كراس التلميذ من سرقات أدبية ؟

وهل ننسى أن فى المدرسين من لا يفكر فى الموازنة بين الموضوع السابق والموضوع اللاحق ، ليعرف كيف يتطور تفكير التلميذ ؟

السبب الخامس غرام بعض المدرسين بالإكثار من التصحيحات إكثاراً يشهد برغبتهم فى التفوق والاستعلاء

وهذا الغرام ينفعهم عند بعض المفتشين ، لأنه دليل على التدقيق ، ودليل على الفهم لأسرار اللغة العربية ، ولعله الباعث على بعض الترقيات !

والحق أن الحبر الأحمر رخيص ، فما أذكر أنى استنفدت منه غير مثاقيل لا يزيد ثمنها عن بضعة قروش ، مع أنى قضيت أكثر من ربع قرن فى التدريس والتفتيش

لو غلا الحبر الأحمر لاقتصد المدرسون فى تلك البرقشة الحمراء ، وهى برقشة ثقيلة الدم ، فهى تشعر التلميذ فى كل يوم بأنه تلميذ ، ولا تتيح له فرصة الشعور بأنه إنسان له وجود مستقل ، ولو بعض الاستقلال

إذا كانت الكلمة صواباً فى قول وخطأ فى أقوال فيجب تركها بدون تصحيح ، لأن ورودها على قلم التلميذ شاهد على أن هذا الخطأ أحيا من ذلك الصواب

وإذا وردت كلمة عامية لها أصل بعيد من اللغة الفصيحة فيجب تركها بدون تصحيح

دعانا الدكتور هيكل باشا مرة للتشاور فيما يجب لتقليل الأخطاء فى كراريس التلاميذ ، فقلت : إن المدرسين يوجبون حذف « الفوطة » وإثبات « القطيلة »

فقال : وما القطيلة ؟

فقلت : هى كلمة يعرفها المدرسون ويجهلها وزير المعارف ، مع أنه من كتّاب الطبقة الأولى فى اللغة العربية

ثم قلت : يوجد مؤلف كبير اسمه ابن القُوطى بالفاء ، والجرائد تجهل اسمه فتسميه ابن القوطى بالقاف

فما الذى يوجب الحذلقة بتسمية الفوطة منشفة أو قطيله ؟

مهدوا الطريق للألفاظ الحية ، واتركوا الألفاظ الميتة ، فما يموت لفظ إلا بعد العجز عن البقاء

السبب السادس هو الهيام بتجميل الموضوعات بالباطل حيثما وقعت ، فلعَب الكُرةِ فرشَ بالبساط السندسى ، مع أن الأفضل أن يفرش بنبات النَّجيل ... والحديقة يجب أن توصف بأنها غناء ، ولو كانت فوق سطح البيت . وتحت يدى وثيقة تشهد بأن سطح الفندق الفلانى فى المدينة الفلانية وصف بالفرنسية مرة وبالعربية مرة فقيل بالفرنسية إنه مِنْظَر « Panorama » يرى به الناظر جميع الآفاق ، وقيل بالعربية إنه حديقة غنّاء ، مع أنه لا يتسع لغير شجيرات محبوسة فى زهريات !

ثم ماذا ؟ ... عندى كلامٌ كثير فى العوائق الذى تصد التلاميذ عن إجادة الانشاء ، وأنا أكتب مقالاً لا كتاباً ، فمن الواجب أن أكتفى بالتلاميح

وأنا أختم هذا المقال بالحقيقة الآتية :

هل يوجد مدرس يراقب ما يقرأ التلاميذ من الجرائد

والمجلات ليجعل موضوعات الانشاء فى حدود المشكلات التى تثيرها تلك القراءات ؟

إسمعوا ، ثم اسمعوا

الانشاء ليس تمريناً على إضافة لفظ إلى لفظ ، وإنما هو رياضة ذهنية يراد بها تقوية المواهب الروحية والذوقية والعقلية

إخلقوا الشوق إلى الانشاء بأن تقترحوا على التلاميذ موضوعات يحبون أن يكتبوا فيها . خاطبوهم بأذواقهم لا بأذواقكم وادعوهم إلى أن يكشفوا من سرائر الحياة ما تجهلون ، فهم أعرف منكم بسرائر هذا الزمان

دعوهم يفكرون كما يُريدون ، لا كما تريدون ، ورحبوا بجهلهم لأنه تباشير العصر المقبل ، ولا تنسوا أن الطفل لا ينمو إلا إن تركناه يتصرف فى حدود ما يريد

عندى كلامٌ وكلام فى تعليم الانشاء ، ولكن المجال لا يتسع للاسهاب

أما بعد فماذا قال مفتشو التعليم الثانوى ؟ سأرى وسترون

« للحديث شجون »

زكي مبارك

من الأستاذ محمد كامل سليم إلى الأستاذ توفيق الحكيم

[الأستاذ محمد كامل سليم بك أديب مبدع ومحدث مقنع ، وله فى الأدبين العربى والانجليزى مكانة سامية . ولعل هذا من الأسرار التى حدت بزعيم مصر سعد زغلول أن يختار الشاب كامل سليم سكرتيراً خاصاً له أيام الجهاد برغم صغر سنه وعظم المركز وجلاله ؛ فزاده ذلك صقالا على صقال . وقد أهدى إليه صديقه الأستاذ توفيق الحكيم كتابه « عصفور من الشرق » فأرسل إليه هذا الخطاب]

عبد الرحمن

صديقى توفيق الحكيم

تفضلت فأهديت إلىَّ كتابك « عصفور من الشرق » وقد فرغت من مطالعته أمس فى متعة وأنس للعقل والنفس . ذلك لأنك أقمته على دعامتين : الأولى عاطفة قوية جارفة ، لا يعادل اختلاجها وسذاجتها إلا صدقها وشدة وطأتها . والثانية : عقل مفكر ساخط يتضور من عالم الحقيقة ، ويفزع إلى عالم الخيال ، فى ألم يزيده الشك تعقيداً ، وفى أمل يزيده اليقين تجديداً

وإن كتابك هذا لحقيق بأن يحرك فى نفس القارئ العليم بحقائق الأمور عواطف وخواطر شتى : من إشفاق ضاحك على العصفور الحساس الشاعر ، إلى عطف باسم على قلبه الخفاق الثائر ، إلى رثاء ظريف لحاله المضطرب الحائر ، إلى غبطة تثير الذكرى لما لقى من حب مدوخ فائر ، أشعله جمال فتان ساحر ؛ حتى أصبح هذا المخلوق البرىء ريشة فى مهب الأجواء ، تلعب بها الأهواء ، فلا تستقر على حال ، ولا يهدأ لها بال ؛ وأمسى وهو لا يرى ولا يسمع نصح الناصحين ولا إرشاد المرشدين :

وما تبصر العينان فى موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وأخيراً هذا المفكر البائس (إيفان) يتشكى ويتسخط ، ويتفلسف ويتورط ، ويسمع الإنسان فى صوته رنيناً من الحق ، وأنيناً من الأسى ، ويشهد فى أقواله طغيان الفكرة وقوة الإيمان بفساد الغرب وصلاح الشرق ، وبما فى المادة من شقاء وضلال ، وبما فى الروح من أنس وجلال ؛ فلا يسع الإنسان — سواء أقره أم خالفه — إلا أن يشعر نحوه بعطف كله إشفاق ، ورحمة تضاعفها لوعة ، ولوعة يخالطها ألم .

وبعد ، مرة ثانية : هل تريد أن أكشف اللثام عنك فى ضوء هذا الكتاب الذى وصفت فيه حالات المحب واختلاجاته ، ونزوات الحب ونزعاته ، حركاته وسكناته ، خطراته وخفقاته ؟

إذن فاسمع يا صديقى ، لقد جاء وصفك لهذا كله وصف العارف المجرب . وما ينبئك مثل خبير ؛ فلست أنت عدو المرأة كما يزعم الزاعمون ويتصور الواهمون ، وإنما أنت عاشقها المتيم الهائم ، وعابدها فى محراب العزلة والجمال .

ولقد وددت بعد فراغى من مطالعة كتابك لو امتد بك الصبر فأطلت فيما أوجزت ، وأسهبت فيما سردت ، وبسطت طرفاً آخر من تجارب الحياة . وتبسطت فى ذكر حوادث أخرى أو مغامرات ... إذن لكان صاحبك مثلاً فذاً للمفكرين .

على هامش «أحلام شهرزاد»

قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : «عجباً لك ياصديق ! لست أعرف سبباً لترددك هـذا الذى طال ، وخوفك ذاك الذى سمج ، وإشفاقك الذى لم تعدُ له علة ؛ فها أنت ذا تعيش ملء القاهرة ، وها هم أولاء أخدان الشباب من حولك ما تزال قلوبهم عامرة بالشباب ؛ ونفوسهم ممتلئة بالفتوة . وهاهى ملاعب أُنسك ، ومراتع هواك ، يرقص فيها ماضيك ريان كما عهدته ، فينان كما حلمت به ، فَلِامَ تظل راكداً هكذا ؟ وحتَّام تغفو عيناك وكل ما حولك صحو ؟ ! أخشى أن يكون إشفاقك من الكتابة عنى ، وقد ملأت أذنيك شدوا ، ومهجتك غناء ، هو ما ترى من القطيعة الشاحبـة التى قامت بين أئمة الأدب فى هذا البلد ، ومقالات السوء التى يرسلها الأ بالسة المغرضون لتعبس الجنة الباسمة ، ويصمت الطير الصادح ؛ وليكون نعيبهم وحـده هو المسموع فى الآذان ، المدوِّى فى الأذهان ، مهما يكن شأنه من الهوان ... كلا يا صديق ... لا عليك من هذا أبداً ، فأئمة الأدب فى هذا البلد أعظم من أن تمزق وحدتهم الأقاويل ، وأجل من أن تذهب بريحهم عصبة الأبالسة من مروِّجى الأكاذيب ... يجب أن تكتب عنى إذن وأنت آمن مطمئن ، فقـد بلوتَ من ألوان الأساطير وفنون القصص ما ينبغى أن يوقظ فيك جمالى ، ويلفتك إلى سحرى ، وينبه فيك روعتى التى أبدعها خيال صاحبك الصناع الفنان ... ولن يُعفيك من الكتابة عنى ما أوجف به المرجفون عقب أن تلـَهَّوْا بقراءتى فى سيارة أو فى عربة ترام ، فلست من الهوان بحيث أُقرأ هكذا ، وبحيث يفرع القارئون منى على هذا النحو ، فأنا قطعة أدبية خالدة ، ولن يسأمنى الناس مهما أكبوا علىّ ، ومهما أدمنوا تلاوتى ... إننى أروع لوحات الفن فى عالم الأدب المصرى الحديث ... وأعيذك من أن تظن بى الظن ، أو تأخذ على اعتداداً بشخصي القوى ، ولن أقول الضعيف تواضعاً ، فإن عرفانى بقيمتى يباعد بينى وبين التواضع ... والتواضع أكبر رذائل الأديب ما لم يكن مصدره الغرور ، إذ يصبح فضيلة يجمل أن يتحلى بها ليريح الناس منه ... أنت إذن تخشى شيئين ... أولهما هذا الفتور الذى قام بين (صاحِبَىْ القصر المسحور) فباعد بينهما إلى حين ، وجعل الكلام عنهما كهذا الشوك الذى ينبت فى أعواد الورد ، فيخيف الأيدى الناعمة من أن تمتد ، والأرواح الظامئة من أن تتطلع ... أما ثانيهما فهو كتابتك فى «الرسالة» عن صاحبى ، أى عنى ... و «الرسالة» هى التى

ولـكان عصفورك مثلاً حيًّا لعصافير المصريين .

فوا رحمتاه للعصافير السمراء ، حين تحب الحمائم الجميـلة البيضاء ! ويا لها من نشوة دونها كل نشوة ، فيها عذوبة وفيها عذاب ؛ ولـكنها حياة لا تعدلها حياة .

قد يسأل سائل : أليس من العجيب أن يحب العصفور الآدمى الصغير الحمامة الآدمية الجميلة ؟ أليس بينهما تفاوت قائم وتبـاين ؟ فـكيف يتم بينهما توافق دائم ووئام ؟ بلى إنه لعجيب ؛ ولـكنه عجيب فى حكم العقل والمنطق وحدهما ؛ ولـكنه فى حكم الطبيعة والعاطفة مفهوم ولا يفهم سواه . والحب لغز من الألغاز تجرى فى دائرته المرنة عملية الجذب والانجذاب ، فلا ملام ولا عتاب .

على أنى كثيراً ما تمنيت لو أن كل عصفور من الشرق أو الغرب أدرك حكمة الأيام فى كل زمان ومكان وهى أن المرأة إذا استقوتك استعطفتك ببكائها ، وإذا استضعفتك قتلتك بكبريائها . إذن لـكان نصيبه من متع الحياة أعظم وأكمل ، ولـكانت شقوته بها أقل وأضأل .

ولـكن كيف يدرك العصفور ، حكمة الدهور ، قبل أن يتنقل بين الزهور ؟

إليك يا صديقى خالص التهنئة على ما أدركت من توفيق ظاهر فى كتابك الخفيف الظريف . وإليك كذلك خالص الشكر على الهدية وعاطر الثناء على كرم الإهداء والسلام .

١٠ مارس سنة ١٩٤٣ (محمد كامل سليم)

نشرت تلك الـكلَـمات التى نفثها صاحب « شهرزاد » فيما شجر بينه وبين صاحب « فاتنة » أى صاحبى . . . والرسالة أيضاً لها « وَعكتها » التى فَـتَّرت الملاقات بين صاحبها وبين أعز أصحابه عليه ، وأحبهم إلى نفسه ، لأنه زميل الصبا ، وخدن الشباب ، وصاحب الحق الأول فى فؤاده ، والشريك الذى بنى معه مسرح هذا الأدب فى مصر . . . لا لا يا صديق ، دَعْ ما يريبك من أمر الصداقات إلى ما لا يريبك من أمر الأدب ، فللصداقات عتاب يحلو أو يمر ، وللأدب نقد يسلس أو يقسو ، وينعم أو يعنف ؛ والصداقة شىء ، والأدب شىء آخر . ولن يقلب النقد صداقة من الصداقات فيجعلها عداوة إلا فى الأمم الصغيرة الفقيرة من القلوب الـكبيرة ، فإذا عرضت لما أرجف المرجفون عن « شهرزاد » وعن « أحلام شهرزاد » وما تخرصوا به من أخذ هذه عن تلك ، فإنما تعرض لموضوع أدبى لم يشدُ منه المتخرصون إلا ألفاظاً أو عبارات لا كيل لها ولا وزن . وهم قد أوردوها ، حينما أوردوها ، ليوهموا أنهم بلغوا بها لباب النقد الصراح ، وقطعوا بسقطها جهيزة كل خطيب . . . أما صاحب الرسالة ، والـكلَـمات التى نشرها لصاحب شهرزاد ، فصحيفته كانت وما تزال صحيفة الأدب والنقـد الخالص البرىء . . . وآية ذلك أننى تعمدت أن أختارها لك لتـكتب عنى فيها ، لتقطع ألسن المرجفين والخراصين ، ولتفتح أعينهم التى غشيت إن لم تـكن قد عميت ، على صورتى الرائعـة التى هى ابتكار جديد لم يسبق أحد صاحبى إليه ، ولا استطاع أحد أن ينبت فى جنة شهرزاد زهرة أينع منها ، ولا أعبق من شذاها شذى ... هذه كلمات سيضيق بها النافسون على صاحبِى أشد الضيق ، ولـكن قلها ولا عليك مما ينفسون من شىء ، فلن يضر زهار الفل إلا أهله ، ولن يأكل إلا قلوب أصحابه . . . ثم لا تنس أن صاحب الرسالة هو الرجل الذى أثار موضوع النقد منذ أعوام فجلاّه أحسن تجلية ، واستبقت الأقلام وراء قلمه تؤيد ما يقول ، وتفصل ما يجمل ، وأنك أنت يا صاحبى كنت أحد الـكاتبين فيه ، المؤيدين لوجهة نظر صاحب الرسالة ... ثم أذكر أنه صرح لك بجمالى ، واعترف روعتى ، وحسبك أن يصرح الزيات بجمال فاتنة ، وروعة فاتنة ، لتـكتب أنت عن فاتنة ...: أما أختى ... أما شهر زاد التى ملأت أحلامها ، فأنت الـكفيل بأن تنافح عنها ، وتكافح فى سبيلها ، وأنا ضامنة لك أنك منصفها من هراء ما أرجفوا به عن غير علم ، وجُـفاء ما شقشقوا به بغير هدى ولا كتاب منير ... ويدعى الخرّاصون أن صاحب شهر زاد قد أصبح أنانياً ، وذلك أنهم قالوا إنه غضب لأن زميله فى القصر المسحور قد كتب فى « شهرزاد » كتاباً مستقلاً ترجم به عن أحلامها ؛ كأن شهرزاد لم تـكن موجودة منذ قرون ثم وجِدت ، أو كأنها شىء من ابتـكار هذا الجيل فلا يصح إلا أن تـكون حبساً على فلان أو فلان من زعماء الأدب الحديث . . . ولو عقلوا لتأدبوا أولاً ، ثم لعلموا أن الوقيعة على هذا النحو شىء خسيس لا يليق بكرامة نهضتنا ثانياً ، ثم لذكروا أن صاحب شهرزاد ليس أنانيا وأنه صاحب فطنة ونباهة، وأنه ليس من الخفة بحيث ينطلى عليه ما زعموه له من السرق

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى ... ...

ومختلف جداً ما جاء فى شهرزاد وما جاء فى أحلامهـا ، وشهرزاد تلك مغايرة لهذه فى طبيعتها وفى خلقها وفى شهوتها البهيمية وفى وسائلها وفى أصحابها ، وفى اللعب الذى شهد حياتها مذ وجدت ومن قبل أن توجد ، بل هى مغايرة لها فى كل شىء ؛ حتى فى الهواء الذى تنفسته . بل هى مغايرة لها فى كل شىء حتى فى المؤلف الذى كتبها ، وفى القلم الذى كتبت به ... وإلا فأين عدو المرأة من صديق المرأة ؟ وأين الرجل الذى يعد المرأة دمية ، من الرجل الذى يعدها نصف هذه الحياة على الأقل ؟ أين الرجل الذى يحسب أن المرأة مما يستخف اللعب به ، والإزراء عليه ، ووضعه فى إطار لتعليقه فوق جدران الصالونات ، من الرجل الذى يعرف أن المرأة خلقت لما هو أسمى من اللهو ، وأهم من اللعب ، وأقمن بالجد ! نحن هنا نقول لا لنغضب أحداً ، ولا لنرضى أحداً . . . فأمامنا رجلان لـكل منهما مؤلفات ولـكل منهما كتب ، ولـكل منهما مذهب فى الأدب لم يعد من الهين السهل إنـكاره أو تجاهله . . . أما أحدهما فيباهى بأنه عدو للمرأة ، فهو دائب فى الإزراء عليها والتنديد بها والنض من نصيبها فى الحياة ،

وأما الآخر فهو فى الجانب الآخر من صاحبه ، لأنه يعد المرأة شيئاً عظيما جداً إن لم يكن أهم من كل شىء ، فهو دائب فى الإشادة بها ، والثناء عليها ، وإحلالها المكان الذى يسمو فوق الرقاعات . والعجيب أن كلا الرجلين فى مركز يبيح له ذلك ، فالأول غير متزوج وليس له أبناء ، ولم يقع على كاهله من مسئوليات الحياة ما يفسد عليه طريقته فى التفكير التى قد يراها حقاً ، ويراها الناس بلاء . ثم هو لم يعرف هذا الشعور الأبوى الجليل ، ولم يسمع بعد مخلوقاً ظريفاً فصل عن قلبه يناديه ذلك النداء الثمين : « بابا ! » أو باللغة العربية الفصحى : « يا أبى ! » ذلك النداء الذى يوشك أن يكون الفرق بين الرجلين ، والذى هو خليق أن يغير الوسيلة التى يفكر بها كل شخص فى هذا الوجود . أكتب هذا يا صديقى عنى ... أكتبه عن فاتنة ... أكتبه معتقداً أنه الحق ، وهو لذلك لن يغضب أحداً ولن يرضى أحداً ... ! إن لم يرض الجميع ... فأكبر الظن أن الجميع عقلاء . ثم هذا هو الوضع الصحيح لكلا الرجلين . فأى غضب وأى رضى ، وأى سخط وأى بشاشة ؟ لماذا يسخط صاحب شهرزاد إذا غضبت شهر زاد الحكيمة الحازمة حين ترى كاتباً يسلم جسمها للعبيد السود ، ويدعى أنها هى التى تصنع هذا وتشتهاه راضية ! لقد حق لشهر زاد أن تثور وأن تسخط إذا كانت شهر زاد رمزاً للمرأة فى كل زمان ومكان . لقد حق لها أن تثور وأن تسخط إذا كانت حقاً رمزاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا وزوجاتنا ... بل رمزاً للمخلوقة المقدسة التى تصنع سعادتنا وشرفنا وتبنى منزلنا وتغذو أرواحنا ، وتقيم لنا حياة العزة التى نصبو إليها ونحلم بها ، وتملأ دائماً خيالنا وتستأثر بعبادتنا لأنها من الله بل هى جماع ما يأمرنا به الله ... شهرزاد هذه تغضب أشد الغضب ، وتثور أعنف الثورة إذا انحط بها كاتب إلى صفوف العاهرات . وكل رجل لا يغضب معها ويثور لثورتها هو زوج فقد نخوته ، أو أب لا يهمه شرفه ، أو أخ ليس فيه مروءة ، أو ابن معدوم النجدة ، أو قريب ليس عنده نخيزة ...

ولا يصح أن يكون هؤلاء آدميين إذا أخذوا بوجهة النظر الخسيسة

هذه فى شهرزاد ... حينما تكون شهر زاد رمزاً للمرأة ...

ثق يا صديقى أن أحداً لن يغضب من هذا الكلام الذى تقوله بلسانى ، لأن أحداً لا يرضى أن ينتسب إلى هذا الصنف من صنوف شهرزاد إلا إذا كان فسلاً أو أفيكا أو مدخولاً فى عقله . لن يرضى أحد أن ينتسب إلى هذا الصنف من صنوف شهرزاد بأبوة أو أخوة أو بنوة أو قرابة ... واليوم الذى يرضى فيه أحد بشىء من هذا هو اليوم الذى تنعكس فيه معايير الأخلاق وتكون الفضائل والرذائل صفات اعتبارية وشعبذات لا قيمة لها إلا فى أفهام النوكى والقماديد ... وإذا صح أن يكون الناس قد صاروا نوكى وقماديد ، صح أن تؤلف لهم قصة عن شهر زاد تهدف بالمرأة إلى هذا الهدف الوضيع الذى يجعل بيوت الناس مواخير فسق ، وأسواقاً للبغايا ... ها أنت ذا تشيع فى وجهك حمرة الخجل يا صديقى لمجرد ذكر هذه الألفاظ التى لم تتعود إيرادها فى أى مما كتبت ، ولكن ما حيلتك وأنت تريد أن تكتب حقاً . ثم ما حيلتك وقد لقيت شهرزاد هذا ذاك الرواج الذى لقيت بين جمهور القراء فهبطت بهم ولم تعل ، واشتركت العوامل التى أوشكت أن تفسد الاتجاه الأدبى فى نهضة هذا الأدب ، إن لم تكن قد أفسدت بالفعل . فإذا جاء كاتب أب ... كاتب له زوج وأبناء وبيت ليكتب عن شهرزاد كتاباً جديداً يدفع به تلك الوصمة التى أخجلت ، وينبغى أن تخجل الأمهات والأخوات والزوجات ، أإذا جاء هذا الكاتب ليكتب ذلك الكتاب ، هب الخراصون يتفيهقون ويقولون إنه إنما سرق ، وإنه إنما سوغ لنفسه أن يدعى لنفسه ما لغيره ، وأن يعيث فساداً فى بستان أخيه ، وأن ينفش فى زرعه ؟ ولماذا ؟ لأن عبارة أو عبارتين اتفقتا فى الكتابين ، وتواردتا فى القصتين ! ناسين أن الكاتبين قد اشتركا فى مصاحبة شهرزاد فى قصرها المسحور ، فكتبا عنها كتاباً يترجم عن فهمها ، ويشرح طريقتهما ، ويحكم لأحدهما

ثورة فى الأخــــلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

كان من حكمة الله ورحمته بالإنسانية أن أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم للعرب خاصة وللناس كافة على فترة من الرسل ، والناس فى عمى عن الحق ، وضلال عن الهدى ، وجهالة شملته من أدناه إلى أقصاه . فقد كان من الناس قبل بعثة المصطفى من قال : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومن زعم أنه لا يُبعث من يموت ، ومن يعبد إلٰهين اثنين واحداً للخير وآخر للشر ، ومن جعل يقيم من الأحجار أوثاناً وأصناماً يعبدها ويقدم لها القرابين حتى من أبنائه وأفلاذ كبده ! هذا فى ناحية العقيدة . أما فى ناحية الخلق والاجتماع ؛ فكان البغى والعدوان ، وأكل مال اليتيم ، وهضم حق الضعيف ، ونصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، واستبداد الأكاسرة والقياصرة بمن استرعاهم الله من خلقه . كان الأمر كذلك وشراً من ذلك ، حتى نظر الله للانسانية المهضومة ، والقلوب الحائرة ، والنفوس المتطلعة لنور يهدى به الله خلقه بعد ضلال ، ورشد يخرجهم من الظلمات ، ورحمة تعمهم جميعاً ، فكان محمد هو الهدى والرشد والرحمة والنور ، وبه تمت نعمة الله على خلقه وقامت حجته عليهم ، بما جاء به من عقيدة وتشاريع وأخلاق ، بها صلاح العالم ما أخذ بها ومشى فى ضوئها .

ولست أريد الآن أن أفصّل ما ذكرت ، أو أن أوضح ما أجملت ، فحسبى فى مقامى هذا الإشارة والإجمال ، وفى ذلك بلاغ لقوم يعلمون . إنما الذى أرجو أن ألفت إليه النظر بقوة هو أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت ثورة بكل معنى الكلمة ؛ ثورة على العقائد الباطلة ، والفوضى الشاملة ، والأخلاق الرذلة السيئة . كانت ثورة على هذا كله ؛ وإن فى بعضه ما كان طيباً فى أصله ، ثم لما طال به الزمن تغير على أيدى الناس شيئاً فشيئاً ، حتى انقلب سوءاً وشرا ! فما أجدرنا إذاً أن نبحث التراث الذى وصل إلينا ، بلا تفرقة بين منبعه وأصحابه ، ونأخذ بما فيه من حق ، ونثور على ما اندس إليه من باطل فنبعده عنه ، وبخاصة فى ناحية العقيدة التى بها صلاح المرء وسلامه ، والأخلاق التى يتعايش بها الناس ويحكّمونها فى حياتهم وعامة أحوالهم .

وعلى الآخر ، ويتناول بالتفسير ما ذهبنا إليه من عناصر تلك القضية . ما هذا ؟! كيف يفهم هؤلاء الأدب ؟ أيكفى أن يقرأوا القصة من القصص فى سيارة أو عربة ترام ليصدروا عنها حكمهم وهم يهزلون ؟! لا . لا ... ينبغى عليهم أولاً أن يفهموا أن الذى بين صاحب شهرزاد وصاحب أحلام شهرزاد ، مختلف جداً . فأحدهما مشرّق والآخر مغرّب ، وأحدهما يرمى إلى غرض يهدف الآخر إلى ضده . أحدهما يعد المرأة شهوة تفسد كل شىء . المرأة عند أحدهما شيطان مريد ، وعند الثانى ملاك بار رحيم . فليفهم الخراصون قضية الكاتبين على هذا النحو . ثم ليقرأوا القصتين من جديد على هذا النور الجديد . ليضعوا عناصر القضية مرتبة أمام بصائرهم . ليقرأوا شهرزاد أولاً ، ثم ليقرأوا القصر المسحور ثانياً ، ثم ليقرأوا أحلام شهرزاد بعد ذلك ، وليذكروا من هو كاتب شهرزاد وما مزاجه فى المرأة ، وما رأيه الذى يفرق به بين جسدها وبين روحها ، وليذكروا ، ما لا ينى يكتبه عنها ، وما يفخر دائماً أنه مذهبه فى كل ما يتعلق بها . ثم ليذكروا من هو كاتب أحلامها وما طريقته فى الأدب ، وما رأيه فى المرأة ، وما ذا كتب وما يزال يكتب عنها

ليفعلوا هذا ، أو فلينتظروا حتى نعرض لهم كل ذلك .

قالت فاتنة : « أكتب ذلك يا صديقى عنى ، فقد آن أن تجد المرأة من ينافح عنها ، ويكافح فى سبيلها . »

دريني خشبة

وأرى ، قصداً فى القول والورق ، ألا أتحدث الآن على ناحية العقيدة وما شابها من باطل بفعل بعض المتصوفة وغيرهم من الذين أفسد تفكيرهم فلسفات تلقفوها من هنا وهناك ، دون أن يعنوا بالفحص عنها والتثبت منها ، فحادوا عن سواء السبيل . وإذاً فلتكن هذه الكلمة مقصورة على ما يجب من ثورة فى ناحية الأخلاق .

ورثنا عن رجالاتنا وفلاسفتنا المسلمين — أمثال ابن مسكويه والفارابى والغزالى — مذاهب فى الأخلاق ، بينت لنا الفضائل والرذائل بياناً فلسفياً ، وحددت السعادة التى يصح أن نسعى إليها ، ورسمت لها الطرق والسبل ، مستعينة فى ذلك كله بهدى القرآن والحديث وبآراء من الديانة المسيحية والفلسفة الأغريقية فكان من هذا المزيج ما نعرفه من الأخلاق الفلسفية التى نتوفر على دراستها فى الأزهر والجامعة علها تهدينا السبيل السوى ، والتى جدنا عليها فما غيرنا منها شيئاً ، غافلين عن الزمن وتغيره وما جد من تطورات ونظم تقضى بأن نعيد النظر فى هذه الأخلاق هذه الغاية — أو السعادة القصوى — التى حددتها تلك المذاهب هى العلم التام والمعرفة الصحيحة بالعالم والله والملأ الأعلى . والوسائل إليها فى رأى الغزالى — الذى يعتبر إلى حد كبير ممثل هذا الضرب من الأخلاق — هى التحلى بفاضل الأخلاق ، والزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة . وهنا موطن من المواطن التى أدعو إلى الثورة عليها .

لم يجىء الإسلام ليمهد سبيل الراحة والسعادة الخاصة لقوم يقبعون فى الزوايا والمساجد يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ويقنعون بالتافه من الطعام والمرقع من الثياب والضرورى من حطام هذه الحياة الدنيا ، طلباً لما فى الدار الآخرة من جنات عرضها السموات والأرض ! لقد جاء الإسلام ، وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فكان ديناً وسطاً لم يفضل الجسم ولا الروح بل عرف لكل حقه ؛ فلم يوجب التقشف ، ولم يحرم التمتع بما أودع الله من خير فى بطن الأرض وعلى ظهرها : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » !

(الحديث موصول)

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

فى كتابه قصة المومياء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(تتمة)

يأتى بعد الموسيقى ، الأسرى من البربر بسحنهم الغريبة ، ووجوههم البهيمية ، وجلودهم السوداء ، وشعورهم المجعّدة ؛ وإنهم ليشبهون القرد أكثر مما يشبهون الإنسان ، ويلبسون زى بلادهم : قباء إلى أسفل الردف ، مطرز بزخارف ذات ألوان مختلفة ، وتمسكه حمالة واحدة ، ويسود فى غل هؤلاء الأسرى قسوة غريبة ماهرة ؛ فبعضهم جمعت كيمانه خلف ظهره ، والبعض ربطت يداه مرفوعتين فوق رأسه في أكثر الأوضاع مضايقة ، وقسم وضعت يداه فى محابس خشبية ، وآخرون ربطت رقابهم فى حبل يضم صفاً طويلاً ، وقد عقدت عقدة عند كل أسير ، ويسير إلى جانب الأسرى حرس ينظمون سيرهم بضربات من العصا ، ويسير فى الخلف بخجل وانحناء سيدات سمر بضفائر طويلة مسترسلة ، ويحملن أطفالهن فى خرق من نسيج معقود على جباههن ؛ وأخريات حسان ذوات جلد أقل سمرة من هؤلاء قد زيّن أذرعتهن بحلقات ضخمة من العاج ، وآذانهن باسطوانات واسعة من المعدن ؛ وقد ارتدين أقبية طويلة ذات أردان واسعة ، يزينها تطريز لدى العنق ، وتنزل إلى أعقابهن ، مثناة ثنيات دقيقة مكوية ، ويلبسن خلاخيل فى أقدامهن ، ويصحب هؤلاء الجند ويحفظونهن من الاختلاط بالجمهور

يأتى بعد ذلك حاملو الرايات ، رافعين أعلامهم مذهباً قضبانها ، وعليها رسوم رمزيه ؛ من صقور مقدسة ، إلى رءوس هاتور يعلوها ريش النعام إلى لقالق ذات أجنحة ، إلى أختام منقوشة باسم الملك ، إلى تماسيح ورموز أخرى دينية أو حربية ؛ وقد عقد بهذه الرايات أربطة بيضاء زينت بنقط سوداء ، تحملها حركة السير ترفرف برقة

لدى رؤية حاملى الرايات الذين يعلنون مقدم فرعون ، أخذ نواب القسس والأعيان يمدون أيديهم نحو فرعون فى هيئة احترام تام ، أو يتركون أيديهم على ركبهم مديرين راحاتهم للهواء ، وبعضهم ينحنى شاداً مرافقه إلى جسمه ، وجبهته منحنية تبدى الخضوع المطلق والتقديس العميق ؛ بينما النظارة يحركون فى كل جهة ما معهم من سعف النخل

بين حاملى الرايات وحملة المباخر الذين يسبقون هودج فرعون ، مناد يتقدم وحده وبيده منشور تغطيه الرموز الهيرغليفية ؛ يعلن هذا المنادى بصوت قوى رنان ، كأنه صوت بوق من النحاس ، انتصارات فرعون ويتحدث عن الحظ الذى صادفه الملك فى مختلف مواقعه ، وعدد الأسرى وعربات الحرب التى أخذت من العدو ، وقدر الغنيمة ، وقيمة برادة الذهب ، وأسنان الفيل ، وريش النعام والعطور ، وعدد الزراف والأسد والفهود والحيوانات الأخرى النادرة ؛ ويذكر اسم رؤساء البربر الذين قتلوا بحراب جلالته أو سهام ذلك الملك القادر على كل شيء محبوب الآلهة ، ولدى كل خبر يهتف الشعب هتافاً عالياً ، ومن أعلى الجدران يرمون فى طريق المنتصر سعف النخل الذى يلوحون به

وأخيراً يظهر فرعون .

بعض الكهنة يضمون البخور على الفحم المتقد فى كوب صغير من البرنز ، له يد على هيئة صولجان ومن الناحية الأخرى ينتهى برأس حيوان مقدس ، ويسيرون باحترام بينما الدخان المعطر الأزرق يصعد إلى أنف المنتصر الجالس فى هيئة من لا ينتبه إلى هذه التشريفات كأنه إله من البرنز أو البازلت

إثنا عشر رئيساً حربياً يغطى رءوسهم خوذات خفيفة ، عليها ريش نعام ، أنصافهم العليا عارية ، والسفلى يغطيها منطق ذو ثنيات عريضة ، ويضعون أمامهم تروسهم معلقة بأحزمتهم ، هؤلاء يحملون نوعاً من الهوادج عليه عرش فرعون ، وهو كرسى له أذرع وأرجل على هيئة الأسد ، وله ظهر مرتفع ، وعليه حشية عالية ، وقد زيّن جانبه بشبكة من الورد الأحمر والأزرق ، وذهبت يدا العرش وأرجله وجوانبه ، أما الأماكن

التى خلت من التذهيب فيملؤها ألوان زاهية

وعلى كل جانب من المحمل يحرك أربعة رجال مراوح ثقيلة من الريش على شكل نصف دائرة ، وعيدان هذه المراوح مذهبة ؛ ويحمل قسيسان قرناً مزخرفاً زخرفة باهرة ، ويسقط منه باقات اللوتس الضخمة

كان فرعون يضع على رأسه تاجاً به فتحة ينفذ منها صوان الأذن ، ثم ينسدل على العنق ليحميها ، وفى القسم الأزرق من التاج يلمع كثير من النقط التى تشبه أهداب الطائر ، وهى مكونة من ثلاث دوائر سوداء وبيضاء وحمراء ، وله إطار قرمزى وأصفر يبين حافته . والثعبان الرمزى عاقفاً حلقاته الذهبيـة على الجزء الأمامى من التاج يتدلى وينتفخ فوق الجبين الملكى ، ويتهدل على الأكتاف خصلتان من الشعر المصفف طويلتان لهما لون أرجوانى ، ويكملان غطاء الرأس ذا الأناقة والعظمة

ويتدلى على صدر فرعون عقد ذو سبعة أدوار من الميناء والحجارة الكريمة والدرر والفصوص الذهبية التى لها فى الشمس بريق وهاج خاطف

ويلبس الملك نوعاً من الأقمصة به مربعات وردية وسوداء ، وينتهى بأربطة تلتف مرات عدة حول جذعه ، وتضغطه بقوة ؛ وكماه المشقوقتان من أعلى تدور عليهما خيوط ذهبية ، وحمراء ، وزرقاء ، تريان ذراعين عظيمتى العضل قويتين ، وباليـد اليسرى مقبض من المعدن مخصص ، ليخفف من احتكاك الوتر عند ما يرمى فرعون سهماً من قوسه ، واليد اليمنى يزينها سوار مكون من ثعبان يلتف عدة مرات على نفسه ، وتقبض على صولجان من الذهب ينتهى بزهرة لوتس ؛ وباقى جسمه ملتف بنسيج من أدق أنواع الكتان ذى ثنيات كثيرة ، ويثبته على الخصر حزام عليه صفائح من الميناء والذهب ، وبين القميص والحزام يبدو الجسم مضيئاً مصقولاً كأنه جرانيت وردى نحتته يد صناع ، ويلبس فى قدميه الدقيقتين الطويلتين صندلتين محنيا لسانهما ، ويشبهان قبقاب التزحلق ، ويجلس واضعاً إحدى قدميه قريبة من الأخرى ، كما نرى فى أقدام الآلهة المنقوشة على حيطان المعابد

وجه فرعون مصقول أمرد ، ذو سمات نقية ، يبدو أنه ليس فى مقدرة أى انفعال إنسانى أن يغيرها ، وشفتاه نابتتان ، وعيناه واسعتان يزيد فى سعتهما الخطوط السود ، وأهدابهما لا تطرف كأهداب الصقور المقدسة . وإنه ليوحى بسكونه الرهبة والاحترام ؛ ويقال إن عينيه الثابتتين لا تريان إلا الخلود واللانهاية ، أما ما حولها من الحوادث فيبدو أنه لا ينعكس فيهما . وإن الاشمئزاز من اللذائذ والتعب من الرغبات التى تجاب حالما تبدى ، والتفرد بأن يكون نصف إلـه لا نظير له بين البشر ، والضجر من طول ما عُبِد ، والملل من النصر ، عقـدت إلى الأبد هذا الوجه الجميل الصافى . وإن أوزيريس القاضى بين الأرواح ليس أكثر منه عظمة ولا هدوءاً

إلى جانب فرعون ، يرقد فوق المحمل أسـد خاص به ، مادّ إلى الأمام مخالبه كأنه تمثال أبى الهول فوق قاعدته ، ولكنه يطرف بعينيه الصفراوين .

يصل هودج فرعون بالعربات الحربية لزعماء المغلوبين حبل ، وهم مقودون مخافه كأنهم حيوانات ذات مقاود ، وأنهم بهيئتهم الحزينة الوحشية ، قد جمعت مرافقهم بالعصائب ، ويكوّنون منظراً شنيعاً ، ويهتزون بغير نظام كلما اهتزت عرباتهم التى يقودها حوذيون من المصريين .

بعدئذ تأتى العربات الحربية للأمراء الشبان من الأسرة المالكة ، ويجر هذه العربات خيول من جنس أصيل وهيئة جميلة ، وسيقان دقيقة ، وأقدام كثيرة الحركة ، وأعراف منظمة ، ويسرج كل اثنين منها معاً ، وقد زينت رؤوسها بالريش الأحمر . وعلى جباههما يلمع المعدن وفى فمها شكيمة منه . ويستند إلى كواهل الحصن عريش منحن ذو حلقات متفرقة ، وعلى كل حصان ميثرتان عليهما كرتان من النحاس اللامع ، يجمعهما نير دقيق منحن إلى الداخل ، ويكمل سرج الحصان بحزام وسير صدرى مخيط ، ومزخرف زخرفة كثيرة ، وجلال عليها خطوط كثيرة زرقاء وحمراء ، ولها هدّاب وخمل ؛ فسرج الحصان متين جميل خفيف .

أما العربة فطلية بالأحمر والأخضر ، ولهـا صفائح وأنصاف كرات من البرنز تشبه وجه الدّرع ، وهى مجهزة بكنانتين كبيرتين موضوعتين بانحراف ، إحداهما تحوى حراباً والأخرى سهاماً ، وعلى كل وجه أسد منجوت مذهب ، مخالبه ساكنة ،

وفمه مفتوح كما لو كان يزأر ويبغى الوثوب على الأعداء .

ويلبس شباب الأمراء على رءوسهم شريطاً يضم شعرهم ، ويلتف عليه الثعبان الملكى نافخاً أوداجه ، ويرتدون قميصاً مزخرفاً لدى العنق والأكمام زخرفة باهرة ، ويحيط به لدى الخصر منطقة من الجلد يربطها مشبك من المعدن ، قد حفرت عليه نقوش هيروغليفية ، ويعلق بهذه المنطقة خنجر كبير ، حافته مثلثة من النحاس ، ويده مضلعة تنتهى برأس صقر ؛ وفى كل عربة يجلس بجانب كل أمير حوذىٌّ مكلف بأن يقود العربة فى أثناء المعركة ، وتابع يحمل سلاحاً ، وهو مكلف بأن يدفع بالترس الضربات الموجهة إلى الأمير المحارب عند ما يكون هذا رامياً بالسهام ، أو مهيئاً الحراب التى يأخذها من الكنانة الجانبية

عقب الأمراء تأتى عربات الفرسان المصريين ، وعددهم عشرون ألفاً ، كل ثلاثة فى عربة يجرها حصانان ، وتتقدم العربات عشرة عشرة ، وتكاد أقطاب عجلاتها تماس ، ولكنها لا تحتك أبداً ، لأن مهارة الحوذيين عظيمة .

بعض العربات خفيف خصص للمناوشات والاستطلاع ، ويسير فى المقدمة ، ولا يحمل إلاّ محارباً واحداً ، ولكى تكون يداه حرّتين فى أثناء المعركة يلف زمام عزبته حول جسمه ، ويجذبه إلى اليمين أو إلى الشمال ، أو إلى الخلف ، ليدفع أو يوقف حصنه ، وعجيب جدًّا أن ترى هذه الحيوانات النبيلة التى تبدو كأنها متروكة لنفسها تحفظ فى سيرها اتجاهاً منتظماً لا يتزعزع

مشى الخيل المكبوحة بعنف ، وضوضاء العجلات ذات الإطار البرنزىّ ، وقعقعة الأسلحة المعدنية منحت هذا العرض شيئاً من الوقار والخوف ، حتى ليقذف الرعب فى أكثر القلوب بسالة ؛ والقبعات والريش والتروس ، والأدرع المزينة بفلوس خضراء وحمراء وصفراء ، والأقواس المذهبة والسهام النحاسية ، تضيء وتلمع مخيفة فى ضوء الشمس الساطعة فى كبد السماء فوق سلسلة الجبال الليبية ، كأنها عين كبيرة لأوزيريس — كل ذلك يشعر أن مثل هذا الجيش يجب أن يمحو الأقطار أمامه إذا اصطدمت به ، كعاصفة تطرد أمامها عوداً من التبن ضعيفاً .

تحت هذه العجلات التى لا عد لها ، ترن الأرض وترتجف خفية كأن ظاهرة طبيعية تحركها

بعد العربات تأتى كتائب المشاة سائرين فى نظام ، يحملون تروسهم فى اليد اليسرى ويحمل بعضهم فى اليد اليمنى رمحا ، وبعضهم قوساً ، وطائفة نبالاً ، والأخرى أفؤسا ؛ ويلبس هؤلاء الجند على رؤوسهم خوذات يزينها ضفيرتان من شعر الخيل ، وأجسامهم مشدودة بدروع من جلد التماسيح

عدم التأثر الذى يلوح على هؤلاء الجند ، والنظام التام فى حركاتهم ، ولونهم النحاسى الداكن الذى كستهم به غارة حديثة فى الأقطار المحرقة من أثيوبيا العليا ، وغبار الصحراء الدقيق على ملابسهم ؛ كل أولئك يوحى الإعجاب بهم وبشجاعتهم وإنه بمثل هؤلاء الجنود استطاعت مصر أن تفتح العالم

بعدئذ تأتى الجيوش الحليفة ، ومن السهل معرفتها من النظام البربرى فى المغافر التى تشبه تيجانا مقطوعة أو عليها أهلة مجتمعة فى طرف . وإن رماحهم ذات الحدود القاطعة وفئوسهم المشقوقة يجب أن تحدث جراحاً لا أمل فى الشفاء منها

يأتى بعد ذلك العبيد يحملون ما أعلنه المنادى من جزية على أكتافهم ، أو على محامل ؛ وبعض المروضين يقود نموراً وفهوداً تفحص الأرض كأنها تريد أن تختفى ، ونعاماً يصفق بأجنحته ، وزرافاً يرتفع على الجمهور بطول عنقه ، ودببة رمادية يقال إنها مجلوبة من جبال القمر

منذ وقت طويل عاد الملك إلى قصره ، بينما كان الموكب لا يزال يسير

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

روسيا والحرب الخاطفة

لليوزباشى حسين ذو الفقار صبرى

يتساءل الكثيرون عن السر فى تحول أداة الحرب الألمانية عن نجاحها الخاطف أثناء فترة الحرب الأولى إلى هجومها الجاهد المكدود عبر الفيافى الروسية خلال الصيف الماضى

فقد رأينا بولندا وفرنسا تنهاران فى لمح البصر تحت ضربات خاطفة ، بهرتهم ثم صعقتهم ، ورأينا جيوش يوغوسلافيا واليونان تتمزق إربًا ، ثم رأينا نفس الأمر يتكرر فى روسيا ، خلال الأسابيع الأولى من القتال ؛ ثم ... ماذا ؟ كنا قد كونا رأيًا عن نتيجة خلناها محتومة ، فلما تلفتنا شاهدنا عكس ما تعجلنا استنتاجه فماذا كانت الأسباب ؟

إن الحرب الخاطفة هى الحرب الاستراتيكية المثلى [1] ، هى الحرب التى ترمى إلى تفكيك أوصال العدو دون قتال ، تفصل القوات عن قواعدها ، تحيط بها دون أن تشتبك معها ، تهدد العدو فى مؤخرته عند ما تكون أسلحته في المقدمة ، تراوغه عند ما يتقدم فتورطه هنا وهناك وفى كل مكان ، فلما تتباعد قواته وتتفرق ، وتتفتت إلى فئات منفصله ، فاقدة كل اتصال ، غير محتفظة بأدنى تماسك ، مقبلة على الانحلال ، تعطى الكلمة عندئذ للطائرات بينما تضغط عليها بعض القوات ، فما أسرع أن تبادر الجيوش المنحلة إلى التسليم ، أو تصمد فتباد .

وما أسهلها عملية لجيش ميكانيكى حديث ، لا يركز مجهوده إلا أمام أضعف المراكز ، ما يكاد يخترقها حتى ينفذ إلى المؤخرة مسارعًا إليها على شكل مروحة ضخمة ، شعابها مهما تفرعت فهى ما تزال يدفعها تصميم مشترك ، إنجازاتها متنوعة وأوامرها هى هى ، لا تفقد اتصالها اللاسلكى ببعضها ، تستمر فى ضغطها

(١) الاستراتيك هو كل ما يختص بالتحركات العامة للجيوش التى ترمى إلى اجتذاب العدو إلى ميدان لا يلائمه من كافة الوجوه ، إن كان ذلك فى الامكان ؛ أما التكتيك فهى الحركات التى تقوم بها الجيوش أثناء المعركة أو عندما تكون على أهبة الاشتباك ، ويكون الميدان عندئذ قد تحدد مكانه وزمانه ؛ فالاستراتيك الأمثل هو اجتذاب العدو إلى فخ محكم فيستسلم دون قتال ، أما التكتيك الأمثل فهو إبادته فى المعركة مع احتمال أقل خسائر ممكنة .

حتى يتفتت أمامها مجهود العدو لعدم استعداده لمثل هذه الأحوال التى ما كانت تخطر على بال

تعتمد الحرب الخاطفة على مقدرة الدبابات على اختراق الاستحكامات بأقصى سرعة ، ثم النفاذ منها إلى ما وراءها ، ثم استمرار القوات الراكبة [1] فى التقدم السريع حتى تنحل أوصال الجيش ، ولكن هذا الانحلال لا يطرأ إلا بعد وقت يتحتم على القوات المتقدمة أن تظل أثناءه مستمرة فى حركاتها الهجومية ، وهذه الحركة المستمرة لها حدود ، يحدها أولاً قوة احتمال الجنود ، وثانياً كمية الوقود ، ثم ضرورة تعهد الآلات بين الحين والحين ، ولذا لم تنجح الحرب الخاطفة إلا عند ما كانت أغراضها فى الميدان داخل نطاق مجهودها ؛ فالقوات الألمانية التى اخترقت سيدان توقفت بعد بضعة أيام عند المانش ، وتلك التى هاجمت « سكوبلى » توصلت بعد بضع ساعات إلى قلب مواصلات البلقان وقبضت على محورها العتيد ؛ وعلى عكس الرأى السائد ، لا تبقى الدبابات فى المقدمة طوال المعركة ، بل إنها بمجرد اختراقها الاستحكامات الرئيسية ترتد إلى الخلف كاحتياطى ثمين ، لا يستعمل إلا للضرورة القصوى عند ما تصمد بعض الموانع الطارئة فى طريق المتقدمين المكونين من « وحدات راكبة » .

إن أول ما واجه الألمان من العقبات فى روسيا هو انبساط المساحات ، فرموا إلى التغلب على ذلك بتقسيم هجماتهم على دفعات ، أهداف كل هجمة مراكز المواصلات القريبة منها ، إذ باحتلال هذه تُشل حركة إعادة تنظيم الصفوف الروسية فى ميدان القتال بينما يكون الألمان قد أسرعوا فى إعادة الاستعداد للخطوة التالية ، وهكذا دواليك . وقد ساعدهم مساعدة كبرى مجهود الدكتور « فرتز طود » الذى خلفه « شبير » بعد وفاته فى إنشائه ، أولاً فأولا ، خطوطاً خلفية للمواصلات ، مقاطعة لاتجاه الزحف ، فأصبحت القوات الألمانية قادرة على الانتقال من قطاع إلى قطاع تبعاً لمقتضيات الحال دون كبير عناء .

زحفت الجيوش الألمانية حتى احتلت روسيا البيضاء وجزءاً من أكرانيا ؛ وكانت الفصائل الروسية ، فى حالة إنعزالها عن

(١) « القوات الراكبة » هى المشاة المحملون على عربات ، أما الدبابات فتسمى « القوات المدرعة »

بعضها البعض ، تقاوم مستميتة بدلاً من أن تستسلم مستيئسة ، وذلك لأن الروس كانوا قد فطنوا لحقيقة بديهيـة ، هى أن المناطق المزدحمة بالمساكن خير ما يقاوم نطاح الدبابات ، فعملوا على أن تكون فصائلهم مكفيّة بمؤونتها وذخيرتها ، لا تحتاج إلى أن تمون أمداً من الزمان ، فما تكاد تُحس بخطر التطويق حتى ترتد إلى وكرها المخصص وتنكمش فيه ، مدافعة عن نفسها فى كل اتجاه ، محتفظة بعدد مناسب من الدبابات ، تدفعه إلى الخارج من حين إلى حين ، مُقطّعة مواصلات العدو ، مُربكة إياه ، لا يكاد يعرف أهو الذى أحاط بها أم هى التى اندست فى جوفه ، وهل هو الذى فصلها عن قواعدها أم هى التى تعارض سيل تموينه ، يهاجمها بمشاته المختارة فتشتتهم بدباباتها ، يحاول اقتحامها فتصليه ناراً حامية ؛ فيضطر أخيراً إلى إخراج ما فى جُعبته من دبابات وطائرات منقضة فيلقى هـذا الاحتياطى الثمين فى صميم المعمعة ، تلك الدبابات وهذه الطائرات التى كان يود أن يحتفظ بها للأوقات العصيبة ، يطلقها الآن من معاقلها على نقط متفرقة متناثرة ، كل نقطة منها تستلزم لإخضاعها اشتباكاً عنيفاً ، خسائره مرتفعة ونتائجه الإيجابية عقيمة ، ولكنه إن أهملها انقلبت عليه شراً ووبيلاً .

إذا أشرفت عندئذ القوات الزاحفة فى المقدمة على استحكامات جديدة تلفتت لدباباتها ، فتجد أنها منشغلة عنها فى مائة معركة صغيرة ، فيعجز الجيش عن شق طريقه إلى الأمام حتى تعود إليه أسنته القاطعه ، وهى لا تعود ، أو قد تعود مضمحلّة العدد مكلومة النصل ، مستلزمة من العناية الكثير حتى تعود لسابق عهدها ، ومن الزمن ما طال حتى يُعاد تنظيمها .

توصلت الجيوش الروسية إلى تحويل سلاح العدو الاستراتيكى الأمثل إلى وحدات تكتيكية صغيرة ، وفقدت الدبابة وظيفتها العامة وانقلبت منها إلى العمليات المحلية الخاصة ، وهكذا انهارت دعامة الحرب الخاطفة ...

أرجو ألاّ يفهم القارئ أنى أقرر أن نجم الدبابات قد أفُل أو قارب الأفول ، فما أبعد ذلك عما أقول ... بل الأمر بالعكس ، فقد أصبحت الجيوش تطالب بأضعاف أضعاف ما عندها من دبابات ، بل وحتى بتحميل المدافع الضخمة على الجرارات ، فإذا ألقت ببعضها فى الاشتباكات المحلية ، تبقّ لها البعض الآخر لمتابعة التحركات الاستراتيكية

لما أنى الصيف الماضى تراجعت القيادة الألمانية عن الخطط الخاطفة ، وأحلّت محلها خطة جديدة ، قد يحسن أن نسميها بخطة « الكتل الميكانيكية » ؛ لم تعـد القيادة الألمانية تسمح لآلايات الدبابات بالاستمرار فى التقدم تاركة لها حرية التصرف ، بل أصبحت تحدد أهداف هذه داخل نطاق ضيق حتى ينفسح لبقية الجيش الوقت الكافى لإخضاع مراكز العدو الحصينة المتروكة فى الخلف ، يهاجم هذه بقلاع متحركة من المشاة الراجلين داخل مثلثات من الدبابات الثقيلة ذات المدافع الضخمة والدروع السميكة

أصبحت تلك المراكز الروسية المنعزلة متحكمة فى شبكة المواصلات ، لأن مراكز المقاومة هذه تتجمع عادة حول القرى والمدن التى هى دائماً نقط التقاء الطرق وخطوط الحديد المتشعبة منها فى كل اتجاه ، وأصبح تأثيرها — كما رأينا — عظيما ، وذلك لأن الجيوش الألمانية التى كانت فى ذاك الوقت أحدث الجيوش تنظيماً وتسليحاً ، لم تكن قد التفتت إلى اصطناع وسائل نقل للتموين تتحرك على جرارات ، بل ظلت جميع وسائلها سيارات على عجلات ، ففى وسع الأولى أن تنفذ عبر أى أرض خلاء ، أما السيارات فهى مرتبطة بالطرق المعلومة وخطوطها المرسومة .

والآن وقد بدأ الألمان يتقهقرون فهل تراهم إلى خطط الروس ملتجئون ؟ لا أظن الأمر كذلك ، إذ أن الروس انكمشوا فى قراهم ومدنهم التى وُلدوا وعاشوا فيها طول الحياة ، فاندمجوا بارتدادهم إليها وسط الأهل والإخوان ، ثم يجب ألا ننسى أيضاً أن القتال فى الدور والمساكن يعتمد أكبر الاعتماد على سكانها المدنيين المسلحين بروح الكراهية والعداء لكل غريب دخيل .

سيطر على الحروب فى روسيا من قديم الزمان عامل واحد هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، يقف دائماً أبداً حجر عثرة فى سبيل كل مُغير ، وهذا العامل المؤثر إلى أبعد حدود التأثير هو روسيا نفسها بمساحتها الشاسعة ، ولن يتمكن أى قائد مهما أوتى من مهارة وخبرة أن يتغلب عليها إلا عن طريقين لا ثالث لهما : احتلالها تماماً وهذا مستحيل ، أو تدمير جيوشها وهذا أمر مستعص عسير .

ظن نابليون أن احتلال موسكو التى هى مركز شبكة المواصلات كاف لإيهان الروس ، وغامر ففشل ... ، وحاول

الألمان تحطيم جيوشهم فى الحرب الماضية بهجوم عنيف ، فأخفقوا أمام حيطة الروس ؛ ثم تفتق ذهن الجنرال هوفمان عن خطة ماكرة ، وهى سحب القوات الروسية إلى جيب ضخم بالانسحاب أمامهم فيندفعون وراءه ، وقد أسكرتهم نشوة الظفر وذهبت بحذرهم الأول ، فَيُطبق عليهم فجأة من كل جانب لإبادتهم عن آخرهم . وكانت خطته تستلزم إخلاء أراض فسيحة شرق ألمانيا أول الأمر ، منها سيلزيا الغنية بمناجمها ؛ فرفض هندنبرج احتمال تبعة ما قد يترتب عن هذا الانسحاب من نتائج مادية وأدبية فى سبيل نتيجة مشكوك فيها ، ولم يرض بتنفيذها ؛ ثم أتى لودندرف فحوّر من الخطة قليلاً ، وحصر حدود الأراضى المزمع إخلاؤها داخل نطاق ضيق ، واحتج هوفمان وأشار إلى أنها تصبح عندئذ خطة عرجاء لا تجتذب من جيوش الروس إلا جزءاً يسيراً ، ولكن لودندرف تمكن من إقناعه بأنها ستكون أقصى ما قد يوافق عليه هندنبرج . ولما نفذت الخطة الجديدة نتجت عنها « تاننبرج » حيث أبيد زهرة الجيوش الروسية ... ؛ وظل بعدها العملاق الروسى يترنح دون أن يسقط سنتين من الزمان ، ولكن خطره العاجل كان قد زال ، ثم حلت عليه مشكلات السياسة ، فسلَّم لألمانيا ، وأمضى صلح « برست لتفسك » ؛ وظل هوفمان بعد الحرب ينادى بأعلى صوته وفى كل مكان بأن خطته الأصلية كانت كافية لإخراج روسيا من الحرب فى التو بضربة واحدة ، فهل كان يا ترى على صواب ؟ .

حسين ذو الفقار صبرى

قطـــرة فى بحر ...

للدكتور عزيز عبد السلام فهمى

تعاليتَ يا بحر هــذا جلا لك سرُّ الزمان ولغز الحقب
تصاحب هــذا الزمان وتســـخر منه وتطويه طىَّ الكتب
تنادم حانَكَ منه القرونُ ويمضى الندامى مُضِىَّ الحبب
فيا لك قبراً وسعت الزمان ولاذ الزمان بذيل الهرب

* * *

ويا بحر كم فيك من آية تساءاتُ عنها ولم تَنْتَجِب
تهـــمُّ بأمرٍ وترتد عنه وتطمع فيـــه ولا تقترب
فقيم اندفاعك كالمطمئن وفيم ارتدادك كالمضطرب
ويا بحر ماذا يراقص مو جك منك وماذا وراء الحجب
تلين وتسكن عند الليان وطبع الحليم بطىء الغضب
وتشرس حتى تئِنُّ الصخور ويطفو من الرمل ما قد رسب
وتجمع بين النقيضين جمعَ لك بين اللآلئ والْمُخَشْلَب(١)
يشاطرك الآدمىُّ الغموضَ وترتبطان بحبل النسب
ولن يسبر الغورَ منك الرجالُ ولن يكشف النفسَ علم وطِب

* * *

تعاليت يا بحر هـــذا جما لك ثغر الطبيعة وهى الغبب(٢)
تعربد نشوان حتى المجون وتمجن سكران حتى الصخب
تغازلك الشمس عند الغروب فأنت اللجين وفيك الذهب
وتشرق منـك على صفحة ترقرق بين سـناها اللهب
وتضفى عليـك أكاليلها دماء، وتنشق منك القُضُب(٣)
ويجمعك الأفق بالنيراتِ فأنت السماء وفيك الشهب
يسامرك البـدر من شرفة تَبَرَّج فيهـا ذوات الذنَب
فتعكسهن على ضـــوئه ويلحظك البدر كالمرتقب

* * *

دعانى حنــين خَفِىٌّ إليك فلبَّيتُ يا بحر لمـا غلب
ويا بحر جئتك أفضى بنفسى وأشكو الزمان وماذا جلب
وأغرق فيك همومى وأنـــقعُ يا بحر جرحاً بجنبى وثب
ومَن شاغب الدهر مثلى فما له الدهرَ إن زلَّ يا بحر حِب
وغدر الزمان كختل الرجال ووقع السهام كلسع الرُّقُب(١)
حنانيك يا بحر! يشكو إليك غريب تشرَّد حين اقترب ...
غريب تشرَّد فى داره وضاقت به الأرض لما اغترب!

* * *

تعاليت يا بحر هـذا الجلال وهـذا الجمال وهذا العجب
وهذا نشيدك لحن الحياة نغنِّ الحياة ونح وانتحب

عزيز فهمى

(١) المخشلب خرز من حجارة البحر قال المتنبي :
بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشلبا
(٢) ما أحاط بالحنك أو تدلى دونه (٣) السيوف القاطعة

(١) الأفاعى

من أزهار الشر

لشارل بودلير

العمى

أنعمى النظر أيتها النفس فى هؤلاء العمى. حقاً إن صورتهم بشعة! وإنهم ليشبهون تماثيل الأزياء ويثيرون فى النفس هزؤاً غامضاً. وإن هيئتهم مخيفة، وإنها لفريدة كهيئة هؤلاء النائمين الذين يسيرون وعيونهم مفتحة

هم ينظرون وما من أحد يعلم أين أحداقهم التى تغشاها الظلمات. كما أن عيونهم التى فارقتها الشرارة الإلهية تظل شاخصة إلى السماء، كأنما تبصر على بعد، وما من أحد رآهم يحنون إلى الثرى فى ذهول رءوسهم المكدودة.

هكذا يشقون الظلام اللانهائى شقيق الصمت الأبدى

إيه أيتها المدينة! أنظرى، إننى لأعانى ما يعانون، وإنك لترددين الأغانى حولنا، وتغرقين فى الضحك، وتصرخين صراخ البهائم، كما تحملك اللذات إلى الفجور.

غير أننى، وأنا أكثر غفلة منهم وذهولاً، أقول: «هؤلاء العمى، ما الذي يبحثون عنه فى السماء؟»

ترجمة
عثمان على عسل



الشيخ عبد العزيز البشرى

في فجر يوم الخميس الماضي استأثر الله بابن بار من أبناء العربية، وجندي مخلص من جنود الأدب، وهو المغفور له الأستاذ عبد العزيز البشرى؛ فكان لنعيه المفاجئ موجة من الحزن الشديد غشيت أندية الأدب لما امتاز به الفقيد من حسن المحاضرة، وحلاوة الفكاهة، وطلاوة الأسلوب، ودقة الوصف، والاطلاع الواسع على أخلاق الناس وأحوال المجتمع، والعلم الشامل بأسرار الجيل الأدبي المنصرم، تهيأ له بطول الملابسة وحسن المداخلة؛ فكان أعلم من يتحدث عن الأدب والأدباء في العصر الحديث

نشأ رحمه الله في بيت رفيع من بيوت العلم والدين؛ فكان والده الشيخ سليم البشرى شيخاً للأزهر، وإخوته طلاباً أو علماء فيه؛ فدرس هو كذلك في الأزهر حتى نال شهادة العالمية، ثم ولي القضاء الشرعي حيناً من الدهر، ثم تقلب في بعض المناصب المدنية حتى أتاه اليقين، وهو المراقب الإداري لمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نكتفي اليوم بنعي الفقيد الكريم، وسنعود للكلام عن أدبه وعلمه في فرصة مناسبة. نسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يعوض الأمة العربية من أدبه وفضله خير العوض

ذو القرنين ليس الإسكندر الأكبر

قرأت بالعدد ٥٠٧ نبذة لأستاذ فاضل عن ذي القرنين يريد بها أن يفند نظريتي الجديدة التي أعلنتها أخيراً على صفحات الرسالة الغراء، وأثبت فيها أن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم ليس الإسكندر الأكبر، وإنما هو لقب ملوك دولة فارس التي أسسها الملك كورش العظيم، وتنتهي بالملك دارا الثالث الذي قضى الإسكندر الأكبر على دولته في عهده. واستندت في ذلك إلى رواية التوراة. وأثبت أن وثنية الإسكندر وسيره المعوج وأخلاقه لا تتفق ووصف القرآن الكريم لذي القرنين الذي كان مؤمناً

ويظن الأستاذ أن ديانة الفرس كانت الوثنية، والحقيقة غير ذلك؛ إذ كان الملك كورش ومن جاء بعده إلى الملك دارا الثالث على دين زرادشت نبي الفرس الذي كان يقول إنه رسول الله بعثه ليزيل ما علق بالدين من ضلال وليهدي إلى الحق، وكان لهم كتاب مقدس يسمى أوستا Avesta . ولما انتصر الإسكندر على الفرس كان ذلك ضربة لهذه الديانة، ثم انتعشت بعد ذلك في العصور الأخرى وظلت باقية إلى وقت دخول المسلمين فارس برغم ما طرأ عليها من التحريف. ولقد عاملهم المسلمون في الفتح معاملة أهل الكتاب وعدوا كتابهم كأنه كتاب منزل. وجرى سيدنا عمر رضي الله عنه على ذلك لما روى له الحديث (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) (اقرأ كتاب المسعودي وكتاب Jackson) ودين زرادشت يؤمن بوحدانية الله والجنة والنار والصراط والأعراف (اقرأ كتاب صبح الأعشى وكتاب الأستاذ Haug) والملك كورش هو الذي أمر بإعادة بناء معبد أورشليم لليهود، وكان قد هدمه أحد ملوك بابل من قبل. وجاء بعده الملك قمبيز الذي بمجرد أن فتح مصر هدم معابد المصريين وحطم أصنامهم ومعبوداتهم وقتل بنفسه العجل أبيس (اقرأ كتاب Lenormant وكتاب Browne وكتاب Sykes

أما الإسكندر الذي يريد الأستاذ أن يلصق به لقب ذي القرنين بالإكراه كما فعل بعض المؤرخين من قبل، فلقد كان متهتكا يميل إلى النساء والترف وحب الشهوات وشرب الخمر وقسوة القلب وسفك الدماء؛ وكانت قسوته تزداد حتى تصير ضرباً من الجنون إذا شرب الخمر. ولقد قتل وهو نشوان كليتوس صديق أبيه وكثيرين غيره. ولم يكن موته وهو في عنفوان الشباب إلا نتيجة شراهته في الشراب، فلقد تراهن مع قواده على شرب الخمر طول النهار فرض بحمى قضت عليه. وأوصى وهو على فراش الموت أن يدفن في معبد الإله « مون بسيوة » لأنه كان يدعى أنه ابن هذا الإله (كتاب Droyscn وكتاب Breasted) فهل بعد هذا نقول عنه إنه غير وثني. وهل يتفق هذا مع ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم الذي جعله الله في مصاف الأنبياء تقريباً؟ فلو وافق على ذلك مؤرخو العصور القديمة، عصور الجهل والظلام فنحن لا نوافق عليه الآن ونحن في القرن العشرين عصر العلم والعقل والنور والمدنية

وآيات القرآن الكريم تنطبق على الملك كورش بشكل

مدهش ، فلقد أسس دولة عظيمة واتجه غرباً أولاً ، حتى وصل إلى البحر واستولى على سوريا وآسيا الصغرى ، ثم اتجه بعد ذلك شرقاً ، حتى وصل إلى بلاد الهند وبلاد التركستان حيث توجد آثار السد القديم ولا يزال مكانه بين جبلين ويسمى دربند أى السد . أما الإسكندر فانه اتجه شرقاً أولاً ثم اتجه جنوباً ولم يتجه غرباً إلا عند فتحه مصر ، ومرة أخرى عند عودته من الهند . مع أن القرآن الكريم ينص على أن ذا القرنين اتجه غرباً أولاً ثم بعد ذلك اتجه شرقاً . وهذا خلاف واضح صريح . ومع ذلك فالتوراة صريحة فى ذلك أيضاً . وهى تنص صراحة على أن المقصود بذى القرنين ملوك دولة فارس ؛ والمقصود بذى القرن الواحد ملك من ملوك اليونان . فكيف نكذب التوراة ونصدق الآخرين ، فى حين أن التوراة هى مصدر هذا اللقب . ولقد نزلت آيات القرآن الحكيم عن ذى القرنين بناء على سؤال اليهود للنبى عن ذى القرنين المذكور عندهم فى التوراة . فهل بعد هذا دليل أو برهان ؟

وأخيراً أصحح كلة تيمورلنك التى ذكرتها سهواً فى مقالى السابق وكنت أقصد جنكيزخان زعيم التتار الذى قضى على الدولة العباسية هو وهولاكو من بعده .

الدكتور ابراهيم الدسوقى

حول نزاث اليهود

اطلعت فى عدد مضى من الرسالة الغراء على ما كتبه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى رداً على الأستاذ طه الساكت الذى يدعى رجوع الإسرائيليين إلى مصر بعد خروجهم ، وحكمهم لها استناداً إلى ما جاء فى بعض أقوال المفسرين ، وبياناً للحقيقة أقرر أن اليهود لم يعودوا لمصر بعد خروجهم منها رغم أنهم طلبوا ذلك من الرسول موسى عليه السلام ، بعد أن تأكد لديهم اعتزاز الكنعانيين فى بلادهم وتحصين مدنها ، مما جعلهم يجبنون عن محاربتهم . كما بين ذلك القرآن الكريم فى قوله : « قالوا ياموسى أن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها ماداموا فيها »

وفى تاريخ برستد فى الجزء الخاص بالخروج يحدثنا فيقول : ولما خرج الإسرائيليون من سينا ساروا رويداً حتى وصلوا إلى حافة الصحراء التى تحد عبر الأردن ، وأراد موسى الدخول بقومه إلى أرض كنعان ، فأرسل رجالاً يتجسسون له ، فأتو ، جدون « الخليل » ثم عادوا إليه عبر الأردن وقالوا : إن الشعب فى عزة والمدن فى مناعة . ويؤيد ذلك القرآن

وهنا يبكى الشعب ويطلب الرجوع إلى مصر ، فيحكم عليهم الرب بالتيه أربعين سنة يرعون الغنم فى البرية ، حتى يموت ذلك الجيل . ثم يذكر رحلتهم إلى أرض أدوم ، وموت هرون ، وتركهم عبادة الله إلى الأصنام وتعذيبهم بسبب ذلك ، ولا يذكر عن رجوعهم إلى مصر شيئاً ولوحدث لما أهمله . ويقول الأستاذ شاهين مكاريوس بك فى كتابه تاريخ الإسرائيليين :

وأصابهم فى مدة تيههم هذا أمور ونحن كثيرة يضيق بنا المقام عن استقصائها ، أخصها فناء الجيل الذى خرج من مصر ، إلا رجلين فقط . وقيامهم على موسى يطلبون العودة إلى مصر واطراحهم عبادة الله والاستعاضة منها بعبادة الأوثان ، فنزلت بهم الضربات والأمراض حتى تابوا ، ولما صاروا على مقربة من أرض الوعد توفى موسى ، وعهد بالقيادة إلى يشوع بن نون .

(دار العلوم) **كامل السوافيرى**

إلى الأستاذ محمود تيمور

سيدى الأستاذ الجليل

فى ١٩ مارس ١٩٤٣ كتبتَ إلىَّ تقول : « ... ويؤسفنى أن أخبركم بأننى فوجئت بمرض ابنى « سعيد » ونقله إلى المستشفى لإجراء عملية استئصال « الزائدة الدودية » له ؛ فأرجو أن أتمكن من الاتصال بكم بعد أيام وأنا مطمئن القلب منشرح الخاطر ... »

وفى ٢٢ مارس ، أى فى اليوم الثالث لهذه الفاجأة هصرت المنية غصن « سعيد » ! . . . فأى أسى ألَمَّ بساحتك ، وأى إحساس طاف بقلبك ، وأنت تشهد هذا المصاب الأليم ؟ ... وكيف انتزعت يد الموت السوداء هذا الغصن الرطيب من دوحته لتزين به فردوس السماء ؟

حقاً إنها فاجعة ، ولكنك يا سيدى رجل عظيم ، والعظماء غرض الأقدار ومطمع الأيام ، يبتليهم الدهر فيصبرون ، ويمتحنهم فيصمدون ، ويصارعهم فيصرعونه ؛ فاصبر صبراً جيلاً ، فلك عظيم المثوبة والأجر ، ولابنك الراحل إلى جوار ربه رفيع الدرجات وخالد الذكر ؛ والله من قبل ذلك ومن بعد ذلك يقول : (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) صدق الله العظيم **أحمد الشرباصى**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 509

Lundi - 5 - 4 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٥ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

الفـــــرد والدولة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأحوال الاقتصادية فى كل مجتمع شأن عظيم فى توجيه حياة أفراده ، وفى إقامة النظم الحكومية والآداب العرفية بين أهله

هذه حقيقة لا حاجة بها إلى كشف ولا إثبات ، ولا حاجة بها إلى كاشفين ولا مثبتين ، لأنها أقرب إلى البديهيات المقررة والأصول المسلمة ، منها إلى « نظريات » الأدلة والبراهين

هذه حقيقة لم يكشفها الاشتراكيون والشيوعيون ، وإن غلا فيها دعاة الاشتراكية والشيوعية ، فإن شاءوا من خصوم مذهبهم أن يثبتوها معهم أو يثبتوها قبلهم أو بعدهم فما من معارضة فى إثباتها بين فريق من الناس حيث كان

ولهم أن نزيدهم خطوة أخرى فى هذا الطريق فنقول : إن الأحوال الاقتصادية وراء كل حركة عظيمة من حركات التاريخ ؛ فما سجل التاريخ قط من نهضة أو دعوة أو ثورة أو انقلاب إلا كان للأحوال الاقتصادية فى كل أولئك أثر واضح وسهم كبير

وإلى هنا نقف فلا نستطيع أن نتقدم خطوة ؛ لأننا إذا تقدمنا خطوة أخرى وراء هذه الخطوة قلنا ما ليس فى وسعنا أن

تقوله وليس فى وسع العقل أن يقبله ويسيغه : قلنا إن الأحوال الاقتصادية هى كل شىء وإنها هى المهم الذى لا مهم غيره ، وإن العوامل الكونية لا تشتمل على شىء آخر غير المضاربات والأسواق وتداول الأسعار

وهذا مسخ للحياة ومسخ للفكر ومسخ للعوامل الكونية

بل هذا مسخ للكون حتى ليصبح من بداية الخلق إلى نهايته « بورصة » مضاربات ومثابة سمسرة وشطارة واختلاس

وليس فى وسعنا أن نقول ذلك ، وإن قاله الاشتراكيون ، وقاله الغلاة من الاشتراكيين وهم الشيوعيون الماركسيون

فالأحوال الاقتصادية شىء هام ولكنها ليست بكل شىء هام ، والأحوال الاقتصادية لها سلطان على المجتمع ولكنها ليست بكل سلطان فى المجتمع ، وليس المجتمع مع ذلك بالقضاء الذى لا يرد له حكم فى حياة الأفراد ، فقد يكون للأفراد حكم نافذ فى كل مجتمع نشأوا فيه

والقول بهذا هو الحد الفاصل بيننا وبين دعاة الاشتراكية الذين يلغون سلطان الفرد ليثبتوا سلطان المجتمع ، ثم يقيمون للمجتمع قانوناً لا فكاك منه ولا محيد عنه ، وهو قانون الضرورة المادية أو الضرورة الاقتصادية أو ما يسمونه فى الجملة بالتفسير المادى للتاريخ

ليست الأحوال الاقتصادية بكل شىء

وليس المجتمع بكل شىء

وليس الفرد لغواً إلى جانب المجتمع أو الأحوال الاقتصادية .

ولكنه شىء ، والمجتمع شىء ، والأحوال الاقتصادية شىء ، وليس من الضرورى اللازم لإدراك حقيقة من الحقائق الاجتماعية أو الفلسفية أن نلغى شيئاً من هذه الأشياء

* * *

أحسسنا فى عهدنا هذا أحوج ما كنا إلى توكيد هذه الحقيقة مرة بعد مرة ، لأن توكيدها فى الأذهان غير عاصم من ضلال الشعور — بل ضلال الوهم — الذى يتمثل لبعض الناس كأنه مذهب من مذاهب التفكير

فتغليب الشئون الاقتصادية ، أو تغليب الدوافع المادية على دوافع الحياة فى الأفراد ، هو فى الواقع « قدرية » جديدة يلجأ إليها العاجزون فى زماننا هرباً من التبعة ، كما لجأ العاجزون فيما مضى إلى قدرية القرون الوسطى

كان العاجزون فيما مضى يقولون : ماذا نصنع ؟ وما الحيلة ؟ هذا قدر مكتوب لا حيلة فيه !

فأصبح العاجزون فى زماننا يقولون : ماذا نصنع ؟ وما الحيلة ؟ هذه ضرورات الاقتصاد التى تسيطر على إرادة الأفراد ، فلا لوم عليهم ، ولا تقصير من قبلهم ، وإنما اللوم لوم المجتمع والتقصير تقصير « الأحوال »

وما كتبنا قط مقالاً عن الفرد والمجتمع إلا أحسسنا بخطر هذه القدرية فى أسئلة بعض السائلين ، وتعقيب بعض المعقبين ، فعلمنا أنه « مهرب » جديد من التبعات الفردية ، يلوذ به من يحاول فيفشل فيعز عليه أن يلوم نفسه على فشله ، فيذهب به ليلقيه على كاهل المجتمع أو الأحوال الاقتصادية أو التفسير المادى للتاريخ

أحسسنا بخطر هذه القدرية مرة أخرى على أثر المقال الذى كتبناه عن أسس الإصلاح ، والمقال الذى كتبناه عن فلسفة الترجمة[1] ، لأننا أثبتنا فى كلا المقالين وجود الفرد إلى جانب وجود الدولة أو المجتمع ، وخرجنا منهما بالرأى الذى خلاصته أن الفرد قد يكون قوة فاعلة كما يكون نتيجة منفعلة ، وإن الإصلاح الذى يلغى حرية الفرد فساد شر من كل فساد

كتبنا ذينك المقالين فلم يسترح إليهما أناس ممن استراحوا إلى القدرية الجديدة ، لأن إعفاء النفس من اللوم راحة ، وإلقاء التبعة كلها على المجتمع راحة ، وفيما ذكرناه فى المقالين ما يزعج المستنيم إلى تينك الراحتين

يجب أن نقول إن المجتمع هو كل شىء ، وإن الذنب كله هو ذنبه ، ليستريح المؤمنون بالقدرية الجديدة

ولكننا لا نقول ذلك ، وليس لنا أن نقوله ... بل نحن نقول إن المجتمع شىء فقط وليس بكل شىء ، وإن عليه ذنوباً وليست عليه جميع الذنوب ، فالقدريون إذن غير مستريحين ، و « الحوقلة » من نوع جديد هى كل ما يعبرون به عن هذا القلق المستحدث : قلق التفسير المادى للتاريخ !

---

(١) جاء فى هذا المقال سهواً أن الفرق بين قرنسا أمس واليوم هو الفرق بين فوش وبيتان ، والصواب كليمنصو وبيتان

ومهما يبلغ هؤلاء القدريون الجدد من الحوقلة فما هم بقادرين على إلغاء الفرد وإنكار قسطه من توجيه التاريخ ، وبخاصة حين يكون من عظماء الأفراد

قالوا مثلاً ما طاب لهم أن يقولوا عن المظالم التي ضيقت على الناس منذ قرون فهجروا بلادهم إلى القارة الأمريكية ، وقالوا ما طاب لهم أن يقولوا عن الأسباب الاقتصادية التي حفزت أناساً إلى البحث عن طريق جديد إلى الهند ، فعثروا من طريق المصادفة على تلك القارة الأمريكية

ولكن الذي قالوه كله لن يفسر لنا الفوارق بين الناس في التأثر بالمظالم أو بالعوامل الاقتصادية ؟

فالمظالم قد نزلت بملايين من الناس ، والعوامل الاقتصادية قد أحاطت بملايين من الناس ، فلماذا وجد فيهم من ينفر من الظلم فيهجر بلاده ووجد فيهم من يستكين إلى الظلم فيقيم حيث أقام ؟ ولماذا قنع أفراد بالشظف وطمح أناس إلى الوفر والثراء في قطر مجهول ؟

أهي العوامل الاقتصادية التي فرقت بين فرد وفرد في حظوظ الحياة وملكات الشعور ؟

وإذا كانت العوامل الاقتصادية لم تخلق هذا فمن أين لها أن تلغيه ، وكيف يسعها أن تفسر التاريخ وهذه الفوارق الحيوية باقية عندها بغير تفسير

كانت نظم الحكم في الدولة العثمانية واحدة ، وكانت أسباب المعيشة بين رعاياها متماثلة أو متقاربة ، ولكنها كانت تدين اليوم لسلطان قوى فإذا هي قوة مخيفة لمن حولها ، ثم يخلفه على الأثر سلطان ضعيف فإذا هي مطمع لكل طامع فيها

فكيف ينكر المنكرون مع هذا أن اختلاف الأفراد لا يغير ولا يبدل في حوادث الأمم وحركات التاريخ ؟

وسألنا سائل : ماذا يكون « صلاح الدين » لولا الحروب الصليبية ؟ فسألناه : وماذا تكون الحروب الصليبية لولا صلاح الدين ؟ بل لماذا تغيرت الوقائع كلما تغير القواد في تلك الحروب وفي جميع الحروب ؟

والطريف في مناقشات هؤلاء القدريين أنهم يعقدون المقارنة بين الأبطال والحوادث ليرجحوا نصيب الحوادث على نصيب الأبطال ، فيضمون صلاح الدين في كفة ويضمون الحوادث الصليبية في كفة أخرى ، ويفعلون مثل ذلك في جميع الحوادث وجميع الأقدار ، فإذا هم يبدعون للناس وزناً لا يستقيم في ميزان لأن المقارنة إنما تنعقد بين الأمثال والأشباه ؛ فتنعقد المقارنة بين الحروب الصليبية وبين الغارات التترية ، أو بين حروب الإسلام وحروب المسيحية ، أو بين الثورة الفرنسية والثورة الروسية ، ثم تنعقد المقارنة بين القواد هنا والقواد هناك ، وبين العظماء في نهضة والعظماء في نهضة أخرى ، ليتبين لنا ما استطاعه هؤلاء وما استطاعه هؤلاء ، ويثبت لنا الميزان رجحان هذا أو رجحان ذاك

أما من هو الأرجح : صلاح الدين أو الحوادث الصليبية ؟ فهو ميزان لا يفيد ولا يدل على شيء ، ولا يثوب إلى أصول

أو الوجه الصحيح في بيان فعل صلاح الدين وفضله أن تنعقد المقارنة بينه وبين فرد آخر ممن كانوا في عصره ولم يفعلوا مثل فعله ولم يؤثر لهم فضل كفضله . فيقال إنه فعل وأن غيره لم يفعل ، وأن اختلاف الأفراد يؤدي إلى اختلاف الأفعال

لكن الغرام الذي ملك على هؤلاء القدريين ألبابهم هو غرام البخس والانتقاص ، وأقرب طريق إلى البخس والانتقاص أن يكون العظماء فضولاً وترفاً « مستغنى عنه » ... لأنهم أفراد وليسوا بمجتمع وافر التعداد !

***

نحن أبناء الشرق أحرى الناس أن نفلت من إرهاق هذه الآفة ، لأننا قد فنينا في المجتمع آلافاً من السنين . فحق لنا أن نمطي الفرد أمداً من الحرية يرتع فيه جيلاً أو جيلين ، ولو على سبيل التجربة إلى حين !

على أن الحقيقة البينة التي نؤمن بها أن المستقبل للفرد إلى آخر الزمان إن كان للزمان آخر نستقصيه ، وأن التاريخ الإنساني هو تاريخ الفرد في اضطلاعه بالحقوق والواجبات . فكلما أوغلنا في القدم رجعنا على التوالي إلى أزمنة تقل فيها حقوقه كما تقل فيها واجباته ، وكلما تقدمنا مع الزمن كانت آية التقدم أن الفرد يزداد في تبعاته أي يزداد في حقوقه وواجباته ، ويعرف له شأناً في المجتمع مستقلاً به ما وسعه أن يستقل ، أو هو على الجملة أوفر استقلالاً مما أتيح له في مجتمعات الزمن القديم

ومقاييس التقدم كما قلنا في بعض كتبنا « كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فإذا قسنا التقدم بالسعادة فقد تتاح السعادة للحقير ويحرمها العظيم ، وإذا قسناه بالغنى فقد يغنى الجاهل ويفتقر العالم ، وإذا قسناه بالعلم فقد تعلم الأمم المضمحلة الشائخة وتجهل الأمم الوثيقة الفتية ، إلا مقياساً واحداً لا يقع فيه الاختلاف والاختلال ، وهو مقياس المسئولية واحتمال التبعة . فإنك لا تضاهي بين رجلين أو أمتين إلا وجدت أن الأفضل منهما هو صاحب النصيب الأوفى من المسئولية ، وصاحب القدرة الراجحة على النهوض بتبعاته والاضطلاع بحقوقه وواجباته ، ولا اختلاف في هذا المقياس كلما قست به الفارق بين الطفل القاصر والرجل الرشيد ، أو بين الهمجي والدني ، أو بين المجنون والعاقل ، أو بين الجاهل والعالم ، أو بين العبد والسيد ، أو بين العاجز والقادر ، أو بين كل مفضول وكل فاضل على اختلاف أوجه التفضيل

« فاحتمال التبعات هو مناط التقدم المستطاع »

ومعنى ذلك أن التقدم هو الاعتراف بالفرد والاعتراف بشأنه في المجتمع ، والخروج به من ربقة القدرية التي تفرض عليه سلطاناً يستغرقه ويطويه .

عباس محمود العقاد

٢ - علوم اللغة العربية في المدارس الثانوية

للدكتور زكي مبارك

مشكلة المشكلات

هي مشكلة الصراحة في وزن الأمور التعليمية بالقسطاس

وأنا مقبل على شرح تلك المشكلة بلا مبالاة ولا مداراة ، فما يهمني أن يرضى فلان أو يغضب فلان ، لأن المنافع الوقتية لا تهمني بشيء ، ولأن الخطة التي اخترتها لحياتي هي خطة الصدق الصريح في جميع الشؤون

أقول هذا وقد شاع بين جمهور المدرسين أن مفتشي التعليم الثانوي قرروا تقليل موضوعات الإنشاء

وأنا لن أعرض لتلك الإشاعة بنفي ولا إثبات ، لأني لا أملك إعلان ما دار في اجتماع المفتشين إلا باحتراس ، فما يجوز لرجل يشترك في إحدى اللجان أن يذيع مداولاتها بأي حال

ولكن ما الوجب لطي تلك المداولات والجرائد تنشر تفاصيل ما يدور في مجلس الشيوخ ومجلس النواب ؟

لو كان مقامي مقام الترفق لطويت أقوال زملائي ، لأدفع عنهم تطاول المتطاولين من المتهاونين ، ولكن مقامي مقام الثائر الذي لا يرضيه غير الظفر بأكبر نصيب من أنصبة النضال ، فأنا أوذي نفسي ولا أوذي زملائي حين أعترض على الترفق بالمدرسين والتلاميذ

بدعة مزعجة

هي بدعة التخفيف ، تخفيف الواجبات المدرسية

وعندي كلمة سأقولها مرة واحدة ثم أسكت عنها إلى آخر الزمان .

سأقول إن في مصر ناساً يظنون أن تلاميذ المدارس الثانوية أطفال ، وأن من الواجب أن تكون دروسهم هينات لينات ، لأنهم أطفال !

سأقول إن التخفيف يفضي إلى قلة الاهتمام ، والاهتمام هو أساس كل تفوق . وقد صارت علوم اللغة العربية في المدارس الثانوية عرضة للتسهيلات والتخفيفات من عام إلى عام ، بصورة توجب الانزعاج

لقد انعدم علم الصرف أو كاد ينعدم في المدارس المصرية ، وصار من النادر أن نجد تلميذاً يعرف كيف ينتفع من المعاجم اللغوية .

ومضى التخفيف إلى النحو فحذف منه أبواباً كثيرة ، وصار من النادر أيضاً أن نجد تلميذاً يفهم أسرار الإعراب

وانساق التخفيف إلى علوم البلاغة فهو يقص حواشيها بلا تردد ، وقد نرى غداً من يقترح حذف تلك العلوم ، بحجة أنها نشأت في بيئات أعجمية !

وقرر المفتشون في اجتماعهم الأخير حذف تاريخ الأدب ، وكان يجب أن أفرح لأني اقترحت ذلك منذ سنين ، ولكن

الطريقة التى احتجوا بها لذلك القرار قامت على القول بأن التلاميذ أضعف من أن يفهموا تاريخ الأدب ، لأنهم فى حكم الأطفال !

والواقع أن تلاميذ المدارس الثانوية يسايرون من حيواتهم عهداً هو أخصب العهود ، فيجب أن ننتفع بتلك الفرصة فنزودهم بالمعارف التى تسندهم فى المستقبل ، ويجب أن نخلق فيهم الشوق إلى جميع المعارف ، وأن نجعلهم جنوداً سعداء بالجندية فى ميدان التعليم والتثقيف

قلت لزملائى : أنا أستطيع شرح أصعب معضلة أدبية أو فلسفية شرحاً يفهمه أضعف تلميذ ، فلا تسيئوا الظنون باستعداد التلاميذ

فقال الأستاذ مختار يونس : لم أفهم شيئاً مما تقول

فقلت : لأنى أوجزت فى مقام يجب فيه الإطناب !

يجب أن نفهم أن الفرصة فى أيدينا ، وأن الشبان بين العاشرة والعشرين صالحون لفهم أصعب الدقائق . ويجب أن يكون فى نيتنا جعل مرحلة التعليم الثانوى مرحلة حاسمة فى تكوين عقول الشبان ، بحيث لا يحتاجون إلى المعاهد العالية إلا إذا تساموا إلى الأستاذية فى مختلف العلوم والفنون

وأنا لا أعرف كيف قضينا أزماناً بلا فهم للمراد الصحيح من التعليم الثانوى ، فهو عندنا إعداد للتعليم العالى ، وكان يجب أن يكون إعداداً لخوض معترك الحياة بلا تهيب ولا إشفاق

أنا أكره أن تدوم هـذه الحال ، وأحب أن يصير الشاب رجل أعمال بعد العشرين ، وأتعجب من أن يعيش عالة على أبويه إلى الثلاثين

وأنا أتمنى أن يصبح التعليم العالى مقصوراً على من يملكون الوقت والمال ، ولهؤلاء فرص لا يظفر بها غير آحاد أو مئات ، وهم لن يكونوا أشرف من الشبان الذين يصارعون أمواج الحياة قبل العشرين

مرحلة التعليم الثانوى هى الفرصة الحقيقية لتثقيف الشبان . وتضييع هذه الفرصة إثم موبق

والكلمة لحضرات المدرسين ، فماذا يقولون ؟

من واجب كل مدرس أن يدرك أنه مسئول عن إعداد تلاميذه للحياة ، بحيث لا يحتاجون إلى شىء بعد التعليم الثانوى ، إلا أن يتساموا إلى الأستاذية ، كما قلت قبل لحظات

وما هذه الأستاذية التى توجب أن يكون فى معاهدنا العالية ألوف وألوف ؟

نحن نخلق لأبنائنا متاعب ثقيلة بفضل هـذه الأحلام ، ونحن نصدمهم عن الحياة بفضل هذه الأحلام ، ونحن نجنى عليهم جناية سنُسأل عنها يوم يقوم الحساب

مرحلة التعليم الثانوى هى المرحلة النهائية ، ثم يلتفت الشاب إلى حاله فيكون رجل عمل فى أى ميدان

والمدرس مسئول عن تحقيق هـذا المعنى ، ومن واجبه أن يهب تلاميذه جميع ثروته العلمية والأدبية فى أقصر وقت ، لينصرفوا إلى الحياة بعد أسابيع لا سنين !

والمهمّ هو أن نؤمن بأن الشبان فى مرحلة التعليم الثانوى رجال لا أطفال

المهمّ هو أن نحدّث تلاميذنا فى جميع الشؤون حديث الزميل للزميل

إن هؤلاء التلاميذ خلقٌ جـديد ، وقلبى يحدثنى بأنهم يعرفون من حقائق الحياة أكثر مما نعرف

والمدرس الحق هو الذى يسبق زمانه بعشرات السنين ، ليحاور تلاميذه فى أشياء تسبق زمنهم بأزمان

فتى نجد ذلك المدرس المنشود ؟

هو موجود بالفعل ، فعندنا جيوش من المدرسين الأكفاء ، ولعل مصر أغنى بلاد الشرق بالمدرسين الأكفاء

ولكن الذى يعوز الحياة التعليمية فى مصر هو التوجيه السديد ، التوجيه الذى يُشعر المدرس بأنه مسئول أمام الوطن عن تكوين الجيل الجديد

ومن الواضح أن هذا لا يتيسر إلا إذا تغيّرت النظرة الحكومية والشعبية للمدرس

ومعنى هذا أنى أنتظر أن تكون أبوة وزير المعارف للمدرسين أبوة رفيقة إلى أبعد الحدود ، بحيث يجهلون المدلول من كلمات العلاوات والترقيات والدرجات ، لأن لهم أباً ينوب عنهم فى فهم تلك الكلمات

حدثنى صديق يساير مناقشات البرلمان بأكثر مما أصنع

أن معالى الهلالى باشا قال فى مجلس النواب: « إن وزارة المعارف هى وزارة الدرجة السادسة »

والعبارة صحيحة ، وإن جاز أنها من الكلام المنحول

ونحن نقرأ من يوم إلى يوم أن الهلالى باشا مَعْنِىٌّ بتحسين أحوال المدرسين ، وهذا الذى نقرأ ليس كلاماً يراد به الدعاية ، وإنما هو صدق فى صدق ، فهذا الوزير يجب أن يكون له فى وزارة المعارف تاريخ نبيل ، وسيرى المدرسون بعد أيام أنه ضمن لهم طمأنينة تريحهم من القلق الذى يساورهم منذ سنين

والمجال يسمح بتدوين الملاحظة الآتية :

كان يهمنى فى بغداد أن أسأل عن الطلبة الذين يتخلفون عن دروسى بدار المعلمين العالية ، وكان الجواب دائماً أنهم تحولوا إلى المدرسة العسكرية ، لأن مستقبلها مضمون

والحال كذلك فى مصر ، فالشباب عندنا لا يؤُمون المعاهد التى تعدّ المدرسين إلا بعد اليأس من دخول المعاهد التى تُعدّ الضباط والمهندسين والأطباء

ومعنى هذا أن يفهم الجمهور أن المدرس هو شخص فاتته المواهب التى تؤهل لتلك المناصب

وأقول بصراحة إن المدرس لا يصلح لمهنته إلا إن كان غاية فى جمال الصفات الجسمانية والروحانية

ولن نظفر بمدرسين من هذا الطراز إلا إن ضمنّا أن تكون حياة المدرس فى مثل حياة الضابط والمهندس والطبيب

ولن يكون هذا إلا يوم يفهم الشبان أن مهنة التعليم مهنة مجد ، وليست Métier sans gloire كما يقول الفرنسيون

وهل ننسى الصراع الذى يثور عند الانقلابات الوزارية ؟

هل ننسى أن الوزير لا يرضى عن مصيره إلا إن كان وزير الداخلية أو المالية ؟

يجب أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول فى الدولة ، لأنه المسئول عن تكوين العقول والقلوب

قالت جريدة الأهرام إن الهلالى باشا استطاع بلباقته أن يظفر بألوف من الجنيهات لتحسين أحوال المدرسين

ومعنى هذا أنه انتهب من أموال الدولة أشياء باسم التعليم !

الله أكبر ، ولله الحمد !

إن مصر رضيت الحياد فى الحرب ، ولكنها لم ترض الحياد فى السلم ، فهى تناضل فى الميادين العلمية نضال المجاهدين الفائزين ، فما الوجب لأن يقال إن وزير المعارف قد استطاع بلباقته أن يأخذ من أموال الدولة أشياء ؟

لن نسكت أو يصير وزير المعارف هو الوزير الأول ، ليصير المدرس هو الرجل الأول فى هذه البلاد

نحن المدرسين نطالب الدولة بإقرار العدل ، لنصير مطمئنين إلى ما تريد من تثقيف الجيل الجديد

غايتنا واضحة وصريحة ، وهى أن يعرف الشعب أننا فى المقام الأول ، لأننا معلمون ، والمعلم هو الرجل الأول فى شِرعة الإنصاف .

مدرس اللغة العربية

كتبت عن هذا المدرس أربع صفحات ، ثم طويتها ، لأنه مدرس مظلوم ، فهل أعود إلى نشر تلك الصفحات ؟

لن أفعل أو أنشر أقوال المفتشين بالتفصيل

وسأرى كيف أروض القلم فى المقال المقبل

زكى مبارك

على هامش «أحلام شهرزاد»

٢ ـ قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « أكتب يا صاحبي ... أكتب ... أكتب ولا تظنن أن الذى تكتب سيغضب صاحب شهرزاد أو المعجبين بصاحب شهرزاد وما أظنك إلا كنت واحداً منهم ، إن لم تكن ما تزال واحداً منهم ... ثق يا صاحبي أن مبدع شهرزاد لا يحرجه نقد ما أبدع لأنه أخذ على نفسه عهداً بأن يُنَفِّذ فيها أحكام الزمان ، قاضيه فى « القصر المسحور » . وهل نسى القراء بعدُ ذلك الحكم الذى أصدره الزمان — القاضى العادل — على مبدع شهرزاد ، فى الفصل الأخير من القصر المسحور ؟ إن كانوا قد نسوا هذا الحكم فاكتبه هنا لهم عساه أن ينفعهم فيما نحن بسبيله اليوم من أمر تلك القضية التى أحدث ضجتها الخرّاصون وأرجف بها المرجفون ...

حكم الزمان : « والآن وقد سمعنا ادعاء المدعين ودفاع المتهم الأول ، ولاحظنا اعتزال من اعتزل وعدول من عدل عن الاتهام ، نقرر أن من حق الأديب أن ينشئ أشخاصه كما يريد هو لا كما يريدون هم ، بل إن من الحق على الأديب أن يتلق أشخاصه كما يؤديهم إليه فنه ، لا يغير من صورهم التى تلتاثم عليها ولا يبدل ، ولو حاول ذلك لما استطاعه ولما وجد إليه سبيلاً . ولمن شاء أن ينكر عليه أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه ، وما ينبغى لهذه الأشخاص نفسها أن تثور بمنشئها أو تمكر به أو تكيد له أو تتألب عليه ، أو تبنى له سوءاً أو تستنزل عليه عقاباً ؛ فإن فعلت فهى طاغية يجب أن ترد عن طغيانها ، وباغية يجب أن تصد عن بغيها ، وجامحة يجب أن يكبح جماحها ، ومنشئها وحده هو القادر على ذلك . وسبيله إليه ترقية فنه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً . ولما كان المتهم نفسه قد أعلن تواضعه واعترف بقصوره وسلم بأنه فى حاجة إلى أن يسمّى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن فى الجد ، لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه .

ولما كنا نقدر للمتهم تواضعه وطموحه إلى الكمال ، واعترافه ببعد الأمد أمامه ؛ ولما كنا نحرص على أن نمنحه المونة على ما يريد من الرقى الفنى فقد قضينا أولاً بإسقاط دعوى المدعين ، وتبرئة المتهم مما وجه إليه . ثانياً ... بنفيه عن سالتش الخ ... »

وحسب القراء يا صاحبي هـذا القدر من حكم الزمان الذى ارتضاه صاحب « شهرزاد » ورضى أن ينشر فى قصة (القصر المسحور) التى اشترك فى إبداعها مع صاحب « أحلام شهرزاد » وليس القراء فى حاجة إلى أن نذكرهم بأن هذا الحكم الذى أصدره الزمان القاضى العادل ، هو حكم أملاه على الزمان صاحب « أحلام شهرزاد » وكان حريصاً فيه على أن يرسم لشريكه السبيل إلى (ترقية فنـه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً) ، وكان جميلاً من صاحب « أحلام شهرزاد » أن يسجل على شريكه : (تواضعه واعترافه بقصوره وتسليمه بأنه فى حاجة إلى أن يسمى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن فى الجد ... لا ليبلغ الكمال ... بل ... ليدنو منه) وأن يقدر له تواضعه وطموحه إلى الكمال ، واعترافه ببعد الأمد أمامه) . وحرصه على أن يمنحه (المونة على ما يريد من الرقى الفنى)

فهل تخشى بعد ذلك يا صاحبي أن يغضب صاحب شهرزاد إذا كتبت فى قضية «أحلام شهرزاد» كلمة ترد بها الحق إلى نصابه ؟ وماذا يغضب صاحب شهرزاد كما يخرص الخراصون ويرجف بالباطل المرجفون ، وقد اشترك فى نشر هذا الحكم الذى ذاع من أبراج القصر المسحور ولم يشترك فى نشره إلا بعد أن قبله ورضى ما جاء به ، ولم يعقب عليه بكلمة ؟ الحق أن صاحب شهرزاد أعظم من أن توغر صدره الكريم نفثات المبطلين المصدورين ... بل واجبه أن يصفع بالحقائق التى وردت فى ذلك الحكم أقفيتهم ؛ لأنه عرفها قبل أن يعرفها أحد قبله ، وأذعن لها قبل أن تذيع فى الناس

وبعد فقد كان هذا الحكم تعقيباً على قصته ـ أو مسرحيته الرومانتيكية ـ شهرزاد ، فهل كان فن هذه المسرحية ناقصاً ؟ وهل كان فى حاجة إلى التجديد واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً ؟ وهل نحن الذين يطلب إليهم أن يجيبوا على ذلك ؟ وكيف وقد اعترف صاحب شهرزاد بقصوره وسلم بأنه فى حاجة إلى أن يسمى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن فى الجد ... لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه ... إلى آخر ما جاء فى عقابيل هذا الحكم من ألفاظ التواضع وبعد الأمد وحاجته إلى

معونة ثابتة من الخارج على ما يريد من الرقى الفنى ... الخ .

هل يجيب أو لا يجيب ؟ وهل يقف ما اعترف به صاحب شهرزاد بيننا وبين ما نريد أن نقول ؟ وهل من حقنا أن نقول شيئاً بعد هذا ؟ وهل نستطيع أن نخالف عن أمر الزمان وأن نثور بأحكامه ؟

أجل ، نحن نستطيع أن نفعل ذلك ، فقد جاء فى هذا الحكم الإذنُ (لمن شاء أن ينكر عليه (على الأديب) أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه) ... وعلى هذا فلنا أن نتناول نقد شهرزاد بما نشاء من كل ضروب النقد ، ضامنين ألا يغضب مبدعها كما يحاول المرجفون المبطلون أن يحملوه على الغضب ، بما يوهمونه من السطو على بضاعته ، وادعاء ما هو حق خالص له

ولكن ... هل كان فنى « شهرزاد » ناقصاً ؟ وهل كان فى حاجة إلى التجديد واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً ؟ وكيف اعترف صاحب شهرزاد بذلك ، واعترف معه بقصوره وبأنه فى حاجة إلى أن يسى ويطيل السى ، وإلى أن يجد ويطيل الجد ... لا ليبلغ الكمال ... بل ... ليدنو منه ؟!

أما نحن فنخالف صاحبى « القصر المسحور » فى كثير من ذلك ، ونوافقهما فى بعضه ... إذ نشهد أن « شهرزاد » قطعة فنية رائعة من حيث الفن الأدبى الخالص لوجه الفن ، لا لوجه الحياة ... ومن حيث أنها تصور مذهباً فى الأدب يأخذ به كاتبها نفسه ، ويتحمس له ، ولا يرى أن يحيد عنه ... أليس قد اشترك مع عميد الأدب العربى فى « القصر المسحور » فأبى إلا أن تكون له شخصيته المستقلة البارزة إلى جانب شخصية العميد التى تختلف بأسلوبها وتتفرّد بسردها وتتخذ إلى قلوب القراء طرائقها المألوفة المعروفة .. وعندنا أن شهرزاد من حيث الفن ليست فى حاجة إلى ترقية ولا إلى تجديد .. فقد بلغت من ذلك الكمال . وهذا حق لا ريب فيه . أما الذى نثور من أجله على « شهرزاد » وعلى مذهب صاحبها كله فى الأدب ، فهو هذا التحقير الشنيع للمرأة ، واعتبارها متاعاً رخيصاً لا يصح أن يناط به الشرف ، أو اعتقاد الحفاظ فيه ، أو نسبة العفاف إليه . ثم هذه الحماسة التى يبديها صاحب هذا المذهب فى التمسك برأيه والفخر من أجله بأنه « عدو المرأة »

ومن القول المعاد أن نلخص للقراء فكرة العبقرى الأول الذى ابتدع فكرة قصص « ألف ليلة وليلة » والذى ابتدع من أجلها شخصية شهرزاد الرائعة ، تلك الفتاة النابغة التى استطاعت أن تطفئ جذوة الحقد على النساء فى نفس شهريار ، وأن تنسيه مأساة زوجته التى أزهق بسبب خيانتها أرواح هذه الجمهرة من فتيات مملكته ، والتى استطاعت مع ذلك أن تكسب حب هذا الملك المنقبض النفس ، المكظوم الفؤاد ، وأن تبادله ذلك الحب ، وأن تجزيه عليه الوفاء والصفاء والإخلاص، كما استطاعت أن تردّ عليه ثقته بالمرأة التى كرهها ، ومحبته لها بعد البرم بها ، وافتتانه بحديثها بعد انصرافه عن كل كلمة تنبس بها ، فيكون له منها أبناء بررة ، وأسرة مجموعة الشمل ، فتتغير حاله خضوعاً لقانون الظروف ، ونزولاً على مقتضيات الأحوال الجديدة ...

هذه هى شهرزاد البسيطة غير المعقدة . هذه هى المرأة التى تعتبر ، ويجب أن تعتبر ، محور الحياة ومناط الفضيلة ، ورحمة الله التى تذهب الأحزان ، وابتسامة السماء التى تشرق فى القلوب المكروبة فتغمرها بالسعادة وتفعمها بالرضى ... المرأة التى تروض الطباع الجافية فتجعلها رخاء ، وتحتال للغرائز الوحشية فتحيلها إلى اللين واليسر والصفاء

أما شهرزاد الأخرى ... تلك الهولة التى رمز بها صاحبها إلى المرأة فى كل زمان ومكان ... فهى لا تمثل إلا نفسها ... إنها تمثل حلماً مريضاً يملأ خيالاً مريضاً ... لقد تصورها صاحبها امرأة احتالت على الملك — على شهريار — بقصصها البارع لتنقذ نفسها قبل أن تنقذ جنسها (ص ٤٠) كما صرحت بذلك للوزير وهى تحاوره وتداوره — هذه هى شهرزاد الأنانية الأثرة التى لا يصح أن تمثل إلا نفسها — أما شهرزاد التى تتشهى العبيد السود فى المنظر الخامس ، ولا تريد أن تشبع منهم ، وتخون الملك من أجلهم ، فمَن مِن بنات حواء تمثل ؟ مَن مِن جمهور بنات الإنسانية وأخواتها وأمهاتها تمثل هذه المرأة الساقطة الهلوك ؟! هل تمثل إلا نفسها تلك المرأة التى تغازل الوزير فى المنظر الثانى ، ويستطيع حبها الدنس أن يعصف بنفسه ـ وهو الوزير المخلص ـ فى المنظر السادس ، وتكون نتيجة هذا الحب أن يقتل الوزير نفسه فى المنظر الأخير حينما يكتشف أن شهرزاد لم تكن تتشهاه وحده ، بل كانت تعبد (جسم) العبد أكثر مما كانت تعبد جسمه (ص١٣٨)

ما هذا ؟ ما تلك الصورة الشاحبة التى يخبئها صاحب شهرزاد للمرأة فى مخيلته ؟ لقد مسخ الصورة الساذجة غير المعقدة ، الصورة العلوية الفردوسية التى ابتدعها الرجل العبقرى الأول الذى ابتكر فكرة ألف ليلة وليلة فجعلها صورة شائهة قبيحة فاجرة لا يمكن أن تمثل

مرآة المواخير التي تتجر بمرضها كما تتجر بأعراض الناس . يريد أن يقول المبتـدع الأخير للعبقرى الأول : إنك يا صاحبي رجل سليم النية طيب القلب ساذج التفـكير ، تنظر للمرأة تلك النظرة العالية المبرّأة فتتهمها بالذكاء الصالح ، وتنفى عنها الدهاء الطالح ، حين تضع بين يديها شخصية مستوحشة مثـل شخصية شهريار الذى قتل زوجه الملكة وقتل العبد الذى خانته فيه ، ثم راح يقتل العذارى نقمة منه على جنس المرأة حتى رزقه الله هذه الفتاة الألمعية « شهرزاد » التي تسلمته كما يتسلم الروضون السباع والضوارى فما يزالون بها حتى يسلس لهمَ قيادها وينقاد لهم عاصيها ، ويخضع كما تخضع الثعابين فى الهنـد للموسيقا وتسكن سكون الطفل إذ يلتقم ثدى أمه ... أما أنا — لاجعلت فداك — فعلى النقيض منك ، إذ أني قليل الإيمان — بل لا إيمان لى على الإطلاق — بالمرأة ... المرأة التي تمثلها شهرزاد فى كل زمان ومكان ... إنى عدوها !! ... إنها مخلوق أنانى صلف غادر ... إنها كائن غوىّ بغىّ فاجر ... إنها أصل كل بلاء ، وجالبة كل شقاء ... إنها كما جاء فى هذا البيت المضحك الذى دسه عليك بعض القصاص المتأخرين فيما دسوه عليك من سخف ... هذا البيت الواهي المتهالك الذى لا يستقيم له وزن :[1]

إذا رأيت أموراً منهـا الفؤاد تفتت
فانظر تجدها من النساء تأتت !!

بالضبط يا عزيزى العبقرى الأول ، ولو أنك أنت كنت رويت هـذا البيت ، وثقفته لراقك أن يكون مذهبك فى المرأة كما أصبح مذهبي ، ولدنت به كما أدين أنا — فى آخر الزمان — به فقد تناولت شهرزاد الحصيفة العفيفة الظريفة اللطيفة التي قتلت الشيطان بين جنبى شهريار ، وأبادت الظلام الذى جثم على قلبه ، وأعادت إلى روحه السلام والطمأنينة ، وغيرت مجرى تفكيره فى الحياة حين أنجبت له أبناء وخلقت له « بيتاً » ، شهرزاد التي لم تزل بالملك المتبرم بكل شىء ، الناقم على كل الوجود ، حتى على نفسه فردته إلى الرضى ، وغسلت قلبه بالثلج والبرد ، واشتركت وإياه فى شئون الملك ، فاستقامت له الرعية ، وازدهرت فى فيض عدالته الدولة ... تناولت أنا شهرزادك هـذه فسختها ...

ولا تؤاخذنى يا عزيزى العبقرى الأول فهذا رأيى فى المرأة ... وجعلتها أنانية أثرة لا تجهد إلا أن تبقى على نفسها وإن هلك نساء العالم . ثم جعلتها تخدع الملك وتصر على الانتقام منه فتخونه كأسفل ما خانته زوجته الملكة الأولى ، وتؤوى إلى فراشه العبيد الأقوياء السود فلا تشبع منهم ، وتحرص على أن يكونوا سوداً غلاظاً (فالزهرة البيضاء الرقيقة تنبت من الطين الأسود الغليظ) ، وتحرص أن يكون عبدها (وضيع الأصل قبيح الصورة ، لأن هذه هى صفاته الخالدة التي تحبها) ... فإذا أنبأها العبد أن (تلك هى صفات الشهوة !) قالت له : « اقترب » فإذا قال العبد : « يخيل إلى أنك امرأة لا كـكل النساء . أنت لا يمكن أن تعشقى أحداً » قالت له « لا شأن لك بقلبى ! » فإذا قال : « أنت إنما تلعبين بى . إنى أخافك » قالت : « أنت واهم » فيقول ، ويا مصيبة ما يقول : « وزوجك ! » فتقول : « ما شأنك به ؟ » فهل رأيت إلى يا عزيزى العبقرى الأول كيف أشعت الفجور فى نفس شهرزادك ؛ وإن غضبت . فشهرزادى ! وماذا يغضبك وللأديب أن يضع أشخاصه فى الصورة التي يحب كما جاء فى حكم الزمان فى آخر قصة القصر المسحور ؟ لقـد أشعت الفجور فى نفس شهرزاد وفى نفس العبد وفى نفس قمر وفى نفس الجلاد وفى نفس أبى ميسور ، وفى نفس الملك . إى والله فى نفس شهريار الذى ما فتىء يقتل النساء . لقد جردته حتى من نخوة الرجولة وخولتها وجعلتها ضعفاً وخنثاً وفسولة . لأنه يرى العبد يخرج من مخبئه فى مخدعها ، فلا يرم ولا يثور ولا يأمر جلاده بشىء ... ولا بالبصق فى وجهه . ولماذا يفعل وقد اشتد إيمانه بأن هذه هى طبيعة المرأة التي لا سبيل إلى تقويم معوجها ؟

أرأيت إلىّ يا عزيزى العبقرى الأول ؟ ! هـذا مذهبي فى المرأة ... روّأت له هذا التروىء ، وموّهت به على قرائى ذاك التمويه ، وأذعته عليهم فى كتاب وجد من حرية الرأى ورحابة الصدر ، وحسن الإلتفات ، فى مصر والشرق ، ما وجد ، فشاع وذاع وملأ النفوس والأسماع ... وغلب القنّبث — الذى ورد ذكره فى كتابى — على صفاته النوالى ، ومزاياه الكبار

قالت فاتنة : « وحسبك هذا القدر اليوم يا صاحبي ، وقبل أن آذن لك فتضع هنا اسمك ، نبه الناس إلى أن صاحب أحلام شهرزاد لم يسرق من هذا الفجور شيئاً ، بل هو قد عالجه العلاج الذى كان ينبغى له منذ أعوام . وإلى اللقاء فى الأسبوع المقبل »

دريني خشبة

---

(١) هما بيتان لا بيت واحد نظمهما هكذا :

إذا رأيت أموراً منهـا الفؤاد تفتت
فانظر إليهـا تجدها من النسـاء تأتت

(الرسالة)

الاصلاح الذى أنشده للأزهر

عماده المـــال

للأســتاذ عبد الحميد عنتر

[وسيكون للجامعة الأزهرية نصيب كبير من اهتمام حكومتى ، فتعنى باصلاح نظم التعليم فيها إصلاحاً يساير روح العصر ، ويحفظ لهذا المعهد الكبير صفته الدينية ، ويهيىء له من الوسائل ما يمكنه من أداء رسالته العلمية الدينية ، على الوجه الذى تنشده مصر ، ويحقق آمال الاسلام والمسلمين . وستوجه الحكومة إلى الوعظ الدينى عناية تناسب ما له من أثر فى تهذيب الخلق المصرى ، وما يبذله من جهود للاصلاح بين الناس] (من خطبة العرش)

هذا ما جاء فى خطاب العرش ، لسنة ١٩٤٢ خاصاً بالجامع الأزهر .

وهو على ما يرى القارئ قبس من نور الحكمة ، وسراج وهاج من روح الإخلاص الحكومى لهذا المعهد العتيد . ذلك المعهد الذى يجله ملوك مصر وحكامها ، منذ نشأته الأولى ، إلى أن بلغ من العمر ألفاً من السنين ، والذى له المنزلة العليا فى نفوس المسلمين بكافة بقاع الأرض ، لأنهم يتمثلون فيه المحامى الأكبر عن دين الله ، (الذى لا تصلح دنيا الناس إلا به) ، والحصن الحصين الذى حفظ تراث العرب ، من اللغة والآداب والعلوم ، ووقاها عاديات الضياع والإهمال ؛ ولأنهم يرون — ونرى معهم — أن النهضة الفكرية فى مصر ، والنهضة الخطابية والكتابية ، والنهضة الأدبية والشعرية ، وأستطيع أن أقول : والنهضة الوطنية . كل أولئك النهضات المباركات ، كان الفضل فى تدعيمها وتغذيتها للجامع الأزهر . فهل هو كما قال قائلهم الأديب ، الإبن البار بالأزهر ، الأستاذ حسن عبد العال ، صاحب جريدة الإصلاح الحلبية : « الأزهر حصن الدين وينبوع الأدب »[1] .

ولما كان فى التصريح الخطير المقتبس من خطبة العرش ، ما يمس نظام التعليم ، وفيه ذكر الوسائل التى تمكن الأزهر من تأدية رسالته على الوجه الأكمل ، أحببت أن أبين على صفحات « الرسالة » ما عنَّ لى من وجوه الإصلاح ، وما أراه أنفع الوسائل لأداء الرسالة العلمية الدينية ، على الوجه الذى « يحقق آمال الإسلام والمسلمين » . فأقول محاولاً الإيجاز ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله .

رسالة الأزهر قديماً

لا مراء فى أن علماء الأزهر القدامى ، حملوا أمانة العلم ، وأدوها أحسن الأداء ، وضربوا للناس المثل الأعلى فى الجد والنشاط ، والتوفر على الدرس والتحصيل ، وتطبيق أقوالهم الطيبة ، على أفعالهم الحميدة ، مع تغلغل فى البحث ، واستقلال فى الرأى ، وجهر بالحق ، وسمو فى الخلُق ، ورضاً لم يخالطه سخط ، وقناعة لم يتطرق إليها طمع ، وإخلاص لم يَشبه رياء .

لله درهم ! نشروا العلم وأحيوا الفضيلة ، وحافظوا على لغة الكتاب المنزل . فدرسوا وعلّموا ، وصنفوا وألّفوا ، وفحصوا ومحّصوا ، حتى تركوا لمن بعدهم ثروة كبيرة من التآليف فى شتى العلوم ، تعد بحق مفخرة لهم ، فى عصر كاد ينطمس فيه نور العلم ، ويخبو فيه مصباح الفكر ، لولا نفحة سماوية ، وروح علوية إلٰهية . جزاهم الله عن العلم والدين خير الجزاء .

ومما تجب ملاحظته أن نفسية الأمة إذ ذاك ، كانت أكبر معين للعلماء على أداء مهمتهم ، وتبليغ رسالتهم على الوجه الذى سلف بيانه ، والتاريخ أعدل شاهد على ذلك ؛ وأن هذه النفسية قد تغيرت الآن تغيراً طغت فيه المادة على المعانى الروحية ، وأصبح الناس لا يقدُرون العالم لعلمه وأدبه ، أو سمو نفسه وطهارة قلبه وصالح عمله ؛ بل إنما يقدرونه لمال أو جاه ، أو منصب أو رياسة . ومن هنا وجب « أن تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا » ، وأن تتغير وسائل تأدية الرسالة العلمية الدينية ، طبقاً لروح العصر الذى نعيش فيه . وذلك ما سأبينه فى رسالة الأزهر الجديدة .

نظام الأزهر الحالى

إن من ينكر نظام الأزهر الآن ، كمن ينكر الشمس فى رائعة النهار ، ولا يجرؤ على ذلك إلا الجاهل المتعامى الذى لا يضير الشمس إنكاره ، ولا يغيّر الحقيقة جحوده واستهتاره .

---

(١) عدد الرسالة ٥٠٠

إن من يزور معهداً من معاهد الأزهر الابتدائية أو الثانوية ، ثم يزور مدرسة من مدارس الحكومة الابتدائية أو الثانوية ، المؤثثة على أحدث طراز — لا يرى فارقاً واضحاً بين المعهد والمدرسة ، (إلا العمائم والطرابيش)

أما نظام الفصول الدراسية ، ومقاعد الطلاب ، وأدوات الدراسة : من مصورات جغرافية ، وأخرى زخرفية ، وسبورات للايضاح ، وأدوات للرسم ، ومعامل للكيمياء والطبيعة ، وهيا كل مجسمة لدراسة علم الحياة (الأحياء) وقاعات للمحاضرات، أقول أما كل أولئك فهو فى معاهد الأزهر ، كما فى مدارس وزارة المعارف ، وتمتاز المعاهد بأن ما فيها من الطراز الحديث .

وإن من يزور كلية من كليات الأزهر ، لا يرى فرقاً بين أية منها ، وبين كلية الآداب أو الحقوق أو معهد التربية ، إلا من حيث فخامة الأبنية والموقع الصحي المنتقى ، وضخامة الميزانيات . فهى فى الأزهر وكلياته متضائلة متواضعة[1] ، وفى مدارس الحكومة وكلياتها عظيمة متضخمة . وتكاد طريقة التدريس فى الأزهر الحديث ، تضاهى الطريقة التى تتبعها مدارس الحكومة وكليات الجامعة ، وكذلك نظم الامتحانات .

وقد استقر هذا النظام فى الأزهر ، ورسخ فيه رسوخ الشم الرواسى ، حتى أصبح من العسير جداً أن يعدل به إلى أى نهج آخر ؛ لأن رجال الأزهر وطلابه قد اعتبروه تقدماً وتجديداً ، ومسايرة لروح العصر الحاضر . فالعدول عنه رجوع بمعهدهم القهقرى ، ووقوع فيما فروا منه قديماً من بلاء !

فمن يحاول رجع الأزهر كما كان ، كمن يحاول أن يجعل « النيل » ينبع من شواطئ البحر الأبيض المتوسط ثم يصب فى أعالى السودان !

فالأزهر لا ينقصه نظام ، ولا يعوزه رجال مفكرون ، أو طلاب نبهاء ، وإنما يعوزه إصلاح هذا النظام ، ولا سبيل إلى إصلاحه إلا المال ؛ ليؤدى به إلى بلاده ، وإلى العالم الإسلامى رسالته الجديدة

وإذا قال الأزهر الحديث : « المال » ، فهو لا يريد أن يتكاثر فيه حتى يصبح من أصحاب « الملايين » ! أو التهالك عليه حتى يكون شغله الشاغل ، ومحبوبه الأول ! ولكنه يطلبه للاصلاح ، وللاصلاح لا غير ... يطلبه الآن لأنه ليس كالأزهرى فى الزمن السالف ، الذى كانت تهدى إلى بيته الهدايا ، من كل « ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » . يطلبه لأنه يرى أن كل شىء فى هذه الحياة الصاخبة مفتقر إلى المال . يطلبه ليتساوى مع غيره ممن يؤدون مثل مهمته ، ويقومون بمثل عمله ، من رجال التعليم

أمامى الآن بيان إجمالى لدرجات موظفى الإدارة العامة بالأزهر ، ودرجات شيوخ كلياته وأساتذتها ومدرسيها وموظفيها ودرجات شيوخ المعاهد الابتدائية والثانوية ومدرسيها وموظفيها . وبيان آخر لدرجات أمثالهم من موظفى وزارة المعارف بالديوان العام ، وعمداء كليات الجامعة وأساتذتها ومدرسيها وموظفيها ، ونظار المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسيها وموظفيها . والناظر إليه يرى البون الشاسع بين هذه الدرجات بالنسبة إلى عمل أصحابها من الفريقين !

فهى فى ميزانية الأزهر تتصاغر وتتضاءل ، وفى ميزانيات غيره تتعاظم وتتكاثر . ولوشئت أن أذكر البيان التفصيلى مؤيداً بالأرقام لفعلت ، ولكنى آثرت عدم ذكر شىء من ذلك رعاية لأزمة ورق الصحف ، ولأن ولاة الأمور يعلمون ذلك علم اليقين . لذلك أجتزئ بذكر الأمثلة الآتية ، ومنها يتبين الفرق الكبير :

الأول — فى الإدارة العامة : وكيل الجامع الأزهر لم يوضع فى الدرجة الأولى (التى تعطى لبعض أساتذة الجامعة) إلا فى سنة ١٩٤٢ مع أن نظيره فى ديوان المعارف يتقاضى مرتب « مدير عام » ، ومفتشو الأزهر فى الخامسة والرابعة لا أكثر ، مع أن مفتشي المعارف ليس فيهم من هو فى أقل من الرابعة . وكبار المفتشين فى الثانية

الثانى — شيوخ الكليات الأزهرية لم يوضعوا فى الدرجة الثانية إلا فى سنة ١٩٤٢ ، مع أن هذه لدرجة تعطى لأساتذة الجامعة ، بل إن بعض هؤلاء فى الأولى كما سبق ! وأما عمداء الجامعة فهم فى درجة « مدير عام »

الثالث — أساتذة كليات الأزهر ومدرسوها : لم يوضع أحد من الأساتذة فى الدرجة الرابعة إلا فى سنة ٤٢ ، ولم يكن أحد منهم فى الثالثة أو الثانية أو الأولى (بالطبع) مع أن أساتذة الجامعة ودار العلوم فى الثانية والثالثة وليس فيهم من هو فى أقل من الثالثة

(١) ماعدا معهد فؤاد الأول بأسيوط ، فانه بز جميع المعاهد ومدارس الحكومة فى حداثة الطراز ، وفخامة البناء ، وتكامل النظام

أما مدرسو كليات الأزهر ، فهم فى الدرجات الخامسة والسادسة ، ويخجلنى أن أقول : والسابعة ! مع أنه ليس فى مدرسي الجامعة من هو فى أقل من الخامسة

وعلى هذا الغرار الفرق بين شيوخ المعاهد ، ونظار المدارس ، وبين المدرسين والموظفين فى كل منهما

فإذا طالب الأزهرى بالمساواة ، فهو طلب عادل ، ومساواة واجبة . وفى هذه المساواة تحقيق للعدالة بين طبقات الأمة ، وراحة لضمير فئة خصصت حياتها لخدمة العلم والدين ولغة العرب

فالأزهرى الحديث يطلب المال كما يطلبه غيره ، ليعيش بكرامته ، وينعم بخيرات بلاده كما ينعم غيره

وإذا كانت الدول تنفق الأموال الطائلة ، على الدعاية التى لم تتحقق ثمرتها بلا مقابل — فالأزهر أكبر دعاية لمصر فى الشرق والغرب ، بل هى دعاية محققة الفائدة ، بل قد يكون من القضايا المسلم بها ، أن مصر لم تتزعم العالم الإسلامى والشرق العربى إلا بفضل الأزهر . فليس بمستغرب إذن أن ينفق عليه للاصلاح ، بسخاء من غير مقابل !

وممن يطلب المال ؟ يطلبه من حكومته العادلة الرشيدة ، التى آلت على نفسها أن تصلح شأنه ، وأخذت على عاتقها أن تمكنه من أداء رسالته العلمية الدينية ، وأن توجه عناية خاصة إلى الوعظ والإرشاد

وهذا التمكين وتلك العناية ، لا يقومان إلا على أساس المال

وها أنذا[1] أرسم الخطة التى أرجو أن يسير عليها الأزهر فى عهده الجديد ؛ لتكون منهاجاً واضحاً لمن يريد الخير والإصلاح لهذه الجامعة الدينية الكبرى . مصدراً ما أورده هنا عن تجارب الماضى وعبره

رسالة الأزهر الجديدة

هى بذاتها رسالته القديمة ، مضافاً إليها ما يلى :

١ — تأليف الكتب العلمية للدراسة . وهذه عقدة العقد فى إصلاح نظام الأزهر ، وأعتقد أن كل إصلاح لا يحل تلك العقدة ، لا يؤتى ثمرته المرجوة ، ولا يحقق آمال المسلمين

كتب الأزهر الحالية فى شتى العلوم ، مجموعات كبيرة من المتون والشروح والحواشى والتقارير[1] ، فهى حقاً ثروة علمية هائلة ، جمعت كنوز العلم ، وميادين الفكر ، وعصارات العقول . لولا ما فيها من حشو لا تسيغه أذهان الناشئين ، ولا يتفق وكثرة العلوم التى لا غنى عنها للطالبين

ألفت تلك الموسوعات فى زمن غير زماننا ، ولرجال غير رجالنا . هم عملوا ، وعلينا أن ننقح ما عملوا ؛ لأن ما عملوه لا يروج إلا فى سوق الأزهر ومعاهده ، ونحن نريد بضاعة علمية من التأليف ، تروج فى سوقنا ، وتغزو سوق غيرنا ، فى مصر وفى غير مصر من جميع بلاد العالم

نريد أن تكون كتب الأزهر القديمة ، مراجع علمية ، ومصادر للتأليف ، ومواد ودراسات عالية لمن يريد التضلع من العلم ، والتخصص فيه

ونريد أن تؤلف للدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية كتب جديدة قيمة فى جميع العلوم ، مقتبسة من كتبنا القديمة تجمع المسائل العلمية ، والبحوث النافعة ، مع التنسيق وحسن الترتيب . مراعى فيها أن يمكن استيعاب دراستها فى الزمن المخصص لكل مرحلة من مراحل التعليم ، حتى لا تنفلت حلقة واحدة من سلسلة المقررات العلمية السنوية ، لكل فرقة من فرق الدراسة . وهذا النوع من الإصلاح لا يعوزنا فى تحقيقه إلا المال . أما الرجال فإن فى الأزهر الآن عقولاً تستطيع أن تؤلف أنفع كتب « أخرجت للناس » وإني أهيب بولاة الأمر فينا ، أن يبادروا بإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود ولو بالتدريج ، قبل أن يقل العلماء القدامى ، فتفوت الفرصة السانحة ، تلك الفرصة التى يرجو كل محب لخير الأزهر أن تنتهزها حكومة الشعب ، فى عصر الملك السعيد ، صاحب الجلالة فاروق الأول ، أيده الله ، وأعز به الدين والوطن .

(يتبع)

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

(١) رجح بعض الفضلاء هذا الرسم الاملائى

(١) وقد تجتمع مفردات هذه الأربعة فى كتاب واحد !

حكم فى القضية ن ٣٩١ سنة ١٩٤٣ جنح الوايلى بحبس فؤاد على حسنين ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصادرة والنشر والتعليق والاغلاق لبيعه لحماً بأزيد من السعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ١١٢٦ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح عليان ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (اللحم) بأزيد من السعر المحدد

من مغانى الأزهار

إلى

« ذات الغدائر الذهبية »

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان (*)

JEAN RICHEPIN

للأستاذ عبد العزيز العجيزى

ليلاى ! هيا نجول فى روض الأحلام ، ونطوف بفردوس الأوهام . هيا ننعم بما يدانى قطوف فتنتك وجلالك ، وأفاويق سحرك ودلالك . هيا نسبح فى أجواء الخيال ، ونرفرف فى فضاء الآمال ، ونسمو إلى عالم الجمال ... واهاً لها من أحلام مغرية ! وواهاً لها من أحلام خادعة ! هيا نرنو إلى الأشجار الوارفة ، والأطيار الصادحة ، والمياه الساجية تحت قبة السماء الزاهية

***

تأملى يا حبيبتى ! فالشمس بازغة من مخدعها بزوغ الحسناء من خدر عشيقها ، شاحبة المحيا ، حسيرة الطرف ، كسيرة الجناح ، فى موكب الصباح النضير ، وجماله الساذج الغرير ، ناثرة فى الأفق طاقات الزهور العسجدية ، والورود القرمزية ، بينما الدجى يسحب غدائره السوداء .

***

زنبقات الفجر ! تلك الزنابق البيض تنثر لؤلؤاً وضاء ، فتوجى جبينك بهذا الأكليل اللألاء ، ليشدو الفجر الفريد ، شدو البلابل بالنشيد ، فتتفتح حينذاك أوراق الأزهار وتنفض عن أجفانها غلالة النعاس ، كما تنفض العيون عن أهدابها كحل الكرى عند انبلاج الصباح الوليد

***

ويترنم سيل الجدول المنساب ، حاملاً إليك بين ثناياه المترقرقة جواهر ماسية صافية ، ومن صفحته اللألاءة مرآة بلورية زاهية . وتندفع أحجار الحصى كثمار الجوز المنزلقة على الصراط الضيق ، وتفوح أشجار الصندل بالعرف الشذى ، والطيب الندى .

***

وتسلب الريح الهائمة أنغام القبل الراقصة على شفتيك ، وتنهب الأغانى الشادية على لمااك ، فتجمل الأشواق المتأججة ، والأمانى الهائجة ، ورعدة الصبوة الجامحة ، تهيم فى الآفاق ، وترقد فى منازل الأفلاك ، حالمة بسحر لحظك الفتاك !

***

ليلاى ! كل شىء يزهر تحت قدميك ، وينضر بين يديك ؛ فيشرق جماله لعينيك ، ويضوع نسمه من عبير ثناياك ، فى روض السحر والفتنة ، وأيك الجمال والروعة ... وينمو العشب وينبت الكلأ حيث تتباين الورود وتتنوع الأزهار . . . لحظة يا حبيبتى من لحظات عمرى أرشف فيها الهوى صرفاً ، وأنتشى بالحب خمراً .

***

كل شىء يمتزج فى ربيع هوانا بسحر الجمال ، ويثمل برحيق الوصال ؛ فيعانق شذى الوجود ، وخمر الطبيعة ، وفيض النور ، وصدحات القبلات الساجعات ، كشدو ناى مترنم فى مجامع الأزهار ؛ هذه القبل هى قربان هيامنا القدسى ، وزلفى غرامنا السرمدى .

***

ليلاى ! ها نحن أولاء غرقى فى ثبج هذا الحشد الزاهر ؛ فكيف النجاة من عبابه الزاخر ؟ عبثاً تحاولين الفرار ! فالأزهار تحنو منطوية عليك لشوقها إليك ، والرياحين ترنو مطلة إليك لتلهفها عليك .

***

بينما تبعث الزكى من روحها والشذى من

(*) شاعر فرنسى (١٨٤٩ — ١٨٩٩) أسلوبه فى قصائده ، صورة لجمال شعره فى نظمه وجرسه ونغمه . (المترجم)

اليابان إزاء الصين

لليوزباشي حسين ذو الفقار صبري

هناك في الشرق الأقصى منذ أكثر من عام ، هبّت فجأة أعاصير الحرب تجتاح الدول عاصفة بالقوانين ، لا تعرف لتلك حرمة ولا تقيم لهذه حساباً ، ثم خبت نارها فجأة كما قامت ، وصفت سماؤها وشفّت إلا عن بضعة التحامات هنا وهناك ، ولكن تيارها العميق ، البعيد عن الأنظار ظل قوياً مستمراً عنيفاً تحت السطح الراكد قبل الزوبعة ، المتلاطم أثناءها ، ثم المختلج بعدها .

هناك في مجاهل الصين منذ أكثر من خمس سنين انبثق ذلك التيار ، الجارف الآن ، مترقرقاً في ذلك الحين ، ولم يزد على أن يكون مشاغبة تافهة بالقرب من بيبنج « بكين قديماً » ، ولكنها كانت مشاغبة توارت خلفها مطامع اليابان ، فانتهزتها فرصة للاقدام والتنفيذ ، ولكن تنفيذ ما ذا ؟ إستعمار الصين ؟ نعم ولكن ... أين كانت خطتها المحكمة التدبير ... ؟ أين كانت ، فإن المراقبين لم يروا منها إلا ارتجالاً إثر ارتجال ، ولم تحصد هي من أعمالها إلا توريطاً إثر توريط ؟

« إذا أردنا السيطرة العالمية ، وجب علينا أول الأمر إخضاع الصين ! » ، تلك كانت عقيدة الجيش الياباني ، وهو كما لا يخفى أداة الحكم في تلك البلاد . وإخضاع الصين عملية شاقة مرهقة ، عملية تستنزف أعنف مجهود ، وتستنفد أرواح ملايين من الجنود ، وتتطلب فوق هذا وذاك وقتاً طويلاً تكون اليابان خلاله متورطة في مجاهل سحيقة في حين تكون روسيا متربصة عن يمينها ، وبريطانيا رابضة عن يسارها ، وأسطول أمريكا جاثم على مؤخرتها ؛ إذ لم يكن هناك بد لإخضاع الصين من التوغل في أرضها الوعرة الموحشة حتى تصل الجيوش إلى معبر توانج كوان عند منحنى النهر الأصفر ، وهو الذي يعد بحق مفتاح الصين اللازم لكل غاز منتصر ، وبدونه يستحيل الانتقال بالجيوش الجرارة أو الإمدادات الوفيرة إلى قلب البلاد ، وهو في الوقت نفسه يمهد الطريق الأسهل إلى ولاية ستشوان الخصبة الغنية (حيث توجد العاصمة الآن) ، وهو أيضاً يهدد مرتفعات شانسي المشرفة على منشوكو والمغول الداخلية وسهول الصين الشمالية ! فهو كما نرى معبر به مغاليق الصين إلا أنه معرّض

ريحانها ، لتنهلها الريح بعبيرها ورياها ، وتلتهمها بعتمها وجناها ؛ كالسلوقي يعدو مسرعاً ويطوى الأرض لاهثاً ليروى ظماه ، ويمسك رمقه !

***

فاطو العمر أيها الزهر المخضب ، ومت بفتنتك بين الرياض وجداً وهوى ! فقد كتب الموت على الأزهار التي تذوب صبابة وهياماً ، لتنفث زفراتها أريجاً وعبيراً لمن جافاه نعيم الصبا ولم يهتد لضوء الهـوى .

***

ليلى ؛ أواه ! حسبنا أن نموت كهذه الأزهار الولهة ، لتريق دماء صبوتنا عطراً متيماً ، فتسكر الريح بخمر قبلاتنا ، وتبوح الأزهار بسر غرامنا !

***

أجل يا حبيبتي ! هـذا هو الحب العاطر ينشر أريجه في الأودية والحقول ، ويلهم وحيه الصادق الأفهام والعقول ، ويرويه للكون في آنيتيه الليل والنهار ، هوى عذريا ، وحباً قدسياً ، فيؤمن بالحب بعد جحوده ، ويصحو على صوت مؤذنه بعد همود

***

هنالك ، يوحى إلهامه ، ويهمس تراتيله في أذن الطبيعة الصماء ، فتشدو الريح في يوم عرسنا مرتلة أناشيد غرامنا ، وترقص أغاني العمر على الشفاه ، مغردة أغاريد الهـوى على الثغور ، شادية ألحان القبـل ، ساجعة أنغام الغزل .

(المنصورة) عبد العزيز العميزي

مهدَّد إنْ لم يحمه صاحبه باحتلال وادي نهر هان الملتف جنوبه .
إذن على اليابان أن تحتل هذه المعاقل الثلاثة النائية : ممبر توانج كوان ، ومرتفعات شانسي ، ووادى نهر هان ، قبل أن تأمل بسط سيطرتها على أبناء « الأرض الطيبة » ، وقد أحجمت ... فهي تعلم أن الدول الثلاث المحيطة بها لا شك مقدمة على وقفها عند حدها إنْ هي تجاوزته ؛ ولكن مطامع اليابان كانت متأصلة في نفسها ، مُلحّة عليها ، مكبوتة متحفزة ، مخبوءة متربصة ، فهي إذن لا مراء مندفعة إلى عالم الوجود ، إن عاجلاً أو آجلاً ، كماء تفجر من ينبوع جياش ، فينقلب إلى سيل متدافع أرعن لا حاكم له ولا ضابط . لذا استقر رأى ولاة الأمور على تلافى تلك العاقبة الهوجاء بتفريج الحال على دفعات خلال منفس صغير أدّى بهم إلى سلوك مسلك عجيب ، برىء المظهر ، خبيث الطوية ، مسلك المتحرش بالقوم الآمنين حتى يستفزهم ، الغاضب لإهانة وهمية لم تلحقه ، المتوعد بالويل حتى يسترضى فيتأفف ، ثم المقدم على اغتصاب تعويض ضخم ليس من حقه ، وقد بنيت الخطط على أن يكون التعويض المذكور مقاطعة صينية تنتزع انتزاعاً لتضم إليهم ، وعند ما يتم إدماجها اقتصادياً واجتماعياً فى نظامهم المرسوم تُعاود عملية الاستفزاز من جديد وهكذا دواليك .

وتحرشوا أول مرة فى « مكدن » فى سبتمبر سنة ١٩٣١ فضُمت منشوكو إليهم ... وتلمظت طوكيو هانئة بالذى ابتلعت ، وأدارت وجهها لانتقاء وجبتها التالية ، بينما مضت إدارتها الداخلية تنسق الولاية الجديدة ... ولم تعلق كبير اهتمام بذلك الشاب الصينى اليافع الذى علمته فى مدارسها الحربية ، وأنعمت عليه بلباسها المسكرى ، فجازاها بأن ألقاه فى وجهها وفرّ منها متقلباً بين اليمين والشمال فى حكومات الصين ، موحّداً لواءها مرة ومشعلاً الحرب بينها مرات ، ذلك الشاب الذى أضحى الآن رجلاً قوى الشكيمة شديد البأس على رأس جيش عرمرم ، ذلك الرجل الذى توصل أخيراً إلى توحيد مختلف حكومات الصين تحت تعاليم أستاذه المظيم « صون يات صن » ذلك الرجل الصارم العنيد ، شانج كاى تشك رجل الصين الأعظم ، ورمز عصرها الجديد .

تنبه القائد الصينى للخطر المحدق ببلاده فأعد خطته على أساس توسيع رقعة القتال بمجرد نشوبه مرة أخرى ، فيورط اليابان فى حرب أرجاؤها فسيحة وسط قوم مناهضين لهم ساخطين عليهم . إستمعْ إليه قبل الحرب بثلاث سنوات وهو يخاطب ضباطه فى « كولنج » : « تظن اليابان أن فى إمكانها احتلال الصين دون كبير عناء ... وهى لا بد معاودة التحرش بنا قريباً ... واعلموا أنه لا يتحتم علينا مقابلة كل سلاح تأتى به اليابان بسلاح يماثله ... بل فى وسعنا أن نجابه اختراعات العدو الجديدة بأسلحتنا التقليدية العريقة ، وهى مقدرتنا الفائقة على استخدام كل ما تراه العين أو تقع عليه اليد ، سواء أكان هذا جبالاً أم أنهاراً ، حجارة أم أغصاناً ... يجب علينا إيقاظ شعبنا من سباته حتى يهب خلف المغير إذا تقهقرت القوات أمامه ، ... إنّ تحديد وسائل المقاومة لا يهم ما دامت تحدونا عزيمة لا تهن وهمة لا تكلّ ... »

وفى هزيع ليلة حالكة من ليالى يوليو سنة ١٩٣٧ دوت فى الفضاء عدة طلقات عند معبر « مركو بولو » بالقرب من بيبنج فكانت إيذاناً بالملحمة الكبرى . وأطبقت اليابان على الصين الشمالية ... وكان « كاى تشك » كما أسلفت قد قرر أن يمد رقعة القتال ويستدرج العدو إلى جوف البلاد ، أو على حد تعبيره ، كان قد قرر أن يشترى الزمان بالمكان . ظنت اليابان أنها مقدمة على نصر مريع كذلك الذى واتاها منذ ست سنين فى منشوكو . ظنت أن « كاى تشك » سيواجه جيوشها الميكانيكية الحديثة فى سهول الصين الشمالية ، ولكنه لم يفعل ، بل أرسل خيرة جنوده إلى شنغهاى يهدد مصالحها هناك فاستدرج جنودها وراءه . وهزم القائد الصينى هناك وأخلى عاصمته نانكين ثم هزم فى « سوتشاو » ، ثم هزم مرة ثالثة أمام عاصمته الجديدة « هنكاو » ، ولكنه فى كل مرة كان ينزل بأعدائه أفدح الخسائر ويرتد عنهم قبيل إطباقهم عليه ، مغرياً إياهم باللحاق به والتوغل خلفه حتى أضحت جنود الحملة اليابانية منتشرة على مساحة شاسعة ، ولم تعد قادرة على تركيز مجهودها فى مكان معين ، واضطرت حامياتها الموزعة على مختلف المدن الصينية المحتلة أن تحمى خطوط المواصلات حتى لا تفقد تماسكها ولكنها لم تجرأ على المخاطرة بنفسها فى الأماكن غير المطروقة ، وهكذا أصبحت

لا تحتل من البلاد إلا شبكة خيوط مرسومة حول أرض وعرة مجهولة وبالهلاك موبوءة

توصل شانج كاى تشك إلى تنفيذ مأربه وأصبحت القوات اليابانية عاجزة عن إحراز نتيجة حاسمة ، وأضحت حكومتها لا تجرؤ على التراجع بعد أن بهظت تكاليف مغامرتها ، وظلت إدارتهـا الداخلية قاصرة على تنظيم موارد أراض لم يستتب الأمن فيها بعد

وفى الوقت نفسه كان القائد الصينى يجمع الجنود وينظم الصفوف ويستورد المهام من روسيا عبر « سنكيانج » ، ومن بريطانيا وأمريكا عبر بورما أو عن طريق بعض الموانى التى حمتها امتيازات الدول الغربية

ووقفت اليابان تراقب ذلك الجرح الذى لا يندمل بقلب كِمد وعقل مبلبل حائر . . . ثم قبض جنرالها « سوجياما » على مقاليد الجيش وأصبح رئيساً لهيئة أركان الحرب العـامة ، و « سوجياما » هذا جندى نشط جسور ، يواصل العمل ليل نهار تحدوه إرادة لا تـكل ، وكراهية ملتهبة لـكل ما هو أجنبى ، وكان عليه أول الأمر عزل الصين عن كل مساعدة خارجية وتأمين مؤخرة اليابان أمداً من الزمان حتى يتم لها القضاء على مقاومة شانج كاى تشك ... وربض « سوجياما » يرقب اللحظة المناسبة حتى واتته فانقض ... فـكانت « بيرل هربور » وتبعتها هنج كنج والفلبين وبورنيو والملايو وبورما وسومطرة وجاوة وجزر سليمان ...

يظن الـكثيرون أن تلك كانت مقدمات لانقضاض اليابان على استراليا أو استعداداً منها لاجتياح الهند ؛ وإنى لا أنـكر أنها قد تتحول إلى ذلك مستقبلاً ، ولـكنها لم تـكن فى ذلك الحين إلا سياجا عظيما أقامته اليابان حول الصين وبحار الصين ، وإن كانت لم تتعرض لطريق روسـيا التى انشغلت عن مساعدة شانج كاى تشك بحربها الشعواء مع ألمانيا النازية ، وعدا ذلك فقد خشيت طوكيو استفزاز الجنرال الروسى اشترن الذى وقف على أتم استعداد يراقب بعين يقظة جيش إتاجاكى المرابط فى منشوكو ...

كل شىء هادىء فى الميدان الشرق ! . . . هكذا يقرر الـكثيرون لأن الصحف لم تعد تقدم لهم عنه ما تعودوه من عناوين ضخمة ، وهم فى ذلك مخطئون ... فقد ألقت اليابان فى أتون المعركة بفرق أخرى جديدة ، وأطبقوا على « شنسى » فى الشمال ، واحتلوا « شكيانج » و « كيانجى » فى الجنوب الشرقى فأصبح لهم خط حديدى تام يصل شنغهاى بسنغافورة عبر الهند الصينية وسيام ، وهاهم يقاتلون الآن فى مقاطعة يُنان حيث ألقى شانج كاى تشك بجنده المختارة على أمل إعادة فتح طريق بورما الشهور ، بينما سارع وكيل هيئة أركان حربه الجنرال المسلم « باى تسونج هسى » إلى الشمال للدفاع عن « شنسى » ...

كل شىء هادئ فى الميدان الشرق ! . . . نعم إلا إذا استثنينا ذلك الصراع الهائل الذى يخوضه ربع سكان العالم ، أربعمائة مليون شخص ، فى سبيل حريتهم .

كل شىء هادئ ... ولا جديد هناك ! نعم لا جديد سوى أن زهرة الجيش اليابانى قد عُقلت وأصبحت عاجزة عن الإقدام على مغامرة جديدة ! لا جديد سوى بضع معارك طاحنة فى ينان وشنسى وتشكيانج وكيانجسى ! لا جديد سوى أن تلك المعارك يتوقف عليها مصير العالم الشرق بأجمعه !

صبحى ذو الفقار صبرى

ميــــلاد زهرة

[إلى الطيور النائمة فى أعشاشها قبيل فجر الشتاء]

للأستاذ على محمود طه

(من ديوانه الجديد (زهر وخمر) وهو الآن على وشك الظهور)

يا شُعراء الروض أينَ البيانْ ؟ أينَ أغاريدُ الهوى والحنانْ ؟

قد وُلِدَتْ فى روضكم زهرةٌ ياحُسْنها بين الزُّهور الحِسَانْ !

حُلْمُ الفراشات ، وحُبُّ النَّدَى وخمرةُ النحل وسحرُ الأوانْ

قد بشَّرَ الأرضَ بها مُرْسَلٌ مُجَنَّحٌ من نَسماتِ الجِنانْ

والنورُ سرٌّ فى ضَمِيرِ الدُّجَى والفجرُ طيفٌ لم يَبِنْ للعِيانْ

أبصرتُها تهفو على غصنهــا فى وحشةِ الليل وصَمْتِ المكانْ

بَيضاءَ أو حمراءَ تُزْهَى بها عرائسُ النرجس والأُقحوانْ

تَظَلُّ تُصغى ، وتظلُّ الرُّبَى والعشبُ والجدول والشاطئانْ

ولَيْسَ منكم حولها هاتفٌ تسكب موسيقاهُ سِحرَ البيانْ

أَمَلَّتِ النشوةَ أرواحُــكم ؟ أم نَضَبَتْ من خمرهنَّ الدِّنانْ

قُوموا انظروا الظِّلَّ على مهدها يرقصُ فيهِ القمرُ الأُضْحِيانْ

لو تقدرُ الأنسامُ زفَّتْ لهـا أزبعةَ الفردوسِ فى مهرجانْ

وأسمعتْ من خفقِ أنفاسها صوتَ البشيرات وشدوَ القِيانْ

يا شــعراء الروضِ كم زهرةٍ ميلادُها من حَسَنَاتِ الزمانْ

حسبى من الدُّنيا على شَدْوِكم زَهْرٌ وخمرٌ ووجوهٌ حِسانْ

على محمود طه

المنـــــارة الجديدة

للأستاذ خليل شيبوب

[ألقيت فى حفلة « تحيــة الشعر السكندرى إلى جامعة فاروق الأول » التى أقيمت فى جمعية الشبان المسيحيين بالاسكندرية يوم الخميس ٢٥ مارس ســنة ١٩٤٣]

سماءَ الهدى فيضى ضياءً وجدِّدى ضياءَكِ إن القلبَ بالنور يهتدى

وما زالت الإسكندريةُ مَهْبَطاً لوحيكِ فيها نازلاً أرضَ موعد

أطِلِّى بألوانِ الربيعِ وأطلِعى من الزَّهرِ فيها فرقداً إثْرَ فرقد

فإن عروسَ الشرقِ أنفاسُها الشذى وحُلَّتُها بُرْدُ الشــبابِ المُجدَّد

أنارَ عَلَى شطِّ المحيطِ ابتسامُها يَرُدُّ إلى الميناءِ كلَّ مُشَرَّد

وسيانِ سَفْرٌ فى الحياةِ مُضَلَّلٌ وَسَفْرٌ عَلَى لجٍّ من اليمِّ مُزْبِد

أطلَّتْ على التاريخ شمساً تشعبت أشِعَّتُها من مصدرٍ فيه أوحد

بعلمٍ وفنٍ كالســناءِ وكالسنا وبأسٍ وعزمٍ كالمُنيفِ المشيَّد

إذا ماخبتْ تلك المنارةُ وَامَّحتْ معابدُ فيهـــا للجمال المخلّد

فقد بقِيَتْ فوق الزمان منارةً كما بقيت للحسن أكبرَ معبـد

وها قد أتاها الدهرُ معتذراً لها بجامعةٍ تستلحقُ الأمسَ بالغد

منارةُ فاروقٍ وليــدةُ ملــكه فيا حُسْنَ أنوارٍ وَيَا فَخْرَ مَوْلد

بناها فأعلاها مليكٌ تألَّفتْ عليه قلوبٌ تصطفيه وتفتدى

وساق إليهـا صفوةً من رجاله جهابذَةَ أعلامَ فضل وسؤدد

وفجَّرَ فيهـا شِرْعةً صولجانه من العلمِ مروِيًا بهاظَمأُ الصدى

إذا فِرَقُ الوُرَّادِ محشودةٌ بها كتائبُ آمالٍ تروح وتغتدى

وشرَّفها لمـا تقـلَّدَ مُفضِلاً إجازتَها مَزْهُوَّةً بالمقـــلد

فأبلغها أَوْجَ الكمالِ فتيَّةً تُباهى بما نالتـه أقدمَ معهد

أتمَّ على الاسكندريةِ مجدَها عظيمٌ له تعنو العظائمُ عن يد

فعاودَها التــاريخُ يفتحُ بَابَهُ لها مستعيداً سِيرَةَ المتعوِّد

وهلَّ عليهـا الفجرُ يلثم ثغرَها وهبَّ عليها الروضُ بالعَبَقِ النَّدى

وضاحكت الآفاقُ شاطئَها على مباهجَ فيها النورُ لحنُ مُغرِّد

فيا شُعلةَ الفن القديم تجدَّدى ويَاجَذْوَةَ الحسنِ الصميمِ توَقَّدِى

ويَا ثغرَها هذى المنارةُ فابتسِمْ ويَا موجها هذا الضياءُ فأنشِد

خليل شيبوب



حول قضية شهرزاد : الأدب والأشخاص

فى العدد الفائت من الرسالة أكثر من ثلاث صفحات عن « قضية شهرزاد » للأستاذ « الدريني خشبة » . وقضية « شهرزاد » قد أثيرت منذ صدرت « أحلام شهرزاد » وأثيرت فى جو أدبى مقيد بهذا الوصف ، ولا تزال قابلة لأن تثار فى هذه الحدود . ولكنني أسمح لنفسى أن أقول : « إننى شممت فى كلمة الأستاذ « رائحة » أخرى !

ففى حدود الأدب الخالص يملك الأستاذ أن يقول عن « أحلام شهرزاد » على لسان فاتنة « إننى أروع لوحات الفن فى عالم الأدب المصرى الحديث ... » أو أن يقول : « صورتى الرائعة التى هى ابتكار جديد لم يسبق أحد صاحبى إليه ، ولا استطاع أحد أن ينبت فى جنة شهرزاد زهرة أينع منها ولا أعبق من شذاها شذى » ... الخ

فهذا حكم أدبى يجد الأستاذ كثيرين يوافقونه عليه ، ويجد كذلك كثيرين يخالفونه فيه ؛ بل يجد كثيرين يقولون له : إن أحلام شهرزاد بما فيها صورة فاتنة ، لا تقاس إلى لوحات الفن التى رسمها الدكتور طه حسين نفسه فى كتاب « الأيام » أو فى « دعاء الكروان » أو فى « الحب الضائع » أو فى « أديب » إلى آخر هذه اللوحات التى عاشت طليقة فى سماء الفن الرفيع غير مقيدة بأوضاع اجتماعية أو سياسية حياتها محدودة فى نطاق من الزمان !

وسواء خالفه الناس أو وافقوه ، فهو حكم أدبى خالص لا عليه فيه من جناح !

أما الذى عليه فيه جناح والذى تمنيت وتمنى الناس ألا يكون فى لغة النقد الأدبى فى هذا الزمان ، فهو مثل قول الأستاذ فى رأى من يخالف رأى صاحب أحلام شهرزاد عن المرأة إنه « رقاعات » !

أو مثل قوله فيمن يخالفون رأيه هو فى أحلام شهرزاد : إنهم « خراصون مرجفون » !

أو مثل قوله فى قراء « شهرزاد » : « وإذا صح أن يكون الناس قد صاروا نوكى وقماديد صح أن تؤلف لهم قصة كقصة شهرزاد تهدف بالمرأة إلى هذا الهدف الوضيع الذى يجعل بيوت الناس مواخير فسق وأسواقاً للبغايا » .

ومثل هذا كثير فى كلمة الأستاذ ، بل هو مادة كلمته وقد اختار أن يجعل من «شهرزاد» رمزاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا . واختار أن يجعل مؤلفها قد انتهك أعراضنا وحرماتنا ، فلم نثر ولم نسخط ، فنحن إذن : « نوكى قماديد » ونحن إذن « فسول أفيكون مدخولون في عقولنا »

وأعتقد أن هذا وأمثاله لم يعد لغة فى النقد فى هذا الزمان . فالنقد لم يعد يقبل أن تستثير ضد الرأى الأدبى الذي تخالفه نخوة الدين ونخوة العرض ونخوة الأخلاق ، وأن تتهم بلا حساب كل ناقد أدبى يخالف رأيك فى نخوته وشرفه ومروءته ونجدته ونحيزته» !

أحسبه أراد أن يقول : إن لكل من مؤلف شهرزاد ومؤلف أحلام شهرزاد رأياً فى المرأة يختلف عن رأى الآخر ويؤثر عليه فى اتجاهاته الأدبية ؛ فتلك قضية كان يمكن أن تؤدى بأعف من هذه الألفاظ وأكرم . ولقد أديتها فى مجلة « المقتطف » فى حدود أوسع من هذه الحدود ، وأديتها واضحة صريحة مفهومة ، ولم أجدنى محتاجاً إلى كل هذا العناء !

وبعد فالأستاذ يكرر مرة ومرة : « أنه لا يبغي بما كتب أن يرضى أحداً أو أن يغضب أحداً » فأحب أن أطمئن الأستاذ (وهو حديث عهد بالعمل تحت رياسة المستشار الفنى) أننى جربت مؤلف « أحلام شهرزاد » فى نظرته للنقد الأدبى ، وعلمت أنه لا يثير غضبه ولا يستوجب رضاه ! والسلام

سيد قطب

هل ذو القرنين هو كورش الفارسي

أخذت فى العدد - ٥٠٧ - على بعض الفضلاء أن ما ذهب إليه فى ذى القرنين لا يتفق مع القرآن ولا مع سؤال اليهود ، لأنه يرى أن الآيات الواردة فى ذى القرنين هى فى الحقيقة تاريخ دولة برمتها ، وهى دولة الفرس من كورش إلى دارا الثالث ، مع أن كلا من سؤال اليهود وتلك الآيات صريح فى أن ذا القرنين شخص واحد ، لا تاريخ دولة برمتها . وقد عاد هذا الفاضل فى العدد - ٥٠٨ - إلى تأييد رأيه بعد تهذيبه بتأثير ما أخذته

عليه ، فذهب إلى أن الآيات القرآنية تمثل تاريخ ملك واحد لا دولة برمتها ، وإلى أن ذلك الملك هو كورش منشىء الدولة الفارسية ، وذلك باطل أيضاً من وجوه

١ — أن كورش حينما اتجه إلى السكيثيين المعروفين الآن بالتتر لقيته الملكة طوميريس بجيوشها ، فوقع بينهما حرب شديدة انتهت بأسره وقتله ، وهذا لا يتفق مع ما ذكره القرآن عن ذى القرنين حين وصوله إلى بلاد التتر ، فهو لم يقتل هناك كما قتل كورش ، وإنما بنى سداً ذكر القرآن أنهم لم يستطيعوا أن يظهروه ولم يستطيعوا له نقبا

٢ — أن بلاد فارس تقع فى جنوب آسيا ، فحينما اتجه كورش منها إلى آسيا الصغرى وسوريا كان متجهاً إلى الشمال لا إلى الغرب كما جاء فى القرآن عن ذى القرنين ، ولا شك أن آسيا الصغرى وسوريا لا يمكن أن يقال عمن يصل إليهما إنه بلغ مُغرب الشمس ، لأنهما يقعان فى قلب المعمور من نصف الكرة القديم ، وإنما يمكن أن يقال ذلك فيمن بلغ فى فتوحاته أوائل بلاد المغرب على الأقل

٣ — أن رؤيا دانيال ليس فيها إلا تمثيل دولة الفرس بكبش ذى قرنين ، وتمثيل دولة اليونان بتيس ذى قرن واحد ، وكما لا يقتضى تمثيل دولة اليونان بهذا التيس تلقيب ملوكهم بذى القرن الواحد ، لا يقتضى تمثيل دولة الفرس بذلك الكبش تلقيب ملوكهم بذى القرنين

أما الاسكندر المقدونى فإنه كان يلقب بذى القرنين كما ذكره كثير من المؤرخين ، ويؤيد هذا تلك الدنانير القديمة التى عثر عليها فى عصرنا ، وقد رسمت فيها صورة الإسكندر وعلى رأسه قرنا أمون . أما فتوحاته فقد اتجه فيها من اليونان إلى آسيا الصغرى ، فحارب فيها دارا وهزمه ، وسار بعد هذا إلى سوريا فمصر حتى وصل إلى واحة سيوة ، وبذلك يمكن أن يقال إنه وصل إلى مغرب الشمس ، لأنه وصل بذلك إلى بلاد المغرب ، ثم عاد بعد ذلك متجهاً إلى الشرق فقتل دارا وفتح بلاد فارس وما وراءها حتى وصل إلى بلاد الترك ، وهذا الفتح يتفق اتجاهه مع اتجاه الفتح المنسوب فى القرآن لذى القرنين ، وكذلك يتفق الفتحان فى نهايتهما غرباً وشرقاً

أما وثنية ملوك الفرس فهى واضحة وضوح الشمس ، وقد كان أستياج جد كورش لأمه وثنياً ، وهو الذى دعا أرباغوس من حاشيته ليحضر ما يقدمه من قربان لآلهته شكراً لهم على سلامة كورش ، فقدم لأرباغوس لحم ابنه مطبوخاً فأكله ، وقد فعل معه هذا لأنه لم يقتل كورش حين سلمه إليه وليداً وأمره بقتله ، وكذلك كان كورش وقمبيز وغيرهما من ملوك فارس ، وقد كان بعضهم يؤمن مع ذلك بإله الإسرائيليين ، فيكرمهم تبعاً لإيمانه به ، ولكن هذا لا ينفى الوثنية عنه ، لأنها لا تنتفى إلا بالإيمان بالله وحده

عبد المتعال الصعيدى

إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت مقال الدكتور النابغة عن « اللغة العربية فى المدارس الثانوية » وقد تحدث فيه عن ضعف التلاميذ فى الإنشاء فرجعه إلى المدرس ، فهو السبب الأول والآخر والظاهر والباطن ، وسرد أسباباً لبابها انصباب الضعف على رأس المدرس ، أو من رأسه ، أما التلميذ ، وأما المفتش ، وأما الوزارة ، وأما الوسط ، وأما المنهج ، وأما توزيعه ، فليس لكل أولئك أثر من جناية على التلميذ فى ضعفه . والسكوت على الاتهام مع القدرة على دحضه فوق أنه ضعف إثبات للتهمة وتزييف للعدالة ، لذلك سأرد على ذلك الاتهام لا لتبرئة نفسى وأخى بل لأضع الحق فى نصابه

يرى الدكتور أن السبب الأول : « سيطرة المدرس على لغة التلميذ » وهذه السيطرة هى السبيل الوحيد لتزويده بما يشاء من ألفاظ ومعان يستخدمها فيما يكتب ، لأنه لا يزال فى أول طريق الكتابة فسنة أو سنتان فى التعليم الابتدائى لا تقدر التلميذ على الكتابة المستقلة

السبب الثانى : « تحكم المدرس فى عقل التلميذ » ، ويقصد الدكتور بذلك حصر عناصر الموضوع وتسلسلها ؟ ومع أن هذا لا عيب فيه ؛ لأن العناصر تستخلص من أفكار التلاميذ وبألسنتهم فتلك الطريقة لا تتبع إلا فى السنوات الأولى من التعليم الثانوى ، على أن الأساتذة لا يقيدون التلاميذ بالعناصر بل يتركون لهم العنان يفكرون كما يشاءون ؛ ويكتبون ما يشاءون

السبب الثالث : « تقديم موضوعات بعيدة عن مدارك التلاميذ وأريد بها الموضوعات الميتة »

فى هذا السبب يتجنى الدكتور على كثرة المدرسين إذ هو لم يطلع – من غير شك – على جميع – الموضوعات المختارة وإنما اطلع على قلة ضئيلة لا يمكن إلا أن يكون فيها الحى والميت والحكم القائم على القلة حكم واهى الأساس

السبب الرابع : « إقبال المدرس على تصحيح الكراريس وفى ذهنه صورة محدودة للاجابات ، فهو يهمل كل صورة منحرفة عن تلك الصورة » وذلك تجن ثان أو ثالث – كما يشاء الدكتور – فإن أحداً لم يطلع على ما ارتسم فى ذهن المدرس حتى يحكم هذا الحكم ، وإن يكن الدكتور أيام تدريسه يسلك تلك الطريق فلا يصح اتخاذه طريقته دليلاً على طرائق غيره .

السبب الخامس : « إغرام بعض المدرسين بالإكثار من التصحيحات إكثاراً يشهد برغبتهم فى التفوق والاستعلاء » .

وإن يكن الشق الأول مما يزعمه الدكتور صحيحاً فليس فيه ما يعيب المدرس الذى يعنى بتقويم العبارة وتحقيق اللغة ، أما التفوق والاستعلاء فمعنيان لا يردان فى خاطر المدرس لأنه بطبيعة مكانه من التلميذ يستأهلهما . ولا أحسب الإباحية اللغوية التى يدعو إليها الدكتور فى كثير من أدبه صراحة حيناً ودوراناً حيناً مقبولة لدى جمهرة الأدباء عامة وعلماء المجمع اللغوى خاصة .

السبب السادس : « الهيام بتجميل الموضوعات بالباطل حيثما وقعت » وقد يكون فى هذا شبهة من الحق لو أنه نسب إلى التلميذ وأن الأستاذ يعالجه أنجع العلاج .

أما مراقبة التلاميذ فيما يقرءون فأؤكد للأستاذ الدكتور أنها لا تجدى ، ولا يصلح اتخاذ موضوعات الإنشاء مما تثيره تلك القراءات، فجلهم – إن لم أقل كلهم – يقرأ من القصص الوضيع ومن الأدب الرخيص

وبعد فالعذر للأستاذ واضح فما جدوى اثنى عشر موضوعاً يكتبها التلميذ ثم لا يجد من الوقت ما يدفعه إلى تعرف أخطائه ؟ وأنى له الفرصة ليصف لكل تلميذ داءه والفصل يتراوح بين الثلاثين والخمسة والثلاثين ؟ »

حضرات المفتشين :

وحدوا خططكم ، وسددوا توجيهاتكم ، ونظموا مناهج لغتكم ، وامنحوها من الحظ ما للغة الأجنبية ، وأعطونا من الحرية ما يحفزنا إلى الإثمار والإنتاج ، ثم تعالوا بعد ذلك فحاسبونا ولومونا إن وجدتم إلى اللوم سبيلاً فلوم المقصر تقويم لا يخشاه الجادون فى عملهم البصيرون بواجبهم .

عبد العظيم على قناوى
المدرس بالقبة الثانوية



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين – عابدين)

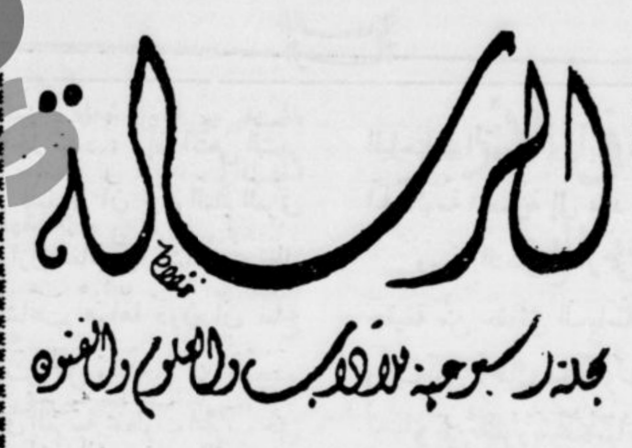


11 me Année No. 510

Lundi - 12 - 4 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥١٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٢ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

مصر والوحدة العربية

قلنا في افتتاحية السنة الحادية عشرة من حياة الرسالة : إن الاتحاد العربي على أي صورة يوشك أن يكون مقصداً من مقاصد الحكم في هذا العهد . ولقد قام في سبيل هذا المقصد ما قام منذ تصدع شمل الأمة العربية ، من بوائق الاستعباد وعوائق الاستعمار وما تجره سياسة الغزاة من انقطاع الأسباب بين الأخوة ، وتشعُّب الآراء بين القادة . فلما تعارضت منافع الأمم المستعمرة ، ووثبت النازية تريد استعباد الأمم لأنها بطبيعة عنصرها على زعمها سيدة ، وزحفت الفاشية من ورائها تبغي استغلال البلاد لأنها بطبيعة أرضها فقيرة ، رأت الديمقراطية التي تجاهد في سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها في سبيل نفسها ، أن تستعين فيما تستعينُ على هذا الطغيان الكافر المسلح بقوى العرب المتفرقة ؛ فأعلن وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم البريطاني : « أن حكومته تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية ؛ ولكن من الجلي أن الخطوة الأولى لتحقيق هـذا المشروع يجب أن تكون من العرب أنفسهم . والذي أعرفه أنه لم يوضع إلى الآن هذا المشروع الذي سينال استحساناً عاماً »

وبهذا التصريح الرسمي العلني زالت الحوائل السياسية التي كانت فيما مضى تجمل الكلام في الوحدة العربية حلماً يُرى

وشعراً يقال ، فإذا تنفس الصبح بالحلم تبدد ، وإذا انتهى الشعر إلى الفعل كَذَب . وكان من غير المعقول أن يرى العالم العربى الخطوبَ تتواثب على جوانبه ، والنوازل تتفاقم فى أحشائه ، ثم تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها دون أن تعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل من التجمع والتعاون ؛ فما هو إلا أن غامت الآفاق العربية بخطوب الحرب حتى شعرت كل دولة عربية بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع ، فتضامّوا من الخوف ليتقى بعضهم ببعض سوء المصير ؛ وهبَّ الزعماء المخلصون يقوون ما وهن من صلة الدم ونسب الروح ، فسهلوا تزاور الأقرباء ، وشجعوا تبادل الآراء ، وقرروا توحيد الثقافة . ثم كان من توفيق الله لهذه الوزارة القائمة أن تخطو فى سبيل الوحدة العربية هذه الخطوة التى كان ينتظرها وزير الخارجية البريطانية ، وأن يسجل صاحب المقام الرفيع رئيسها هذه الخطوة المباركة فى مجلس الشيوخ بقوله : « ... منذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكرت فيه طويلاً . ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل إلى غاية مرضية ، هى أن تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع . وانتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترى إليه من آمال ، كل منها على حدة ؛ ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت السبيل إلى ذلك ؛ ثم تدعوهم جميعاً إلى مصر فى اجتماع ودّى لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية من وجهة متحدة بالفعل . فإذا ما تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برياسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات محققاً للأغراض التى تنشدها الأمم العربية .

« ... وقد أخذتُ أنفذ هذه الخطة ، فوجهت بالفعل إلى رئيس حكومة العراق دعوة رسمية ... حتى إذا ما وافق فخامته على هذه الخطوات بحثنا رأى العراق فى هذا الموضوع من جهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وسأوجه بعد ذلك الدعوة تلو الدعوة إلى الحكومات العربية وأستقصى من مندوبيها واحداً بعد واحد رأيها فى الموضوع نفسه . فإذا ما انتهيت من هذه المباحثات التمهيدية ورأيت منها ما يبشر بالنجاح كما أرجو ، دعت الحكومة المصرية إلى عقد المؤتمر فى مصر ... »

وبهذا التصريح الرسمى الآخر أصبح السعى للوحدة العربية حقيقة من حقائق السياسة لا خيالاً من أخيلة الشعر ، وعملاً رسميًّا من أعمال الحكومات لا أملاً وهميًّا من آمال الأفراد وظنُّ العروبة بحكامها وأعلامها أن يخلصوا لها السعى والرأى فى هذه المحنة العالمية التى عبثت الشياطين فيها بأنظمة الكون ، فاختل التوازن ، واضطرب العيش ، وذل الحق ، وأفلس المنطق . ولا جرم أن سلامة العروبة وحريتها فى أن تكون يوم يجتمع الناس للصلح القريب أو البعيد ، وحدةً سياسية تنتظم دولها جماء من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهندى ، وجُملتها لا تقل عن ثمانين مليون نفس . ذلك لأن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة . فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة ، لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير ، والفقير من عون الغنى . فلما نُكس بعض أمم الحضارة وعاودها داء الهمجية الأولى فتحلبت أشداقها على حدود هذه الدول الصغيرة ، لم يعد لها عاصم من عدوانها إلا أن ينضم بعضها إلى بعض ، ويتقوى بعضها ببعض

أما نوع هذا الاتحاد فقد كنا اقترحنا فى عدد مضى من الرسالة أن يكون على مثال الاتحاد الأمريكى ؛ ولكن تحقيق ذلك الاقتراح يقتضى من الوقت والجهد والاستعداد والمرونة ما لا يحتمله الزمن المضطرب ولا تسمه الفرصة العجلى . إذن فلتكن بداية هذا الأمر مثلاً أن تؤلف عصبة من الدول العربية فى القاهرة على نحو ما كانت عصبة الأمم فى (جنيف) لتقرب المصالح الخاصة ، وتوحد المآرب العامة ، وتوجه السياسة المشتركة ، ثم تستعد للصلح المقبل ، وتمهد للاتحاد التام

على أن فى المؤتمر الذى اقترحته مصر ودعت إليه مطالعةً لحال العرب : تُستشف فيه الدخائل ، وتُكشف به الحوائل ، وتُستنبط له الوسائل ؛ فلندع مواضعة الرأى لأولئك الذين ادخرهم الله لهذا المسعى الخطير الذى لم يُتح لأحد بعد محمد ؛ ثم لنقف نحن بجانب التاريخ نرصد وننقد ونسجل .

احمد حسن الزيات

ظاهرة جديدة فى الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدنى

انتهى العام الدراسى فى الأزهر أو كاد ، وانصرف الطلاب عن فصولهم إلى المذاكرة والإعداد لمرحلتهم المقبلة ، وابتدأ الأساتذة فترة استجمامهم التى ألفوا أن ينعموا بها فى كل عام إثر الدراسة وبين يدى الامتحان ؛ أما أنا فقد عدت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : عدت من دراسة « علم الأصول » فى كلية الشريعة بين طلاب علىّ كرام ، أحبهم ويحبوننى ، وأفهمهم حق الفهم ويفهموننى ، وأبثهم نصحى وإرشادى فيستمعون إلى نصحى وإرشادى . غايتهم العلم فهم عنه باحثون ، وبغيتهم الحق فهم له مخلصون ؛ لم تطرف عيونهم الدنيا ، ولم تسد مسامعهم الشهوات . رجعت من هذا الجهاد الأصغر ، بل من هـذا الجهاد الحبيب إلى النفس الذى نجد فيه معاشر الأساتذة لذتنا ، وننشد بالتعب فيه راحتنا ، إلى جهاد من نوع آخر قد حف بالمكاره ، وأحاطت به الأهوال والصعاب من كل جانب : عدت إلى « الرسالة » الغراء أبثها آلامى وآمالى ، وأسجل على صفحاتها آرائى وأفكارى ، وأتعرض بذلك لسخط الساخطين، ولوم اللائمين ، وكيد الكائدين

عدت إلى « الرسالة » أخطب على منبرها العالى قوما تناط بهم الآمال فى إصلاح هذه الأمة ، ويرجى منهم النهوض بما حملهم الله من أمانة حين جعلهم حملة هذه الشريعة

عدت إلى « الرسالة » أنادى قوماً يحسبون صيحاتى لهم صيحات عليهم ، فيثقل عليهم نصحى إذا نصحت ، ويُحفِظ صدورهم نقدى إذا نقدت ، وتهيم بهم الظنون فى أمرى إذا سكت ، وتنطلق الوشاة بى من حولهم كما تنطلق الصلال الرقطاء فى الرمال البيضاء ، ينفثون سمومهم ، وينشرون شكوكهم ، ويقولون : هذا شاب مغرور بنفسه ، متطفل على ما ليس من شأنه . ليس هذا بكاتب يصور قلمه ما يشعر به قلبه ، إنما هو فتى يردد ما يسمع أو يعلّم ما يقول . ليس هذا بناصح أمين ، وإنما هو عدو مبين ... قالات سوء يرجف بها المرجفون ، ويمكر بها الماكرون حتى لتطيش منها أحلام ما عهدناها أن تطيش ، وتفتر بالهُجر من القول شفاه لم تكن تفتر إلا عن الحكمة والموعظة الحسنة !

فاللهم عونا على هذا الجهاد . أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير !

* * *

انتهى العام الدراسى فى الأزهر أو كاد . ولسنا ننظر إلى الأزهر كما ننظر إلى أى معهد من معاهد التعليم فحسب ، وإنما ننظر إلى الأزهر وينظر المسلمون جميعاً إليه على أنه الحصن الأخير الذى لم يبق سواه لشريعة الإسلام وثقافة الإسلام ، فيجب أن نلتفت إليه فى كل مناسبة ، ويجب أن نهتم به فى كل حركة ، ويجب أن نتابع أخباره فلا يشغلنا عنها شىء

وها هو ذا قد أمضى اليوم عاماً من أعوامه الدراسية ، فمن حق كل مسلم أن يعرض تاريخه فى هذا العام ، وأن يحاسبه على ما قدم أو أخر فى شئونه الخاصة والعامة ، ومن الحق على الأزهر أن يثبت لهذا العرض ، ويصبر على هذا الحساب !

فما هو إذن تاريخ الأزهر فى عام ؟

لقد مضت قبل هذا العام أعوام كان الناس يتحدثون فيها عن أشياء كثيرة : كانوا يتحدثون عن « جماعة كبار العلماء » وما يرجى من نشاطها للقيام بواجبها . وكانوا يتحدثون عن « برنامج الإصلاح » الذى اقترح لها . وكانوا يتحدثون عن الكتب والمناهج الدراسية وما يرجى من إصلاحها وحسن الانتفاع بها . وكانوا يتحدثون عن المقررات التى يمضى العام ولا يقرأ منها إلا القليل . وكانوا يتحدثون عن نظام « المراقبة العامة » على التعليم العالى ولأى غرض أنشئت . وكانوا يتحدثون عن الفقه الإسلامى وواجب الأزهر فى وصله بالحياة العامة وعرضه عرضاً يوافق روح العصر . وكانوا يتحدثون عن نظام التخصص وعيوبه التى ضج منها الطلاب وغير الطلاب . وكانوا يتحدثون عن مجلة الأزهر التى هى لسانه وعنوان ثقافته وأداة الدفاع عنه . وكانوا يتحدثون عن واجب الأزهر فى الاتصال النافع بمراكز الثقافة وأندية العلم ولجان التشريع . وكانوا يتحدثون عن مكتبة الأزهر وكنوزها الدفينة التى كاد يأتى عليها البلى بعد أن أتى عليها النسيان . وكانوا يتحدثون عن رسائل الجماعة الموقرة ، تلك الرسائل التى تكتب لتختبىء فلا تراها عين ولا تسمع بها أذن !

كانوا يتحدثون عن ذلك كله، وكانوا يتحدثون عن غيره مما لست أذكر الآن، وكانت «الرسالة» سجلا واعياً لهذه الأحاديث، ولساناً ناطقاً بهذه الآمال، بل كان البرلمان بمجلسيه يتحدث عن بعض ذلك، ويتقدم أعضاؤه فيه بالأسئلة والاستجوابات، وترسل لجانه إلى مشيخة الأزهر بملاحظاتها على التعليم ومستواه، وعن «الأمثلة البادية العوار» التي لا ينبغي أن تبقى ماثلة تتأذى بها العيون ... الخ . الخ .

كان ذلك كله في الأعوام الماضية، وكان أصحاب الرأي والنظر البعيد يعدونه بداءة طيبة للدعوة إلى نهوض الأزهر، فإن الأزهر إذا سمع الناس يتحدثون عنه، ورأى الناس يهتمون به، ووجد بعض أبنائه والمخلصين له يشاركون في هذه الأحاديث، ويلفتونه إلى هذا الاهتمام، لم يلبث أن يفكر في أمره كما يفكر الناس فيه، ويومئذ تجد دعوة الإصلاح من النفوس قبولاً، ومن الآذان إصغاء، فيتعاون على نجاحها الداعون والمدعوون على سواء.

وقد بدت في هذا العام تباشير تلك الخطوة الثانية في سبيل النهوض، وانتقلت أحاديث الإصلاح من ميدان «الرسالة» إلى ميدان آخر هو ميدان الرؤساء والعلماء والطلاب من أبناء الأزهر المخلصين: شعروا بأن الأزهر في حاجة إلى تكاتف الهمم، وتناصر العزائم، ورأوا تيار العلم في الجامعات الحديثة يوشك أن يكتسح الأزهر اكتساحاً، وعلموا أن الأمة قد تنبهت إلى ما تفعله كل طائفة من أبنائها، وأن الدولة قد أصبحت حريصة على أن تجعل دور العلم للعلم فقط، وأن الأزهر حين انحرف عن طريقه العلمي وانغمس في الحركات، وسُخر في سبيل الأهواء والنزعات، غض ذلك من مهابته، وجرأ الأصدقاء قبل الأعداء عليه، وأزال صيانه الذي كان ينبغي أن يبقى له. علم أبناء الأزهر المخلصون ذلك كله، وعلموا أن عليهم واجباً لمعهدهم العظيم ألا يقفوا منه موقفاً سلبياً، والعيون ترمقهم، والألسنة تتحدث عنهم، والأصابع تشير إليهم، فعقدوا العزم على أن يجعلوا من أنفسهم جنوداً للاصلاح، وخداماً مخلصين للأزهر حتى ينهض نهضته، ويسترد في العالم الإسلامي مكانته، ويعود إليه سابق مجده!

عقدوا العزم على أن يخلصوا للأزهر أكثر من إخلاصهم للأشخاص، ووطنوا أنفسهم على أن يكونوا صرحاء في الجهر بالعلة، أقوياء في المطالبة بالعلاج؛ وسرت هذه النزعة الجديدة في نفوسهم جميعاً: سرت في نفوس الشباب الأزهري كما تسرى الحياة في الأزاهير الناشئة، وسرت إلى نفوس الشيوخ كما يسرى الماء إلى الجذوع المتعطشة، بل سرت إلى الرؤساء المسئولين الذين يلون المناصب الكبرى في المعاهد والكليات، فأصبح هؤلاء جميعاً مؤمنين بها، متلاقين عندها، متناسين كل شيء من خلافاتهم في سبيلها!

ولست أقول هذا الكلام جزافاً، أو توسماً في الآمال، فإن له لشواهد حاضرة، وآثاراً بادية، ربما تناولتها في مقالاتي الآتية تباعاً. وحسبي اليوم أن أقول للذين كانوا يظنون أن دعوة الإصلاح صرخة في واد، أو نفخة في رماد، وللذين كانوا يؤثرون اطراد الأمور على أي نسق كان ابتغاء الراحة والهدوء، ثم للذين بذروا البذر ولم يتعهدوه حتى ينبت:

إن الإصلاح لا يعرف الرجوع، ولا يعرف الركود. إنه كشعلة من نار يخفضها الخافضون فتأبى إلا ارتفاعاً. إن قوة الإيمان لا تغلب ولا يقاومها إلا مخذول. وإلى اللقاء في حديث بعد هذا الحديث.

محمد محمد المدني

كيف نعــــلم أبناءنا ؟
وما الغرض من التعليم ؟
للدكتور زكى مبارك

متاعب !

هى المتاعب التى يعانيها من يواجه الحقائق بأساليب صريحة بريئة من الرياء ... ومن أعجب العجب أن الناس يطالبون الكاتب بأن يحدثهم عن كل شىء ، مع أنهم لا يسمحون له بشىء من الصدق إذا تحدث عن أشياء تمسهم من قريب أو من بعيد . وهذه الظاهرة من أسباب ضعف الروح البيانية ، ومن أسباب قصور الأدب عن وصف المجتمع الحديث

إن الأمم المحاربة لم تشغلها الحرب عن التفكير فى شؤون التعليم والتثقيف ، لأن تلك الأمم عهدت إلى كل طائفة من الطوائف جانباً من جوانب الحياة القومية ، فبقى الجندى جندياً ، والتاجر تاجراً ، إلى آخر ما هنالك من الطوائف ، وصار لزاماً أن يبقى المعلم معلماً فى حدود ما يملك من القوى النفسية والروحية والعقلية

ونحن لم نشترك فى الحرب من جانبها الدموى — وإن كان أذاها وصل إلى كثير من مرافقنا الحيوية — وهذا الحياد قد استبقى قوانا وادّخرها لإنجاز شؤون التعليم فى مراحله المختلفات ، فمن الواجب أن نبذل جميع الجهود الممكنة فى خلق التعليم خلقاً جديداً ، بحيث نواجه تقلبات ما بعد الحرب ، ونحن على بينة من مطالب العصر الجديد

قال معالى الهلالى باشا فى خطبته بحضرة جلالة الملك يوم افتتاح جامعة فاروق الأول : إن هذه الجامعة هى الجامعة الوحيدة التى أنشئت فى العالم كله أيام الحرب

وهذا صحيح ، ولكن ما السبب فى تفرد مصر بهذه المزية ؟

يرجع السبب إلى أن إعفاءنا من الحرب الدموية لم يدعُنا إلى إعفاء أنفسنا من حرب الجهل والجمود ، فنحن نقاتل فى ميدان هو أصعب ميادين القتال ، ونحن نواجه مصاعب تزلزل القلوب والعقول ، وهذه محمدة قليلة الأمثال

أكتب هذا وقد تعتّب ناسٌ وتغضّبوا لأنهم رأوا فى المقال الأسبق عبارات فى نقد الطرائق المتبعة فى تعليم الإنشاء ... فهل كان يجب أن أقول إن كل شىء على ما يرام ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟

الكاتب يحاسَب على المجاملات ، ولا يطالَب بالمجاملات ، وأول طائفة خليقة باحترام حرية الرأى هى طائفة المدرسين ، لأنهم دعاة الحرية الفكرية ، ولأن واجبهم الأول هو خلق اليقظة العقلية ، فما يجوز لأحدهم أن يعتب أو يغضب إذا رأى كاتباً يدعوه إلى التفكير فى وزن ما درج عليه من طرائق التعليم ، عساه ينتقل من حال إلى أحوال فى الإفهام والتفهيم والشرح والبيان

واجب المدرس أن يصغى لكل قول ، وأن يحترم كل رأى . واجبه أن يدرك أن كل شىء فى تجدد ، وأن يفهم جيداً أن للتعليم سياسات تتغير من يوم إلى يوم ، وأن التلميذ الواحد قد يساس فى درس الأدب بغير ما يساس فى درس الإنشاء ، وأن التدريس هو فى الأصل رياضة مختلفة المسالك والألوان

وإذا ضاق صدر المدرس بما يقرأ أو يسمع من ضروب النقد ، فعند من ننتظر رحابة الصدور ورزانة الأحلام ؟

وتأذّى فلان من أن يقال إن الإنشاء قد يصعُب على بعض المفتشين ... فما عيب هذا القول وفيه شىء من الحق ؟

وبماذا نجيب إذا سئلنا عن جهود مفتشى اللغة العربية فى خدمة الحياة الأدبية ؟

هل يكفى أن يكون الكاتب كاتباً بالقوة لا بالفعل ، كما يعبّر علماء المنطق ؟

إن المفتشين رُفعوا إلى مراكزهم باسم التفوق فى علومهم ، فهل نلام إذا دعوناهم إلى زكاة ذلك التفوق ؟

مصر غنية بالثروة العلمية ، فهل نراها غنية بالثروة البيانية ؟

وهل من الحق أن رجال التعليم عندنا أكثروا من الجهاد العلمى والأدبى إكثاراً ليس بعده زيادة لمستزيد ؟

كم كتاباً صدر عن رجال التعليم فى مدى عشر سنين ؟

وما هذا الزهد فى البحث والتأليف ، الزهد الذى يسمح بأن تنتهى حياة الرجل قبل أن يدين أمته بكتاب جيد ؟

إنى أخشى أن يضيع زمام الحياة الأدبية من أيدينا إن تركنا الإبداع فى الأدب ، واكتفينا بوضع الموجزات فى القواعد والتطبيق ، كما يفعل بعض الزملاء

صلة المدرس بالحياة

قبل أن أواجه مشكلات التعليم أفصّل مسألة شغلتنى منذ أعوام ، وهى مسألة القلق الذى يساور المدرسين من الوجهة المادية ، وهو فى رأيى قلق يبشر بالخير ، ولا ينذر بالشر كما تعوَّد بعض الناس أن يقول

لو أحصينا مطالب المدرسين لرأيناها فى الجملة متصلة بالمطالب المعاشية ، فهل يكون فى هذه الظاهرة برهان على أننا نواجه عصراً أفضل من العصور الخوالى ؟

أنا أقول بذلك ، ولا يؤذينى أن أرى مدرساً يرجو أن تنصفه وزارة المعارف ليعيش فى رخاء

ولكن هذا الكلام يحتاج إلى شرح ، فلنقدم الشرح :

كان التعليم من أعمال الكهّان والأحبار والرهبان ، وحيوات هؤلاء كانت مريحة ، لأن الجمهور كان مسئولاً عن تزويدهم بما يشتهون ، فلم يكونوا فى احتياج إلى مزاولة أعمال المعاش

يضاف إلى ذلك أن التعاليم التى كان يقدمها أولئك الأقوام إلى الناس كانت ترمى إلى غاية أخروية لا دنيوية ، فكان من المعقول أن يعيشوا عيش الزهاد ليفلحوا فى أداء رسالتهم الروحية

أما التعليم فى هذه الأيام فله غاية تخالف تلك الغاية ، هو تعليم يراد به فهم الحياة الواقعية ليكون أداة من أدوات التملك والاستيلاء

نحن نعلم أبناءنا ليسودوا فى دنياهم ، ولا نرضى لأبنائنا أن ينتظروا الثواب من المحسنين ولو كانوا فى سماحة الأنبياء

نحن نرجو أن تكون يد أبنائنا هى العليا بفضل التعليم الصحيح . نحن نحب لهم أن يتسلحوا بأسلحة العصر الحاضر ، عصر النضال والصيال ، ونكره أن يذلوا باسم الزهد فى الدنيويات

ومن الذى يوحى إليهم تلك المعانى ؟

أهو المعلم المترهب الذى ينتظر إفضال المفضلين ؟

إن فاقد الشىء لا يعطيه ، والمعلم الذليل لا ينشىء تلاميذ أعزاء

يجب أن يكون المعلم ابن زمانه بالقول والفعل ، وأخلاق هذا الزمان لا تمنح العزة لمن يعيش بفضل الصدقات

كانت غاية المعلمين من الرهبان أن يخلقوا طوائف جديدة من الرهبان ، وكان التشرد فى أقبح صوره يجد من يسمه بوسم التوكل على الله ، فأين نحن من تلك الغاية المجفاء ؟ إنها منا بعيد

وإذن يتحتم أن يكون المعلم رجلاً موصول الأواصر بالمنافع الدنيوية ، ليوجه تلاميذه إلى المنافع الدنيوية

يتحتم على المعلم أن يدرك ما فى الحياة من تعقد واشتباك ، ليروض تلاميذه على مغالبة ما فى الحياة من تعقد واشتباك

كان المعلم راهباً ، وقد بقيت من هذه النزعة بقايا نجدها فى بعض البيئات ، ولكنها لا توائم العصر بأى حال

يجب أن تُسبق الأبوة الروحية بأبوة حسية ... ومعنى هذا أنى أرى أن المدرس لا يعرف حقوق تلاميذه عليه إلا إن كان له أبناء

المعلم الحق فى هذا الزمان هو المعلم الذى يعيش كل العيش ، فيكون له مصالح تفرض عليه أن يفهم الاتجاهات المختلفة فى هذا الجيل

والعيش على هامش الحياة عيشٌ ضائع ، ومن عاش كذلك فليس بأهل لأن يخلق ذوق الحياة فى صدور التلاميذ

وأين التلميذ الذى يحترم أستاذاً فقير الجيب ؟

الأصل أن تقول لتلميذك : تعلم لتكون فى مثل جاه أستاذك ؛ والجاه فى هذا الزمان يُجرح بأيسر بادرة من بوادر الإفلاس

والأصل أيضاً أن يكون العلم تاج المنافع ... فإن افتقر العالم فسيكون افتقاره شاهداً على أن قوة العلم هباء فى هباء

وهنا مشكلة تستحق الدرس ، وهي تحديد المراد من العلم ، فما هو العلم المنشود ؟

هو العلم الذى يمنح صاحبه السيطرة على ناصية هذا الزمان

هو علم العصر الحديث ، ولو تمثّل فى فهم أساطير الأولين

أنا لم أتعود خداع قرائى ، وأنا أوصيهم بما أوصى به نفسى ، فليسمعوا هذا الكلام إن كانوا لأنفسهم أوفياء

ونحن لا نطالب الدولة بحق الإنصاف ، إلا إن أقمنا مئات البراهين على حقنا فى الإنصاف

ولن يكون ذلك إلا إذا وثقت بنا الدولة ثقة تغنيها عن تلك الجيوش من المفتشين

إن احتاج المدرس إلى رقابة المفتش فليس بمدرس

والأساس أن تكون المدرسة غزواً روحياً للبيت ، فيكون الطفل أستاذاً لأبويه ، لأن له أسندة من روحانية أساتذته الفضلاء

والأساس أيضاً أن يُخوَّف التلميذ بسلطان المدرسة عليه ، فلا يشكوه أهله حين ينحرف لغير السلطة المدرسية

ومتى يتيسر ذلك ؟

أيكون غِنى المدرس هو الوسيلة كل الوسيلة إلى السيطرة على التلاميذ ؟

وكيف وفى آباء التلاميذ من يكون إيراده أضخم من مرتب وزير المعارف ؟

هيبة المدرس ترجع إلى التمكن من العلم الذي يدرسه التمكن الفائق الذى يُشعر التلاميذ بأن أستاذهم من أكابر العلماء

إن استطاع المدرس أن يلقى تلاميذه كل يوم وفى يده كتاب جديد فليفعل ... وإن استطاع المدرس أن يدل تلاميذه على جميع ما يجدّ من الآراء العلمية والأدبية فليفعل ... وإن استطاع أن يرشدهم إلى طيبات الحياة الفنية فليفعل

المهمُّ هو أن يسيطر على تلاميذه سيطرة روحية تصغر بجانبها سيطرة الجاه والمال

وإذا وصل إلى هذه الغاية فلن يضيره أن يقال إنه من الفقراء

وأنا لا أطالب بإنصاف المدرس من الوجهة المادية إلا لأضمن صلاحيته لفهم مطالب الحياة ، لأنى أعتقد أن الرجل المنسحب من ميدان الحياة لا يصلح لشىء ، وأ كاد أجزم بأن حب الحياة يزيد فى قوة الأخلاق

المعلم الذى أنشُده لأبناء هذا الجيل هو رجل مزوَّد بمواهب إيجابية لا سلبية ، هو رجلٌ يسبق زمنه بأزمان ، هو رجلٌ يرجو تلاميذه أن يكون هاديهم إلى صراط الحياة فى معناها المنزّه عن الغفلة والجمود

إن وزارة المعارف أنشأت معهداً جديداً هو معهد الدراسات العالية ، وبه أرادت أن تزوّد المدرسين بأزواد علمية وأدبية لم يذوقوها من قبل

فما مصير هذا المعهد ؟

إن بقاءه رهينٌ بأحوال المدرسين ، وقد قيل إنهم فى احتياج إلى مزيد من التثقيف

وأقول : إن من العيب أن نحوج وزارة المعارف إلى أن تُشغَل بتثقيفنا بعد أن شببنا عن الطوق منذ زمان

لا يجوز أن نحوج وزارة المعارف إلى شىء من هذا القبيل ، وإنما يجب على كل مدرس أن يكون نائباً عن وزير المعارف فى أداء الواجبات الوطنية من الوجهة التعليمية

يجب أن يقترب اليوم الذى يستغنى فيه المدرس عن رقابة المفتش .

ولن يقترب ذلك اليوم إلا حين يوجد التلميذ ، التلميذ الذى يحب أن يتعلم ، التلميذ الذى يقهر المدرس على أن يستعد للدرس كل الاستعداد

ومتى يوجد ذلك التلميذ ؟

متى يوجد التلميذ الذى يخلق المدرس ؟

متى يوجد الفتى الذى يعزّ عليه أن تمرّ أيامه بلا انتفاع ؟

سنرى محاولات لبعث الروح المكنون فى صدر التلميذ ... فإلى اللقاء فى الأسبوع المقبل وهو قريب .

زكى مبارك

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٤٣ فى القضية رقم ٣٦٦٣ سنة ١٩٤٢ بتغريم عليوه محمد الأقرع الفلاح بالتلين خمسين جنيها لامتناعه عن بيع الادره الفائضة عن حاجته للحكومة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٤٣ فى القضية رقم ١٩١ بندر الزقازيق سنة ٩٤٣ بحبس أحمد ابراهيم دسوق الفلاح بالفار ثلاثة شهور بشغل وتغريمه ١٠٠ جنيه والمصادرة لعرضه للبيع أدرة بأزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ١٠٨ سنة ١٩٤٣ الدرب الأحمر عيسى هاشم عبدالعال بحبث ثلاثة شهور مع الشغل وغرامه ١٠٠ جنيـه والنشر والتعليق والمصادرة لبيعه الزيت بأزيد من السعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ١١٢٦ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح عليان ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (الفحم) بأزيد من السعر المحدد

على هامش أحلام شهرزاد

٣ ـ قضية اليوم
(القصر المسحور)
للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « أرأيت إذن كيف مسخ صاحب (شهرزاد) تلك الصورة العلوية الفردوسية التي رسمها الكاتب العبقري الأول للمرأة الكاملة التي طبَّبت لشهريار وعالجت اعوجاجه ؟ وهل رأيت كيف أسلم جميع أبطاله للشيطان ، فليس فيهم بطل رشيد ! ؟ فشهرزاد شهوانية مخادعة هلوك ... وقمر يفتتن بجسدها البض ويراه في صورة إيزيس وعَيْنَيْ بيدبا الفيلسوف الهندي ... ثم يقتل نفسه من أجل أنه رآها تخدعه عند ما شهد العبد يخرج من مخبئه في مخدعها ... وشهريار ينسى فحولته بل يتبدل بها فسولة عند ما يضبط العبد نفسه في مخدعه فلا يثور ولا يتسخط ولا يفور دمه في رأسه ، ولا يأمر برأس العبد ورأس شهرزاد ، ولا تعود إليه جبلته القديمة المغرمة بسفك الدماء ... ولماذا تعود تلك الجبلة وقد كلت حيلته في المرأة عامة ، لأن المأساة بعينها تتجدد ، ودورة الفلك تبدأ من حيث تعود ، وتعود من حيث تبدأ ... ثم هذا هو الجلاد يبيع سيفه أو يرهنه ... وأبو ميسور يهذي من كثرة ما دخن القنب ... والعبد يتسور الجدار إلى شهرزاد في لحمة الليل فلا تشبع منه ولا تريد أن تشبع منه ... فهل رأيت بلاء في قصة كهذا البلاء ؟ وهل اجتمعت لقصة عصبة من الأبطال المناكيد كهذه العصبة من الأبطال المناكيد ؟

وهل يكفي في الاعتذار عن هذا أن يعترف المؤلف في (القصر المسحور) بقصوره ، والتسليم بأنه في حاجة إلى أن يسمى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويمعن في الجد ، لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه ؟ وهل يكفي أن يعترف ببعد الأمد أمامه حتى يصل إلى ترقية فنه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان في التصوير والتعبير جميعاً ؟ ... هل يكفي أن يعترف مؤلف شهرزاد بكل ذلك ليكون بمنجاة من النقد الذي يزيف أدبه مهما اعتذر له عميد الأدب العربي وشريكه في القصر المسحور ، ومهما دافع عنه بوصف كونه أديباً له أن يبرز أبطاله في الصورة التي يراها ، ومهما اعتذر له بوجوب حرية الرأي والدفاع عن حرية الرأي وتقديس حرية الرأي ؟ ! على أن عميد الأدب قد احتاط للأمر ، فلم يرسل هذا القول على عواهنه ، بل كان حصيفاً حين قال في القصر المسحور (ص١٧) على لسان شهرزاد : « هو إذن هنا هذا الآثم ! ! ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد » وحين قال على لسانها أيضاً (ص ٢١) : « وسيجد عندى علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد » وحين قال على لسانها ولسان غيرها من أبطال مسرحيته ص٥٧ : « ... كيف أعفو عن هذا الذي اتهمني فيما لا ترضى امرأة حقيرة أن تتهم فيه». فكيف بملكة كريمة مثلي متسلطة على القلوب خالدة على الأزمان . وقمر يقسم ما أضمر للمليكة غدراً ولا أدار في خلده شيئاً يستحي أن يظهره . والعبد — وويل لصاحبك من العبد — إنه ثائر فائر ، إنه مرغ مزبد . إنه مبرق مرعد . إنه يريد أن يمزق صاحبك بأنيابه وأظافره . إنه لا يطيق التفكير في هذا الرجل الذي جعله صورة بشعة لأبشع ما يتسلط على العقول والأبدان ، وهو يغريني ويحرضني ، ويريد أن يضرم النار في قلبي ، لولا أن قلبي أهدأ من أن تضطرم فيه النار . وهو يسألني كيف أترك الحياة لرجل صورني في هذه الضعة ، وجعلني أهبط من أعلى عليين لأكلف بهذا المخلوق البشع الدنيء ... والساحر يقسم ما سحر ، والجلاد يقسم ما باع السيف لينفق ليلة هنية ، وأبو ميسور يقسم ما أظلت حانته إثماً قط ... حتى زاهدة تقسم ما عرفت سراً ولا سألت عنه ولا باحت به ولا اتخذت وسيلة إلى معرفته ... فكل هؤلاء مغيظ محنق يلح على في أن أنتقم له ، وأنتقم لنفسي من صديقك البائس المسكين ... ومع أني كنت ضيقة به ساخطة عليه حين قرأت كتابه ... الخ »

أرأيت إذن يا صاحبي كيف كان عميد الأدب العربي حاذقاً أشد الحذق حينما احتاط لنفسه وهو يدفع سخط الناقمين على مؤلف (شهرزاد) ، فراح يبعث الطمأنينة على شهرزاد في نفوسهم ويعدهم برد شرف هذه الفتاة ، وذلك بما قاله على لسانها في الصفحة السابعة عشرة والصفحة الحادية والعشرين والصفحة السابعة والخمسين من القصر المسحور ... « ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! » . وسيجد عندي علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ! » إي والله ؟ ... ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ... وقد بر العميد بما أكد ... فكتب أحلام شهرزاد ،

التى يجد فيها صاحبه علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ... ولكن لهذا الحديث حينه ، نخذ فى حديث القصر المسحور

ولكن ماذا فى القصر المسحور من أقوال صاحب «شهرزاد» التى تؤكد رأيه فى هذه الفتاة التى ظلمها ، وفى أبطالها الذين ظلمهم كما ظلمها ، والتى تؤكد آراءه المريبة فى المرأة خاصة ، وفى الناس بوجه عام ؟ ! إقرأ إذن فى الصحيفة الحادية عشرة بعد المائة هذا الجزء من الحوار مكتوباً بقلمه :

توفيق — دخلنا منطقة الكلام الفارغ الذى لا تحذقه غير المرأة

طه — (صائحاً) : استغفر الله ! أستغفر الله !

شهرزاد — (لطه) دعه ! فإن عداوته للمرأة سوف تكلفه ما لا يطيق .

ثم ارجع إلى هذا الحوار لتسمع توفيقاً يقول : « إنه من فصيلة لا تغرد إلا فوق أطلال نعمة ذاهبة وآثار هناء ضائع ! »

واقرأ بعد هذا فى الصحيفة الثالثة والسبعين بعد المائة :

القاضى — ما أقوالك ؟

شهريار — أقوالى : أن هذا المتهم قد قذفنى بالباطل وافترى علىّ كذباً وزوّر واقعة لم تكن . فلقد جعلنى ديّوثاً ، أدخل على شهرزاد فأجد عندها العبد فلا أقتله ولا أشرب من دمه !

توفيق — (مهتاجا) كنت تريد أن أجعل منك قاتلاً سفاكاً يشرب الدماء ؟ نعم ، لقد أذنبت وأجرمت وأسأت إليك ، إذ لم أجعلك كما كنت تريد مخلوقاً سخيفاً !

ثم اقرأ فى الصحيفة التى تليها هذا الحوار :

قمر — (وقد سأله القاضى عن أقواله) أقوالى يا سيدى القاضى : أن هذا المتهم قذفنى وحط من قدرى ، فلقد جعلنى أقتل نفسى من أجل امرأة ، فى الوقت الذى يخرج فيه العبد من مخدعها وينكشف لى إثمها ودنسها .

وبعد . . . فالكلام الفارغ (فى نظر توفيق) لا تحذقه غير المرأة . . . وعداوة توفيق للمرأة ستكلفه (باعترافه) ما لا يطيق ... وتوفيق لا يحسن التغريد إلا فوق أطلال نعمة ذاهبة وآثار هناء ضائع ... أى أنه رجل مظلم الطبع ذو مزاج سوداوى حالك منقبض متشائم ... ومن هنا عداوته للمرأة وقلة ثقته بها ... ومن هنا تجريحه لتلك الصورة التى افتن فى خلقها لشهرزاد الخالدة الكاتب العبقرى الأول القديم الخالد ... ثم إن توفيقاً يُنطق بنفسه شهرياراً ليشكو مما افترى عليه وزور ، حينما جعله ديوثاً — وابحث أنت فى المعاجم عن معناها لأن الرسالة أطهر من أن تحمل إليك معناها — وتوفيق مصمم على أن يظل شهريار ديوثاً مهما ثار ، فهو يداعبه أمام القاضى بقوله إنه أخطأ إذ لم يجعله قاتلاً سفاكاً ، ولو كان القتل فى سبيل الشرف الرفيع الذى لا يسلم ... حتى يراق على جوانبه الدم ... فى رأى المتنبى ورأى شهريار

قالت فاتنة : فماذا تملأ يديك من مذهب هذا الرجل إن أنت جمعت ما كتب فى « شهرزاد » إلى ما كتب فى « القصر المسحور » ؟ إطمئن ، فإنك تتأبى أن تملأهما بشىء ... وكيف تملؤهما بما يصر عليه من هذا الحِنْث العظيم ، والإصر الذى ليس وراءه إصر ، مما يذيعه فى الناس أنه مذهبه ، وأنه معتقده ، فى شهرزاد التى يرمز بها للمرأة فى كل زمان ومكان . . . ومن هنا هذه المباهاة الطويلة العريضة بأنه عدو المرأة الذى لا يعترف لها بعفاف ، ولا يأبه أن يُذال لها عرض ، لأنها ليس لها عرض ؛ والذى يفترض فيها الأنانية المطلقة لأنها لا تفكر إلا فى خلاصها ولا يعنيها أن تهلك نساء العالمين ما دامت مستطيعة أن تكون بمنجاة من الهلاك ، والتى تخاتل وتخدع وتجعل بيتها مأوى للعبيد الفُتاك الذين لا تشبع منهم ولا تريد أن تشبع منهم ، وتؤثر أن يكون عبدها خسيساً غليظاً خشناً وضيعاً لأن هذه كلها مزايا تضاعف — فى رأى السيد توفيق — من شهوة شهرزاد كما تضاعف من التذاذها .

لمن يكتب هؤلاء الناس ؟ !

وفى أى بلد يكتبون ؟! وما هى حرية الرأى هذه التى يحض عليها عميد الأدب العربى لحماية هذا اللون الوضيع من ألوان الأدب والتى غلا فى الحض عليها والحماسة لها فى الصحيفة الثانية والسبعين والصحيفة السابعة بعد المائتين من القصر المسحور ؟!

هذا كثير . . . هذا كثير جداً مهما احتفظ العميد لمن شاء أن ينقد هذا الضرب من ضروب الأدب أو ذاك . . . وما جدوى النقد بعد أن يتمكن « سل » هذا الأدب من صدور قرائه ؟ ! وإذا كان عميد الأدب العربى قد أحس هذا الخطر ونبه إليه فكيف كان يرى — وأظنه ما زال يرى — أن النقد الأدبي كاف لتزييف هذا اللون المهلك من ألوان الأدب ، الذى إذا قدر له أن ينتشر فى بلد — أتى على أخلاق أهله وعرضه

للانحلال والاضمحلال . نحن هنا لا نقسو على أحد ، فمصر أعز علينا من ألف ألف كاتب، وهى فى عصر الحديد والنار، فى حاجة إلى أخلاق الحديد والنار ، لا إلى الأخلاق المائعة الرخوة التى شاعت قبل الحرب الحاضرة فى أوربا التعسة نتيجة للأدب المائع الرخو الذى سمم به الأدباء المنحطون أخلاق ذويهم فـسمموا به كل شىء ، وقضوا به على كل شىء . ونخشى أن تظن طائفة من القراء أننا نقصد إلى السب أو إلى ما يشبه السب حينما نذكر الأدباء المنحطين – كلا – ليس إلى السب قصـدنا – ولـكنا مخلصون جد مخلصين فى إشفاقنا من أن يشبع الانحطاط فى أدبنا الغض الحديث – والانحطاط مذهب من المذاهب الأدبية التى شاعت فى أوربا بعد الحرب العظمى ، فعصفت بأخلاقها وبدينها ، ونشرت فى ممالـكها روح الرخاة والطراوة والاستهتار . ومن الإملال ضرب الأمثال فما تزال فرنسا بمأساتها الخلقية الدامية تنكأ القلوب لوعة عليها وأسى . وفرنسا هى البلد الذى كان يطلق لحرية الرأى العنان ؛ فـكان أحد الأدباء المنحطين إذا ضاقت به أرض بريطانيا ، ولم تصرح له الحـكومة البريطانية بطبع قصته الرخوة ولا بنشرها فى المملـكة أو فى المستعمرات (أى والله فى المستعمرات !) انطلق إلى فرنسا (بلد الحرية المطلقة) فطبع فيها كتابه ؛ وقد يعيد فيه نظره ثمة فيزيده رخاوة ويشيع فيه من الفاحشة ما يضمن له به الذيوع والانتشار

نحن نشفق إذن من الانحدار إلى مزالق الأدب المنحط لأننا فقراء إلى أدب القوة ، وليس فى الدنيا ، فى الوقت الحاضر ، أمة هى أفقر إلى أدب القوة من هذه الأمة التى ذاعت فيها قصة شهرزاد بأبطالها المنحطين جميعاً . وبهذا العبد الأسود الخسيس الوضيع الذى لا تشبع منه شهرزاد ولا تريد أن تشبع منه .

قالت فاتنة : « وأكاد أزلق بك يا صاحبى إلى الـكلام فى المذاهب الأدبية ، مبعدة عن القصر المسحور . فإذا كان عميد الأدب العربى قد قالها قولة على لسان شهرزاد ، هى ، ليعلمن كيف تـكون الـكتابة عن شهرزاد ... و ... سيجد عندى علم مالم يعلم من أمر شهرزاد ... وقد جاء الوقت الذى بر فيه عميد الأدب العربى بما وعد ، فأصدر قصته البازغة « أحلام شهرزاد » نافح فيها عن ذكاء المرأة وسموها وحسن مقاصدها ، وجيل حدبها على الإنسانية وعملها المتصل على إسعادها ... فإذا كان عميد الأدب العربى قد صنع هذا ... أفيليق أن يتخرص الخراصون ويرجف المرجفون بأنه سرق من الأستاذ توفيق ؟ وماذا – لا درّ درهم – سرق ؟ إن طه لم ينحدر بالمرأة إلى البؤرة التى انحدر بها صاحبه إليها ، بل هو قد ارتفع بها إلى أعلى عليين وهو فى هـذا كان مخلصاً لرأيه فى المرأة حسن العقيدة فى عفافها وسموها ، وأنها مصدر السعادة فى هذه الدنيا ... فهو فى الصحيفة السادسة والستين من القصر المسحور لا يتمنى ملـكا وسلطانا كما كان المتنبي يتمنى ملـكا وسلطانا ، ولا يشتهى كما كان يشتهى ثروة وغنى ، إنما يتمنى لقاء شهرزاد والاستمتاع بجوارها القريب « وأى ملك يشبه الخضوع لها ويعدل الإذعان لأمرها ؟ وأى ثروة تشبه الشعور بأنه قريب منها ليس بينه وبين الغنى الذى يمتع القلب والعقل إلا أن يتجه إليها فيسمع منها ويحسن قربها منه »

وفى الصحيفة الثامنة والستين يقول هذه القولة الشجية : ثم أشار الفجر بأصبعه الوردية التى أربتها أنت يا سيدتى لضرير اليونان منذ ثلاثين قرناً ، فإذا الليل الجاثم ينهزم ، وإذا الشمس تقبل فتبسط الضوء والحياة على كل شىء وفي كل نفس – ولـكنى أظل محروماً ضوء الشمس وحياتها لأنك أنت الشمس والحياة . وفى الصحيفة الثانية والأربعين بعد المائة يقول : ماذا؟ تشكين فى قوتك وتنـكرين سلطانك وذكاءك ، وأنت التى تمنح أمثالنا القوة والسلطان والذكاء ؟ وفى الصحيفة الثالثة بعد المائتين يقول على لسانها أيضاً : لا أقف هذا الموقف لأدافع عن نفسى ، فلست أعرف لأحد الحق فى أن يتهمنى بإثم مهما يكن ، وأنا الحرية كلها ، الحرية التى تشيع النشاط فى العقول ، وتذيع الحياة فى القلوب وتبعث الحرارة فى العواطف والمشاعر والأهواء ...

هذا هو رأى طه فى المرأة ، وهو رأيه فيها من قديم ، وهو رأيه الذى أذاع به فى القصر المسحور كما أذاع به فى أحلام شهرزاد ، وهو ضد ما أذاع به توفيق الحـكيم فى معظم كتبه ، بل فى كل كتبه ، بل فى كل ما كتب ...

قالت فاتنة : اذكر للناس ياصاحبي إذن أن مشروع أحلام شهرزاد مشروع قديم ، وأنه كان وعداً موعوداً فى القصر المسحور ، وأنه قصد به إلى الدفاع عن المرأة والترفع بهـا عما وصمها به توفيق . . . فإذا أرجف المرجفون بأن زيداً سرق من عمرو فماذا يملك المرجفون ما داموا لا أحلام لهم ، وما داموا يخلطون بين الفردوس وبين الجحيم ، وبين الملاك وبين الشيطان الرجيم .

دريني خشبة

شاعر الغزل (*)

للأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ سيد قطب

يبدو أن العقاد — فى هذه الأيام — يهز الشجرة الناضجة هزاً رفيقاً، فتساقط ثمارها فى يسر ورخاء. وإنها لشجرة الجهد الموصول، والاطلاع البصير، والتجربة العميقة، قرابة أربعين عاماً من عمر فنان موهوب، لم يكد يراهق حتى بدأ حياته الأدبية فى جد واحتفال، وحتى كان الاطلاع عمله الأول، والحياة الفنية وجهته الأصيلة.

وهذا مايفسر لنا ذلك الخصب فى إنتاج السنوات الأخيرة، بل السنة الأخيرة وحدها؛ ففيها أخرج «عبقرية عمر» و«شاعر الغزل»، وهو يتهيأ لإخراج كتاب عن «أبى بكر» فى هذه الأيام. فضلاً عن «أعاصير مغرب» ديوانه الفنانى الأخير.

وفى هذه الكتب جيماً — على تفاوت بينها — يبدو أن الثمار الناضجة تساقط بأيسر جهد، وأن الشجرة مهيئة ما تكاد تلمس حتى تعطى الجنى الشهى فى رفق ولين!

ظهر كتاب «عبقرية محمد» فقلت: «هذا كتاب العقاد» ثم ظهر كتاب «عبقرية عمر» فقلت: «لا! بل هذا هو كتاب العقاد!» ثم هأنذا أكاد أعيدها وأنا أقرأ كتابه الصغير «شاعر الغزل» فى الشهر الأخير.

إن هذا الكتيب يستقل بإنشاء مدرسة جديدة فى النقد الأدبى باللغة العربية. مدرسة لها طريقتها ولها قواعدها ولها أدواتها، وكل ذلك فى يسر ووضوح يكادان يغريان كل قارئ بأن يسلك الطريق ويتخذ القواعد والأدوات، ويروح ينشئ فى النقد الأدبى ما أنشأ العقاد!

لقد قلتها مرة: إن العقاد دارس الشخصيات الأول، حين لاحظت أن أفضل مواهبه تنصرف إلى هذا اللون من الإنتاج، وأن ميزته فيما يدرس أن يعطيك «مفتاح الشخصية» التى يتناولها، فتتعرف على الفور «من هو» هذا الإنسان الذى يحدثك عنه، وتتبين سماته وملامحه من بين الملايين أو من بين الألوف الذين ينتمى إليهم ويندمج فيهم؛ كما تستطيع أن تجزم بصحة الأخبار والحوادث والأعمال التى تنسب إليه أو عدم صحتها، ولو لم ترد فى دراسة العقاد له، لأنك أصبحت تعرفه، وتدرك خصائصه، وتلحظ مزاجه؛ وتعلم ما يمكن أن يأتى أو يدع من الأمور؛ شأنك فى هذا شأن الصاحب الذى أطال عشرة صاحبه، فعرف أعمق خوالجه وأدق «لوازمه»!

هذا اللون من الدراسة يستهوينى أكثر من السِّيَر التى تتناول حياة الأشخاص بالسرد، وتجمع حولهم كل المعلومات التى لابست هذه الحياة. ذلك أن اللون الأول يمنحنى حياة آدمية نابضة، واللون الثانى يضع بين يدى معلومات فى حيز من الزمان والمكان. وكلا اللونين ضرورى للتراث الفنى، ولكن أولهما آثر عندى لميزته تلك.

وفى كل ما كتب العقاد عن الشخصيات تتضح هذه الميزة، وإنها لتنضج فى كتب الدراسة الكاملة أمثال: «ابن الرومى» و«سعد زغلول» و«تذكار جيتى» و«هتلر فى الميزان» ثم تبلغ أقصى درجات النضوج فى الكتب الثلاثة الأخيرة التى تقدم الحديث عنها حين يجتمع إلى عمق الدراسة وقوة المنطق، ذلك اليسر العجيب وتلك الحركة السريعة فى التفكير وفى الأداء على السواء.

و «شاعر الغزل» — على صغره — نموذج كامل لهذا اللون الحى من الدراسة الناضجة؛ ففى خلال ثلاث وأربعين ومائة صفحة فقط من قطع الجيب، ينتفض «عمر بن أبى ربيعة» من بين ركام الأجيال، حيًّا نابضاً شاخصاً بسمته وزيه ومزاجه وفنه؛ وينبعث فى حياته على الورق صورة مكتملة لحياته على الأرض؛ حتى ليخيل إليك أنك وشيك أن تلقاه وتصافحه وأن تجلس إليه وتبادله الحديث!

وذلك هو الإبداع! الإبداع الذى يصور «عمر بن أبى ربيعة» فى هذا الحيز الصغير، كما لم يصور قط فى الأدب العربى كله بلا نزاع

***

والعقاد فى عملية البعث والإحياء لا يأتى بحادثة واحدة ليست معروفة فى سيرة هذا الشاعر، ولا بقصيدة أو بيت أو شطرة لم ترو من قبل له، ولا بخبر من أخباره أو أخبار عصره لم يدون فى الكتب المتفرقة؛ ولكنه يصنع من هذه الخامات البسيطة المعروفة مادة أخرى جديدة، ويهيئ منها

(*) الحلقة الثانية من سلسلة «اقرأ»

هيكلاً قائماً للعصر وللبيئة وللشاعر ، ثم ينفخ فى هذا الهيكل من روحه ، فإذا هو خلقة سوية ، تحيا وتتنفس كما كانت تحيا وتتنفس من قبل ، فى هذه الدنيا الفانية !

وإنه ليهمنى هنا أن أبرز هذه الحقيقة ، فنحن فى مستهل نهضة فى البحث العلمي والفني . ولكنني لاحظت على الإنتاج الجامعي الحديث بلا استثناء أنه يتجه إلى السرد والجمع والموازنة ، ولا يتجه مرة إلى الخلق والتكوين والإحياء ، فى تصوير العصور والبيئات والشخصيات ؛ وتلك ظاهرة خطرة ، فإنها تدل على أن عقلية التسجيل والتدوين والجمع هى التى تسيطر على العقلية الجامعية فى مصر . وهذا اللون من البحث ضرورى كما قلت ، ولكنه لا يفى وحده ، ولا بد من اللون الآخر الذى يصور الحياة أو يهب الحياة !

وليس هذا اللون عدواً لذاك ، وإنهما ليجتمعان عند الاقتضاء ، وقد اجتمعا معاً فى كتاب « ابن الرومى . حياته من شعره » للعقاد ، وفى كتاب ذكرى أبى العلاء للدكتور طه حسين على أفضل ما يكون الاجتماع .

إن طبيعة الشخصية التى يقدمها لى المؤلف ولون مزاجها ، وصورة حياتها ، لآثر عندى ألف مرة من جميع الحوادث التى وقعت لها ، ومن جميع المعلومات التى تتصل بها ، وحسبي من الحوادث والمعلومات ، ما يكشف لى عن الطبيعة والمزاج ، وما أتعرف به إلى هذه الشخصية من بين مئات الشخصيات !

***

يتحدث العقاد عن عصر « عمر بن أبى ربيعة » فنحس أن الغزل كان وظيفة ملحة فى هذا العصر تتطلب العضو الذى يقوم بأدائها ، وأنه لم يكن مفر من وجود شاعر غزل يلبى هذه الحاجة ، فكان هذا الشاعر هو عمر بن أبى ربيعة فى هذا الأوان .

كيف أحسسنا بروح العصر هذا الإحساس الواضح الملح ؟ حكاية من هنا ونادرة من هناك ، مما هو معروف مذكور ، ومما يمر به القارئ بين الكتب مرات ، فإذا صورة العصر بارزة واضحة على النحو الذى أراد !

وهنا يقتضينى الإنصاف — وقد ذكرت البحوث الجامعية والعقلية الجامعية بما ذكرت أن أثبت أن للدكتور طه حسين بحثاً قيماً عن طبيعة العصر الذى عاش فيه عمر بن أبى ربيعة وعن نشأة الغزل وأسبابها فى هذا العصر ، وعن تلوين هذا الغزل بالألوان التى اصطبغ بها إذ ذاك ، فى كتاب « حديث الأربعاء »

وفى هذه الفصول التى عقدها الدكتور عن الغزل وعن عمر ابن أبى ربيعة خاصة يلتقى مع الصورة التى رسمها العقاد حيناً ويختلف حيناً ، ولكنه رسم على طريقته صورة مكتملة للعصر وللغزل فيه ، هى إحدى الصور التى نتطلبها فى الدراسات الأدبية الناضجة

ثم نعود إلى « شاعر الغزل » فنرى العقاد ينتهى من صورة العصر ومن وظيفة عمر فيه ، ومن حدود هذه الوظيفة ، وهى التعبير عن طبقة خاصة فى العصر لا عن العصر كله على السواء ، ليبحث عن طبيعة غزله ؛ فهو غزل البدوى المتحضر ، غزل الفطرة التى تخلقها الحياة فى مكة ، وقد فارقتها الحكومة والسلطان ، ولم تفارقها الثروة والسراوة

ثم يدلف إلى الحديث عن طبيعة شعره ، فيفرق فى وضوح ويسر تكاد تلمسهما بين طبيعتين من طبائع شعراء الغزل : طبيعة المحب الذى يتوجه بحبه إلى المرأة الواحدة فى الوقت الواحد ، و « يفرزها » بحبه من بين جميع النساء . وطبيعة اللاهى الذى يتغزل فى الأنثيات ، وينصرف همه إلى المناوشة والمعابثة . ويكون عمر من الفريق الثانى حين يكون عروة وكثير وجميل من الفريق الأول . وهو فصل من أمتع فصول الكتاب

هذا المتاع لا يتضمنه ذلك الفصل لأنه يذكر أن طريقة عمر وإخوانه الغزليين غير طريقة عروة وإخوانه العذريين ، ولكن لأنه يوضح الفارق الإنسانى الحاسم بين طبيعة هؤلاء وطبيعة هؤلاء

« لأن علاقة رجل بامرأة واحدة يبقى على حبها زمناً طويلاً أو يبقى على حبها مدى الحياة هى حادث لا يتكرر كل يوم ، ولا بد فيه من عامل الشخصية التى تفرز المرأة من سائر النساء ، ويصح أن يقال : إن هذه العلاقة « إصابة حب » كسائر الإصابات التى يتعرض لها الإنسان فتطول أو لا تطول ، وتصيبه وهو مستعد لها أو تصيبه على غير استعداد ؛ فإنما المهم فى تميزها أنها إصابة عارضة وحادث من عوارض الأحداث

« أما حب الغزل بالنساء عامة فهو مزاج يلازم صاحبه ملازمة الأمزجة للطبائع ولو لم يتصل بنساء معروفات ، فهو مخلوق على هذا المزاج كما يخلق الإنسان بلون من الألوان أو صفة من الصفات»

. . . .

« فالمدرستان مختلفتان أيما اختلاف فى مقاييس الشعور ومقاييس الأخلاق ، ولا يجمع بينهما إلا تشابه الكلام فى ظاهره

دون التشابه فى الباعث والاتجاه » . . . الخ

وأحب أن يعود القارئ هنا إلى ص ٣٩٢ من الجزء الأول من « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين ، فسيجد فى هذا الموضوع كلاماً آخر تلذ الموازنة بينه وبين هذا الكلام

ونعود إلى « شاعر الغزل » لنقع على نقطة جديدة كل الجدة لم يطرقها – فيما أذكر – طارق فى اللغة العربية لا عن « عمر بن أبى ربيعة » ولا عن سواه . تلك هى النقطة التى يعرض فيها العقاد لبحث عوامل الاتصال بين « عمر » وبين الأنثيات اللواتى كان يناوشهن بالغزل والحديث ، وبين أشباه عمر وبين النساء فى جميع العصور . فهو يقول :

« وربما رشحه للسبق فى هذه الصناعة جانب أنثوى فى طبعه يظهر للقارئ من أبياته الكثيرة التى تنم على ولع بكلمات النساء واستمتاع بروايتها والإبداء والإعادة فيها ، مما لا يستمرئه الرجل الصارم الرجولة . وأدل من ولعه بكلمات النساء على الجانب الأنثوى فى طبعه أنه كان يشبههن فى تدليل نفسه وإظهار التمنع لطالباته . . . (ثم يذكر الأمثال)

« ولعل جانب الأنوثة فيه لا يظهر من شىء كما يظهر من تدليل اسمه بين تلقيب وكناية وتسمية كما يعهد فى أحاديث النساء ؛ فهو تارة أبو الخطاب ، وتارة المغيرى ، وتارة عمر الذى لا يخفى كما لا يخفى القمر ، وأشباه هذه الأنثويات التى يقارب بها المرأة فى المزاج ويسارها فى الحديث »

. . . .

« إنما تأتى خبرة ظرفاء المجالس من تقارب الإحساس بين المرأة وبين هذه الطائفة من اللاهين والمتغزلين ، فهم يحسون كما تحس أو على نحو قريب مما تحس ، وهم يشبهونها بعض الشبه فيصدقون فى الحكاية عنها ، والتحدث بخوالج نفسها . وفرق بعيد بين هذا وبين الرجل الذى يعلم طبع المرأة وهو يخالفها فى طبعها ، ويستجيش ضمائرها ، لأن هذه الضمائر تجاوبه مجاوبة الأنثى للذكر ، فيعرف من مجاوبتها كيف تضطرب نفسها وتتقلب هواجسها وخواطرها . هذا يرى أثر الرجل فى طبع المرأة فيعرفه ، وذاك يعرف ما فى طبعها لأن الطبعين غير مختلفين فى جملة الشعور » . الخ

فهذا كلام جديد ، وكلام قيم ، وكلام يفتح العين والنفس على ملاحظة مفيدة للملامح والسمات فى النفوس الإنسانية الكثيرة التى تصادفنا فى الحياة ، والنفوس الإنسانية الكثيرة التى نلقاها فى صفحات الكتب ، لنجد فى هذه الملاحظة لذة وأنساً وحياة

وأحب مرة أخرى أن يرجع القارئ هنا إلى الجزء الأول من « حديث الأربعاء » ص ٣٩٤ ليجد فى هذا الموضوع كلاماً آخر تلذ الموازنة بينه وبين هذا الكلام

وينتهى هـذا الفصل بحديث عن الصدق الفنى : ما معناه وما حدوده ، فيبين أوضح بيان أنه شىء آخر غير الصدق الخلقى والصدق التاريخى قد يلتقى معهما وقد لا يلتقى . وأنه فى صميمه هو صدق الحكاية عن « المزاج الخاص » الذى لا يتوب عنه صاحبه ولا يملك الانحراف عنه ولو تاب عن دفعاته وملابساته ، ولو انحرف عن حكاية الواقع إلى حكاية الخيال

وفى هذا الفصل يلتقى العقاد والدكتور فى بعض المواضع ، وإن سار كل منهما على طريقته وطبيعته فى النظر إلى الأشياء ، وفى الحديث عن هذه الأشياء

ثم ينشئ فصلاً عن صناعة عمر ابن أبى ربيعة فنعلم منه أن عمر كان إمام مدرسة فى طريقته ، ولكنه لم يكن إماما فى صناعته ؛ فهو يمثل الطريقة أكمل تمثيل ، وإن لم يساعفه حسن الأداء وكمال الأداة « فالأكثر من شعره يبدو عليه الجهد والإعياء فى تقويم البيت والوصول به إلى القافية » وليس هو من فحول الصناعة الذين « ربما كثر الردىء فى أشعارهم وأربى على الجيد فى معظم الأحيان ؛ ولكن الإتيان بالردىء غير الإعياء الذى يكشف مدى الطاقة وينم على الفاقة »

ويمثل هذه النصاعة يمضى إلى نهاية الكتاب ، فيفرق بين القصة وبين الحوار القصصى الذى عرف به عمر ، ويلقى أشعة أخرى على طبيعة الحب وطبيعة المتغزل وعلى الصدق الفنى والصدق الخلقى والتاريخى . ثم يتحدث عن ذوق عمر فى جمال المرأة ، فإذا هذا كله دراسة من أروع الدراسات النفسية فى إطار فنى جميل ، وإذا هى خلاصات من تجارب العقاد وحياته الفنية وذوقه الإنسانى . ثم يعقد فصلاً لنوادر عمر وأخباره ، وفصلاً لمختارات من شعره ، يشترك كلاهما فى تلوين صورة الشاعر وتوضيح سماتها ، وإطلاق الأبخرة المناسبة فى جوها ، حتى تكتمل لها جميع عناصر الحياة !

***

ثورة فى الأخـــلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

[تتمة]

على أنه ما بالكاتب من حاجة إلى الإلحاح فى بيان أن هذا الزهد البالغ الذى يدعو إليه مذهب الغزالى ومن نحا نحوه لا يتفق والدين والعقل ، وأنه من معوقات الأمة عن النهوض . لا يحتاج الكاتب لشىء من هذا ، فإننا شغلنا بالدنيا حتى لا يخطر لنا الزهد فيها على بال ، ولكنا فى حاجة لبيان أن بعضاً من الفضائل التى دعت إليها تلك المذاهب وأكبرت من شأنها لا تعد اليوم من الفضائل فى شىء ، بل بعضها انقلب بسوء الفهم والتطبيق إلى رذائل ، وصار أحجار عثرة فى طريقنا للرقى والنهوض . وحسبى أن أمثل لهذا بصفة القناعة

لقد اتفقنا منذ عصور طويلة على أن القناعة فضيلة ، وقلنا فى بيان مكانتها إن القناعة كنز لا يفنى ، فكانت العاقبة شراً ووبالاً على الشرق ومنه مصر !

قنع الفلاح بغلة ما ورثه من الأرض فلم يغير — إلا قليلاً — من طرق استغلاله لما يملك ، ولم يعمل بجد على تنمية ثروته ، قانعاً بما يرزقه الله من دخل لا يزيد عن معيشته معيشة الكفاف !

وقنع الصانع بأجره اليومى الذى لا يرتفع به فى حياته إلا قليلاً عن مرتبة الحيوان ، فلم نجد من صناعنا إلا خولا وأجراء لأصحاب الأعمال الغربيين الذين وضعوا أيديهم على أكثر موارد ثرواتنا ، والذين استغلوا ما يحيط بنا من صحارى فيها الزيت والحديد والذهب والمعادن الأخرى !

وقنع جمهرة تجارنا بالربح الزهيد الذى يتبلغون به من يوم ومن عام لآخر ، فقل منهم المغامرون أصحاب المتاجر الضخمة الواسعة !

وإذا تجاوزنا الحياة المادية للحياة المعنوية ، وجدنا الحال أمر وأدعى للألم . فقد قنعنا بما ورثنا عن الأسلاف من علم فلم نحاول أن نزيد فيه ، بل لم نعمل على تمحيصه ! وإنما قنعنا بما وصل إلينا من كتب ومؤلفات ، فأقبلنا على دراستها دون أن نجعلها أساساً نبنى عليه ، حتى صار منا ونحن فى القرن الرابع عشر الهجرى من يعيش بعقلية القرون الوسطى ! كما قنع التلاميذ بالفهم السطحي دون العميق ، وبالنجاح فى الامتحان دون العمل للعلم لأنه فى ذاته حسن وجميل وعامل من أقوى العوامل على المعيشة فى عز وكرامة وسعادة ! ولا أظننى مبالغاً فى شىء من هذا الذى أقول ! وإلا فأين ما تخرجه هنا دور الطباعة من المؤلفات فى العلوم التى نقرأها ونتدارسها منذ مئات السنين ؟ لكم تمنيت أن ناراً تنزل من السماء فتاتهم أكثر ما نملك من أسفار قديمة ، على ما فيها من خير كثير ليكون ذهابها حافزاً لنا على الإنتاج فى العلم ، وعلى التخلص من الآثار الوبيلة لما جره علينا اعتقادنا بأن القناعة من الفضائل ! فقد أمات هذا الاعتقاد منا الهمم والعزائم ، وكان عاملاً من عوامل التثبيط والركود ، وسبباً من أسباب وقوف أولياء أمورنا فى السياسة والإدارة والعلم عند حد عدم النزول عن المستوى الموجود الذى يقنعون به ، ويقولون فى أنفسهم حسبنا أن تسير القافلة فيما رسم لها من طريق قبل أن نلى ما ولينا من أمور هذا البلد !

وأخيراً ، لست أدعو بهذه الكلمة إلى أن يكون المرء شرهاً لا يقف عند حد فى رغباته ، فهذا أيضاً رذيلة كالقناعة بالدون سواء بسواء ، إنما أدعو إلى أن نتأسى بالرسول الكريم والصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، فنبذل الجهد فى طلب كل ما يمكن من خير لأنفسنا وأمتنا ، مستغلين فى هذا خير استغلال ما وهبنا من قوى مادية ومعنوية فى سائر نواحى الحياة ، ثم بعد ذلك نقنع بما نصل إليه بعد طرح الكسل وبذل المجهود ، ففى هذا خير الدين والوطن والسعادة الخاصة والعامة . هكذا كان صنيع الصحابة الراشدين حين لم يقنعوا بالعيش آمنين فى جزيرة العرب ، وتمدوها إلى ممالك الروم والفرس ففتحوا منها ما شاء الله ، وعاشوا أعزة سعداء ، ضاربين لمن أتى بعدهم وللعالم أجمع فى هذا أحسن الأمثال . والله يهدى للرشد ، ومنه الخير والتوفيق والسداد

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

أحب أن يقرأ الناس هذا الكتاب للعقاد ، وأن يقرأوا معه « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين ، فسيجدون فيهما طبيعتين وطريقتين : طبيعة التعمق وطبيعة الاستعراض ؛ وطريقة التحليل وطريقة التصوير . وسيرون كلا من هاتين الطبيعتين والطريقتين تلازم صاحبها فى كل ما يكتب ، فهى أصيلة فى خلقهما أصالتهما فى فنهما ، وإن كان لكل منهما وزنه الذى لا يتسع المجال له هنا ، بقدر ما أرجو أن يتسع له فى كتاب !

سيد قطب

معـــركة الآزور

للشاعر الانجليزي ألفريد تنيسون

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

تقديم

في عام ١٥٥٨م توفيت « ماري تيودور » ملكة انجلترا الكاثوليكية التي كانت زوجاً لفيليب الثاني ملك أسبانيا . وتولت بعدها عرش انجلترا أختها من قبل أبيها الملكة اليصابات (وهي ابنة هنري الثامن من زوجته آن بولين) . وكانت اليصابات تعتنق المذهب البروتستانتي في اعتدال ؛ وقد حاولت خلال حكمها إرضاء الكاثوليك والبروتستانت على السواء ، فأثارت بذلك حفيظة أسبانيا وفرنسا وغيرهما من الأقطار الكاثوليكية

وزاد في توتر العلاقة بين انجلترا وأسبانيا عوامل أخرى متعددة : منها رفض الملكة اليصابات التزوج من فيليب الثاني ملك أسبانيا ، وقد عرض عليها ذلك عقب وفاة الملكة ماري ... ومنها ما كان من انحياز انجلترا إلى ثوار الأراضي المنخفضة ضد أسبانيا ، وإيوائها الأغنياء منهم ممن خلصوا إليها عبر القنال بأموالهم وثرواتهم وكل ما تيسر لهم حمله

يضاف إلى ذلك قصة : ماري استيورت ملكة اسكتلندا الكاثوليكية ، تلك التي لاذت بانجلترا عام ١٥٦٨ م عقب ثورة الشعب الاسكتلندي ضدها ، فقضت هناك عشرين عاماً شبه أسيرة ؛ ثم ظهر من دسائسها ضد الملكة اليصابات ، وكانت ماري استيورت وريثتها الشرعية على عرش انجلترا ما استوجب التخلص منها بالإعدام عام ١٥٨٧م ؛ فقد أثار هذا التصرف ثائرة فيليب الثاني وحفزه للعمل . وكانت قوة انجلترا البحرية خلال هذه الحوادث المتلاحقة تنمو في اطراد ، وقد نشط البحارة الإنجليز في جوب البحار بحثاً عن كنوز الذهب والفضة التي سبقهم إلى اكتشافها الأسبان ؛ أو اقتناصاً للسفن الأسبانية العائدة بهذه النفائس من مستعمراتهم في العالم الجديد .

وفي عام ١٥٨٨ م سحق الإنجليز قوة أسبانيا البحرية بتحطيمهم الأرمادا التي حشدها فيليب الثاني لغزو بلادهم ، فرجحت كفتهم في البحار رجحاناً زاد على مدى الأيام ظهوراً

وبعد معركة الأرمادا بثلاثة أعوام حدثت موقعة الآزور (أغسطس ١٥٩١م) التي سجلت للانجليز صفحة خالدة من البطولة في عالم البحار .

فقد صارعت فيها سفينة واحدة صغيرة ، ثلاثاً وخمسين سفينة إسبانية كاملة العُدة والعدد ، في ملحمة استمرت خمس عشرة ساعة لا يعتورها فتور .

وقد أوحى هذا الحادث إلى كتّاب الإنجليز وشعرائهم قديماً وحديثاً ، بما لا تستوعبه المجلدات الضخمة من فائق المنثور ورائع المنظوم .

ومن أشهر مَن كتب في ذلك : السير والتر رالي (١٥٥٢ - ١٦١٨م) ؛ وجيمس أنتوني فرويد (١٨١٨ - ١٨٩٤) ؛ وروبرت لويس ستيفنسون (١٨٥٠ - ١٨٩٤) ، ثم شاعر التاج لورد آلفرد تنيسون (١٨٠٩ - ١٨٩٢) ونحن نترجم هنا قصيدة هذا الأخير التي نظمها بعنوان (The Revenge : الانتقام) - وهو اسم السفينة التي أبلت هذا البلاء - مجتزئين بتفاصيل القصيدة الرائعة عن الإفاضة في هذه المقدمة أكثر مما أفضنا ؛ معتمدين - في إيضاح بعض الحقائق فقط - على ما أورده الكتّاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم ، ولا سيما أولهم : والتر رالي ، فهو من معاصري السير ريتشارد جرانفيل بطل المعركة ، بل هو أحد مواطنيه من إقليم ديفون ، وذوي قرابته الأدنين . . .

ترجمة القصيدة

كان السير رتشارد جرانفل مرفئاً بسفينته إلى جُدّة[1] من جدد شاطئ الفلورز إحدى جزر الخالدات[2] ، عندما أقبل زورق ذو مجاديف يهوي من بعيد كأنه الطائر يزف بجناحيه . وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية الأسبانية تمخر العباب ... لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين !

(١) الجدة والجد ، بالضم : الموضع الذي ترفأ فيه السفن

(٢) Azores Islands مجموعة جزر في المحيط الاطلنطي عند ملتقى خطي ٣٩ شمالا و ٢٧ غرباً . استكشفها البرتغاليون عام ١٤٤٧ م

فهتف لورد توماس هُوَارد قائلاً :

ليشهد الله أنى لست بالجبان ، ولكننى لا أستطيع أن ألقاهم على هـذه الحال ، فأسطولى على غير أهبة ، ونصف رجالى قد نهكتهم العلل . حقيقٌ بى أن أعرِّد عن لقائهم ولكن لأقتفى آثارهم فى أقرب حين ... إن لدينا ستا من السفن المقاتلة ، فهل نستطيع أن نناجز بها ثلاثاً وخمسين ؟[1]

عندئذ تكلم سير رتشارد جرانفيل قائلاً : أعرف أنك لست بالضَّرَع ولا الجبان ، وأنك لا تنحاز عنهم لحظة إلا لتعود إليهم من قريب ، فتزلزل أقدامهم وتطيش سهامهم . أما أنا فلدى تسعون مريضاً ونيفاً قد استلقوا على الشاطئ القريب يعالجون غصة الداء ؛ وسأعد نفسى الجبانَ ، ياسيدى لورد هوارد ، إذا أنا تخليت عنهم لهذه الطغمة من أوغاد محاكم التفتيش ، وشياطين أسبانيا المتمردين ...

... وهكذا انسحب لورد هوارد بخمس من السفن الحربية فى ذلك اليوم ، وانطلق موغلاً فى اليم حتى ذاب كما تذوب السحابة فى صفحة الأفق الغارق فى الصمت ، المتشح بالدفء والسكون . أما سير رتشارد فقد حمل من الشاطئ رجالَ سفينته الأعِلاء ، من مواطنيه أبناء بدفورد فى إقليم ديفون . وأضجعهم برفق تام وعناية بالغة فوق الهواجل[2] من قاع السفين ، فراحوا يدعون له ويباركونه فى ساعات آلامهم الممضة على أن انتاشَهُم من هذه المحنة ، فلم يتركهم فريسة للأسبان يمثلون بهم أشنعَ التمثيل ، ويسومونهم بمعدات نكالهم سوء العذاب

***

كان لديه مائة من البحارة لا أكثر ، عليهم أن يضطلعوا بإدارة السفينة وتدبير القتال معاً ؛ فأقلع مبتعداً عن الفلورز حتى أصبح على مرمى البصر من الأسبان الذين اعترضوا مهب الريح إلى سفينتنا بقصورهم العوائم الفخمة وجواريهم المنشئات كالأعلام . وارتفع صوت منا يقول :

ألا أخبرنا يا سير رتشارد ، أنكرُّ أم نفِرّ ؟ ... إن اشتبا كنا فى هـذا القتال لا يعنى غير الهلاك ؛ وما نحسب أنْ سيكون منا فى عداد الأحياء إلا القليل عند ما تجنح شمس هذا النهار إلى مغربها .

وتحدث سير رتشارد مرة أخرى فقال : نحن جميعاً من أبناء انجلترا الأنجاد وفتيانها المصاليت ؛ فدعونا نسدد الطعن وَخضاً إلى هذه الكلاب (الإشبيلية) الخوامى ، أبناء الأبالسة ونسل الشياطين . . .

لا جرم أنى حتى اليوم لم أولِّ الأدبار أمام أحد اثنين : دُونٍ Don أو شيطان !

نطق السير رتشارد بهذا ثم افتر فمه عن ابتسامة ساخرة . وانفجرنا جميعاً نهتف فى صوت مدوٍّ : مرحى ، مرحى ! ... وهكذا صمدت « الانتقام » صمْدَ عدوها دون محاشاة ، وعلى ظهرها مائة مقاتل ، وفى جوفها تسعون مريضاً قد أداءتهم العلل وبرَّحت بهم الأسقام .

وانشعب الأسطول الأسبانى حول « الانتقام » شطرين راحا يكتنفانها عن يمين وشمال ، بينا اندفعت هى فى الشقة الضيقة من الماء بينهما لا تلوى على شىء . وشهدنا ألوفاً من جنودهم قد أوفوا علينا من ظهور سفائنهم وهم يضحكون ، وألوفاً آخرين من بحارتهم يسخرون من المركب الصغير الذى ركب فيما زعموا متن الغَرر ، وأقحم نفسه بلقائهم المتالف . وراحت « الانتقام » تندفع وتندفع ، وتوغل فى تقدمها وتوغل ، حتى بجدت فى موضعها ما تريم ؛ وقد سدت عليها السبيل خليَّتهم الضخمة (سان فيليب) تلك الناهضة كالطود الشامخ ، والحاملة جُمَّاء ألف من الأطنان وخمسمائة . فقد أوفت علينا بهيكلها الرائع من علٍ مصوِّبةً نحونا صفوفاً من المدافع فاغرات الأفواه ، وصرفت وجه الريح عن أشرعتنا فوقفنا مُبلسين[2] .

(البقية فى العدد القادم) محمود عزت عرفة

---

(١) لورد توماس هوارد هو قائد الأسطول الأعلى على عهد الملكة اليصابات وقد كان لديه — ءا ماذكر — ست سفن أخرى صغيرة للتموين ، وزورقان أو ثلاثة من زوارق الاستكشاف الخفيفة ، يقود أحدها الكابتن مدلتون ، وهو الذى جاء منذراً باقتراب العمارة الأسبانية

(٢) الهوجل : الحجر يثقل به الزورق أو المركب

(١) كانت سان فيليب من عظام السفن ، تحمل ثلاثة صفوف من المدافع الجانبية يتألف كل منها من إحدى عشرة قطعة . وفى مقدمها ثمانية مدافع فضلا عن مدافع المؤخرة .

من شجو الربيع

أغاني غرام

[إلى ......]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أنينُ الليلِ يُشجيني   وَنوحُ الريحِ يُبكيني
هُناكَ صدًى يُناديني   ورُوحٌ رفَّ يدعُوني
أأنتِ هُنا ...؟ أجيبيني !

جمالُكِ ذلكَ الفاتِكْ   إلهٌ شعَّ من ذاتِكْ
خُذيني بينَ راحاتِكْ   وطيري في سماواتِكْ
وأفنيني ، وأحييني !

وسِحرُكِ يسرقُ الآجالْ   ولو يسكنْ طيفَ خيالْ
شربتُ بكأسِهِ القتّالْ   شقاءَ العمرِ والأهوالْ
وأوهامَ المجانينِ !

عبدتُكِ فتنةً كُبرى   عشِقتُكِ كرمةً سَكرى
رأيتُكِ هالةً حَيرى   سمِعتُكِ نغمةً حرّى
تهيجُ دمي ، وتكويني !

سَعيرُ دمي بِكفّيكِ   تضرّعَ والهاً يبكي
وجاءَ لنورِ عينيكِ   يُذيبُ مرارةَ الشكِّ
أذيبيها ... أذيبيني !

أنا الأشواقُ في جسدكْ   أنا النيرانُ في كبدِكْ
أنا الماضي حريقُ يدِكْ .   أنا الآتي رحيقُ غدِكْ
وجودُكِ سِرُّ تكويني ..

دعي أيّامَنا تجري   بما تهوى من الأمرِ
فإنّ الدهرَ لا يدري   غرامَ النارِ بالجمرِ
فكيفَ بما تُذيقيني ؟!

دعيني طيرَ جنّاتِكْ   أُسبّحُ في خيالاتِكْ
وأسبحُ في صباباتِكْ   هوًى يجري بآهاتِكْ
ويُغني في الرياحينِ !

على شفتيكِ أنهارْ   مُحرّمةٌ ، وأثمارْ
وفي عينيكِ أسرارْ   وإبريقٌ ، وخمّارْ
فما لكِ لا ترَوّيني ؟!

لمن إلّا لِقيثاركْ   توسوسُ موجُ أنهارِكْ ؟
أنا الظامي لأنوارِكْ   أنا الباكي لأزهارِكْ
فليتَ شذاكِ يطويني !

عشِقتُكِ...والهوى غلّابْ   نشيداً في دمي ينسابْ
فصوتُكِ كانَ همسَ ربابْ   وكانَ حفيفَ خمرٍ ذابْ
على كبدي ليُشجيني !

وكنتِ كزنبقِ الأسحارْ   شذاهُ يُحيّرُ الأسرارْ
إذا ناشدتُكِ الأشعارْ   ضللتُ ، وضلّتِ الأوتارْ
بأيِّ صدًى تناجيني !

وكنتِ كآيةٍ عُليا   شُغلتُ بها عنِ الدنيا
نُطِلُّ بنورِها وحياً   وتنشرُ سحرَها رؤيا
عنِ الأهوالِ تُلهيني !

وكنتِ صلاةَ أحزاني   وكنتِ متابَ عصياني
وكنتِ ربيعَ أكواني   إذا ما الدهرُ أظماني
يُعانِدُهُ ، ويسقيني !

وكنتِ الشجوَ والأحلامْ   وكنتِ الدمعَ والأسقامْ
وكنتِ متاهةَ الأوهامْ   وكنتِ مضلّةَ الأيامْ
تحيّرُني وتهديني !

وكنتِ الخمرَ والأقداحْ   وكنتِ الليلَ والإصباحْ
وكنتِ الصمتَ والإفصاحْ   وكنتِ على يدَيَّ جراحْ
أقلّبُها فتُدميني !



إلى الأستاذ سيد قطب

لست أدرى يا أخى كيف قرأت شهرزاد وكيف فهمتها ؟ ألم تقف قليلاً عند المنظر الخامس من تلك المسرحية الفاجرة ؟ أكبر الظن أنك نسيت هـذا المنظر فارجع إليه لتغير رأيك ، ولتعذرنى فيما أوردت من الألفاظ التى تحرجت من إيرادها فى صلب المقال نفسه الذى جعلت أنت مادته من تلك الألفاظ .

يا أخى :

لقد خجلت الرسالة من إثبات ما نقلته من هذا المنظر فحذفته من مقالى وإن تكن قد أوردت منه القليل الذى يغنى عن الكثير ، فلماذا فعلت ذلك ؟

يا أخى :

هل تذكر « بالضبط » متى أطلق الأستاذ الحكيم على نفسه لقبه الخالد « عدو المرأة » ؟ وهل تذكر لماذا راح الأستاذ يباهى بهذا اللقب ؟

يا أخى :

متى نصبت من نفسك مرشداً عاما للناقدين فتبصرهم بآداب هذا الفن ؟ ومن ألقى فى روعك أنك إمام هذه الصناعة فى العصر الحاضر ؟ وكيف تظلم رجلاً أن يقول إن شهرزاد الأستاذ الحكيم خطر أخلاقى يجب أن يحارب بأقذع مما قلت فيها ؟ هل نسيت بهذه السرعة نضالك الرائع عن أدب القوة ممثلاً فى شخص الأستاذ العقاد ؟

يا أخى :

إن ما أوردت من أننى حديث العهد بالعمل تحت رئاسة المستشار الفنى وأنك قديم العهد به هو صغار لم أكن أوثر لك الانزلاق إليه أو الوقوع فيه ، لأن جميع القراء فهموا ما أردت أن تكسر عليه قصدك ، وتلوى به كلامك ... على أن قدم عهدك هـذا لم ينفعك فى ذاك الموقف الذى أدميت فيه كرامة كان الأولى أن تصان ، ألا فلتعلم إذن أننا تلاميذ الأستاذ وحواريوه منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ... وأننا كنا نقف من حوله صفاً فى زمن الأزمات التى كانت الجن تشفق من مظاهرته فيها فكنا نشرع للذود عنه أقلام الملائكة فى أوجه الطغاة . ولولا أن شيئاً مما كتبناه فى ذلك لا يصح أن ينشر اليوم ، لأن الفتنة نامت، والقلوب صاحت . لأذعته عليك .. ولكنه هنا ... تحت يدك ... فإن شئت أطلعتك عليه ... على أن رأيك فى الأستاذ طه رأى فج فطير ، وأنا أعرف به منك . وأنا ما كتبت الذى كتبت إلا وأنا عالم بأني مستثير سخطه ، بل منته إلى تبرمه . على أنه سواء عندى أسخط أم رضى ، فقد أصبحت قضية اليوم قضية الأخلاق وقضية الأدب فى وقت معاً . ولما كنت لا أحسن التسلق على أكتاف الأبطال كما

وَكنتِ الْمَوْجَ وَالشُّطآنْ وَكنتِ الْجُرْحَ وَالسُّلْوَانْ

وَكنتِ النَّاىَ وَالأَلْحَانْ وَكنتِ الذِّكْرَ وَالنِّسْيَانْ

عَلَيْكِ الدَّهْرُ يَطْوِينِى !

وَكنتِ شُجُونَ أَيَّامِى وَكنتِ جُنُونَ أَحْلَامِى

وَكنتِ غَدِيرَ إِلْهَامِى وَكنتِ هَدِيرَ أَنْغَامِى

يُفَجِّرُنِى وَيُبْلِينِى !

وَكنتِ عَيَاهِبَ الآفَاقْ وَكنتِ تَوَهُّجَ الأَعْمَاقْ

وَكنتِ تَمَرُّدَ الأَشْوَاقْ وَكنتِ تَحَيُّرَ الأَحْدَاقْ

أَدُورُ بِهَا فَتَغْوِينِى !

وَكنتِ ضُحًى وَإِشْرَاقَا وَكنتِ هَوًى وَأَشْوَاقَا

وَكنتِ سَنًا وَإِبْرَاقَا وَكنتِ مُنًى وَآفَاقَا

بِنَارِ هَوَاكِ تُغْرِينِى !

وَكنتِ وَكنتُ...ظِلَّيْنِ نُرَفْرِفُ فى خَمِيلَيْنِ

نَعِيشُ بِقَلْبِ طِفْلَيْنِ عَلَى الدُّنْيَا غَرِيرَيْنِ

كَأَطْيَارِ الْبَسَاتِينِ ...

وَدَارَتْ بِالْهَوَى الأَحْلَامْ فَعَادَ صِبَاهُ نَعْشَ غَرَامْ

وَعُدْتُ أَنُوحُ بِالأَنْغَامْ كَأَنِّى مِنْ يَدِ الأَيَّامْ

طُعِنْتُ بِحَدِّ سِكِّينِ ! !

تعود أناس آخرون . فسيان عندي إن عملت تحت رئاسة المستشار الفني، أو تحت رئاسة أحد نظار المدارس الأميرية كسابق عهدي . وإن لي لقلماً وإن لي لآثاراً تغنيني عن التشبث بهذه المظاهر الجوفاء، ورغم أنف من رغم

دريني خشبة

تأييد الإسكندر من السماء عند اليهود

اختلف المؤرخون في ديانة الإسكندر اختلافاً كبيراً ، وعندي أن أسوأ تقدير في ديانته لا يمنع أن يكون هو ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم ، لأنه بقطع النظر عن ديانته كان فاتحاً عظيماً ، وقد ابتدأ به التاريخ عهداً جديداً في سير الفاتحين ، فلم تكن فتوحه كفتوح الملوك قبله ، إذ كانوا جميعاً يدمرون البلاد ، ويهلكون الأمم (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أما الإسكندر فكان كلما فتح مملكة أسس فيها وجدد ، وبنى وشيد ، وأوجد وسائل العمران ، وأحيا قلوب أهالي البلدان . وكان يرى بفتوحه إلى غرض عظيم ، وهو أن يجعل من شعوب الأرض أمة واحدة لا فرق فيها بين شعب وشعب ، وقد ألف بهذا بين الشعوب الأوربية والأسيوية ومزج بعضها ببعض ، فتعرف كل فريق روح الآخر في العلم والحكمة والعادات والأخلاق ، ونشأ من ذلك حضارة جديدة أرقى من الحضارات التي سبقتها ، ومثل هذا يستحق التنويه بقطع النظر عن ديانة صاحبه ، ولا شيء في أن ينوه القرآن الكريم به

ومن المهم هنا أن نبين رأي اليهود الذين سألوا عن ذي القرنين في ديانة الإسكندر ، فقد ذكروا أنه لما قصد أورشليم لفتحها سار في بعض الطرق فرأى رجلاً بهياً لابساً ثياباً بيضاً ، وبيده سيف مثل البرق اللامع ، وهو يشير به إليه كأنه يريد قتله ، ففزع منه وعلم أنه ملاك مرسل من الله تعالى ، فسقط على وجهه وسجد ، وقال : يا سيدي لماذا تقتل عبدك ؟ فقال : لأنك تريد أن تمضي إلى القدس لتهلك كهنة الله وأمته ، وأنا الملاك الذي أرسلني الله لنصرتك على الملوك والأمم . فقال الإسكندر : يا سيدي ، إغفر لعبدك فقد أخطأت ، وإن كنت لا تشاء أن أسير في طريقي فإني أعود إلى بلادي . فقال له : أما وقد استغفرت عن مأثمك فلا ترجع ، وإذا وصلت إلى أورشليم ورأيت رجلاً على صورتي ، فانزل عن فرسك واسجد له ، واقبل جميع ما يأمرك به . فمضى الإسكندر في طريقه إلى أورشليم ، ولما وصل إليها قابله كاهنها على صورة ذلك الملاك ، فنزل الإسكندر عن فرسه وسجد له وسلم عليه وعظمه ؛ وحمل إلى بيت الله مالاً كثيراً ، ثم سأل الكاهن أن يتوسل إلى الله فيما عزم عليه من محاربة داريوس ملك الفرس ، فقال له : أيها الملك ، إمض في طريقك فإن الله معك ، وهو يظفرك بداريوس ومملكته . وقد سار الإسكندر بعد ذلك في فتوحه إلى أن ملك أقاليم الدنيا السبعة (تاريخ يوسيفوس ص ٢٦ — ٣٨)

فالإسكندر عند اليهود كان ملكاً يشبه أن يكون نبياً ، وقد جاب الدنيا غرباً وشرقاً حتى ملك أقاليمها السبعة ، ولا شك أن هذا يتفق كل الاتفاق مع الشخص الذي ذكره اليهود في سؤالهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويتفق كل الاتفاق مع ما جاء عن ذي القرنين في القرآن الكريم ، وهكذا نجد الاتفاق بينهما قريباً على أي وجه فرضناه ، ولست أرى بعد ذلك وجهاً لإعادة الكلام فيه

عبد المتعال الصعيدي

حول ذكرى السيد جمال الدين

أشكر للأستاذ محمود أبو رية ما نوه عني في بريد « الرسالة » بيد أني لا أتفق معه فيما ذهب إليه وسماه رعاية لحرمة الأمانة العلمية . ذلك لأني لست من تلامذة الفيلسوف « جمال الدين » — وليتني كنت منهم — وإنما حز في نفسي أن ينسى الشرقيون عباقرتهم في سرعة مخزية ، فذكرتهم علهم يذكرون ، وعرضت عليهم صورة قبست خطوطها مما قال عنه معاصروه ، ونسيت — وهذا يؤسف حقاً — أن أذكر المرجع الذي عنه أخذت

محمود شابي

رواية الأصمعي وحماد لشعر زهير

قرأت في العدد ٢٢٢ من « الثقافة » كلمة للأستاذ الفاضل « قاف » تحت عنوان : الأدب المنحول ؛ أورد خلالها قصة فحواها أن الرشيد سأل حماداً الراوية عن المقصود من قول زهير « دعْ ذا وعدِّ القول في هرم »

فاصطنع حماد « بيتين » نسبهما إلى زهير ، وزعم أنهما أول قصيدته وأنهما المشار إليهما بقوله : دع ذا ... الخ

ثم أعاد الرشيد السؤال على الأصمعي للتثبت من صحة قول حماد فأجاب : بل هذا أول مقالة زهير ، ولعله كان مشتغلاً بأمر في نفسه أو مع غيره حين بدا له أن ينشيء في مدح هرم ؛ فكان أن قال « مبتدئاً غير منقطع مما كان فيه » : دع ذا وعد المدح في هرم . إلى آخر ما قال

ونحن نسجل هنا أن الرواية بهذا الوضع دليل على غفلة حماد والأصمعي ، وقلة تثبتهما من قصيدة زهير ، إذ البيت المذكور وهو بتمامه :

دع ذا وعد المدحَ في هرِمٍ خير البُداة وسيدِ الحضْر

يقع الرابع من قصيدة رائية لزهير يقول في مطلعها :

لمن الديار بُقنةِ الحجر أقوينَ من حججٍ ومن شهْرِ؟

وهذه رواية الأعلم الشنتمريّ (٤١٠هـ — ٤٧٦هـ) وهو أشهر من جمع ديوان زهير وقام على شرحه

على أنه إن صحت إجابة الأصمعي كان معنى ذلك أن الأبيات الثلاثة الأولى ـ لا بيتين فقط ـ من نظم حماد الراوية دون زهير

ونحن لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأي ، لما نلحظه من شدة التواؤم بين الأبيات جميعاً ؛ ثم لأن القصة نفسها تشير إلى أن حماداً جُوبه بمقالة الأصمعي فأقر بزلته واعتذر ، وأذيع أمر ما كان منه في مربد البصرة ، فلم يبق إذن مجال لرواج كذبته ونفاق أبياته المصطنعة على رواة شعر زهير وشارحي ديوانه ممن جاءوا بعد ذلك .

(جرجا) محمود عزت عرفة

انصفوا المعلم الإلزامي

الأسـتاذ الجامي مسئول عن كل ما يقول لأنه موضع الالتفات في كل ما يقول . ومن ثم فلا بد لنا من الرد على قولة محمد الله على أنها لم تك مدعمة بالأسانيد ولم تك صادرة عمن لابس التعليم الإلزامي وسبر أغواره ...

فلقد راعنا حقاً أن يقوم في محاضرة عامة الأستاذ توفيق الطويل مدرس الفلسفة بجامعة فاروق فيطلق حكما غريباً جريئاً على التعليم الالزامي إذ يقول : « إن التعليم الإلزامي يجب أن يلغى فما له من نفع ولا فائدة ... » لا . لا يا سيدي الأستاذ فما بمثل هذه الأحكام المرسلة تعالج مشكلة التعليم الإلزامي

ولقد والله شهدت للتعليم الإلزامي تلك الأزاهير اليانعة من أطفال النيل التي فتحتها يد السحر من التعليم الإلزامي فانتقلت من الظلام إلى النور ، فما من طفل في الريف إلا وهو يقرأ أو يكتب . . . وما نريد ممن يقيده الفقر عن إتمام أقل مراحل التعليم سوى أن يحسن القراءة والكتابة حتى يخلص من مشاكل الجهل بهما

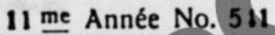
وثمة ناحية أخرى يا سيدي وهي أن للمعلم الإلزامي فضلاً آخر يتمثل في صورة القدوة الحسنة في روعة النظافة ودقة النظام . وإننا لنحمد الله على أن أكابر كتابنا الاجتماعيين وخاصة في «الرسالة» التفتوا إلى فضل المعلم الإلزامي ؛ فقد كتب الأستاذ الكبير الزيات مقالاً صادقاً جعل فيه المعلم الالزامي « جندياً مجهولاً » كما شهر الأستاذ الفاضل العقاد قلمه مدافعاً عنه

وبعد فما نظن أن هناك من ينكر فضل هذا الجندي المجهول ممن يقيمون الأحكام على أسس من الاختبار والاستقراء .

حسين محمود البشبيشي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





11 me Année No. 511

Lundi - 19 - 4 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

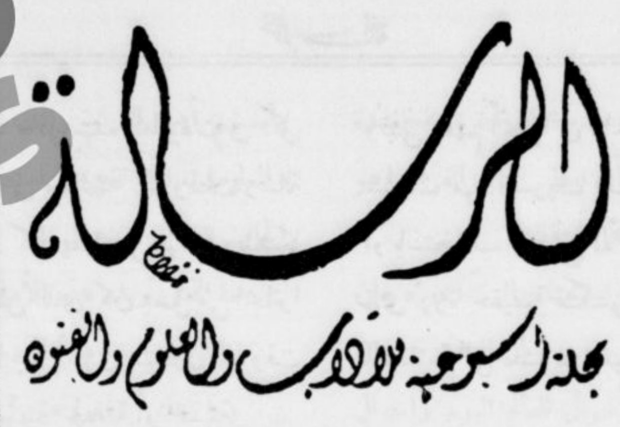
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

العـدد ٥١١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٩ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

القراءة في زمن الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

هل للاقبال على القراءة في زمن الحرب أسباب حقيقية ؟ وإن كانت لها أسباب حقيقية فما هي ؟ وكيف يستفاد من هذا الإقبال خير فائدة ؟

تلك بعض الأسئلة التي استخلصتها من خطاب مطول في هذا الموضوع ، وأحسبه من أحق الموضوعات بالدراسة في الوقت الحاضر ، لأنه موضوع القراءة الذي تنطوى فيه سائر الدراسات

فأما أن الإقبال على القراءة له أسباب حقيقية فذلك ما ليس فيه شك ولا يحتاج إلى بينة

إذ كل شيء حاصل فله لا محالة أسبابه الحقيقية ، وإلا لم يحصل ولم يكن له وجود ، وإنما يجوز الخلاف في دوام هذه الأسباب وزوالها ، أو في قوتها وضعفها ، أو في خلوصها وما قد يشوبها من العوارض الغريبة عنها

فأما أنها حقيقية فذلك أمر لا محل فيه لخلاف

والأسباب التي تدعو إلى الإقبال على القراءة في هذه الفترة كثيرة لا تنحصر في ناحية واحدة ، وقد تنحصر في جملة الأسباب التالية

فمنها أن البريد الأوربي لا يحمل إلى مصر كل ما كان يحمله إليها من الكتب والصحف والمجلات من معظم البلدان

فقد كان يرد إلى مصر بريد حافل بهذه المطبوعات فى كل أسبوع ، وكان له قراء مثابرون على مطالعته كلما وصلت رسالة من رسالاته . فانقطع بعض الذى كان يصل من فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا ، وقل وصول بعض الذى كان يصل من انجلترا وأمريكا ، وتحول قراؤه إلى مراجع أخرى يشغلون بها وقت القراءة ، ومعظمها من المراجع العربية الحديثة أو القديمة

ومن تلك الأسباب أن الصحف اليومية كانت منها صحف تصدر فى أربع وعشرين صفحة أو عشرين ، وصحف تصدر فى ست عشرة صفحة ولا تقل عنها ، وكانت إلى جانبها صحف أسبوعية تصدر فى أربعين صفحة وتزيد عليها فى بعض الأسابيع

فنقص كل ذلك نقصاناً بيناً بغير تدرج طويل ، وأصبح الحد الأقصى للصحيفة اليومية فى أكثر الأيام أربع صفحات ، وعم النقص سائر الصحف والمجلات فأوشكت أن تصدر فى ثلث عدد صفحاتها قبل الحرب الحاضرة

وكل هذا النقص تقابله زيادة فى وقت القراءة عند من تعودوا مطالعة الصحف والمجلات فى حجمها الأول ، ولا بد لهذا الوقت من شاغل يناسبه ويجرى فى مجراه

وإلى جانب النقص في الصفحات ألف الناس الأخبار التى لا يعرض لها كثير من التنويع والمفاجأة ، وندرت المناقشات السياسية التى يشتد فيها الجذب والدفع والتأييد والتفنيد ، وينشط القراء إلى متابعتها بحماسة التشيع تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ، فأصاب القراء شىء من الفتور إلى جانب النقص فى المادة المقروءة لو أنهم نشطوا إليها .

* * *

ومع هذا كله كثر الوقت الذى يتسع للقراءة لانصراف الناس عن السهر فى خارج البيوت ، إما لتقييد الإضاءة أو لقلة الجديد فى دور الصور المتحركة ودور التمثيل

ومع هذا وذاك كثرت النقود بين الأيدى وتيسر شراء الكتب بالأثمان التى أوجبها غلاء الورق وغلاء تكاليف الطباعة ، وقال الخبراء بشئون الاقتصاد إن كثرة النقود فى الآونة الحاضرة دليل على رخاء صحيح وليست من عوارض التضخم التى تنشأ أحياناً من شيوع العملة الورقية ؛ إذ الناس يبيعون محصولاتهم وتبقى معهم أثمانها فى داخل البلاد ، خلافاً لما كان يحدث قبل سنوات من تصريف هذه الأثمان إلى خارج القطر بالسفر أو باستجلاب البضائع الأجنبية . فهذه الأثمان المحفوظة فى البلاد وهى ثروة حقيقية مكسوبة من موارد حقيقية وليست بالثروة المصطنعة التى تنشأ من شيوع الورق النقدى بغير مقابل معروف

* * *

وخلاصة ما تقدم أن الإقبال على قراءة الكتب العربية يرجع إلى تحول بعض القراء من مادة إلى مادة ، وإلى اتساع وقت القراءة ، وإلى تيسر الشراء ، ويدوم ما دامت هذه الأسباب

فإذا ضعفت طاقة الشراء ، أو ضاق وقت القراءة ، أو توافرت المادة الأولى التى كانت متوافرة قبل سنوات ، فقد يتغير هذا الإقبال ، وقد تثوب الحال إلى ما كانت عليه من قبل ، أو تتمخض عن حال جديد لم نعهده حتى الآن

هذا الحال الجديد الذى لم نعهده حتى الآن قد يأتى من ناحية واحدة معلقة على تيسر الورق وتيسر الطباعة

فإذا تيسر الورق وتيسرت الطباعة بقية أيام الحرب ثبتت فى البلاد العربية عادة يصعب تغييرها ، وإن عاد البريد الأوربى إلى نظامه السابق وعادت الصحف اليومية والأسبوعية إلى نطاقها الأول :

تلك عادة القراءة فى الكتب وحسبانها فى حاجات الحياة العصرية ومطالب المجتمع المهذب ، فإنها عادة قد تتأصل فى مصر كما تأصلت فى البلدان الأوربية على كثرة الصحف فيها واتساع صفحاتها وتنوع موضوعاتها

وتزيد هذه العادة تمكيناً أن يتيسر ورق الطباعة من مصانع وطنية توالى مصر وبلاد الشرق القريب بما هى فى حاجة إليه ؛ فإن رخص الورق يغرى بطبع الكتب الرخيصة التى تقبل عليها جميع الطبقات ، ولا سيما إذا اجتمع لها إغراء الرخص وإغراء الموضوعات

* * *

أما الاستفادة من الإقبال على القراءة فى زمن الحرب خير فائدة مستطاعة فذلك موقوف على معنى الفائدة التى نرمى إليها

فإن كانت فائدة الربح فسبيلها أن تمطى « جمهور القراء »

ما يشتهيه من الموضوعات التي يحسبها جديرة بالقراءة قمينة بالفائدة

وإن كانت فائدة الثقافة فسبيلها أن تعطى جمهور القراء ماهو في الواقع محتاج إلى علمه ، وإن لم يخطر له ذلك

ومما لا شك فيه أن جمهور القراء يحتاج إلى كثير ، وإن كثيراً مما يقرأه لا حاجة به ولا غناء فيه ، وإن الوقت قد حان لتزويده بما يحتاج إلى عرفانه من أحوال العالم اليوم وأحوال العالم بعد نهاية الحرب ، إلى زمن طويل

فبين الموضوعات التي كانت مهملة أكبر إهمال يعاب على أبناء الحضارة في العصر الحاضر ، موضوع المشاكل الاجتماعية والسياسية في قارة أوربا ، وفي البلاد الغربية على الإجمال

فقلَّ جداً في مصر وبلاد الشرق القريب من كان يتابع هذا الموضوع ويعرف ما ينبغي عرفانه من أطوار الفكر وصراع الدخائل الاجتماعية في كل أمة من الأمم وارتباط ذلك جميعه بمقاصد الحكومات ومقاصد الزعماء الذين يقبضون على أعنة تلك الحكومات أو على أعنة الهيئات السياسية

فكم من المصريين المثقفين — ولا نقول الجهلاء — كان يعرف ما ينبغي أن يعرف عن مسألة « التقسيم الجديد » في الولايات المتحدة ؟

وكم منهم كان يعلم حقيقة العناصر التي أيدت هتلر في ميدان السياسة الألمانية ؟ أو حقيقة العناصر التي أيدت فرانكو في ميدان السياسة الإسبانية ؟ أو حقيقة الخلاف بين ستالين وتروتسكي وما يتصل به من خطط روسيا وعلاقاتها بالشرقين الأقصى والأدنى ؟

كم منهم كان يعلم ما وراء البضائع اليابانية المنشورة في أسواقنا من حبائل الاستعمار ومطامع الاستغلال ؟

كم منهم كان يعرف زعماء الأمم على ما فطروا عليه فيعرف ما يصنعونه وما يريدونه وما ليس خليقاً أن يصنعوه أو يريدوه ؟

إن الذين عرفوا ذلك لجد قليلين

وإن الذي أصابنا من جهل ذلك لجد عظيم

لأننا أُخذنا بالحرب ولما نتبين من تياراتها كيف تتجه سفينة النجاة ، وكيف تهب رياح الأخطار

فإذا أحببنا ألا تفاجئنا السلم مثل هذه المفاجأة ، فعلى الذين بأيديهم أمر القراءة والطباعة أن يملأوا الأذهان بالمعارف والمعلومات التي تغني في استطلاع الأحوال والمقاصد بعد الحرب الحاضرة ، إلى زمن طويل

ما الذي تريده هذه الأمة أو تلك ؟

ما الذي يريده هذا الزعيم أو ذاك ؟

وما الذي يخلص فيه ؟ وما الذي يماذق فيه ؟ وما الذي تواتيه عليه الأسباب الحاضرة ؟ وما الذي يخشى أن يعرقله من الأسباب المنظورة ؟

بعض ذلك غيب لا سبيل إلى استطلاعه

وبعض ذلك عيان مشهود أو في حكم العيان المشهود ، من أخبار الأمم ودراسات المفكرين ، وسوابق التاريخ ، وضرورات الاجتماع و « الاقتصاد »

ولا يزال في الوقت متسع لاستدراك ما فات ، ولا يزال الباب مفتوحاً لمن يلج فيه ، ولا تزال الحاجة كل يوم في إلحاح ومزيد من الإلحاح

ومهما يكن من قصر الوقت الباقي من زمن الحرب ، فانقضاء هذا الوقت في معرفة الحقائق والتأهب للطوارق خير من قضائه في الإهمال والتسويف ، وليكن إقبال الناس على القراءة حافزاً لمن يعنيهم أن يقرأوا ما يصلح للفهم في كل زمن وما يصلح للفهم في الزمن الأخير من الحرب على التخصيص . وليس الكتاب وحدهم أصحاب الشأن في الكتابة لأنهم لا يملكون زمام الأمر إلا القليل . فلو كنا على ما نود من توافر الأداة الثقافية لنهض بالأمر جمع قادر أولو جاه ومال يقررون الموضوعات ويوزعون الأبواب وينفقون على ثقة من الكسب وعلى توقع للخسارة في وقت واحد ، أو يراوحون بين ما يربح وما يحتمل الخسارة ، فلايهمهم أن يربحوا من كل شيء ما داموا لايخسرون من كل شيء

إننا لقادرون على ذلك لو أردناه

وإننا لمريدوه لو أدركنا دواعيه ، وأدركنا عقباه

فهل ندركها ؟

إن قلنا : « فيها قولان » وكفى ، فنحن متفائلون .

عباس محمود العقاد

روحانية الحياة المدرسية

للدكتور زكى مبارك

مهنة التعليم توحى إلى النفس طمأنينة لا توحيها أية مهنة ، لأن التعليم يقوم على أساس من شرف الغرض لا يعادله أى أساس . والإحصائيات تثبت أن المعلمين أقل الناس تعرُّضاً للآفات النفسية ، بسبب تلك الطمأنينة الروحية ... وبرغم كثرة التشكى من الغبن الذى يلاحق مهنة التعليم فإن حال المعلمين فى مصر من أحسن الأحوال ، فأكثرهم بحمد الله صاروا من المياسير ، ولعلهم الطائفة الوحيدة التى أعفاها الله من التعطل فى هذا الزمان

والتأمل يلاحظ أن الله يبارك فى أعمار المعلمين وفى أرزاقهم بقدر ما يضمرون من الاخلاص ، وبقدر ما يقاسون من العناء ، لأنها مهنة لا يستريح فيها غير من يرحب بالشقاء ، إن جاز أن يكون مع الإخلاص فى هذه المهنة شقاء

والآفة التى تكدر حيوات المعلمين هى آفة الأسلوب القديم فى الترقيات ؛ فترقية المدرس بمدرسة ابتدائية هى نقله إلى مدرسة ثانوية ، وترقية المدرس بمدرسة ثانوية هى نقله إلى مدرسة عالية أو نقله إلى التفتيش

وكنت أرجو أن يكون الأمر بالعكس . كنت أرجو أن تكون المدرسة الابتدائية هى المكان المختار لأكابر المدرسين ، ليستطيعوا خلق الروحانية فى الحياة المدرسية ، وليكون ذلك شاهداً على الإيمان بقدسية التعليم

المبتدئ هو الذى يحتاج إلى المدرس الكبير العقل والروح ، المدرس الذى صقلته التجارب وراضته على فهم الغرائز والنفوس

والتلاميذ فى المدارس الابتدائية يحتاجون إلى رياضة روحية يقوم بها مدرسون روحيون ، وهم الذين صاروا فى حكم الآباء ، ليكون انتقال التلميذ من البيت إلى المدرسة انتقالاً من رعاية أبوية إلى رعاية روحية

والحق أن المدرسة الابتدائية هى الأساس ، فإن استطعنا أن نخلق فى تلاميذها الشوق إلى الحياة العلمية فسيقل خوفنا عليهم حين يتحولون إلى المدارس الثانوية

والحق أيضاً أن العُرف الذى قضى بأن يكون المدرس فى الثانويات أعلى من المدرس فى الابتدائيات قد زعزع قدسية التدريس

يضاف إلى هذا أننا أوجبنا أن تتأثر الترقيات بتلك الاعتبارات ؛ فالمدرس فى الثانوى مرتبه أكبر من المدرس في الابتدائى ، وكان ذلك لأن المدرس يبدأ عمله فى المدارس الابتدائية ، ثم يتحول إلى المدارس الثانوية بعد أعوام قصار أو طوال

وليس عندى من الاقتراحات ما يصلح لتغيير هذا المنهاج ، فقد فكرت كثيراً فى حل هذه المشكلة ، ولكنى لم أصل إلى شىء ، فهل أستطيع القول بتحويل بعض مدرسى التعليم الثانوى إلى التعليم الابتدائى ؟

وهل أستطيع القول برد جماعة من المفتشين إلى التدريس طائعين لا كارهين ؟

إن مهنتنا لن ترتفع إلا إذا رحب بها كبراؤنا ، ولو دعوناهم إلى التعليم بالمدارس الأولية ، وهى النواة الأصيلة للتعليم والتثقيف

الطفل فى مدارسنا يتيم ، لأننا نبخل عليه بأكابر المدرسين

قلت مثل هذا الكلام منذ أعوام فى مجلة الرسالة فسخر منه سعادة الأستاذ عوض بك إبراهيم ، وأشار إلى أحد مريديه أن يكتب كلمة فى جريدة الدستور يقول فيها : إن وزارة المعارف عملت باقتراحى فعينتنى رئيساً للمدرسة الأولية بقصر الشوق !

وأين من يعرف أنى أعتقد أن الذى فاتنى فى الحياة التعليمية هو أن أكون رئيساً لمدرسة أولية ؟

لو سمحت الظروف بأن أكون مربياً لمئة طفل لرجوت أن أخلق منهم أشبالاً يكونون فى طليعة الجيل الجديد

ما هذا التعالى الذى لا يليق بمهنتنا العالية ؟

المدرس جندىٌ أمين ، والجندىُّ الأمين لا يقف إلا فى مظان الحتوف ... وتعليم الأطفال متعبَة لا يضطلع بها غير كبار الرجال

المهم هو النص على تنزيه مهنتنا من الظواهر الخوادع ، فلا يكون فيها فاضل ولا مفضول إلا بمقدار التفاوت فى الإخلاص

المعلم فى المدرسة الأولية يستطيع مساماة الأستاذ بالجامعة إن صدق من الوجهة المعنوية . وهو لصدقه سينسى فروق الرواتب ، لأن أساتذة الجامعة لا يصلون إلى مناصبهم إلا بعد جهود لا يستطيعها غير أفراد ، فمن حقهم أن يمتازوا برواتب

تعينهم على متابعة ما يجد من التراجم والتآليف ، وعلى مسايرة حيوات العلوم والآداب والفنون

المعلم فى مدرسة أولية يقيم بيته وهو فى صباه ، أما الأستاذ بالجامعة فلا يقيم بيته إلا بعد أن يكتهل ، فعلينا أن نعترف بأن من واجب الدولة أن تراعى حقه فى الجهود التى بذلها من شبابه ومن أمواله ليصلح للحياة الجامعية

وخلاصة القول أنى أرى روحانية المدرسة تتبع روحانية المدرس ، وأرى أن نلتفت إلى المدارس الابتدائية بأكثر مما نصنع ، كأن نختصها بأكابر المدرسين ، وكأن نغير النظرة المألوفة إلى طبقات المدرسين ، بحيث لا يكون طول الثواء بالمدرسة الابتدائية مانعاً من أن يظفر المدرس بمثل نصيب زميله فى المدرسة الثانوية من الدرجات والترقيات

ويوم يكون من حق المدرس أن يفتخر بأن وزارة المعارف رأت أن يقضى حياته كلها فى التعليم الابتدائى لمزايا تعليمية يكون من حقنا أن نطمئن إلى سيادة الروحانية فى الحياة المدرسية

أقول هذا وأنا أعرف أنى أطلب غرضاً لا يتحقق إلا بعد رياضات نفسية تحتاج إلى آماد ؛ فالمدرسون فى جميع بقاع الأرض يريدون الفرار من المدارس الأولية والابتدائية ، ولا يرضى الرجل منهم عن حاله إلا إذا صار إلى التعليم الثانوى ثم العالى . وهذه نزعة تأخذ وقودها من هوى النفس ، وليس لها فى نظر التعليم سناد .

***

أترك هذا وأنتقل إلى مسألة ثانية ، هى صلة التلميذ بالمدرسة ، الصلة التى توجب أن يحبها أصدق الحب ، على نحو ما كان التلاميذ فى بعض العهود الماضية

والواقع أن تلميذ اليوم تجتذبه قوى خارجية لم يعرفها التلاميذ من قبل ... وهل ننسى أن المساجد كانت قبل عشرين سنة ملتقى التلاميذ فى أوقات المراجعات ؟ فأين نحن من ذلك الحال الجميل ؟

لا بد من جهاد لجذب التلميذ إلى المدرسة ، بحيث يحبها حب العقل ، وهو أصدق الحب

يجب أن نصل إلى إقناع التلميذ بأن روح المدرسة هو الروح الصديق ، وأن أوقاته فى رحابها هى أوقات الصفاء

فى كلام القدماء : فلان علمه أكبر من عقله ، وفلان عقله أكبر من علمه ، فما معنى ذلك ؟

معناه أن ملكة الفهم تختلف عن ملكة التحصيل بعض الاختلاف .

وعلى ضوء هذه الفكرة نريد أن نعرف المنهج المختار فى سياسة التعليم فنقول :

أيهما أنفع : قراءة كتاب عن خزان أسوان أو زيارة ذلك الخزان ؟

وأيهما أفضل : نظر الخريطة عشرين مرة أو رسمها مرة واحدة ؟

وحفظ مقامات بديع الزمان أنفع ، أم إنشاء مقامة على غرار تلك المقامات ؟

ثم أثب إلى الغرض فأحكم بأن إنشاء عشرين سطراً أنفع فى تكوين الذهن من قراءة كتاب ، لأن الإنشاء يوقظ القوى النفسية ، ويروضها على التفكير السديد

والتعليم الحق هو الذى يقضى بتقوية الملكات الإبداعية ، هو الذى يخلق عاقلاً لا ناقلاً ، وبين العقل والنقل مراحل طوال

وليس معنى هذا أنى أغض من قيمة الاطلاع ، لا ، ولكن معناه أنى أدعو إلى أن تكون سياسة التعليم قائمة على إعزاز قيمة الفكر عند التلاميذ ، فلا يقرأ أحدهم سطراً إلا وهو يحاول أن يأتى بأروع منه وأبدع ، ولا يسمع درساً إلا وفى خاطره أنه مسئول عن التعقيب عليه بالمبتكر الطريف

ما السبب فى أن يكون الجو المدرسى غير محبوب فى بعض الأحوال ؟

لو أمكن جذب التلميذ بالعقل إلى جو المدرسة لتمنى أن تكون مأواه إلى آخر الزمان

ولكن التلميذ يُسأل عن المواظبة الصورية ، ولا يُجذب إلى المواظبة الروحية

وفى العقوبات المدرسية أن ينسخ التلميذ صفحات من كتاب ، وهذا النوع من العقوبة موجود بالمدرسة الفلانية ، وهو عقوبة حقاً وصدقاً ، فما يمكن أن يؤذى التلميذ بأصعب ولا أعنف من أن ينسخ كلاماً هو عن فهمه غير مسئول

هرب الشيخ محمد عبده من الدرس ورجع إلى الريف فأقام به ثلاث سنين ، لأنه طولب بإعراب البسملة قبل أن يفهم الإعراب

ومئات من التلاميذ يحضرون الدروس بالجسم لا بالروح ، فهم غائبون لأنهم لا يفهمون ، وإن لم تفطن المدارس إلى تقييد ذلك الغياب !

ودروس القواعد دروس غير محبوبة ، لهذا السبب ، أعنى أنها لا تقدم إلى التلاميذ مع التعليل ، ولو عللت القواعد بذكر مراميها الأصيلة لأحبها التلاميذ ، لأن الحياة موجودة في إضافة لفظ إلى لفظ بغاية من القوة والجاذبية ، ولكن أين من يفكر في التنبيه إلى تلك الحياة ؟

وخلاصة القول أن الغاية من التعليم هي إثارة الشوق إلى فهم الوجود ، وتنمية المواهب تنمية تغنى التلميذ عن المدرس بعد حين ، وتجعل منه روحاً يتطلع إلى السرائر الكونية ، والحقائق الوجودية ، تطلع المتشوف إلى إدراك ما عاب عن الأسلاف ، ولو كانوا من فطاحل العلماء

وكمية المعلومات ليست بالغاية العالية ، وإنما الفهم الصحيح هو الغاية ، ولو تعلق بأقل مقدار من المفهومات

وتصحيح غلطة واحدة فى علم من العلوم أدل على قوة الذاتية من استيعاب جميع العلوم

ونظم خمسة أبيات نظماً صحيحاً فيه روح الشاعرية يدل على قيمة الفتى بأكثر مما يدل حفظه لجميع الدواوين

المهم هو إيقاظ روح الفكر عند التلميذ ، بأن نجعل جميع الدروس وسيلة إلى هذه الغاية ، ولن يتم ذلك إلا إذا استطعنا أن نشغل روحه وفكره وعقله بتعقب ما يرى وما يسمع تعقب الشغف والاشتياق

دخل التلميذ مصطفى كامل على الوزير على مبارك وحاوره بأسلوب غير مقبول ، فقال الوزير للتلميذ : إقرأ هذه اللوحة لأعرف مقدار ذكائك « وكانت طرة كثيرة التلافيف تعجز عن قراءتها التلميذ »

قال الوزير : أنت لا تجيد غير الصياح !

فقال التلميذ : هل يتفضل الوزير فيخبرنى عن عدد السلالم التى يصعدها كل يوم إلى مكتبه هذا منذ أعوام ؟

فقال الوزير : التحدى تافه ولكنه معقول

والواقع أن التعليم عندنا لا يثير التطلع إلى استكشاف المجاهيل ، ولا ينقل خيال التلميذ من أفق إلى آفاق إلا فى أندر الأحوال ...

عمل المدرس لا يتجه إلى تقديم الحقائق ، وإنما يتجه إلى إيجاد الحقائق عن طريق التلاميذ . وأريد أن أقول إن المدرس لا يُخبر ولكنه يَستخبر ، إلى أن يعرف من تلاميذه الخبر اليقين ، وكأنه به من الجهلاء

طريقة التلقين طريقة عقيمة ، وهى لا توقظ عقول التلاميذ وقد ترميهم بالجمود

والدرس هو الفرصة لتنبيه العقول الغافية ، فى الحدود التى تسمح بها براعة المدرس ، والمدرس البارع هو الذى يسوس الدرس سياسة تقضى بأن يشعر كل تلميذ بأنه قد يتلقى سؤالاً بعد لحظات .

هل تذكرون الواجبات المدرسية التى يؤديها التلاميذ فى البيوت ؟

إنها ثقيلة جداً ، وبغيضة جداً ، فما السبب فيما تتسم به من الثقل والبغض ؟

يرجع السبب إلى أنها لم تسبق بالتشويق إلى إيجاد الحقائق

ويرجع السبب إلى أننا لم نصل إلى خلق الجاذبية المدرسية .

ويرجع السبب إلى أننا لم نفكر جدياً فى إبداع شخصية التلميذ ...

* * *

وأنا أختم هذه المقالات بتوكيد ما قلته فى صدر مقال اليوم وهو أن مهنة التعليم فى مصر مهنة سعيدة وأصحابها سعداء

المدرس المتبرم ليس بمدرس ، لأن التدريس من أقوى موجبات الابتسام

ولو أردنا شكر الله على أن جعلنا مدرسين لعجزنا عما نريد من الشكران

للمدرس فى كل يوم جهاد ، وهذا مغنم جميل

إن صحت دعوتنا إلى تعميم التعليم فسيكون فى مصر ألوف وألوف من المدرسين ؛ فهل تستطيع مالية الدولة أن تستجيب لما يطمح إليه ألوف وألوف ؟

القناعة هى التاج لمهنتنا السامية ، وغِنى القلوب يستر فقر الجيوب . وهل افتقر منا أحدٌ حتى نتوجع ونتفجع بشبهة من الحق ؟

نحن أغنياء وأغنياء ، فلله الحمد وعليه الثناء .

زكى مبارك

على هامش أحلام شهرزاد

٤ — قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « الآن يا صديقى وقد أطلعتك على أطراف من شهرزاد الحكيم ، وعلى أطراف من القصر المسحور ، ووقفتك على المذهب الذى أخذ الكاتب به نفسه ، ولم يفتأ يباهى به ، ويشتط فيه ... الآن وقد علمت أن مشروع (أحلام شهرزاد) كان وعداً موعوداً فى القصر المسحور على لسان شهرزاد أراد عميد الأدب العربى أن يذود به عن هذه الشخصية الفذة التى ابتدعها الأديب العبقرى القديم الأول ، والتى رمز بها إلى جنس المرأة فى كل زمان ومكان ... والآن وقد علمت ما يرتأيه الأستاذ توفيق فى شهرزاد كل زمان ومكان من غدر وكيد وخيانة وأنانية و ... شَبَق ... الآن يحين لى أن أحدثك عن أحلام شهرزاد حديثاً يروقك وتنزع إليه نفسك ، النزاعة إلى الحق ، المشغوفة بالجمال ، المؤمنة بالكمال « ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! »

هل تذكر هذه القولة التى أخذت مكانها فى القصر المسحور عن عمد ؟ أما تزال تذكر هذه القولة أيضاً ، وقد أخذت مأمنها من هذا الكتاب كما أخذت مأمنها الكلمة السابقة : « سيجد عندى علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ! »

ها تان كلمتان ! فهل بر العميد فيما وعد ؟ وكيف صور شهرزاده يا ترى ! وكيف جافى بها عما رسمها الأستاذ توفيق ؟ ثم ما بال أبطاله الآخرين ! هل أخرج لنا ملكاً (ديوثاً) كشهريار الحكيم ؟ أم انتفع شهريارُ العميد بشهرزاده فهذبت طبعه النافر ، وأقامت خلقه المعوج ، ولفتته إلى شئون ملكه يرعاها بعين الخبير البصير ، وعلمته كيف يوائم بين رغبات نفسه ورغبات شعبه ، ثم هى مع هذا وذاك لم تنكشف له كل الانكشاف لتستبقى سحرها فى قلبه ، وتحتفظ بسر الجمال الذى يفضحه التبذل ، ويُذبله التهالك فى إشباع رغبات الرجال ؟ !

ثم شخصيتى أنا ؟ ! شخصية فاتنة ؟ تلك الشخصية التى تزرى بكل شخصيات القصص العربى فى الأدب المصرى الحديث ... أرأيت كيف صورها فأتقن صورتها وأبدعها فى أحسن تقويم ؟ وشخصية طهمان بن زهمان ملك الجن ؟ ! هل كان هذا المارد الأحمق الذى يجلس على عرش أمة ليفرغ إلى رغباته ودنايا نفسه كما فعل شهريار الحكيم ؟ أم كان ذاك الحاكم البر الحازم الحكيم الرحيم الذى حكم فعدل فأمن على شعبه كما أمن على ملكه ونشأ أنى على خير منهاج يضمن السعادة لقبيله من الجن من بعده ؟ !

ثم شخصية هذا الطائف العجيب الذى كان يسفر بالأحلام إلى شهريار ينبئه بموعد القصص الشهىّ الرخىّ الذى ترسله شهرزاد فى أحلامها — ما بال هذا الطائف يا ترى ؟

أما شهرزاد الحالمة فإنها من غير شك شهرزاد نبيلة كاملة ، قامت بواجبها فى تهذيب شهريار على خير وجه ، وقامت بواجبها نحو وطنها على أحسن صورة ، واحتفظت بسحر أنوثتها فلم تفسده بالتبذل ، ثم هى هذا الملاك الحارس الذى أدّى وظيفته فى الحياة كما ينبغى أن يؤدى كل مخلوق كامل وظيفته فى الحياة ... يأخذ بحظه منها ولا يجور على حقوق الآخرين ... يعرف أن الحياة جد لا لعب ، وهى مع ذاك جد يخفف جفوته لهو قليل برىء ... لهو بالموسيقا التى تهذب الطبع ، والغزل الحلال الذى لا ينحدر إلى أحضان العبيد ، ولا يسف إلى اتخاذ الأخدان ، ولا يسفل إلى أن يكون خداعاً وخيانةً ولغواً وتأثيماً ... شهرزاد العميد هى هـذا الملاك الحارس الذى أخذ على عاتقه إصلاح شهرياره فى النوم وفى اليقظة ... فى النوم بإرجاعه إلى محجة الصواب كلما عاوده داؤه القديم فسأل عن سر شهرزاد ، وشهرزاد مع ذاك تطلعه على شطر غير يسير من هذا السر ، ثم تحتفظ لنفسها بشطره الآخر ... الشطر الذى يبقى على سحر الأنوثة فى المرأة ، ويجعلها شابة دائماً ، جميلة دائماً ، ساحرة دائماً .. لأنها تعطى من نفسها بقدر ، وتهب من ذاتها بمقدار ، فلا تتبذل بكثرة البذل ، ولا تمنح كل ما عندها كى تجد ما تمنحه طوال الحياة التى تربط الزوجين ... وهى لذلك جديدة كل يوم فى عين شهريار ، لأنها تسقيه كل يوم كأساً جديدة ... فإذا سألها : « ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت وماذا تريدين ؟ » ... أجابت : « من أنا ؟ أنا شهرزاد التى أمتعتك بقصصها أعواماً لأنها كانت خائفة منك والتى تمتعك بحبها الآن لأنها واثقة بك مطمئنة إليك . وماذا أريد ! أريد أن أرى مولاى الملك راضياً سعيداً ناعم البال رخى العيش مبتسماً للحياة كما تبتسم له الحياة » فإذا أعاد بعد ذلك

سؤاله ، قالت له : « من أنا ؟ أنا شهرزاد التي أحبتك قبل أن تعرفك كما لم تحب فتاة رجلاً قط ، والتي خافتك حين عرفتك خوفاً لم يخفه إنسان إنساناً قط ، والتي زفت إليك تتحدى الموت وتتحدى السلطان وتتحدى الحب والبغض جميعاً ، فبلغت من نفسك هذه المنزلة التي تراها والتي لا تراها ، ثم أصبحت الآن وهي لا تفكر إلا فيك ، ولا تفكر إلا بك ، ولا تفكر إلا لك . ماذا أريد ؟ أريد أن تكون سعيداً موفوراً ، ولكني لا أعرف كيف أجعلك سعيداً موفوراً . من أنا ؟ ... أنا من تحب أن ترى في أي ساعة من ساعات النهار ، وفي أي ساعة من ساعات الليل . أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم ، وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت ، وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت ، وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوج ... وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليلة ، أنا كل هذا . وماذا أريد ! أريد ما تريده الأم لابنها ، وما تريده الأخت لأخيها ، وما تريده البنت لأبيها ، وما تريده الزوج لزوجها الوفى ، وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون . وقد سألتني فألحفت على في السؤال ، أفتأذن لي في أن أسألك ؟ » فيرفع الملك إليها بصره كالمنكر لما تقول ، ولكنها تتضاحك وتتماجن وتسأله : « كيف أراك في هذا المكان من جنة القصر ، حيث كان ينبغي أن أراك في غرفتك تتهيأ للخروج إلى حيث تستقبل وزراءك وتصرف أمور ملكك ، أو أراك قد خرجت مبكراً فأقبلت على شئون الدولة تصرفها حفيًّا بها منكبًّا عليها ... الخ »

فهل رأيت إلى شهرزاد العميد وفرق ما بينها وبين شهرزاد الحكيم ؟ أرأيت كيف صور العميد ما ينبغي أن تكون عليه الزوجة الوفية في كل زمان ومكان ! ! فتكون لزوجها أماً حين يحتاج إلى حنان الأم ، وأختاً حين يحتاج إلى مودة الأخت ، وابنة حين يحتاج إلى بر البنت ، وزوجاً حين يحتاج إلى عطف الزوج ... ثم ... خليلة حين يحتاج إلى مرح الخليلة . يجب أن تكون الزوج كل هذا فهل يرى الأستاذ توفيق هذا الرأى ؟ ! أم هو موجس ظنِّين واجد على المرأة يبشر ضدها بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لا يأتمنها على أن تنجب لشهريار غلاماً ذكياً أو غبياً ، ولذلك فهو يرسلها في أحضان العبيد ، ويبيح غرامها للوزير ولغير الوزير ، ويجعلها أنانية لا تفكر إلا في نجاتها هي دون أن تعنى بخلاص بنات جنسها

ولقد نبهتك يا صديقي إلى ما التزمته شهرزاد العميد من الغموض أحياناً لتصون جمالها وتجدد سحرها في نفس زوجها ، فهل تدرى لماذا حرص الأستاذ الحكيم على أن تكون شهرزاده غامضة ؟ إنه حرص على هذا لتُذهل شهرزادُه لبَّ شهرياره ، وتعصف بقلبه ؛ فغموضها هو من غموض السحراء والمشعبذين وأكلة الثعابين والذين يمشون بأرجل حافية على النار ورؤوس المسامير ... لأن الذين يتفرجون بهذه الشعبذات يقفون حيالها مشدُوهين صَعِقين لما فيها من غموض يذهل ألبابهم ، ولا يدركون له كُنْهاً ... أما ماذا وراء هذا الغموض ، فليس وراءه شيء ... ليس وراءه نفع قط ... إن لم يكن وراءه ما يمكن كالأفعى الرقطاء في ظلمات نفس شهرزاد — شهرزاد الحكيم طبعاً — من شر وكيد وختل وخداع وخيانة وتدبير سيئ ... ولهذا قالت شهرزاد في القصر المسحور وهي تتميز من الغيظ على توفيق الحكيم : « ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! » ثم قالت : « سيأتيه علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ! »

هذا فرق ما بين الغموضين ، وللغموض نصيب عظيم من السَّرق الذي أرجف به المرجفون ، وتخرَّص به المتخرِّصون

أما فرق ما بين شهريار الحكيم وشهريار العميد فليس يحتاج إلى إسهاب ولا يفتقر إلى إطناب . وحسبك أن تذكر ما كان من غفلة شهريار الحكيم التي سماها معرفة ، وسكوته على ما قتل بسببه وزيره نفسه حينما انسل العبد من مخدع شهرزاد . ذلك السكوت الذي سماه الحكيم فلسفة . ثم حسبك أن تعلم ما كان من سهر شهريار العميد على أمور رعيته ، وحسن التفاته إلى تصريف أمورها ، واضطلاعه بما يعود عليها بالخير والنظام ... حسبك هذا وذاك لتقدر أنت فرق ما بين الملكين

أما أنا ... أما فاتنة ... فإني كما علمت أبرع شخصيات الأدب المصري الحديث ... إني أتمم شخصية شهرزاد . بل أنا روحها الحالم ... بل أنا شبحها الهائم ... بل أنا غناؤها الباغم . بل أنا منطقها السليم وسحرها العظيم وتدبيرها الكريم وقلبها الرحيم ... بل أنا حدبها على الرعية ، واستخفافها بالطغاة ، وعذابها المسلط على الملوك المستبدين الذين ذاق بعضهم بأس بعض ، وعذب بعضهم بأيدى بعضهم الآخرين ... بل أنا هذه الديمقراطية العزيزة التي أجج لها الطغاة الآثمون تلك الحرب الطاغية الآثمة القائمة ... الديمقراطية التي ترد الصواب إلى الفرد

الغرور ، وتعيد السلام إلى العالم ، والجمال إلى الجنة ... أنا الديمقراطية التي تبعث العزة فى نفوس الأفراد ، والكرامة فى قلوب الشعوب ، فلا يسيمها الحاكمون بأمرهم الخسف ، ولا يسلط عليها فرد واحد مجنون فيجعل أمنها خوفاً ، وقوتها ضعفاً ، وعيشها شظفاً ، وجهودها هباء ، ورخاءها عناء ، وفرَجَها شدة ، وسلامها حرباً ، وعِلْمها شراً ، وعلماءها أبالسة ، وقادتها أفاكين

إستمع إليّ أقول لأبي وهو يحاورني : « ... متى رأيت الملوك يقدمون على حرب لا تدفعهم إليها شهواتهم الجامحة وعواطفهم الحائرة ؟ ومتى رأيت الشعوب تجنب هذه الأهوال وتعصم من الحرب لغير مصالحها المؤكدة ومنافعها المحققة ...؟... إن أثرة الملوك والسادة والزعماء هي التي تثير الحرب دائماً وهي التي ترهق الشعوب دائماً ... ! »

فإذا قال لي أبي : « فقد كنت أرجو أن يهيىء لك علمك وحكمتك ابتكار لون من ألوان الحياة لا تشقى فيه الشعوب بسعادة الملوك والزعماء ! .. » قلت له فى بعض الذى أجبته به : « فأنبئني يا أبت ما بال هذه الرعية لا ترفق بنفسها ولا تعنى بأمرها، ولا تفكر فى مصالحها ، وإنما ندعوها فتجيب، ونأمرها فتطيع ، ونوجهها إلى حيث نشاء فتتجه إلى حيث نشاء لا يخطر لها أن تأبى إذا بلغها الدعاء ، ولا أن تعصي إذا صدر إليها الأمر ، ولا أن تمتنع إذا وجهت إلى حيث لا تحب ... ؛ فما طاعتها لنا فى غير روية ولا تفكير ، بل في غير فهم لما تؤمر به وتقدير لما تدعى إليه ؟... »

أرأيت إلى كيف مثلت الديمقراطية أروع تمثيل وأصدقه ؟ وهل سمعت إلى أفضح الطغاة والمستبدين ، وآخذ على الأمم المستضعفة رضوخها لهم وعدم الثورة عليهم ، وطاعتها إياهم فى غير روية ولا تفكير ولا فهم ولا تقدير ؟! ... وأنا مع ذلك الديمقراطية المتعلمة المثقفة التي لا تصدُر عن الطيش ولا يتلاعب بها الرعاع . وليست هذه الديمقراطية التي تدخن القنب فى حانة أبي ميسور ، وتنام فى أحضان العبيد ، وترهن السيف لتقضى ليلة هانئة ؛ لكنها الديمقراطية التي تثل عروش المستبدين وتقوم على الجد ولا ترضى العبث وترفض أحلام روّاد الحانات التي يدخن فيها ! ... الديمقراطية التي انتصرت على قوات الشر

« ... وردت إلى شعوب الجن حقوقها المغصوبة وحرياتها المسلوبة ... ومن يدرى ! لعل علم الجن أن يصل إلى الناس ذات يوم أو ذات قرن واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا غموض ؛ أو لعل عقول الناس أن ترتقى ذات يوم أو ذات قرن إلى حيث تفهم عن الجن فى غير مشقة ولا جهد . يومئذ أو قرنئذ تصلح أمور الإنسان كما صلحت أمور الجان

قالت : « وعكف شهريار على نفسه يتدبر ما سمع ويستحضر ما شهد ويتذكر ما رأى ، وكأنه أنسى نفسه فى هذا العكوف ، حتى أقبلت شهرزاد وقد ارتفع النهار . وسمعها تقول فى صوت حازم باسم معاً : « لشد ما هانت عليك أمور الملك يا مولاى ! ها أنت ذا تخلو إلى نفسك فى زاوية من زوايا غرفتك كأنك فرد من أفراد الناس قد فرغ للفلسفة والتفكير . ألم تحاسب نفسك على هذا الوقت الطويل الذى أنفقته فى غير شئون الملك ! ألم يخطر لك أن للشعب حقوقاً يجب أن تؤدى إليه ، وإن أوقات الملوك ليست خاصة لهم من دون الرعية ؟ »

قال الملك دهشاً ... « يا عجباً ! كأنما أسمع حديث فاتنة »

قالت شهرزاد ذاهلة : « فاتنة ! فاتنة ! ليس هذا الإسم علىّ غريباً ، وأحسب أن لى بى عهداً قريباً »

قالت فاتنة : « فأنا إذن أتمم شخصية شهرزاد ... بل أنا روحها الحالم . بل أنا شبحها الهائم . بل أنا غناؤها الباغم . بل أنا منطقها السليم ، وسحرها العظيم . وتدبيرها الكريم . وقلبها الرحيم »

أما أبي ... أما طهمان بن زهمان ، فهو الذى أدبني فأحسن تأديبي ، وهو الذى كان يخفق قلبه بمحبة شعبه فنشر المدارس بين طبقاته ليعلمه الديمقراطية ، وهو الذى « رفع بعض النابهين من الدهماء إلى مناصب الدولة » مُعرضاً نفسه لسخط الأمراء وكيد الشيوخ من رؤساء العشائر ، فوصل من الديمقراطية إلى كثير مما كان يريد ...

فشهرزاد وأبي طهمان وأنا ... إنما نكون هذا الثالوث المقدس الذى ألفه العميد لتهذيب روح شهريار ، ولإنقاذ هذا الروح من البرم والتوجس والتشاؤم الأسود الذى عصف به منذ خانته زوجه . وقد نجحنا فى هذا ، وبلغنا منه ما نريد »

قالت فاتنة : « فاسأل المرجفين إذن أين هو السَّرق الذى يدعونه ؟ بل أين أوجه الشبه بين كل ؟ أيكفى أن يسأل شهريار

تقدمة

إلى تاج العــــراق

[فى مقدم مليكه العزيز « فيصل »
الثانى ، ضيف وادى النيـل]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَمَحْتُ بِجَنَّاتِ مِصْرٍ شُعَاعا ... لِأَنْوَارِهِ صَفَّقَ الشَّاطِئَانْ
غَزَا طَيْفُهُ كُلَّ قَلْبٍ وَشَاعا ... فَلَمْ يَخْلُ مِنْ صَفْحَتَيْهِ مَكَانْ
تَهَادَى فَخِلْتُ الرُّبَى وَالْيَفَاعا ... وَشَمْسَ الضُّحَى مَوْكِباً مِنْ حَنَانْ
فيا « نِيلُ » مَنْ هَزَّ فِيكَ الْبِقَاعا ... مَلَاكٌ وَفِى كَفِّهِ صَوْلَجَانْ
حَمَى اللهُ أَيَّامَهُ أَنْ تُرَاعا ... وَوَقَّى لَيَالِيهِ رَيْبَ الزَّمَانْ ...

... وَأَعْلَى مَعَ الشَّرْقِ مُلْكاً حَوَاهْ
وَنَهْراً تَهِيمُ بِهِ ضِفَّتَاهْ
وَتَاجاً عَلَى الْبَأْسِ يَزْهُو عُلَاهْ
وَشَعْباً إِلَى « مِصْرَ » يَهْفُو هَوَاهْ
وَيَرْبِطُنَا فِيــهِ عَهْدُ الْحَيَاهْ
خُطَانَا إِلَى كُلِّ مَجْـدٍ خُطَاهْ

فَدِجْلَةَ وَالنِّيلِ ذَاقَا الرَّضَاعا ... شَقِيقَيْنِ دِيناً، وَنَجْوَى لِسَانْ!
فَيَا تَاجَ مِصْرَ أَتَتْكَ الشُّعُوبْ ... مِنَ الشَّرْقِ تَسْكُبُ أَحْلَامَهَا
وَأَلْقَتْ إِلَيْكَ زِمَامَ الْقُلُوبْ ... فَكُنْتَ هَوَاهَا وَإِلْهَامَهَا
إِذَا أَرْعَشَتْ جَانِبَيْهَا الْكُرُوبْ ... أَسِيتَ ، وَآسَيْتَ آلَامَهَا
إِذَا مَسَّهَا فى سُرَاهَا لُغُوبْ ... إِلَى النَّجْمِ طَيَّرْتَ إِقْدَامَهَا
فَأَنْتَ لَهَا فى ظَلَامِ الْخُطُوبْ ... صَبَاحٌ يُنَوِّرُ أَيَّامَهَا ...

... وَيَنْشُرُ فى كُلِّ وَادٍ ضُحَاهْ
فَيَنْسَى بِهِ كُلُّ قَلْبٍ أَسَاهْ
عَلَى النَّهْرِ أَوْ فِى هَجِيرِ الْفَلَاهْ
زَمَانٌ « بِفَارُوقَ » ضَاحٍ سَنَاهْ
مَلِيكٌ عَلَى الشَّرْقِ تَحْنُو يَدَاهْ
رَعَى مُلْكَهُ ، وَرَعَاهُ الْإِلَهْ !

صَحَتْ أُمَمُ الشَّرْقِ تَبْغِى الْهُبُوبْ ... فَهَيَّا لِتَرْفَعَ أَعْلَامَهَا

***

مِنَ الرَّافِدَيْنِ أَضَاءَ الْقِبَابْ ... شُعَاعٌ بِمَهْدِ الْعُلَا يَرْفُلُ
سَرَى وَالرَّبِيعُ يَحُثُّ الرِّكَابْ ... إِلَى الدَّوْحِ فِرْدَوْسُهُ الْمُخْضِلُ
فَكَانَا رَبِيعَيْنِ بَيْنَ الشِّعَابْ ... يُحَيِّيهِمَا الْحُبُّ ، وَالْجَدْوَلُ
وَهٰذَا يُنَاجِيهِ قَلْبُ الشَّبَابْ ... وَهٰذَا الطُّيُورُ لَهُ تَهْدِلُ
وَلٰكِنْ رَبِيعُكَ أَنْقَى إِهَابْ ... وَأَخْلَدُ فى الرُّوحِ يَا « فَيْصَلُ » !

فَمَوْجُ « الْفُرَاتِ » جَرَى فى رُبَاهْ
وَأَحْلَامُ « بَغْدَادَ » فَضَّتْ شَذَاهْ
وَقَلْبُ « الْعِرَاقِ » انْتَشَى مِنْ صِبَاهْ
وَرَفْرَفَ آمَالُهُ فى سَمَــاهْ
غَداً مِنْ يَدَيْكَ يُلَاقِى مُنَاهْ
وَفى ظِلِّ عَرْشِكَ يَجْنِى جَنَاهْ ...

وَنَسْبَحُ بِالشَّرْقِ فَوْقَ الْعُبَابْ ... عَلَى وَحْدَةٍ ... دِينُهَا مُنْزَلُ !

محمود حسن اسماعيل

شهرزاد ما هى ، وما ذا تريد ؟ ليكون هناك أخذ وسرق وسطو ... أم يكفى أن تتذرع شهرزاد العميد ببعض الغموض إبقاء على سحرها وجمالها وأسرها ، ليدعى الخراصون أن الغموض من (اختراعات !) الحكيم المسجلة فلا ينبغى لأحد غيره ، وإلا سرق هذا (الغير) وسطا !

وبعد ... فلندع هذا اللغو وذاك العبث ، ولنطلب إلى عميد الأدب العربى مواصلة لياليه لأنها فتح جديد فى أدب القصة ، وقد قرأنا كل ما ألف العميد بعد « الأيام والهامش » فلم نجده أحسن كما أحسن فى تلك الأحلام الرائعة الخالدة التى لا ترتهن بظرف من الظروف ، ولا بعصر من العصور كما ادّعى بعضهم .

دمرى خشبة

سليمان الحكيم

لتوفيق الحكيم !

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

« يبدو أن فصل النقد الفني هو الفصل المتخلف في كتاب الأدب العربي الحديث . وقد لمست هذا في المناسبة القريبة بين الأستاذ « دريني خشبة » وبيني كما لمسته من قبل مرات .
فنحن : إما أن نحب فنبالغ في الاطراء ، وإما أن نكره فنبالغ في القدح ، وإما أن نكسل فلا نستقصي عن عمل من نتصدى لهم بالنقد ، وإما أن نتحكم بمزاجنا ونفرض تحكمنا على القراء !
وسأحاول في الفصول التي أقولها في النقد الأدبي لأعلام العصر الحديث أن أتوقى كل هذا بقدر المستطاع . والله يلهمنا طريق السداد »

هذه هي التمثيلية الخامسة لتوفيق الحكيم التي يستلهم فيها الكتب الدينية أو الأساطير . وقيمة استلهام هذه المصادر وأمثالها هي في الصورة الجديدة التي يجلوها الفنان ، وفي ملء الفجوات التي يعني بها الفن وقد لا يعني بها الخبر ولا الأسطورة ؛ وفي التعميم الذي يخرج بها من الجو المحدود والمناسبة العارضة إلى الجو العام والحقيقة الخالدة

وتمثيلية « سليمان الحكيم » مستلهمة من القرآن الكريم ومن التوراة ومن ألف ليلة وليلة . فلننظر في المواد الخامة التي كانت بين يدي المؤلف حين هم أن يصوغ تمثيليته الجديدة ، لنعرف كم استمد منها وكم زاد عليها ؟ فتلك هي الخطوة الأولى في الوزن الفني لمثل هذا العمل

قصة سليمان وأخباره في القرآن الكريم في سورتي النمل وسبأ معروفة أو في متناول كل قارئ ، فلست في حاجة أن أثبتها هنا ، فأكتفي إذن بتسجيل نظرة القرآن إلى سليمان الحكيم ؛ فهو نبي أوتي العلم والحكمة ، ووُهب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلِّم منطق الطير ، وسخرت له الريح والجن والإنس

وأما قصته في التوراة فقد لا تكون في متناول القراء ، فألخص هنا بعض ما يحتاجون إليه منها في هذا السياق ، وما كان بين أقواس من هذا التلخيص فهو نص منقول :

ورد في « سفر الملوك » من العهد القديم أن سليمان كان ملكاً بعد أبيه داود يعاصر من أنبياء إسرائيل وكهانهم « ناثان النبي » و « صادوق الكاهن » . وقد طلب سليمان من إلهه أن يعطيه الفهم والحكمة ولم يطلب لنفسه مالاً كثيراً ولا عمراً طويلاً ، فكافأه الرب على ذلك بأن وهبه الحكمة التي طلب والملك الذي لم يطلب

« وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ، وكل حكمة مصر » ... وكان صيته في جميع الأمم حواليه ، وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت أناشيده ألفاً وخمسة[١] . وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط ، وتكلم عن البهائم ، وعن الطير ، وعن الدبب ، وعن السمك »

وبنى سليمان بيتاً للرب جلب أخشابه وزخارفه من مختلف الأمصار حوله . وصاهر فرعون ملك مصر فكان هذا دليلاً على عظمته !

« وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان فأتت لتمتحنه بمسائل » وقد جاءت معها بهدايا كثيرة . ولما رأت سليمان وحكمته وعظمة ملكه ، أعجبت به وبحكمته وسلطانه « وأعطته مائة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة » وأعطى سليمان للملكة كل مشتهاها الذي طلبت ... فانصرفت وذهبت إلى أرضها[٢] »

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة – مع بنت فرعون – مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لإسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم » .

وتذكر التوراة بعد ذلك أن نساء سليمان بلغن الألف عداً ، بين زوجات وسراري . وأن بعض نسائه أملن قلبه ، وكان في شيخوخته « فمال وراء آلهتهن ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت إله الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين » وانتهى الأمر بغضب إلهه عليه وانتزاع الملك منه ...

وأما قصص ألف ليلة وليلة فهي معروفة كذلك لعامة القراء ؛ وقصص الصيادين الذين يمرون بالمفاريت في قماقم

---

(١) ومن هذه الأناشيد « نشيد الانشاد » وقد انتفع به توفيق الحكيم في موضع مناسب من تمثيليته واستوحاه في تعبير سليمان عن حبه .
(٢) وتذكر بعض تفاسير القرآن أنه زوجها من أحد الأمراء التابعة

مسحورة ، وقصص الأحياء الذين يسحرون أحجاراً أو أشياء أخرى ويوضع طلسم خاص لفك سحرهم معروفة كذلك

ومفروض أنه كان بين يدى المؤلف بعض ما كتبه عن « سليمان الحكيم » فى الفرنسية الفيلسوف « رينان » ، وبخاصة ما كتبه عن « نشيد الإنشاد » نشيد الحب والربيع والشباب وهو من نظم سليمان

***

هذه هى الخامات التى كانت بين يدى توفيق الحكيم . فلننظر كيف استخدمها فى تمثيليته

لقد انتفع بالمصادر الثلاثة على السواء ، وزاوج بينها ، وفسرها وأضاف إليها بحرية كاملة ، وهذه الحرية معترف بها للفنان الروائى بلا جدال

فهو قد اختار أن يكون سليمان نبياً كما جاء فى القرآن ، وملكا كما جاء فى التوراة . وقد جاءته الخطيئة الدينية — فى التوراة — من جانب المرأة ، فجعلها توفيق بحيثه من ناحية المرأة أيضاً ولكنها خطيئة إنسانية لا دينية . واختارت له التوراة غضب الله وانتزاع الملك ، ولكن المؤلف اختار له أن يتوب عن خطيئته وأن يقاسى عذاب ضميره

وقد أثار بين المُلك والإنسانية ، وبين الحكمة والنبوة ، فى نفس سليمان صراعاً نفسياً عنيفاً . فتغلب الملك أو تغلب الإنسان فيه عند القدرة وبدافع الرغبة ، وتغلبت الحكمة أو تغلب النبى فيه عند الاصطدام وبدافع اليأس

وبعض تفاسير القرآن زوّج « بلقيس » من أحد الأمراء ، ولكن المؤلف جعلها تعلق بحب هذا الأمير ، وجعله يعلق بحب وصيفتها « شهباء » !

ثم استعار من ألف ليلة وليلة أحد عفاريتها وأحد صياديها . ولكنه استعارهما ليشيع الجو الأسطورى فى التمثيلية من ناحية ، وليستخدمها فى الصراع بين الخير والشر ، وبين الضمير والشهوة ، من ناحية أخرى ؛ وليرمز بها إلى التكامل والتصارع فى نفس الإنسان الواحد من ناحية ثالثة

***

ومن هـذه الخامات حاول أن ينشىء تمثيلية تعالج الصراع الأبدى بين الخير والشر وبين الضمير والرغبة — وتهدف مع هذا الصراع إلى الاتجاهات التالية :

١ — تغليب الجانب الإنسانى على الجانب المقدس فى نفس النبى ... سليمان !

٢ — قداسة القلب الإنسانى فى الحب والسخرية بجميع قوى الأرض أمام هذه القداسة

٣ — الجحود والوفاء والخير والشر ، واستباعها فى الحب الإنسانى جنباً إلى جنب

٤ — رفع الستار عن بعض القداسات ، وغمزات للكهان وأشباه الكهان

٥ — الآلام والحرمان والعجز والفجيعة هى التى تشع الحكمة وتهدىء الفورة وتفتح البصيرة

٦ — السخرية بحكمة الإنسان المحدودة مهما سمت وبقوته مهما عظمت أمام الحكمة الكونية الكبرى

٧ — التفسير النفسى — من جانب الفن — لبعض الحوادث والروايات فى حياة العظماء !

فلنستعرض التمثيلية استعراضاً مجملاً لنرى إن كانت قد أدت هـذه الأغراض ، وإن كانت قد جمعت إليها جمال الفن وحركة الحياة . وتلك شروط الرواية الجيدة بالإجمال .

(حلوان) — يتبع سيد قطب

بين القديم والجديد

بناة القاهرة المسلمون

MOSLEM BUILDERS OF CAIRO

تأليف السيدة ر . ل . ديفونشير

للدكتور محمد مصطفى

جلستُ إلى جانبها فى عربة يجرها جوادان كريمان ، أحدهما أشهب والآخر تغلب فى لونه الحمرة ، ويقودها سائق فحل عريض المنكبين قوى البنية . وكنا نتحدث فى التاريخ الإسلامى ، وفى الفن الإسلامى ، وفى مجموعة المساجد والمبانى الأثرية الإسلامية التى تضمها القاهرة بين أسوارها ، والتى لا يوجد لها نظير فى بلد آخر . واسترسل بنا الحديث فجعلنا ننتقل بين عصور الفن والتاريخ المختلفة . وكان السائق الفحل يملأ مكانه فى خيلاء وغرور ، ويسوق جواديه مترفقاً بهما ، وهما ينصاعان له هادئين ، كأنهما قد استسلما لحبيب يبادلانه الحب ، ويعملان جهدهما على إرضائه . ومن وقت إلى آخر كانت السيدة الجالسة إلى جانبى ترسل إلى الجوادين الكريمين نظرة تدليل وإعجاب . ومرت بنا العربة فى طريق من طرق القاهرة القديمة التى لم تنلها يد المدنية الزائفة بالتخريب والتشويه ، ولم تصل إليها وسائل النقل الحديثة بأصواتها المزعجة . طريق من تلك الطرق الضيقة الكثيرة المنحنيات والتعاريج ، والتى تعلوها «مشربيات» البيوت الأثرية من الجانبين ، فتترك فى أعلاها شقاً ضيقاً يظهر منه القليل من زرقة السماء ممزوجاً بالقليل من أشعة الشمس ، وتتخلله مآذن المساجد الشاهقة ، شامخة برؤوسها تحدث عن عظمة بُناتها

وصمتت السيدة فصمت احتراماً لها ، وجعلت أتطلع إلى منظر هذا الطريق فاستهوانى ، وتملكنى سحره وانتقل بى إلى زمن مضى ، فخيل إلى أننى عدت شاباً فتياً مزهواً بعنفوان شبابه ؛ وأننى أجلس إلى جانب فتاة هيفاء ترنو إلى بعينيها النجلاوين ، لتزيد من أثر فتنتها فى نفسى . وإذ كنت غارقاً فى هذه التأملات ، سقط شعاع دقيق من أشعة الشمس على رأس الجواد الأشهب ، وانتقل منها إلى ظهره ، ثم إلى رأس السائق الفحل ، ثم أصاب عينى فآلمنى وأيقظنى وعاد بى إلى الحقيقة السافرة . ونظرت إلى السيدة الجالسة إلى جانبى فوجدتها كأنها عادت هى الأخرى من ذكريات عزيزة حلوة ، وقالت كمن يحدث نفسه : يا لها من طريق جميلة ! ... وقلت مؤكداً : حقاً ! إنها طريق جميلة ساحرة . . . وكيف لا تكون جميلة ساحرة وقد ملكت علىّ مشاعرى ، فعشقتها من أول نظرة ، وعشقت معها هذه البيوت القديمة التى تطل عليها ، وهذه المساجد والمآذن التى تقوم على جانبيها ، وعشقت هذا القليل من زرقة السماء الممزوج بالقليل من أشعة الشمس ، بعد أن كنت أنظر إلى السماء والشمس فيبهرنى جمالها ويعمى عينى فلا أتبين منه شيئاً ! وشكرت السيدة الجالسة إلى جانبى لأنها حببت إلى كل هذا ، وقادتنى لرؤية هذا السحر والجمال .

هذه هى السيدة « ر . ل . ديفونشير » وهى سيدة وقور ، يعرفها أغلب سكان تلك الأحياء القديمة الجميلة ، ويقابلونها بالإجلال والاحترام . وهى من جانبها تسر لرؤيتهم ، وتتحدث معهم باللغة العربية كأنها واحدة منهم . وقد اعتادوا — منذ عشرات السنين — أن يروها تمر فى أحيائهم كل أسبوع ، وفى صحبتها جماعة من نزلاء مصر ، تقودهم ليستمتعوا بجمال هذه الأماكن الأثرية ، ويدرسوا معالمها ، ويتبينوا بأنفسهم مكان حضارة مصر بين حضارات الأمم الأخرى . ولا شك أننا مدينون لها بالشكر والثناء للدعاية الطيبة التى ما زالت تنشرها لبلدنا الذى عاشت فيه طويلاً وأحبته كثيراً . فقد تطوعت — على الرغم من تقدمها فى السن — أن تقود في أيام معينة فريقاً من رجال وسيدات القوات الحليفة الموجودة بين ظهرانينا ، ليشاهدوا أماكن الحضارة المصرية من متاحف ومعاهد ومبان أثرية ، ليلموا بالناحية الثقافية فى مصر إلى جانب ما يجدونه فيها من وسائل اللهو والتسلية .

وقد ألفت هذه السيدة الفاضلة عدة كتب عن مصر الإسلامية ، يبحث بعضها فى التاريخ ، والبعض فى فن العمارة ، والبعض الآخر فى نواحى تأثير الفن الإسلامى فى الفنون الأوربية . أما كتابها الذى ظهر أخيراً « بناة القاهرة المسلمون » فهو

يبحث فى تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى إلى وقت الحملة الفرنسية (١٧٩٨م) . وقد فصّلت فيه أخبار حكام مصر وولاتها وملوكها وسلاطينها ، وما خلفوه من آثار وبنوه من مساجد ومدارس ومارستانات وتكايا وقناطر وحمامات وقباب ومدافن وغير ذلك من المبانى .

وتكلمت فى الفصل الأول من هذا الكتاب عن دخول العرب مصر ، وولاية عمرو بن العاص ، وتشييده جامعه إلى جانب مدينة الفسطاط . وأشارت إلى من خلفه من الولاة ، حتى جاء أحمد بن طولون والياً من قبل الخلفاء العباسيين ، الذين كانوا قد اتخذوا إذ ذاك مدينة سامرا (سُرَّ من رأى) عاصمة لبلادهم . وجلب ابن طولون معه من سامرا المعماريين والفنانين ، فنسجوا فيما شيدوه بمصر من المبانى والعمائر على نسق الطرز الفنية التى كانت مزدهرة فى بلادهم فى ذلك الوقت . لذلك نجد أن جامع أحمد بن طولون مبنى على طراز جامع سامرا من حيث تخطيطه وزخارفه وشكل مأذنته ، حتى أنهم استعملوا فى بنائه الآجرّ (الطوب الأحمر) الشائع فى العراق بدلاً من الحجر الجيرى الذى كان يستعمل بكثرة فى مصر لقرب محاجر جبل المقطم

وتحدثت فى الفصول التالية عن انتقال الحكم فى مصر إلى الخلفاء الفاطميين وتأسيسهم مدينة القاهرة . فتكلمت عن أخبار خلفائهم وما بنوه من جوامع ومساجد كالجامع الأزهر والحاكم ، ثم استئثار الوزراء بالسلطة فى أواخر العصر الفاطمي وما بنى فى عصرهم من المبانى مثل السور العظيم الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى مع باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة ، وجامع الجيوشى ، وجامع الأقمر ، ومشهد السيدة رقية وغير ذلك . ثم مجىء صلاح الدين الأيوبى إلى مصر واستقلاله بالحكم بها ، وقيام الدولة الأيوبية ، وبناء قلعة القاهرة لصد هجمات الصليبيين المحتملة فى ذلك الوقت . إلى أن قامت دولة المماليك البحرية ، وانتقلت الخلافة العباسية إلى مصر أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، بعد أن فتح التتار بغداد . ثم ذكرت أخبار من حكم مصر من سلاطين دولتى المماليك البحرية والبرجية وأمرائهم وشدة شغفهم بالفنون الجميلة التى ازدهرت فى مصر فى عصرهم ، وتشييد المبانى الفخمة مثل جامع الظاهر ومارستان قلاوون وجامعه ومدفنه وجامع بيبرس الجاشنكير وسلار وسنجر الجاولى والناصر محمد بن قلاوون والسلطان حسن وبرقوق وبرسباى وجقمق وأينال وخشقدم وقايتباى والغورى . إلى أن كانت موقعة «مرج دابق» الشهيرة بين العثمانيين ومماليك مصر ، وانتصر فيها السلطان سليم الأول العثمانى على السلطان قانصوه الغورى ، وفتح العثمانيون مصر فى سنة ١٥١٧ م ، فصارت منذ ذلك الوقت ولاية عثمانية ، إلى أن جاء المغفور له محمد على باشا الكبير فحررها من ربقة الإدارة العثمانية

وأفردت الفصل الأخير من كتابها لذكر أخبار ولاة مصر العثمانيين وما بناه بعضهم من المساجد والمبانى الأخرى ، رغماً من حالة الاضطراب التى كانت سائدة فى هذا العصر ، والسياسية التى كانت تتبعها الدولة العثمانية فى كثرة تغيير الولاة ، لكى لا يتوفر لأحدهم الوقت لتقوية مركزه والاستقلال بالبلاد . وبينت فى هذا الفصل كيف تأثر فن العمارة فى مصر ، بعد فترة انتقال قصيرة ، بفن العمارة العثمانى ، وهذا هو السبب فى أننا نجد بعض المساجد من هذا العصر مبنية على نسق جامع «أيا صوفيا» باستامبول فى تخطيطه وبعض زخارفه . ومن أكبر مبانى هذا العصر جوامع حاير بك وسليمان باشا والملكة صفية وغيرها . وكذلك بيت جمال الدين الذهبى وبيت السحيمى ، وأخيراً بيت الكريدلية الذى اتخذه اللواء جاير أندرسون باشا فى السنوات الأخيرة مقراً لسكناه ، وكون لنفسه فيه مجموعة كبيرة من التحف أهداها عند سفره إلى انجلترا — للحكومة المصرية ، لتبقى فى هذا البيت كمتحف باسمه تابعاً لدار الآثار العربية

***

ولكن ، يا سيدتى الفاضلة ! إن هذا البلد الحبيب إليك له عليك حق آخر ، وواجب أنت مدينة له به . وإنى أتقدم إليك اليوم على صفحات «الرسالة» لأطلب منك أن تقومى بأداء هذا الواجب ، فيحفظ لك هذا البلد الأمين ذكرى خالدة تبقى إلى جانب ما ألَّفتِ من كتب وأبحاث . لقد قضيت فى مصر وقتاً هو بمثابة انتقال بين القديم والجديد ، فهلا دوَّنتِ ذكرياتك ومشاهداتك وتجاريبك ، لتبقى لمؤرخى هذا العصر يجدون فيها رأياً حراً لشخص أجنبى جاء إلى هذا البلد وأحبَّه وعاش فيه وساهم فى نهضته الوطنية والثقافية ؟ لقد عشت حوالى أربعين سنة فى مصر ، كنت فى خلالها على صلة وثيقة بكبراء البلاد

وعظمائها ومن وفدوا عليها من رجالات البلاد الأخرى ، وكنت موضع احترام الكبير والصغير . وهذه — كما تعلمين — حقبة من الزمن طويلة فى تاريخ مصر الحديث ، لا شك أنك تتبعت فى أثنائها حوادث النهضة الوطنية التى كان لها أكبر الأثر فى تغيير مجرى التاريخ . ثم شاهدت عصر النهضة الثقافية فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول ، وما كان له من أياد كريمة فى نشر الثقافة والعلوم وإنشاء المعاهد المختلفة فى أنحاء البلاد . وها أنت ذا تحضرين عهد ابنه الملك المفدّى « فاروق الأول » حفظه الله ، وتشاهدين أعمال الإنشاء والإصلاح والتجديد

أيتها السيدة الفاضلة : بالله عليك ، تكلمى وحدثينا ، هل كان الأجدر بنا أن نبقى على القديم ... وهل نحن أفلحنا فى الانتقال من القديم إلى الجديد ؟ ... وهل نحن حقاً فى بداية عصر جيل جديد ؟ ... أم لا تزال هناك بعض الشوائب علقت بهذا الجديد فشوهت جماله ؟

لا شك أننا قد خطونا فى تقدمنا نحو الجديد بخطى واسعة وأنه قد آن لنا أن نحد من سرعة هذا التقدم ، فنعمل على تقوية أخلاقنا وتقويمها ونشجع البحث العلمى الصحيح ونشر الآداب والعلوم على شرط أن نعاقب على السرقات الأدبية والعلمية ، ونطهر مصالحنا العامة من « أدوات الحكم » الماضى . حقاً سيدتى ! إننى أعرف رئيساً فى مصلحة حكومية ، يحكم فيها — بدون لائحة داخلية أو نظام للعمل — حكما دكتاتوريا ، فى وقت تحارب فيه الدكتاتورية ، ويفخر بأن له ٣٢ سنة خدمة فى هذه المصلحة ، مع أنه لم يحصل فى أثناء هذه المدة الطويلة على شهادة دراسية من أى نوع كان ، ولم يؤلف خلالها أى بحث علمى أو مقال صغير ، بالرغم من أن هذه المصلحة يجب أن تكون فى صفوف المعاهد العلمية الراقية . ولى صديق عزيز طبع فى كل شىء على نقيض هذا «الرئيس» ؛ فهو متعلم وله أبحاث علمية وذو خلق قويم مع عفة نفس وشهامة وترفع عن إيذاء مرؤوسيه . وشاء حظ هذا الصديق أن يشتغل فى هذه المصلحة ؛ فما قولك يا سيدتى فى أن هذا «الرئيس» يغار من صديقى ويحاول أن يحقر من شأنه ويحول دون مواصلته أبحاثه العلمية ولا يدع له أى مجال لإظهار كفاءته ومقدرته على العمل ، ولا يراعى فى ذلك الصالح العام . وقد بلغ السفه بهذا « الرئيس » أن سب مصور هذه المصلحة ورماه بالسخف لأنه التقط صورة صديقى إلى جانب كبير من أكبر كبراء البلد ! مع أن صديقى قام بالواجب نحو هذا الكبير ولم يشعره بكثرة تغيب الرئيس عن أعمال مصلحته وعدم محافظته على مواعيد العمل بها

هذه يا سيدتى الفاضلة حالة تكاد تكون فردية ، أرجو ألا يكون لها أو لأمثالها أى اعتبار لديك إذا تفضلت ودونت مذكراتك عن مصر . وإننى أرى أن نهدم هذه البقية الباقية من فترة الانتقال هدماً لا قيام لها من بعده ، قبل أن نتابع طريقنا نحو الجديد الجيل ! ...

محمد مصطفى

مساعد فنى دار الآثار العربية

حكم فى القضية العسكرية ١٤٠ مركز بنى سويف سنة ١٩٤٣ بحبس عزوز عبد التواب من سدمنت ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه للاتجار فى الكيروسين بغير ترخيص

معركة الأزور

للشاعر الانجليزى ألفريد تنيسون

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

(بقية ما نشر فى العدد الماضى من ترجمة القصيدة)

وفيما كانت « سان فيليب » تشرف علينا من موضعها هذا إشراف السحابة التى توشك أن تنقض بصواعقها فى تواتر وعنف، كانت أربعة من الغلايين[1] الإسبانية قد انحازت عن الأسطول جانباً، فاستقر اثنان منها على يسار سفينتنا واثنان منها على يمينها، ثم انثالت قذائف الدمار علينا منها جميعاً. ولكن سرعان ما تبينت سان فيليب حرج موقفها فارتدت مبهورة، وفى جوفها ما يقض ويرمض ... ثم انحدرت إلى سفينتنا عُصب من سائر السفن تقاتلنا يداً بيد. اثنتى عشرة مرة يقتحمون صفوفنا برماحهم وقذافاتهم، واثنتى عشر مرة ننفضهم عنا كما ينفض الكلب الواثب من الماء أذنيه البليلتين[2]

... أخيراً بقل وجه النهار وتوارت الشمس بالحجاب، ثم طلعت نجوم الليل فوق صفحة المحيط الدافئ ؛ ولكن المعركة القائمة بين سفينة واحدة وثلاث وخمسين لم تكف لحظة ... فقد كانت (غلايينهم) السامقة تنساب إلينا سفيناً بعد سفين، على مدى فترة الليل الطويل، فتقذفنا بجاحم من متسعّر نارها ومتأجج حممها ؛ ولكنها ما ترتد إلا وقد تخضبت بدم قتلاها وتجللت بسواد فضيحتها وعارها. لقد ابتلع اليم فريقاً منها، ومزقت قذائفنا فريقاً آخر لم يعد يملك معه للنضال سبيلا[3]. فيا لها من موقعة عجب، لم تقع عين لها من قبل على شبيه !

(١) الغليون Galleon طراز أسبانى من السفن الحربية الضخمة، وكان ربما استعمل فى نقل كنوز المستعمرات من أميركا وجزر الهند الغربية

(٢) تلقت (الانتقام) هجوم خمس عشرة سفينة فى مدى خمس عشرة ساعة من الثالثة عصراً حتى السادسة من صباح اليوم التالى.

(٣) غرقت سفينتان أسبانيتان، وجنحت أخريان إلى الشاطئ وخسر الأسبانيون ألفاً وخمسمائة من جنودهم وبحارتهم، وكانوا فى جملتهم يزيدون على عشرة آلاف رجل

كانت سفينتنا لا تزيد على حطام متناثر عند ما راح قائدنا يهتف فى قوة : ناضلوا، ناضلوا ! وما كادت تولى بُهرة هذا الليل المتقاصر حتى أصيب بجراحة غادر من أجلها ظهر السفينة إلى حيث يضمَّد له[1] ... ولكن قذيفة أخرى مسددة شقت طريقها إلى طبيبه الذى يقوم عليه نخر فى موضعه صريعاً، وأصيب هو بجراح أخرى فى جنبه وفى شواه، فما كان إلا أن هتف مكرراً دعوته : ناضلوا، ناضلوا !

***

انحسر نقاب الظلام، وذر قرن الشمس على الأفق البعيد، ورأينا الأسطول الإسبانى بدعائمه المنهارة قد أحصر بنا من كل وجهة، وطوقنا فى دائرة تامة. ولكن سفينة واحدة لم تجرؤ على معاودة نزالنا، كأنما قد خشوا أن يكون فى نكزنا فضلٌ من حُمة ![2] فانحازوا إلى ناحية منا يتوكفون مغبة هذا النضال الرائع. ولم نكن قد قاتلناهم عبثاً، ولكن حالتنا كانت بالغة الخطورة، إذ أودى من رجالنا المائةِ أربعون فى محتدم هذا الصراع اليائس ؛ وأصيب شطر الباقين بما آفهُم وأقعدهم عن التصرف مدى الحياة. أما مرضانا فى قاع السفين فقد مُنوا من نفحات البرد بما يبَّس أعضاءهم وشلَّ قواهم ...

وهوت الرماح من أيدينا جميعاً بين متقصِّد ومتأد، ونفدت كل ذخيرتنا من القذائف والمتفجرات، وامتلأت جنبات السفينة بكل شراع مقدود وقلَس مبتوت[4] ؛ ولكن السير

(١) البهرة ساعة من الليل بعيد منتصفه ؛ ويبدو أن تنيسون هنا يتابع أصدق الروايات عن وقت إصابة السير رتشارد، وهى رواية السير والتر رالى التى يدعمها بشهادة ستة من البحارة الذين نجوا واستجوبوا رسمياً فى انجلترا. وإذن فمن الخطأ — كما يقول رالى — ما يزعمه بعضهم من أن السير ريتشارد أصيب فى أول القتال، ثم بقى على ظهر السفينة حتى منتصف الليل رغم إصابته ...

(٢) الحمة : السم نفسه لا الشوكة اللاسعة كما هو متعارف، وقد نص على ذلك ابن قتيبة فى باب (ما يضعه الناس فى غير موضعه) من كتابه أدب الكاتب

(٣) أصيبت الانتقام بثمانمائة طلقة. كان منها ثلاثة تحت سطح الماء، تندفق فى قاعها إلى ارتفاع ست أقدام

رتشارد راح يتحدث إلينا فى كبريائه الإنجليزية فقال :

أيها الرفاق ، لقد اضطلعنا طوال يوم وليلة بحرب لن يكون مثلها أبداً ، وربحنا من المجد وكرم الذكرى ما أناف بنا على اليفاع ؛ وسنودع الحياة فى يوم قريب أو بعيد ، على نجوة هذا الشاطئ أو فى أثباج هذا اليم ، فهل نبالى متى يكون ذلك أو كيف يكون ؟ ألا أغرق لنا السفينة يا سيدى المدفعى ! أغرقها !! إجعلها شطرين . . . ولنقع بين يدى الله ولا نقع فى أيدى الإسبانيين !

وأجاب المدفعى الباسل : أجل ، أجل[١] ... ولكن البحارة اعترضوا قائلين : إن لدينا أطفالاً وخلفنا زوجات ، وها قد حفظ الله علينا حياتنا ، فلنستوثق من الإسبانيين بعهد على أن يحاجزهم فيخلوا سربنا ، لأن من الخير أن نعيش الآن حتى نعود إلى قتالهم فى مؤتنف الأيام ، فنكيل لهم الطعن خِلاجاً والضرب هَذاذَيك ... وهكذا ألقَوُا السلَم إلى أعدائهم بينا اضطجع القائد الباسل يودع حياته ويجود بآخر أنفاسه[٢]

وحملته ثلة من الأسبان المتغطرفين إلى سفينة قائدهم[٣] فأضجعوه إلى جانب الدقل . . . وأقبل عليه القوم يزكُّون عمله بلهجتهم الأجنبية المتظرفة ، ويشيدون ببطولته على مرأى منه ومسمع ؛ فما كان إلا أن نهض بينهم وهو يصيح قائلاً : لقد حاربت فى سبيل مليكتى وبلادى كما يحارب الرجل الشجاع المحق ... لم أزد على أن أديت واجبى كاملاً كما ينبغى أن يؤديه رجل ... وها أنا ، سير رتشارد جرانفيل ، أموت وملء نفسى الغبطة والاطمئنان

ثم سقط فى موضعه يكيد بنفسه حتى صفرت منه الوطاب[٤]

***

(١) كان يميل هذا المدفعى إلى رأي قائده من إغراق السفينة . وعندما تقرر أمر التسليم حاول الانتحار بسيفه فحيل بينه وبين ذلك واحتجز فى إحدى الغرف ، حتى كان ما كان من أمر النكبة التى حاقت بالغالب والمغلوب جميعاً

(٢) انطوت شروط التسليم على ضمان سلامة الباقين من الجند والبحارة وإعادتهم إلى وطنهم ، مع الاحتفاظ ببعض ذوى الرتب العالية منهم — دون سجن أو تضييق — إلى أن يتم تقديم الفدية المفقولة عنهم .

(٣) هو الجنرال ألفونسو دي باسون

(٤) توفى السير رتشارد بعد يومين أو ثلاثة من نقله ، ولا يعرف شيء على وجه التحقيق من مصير جثمانه ، وهل كان دفنه براً أو بحراً

وحدقوا بأبصارهم فى وجه الصريع الذى تجسمت فيه الشجاعة وصدق البلاء ، الذى طامن من نخوة أسبانيا ، وطأطأ من إشرافها بما تحدى به أسطولها الضخم من فلك صغير وشرذمة من الرجال قلائل ... أشيطاناً كان هذا أم إنساناً ؟ ... لقد كان الشيطان بعينه من أية وجهة نظروا إليه . على أنهم احتفلوا بإيداع جثمانه اليم احتفالاً ملؤه التجلة والتكريم .

ثم احتلوا : « الانتقام » بشرذمة من بحارتهم ذوى السحن الغريبة والوجوه السمراء . واستأنفت السفينة رحلتها فى رفقة ضحاياها ، وهى تكابد غصص الآلام من مواجعها الخاصة غب المعركة الرهيبة

وما أسرع ما نهضت الرياح من غفوتها ، وهبت عليهم مجفلات من قبَل الأرض التى اعتبدوا أهلها وعاثوا فى أرجائها مفسدين[١]

وبدأ اليم يرغى ويزبد والسماء تئن وتزمجر ، فما أسدل الليل ستوره إلا والقواصف العاتية تجتاح البحر من كل جهة ؛ والموج يتدفع حول السفن كأنما تحركه أيدى الزلازل ، ويتدفق على جوانبها وأشرعتها ، فلا ينحسر منها إلا عن دوقل مصدوع أو علم منزوع

ثم استجمع البحر قواه وعطف على الأسطول الذى أوهنت من تجلده القذائف فلفه فى أحضانه[٢]

أما سفينتنا « الانتقام » فقد غاصت بدورها إلى جانب إحدى الرضام القوابع تحت الماء[٣] ، مودعة حياتها إلى الأبد فى أعماق هذا الخضم الجياش .

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) من الأساطير القديمة أن كل موقعة بحرية تتبع بعاصفة هوجاء كأنما تجىء لتعفى على آثارها

(٢) كان قد التحق بالأسطول بعد المعركة قافلة تجارية بلغ بها عدد السفن جميعاً مائة وأربعين . ولكن لم يصل من هذا العدد الضخم إلى أسبانيا غير اثنتين وثلاثين سفينة ، أما سائرها فقد تحطم أو فقد ، على مسافة غير بعيدة من الآزور

(٣) الرضام صخور عظام أمثال الجزر ، واحدتها رضمة (عن الثعالبي) ، وقد كان غرق الانتقام عند رضام جزيرة سانت ميشيل St. Michael I إحدى جزائر الخالدات (الآزور)



اقتراح مقدم إلى المجمع اللغوي في ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قدم بعض أساتذة كلية اللغة العربية اقتراحاً برأى جديد يرمى إلى تقريب الخلاف بين العربية والعامية ، وإرجاعه إلى أصول ثابتة ، وقواعد مضبوطة ، تكون فيها العربية عربية بمقتضى هذه الأصول ، وتكون العامية عامية بتقتضى هذه القواعد ، فلا يشتبه أمر ذلك على أحد ، ولا يكون فيه أثر لتعنت أو تحكم

والأصول التى يجب أن يرجع إليها فى ذلك هى الأصول النحوية والصرفية والبلاغية ؛ فكل كلمة لا تخالف شيئاً من هذه الأصول تكون عربية مقبولة ، وكل كلمة لا توافق شيئاً من هذه الأصول تكون عامية غير مقبولة ؛ وبهذا يكون قول العامة عباية فى عباءة غير صحيح ولا مقبول ، لأنه لا يجرى على قاعدة الصرف فى قلب الهمزة ياء ، وكذلك قولهم توب بالتاء المثلثة ، وقولهم جَمَر بالمين فى جار بالهمز ، وهكذا . ويكون قول العامّة تِرْمِس بكسر التاء والميم صحيحاً ، لأنه لم يخرج عن أوزان الإسم الرباعى ، وكذلك قولهم حُصان بضم الحاء ، وقولهم معدَن بفتح الدال ، لأن هذا كله لا يخالف قاعدة من قواعد العربية ولا يؤثر بشىء فى صميم اللغة ولا دليل على فساده عندهم إلا أن أئمة اللغة لم ينصوا عليه فى كتبهم ، مع أن حكم أئمة اللغة فى ذلك قائم على الاستقراء الناقص ، لأن لغة العرب من السعة بحيث لا يحيط بها إلا الله تعالى ، والاستقراء الناقص لا يفيد العلم كما هو ثابت فى علم المنطق . (. . .)

جائزة فاروق الأول فى مباراة الشعر والقصة

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ونظرت فى الجائزة التى خصصتها السيدة هدى هانم شعراوى وقدرها مائة جنيه مصرى لإقامة مباراة سنوية باسم « جائزة فاروق الأول للشعر العربى والقصة المصرية » على أن توزع الجوائز كما يلى : ٤٠ جنيهاً للفائز الأول فى القصة المصرية ، و٢٠ جنيهاً للفائز الثانى فيها ، و٢٥ جنيهاً للفائز الأول فى مباراة الشعر العربى ، و ١٥ جنيهاً للفائز الثانى فيه ، على أن تكون المباراة بإشراف المجمع اللغوى

وقد قررت اللجنة أن تكون القصة باللغة العربية الفصحى ، وأن تكون مبتكرة لم يسبق نشرها ، وأن تعرض صورة من صور الحياة المصرية المصرية ، وألا تقل عن ستين صفحة ؛ وأن يكون آخر موعد لقبول الاشتراك فى هذه المباراة أول نوفمبر سنة ١٩٤٣

كذلك اشترطت فى نظم القصيدة المقررة للمسابقة أن تكون فى أحد الموضوعين الآتيين : حياة الريف المصرى — فصول السنة فى مصر ، وأن تكون مبتكرة لم يسبق نشرها ، وألا تقل عن أربعين بيتاً . وآخر موعد لقبول الاشتراك فيها أول سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أن يختاروا أسماء مستعارة والمحكمون هم أعضاء لجنة الأدب وترسل القصص والقصائد إلى كاتب اللجنة بالمجمع .

حول مسقط رأس السيد جمال الدين

ذكر الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانى أن السيد جمال الدين ولد فى قرية (أسد أباد) لا (أسعد أباد) . وقد استطعت من البحث أن أقف على ما يأتى :

١ — جاء فى دائرة المعارف للبستانى : أسد أباذ Asadabâd مدينة بينها وبين همذان مرحلة واحدة نحو العراق ، وبينها وبين مطبخ كسرى ثلاثة فراسخ وإلى قصر اللصوص أربعة فراسخ . ذكرها ياقوت وقال عمرها أسد بن ذى السرو الحميرى فى اجتيازه مع تبّع ... وأسد أباذ أيضاً قرية من أعمال بيهق ثم من نواحى نيسابور أنشأها أسد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٠ هجرية لما كان على خراسان من قبل أخيه خالد فى أيام هشام بن عبد الملك

٢ — وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثانى ص ١٠٣ ما نصه : « أسد أباذ » : مدينة فى بلاد الجبل (ميديا) على بعد بضعة فراسخ أو مسيرة يوم إلى الغرب من همذان ، وهى واقعة على المنحدر لجبل أروند عند مدخل سهل خصب مزروع يبلغ ارتفاعه نحو ٥٦٥٩ قدما . وكانت أسد أباذ فى عهد العرب إبان

العصور الوسطى وفى عهد المغل (كذا) كذلك مدينة زاهرة كثيرة السكان بها أسواق عامرة . وأسد آباذ اليوم بلدة جميلة بها نحو مائتى منزل (كما يقول Bellew) يسكن بعضها أسر يهودية . ويسمى الفرس هـذه البلدة « كما يروى بعض الرحالة الأوربيين ، « أسد آباذ » « Petermann و Bellew » وكذلك « سعيد آباذ » « Petermann و Duprée » أو « مهد آباذ » « Kerp Porter » الخ ...

ولقد حاولت أن أوفق بين ما قاله الأستاذ وما ورد فى الدائرتين المذكورتين فلم أوفق ؛ فبينما هى – كما ذكر – قرية خربة لم يبق منها إلا الأثر إذ هى فى دائرة المعارف الإسلامية مدينة زاهرة أو بلدة جميلة

لذلك آثرت أن أقف عند هذا الحد ، وأن أدع لقراء الرسالة فرصة البحث عن مسقط رأس ابى النهضة الشرقية .

محمود شلبى

حول « معركة إلازور »

نشر الأستاذ محمود عزت عرفة ترجمة جزء من قصيدة لشاعر الإنجليز « تنسون » وقد راعنا من الأستاذ تصرفه فى الترجمة تصرفاً شـديداً لا تدعو إليه ضرورة ، وإغراقه فى المجازات والاستعارات والتشبيهات مما لا وجود له فى أصل القصيدة ولا قبل له باحتماله ، وتعسفه فى تصيد الـكلمات الغريبة .

وقد جاءت ترجمة الأستاذ أطول من الأصل كثيراً لـكثرة ما زاد عليه من حشو وذيول .

قال الأستاذ : « كان السير رتشارد جرانفل مرفئاً بسفينته إلى جدة من جدد شاطئ الفلورز إحدى جزر[1] الخالدات ، عند ما أقبل زورق ذو مجاديف يهوى من بعيد كأنه الطائر يزف بجناحيه . وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية الإسبانية تمخر العباب ... لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين » .

فإذا رجعنا إلى الأصل وجدناه هكذا :

At Flores in the Azoses Sir Richard Grenville lay,
And a pinnace, like a flutter'd bird, came flying from for away :
"Spanish ships of war at sea ! we have sighted fifty three ! "

وترجمته : بينما كان السير رتشارد جرنفل عند فلورز فى الجزر الخالدات إذ أقبل من بعيد زورق حربى يخفق خفقان الطائر : « السفن الحربية الإسبانية فى اليم ! لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين ! »

ويقول الأستاذ : « وهكذا انسحب لورد هوارد بخمس من السفن الحربية فى ذلك اليوم ، وانطلق موغلاً فى اليوم حتى ذاب كما تذوب السحابة فى صفحة الأفق النارق فى الصمت المتشح بالدفء والسكون »

ففى أى مكان من الأصل تقع هذه المجازات والاستعارات وهو :

So Lord Howard passed away with five ships of war that day,
Till he melted like a cloud in the silent summer heaven ;

وترجمة : « ابتعد لورد هوارد فى خمس سفن حربية ، حتى تلاشى تلاشى سحابة فى سماء صيفية ساكنة »

وشر من ذلك فى الحذلقة قول الأستاذ : « نحن جميعاً من أبناء إنجلترا الأمجاد وفتيانها المصاليت ؛ فدعونا نسدد الطعن وخضاً إلى هذه الـكلاب (الإشبيلية) الخواسىء أبناء الأبالسة ونسل الشياطين . والأصل : ... "We be all good English men.
Let us bang there dogs of Seville, the children of the devil.

وترجمته : «نحن جميعاً إنجليز كرام ؛ فهيا بنا نضرب هؤلاء الـكلاب الأشبيليين ، أبناء الشيطان » فأين من هذا (المصاليت والطعن الوخض) . ومثله قوله : « نطق السير رتشارد بهذا ، ثم افتر فه عن ابتسامة ساخرة فانفجرنا جميعاً نهتف فى صوت مدو : مرحى ، مرحى ! . . . وهكذا صمدت « الانتقام » صمد عدوها دون محاشاة ، وعلى ظهرها مائة مقاتل ، وفى جوفها تسعون مريضاً قد أداءتهم العلل وبرحت بهم الأسقام » والأصل :

Sir Richard spoke and he lough'd, and we roar'd a hurrah, and so
The little Revenge ram on sheer into heart the foe,
With her hundred fighters on deck, and her ninty sick below ;

وترجمته : « نطق السير رتشارد بهذا ضاحكا فزأرنا مرحى مرحى ، واندفعت «الانتقام» الصغيرة خفيفة إلى قلب العدو وعلى ظهرها مائة مقاتل تحتهم تسعون مريضاً »

ومثل ذلك فى الإغراب قوله : « بجدت فى موضعها لا تريم » و «أغردعن لقائهم» و « الحاملة جاء ألف من الأطنان وخمسمائة »

(١) جعلها الأستاذ جزر الخالدات وصوابها : الجزر الخالدات . (أنظر : المنجد . مادة : خلد)

ويقول الأستاذ « ألوفاً آخرين من بحارتهم يسخرون من المركب الصغير الذى ركب فيها زعموا متن الغرر ، وأقحم نفسه بلقائهم التالف » والأصل :

Thousamds of their seamen made mock at the mad lettle craft

وترجمته : «ألوف من بحارتهم سخروا من المركب الصغير الأخرق»

هذا ، ولم يترجم الأستاذ غير ثلث القصيدة فشغل نحو صفحة من الرسالة ، وكان يمكن ألا يشغل إلا نصفها إذ الأصل طولا كذلك . (سمالوط) محمد خليفة التونسى

هل ذلك من نوادر الخواطر ؟

وقع فى يدى منذ أيام كتاب بعنوان «مصر فى قيصرية الإسكندر المقدونى» ، وهو من الكتب التى تعد حديثة ، وكاتبه هو الأستاذ إسماعيل مظهر ، فوجدته ترجمة حرفية للفصل الأول من كتاب :

History of Egypt under the Potelemaic Dynasty: By Edwyn Bevan

ولم يأت الكاتب بشىء من عنده اللهم إلا بعنوان كتابه هذا ، وحتى هذا العنوان إذا راعينا الدقة العلمية نجد فيه خطأ ، فكلمة قيصرية هذه لم تعرف إلا منذ عهد يوليوس قيصر ـ نسبة لاسمه ـ فكيف ينسبها الأستاذ مظهر إلى الإسكندر المقدونى الذى سبق قيصر بنحو ثلاثة قرون .

مختار العبادى
طالب بكلية الآداب — جامعة فاروق

ديوان أغانى البحيرة

دفقات من السنا الفتان
وانطلاق النشيد من فنان
ونقاء الضمير من روحانى
صاغها شاعر ندىّ المعانى
لم يزل كالربيع فى الريعان
عبد الحسن ؛ حسن تلك المغانى
بين موج سعى إلى الشطآن
ونسيم سرى إلى الوديان
فأذاب الفؤاد فى الألحان
فوق ثغر البحيرة الوسنان

حسين محمود البشبيشى

« كرنا » لاتينية وليست فرنسية

كتب الأستاذ الدكتور زكى مبارك فى مقال له بالرسالة أن (كرنات) منقولة عن الكلمة الفرنسية Couronna ، أى التيجان ، وفى الواقع لم تعرف مصر هذه الكلمة عن الفرنسيين ، بل عرفتها منذ حكم روما لمصر ، إذ أن كلمة (كرنات) لاتينية فى الأصل ، ونقلتها فرنسا ، كما تداولها أهل مصر ، وكان الرومان قد اعتادوا فى الحفلات أن يزينوا رؤوسهم بأكاليل عبارة عن غصون من شجر الزيتون ، على شكل تاج يطلقون عليها اسم Corona ، وهذه هى الكلمة التى أرادها الدكتور مبارك ونسبها إلى اللغة الفرنسية ، وقد أبان عن اغتباطه بنسبة هذه الكلمة للأدب الفرنسى ، ولعله يغتبط أكثر عند ما يعرف أنها كلمة لاتينية ، كثيراً ما ذكرها شعراء الرومان الغزليون والحربيون ، مثل كاتولوس وغيره من شعراء روما القدماء .

صموئيل كامل عبد السيد
بالدراسات اليونانية والرومانية — كلية الآداب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 512

Lundi - 26 - 4 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥١٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٩ — دفاع عن البلاغة

الأســلوب

لعل ما عرضته عليك من إجمال القول في البلاغة كان توطئة لتفصيل الكلام في الأسلوب. ذلك لأن الأسلوب هو مظهر الهندسة الروحية لهذه الملكة النفسية، يبرزها للعيان، ويصل بينها وبين الأذهان، وينقل أثرها المضمر إلى الأغراض المختلفة والغايات البعيدة. وكتب البلاغة في لغتنا لم تُعن إلا بالجمل وما يعرض لها في علم المعاني، وإلا بالصور وما يتنوع منها في علم البيان؛ أما الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة معاً فقد سكتت عنه سكوت الجاهل به. وكان الظن بمن خلفوا عبد القاهر وأبا هلال وابن الأثير أن يفطنوا إليه بعد ما دلوهم عليه بذكرهم بعض خصائصه الفنية وصفاته اللفظية، وإن كان ما ذكروه من ذلك جاء فطيراً لم يختمر، وخديجاً لم يكتمل، وشائهاً لم يحدد، ومشوشاً لم يرتب؛ ولكنهم صُمّوا عن تنبيه العسكري، وعموا عن توجيه الجرجاني، ومضوا على محارمهم الأعجمية يفلسفون النحو والبلاغة لا لشيء غير الفهاهة والحذلقة. والأسلوب كما قال لهم ابن خلدون في مقدمته: « لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية

للتراكيب ... وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيِّرها فى الخيال كالقالب والمنوال ، ثم ينتقى التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصًّا كما يفعله البناء فى القالب والنساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربى فيه ؛ فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة ... » لذلك حسب المدفوعون بطبائعهم عن موارد البلاغة من طول ماترثروا حول الجمل والصور فى عصور العجمة ، أن الأسلوب سرد ألفاظ لا تسفر عن معنى ، وحشد أسجاع لا تؤدى إلى غرض

***

إذن ما هو الأسلوب ؟ الأسلوب هو طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام . وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها فى الكتّاب والشعراء تختلف فى الكاتب أو الشاعر نفسه باختلاف الفن الذى يعالجه ، والموضوع الذى يكتبه ، والشخص الذى يتكلم بلسانه أو يتكلم عنه . ولكن الأساليب مهما اختلفت باختلاف الأفراد ، وتنوعت بتنوع الأغراض ، فإنها تتسم جميعاً بسمات واحدة من عبقرية الأمة . ومنطق ذلك أن الصفات المشتركة فى آحاد الأمة تتلاق وتتجمع فتكوِّن خصائصها التى تميِّزها من سواها . وهذه الخصائص نفسها تنطبع فى لغتها فتكون طرازاً عاماً فى كل أسلوب

وعلى قدر ما تكون هذه الخصائص فى الأمة تكون قابلية الأساليب فيها للاختلاف . فالصفات القومية فى الأمة العربية كانت فى جاهليتها شديدة الظهور والعموم حتى لم يكن بين صفات الفرد وصفات الجماعة إلا فروق لا تكاد تلحظ . ومن ثم تشابهت أساليب الشعر والخطابة فى ذلك العصر فلا تستبين فروقها الدقيقة إلا للناقد البصير . ومن اختلف أسلوبه من الشعراء الجاهليين فقد اختلف لتغلب صفاته الخاصة ، كأمية بن أبى الصلت وعدى ابن زيد . فلما جاء الإسلام أخذت هذه الفروق تتضح وتتباين حتى بلغت غايتها من ذلك فى العصر العباسى حين صارت اللغة العربية لغة الإسلام ، والأدب العربى أدب الشرق

والفنان العبقرى هو وحده الذى يستطيع أن يغلِّب صفاته الخاصة على صفات قومه العامة فيتميز طابعه ويستقل أسلوبه . أما العاديون والمقلدون من حملة الرواسم [1] وحفظة التعابير فتظل أساليبهم نسخاً منقولة عن الأصول العامة الموروثة لا يختلف بعضها عن بعض إلا بمقدار ما تختلف رسائل التجار وكتب الدواوين

وبهذه الصفات القومية العامة تميزت لغة من لغة ، واختلف أدب عن أدب ؛ فاللغات الشرقية فى جملتها تتميز من الغربية بالزخرف والأبهة والانتفاخ والتبجيل والتهويل والصوفية ؛ لأن شعوبها صبغوها بهذه الأصباغ من صفاتهم الخاصة . والفروق المعروفة بين الفرنسية فى وضوحها ودقتها ، وبين الإيطالية فى رخاوتها ورقتها ، وبين الإنجليزية فى خشونتها وقوتها ، هى نفسها الفروق بين أصحاب هذه الأمم الثلاث فى أصل الجبلَّة وموروث الطبع

وكما تؤثر صفات الأمة فى طبيعة اللغة ، تؤثر طبيعة اللغة فى أسلوب الكاتب ؛ فاللغات التى اكتسبت من مدنية أهلها رقة اللفظ وأناقة العبارة ، ومن شاعريتهم جمال الصور وروعة الأخيلة ، تغنى الكاتب بموسيقاها وحِلاها عن كد القريحة فى ابتكار المعانى واستنباط الفِكر . أما اللغات التى لم تؤتها الطبيعة حظاً موفوراً من سحر اللفظ وفتون الصياغة ، فكتابها مضطرون إلى أن يعوضوا أساليبهم من ذلك ، وجازةَ التعبير ، ووزانة التفكير ، ومدَّ القارئ بفيض من المعانى يشغله عن الفكر فيما فاته من جمال الأسلوب

واللغة العربية من النوع الأول ، طبعها أهلها منذ القدم على موسقة الألفاظ ، وتنويع المعانى بصور البيان ، وتفويف الجمل بألوان البديع ، لا فرق فى ذلك بين بداوتها وحضارتها ، ولا بين فصحاها وعاميتها ، حتى اطمأن كثير من رجال القلم إلى أن يُعفوا طباعهم من جهد التفكير ويحاولوا امتلاك القلوب بروعة الأسلوب ، فكانت المقالة أو القصيدة أشبه بالقطعة الموسيقية تخلب الأذن ولا يبلغ النفس والذهن منها غير رجع ضعيف . ومن هنا قرَّ فى أكثر النفوس أن الأسلوب إنما يطلق على الجانب اللفظي من الكلام ، حتى قال الأستاذ الرافعى طيب الله ذكره : « فصْل ما بين العالم والأديب ، أن العالم فكرة ، والأديب فكرة وأسلوبها » ففصل بين الفكرة والأسلوب ، واعترف بالأسلوب للأديب وأنكره للعالم . ولعلِّى أوفق إلى تصحيح هذا الرأى فيما يلى من هذا الحديث .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

(١) الرواسم جمع روسم وهو « الكليشيه »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

بلاء الناس بالناس — ملك الشط والفراتين — زيارة سياسية

بلاء الناس بالناس

تمرّ بنا لحظات كدر وغيظ لا يخلقها غير بلاء الناس بالناس ... نعم ، تمرّ بنا لحظات نحسد فيها سكان المناور والكهوف ، ونتمنى عيش العزلة إلى آخر الزمان

هذه الحرب صنعت ما صنعت بالأرزاق والأقوات ، ولم تترك بيتاً بلا متاعب معاشية ، فهل تأدب الناس وتذكروا أنهم يعيشون في أعوام حرب ؟ وهل تقع العيون على ناس تشهد ملابسهم بأنهم يعانون أزمات الحرب ؟

قيل إن المال كثر وفاض ، فعند مَن كثر المال وفاض ؟ لم يكثر إلا عند التجار . وكثرةُ المال عند التجار مفسدة معاشية لا يدرك خطرها إلا الأقلون ، وهي ناشئة عن بلاء الناس بالناس ... ولكن كيف ؟

الموظف المحدود الراتب ، والمالك المحدود الإيراد ، لا يريد هذا أو ذاك أن يقال إن حياته تعرضت لمتاعب الغلاء ، فهو كما كان يعيش في أيام الرخاء ، وإن كلفه ذلك غمّ القلب وهموم الديون

ما هذه الملابس الجديدة في زمن ليس فيه جديد غير دماء القتال ؟ وما هذه العطور والمساحيق والأزياء في أيام لا يتعطر فيها الجو بغير جثث المحاربين ؟

لو راعى الناس أنهم يعيشون في زمن حرب لخففوا من بعض المطالب لاعتدلت أسعار الحاجيات وانقشع كرب الغلاء ، ولكنهم لجهلهم يأبون الاعتراف بمكاره الحرب ، ويصرّون على الظهور بمظهر الوجاهة في كل مجتمع وفي كل ناد

هل عندك أبناء وبنات يتعلمون في المدارس ؟

لك الله ، إن كان هذا حالك ، فلن تستطيع أن تقنع ابنك أو بنتك بأن الدنيا في حرب وكرب ، لأن هذا الإقناع لن يتيسر إلا إذا عُقد مؤتمر من آباء التلاميذ يقررون فيه الاستغناء عن الفضول في الملابس والأزياء ، ولن يُعقد المؤتمر المنشود إلا إذا وُجد في آباء التلاميذ من يجرؤ على القول بأن أعوام الحرب صيرته خفيف الجيب !

وآه ثم آه من بلاء الناس بالناس !

قَدِم مندوب المتجر الفلاني إلى المدرسة الفلانية وأخذ مَقاس جميع التلميذات بدون استئذان ليعدّ لهن أثواب الصيف ، وهو موقن بأن لن يكون في مقدور تلميذة أن ترفض ثوبها « يوم الحساب » لئلا يقال إن أباها من الفقراء !

فما شأن المتجر الفلاني بالمدرسة الفلانية ؟

وما الذي يوجب أن تكون ملابس جميع التلميذات كأسنان المُشط في اللون والاستواء . وقد نوّع الله الوجوه والملامح أغرب التنويع ؟

أفي مثل هذه الأيام نعرف الفروق بين ملابس الصيف وملابس الشتاء ؟

كان الظن أن يعرف نظار وناظرات بعض المدارس أن في الآباء من لم يستفد من فرص الحرب ، كما استفاد من سيكونون طعام سَقَر من التجار المهومين

وكان الظن بالأغنياء الذين يدللون أبناءهم أن يتذكروا أن لأبنائهم رفاقاً لا يملكون من الترف ما يملكون ، وأن الأدب مع الله يفرض علينا أن نستر نِعم الله ، فلا نجاهر في كل لحظة بأننا أغنياء ، لنكدر عيش الفقراء

وآه ثم آه من بلاء الناس بالناس !

الظواهر لا تشغل الخلائق إلا حين يُحرَمون جمالَ المعاني والمفاضلة بين تلميذ وتلميذ في هذا العصر مفاضلةٌ بين ثوب وثوب ، وليست مفاضلة بين عقل وعقل ، ولهذا كثرت خيبة التلاميذ النجباء !

ما لي ولهذا الكلام المزعج ؟

هو كلامٌ ساقه جزعي من العجز عن ادخار درهم واحد في مدى شهرين ، بسبب الجو الذي يحيط بي وبأبنائي ، جوّ الزخرف الذي يحيا فيه الأصحاب والجيران

كنت أوصي تلاميذي في مصر وفي العراق بالادخار ، وكنت أقول لهم إن الادخار هو الذي منحني الفرصة لإتمام دراستي العالية في باريس ، بعد توفيق الله . واليوم يصعُب عليّ أن أوصي أبنائي بما كنت أوصي به تلاميذي . وكيف يسمع أبنائي ما أقول ومن حولهم خلائق تعجز عن تأديبها الزمان ؟

إن عدوى الترف سريعة الإيذاء ، فلنحترس من شرها كل الاحتراس

وكيف نحترس وليس فى الدنيا طفل يعرف أن أباه لا يبخل عليه بالترف إلا ليدّخر له ما ينفع فى الأيام المقبلات ؟

إن أبناءنا لا يريدون أن نطمئن على سلامتهم من الوجهة الروحية ، وإلا فكيف جاز أن تكثر رغبتهم فى الزخارف وتقل رغبتهم فى الحقائق ؟

عفا الله عنهم ، فهم ضحايا بلاء الناس بالناس !

إن حال الرجال من هذه الناحية مقبول ، فما أذكر أنى رأيت مدرساً أو مفتشاً يهتم بملابسه اهتماماً يوجب الاعتراض ، وإنما الحال المزعج هو حال بعض المدرسات والمفتشات ، حال الفساتين التى لا تجاوز الركبتين ، حال الزينة التى تنافى وقار التعليم ، وكان مهنة الأنبياء

وفى إحدى المدارس رأيت مدرّسة ضنت على نفسها بالزينة الزخرفية ، فزاد إيمانى بعظمة بلادى ، وأيقنت أن « ربة البيت » بخير وعافية ، وأن مصر فى أمان من طغيان الخسران

عندنا مدرّسات حقًّا وصدقاً ، مدرّسات يتحلين بالعلم لا بالزينة ، وبفضل أمثال هؤلاء المدرسات سنبلغ من تعليم البنات ما نريد

المدرسات المصريات فى هـذا العهد يجاهدن بصدق للتغلب على السخف الذى جلبه الجانب الضعيف من المدنية الغربية ، ويحاولن بصدق أن يكن مدرسات لا وصيفات

وقد صار من المألوف أن تجد مدرسات يقهرنك قهراً على بذل تحية التعظيم والتبجيل ، وهى تحية أكرم وأشرف من تحية الحسن المجلوب

وأرجو أن يفهم القارئ أن كلامى هذا لا يراد به الإيحاء ، فما هو إلا صدق فى صدق ، بعد ملاحظات ومشاهدات جعلتنى من المطمئنين إلى صحة ما أقول

وأنا مع هذا منزعج مما صرنا إليه فى مدارس البنات ومدارس البنين

هل عندنا مدرسة توصى تلاميذها بأن لا يكلفوا آباءهم ما لا يطاق ؟

هل عندنا مدرسة تفكر فى أن تكون من الأسندة للبيوت ؟

التلميذ لا ينجح بتفوّق إلا إذا أمدّته المقادير بالدروس الخصوصية ، فمتى نثق بكفاية الدروس المدرسية ؟

وما قيمة المدرس الذى لا يتفتح عقل تلميذه إلا إن خاطبه لسان إلى لسان ؛ بين أربعة جدران ؟

أعوذ بالله من بلاء الناس بالناس !

ملك الشط والفراتين فى ضيافة النيل

من مزايا مجلة « الرسالة » أنها تسكت عن الأشخاص ليكون التفاتها كله إلى المعانى ، وذلك هو السر فى عدم اهتمامها بالأخباريات المتصلة بالأشخاص

قلت لنفسى : ولكن فى الأشخاص من يكونون رموزاً للمعانى ، فما الذى يمنع من أن أقول على صفحات الرسالة : أهلاً وسهلاً ومرحباً بملك الشط والفراتين !

كانوا يسمونه الملك الطفل ، فسميته الملك الشبل ، جعله الله أكرم الأشبال !

و « ملك الشط والفراتين » لقب جميل صاغه شاعرنا شوقي فى القصيد الذى يغنيه محمد عبد الوهاب فى تحية فيصل الأول . والشط هو شط العرب ، والفراتان : دجلة والفرات ...

ولو كانت الأقدار سمحت بأن يزور شوقي ديار « الشط والفراتين » لجاد شعره بأطايب لا يجود بمثلها الخيال

وهل كان شوقى يشعر بقيمة المبدأ الذى رسمه حين جعل ملك العراق ملك الشط والفراتين ؟

ما أغرب ما سمعت فى بغداد سنة ١٩٣٨ !

سمعت أن العراقيين دعوا « الملك فيصل الأول » إلى الاحتفاظ بالموصل فى المؤتمر الذى عقدوه فى « الصُّليخ » ، فما الصليخ ؟ هو مكان فى ضواحى بغداد مرت به لحظة تاريخية . وقد زرته زيارة الطيف فى ليلة شاتية لأتنسم الجو الذى قيل فيه بحضرة فيصل الأول : إن العراق لا يستغنى عن الموصل بأى حال

ثم زرت الموصل الذى لا يجوز عنه الاستغناء فهالنى أن أرى روحانيات مختلفات ، وعز على أن يكون الموصل مما يدخل فى الحساب عند تقسيم المغانى ، مع أنه كان ولا يزال ولن يزال من صميم الأرومة العربية

وقد زرت الشط ، شط العرب ، بعد أن شهدت العراك الذى دار فى مجلس النواب العراقى حول معاهدة الحدود

وأصغيت بأذنىّ وبقلبى إلى الصوت الذى قال : من غفلة العرب أن ينسوا الأهواز ، مع أنها أحق بالعطف من فلسطين

لقد نفضتُ يدىّ من السياسة بعد أن آذتنى فى وطنى .
فكيف جاز أن ألتفت إلى السياسة يوم كنت ضيف العراق ؟

هى سياسة روحية تشبه السياسة التى تساور قلبى حين أزور دمياط وأرى المصرع الذى انتهى إليه « جامع الفتح » وهو المسجد الثانى فى مصر بعد مسجد عمرو بن العاص

دعوت سادن جامع الفتح مرة ومرات فما أجاب ؟ وأين السادن لمسجد لا تهتم به لجنة الآثار العربية ولا وزارة الأوقاف ؟

ليتنى صليت ركعتين على باب ذلك المسجد ، وليتنى تيممت بما على جدرانه من تراب !

لقد زرت فى دمياط مشاهد يجهلها الدكتور على مصطفى مشرفة ويجهلها الأستاذ عبده حسن الزيات ، زرت البلد الذى تحدثت عنه فى كتاب « التصوف الإسلامى » قبل أن أراه ، لأرفع عن عقلى بعض ما يثقله من أوزار الجهل !

وأين من يعرف حقيقة ما أرويه فى هذا الحديث ؟

دمياط صورة من البصرة والبصرة صورة من دمياط

الطريق إلى هاتين المدينتين محفوف بالنخيل، وكلتاهما ملتقى للماء العذب والماء الأجاج ، مع فروق أوجبها بُعد البصرة من دمياط ، وكلا البلدين ثَغرٌ مخوف ، فما يعيش العراق بدون أمان البصرة ، ولا تعيش مصر بدون أمان دمياط

هذه السياسة الروحية تزلزل روحى ، فلى فى كل بلد آلام وآمال ، وأنا أجول جولات روحية بكل ما أحب من البلاد فى كل مساء ، وكأننى أجول فى شارع فؤاد . وهل يوجد فى أية مدينة شارع له جاذبية شارع فؤاد ؟

بالرغم منى أن يكون حظى من المرور بذلك الشارع شبيهاً بمرور الطيف على ديار الأحباب

شارع فؤاد هو طريقى إلى الفوضية العراقية ، فهل سمح الوقت بأن أزور فخامة السيد جميل المدفعى وكان رئيس الوزراء حين كنت من الذين يتشرفون بخدمة العلم والأدب فى العراق ؟

المصرى الصادق فى خدمة وطنه لا يجد وقتاً لأداء حقوق المجاملات ، لأن الشواغل عندنا تفوق الوصف ، ولأن فى حياتنا متاعب لا يعانى مثلها أحد فى سائر البلاد العربية

إذا وفد إلى مصر زائرٌ كريم تلفت عساه يرى من يخفون لتحيته من المصريين ، ثم تكون النتيجة أن لا يرى غير آحاد من الذين تسمح أوقاتهم بتحية الضيوف ، فينصرف وهو متعجب من تهاون المصريين فى المجاملات الإخوانية

أقول هذا لأعتذر لفخامة السيد جميل المدفعى ، راجياً أن أراه فى فرصة قريبة بالقاهرة أو بغداد .

زيارة سياسية !

ضاق الوقت عن التشرف بمقابلة صاحب الجلالة فيصل الثانى ، وكنت أحب أن أعرف البواعث لزيارته الكريمة ، فقد سمعت ناساً يقولون إنها زيارة سياسية !

نعيش إن شاء الله ويعيش فيصل الثانى إلى أن يتولى السلطة الدستورية وتُصبَغ كل أسفاره بالصبغة السياسية .
أما زيارة اليوم فهى زيارة ملك ناشئ لا يرى غير الورود والرياحين

وأنا مع هذا موقن بأن زيارته لمصر زيارة سياسية ، فقد أبدع بروحه اللطيف جاذبية أخوية تزيد ما بين مصر والعراق من صلات

السياسة ليست مقصورة على النظر فى المنافع العاجلة أو الآجلة فى حيوات الشعوب ، فهناك سياسة أعظم وأرفع ، وهى سياسة الحب والوداد . والملك فيصل الثانى يسمع من أخبار مصر ما يسمع ، ويقرأ من مؤلفات رجالها ما يقرأ ، فكان من الواجب أن يراها بعينيه ليحس روحها بأوفى وأصدق ما يكون الإحساس

انتظروا قليلاً ، فسترون يوماً أن هذا الملك الناشئ دوّن فى مذكراته البسيطة أشياء ، فمن المؤكد أن صدره فاض بالجذل والارتياح والاغتباط حين رأى أن لغة العرب لها مدينة مثل القاهرة ، ومن المؤكد أنه اطمأن على مصير العروبة حين رأى أن اشتباك المصالح الدولية لم يزحزح القاهرة عن خطتها العربية

وهنا أقول إنه يجب على كل عربى أن يزور القاهرة وأن يرى ما فيها من المدارس والمعاهد والكليات

عاصمة مصر هى العاصمة الأولى فى الشرق ، وهى فى الحضارة والمدنية أعظم من استانبول ، وهى أبقى على الزمن من أخطار حوافر اليابان ، فقد نجانا الله من أهوال الزلازل والبراكين ، وأنعم على بلادنا بوفاء النيل ، وأعاننا على كبح ما فُطر عليه من الطغيان

ومصر التى هدت الإنسانية إلى حقائق لم يعرفها الغرب إلا بعد أجيال وأجيال ستظل على الدهر وطن الابتكار والابتداع فى أكثر الميادين . وهل نطق ناطق بحقيقة علمية أو أدبية أو فلسفية إلا وهو مَدين لآبائنا الأولين ؟

عنا أُخِذ الكفر وعنا أُخذ الإيمان ، فما كفر كافر ولا آمن مؤمن بدون أن يكون لنا فى عقله وقلبه ديون ثقال

ظاهرة جديدة فى الأزهر

أمثلة ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

ذكرت فى مقالى السابق أن « ظاهرة جديدة » قد ظهرت فى الأزهر . تلك الظاهرة هى أن أحاديث الإصلاح التى كانت حول الأزهر والأزهريين قد أصبحت الآن فى الأزهر وبين الأزهريين ، وانتقلت من ميدان الرسالة إلى ميادين أخرى فى مدرجات الكليات ومجالس الأساتذة ومكاتب الرؤساء ، وأنها لم تعد آمالا يُقتصر على ترديدها ، بل أهدافا يُرمى إليها ، ويقاس القرب والبعد من النجاح بمقياسها .

وقد استبشرت خيراً بهذه الظاهرة لأنها تدل على أن الأزهر قد تنبه واستفاق وأخذ يتساءل عن مصيره ، ولأنها تيسر التعاون المثمر بين الدعاة والمدعوين على تحقيق نهضته المرجوة ، وأخيراً لأنها صوت الشعب ، ولصوت الشعب فى الآذان دوىّ لا يستطيع أن يتجاهله المتجاهلون

استبشرت خيراً بهذه الظاهرة ، وأحببت أن أسجلها على صفحات الرسالة كما هو دأبى ، لأنى أعتبر « الرسالة » ويعتبرها المخلصون جميعاً مجلة الإصلاح الدينى والأزهرى ولسان الدعوة إلى إنهاض هذا الشرق وإحياء تراثه المجيد تراثِ الدولة الإسلامية إبان عظمتها وفى عنفوان شبابها ، ولأنى أحسب أن تاريخ هذا الجهاد الشريف سيلتمس يوماً ما من مجلداتها فلا ينبغى أن يغيب عنها شىء منه دقّ أو جلّ لتكون الصورة كاملة واضحة لا نقص فيها ولا غموض !

واليوم أذكر « أمثلة » لتلك الظاهرة التى وصفتُ . أمثلة يعرفها كثير من الناس فى الأزهر وفى غير الأزهر . ولست أقول : ماذا أذكر منها وماذا أدع ، لأنها لم تعد سراً تنطوى عليه الجوانح ، وتغلَّق دونه الأبواب ؛ ولكن أقول : ماذا أقدم منها وماذا أؤخر ؛ لأنها جميعاً أمثلة جديرة بأن تتقدم وبأن يلتفت الناس إليها ، ويتفهموا مغزاها ، ويدركوا عواقبها . وربما كان من الرأى أن ندع الآن جهود الطلاب ونشاطهم الذى لا يكل فى المناداة بتنفيذ خطة الإصلاح ، وما يعقدونه ويدعون إليه فى مدرجاتهم من اجتماعات أسبوعية يخطبون فيها ويتناظرون ، وما يكتبونه من رسائل مفعمة بحماسة الشباب وحرارة الإخلاص يتوجهون بها إلى أساتذتهم ورؤسائهم ، وما يبعثون من وفود إلى ولاة الأمور فى الحين بعد الحين ، لا هاتفة بالمال ، ولا ملتمسة الرزق ، ولكن هاتفة بالإصلاح راغبة فى العلم النافع الذى يصل الأزهر بالحياة . ربما كان من الأوفق أن نترك هذا ونحوه الآن ، وأن نلتمس ما نريد من الأمثلة فى محيط غير هذا المحيط ليعلم الناس أى مدى بلغته دعوة الإصلاح . وإنا لفاعلون :

***

(١) قالوا : إن طائفة من أبناء الأزهر المخلصين ، فيهم شيخ كبير يشغل منصباً هاماً من مناصب الدولة ، وله صلة وثيقة بالأزهر ، وفيهم وكيل لإحدي الكليات الأزهرية معروف بإخلاصه وغيرته وصداقته لفضيلة الأستاذ الأكبر ، وفيهم شاب مثقف بالثقافة الإنجليزية إلى جانب ثقافته الأزهرية — ضم هذه الطائفة مجلس مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، وكان مجلساً صافياً مباركا : فكروا فيه فى الأزهر ، وذكروا ما آلت إليه أحوال الدراسة وشئون العلم فى معاهده وكلياته وتخصصاته ، واستعادوا ذكريات ماضية ما زال الناس يذكرونها لفضيلة الأستاذ

وهل يعرف أحد كيف كفر المصريون فى طفولة التاريخ ؟

لقد فكروا فى محاربة السماء ، ليبددوا الوهم القائل بوجود السماء ، وأين السماء التى يقيم بها الله ، كما كان يقال ؟

مصر من صُنع الله ، والله لا يصنع غير الحقائق الأزلية ، وسيَشقى من يَشقى فى محاربة مصر ، ثم تبقى إلى الأبد وهى غرة فى جبين الوجود

ما أسعد من يرى مصر أول مرة وهو سليم القلب والوجدان !

إن رؤية مصر فى كل صباح وفى كل مساء وعلى طول السنين لم تزهّدنا فى مرآها الجميل ، فكيف تكون الانفعالات النفسية فى صدر من يراها لأول عهده بقلبها الخفاق ؟

وأنا مع هذا أعانى فى رحابك يا وطنى ما أعانى ، فمتى يخفّ شقائى بك وعتابى عليك ؟

أنا أطلب المستحيل إن طلبت فى رحابك الأمان كل الأمان ، لأنه حظ الأموات ، ونحن أحياء .

لك يا وطنى أن تبدع ما تبدع من تهاويل الحقائق والأباطيل ، وعلينا أن نجارى روحك المبدع فنكون من أقطاب الشعر والبيان .

زكى مبارك

الأكبر، وقيل لفضيلته فى هذا المجلس : إن الناس ينتظرون منه أن يعيد عهد المراغى الذى كان على رأس الأزهر فى سنة ١٩٢٨ . ينتظرون منه أن يعيد عهد المراغى القوى الجرىء الذى كان يكتسح العقاب، ولا يعبأ بالصعاب، ويغار على فكرته الإصلاحية ويدافع عنها دفاع الأسد المهصور . وقيل له فى هذا المجلس أيضاً : إن الناس لا يريدون منه أكثر من أن ينفذ مذكرته الإصلاحية الكبرى بالروح التى وضعها بها، بالقوة التى تمثلت فيها، بالصراحة التى تتجلى فى كل سطر من سطورها ! وأذن فضيلة الأستاذ الأكبر لهذه الكلمات المخلصة التى تفيض عن قلوب للأزهر والدين مخلصة . أذن لهذه الكلمات، وفتح لها قلبه، واستعاد ذكرى ماضيه المجيد الذى تشير إليه، ثم قطع على نفسه عهداً ليكونن كما يريدون فلا يأتى أول العام الدراسى « يريد فضيلته العام الماضى » حتى تبدو آثار ذلك لهم وللناس أجمعين !

وانطلقت البشرى بهذا الحديث فى مجالس الأزهريين وغير الأزهريين، وقرت به عيون واطمأنت إليه قلوب، وترقب الناس أول العام الدراسى متلهفين .

ولست أريد أن أعجل فأسأل : ماذا كان فى أول العام الدراسى ؟ وإنما أوثر الآن أن أستمر فى عرض المثل لهذه الظاهرة حتى لا أخرج عما رسمت لنفسى فى هذا المقال :

(٢) وقالوا أيضاً : إن طائفة من العلماء قد اجتمعت على سبيل المصادفة فى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر، وكانت هذه الطائفة تضم بعض ذوى المناصب فى الأزهر، وكان اجتماعها قبل ظهور فكرة الاحتفال بالعيد الألفى بزمن يسير، وجرى الحديث فى شئون مختلفة ونواح شتى، ثم جرى حول الأزهر وحالة الدراسة فى كلياته ومعاهده فأشار فضيلة الأستاذ الأكبر بأن يتناظر اثنان عيَّنهما فى هذا الموضوع : « هل الأزهر القديم خير أو الأزهر الحديث ؟ » فقال أحدهما : ينبغى أولاً أن نحرر على طريقة الأزهريين موضع النقاش فى هذه المناظرة، فنعرف من أين يبدأ الأزهر الحديث ؟ أيبدأ بعهد الإمام الأول المغفور له الشيخ محمد عبده، أم يبدأ بعهد الإمام الثانى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ؟ فإن كانت الأولى فالأزهر الحديث خير من الأزهر القديم، وإن كانت الأخرى فإلى أن يخرِّج الأزهر الحديث أمثال المراغى وعبد المجيد سليم ومن إليهما يظل الأزهر القديم خيراً من الأزهر الحديث !

ووافقه صاحبه على هذا الرأى . فأما فضيلة الأستاذ الأكبر فلم يفته، وهو الرجل الذكى الألمعى، ما تقصد إليه هذه الإشارة فقال : لقد مضى على الأزهر ألف عام كان فيها بين التقدم والتأخر، وتقلبت عليه فيها نظم كثيرة، فإذا كانت الأعوام العشرة الأخيرة ليست من أعوام النجاح فى تاريخه الطويل فهى أعوام تجربة، فأسقطوها من حساب هذا التاريخ، واعتبروها كذلك، وانظروا فى تعديل هذا النظام على وجه تصلح به شئون الأزهر . قال قائلهم : لا . ليس السر فيما يشكو منه الناس راجعاً إلى النظام، فإن النظام فى ذاته صالح وليس فيه عيب جوهرى، ولكن هذا النظام لم ينل حظه من التنفيذ كما ينبغى أن ينال . وهذا هو السر فى أنه لم يثمر ثمراته التى كان الناس يرجونها منه . قال فضيلة الأستاذ الأكبر: نعم هذا صحيح!

ولا شك أن هذين المثالين يدلان على ما عنيت بوصفه من تلك الظاهرة الجديدة التى بدت فى الأزهر، وفى استطاعتى أن أمثل بكثير من نوعهما، مما يدور فى المجالس الخاصة، ويتناقل الناس الأحاديث عنه، ولكنى أورد مثالاً ثالثاً هو أجلى فى بيان تلك الظاهرة وأدنى أن يعد من آثارها :

(٣) ذلك أن رجلاً مسئولاً من رجال الأزهر هو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء دعا فى يوم من أيام شهر فبراير الماضى إلى محاضرة يلقيها فى دار كلية الشريعة موضوعها « السياسة التوجيهية العلمية فى الأزهر » ولست أريد الآن أن ألخص للرسالة هذه المحاضرة، ولا أن أنقل شيئاً منها، ولكنى أريد أن أصف للقراء كيف أقبل الناس على سماع هذه المحاضرة وكيف استقبلوها عند ما سمعوها، ليعلموا أن عيون الأزهريين قد أصبحت متطلعة، وأن آذانهم قد أصبحت مصغية، وأن نفوسهم قد أصبحت مستعدة .

فأما إقبال الناس على هذه المحاضرة فقد كان رائعاً : إنه لم يكد عنوانها ينشر على الناس مقترناً باسم صاحبها حتى جعلوا يتساءلون : ما ذا عساه يقول فى هذا الموضوع . وكيف يذكر حقائقه، ويعرض للناس وقائعه ؟ تساءلوا عن ذلك لأن العنوان وما عرف به صاحب المحاضرة من حب للصراحة وجهر بالحق قد أثار فى نفوسهم معانى شتى هم بها يشعرون . ولبوا دعوة الداعى خفافاً سراعاً حتى بلغت عدتهم قريباً من أربعة آلاف بين علماء وطلاب، واكتظت بهم مدرجات الكلية وحجراتها

وأفنيتها، واستمعين على إسماعهم بمكبرات الصوت التي بثت في نواحيها، وكان فيهم صفوة من الأزهريين الذين يشغلون المناصب في الإدارة العامة وفي الكليات وفي غيرهما ، وألقى فضيلة الأستاذ الكبير محاضرته فكان يقاطع بالتصفيق الحاد والهتاف المدوى في أثنائها .

ولما انتهى منها هنأه فضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية على ما وفق إليه من وصف حالة الأزهر العلمية وسياسته التوجيهية ، وعانقه فضيلة الأستاذ الكبير وكيل مشيخة الأزهر مقبلاً إياه بين عينيه على ملأ من الناس أجمعين ، وعلا التصفيق والهتاف لهذا المظهر الرائع ، وأبى الطلاب إلا أن يحملوا فضيلة المحاضر على أعناقهم إلى فناء الكلية فتم لهم ما أرادوا ، وكان يوماً في الأزهر عظيما !

ولكن ماهى هذه المحاضرة التى استقبلها الأزهر : شيوخه ورؤساؤه وطلابه هذا الاستقبال العظيم ؟ وماذا قال فيها صاحبها حتى ملك هذه القلوب جميعاً ؟ سؤال تسألونه أيها القراء الكرام وحق لكم أن تسألوه . ولتعلمن نبأه بعد حين .

محمد محمد المدني

وعصفور من الشرق أيضا ...

للأستاذ دريني خشبة

لو لم يتعمد الأستاذ صاحب الرسالة فيضع هذه التحية الرقيقة التى بعث بها الأستاذ الجليل محمد كامل سليم بك إلى الأستاذ الحكيم قبالة أولى مقالاتى عن « قضية اليوم » ، ولو لا ما جاء فى هذه الكلمة من نفى عداوة الأستاذ الحكيم للمرأة ... لو لا ذلك كله لآثرت إغلاق هذا الباب الذى اضطرنى إلى كثير من القسوة والمرارة فى التعبير ، وإن كنت على حق كل الحق فى جميع ما ذهبت إليه ، وما أيدته بكلمات الأستاذ الحكيم نفسه مما لا يعقل أن ينكره أو يمارى فيه . فقد أثبت من صميم شهرزاد للأستاذ الحكيم — وذلك فى المقال الثانى — أنه عدو للمرأة فى كل زمان ومكان ما فى ذلك شك ، وأثبت أنه ينظر إليها نظرة تسفل دائماً ولا تعلو أبداً ، ويعدها مصدراً للشرور التى تحيق بالعالم وتجعله جحيماً لا يطاق ، وسواء أعاملها الإنسان كما عاملها شهريار الأول الذى قتل زوجه ورجم روحها بأرواح العذارى البريئات من بعدها ، أوعاملها شهريار الثانى (الديوث !) من الصفح عن أوزارها ، أو النفض عما تأتى وما تدع من تلك الأوزار ، فالمرأة هى المرأة فى الحالين فى نظر الأستاذ الحكيم ، وهذا هو رأيه فيها ، الذى أبده فى « القصر المسحور » وادعى التوبة منه ، والأنابة مما ذهب بصدده إليه ... لكن الأستاذ كامل سليم نفى عنه تلك المداواة للمرأة ، وبرأه من الموجدة عليها « كما يزعم الزاعمون » بل ذهب إلى أبعد من هذا ، فاتهم الأستاذ الحكيم بأنه « صديق المرأة والمنافح عنها ! » وقال ذلك بعد أن فرغ من قراءة « عصفور من الشرق » التى لم أكن أن أتعرّض لها بخير ولا بشر لمَا كنت أوثر أن أحصر فيه موضوع « قضية اليوم » وقصرها على ما يتصل بشهرزاد وبأحلام شهرزاد ... ولكن ما الحيلة ، وقد حدثنى الأستاذ الزيات قبل نشر المقالين فلمّح فى حديثه إلى أنه متعمد أن يضعهما جنباً إلى جنب مبالغة منه فى تأكيد ما للرسالة من حرية فى النشر أو حرية فى الرأى أو حرية فى النقد ... لست أدرى أى الحريات الثلاث أراد ، ولعله قد أرادها جميعاً

وبعد ، فما هى قصة عصفور من الشرق ؟ وهل تؤكد تلك القصة شخصية الأستاذ الحكيم التى تظهر جلية فى أكثر قصصه ، خصوصاً مسرحية « شهرزاد » ؟ وسؤال ثالث : هل الأستاذ الحكيم فى تلك القصة عدو للمرأة كدأبه أم هو صديق للمرأة كما يتهمه الأستاذ الجليل كامل سليم بك ؟

١ — اما قصة عصفور من الشرق فتتلخص فى أن الطالب الشاب « محسن » كان ينشدو العلم فى باريس ، وأنه كان يسكن مع جماعة باريسية لاحظت عليه ما يلاحظ عادة على المغرم المبتدئ « ولا سيما إن كان شرقيًّا » من شرود وانقباض وقلق ، فإذا عرفت منه أنه يحب شجعته وعلمته أن باريس لا تعرف التردد فى الحب وأن قارورة من العطر أو باقة من الزهر تكفى لغزو قلب أية باريسية .

٢ — أما من هى التى شنفت أخانا محسناً حبا ، فهى « جابية أو محصلة ، أو عاملة » أو ما شئت فسمها ، من عاملات دور الصور ، كان الفتى محسن يهواها ، بل يتعبدها ، وكان منصرفاً ، مذ أحبها ، عن كتبه ، بل عن مدرسته ، لا يبرح واقفاً بالقرب من الشباك الذي تعمل فيه حتى تفرغ من عملها ، فإذا قال لها

« عمى مساء يا آنسة » ردت عليه التحية بإغلاق الشباك فى وجهه ... ثم ما زال يترصدها حتى يعرف مسكنها فيهجر مسكنه ويأوى إلى الفندق الذى تسكنه سوزى — وهذا هو اسمها — وتكون غرفته فوق غرفتها ... أما أول التعارف فقد كان « خبطة عشواء ! » إذ ادعى السيد محسن الإفلاس فكان أن أدّت عنه سوزى حسابه للغسّالة ... ولا ندرى كيف دفعته وهى لا تعرفه ... يُسأل عن هذا فن الأستاذ الحكيم ... أما كيف رد الثمن فقد أهدى إليها ببغاء وضعه فى قفص ـ لعله من جريد لا من ذهب ، وعلقه فى حبل ثم دلاه من نافذته إلى نافذتها ـ فكان تعارف وكان شكر ... وكان حب . وكانت سهرات وكان (أنس) ... وكان لا يصحو الأخ العزيز (العاشق الشرقى) محسن إلا على رنين قبلات سوزى ، وربما كان لا ينام إلا على رنين قبلاتها كذلك ... وكانت مقابلات يُضَرِّجها دم الغيرة الشرقية إذا تأخرت سوزى عن ميعادها ... وإنهما لفى مطعم يوماً ينعمان ويأكلان ويشربان ويعبثان ، إذا شاب يدخل فجأة فتذهل سوزى ، وتكاد الأرض تسوخ من تحتها ، وإذا سر قلبها يطفر فجأة من عينيها ... وإذا العاشق الشرقي يعرف كل شىء ... إنه ليس وحده فى هذا القلب المزدحم ! إنه طفيلي ... لقد ركع فى محراب هذا القلب عشاق معاميد من قبل

هذه هى القصة ، لا ينقصها إلا خطابان أحدهما من محسن ، والآخر رد من سوزى عليه . وإليك الآن هذه المقتطفات :

١ — نظر محسن إلى سوزى مرة فسألته :

— لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

— أصبت ، أرى الآن أنى على خطأ ، ما الذى يعنينى من أمر حياتك أنت ؟ ما أنت إلا « حلم » يحيا فيه ... الآخرون ...

— ومن هم الآخرون ؟

قالتها فى ابتسامة ذات معنى ، وأناملها تعبث بصفحات كتاب ...

٢ — ولما فاز محسن بالوصول إلى فتاته وأخبر صديقه الفرنسى (أندريه) بذلك ، ابتسم الفرنسى وقال له :

— أرأيت أنها فتاة ككل الفتيات ، وعاملة كآلاف العاملات ؟ تلك التى أسكنتها قصراً من قصور ألف ليلة وليلة ، وجعلتها تنظر من عليائها إلى مواكب الناس المتدفقة تحت شباكها . آه أيها الصديق ، اقتنعت الآن أن الأمر أقل خطراً مما كنت تتصور ، وأن وقوع امرأة بين ذراعيك مسألة بسيطة لا تحتاج إلى كل هذا الوقت ، ولا إلى كل هذه الخيالات والتأملات ؟ .

فأحس الفتى إحساس من يهوى إلى الأرض ، وكأن قيم الأشياء فى نظره قد تضاءلت ، وكأن الحياة نفسها قد تجردت من غطائها فبدت كتمثال مصبوب من السخف . وشعر محسن بفراغ فى مادة نفسه لا يدرى بعد اليوم ماذا يملؤه . .

(حدث هذا والحب فى إبانه قبل أن يقع ما فصل بينهما)

٣ — وانظر إلى هذه الروح المتجهمة في العبارة التالية :

التفاحة هى التفاحة ، ولكنها تفاحة أرض جديدة ! تفاحة الأرض ... حلوة لكن داخلها الدود ! (والعياذ بالله !)

٤ — ويقول بعد ذلك فى الصحيفة نفسها :

« ولم يكن محسن يطيق إبطاء سوزى خمس دقائق عن موعدها ، ولم يكن يحتمل رؤيتها تبتسم لأحد معارفها وهى تحنى رأسها بالتحية ، ولم يعد يرى صورتها فى أحلامه ممتزجة بأنغام الأنترمتزو — و — رقصة الفراندول ، ولكنه يراها فى نومه تعانق رئيسها هنرى الذى عرف منها بعض أخباره ، أو يراها تقبل شاباً زنجياً تلك القبلات الملتهبة ، فينهض منزعجاً مضطرباً يود لو يمزق جسدها بأسنانه ! ! »

فهل رأيت إلى شهريار الدموى كيف ينتبه فى أعماق محسن ؟ ومحسن هنا هو الأخ الكريم الأستاذ توفيق كما لا يخفي ... توفيق الشاك الذى تملأ رأسه أشباح العبيد والزنوج وقبلاتهم الملتهبة ، وغدر شهرزاد التى لا تشبع من عبدها ولا تريد أن تشبع منه ... وهل رأيت كيف ينهض شبحه « محسن » منزعجاً مضطرباً يود لو يمزق جسد سوزى بأسنانه ؟ !

٥ — وقصة الملكة سميراميس التى هى صورة فاجرة من صور شهرزاد الآثمة التى تخيلها الأستاذ الحكيم : « يوم دعت أسيرها إلى ليلة من ليالى النعيم ، مهدت فيها الفرش ، وأقيمت الموائد ... وتلاقت الشفاه ... إلى أن لاح الصباح ، فتغير وجه الملكة الجميل ، ووضع الأسير فى الأغلال ، ومشى به إلى الموت ، وهو ذاهل ما زالت فى رأسه بقية من نشوة الليل ... » ... ، ولكن ملكات العصر الحديث يفعلن بأسراهن غير ذلك . كل شىء عندهن مستتر مقنَّع « فهى » تضع على وجهها ذلك القناع الحريري الأسود الذى يلبس فى المساخر ... إلى آخر المهزلة ... ...

٦ — ثم إليك هـذه النفس السوداء المريضة المتشائمة :
« ... لا ينبغي أن نبني شيئاً جيلاً فوق هـذه الأرض !! هذه الأرض المتغيرة المتحركة برمالها ومائها وهوائها !! »

ويرى بعد ذلك أن يكون البشر جميعاً في كل زمان ومكان زهّاداً كزُهّاد الهنود ، زهاداً مضموفين مسلولين لا يذوقون إلا حبات من الأرز كي تصفو نفوسهم وترتفع إلى الملأ الأعلى ... يريد أن يكون الناس كلهم — أو المصريون على الأقل — من « مقاطيع السيدة زينب » ! لأن مقاطيع « الست » وحدهم هم المتصلون بالسماء ... والفضل في ذلك لروح الزهد والتقشف والفول « النابت !! »

ولن يصغي شرق واحد إلى الأستاذ الحكيم ؛ فقد شبع الشرق من الفقر وما جرته عليه فلسفة الفقر والقناعة والتقشف من قبول الذل والخنوع وموت روح المقاومة التي لا توجد إلا في الأقوياء بدناً وروحاً في وقت معاً ... وديننا الحنيف هو دين القوة الذي لا يعرف الرهبانية ولا التصوف الهندي الذميم ، وهو الدين الذي أحل لنا مناعم الحياة حلالاً طيباً ، وفرض الإفطار على الصائم المحارب كما حرم الجوع الذي يضر الجسم ، وقام على محاربة الفقر بإطعام الطعام على حب الله من أوسط ما يَطْعَمَ الناس وبالزكاة والتعاون المنظم الذي يمحق الفاقة ، ولا يأذن لمقطوع واحد من « مقاطيع » الست الطاهرة بالوجود في هذا الوجود ! . وأما قول المسيح عليه السلام : « ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله » فقد قصد به ما قصد إليه الرسول الكريم حين قال : « اللّهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمرة المساكين » فقد قصد المسيح أن يحض الأغنياء على عمل الخير ، كما قصد الرسول أن يخفف ألم الفقر في نفوس الفقراء — وليس يعقل أن الرسولين الكريمين كانا يريدان انتشار الفقر في العالم وتحكم الفاقة في الوجود

٧ — أما هذه الثورة على أوربا ، التي هي جميلة رشيقة ذكية ، لكنها خفيفة أنانية لا يعنيها إلا نفسها واستعبادها غيرها ، فهي ثورة أحدثتها في نفس محسن النكسة التي جرها عليه غرامه الخائب ، فلو أنه نجح في هـذا الحب ، لكانت أوربا في نظره شيئاً آخر

٨ — ولست أدري ما هذا الذي ازلق إليه الأستاذ الحكيم — في معرض الطعن على أوربا — من القذف في حضارتها ، وفي ضرورة ما تراه أوربا من وجوب نشر التعليم ومحاربة الأمية والإزراء على الديمقراطية ؟ ما هـذا ؟ أيريد أن يظل جمهور العالم جاهلاً لا يقرأ ولا يكتب ؟ أيريد لهذا الجمهور أن يظل مسكيناً ذليلاً مستعبداً ؟ أيريد أن يقوم الطغاة في كل فج يسيمون الجماهير سوء العذاب مما نرى أثره في ألمانيا وإيطاليا واليابان ؟

ولكن ، لا علينا من ذلك فليس من أجله كتبنا هذا المقال فهذه المقتطفات التي أثبتناها هنا تدل على أن الأستاذ الحكيم هو في « عصفور من الشرق » كما كان في « شهرزاد » من حيث رأيه في المرأة ومن حيث عداوته لها ... ومن حيث أنها ملك مشاع للجميع ، ويكذب من يقول بوفائها وعفافها وإخلاصها لرجل بعينه وإن يكن هذا الرجل هو زوجها ؛ فهي حلم يحيا فيه الآخرون ... وأن وقوعها بين ذراعي أي إنسان مسئلة بسيطة لا تحتاج إلى وقت وخيالات وتأملات وأن التفاحة هي التفاحة ... تفاحة أرض جديدة ... تفاحة الأرض ... حلوة ... ولكن داخلها الدود ، وأن شخصية شهريار الدموي الفظيع الناقم كانت دائماً تتقمص روح الحكيم كلما أبطأت عليه حبيبته فيراها فيما يرى النائم وهي تقبل شابا زنجياً تلك القبلات الملتهبة فينهض منزعجاً مضطربا يود لو يمزق جسدها بأسنانه ... ولست أدري إن لم يكن مؤلف شهرزاد هو نفسه مؤلف عصفور من الشرق قلباً وقالباً كما يقولون فلماذا ساورته أشباح العبيد الغلاظ والزنوج الذين يقبلون تلك القبلات الملتهبة وهو كان يحب في باريس ... باريس اللعوب المفتان ... ولم يكن يحب في جزائر واق الواق ولا في بلاد نيام نيام ولا بين قبائل الشيلوك والدنكا ... إن لم يكن توفيق الحكيم مع سوزى في باريس هو توفيق الحكيم مع شهرزاد في بغداد ، أو في فارس أو الهند لست أدري ، فلماذا ذكر هذا الزنجي الذي لم تكن تؤثر عليه شهرزاد أحداً ، وكانت لا تشبع منه ولا تريد أن تشبع منه ، وكانت تريده أسود غليظاً ... ولماذا كان ينهض من نومه منزعجاً مضطرباً يود لو يمزق جسد سوزى الجميل الغض بأسنانه (والعياذ بالله !) إن هذه خبيئة من خبيئات العقل الباطن برزت في غفلة من غفلات وعي توفيق الحكيم ففضحت رأيه في المرأة ، وأكدت مذهبه فيها على صفحات عصفور من الشرق ، كما تأكد هذا المذهب في شهرزاد من قبل ... وما هذا الذي ربط بين الحلم الذي يحيا فيه الآخرون ، وبين سهولة وقوع أية امرأة بين ذراعي

حانة الشــــعراء

للأستاذ علي محمود طه

[من ديوانه الجديد « زهر وخمر » وقد صدر اليوم]

هِيَ حَانَةٌ شَتَّى عَجَائِبُهَا … مَعْرُوشَةٌ بالزَّهْرِ وَالقَصَبِ

فى ظُلَّةٍ بَاتَتْ تُدَاعِبُهَا … أنفَاسُ لَيْلٍ مُقْمِرُ السُّحُبِ

وَزَهَتْ بِمِصْبَاحٍ جَوَانِبُهَا … صَافِى الزُّجَاجَةِ رَاقِصِ اللَّهَبِ

بَاخُوسُ فِيهَا وهو صَاحِبُهَا … لم يَخْلُ حِينَ أَفَاقَ مِنْ عَجَبِ

قَدْ ظَنَّهَا ، وَالسِّحْرُ قَالَبُهَا ، … شِيدَتْ مِنَ اليَاقُوتِ وَالذَّهَبِ

* * *

إِبْرِيقُهُ حَـلْىٌ مِنَ الدُّرَرِ … يُزْهَى به قَدَحٌ مِنَ المَاسِ

وَكأَنَّ مَا حَوْلَيْهِ مِنْ صُوَرِ … مُتَحَرِّكَاتٌ ذَاتُ أَنفَاسِ

تَرَكَتْ مَوَاضِعَهَا مِنَ الأُطُرِ … وَمَضَتْ لَهُ فى شِبْهِ أَعْرَاسِ

مِنْهُنَّ عَازِفَةٌ عَلَى وَتَرِ … مُتَفَجِّرٍ بِأَرَقِّ إِحْسَاسِ

وَغَرِيرَةٌ حَوْرَاءُ كالقَمَرِ … تَحْنُو عَلَى شَفَتَيْهِ بِالْكَاسِ

* * *

أَوَ تِلْكَ حَانَتُهُ ؟ فَوَاعَجَبَا ! … أَمْ صُنْعُ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءٍ ؟

وَمَنِ الْخَيَالُ أَهَلَّ وَاقْتَرَبَا … « ڤينُوس » خَارِجَةً من الماءِ !

فى مَوْكِبٍ يَتَمَثَّلُ الطَّرَبَا … وَيَمِيلُ من سِحْرٍ وَإِغْرَاءِ

وَبكلِّ نَاحِيَةٍ فَتًى وَثَبَا … مُتَعَلِّقًا بِذِرَاعِ حَسْنَاءِ

يَتَوَهَّجُونَ صَبَابَةً وَصِبَا … يَتَمَثَّلُونَ غَرِيبَ أَزْيَاءِ

* * *

حُمْرُ الثِّيَابِ تَخَالُ أَنَّهُمُو … يَفِدُونَ مِنْ حَانُوتِ قَصَّابِ !

جَلَسُوا نَشَاوَى مِثْلَمَا قَدِمُوا … يَتَرَقَّبُونَ مَنَافِذَ البَـابِ

يَتَهَامَسُونَ وَهَمْسُهُمْ نَغَمُ … يَسْرِى عَلَى رَنَّاتِ أَكْوَابِ

إِنْ تَسْأَلِ الخَمَّارَ قَالَ هُمُو … عُشَّاقُ فَنٍّ أَهْلُ آدَابِ

لولا دُخَانُ التَّبْغِ خِلْتَهُمُو … أَنْصَافَ آلِهَةٍ وَأَرْبَابِ

* * *

وَتَلَفَّتُوا لمَّا بَدَا شَبَحُ ! … فَتَّانَةٌ دَلَفَتْ من البَابِ

سَمْرَاءُ بالأَزْهَارِ تَتَّشِحُ … أَلْقَتْ غِلَالَتَهَا بِإِعْجَابِ

وَمَشَتْ تُرَاقِصُهُمْ فما لَمَحُوا … إِلَّا خُطَى رُوحٍ وَأَعْصَابِ

وَسَرَى بِسِرٍّ رَحِيقِهِ القَدَحُ … فى صَوتِ شَاجِى اللَّحْنِ مِطْرَابِ

وَشَدَا بِجَوِّ الحَانَةِ الفَرَحُ … لِإِلَهَةٍ فَرَّتْ من الغَابِ

* * *

هِيَ رَقْصَةٌ وَكَأَنَّهَا حُلُمُ … وَإِذَا « بڤينوسٍ » تَمُدُّ يَدَا

أَلْكَأْسُ فيها وهى تَضْطَرِمُ … قَلْبٌ يَهُزُّ نِدَاؤُهُ الأَبَدَا :

زِنْجِيَّةٌ فى الفَنِّ تَحْتَكِمُ ؟ … قَدْ ضَاعَ فَنُّ الخَالِدِينَ سُدَى !

فَأَجَابَتِ السَّمْرَاءُ تَبْتَسِمُ : … أَلْفَنُّ رُوحًا كان ؟ أَمْ جَسَدَا ؟

يَا أَيُّهَا الشُّعَرَاءُ وَيْحَكُمُ … أَللَّيْلُ وَلَّى وَالنَّهَارُ بَدَا !

علي محمود طه

أى إنسان ، وبين تفاحة الأرض الحلوة التى داخلها الدود ، وبين الحلم الذى يرى فيه الحكيم فتاته مستسلمة لزنجى أسود يقبلها تلك القبلات الملتهبة ، وبين نهوضه من النوم مضطرباً منزعجاً يود لو يمزقها بأسنانه ، ... ما هذا الذى يربط تلك الصورة كلها بصورة سميراميس الملكة الفاجرة التى أرادت أن تبالغ فى انتقامها من أحد أسراها المولعين بحبها فدعته إلى ليلة ناعمة راقصة ، ومنحتة من نفسها وعرضها ما لا يقدر على وصفه إلا ... الأخ المسكين البائس ... محسن ! ... على أن يصبح فيتسلمه الجلاد بأمر الملكة ليضرب عنقه ؟ ! ما هذا الذى يربط تلك الصور كلها ، وهى مفرقة على الكتاب ، متباعدة عن بعضها فيه ، موزعة على مشاهد القصة وفصولها من قبل أن يفضح محسن غش سوزى وخداعها إلى أن وقف منها على ذلك السر المهول ! ؟

وبعد ... فهل الأستاذ توفيق الحكيم بعد ذلك كله صديق المرأة وليس عدوها — كما يزعم الزاعمون — على حد تعبير الأستاذ الجليل كامل سليم بك ؟ !

دريني خشبة

سليمان الحكيم

لتوفيق الحكيم!

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

يلتقى الصياد الساذج القانع الطيب القلب بالعفريت الطامح المتمرد العاصى « داهش بن الدمرياط » حين يجذب شبكته أول مرة فتخرج حماراً ميتاً ، ويجذبها ثانى مرة فتخرج زيراً مملوءاً بالرمل ، ويجذبها ثالث مرة فتخرج أحجاراً وقوارير . حتى إذا طلب من الله أن يرزقه من فضله فى الرابعة خرج له قمقم نحاسى مختوم بخاتم سليمان ، وفيه هـذا العفريت الملعون الذى حبس فى هـذا القمقم جزاء عصيانه أمر الملك وإبائه أن يذهب لجلب الأرز وخشب السرو لبناء بيت الرب ، لأنه عفريت طموح مهيأ لأكبر من هذه الأعمال التافهة !

ويهم العفريت بقتل الصياد الذى أنقذه لأنه كان قد نذر أن يقتل من يخرجه فى هذه اللحظة (وهنا ينسج المؤلف الخيط الأول فى شخصية العفريت) لولا أن يحضر سليمان وجنوده فيرجو العفريت الصياد فى أن يعيده إلى القمقم وأن يستشفع له عند الملك ، ويستنجد العفريت بشرف الصياد فلا يجد هذا مفراً من القبول (وهنا ينسج الخيط الأول فى شخصية الصياد)

ويقبل سليمان الشفاعة على شرط أن يكون الجنى محسوباً على الصياد بخيره وشره ، وأن يعدهما شخصاً واحداً أمامه فى السراء والضراء (ومن الصياد الطيب والعفريت الشقى يتألف الإنسان) . ويقبل الصياد — وأمره لله — ولكنه يختار أن يكون مع عفريته فى خدمة النبى سليمان ! (وتلك أول بذرة من بذور الحكمة فى نفسه)

ويسمع سليمان من الهدهد الغائب (حسب رواية القرآن) عن ملكة سبأ وعظمة ملكها وعن جمالها أيضاً . ويكون حاضر هذا الحديث صادوق الكاهن وآصف الوزير . فأما صادوق فمشغول بالسؤال عن معبود الملكة وقومها ، وأما آصف فمشغول بالسؤال عن عرشها وملكها ، وأما سليمان فمشغول بهذا كله ، ولكنه مهتم كل الاهتمام بما يسمع عن الملكة الجميلة (وهنا ينسج الخيط الأول فى هذه الشخصيات الثلاث . ويمهد للصراع الذى ينتظر قلب سليمان) !

ويعمل سليمان على استزارة الملكة فتسير القصة حسب نصوص القرآن تقريباً ، من إرسال الهدهد إليها وإرسالها هدية لسليمان ترد إليها ، ومن التشاور بين الملكة ورجالها . وفى هـذا التشاور يدور حوار طريف لا نستطيع أن ننقله هنا . ولكنه يصور طبيعة المرأة وأحاسيسها الخفية ووسائلها الغامضة ، ويصور طبيعة الوزير السياسى ، وطبيعة القائد الحربى فى بضع كلمات (وتلك براعة توفيق الحكيم فى الحوار . وهى براعة تفوّق وتفرّد فى هذا المجال . فما هى إلا لفظة من هنا ولفظة من هناك ، وجملة عابرة هكذا ، وجملة خاطفة كذلك . حتى تستوى القضية التى يريدها أو الشخصية التى يرسمها ، كأنما مستها عصا ساحر فانتفضت من بين الركام . فهو من هذه الناحية متفوّق ومتفرد حتى اليوم بلا جدال .)

ونعلم هنا أن للملكة أميراً أسيراً هو « منذر » . وإنها لشغوفة به حباً ، وإنها لتوارى هذا الحب عنه فى مشقة وعسر لتمترف به متهالكة ناسية كل أبهة الملك أمام جاريتها « شهباء » وإنه هو لشغوف حبا بشهباء ، وإنه لا يعبأ بقلب الملكة الآسرة . وإن شهباء لتبادله هذا الحب فى الخفاء ، ولا تظهره له ولا للملكة على السواء !

فإذا ما جاءها رسول سليمان ، وإذا ماردت إليها هديتها ، أدركت بغريزة المرأة التى تشم من بعيد أن سليمان لا يبغى ملكها ولا ثروتها إنما يريدها هى لذاتها . فتنتمش لهذا وتنشط وتحس أنه رد عليها شيئاً من كبريائها المحطمة مع الأمير الأسير فتجيب الدعوة . ولكنها تحب أسيرها ولا تستطيع فراقه ، فهى تحتال عليه لتأخذه معها فى رحلتها .

ونلمح هنا بين ما يشبه الضباب — أو بين السطور — غريزة المرأة ، التى تحب ويمتلىء قلبها بمن تحب ، ولكنها ترحب بكل لفتة من قلب رجل ! ونلمح أغراضاً شتى متداخلة مبهمة فى نفسها من استصحاب أسيرها معها . أهى تفعل هـذا لأنها لا تصبر على فراقه ؟ أهى تفعله لترى حبيبها المعرض كيف يعجب بها سليمان العظيم فتوقظ إعجابه هو بها وتثير فى نفسه الغيرة عليها ؟ أم إنها تريد أن تقول لسليمان : إنك لست المعجب

الوحيد فلى أيضاً حبيب ؟! أم تريد أن تصد سليمان عنها مع تمتعها بإعجابه بها ؟ ... إلى آخر هذه الاحتمالات ؟

كل ذلك نستطيع أن نلمحه وراء ستار من الضباب أو من السطور والكلمات . وتلك مقدرة من مقدرات الحوار .

وتقدم الملكة على سليمان فى موكبها المظيم ، فيحس قلبه من بعيد بما هنالك (وهنا تشترك الأسطورة والنبوة والغريزة فى رسم الصورة وتقريب الإحساس) وعندئذ يبدأ فى محاولة بهرها ولفت نظرها بخوارق الأمور ؛ فيطلب استحضار عرشها من بلاد سبأ . ويتبارى فى ذلك أتباعه . وعندئذ تعرض الفرصة للجنىّ «داهش» صاحب الصياد ليأتى بالعظائم ويلبى الطموح ، فيعرض أن يأتى به فى غمضة عين أو يقتل هو والصياد ! ويعارض الصياد بطبيعة الحال ، ولكن طموح الجنى ورغبة سليمان يغلبان . وينجح « داهش » فيظهر الصياد الساذج مشاركا فى النجاح ، وترتسم للصياد صورة فيها كثير من الدعابة والفكاهة تلازمه فى معظم الأحوال ! ويسر سليمان ويستقبل الملكة ومعها الأمير الأسير ، فترى عرشها وتعجب بهذه القدرة ، ولكنها تشتم بغريزتها لماذا يحاول سليمان أن يبهرها ! ويختليان بسرعة فتلاحظ هذه السرعة ، وتصارحه بها ، فيفاجئها بما ساور نفسه من أسيرها ، فتعترف ! ويصدم سليمان صدمة عنيفة فينسحب لتنال راحتها ! وتبتهج هى فى دخيلة نفسها بما تم حتى الآن !

فإذا خلا سليمان إلى نفسه فهو منقبض قلق ضيق الصدر ، فى حاجة إلى السلوى وإلى التسلية ، فهو يلتمسها عند أضعف أتباعه وأشدهم سذاجة . عند الصياد ! وإنه ليسأله إذا كان قد ذاق طعم الحب ؟ وهنا يروى الصياد قصة حب خائب لم يدم إلا لحظة . أدى ثمنها ثروة مفاجئة كان يملكها . وقد ضحى بحبه ليفسح لمن أحبها طريق السعادة ، لأنه ليس كفئاً لها فهى كفء لملك ! (وفى هذه القصة ينسج خيطاً آخر من شخصية الصياد فهو رجل طيب ذو ضمير نقى وقلب كريم)

ومرة أخرى يجد الجنى أن الفرصة سانحة لإرضاء طموحه ، وللنزغ فى قلب النبي سليمان ، وتلبية رغبته فى آن ! فيعرض خدماته — على كره كذلك من الصياد — ويرسم خطة لتحويل قلب الملكة وانتزاع إعجابها . ويستجيب سليمان ، تدفعه الرغبة الإنسانية الجارفة ؛ فإذا الجنىّ مفوّض فى استخدام جميع السلطات وجميع القوى ، وإذا هو يسخر بساط الريح ليحمل الملكة مع سليمان فى الفضاء ؛ وإذا هو يبنى الصرح الممرد من قوارير وتحته ما يشبه اللجة ، لتبهر الملكة ، وليجد سليمان الفرصة متاحة ليحملها بين يديه ويتخطى بها اللجة الموهومة ! وما ذا يصنع محب محروم إلا أن يتلمس كل وسيلة للتمتع بمثل هذا الفتان ؟ !

ثم ما ذا ؟

ثم إذا المرأة التى تحب أقوى من جميع هذه المغريات ؛ وإذا القلب الإنسانى الذى يحب أقدس من جميع هذه المظاهر ؛ وإذا هو يسخر بجميع قوى الأرض وجميع مظاهرها ؛ وإذا الملكة على حبها لأسيرها أمام كل جهود سليمان وجهود الشيطان !

ثم ما ذا أيضاً ؟

ثم إذا سليمان غاضب على الجنىّ وعلى الصياد ؛ وإذا الصياد خائف مذعور ، عاتب لائم لهذا الجنىّ الذى لا يعرف الهدوء ولا ينى عن المحاولة ، ولا يكف عن الطموح ؛ وإذا « داهش » يعرض عروضاً جريئة ، وينزغ نزغات شريرة . إنه يعرض اقتحام الحصن الذى لم تفتحه المحاولات ، وتحطيم القلب الذى لم تحوله المغريات !

ويشفق الصياد ويضطرب ضميره ؛ ويتردد سليمان وتتحرك قداسته . ولكن الرغبة اللحة تغلبه ، فإذا الجنىّ مفوّض فى عمل ما يشاء !

فاما نفذت الخطة الجديدة الجريئة ، فمنذ رقد الأمير مسخ تمثالاً فى حوض الرخام ؛ ولن تعود إليه الحياة إلا إذا بكت عليه حبيبته حتى تغرق جسده بالدموع . وإذا الملكة ترسل الدمع مدراراً بجانب التمثال الحبيب ، وإذا سليمان يرسل الضحكات كلما أطل عليها سخرية وشفاء (ونلمح هنا جو ألف ليلة وليلة . ولكننا نلمح التضحية الأسطورية للحب ، والشر الذى تثيره الرغائب الجامحة فى قلب إنسان) .

حتى إذا ما أوشكت المعجزة أن تتم ، تدخل الجنى فهدى سليمان إلى حيلة يبعد بها الملكة قليلاً عن التمثال ، ولم تبق إلا دمعتان حتى تصل الدموع إلى قلبه فينبض ويحيا . وزين لشهباء أن تنتهز الفرصة السانحة وتحيي حبيبها لنفسها . وأغرى الصياد أن يذهب - هو الآخر - إلى الحديقة ليجد حبيبته الضائعة فهي الآن من نساء سليمان (وبهذا يضرب الشيطان جميع هذه القلوب فى لحظة واحدة !)

فأما الملكة فتؤخذ بالحيلة . وأما الصياد فيتردد ثم يذهب ولكنه يحجم عن مخاطبة حبيبته تحرجاً وتورعاً . وأما شهباء فتتمنع ثم تدمع عيناها فى الحوض ، فإذا حبيبها يحيا ، وإذا هو يراها بجانبه تبكى فيحسبها صاحبة التضحية فى سبيله وواهبة الحياة له ، فيطوقها بذراعيه . ولكن ضميره يتحرك فتخبره بالضحية الحقيقية التى ملأت الحوض بالدموع ، وإن هما إلا دمعتان منها لاسواهما . ولكنه هو (لأنه يحب) يرى الدمعتين الأخيرتين اللتين وصلتا إلى قلبه أغلى وأعظم من جميع دموع « بلقيس » !

وحين تعود الملكة ومعها سليمان تقع عيناها على المنظر الفظيع فتصدم صدمة عنيفة ويجلجل صوت سليمان صاحكاً . ولكن الملكة تنهدم بين يديه وتنهار . وهنا يدرك عظم الكارثة وفظاعة الجريمة ، فيأخذه الوجوم ... إنه أفاق ولكن بعد فوات الأوان !

وهنا يستعرض الناقد من المنظر عدة لوحات

فلوحة يتجلى فيها الصراع بين الخير والشر فى نفس الصياد وقد تغلب الخير فى النهاية على نزغات الشيطان ، لأنها نفس محدودة المطامع ضيقة الرغبات ! . ولوحة يتجلى فيها هذا الصراع فى نفس شهباء وقد تغلب الحب المكتوم على همسات الضمير ، لأنها امرأة تحب ! . ولوحة يتجلى فيها هذا الصراع فى نفس سليمان وقد غلب الشر حين أججته الرغبة والمقدرة ، ثم غلب الخير حين كشف الجرم وتبين المجز ، لأنه نبى وإنسان !

وهناك لوحة منزوية يتراءى فيها جحود الحب الأعمى ، بجانب نبله المقدس ؛ فدمعتان اثنتان من عينى شهباء يقومهما الحب بالدموع الغزار والليالى الطوال فترجحان ، وهما وحدهما اللتان تبلغان قلبه لأنهما ممن يحب ! . وعظمة سليمان وملك سليمان ومحاولات سليمان كلها لا تحول قلباً يحب لأن هذا الحب فوق الملك والقوة والسلطان ! . ونبوة سليمان وحكمة سليمان لا تعصمانه من الشر الذى اندفع إليه ، ولا من نزغ الشيطان فى قلبه ؛ لأن الشيطان يستخدم الحب الذى يذهب بالعقل وبالحكمة جميعاً

هذا الجحود العجيب بجانب الوفاء العظيم ، بجانب الاندفاع المريد : لوحه فاتنة لأنها صادقة

وإلى هنا كان يمكن أن تنتهي التمثيلية ، فلا تفقد شيئاً كثيراً من وقعها النفسى ومن أهدافها الإنسانية . ولكن توفيق الحكيم يؤثر الحوار الفلسفى ويؤثر ألا يكتفى بالإشارة عن العبارة ؛ فهو يسجل فى فصلين تاليين تسجيلاً مفصلاً فى حوار ذهنى ما سجلته الحوادث حتى الآن فى تصرف حيوى ، وما يستشف من هذه الحوادث فى بساطة وبغير انتباه

وموعدنا ببيان هذا العدد المقبل فقد بلغنا اليوم أقصى الفراغ

سيد قطب

حكم فى الجنحة رقم ١٠٦٩ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس محمد عبد العليم أحمد ثلاثة شهور مع الشغل والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لعرضه للبيع خبزاً بأزيد من السعر المحدد

أثر المرأة

في علي محمود طه

للأستاذ إدوارد حنا سعد

الحرمان من المرأة – كدافع نفسي – ليس خيراً في ذاته ولا شراً؛ ولكن الخير أو الشر إنما يتعلقان بالوسيلة التي يتبعها لإشباع رغباته: وهو في الفن خير محض لأنه كان نبعاً فياضاً استقى منه الملهمون وخرجوا على الناس بذخائر خالدة على الزمن

والأدب المصري مدين للحرمان بنبوغ الشاعر الرقيق الأستاذ علي محمود طه، فقد لمس نفسه الحساسة فأذكى شاعريتها ومرَّ على قيثاره الشاجي بأعذب الألحان

على أنه مما يلفت النظر في الأدب المصري المعاصر ذلك التباين الواضح بين ضآلة أثر الحرمان في نتاج الأدباء المعاصرين ممن نسميهم شيوخ الأدب ... وعمقه ووضوحه في نتاج الطائفة التي تأخرت عنهم في السن أو تاريخ الظهور الأدبي، ومرجع ذلك فيما أعتقد إلى تحجب المرأة قبل الحرب الماضية، ثم ثورتها على الحجاب بعيد تلك الحرب، واشتراكها في كثير من مناحي الحياة الاجتماعية

***

قد ينشأ الحرمان عن خيبةٍ قوية في حب قوي فيكون من أثره ولوع صاحبه بإعلان عدائه للمرأة، فإذا وجد أن في ذلك منافاةً لما درج عليه الناس اندفع بطريقة لاشعورية إلى تسفيه الآراء الشائعة والتعالي بقيمته الذاتية. وأثر هذا الضرب من الحرمان شديد الوضوح في الأستاذ توفيق الحكيم عدو المرأة وصاحب الرأي المعروف في تفضيل الجاهلة على المتعلمة كزوجة، وكاتب المقال الذي يقول فيه إن الزواج من أربع نساء أمر تحتمه الطبيعة، وذلك حين رأى التفكير متجهاً إلى سن تشريع يمنع ذلك إلا عند الميسرة وضمان العدل بين الزوجات. ثم يقول عن نفسه إنه (خالق)، وعن الأشخاص الذين يصورهم في قصصه إنهم مخلوقاته، ويقول عن أحد قرائه (زارني هذا الطبيب الفاضل ثلاث مرات دون أن يحظى برؤيتي)

وقد يكون الحرمان ناشئاً عن خيبة في إنشاء علاقات غرامية في فجر الشباب، فيولع صاحبه بالتحدث عن علاقات غرامية موهومة أو مبالغ فيها؛ وقد يصدر كتاباً – كما فعل الأستاذ الصاوي – يتحدث فيه عن حياة قلبه وتكون عناوين فصوله: «وأما السابعة ... وأما الثامنة ... وأما التاسعة»

وقد يولع الشاب بفتاة من طبقة معينة ولا تستجيب لغرامه فيكون منه قصصي كالأستاذ محمود كامل معظم بطلات قصصه من خريجات المدارس الفرنسية، وكلهن من بنات الباشاوات وعلى الأخص كبار الضباط المتقاعدين. ولكل فتاة من هؤلاء محب يُشترط فيه أن يكون محامياً له إلى جانب مهنته شهرة أدبية أو فنية وله سيارة صغيرة يقودها بنفسه

***

هذه المقدمة لازمة لكي نفهم منها فهماً واضحاً أثر المرأة في الأستاذ علي طه، ففي نفسه الشاعرة رواسب من حب خاب، وعلاقات فشل في إنشائها، وطبقة لم تلتفت إليه بناتها هي على الأغلب طبقة الفنانات. هذه الرواسب كونت منه رجلاً فيه من توفيق الحكيم بعض تعاليه، وفيه من الصاوي بعض تفاخره، وفيه من محمود كامل اهتمامه بطبقة معينة تبدو من كثرة حديثه عن مخادع المغنيات والراقصات

وقد امتزجت هذه العناصر وتفاعلت فإذا به في شعره – وقد يكون في حياته الخاصة – زير نساء يطلب المرأة لأنها إحدى النساء، وليس بعاشق يميز امرأة واحدة من دون النساء[1]

والمفروض في زير النساء أنه رجل مستهتر، قوي، كثير التنقل بين (الحبيبات)، مشغول البال بالمرأة، شديد الالتفات إلى نواحي جمالها وزينتها، محبوب منها وأنيق

وكل هذه الصور واضحة في شعر علي طه ونثره أشد وضوح فهو مستهتر لا يبالي أن يقول:

حلفتُ بالخمر والنساء ... ومجلس الشعر والغناء

أو يقول:

فاعذري الروح إن طغى ... واعذري الجسم إن ثار
ثمر ناضج الجنى ... كيف لا نقطف الثمر

وهو رجل قوي، أستغفر الله بل فتًى قوي، يقول عن زملائه ركاب السفينة «كانوا يعجبون من هذا الفتى الأسمر الذي يقتحم غرفة المائدة ليملأ معدته بالطعام بينما هم مستلقون على ظهورهم

(١) للأستاذ العقاد في كتابه شاعر الغزل بحث طريف في هذا الموضوع؛ أرجو أن يعود إليه من فاته الاطلاع عليه

من دوار البحر أو ممسكون بعمدانهم من الألم والاضطراب ! »

ويقول :

الثلاثون قد مضت في التماهات والهذر

فهذه الصورة قد تتفق مع صورة دون جوان ، ولكنها قد لا تتفق مع الحقيقة . ففي مقال الأستاذ الزيات عن أرواح وأشباح يقول : « وبين اللقيا الأولى للصديق والقراءة الأخيرة للشاعر إحدى وعشرون سنة » . « وكان إذ ذاك في إبان شبابه وكنت في عنفوان شبابي » ومن هذا يتضح أن لفظة (الثلاثون) هذه لم تأت إلا لضرورة الشعر

ثم هو رجل كثير التنقل بين الحبيبات ، فهو في الجندول مع البولونية الحسناء ، وهو في بحيرة كومو مع الأديبة الأمريكية الفاتنة ، وهو على الرين مع « صديقة سويسرية التقى بها في ذلك الجو الساحر الخ ... وهذا بالطبع عدا عذارى وادى النخيل وقاهرياته النرر

وهو مشغول البال بالمرأة يغازلها في كل مكان ؛ وقد يغازلها وإلى جانبها زوجها (الليلة الأولى في أرواح شاردة) وكتبه كلها فياضة بهذا الاهتمام الذي يقيمه ويقعده ؛ ولكني أود أن ألفت النظر إلى نشيده الأفريقي (عودة المحارب) الذي يقول فيه :

حين ألقى زوجي على باب كوخي وأناغي على ذراعيّ طفلي

فهذا التصور الصادق للقلب الظمآن إلى حنان الأسرة لم ينبع من سمادير الاهتمام بالمرأة على العموم ، ذلك الاهتمام الذي يملأ قلب الشاعر ، فيقول على لسان ذلك المحارب العائد إلى زوجه وطفله :

يا عذارى القبيل أنتن للمجد (م) على عفةٍ صواحب بذل

حسبُ روحي الظامي وحسب جراحي

رشفةٌ من عيونكن النجل

وابتساماتكن فوق شفاهٍ بمعاني الحياة كم أومأت لي

وصحيح أن البطل العائد يسر بالحفاوة التي يلقاها من قبيلته رجالها ونسائها ، ولكن لعل حفاوة الرجال به أبعث لسروره ، وأقدح لمكامن الزهو في نفسه .

ونستطرد في توضيح الصورة التي أوجزناها في مقدمة حديثنا فنقول إن التفاته إلى نواحي الجمال في المرأة كثير في شعره ونثره إلى درجة أستبيح لنفسي معها أن أغفل إيراد الشواهد عليها ، والتفاته إلى زينتها دقيق « صففت شعرها على طريقة القرن الثامن عشر ، وقصت جانبيه على طريقة القرن العشرين » ويقول عن أخرى إنها « ارتدت زي القرويات من سكان الأديج الأعلى وغطت رأسها بمنديل أحمر موسوم بصور متناسقة لزهرات برية »

أما أنه محبوب من المرأة فشواهد ذلك كثيرة في دواوينه وكتبه وأجتزئ هنا بمقتطفات من حديث نشره بمجلة الإثنين عن ذكريات الصيف ، تحدث فيه عن جارة له في الفندق قابلته في الردهة ... « لم يطل بي النظر ولم يطل بها الوقوف ، فقد ابتسمت لي وأحنيت رأسي تحية لها ، وسرعان ما وجهت لي عبارة لطيفة قائلة :

— منذ أمس وأنا أعجب من هذا الغريب المنفرد بنفسه الذي لا يجد في هذه المدينة الصاخبة اللاهية ما يزعجه عن النوم ويشغله إلى ما بعد منتصف الليل . أقول هذا وأتساءل كيف لا أعجب من نفسي أنا أيضاً ، فقد حضرت ليلتين ، فلم أجد ثمة حذاء واحداً على باب واحد ، ووجدت حذاءك منفرداً بنفسه على باب غرفتك . وقلت لنفسي وأنا أضع بدوري حذائي على باب غرفتي ، فليظل الحذاءان هكذا قريبين من بعضهما في الليل وإن لم يتعارفا . وفي الحق أني عند ما أغادر غرفتي إلى الحمام في الصباح الباكر أجد أن منظر الردهة قد تغير ، فأمام كل باب حذاءان أحدهما ضخم خشن ، والآخر دقيق رقيق ، فأحدث نفسي لم لا يتفق حذاءانا نحن أيضاً فنجدهما ذات صباح على باب واحد ... »

فياما أشد إغراء هذا الفتى الأسمر ، لقد أنسى تلك الحسناء أنها امرأة يسرها أن تُصاد وأن ترى الشباك منصوبة من حولها ... أنساها هذا وأنساها حياءها الغريزي فبدأته بهذا الحديث الطويل واقترحت عليه أن يشاركها غرفتها .

***

بقي الحديث عن الصفة الأخيرة وهي الأناقة وتكاد تكون أظهر صفات شعره الموسيقي العذب ، ثم هي تبدو أيضاً في طبع كتبه وتقديم قصائده ، ويرجع السبب في شدة وضوح هذه الصفة إلى أنها ارتوت من رافدين نبعا في صدر شبابه : أولهما الحرمان الجنسي ، وثانيهما الحرمان الأدبي ، لأن المجد الأدبي لم يوات الأستاذ علي طه في السن التي كان ينتظره فيها ، بل تأخر عن ذلك . وفي مقال الأستاذ الزيات عن « أرواح وأشباح » ما يكشف عن ذلك الجانب ، فهو يقول إنه منذ إحدى وعشرين عاماً كان يشرف بالاشتراك مع حضرة الأستاذ الجليل الشيخ

مصطفى عبد الرازق على قسم الشعر فى مجلة السفور ، ودفع إليهما البريد بقصيدة لعلى طه « فوجدنا قوة الشاعر الموهوب تطغى على ضعف الناشئ البادئ ، فضننا بها على السل وصححنا ما فيها من الخطأ وقدمت لها ببضعة أسطر تنبأت فيها بنبوغ الشاعر ونصحت له أن يرفد قريحته السخية بمادة اللغة وآلة الفن » ... ثم لقيه فى المنصورة ... « وطلب إليه صديقنا أن ينشدنا بعض شعره فنشط لهذا الطلب وارتاح كأنما نفسنا من كربه أو خففنا من عبئه ، وقال : نشرت لى السفور هـذه القصيدة وقدمت لها بهذه المقدمة ... ثم أدى المقدمة عن ظهر الغيب » ... « وكان حين عرفته فى إبان شبابه وكنت حين عرفنى فى عنفوان شبابى »

فى هذه الأسطر نرى على طه وهو ناشئ مغمور ينشط لإلقاء شعره ويرتاح ، ويحفظ عن ظهر الغيب مقدمة فيها تنبأ ونصيحة ، ثم يعرف صاحب هذه المقدمة التى احتفى بها كل الاحتفاء فإذا هو شاب لا يكبره كثيراً فى السن . وتلك مقدمات تصل إلى نتيجة واحدة هى شدة إحساسه بأنه مغمور وأن قريحته فى حاجة إلى أن يرفدها بمادة اللغة وآلة الفن . وربما تأثر بأسلوب الزيات الأنيق ، فما زال يتحرى الأناقة ويتوخاها حتى أصبح أكثر الشعراء المصريين أناقة غير مدافع . وقد واتته الشهرة الأدبية سخية فياضة ؛ ولكن نفسه الحساسة لم تسلم وما كان لها أن تسلم من عقابيل هذا الشمور القـديم ، فيقول فى مقدمة إحدى قصائده : « ألقاها الشاعر فى حفل كان من خطبائه الأساتذة الأجلاء : لطفى السيد باشا ، الدكتور طه حسين بك ، مصطفى عبد الرازق بك ، أنطون الجميل بك » .

وقد جعل هذا دأبه فى تقديم كل القصائد التى ألقيت فى حفلات عامة كأنه يستكثر بطريقة لاشعورية أن يلقى شعره بين هؤلاء الذين كانوا يملأون أفق الأدب أشمة وشهرة وهو ناشئ مغمور فى المنصورة . بل هو يلجأ إلى أغرب من ذلك فى تقديم الجندول « تغريدة الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب » كأن عبد الوهاب لا يتغنى إلا بجيد الشعر ومختاره ، مع أنه غنى الجندول وغنى بعدها « ماتهونش » ، « وبلاش تبوسنى »

وهذا الأثر الذى أتحدث عنه يبدو كذلك فى كثرة حديث الأستاذ على طه عن الشاعرية ومناجاته لها فى « ميلاد شاعر » و « غرفة الشاعر » و « قبر الشاعر » ... ثم فى حديثه عن نفسه بقوله « الشاعر » ، فهو بهذا وذاك يمدح نفسه وشاعريته عن طريق غير مباشر ولاشعورى

وألاحظ هنا كثرة لجوء الشعراء الشبان إلى الحديث عن أنفسهم بقولهم : « زار الشاعر قرية كذا وقال فيها » مثلاً ، والشاعرية كوهبة لا يجوز أن يفخر بها صاحبها بل يدع للناس أن يتحدثوا عنها ويمدحوه بها وإلا جاز لكل صاحب موهبة أن يتحدث عن نفسه فنسمع مثلاً « قال الذكى فى حديثه » أو « قهر القوىُّ خصمه فى الملاكمة » ولن يكون هذا أغرب من ذلك

وأعود فأكرر ما قلته فى أول هـذا المقال من أن الأدب المصرى مدين للحرمان بنبوغ الشاعر الموهوب الأستاذ على محمود طه وبضلال الملاح التائه فى بحار الجمال والخيال ، وهو ضلال حبيب إلى النفوس المرهفة الحس ، وهو أعود بالفائدة من هداية القابعين المتزمتين .

(الاسكندرية) ادوارد حنا سعد



ذو القرنين

قرأت بالعدد (٥٠٩) نبذة للأستاذ عبد المتعال الصعيدي يرد بها على نظريتي الجديدة عن ذي القرنين التي هدمت بها النظرية القديمة التي كانت تقول إن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم هو الإسكندر الأكبر ، وأثبت بالأدلة القاطعة (بالعدد ٥٠٨) أن ذا القرنين كان مؤمناً ، في حين أن الإسكندر كان وثنياً فاسد الأخلاق سفاكا للدماء سكيراً قاسيا . وينص القرآن الكريم على أن ذا القرنين اتجه غربا أولا ثم اتجه شرقا ، في حين أن الإسكندر اتجه شرقا أولا ثم اتجه جنوبا ولم يتجه غربا إلا أخيرا . وأثبتُّ أيضاً (بالعدد ٥٠٦) أن كلمة ذا القرنين ما هي إلا لقب ملوك الفرس ابتداء من الملك كورش إلى الملك دارا الثالث بدليل أن آيات القرآن الحكيم عن ذي القرنين نزلت بناء على سؤال اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام عن ذي القرنين المذكور عندهم في التوراة (سفر دانيال) والتوراة تنص صراحة على أنه لقب ملوك دولة فارس التي أسقطها ملك من ملوك اليونان . وإذا بحثنا في التاريخ عن ملوك هذه الدولة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف نجدهم ابتداء من الملك كورش العظيم إلى الملك دارا الثالث الذي في عهده قضى الإسكندر على دولة الفرس . والملك كورش اتجه غربا أولا واستولى على سوريا حتى وصل البحر الأبيض (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) . ثم اتجه بعد ذلك شرقا حتى وصل بلاد التركستان حيث توجد إلى الآن آثار السد القديم (اقرأ العدد ٥٠٦) والملك كورش وخلفاؤه كانوا على دين زرادشت نبي الفرس الذي كان يؤمن بوحدانية الله والجنة والنار والصراط والأعراف (اقرأ العدد ٥٠٨)

وبعد هذه الأدلة القوية نجد الأستاذ يقول بالعدد الأخير إن وثنية الفرس واضحة ، في حين أنه لو كلف نفسه قراءة كتاب تاريخ فارس تأليف Syket كما أوضحت بالعدد ٥٠٨ لاقتنع بهذا الرأي ووجد أن الملك كورش كان على دين زرادشت . ولو اطلع على كتاب صبح الأعشى وكتاب تاريخ حياة زرادشت تأليف Jackson لتأكد من أن دين زرادشت يؤمن بوحدانية الله والجنة والنار والصراط والأعراف . ولقد كان زرادشت قبل الملك كورش بسنين قلائل ، ولذلك كانت مبادئ هذا الدين لا تزال سليمة لم يطرأ عليها تحريف بعد

ويقول الأستاذ إن سوريا تقع شمالاً بالنسبة لفارس . في حين أن نظرة بسيطة إلى أي مصور جغرافي تثبت لنا أن خط عرض ٣٥ يمر في وسط فارس وسوريا . أي أنهما على خط عرض واحد . وعلى ذلك فالملك كورش عند ما ذهب لفتح سوريا اتجه غرباً بكل تأكيد .

ويعتقد الأستاذ إن سوريا لا يقال لمن يصل إليها أنه بلغ مغرب الشمس لأنها في قلب المعمورة . وليسمح لي أن أسأله عن المكان الذي تغرب فيه الشمس على سطح الأرض . أليست كل بقعة على سطح الأرض تصلح لأن تكون مغرب الشمس لأن الشمس تغرب فيها كل يوم . كما تصلح لأن تكون مشرق الشمس لأن الشمس تشرق عليها كل يوم . فمعنى مغرب الشمس جهة الغرب بالنسبة للمكان الذي هو فيه . وليس المقصود بلاد المغرب فقط كما يظن . فالملك كورش اتجه غرباً حتى وصل سوريا فوجد الشمس تغرب في عين حمئة أي البحر

ويقول الأستاذ إن الملك كورش قتل ببلاد التتار وذو القرنين لم يُقتل . ومن أين عرف أن ذا القرنين لم يُقتل في حين أن القرآن الكريم لم يأت إلا بجزء يسير من تاريخه : « ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا » ، أي جزءا من تاريخه ولم يذكر تاريخ حياته كلها . ومع ذلك فالقتل لا يمنع الشخص من أن يكون مؤمناً أو عظيما

ويقول الأستاذ إنه وجدت دنانير عليها صورة الإسكندر يلبس قرني آمون . وهل عند ما يلبس الإسكندر شعار الإله آمون نقول عنه إن له قروناً . وهل كل من يلبس على رأسه قروناً نقول عنه إنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم ؟ ومع ذلك فالتماثيل العديدة التي للاسكندر في جميع متاحف العالم ليس منها تمثال واحد بقرون

وأخيراً ألفت نظر الأستاذ إلى أن كلمة ذي القرنين ليست شخصاً وإنما هي لقب عدة أشخاص ، وهم ملوك دولة الفرس كما قلت ابتداء من الملك كورش إلى الملك دارا الثالث .

دكتور إبراهيم الدسوقي

نظرات فى كتاب

أصدر الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقرى كتاباً جديداً عن « اعترافات الغزالى » ضمّنه اتهاماً خطيراً للامام ، وحملة عنيفة على كتابه المنقذ من الضلال . ولست أريد أن أعرض لنقد هذا الكتاب الجديد ، فإن مؤلّفه قد كفانا مؤنة النقد ، حين تجاوز الوضع والتصنيف إلى النقد والتقريظ . ولكننى أريد فقط أن أسجل ظاهرة عجبت لها عجباً يستنفد كل العجب ! فقد ذكر المؤلف فى الخاتمة التى وقفها على الحديث عن قيمة بحثه وما له من أثر ، أن فى وسعنا أن نجمل أثر بحثه فى أن « المنقذ من الضلال ... ليس بتاريخ حقيقى لتدرّج الغزالى الفكرى ، ولتطوره العقلى والنفسى ، ولن يعتبر بعد اليوم مصدراً لذلك » (كذا !) . وهذا القول فيه من لهجة التوكيد والتظاهر بالدراية والتثبت ، ما يثير الابتسام المريض ! فإن العالم الحق لا يجيز لنفسه مطلقاً أن يتحدث بمثل هذه اللهجة التى لا تخلو من تجاف عن الروح العلمية . ولعل الأستاذ المؤلف يعترف بذلك ، إذا أنعم النظر فى مقدمة الدكتور زكى مبارك التى ارتضى أن يُثبتها فى أول كتابه . فقد ورد فيها ما نصّه : « أنا أعتقد أن الغزالى صادق فى كل ما رواه ... » وهذا القول ينقض ما ادعاه المؤلف من أن المنقذ لن يعتبر بعد اليوم مصدراً لمعرفة تاريخ حياة الغزالى .

وثمة ظاهرة أخرى تعرض لقارئ كتاب الاعترافات ؛ وتلك هى غرابة الأسلوب . فإننى أستطيع أن أؤكد أن أحداً لم يسبق الدكتور عبد الدايم إلى الكتابة بالأسلوب الذى آثره هو . وأى باحث علمى يرتضى لنفسه أن يملأ صفحات كتاب له بمثل هذه العبارات : « الله ؛ الله ؛ أيها الشيخ ؛ إنك لرجل قوى وبطل ، نعم قوى ؛ لأنك احتملت ما لم يحتمله الناس [1]... الخ » ص ٩٦ ؟ أوَ يقبل باحث أن يستعمل مثل هذه العبارات التى لو أوردها كاتب فى مجادلة كاتب آخر لانتقصت من قدره فى نظر الناس ؟ هذا سؤال أترك الإجابة عنه للأستاذ المؤلف نفسه ، فإننى أحسب أنه يوافقنى على أن البحوث العلمية لا تكتب بمثل هذا الأسلوب .

أما إذا تركنا « الشكل » وانتقلنا إلى « الموضوع » ، فإننا نأخذ على الكتاب عدة مآخذ . والمأخذ الأول عندنا أن المقارنة التى عقدها المؤلف بين الغزالى وديكارت ، مقارنة فاسدة لا أساس لها . وكان الأجدر بالمؤلف أن يقارن بين الغزالى والقديس أوغسطينوس St. Augustin فإن ديكارت ليس فيلسوفاً متديناً يقيد نفسه بعقيدة مّا من العقائد ، وإنما هو فيلسوف حر الفكر ، لا يعطى لمشكلة العقل والنقل من الأهمية ما يقفه عليها رجل مؤمن كالقديس أوغسطينوس . وديكارت لم يكتب لنا « اعترافات » يصوّر فيها حياته تصويراً دقيقاً كما فعل رجل كأوغسطينوس الذى كتب اعترافات رائعة ، أدرك البعض قيمتها فاشتغل بترجمتها .

والمأخذ الثانى أن المؤلف يضارب أقوال الغزالى بعضها ببعض ، فى سبيل التوصل إلى الحكم على اعترافات الغزالى بأنها كذب وافتراء . وهذا منهج خاطئ لا يوصّل إلا إلى نتائج فاسدة ، لأن الأقوال التى يضاربها المؤلف بعضها ببعض ، ذُكِرت فى عهود مختلفة ، والتطور يفرض على الغزالى أن يغيّر من رأيه تبعاً لتغير حالته ، فلا يمكن إذن أن نستنتج شيئاً من تعارض الأقوال واختلاف الآراء ، كما أراد المؤلف .

زكريا ابراهيم

ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل

اطلعت فى البريد الأدبى من « الرسالة » على كلمة موجزة ، تحت عنوان : « ضبط الخلاف بين العربية والعامية »

وخطأ هذه القاعدة الجديدة أنها بنت كون اللفظ العامىّ عربياً مقبولاً على مجيئه موافقاً فى الضبط لأصل من أصول المفردات العربية . وهذا ظاهر الفساد ؛ فإن المتواضع عليه بين العلماء أن اللفظ العامى ما لم ينطق به عربى ، سواء فى الصوغ أو فى الشكل . وهذا محل وفاق قطعاً ، وأن المدار فى تمييز العربى من العامىّ على النقل عن المعاجم اللغوية . وإلا لجاز أن يخترع العامى ألفاظاً لا حصر لها ، على نمط الأوزان العربية . فهل

(١) لعل من أعجب ما يصادفه الانسان فى هذا الكتاب ، طريقة الترقيم ؛ فإن المؤلف فى هذا « نسيج وحده » وأنا أنقل لك هنا عبارة واحدة من العبارات الكثيرة التى يتبدى فيها الترقيم العجيب : « ولكن كل هذا قليل ؛ إذا قيس بهذا القلب الكبير ، كل هذا ضئيل ؛ بجانب هذا الأمل العريض ... بل ؛ يعرف الغزالى أكثر من هذا ! » ... الخ

تقول : إنها عربية لأنها وافقت أصلاً من أصول الكلمات العربية ؟

وبنت كون اللفظ عامياً غير صحيح على مجيئه مخالفاً لقواعد الصرف . ولو أخذنا بهذا القول على إطلاقه لخطأنا نحو ربع اللغة العربية من الألفاظ الشاذة عن القياس الصرفي كمصادر الثلاثي وجموع التكسير ، وبعض صيغ النسب والتصغير !

وأما خطأ التمثيل فقد مثل الكاتب لما يجب أن يكون عامياً غير صحيح بقول العامة : عَباية في عباءة ، توب في ثوب ، جمر في جار ، معللاً بأن إبدال الهمزة ياء ، وإبدال الثاء تاء ، وإبدال الهمزة عيناً لا يرجع شيء منها إلى قاعدة صرفية .

أما عباية فقد نقل الثقات من أهل اللغة ، أنها عربية مسموعة . نعم إن استعمالها بالهمزة أكثر وأشهر .

وأما جمر في جار فذلك إبدال مطرد في لغة بني تميم ، فقد حكى ابن مالك في شرح الكافية : أنهم يبدلون الهمزة المتحركة عيناً ، وأما توب بالتاء فهو من تحريف العامة ، ولكن لا لأنه إبدال غير قياسي فحسب ، بل لأنه لم ينقل عن العرب ، ولو نقل عنهم لقبل ، فقد ورد في اللغة تاب إلى الله وثاب إليه بمعنى واحد لتقارب مخرجي التاء والثاء ، ولكنهم لم يقولوا في ثوب لما يلبس : توب بالتاء لئلا يلتبس بتوب مصدر تاب بالتاء المثناة . بهذا ظهر أن ما جعله عامياً برأيه الجديد ، عربي صحيح ، وأن قواعد الصرف جُعلت لضبط الكثير المسموع من كلام العرب ، لا للتحكم في اللغة بجعلها كلها خاضعة لهذه القواعد . ولذلك ورد الشاذ والنادر مما لم يمكن ضبطه بقاعدة

ومثل لما هو عربي صحيح بقول العامة : تِرمس (بكسر التاء) ، وقولهم : حُصان (بضم الحاء) ، وقولهم : معدَن (بفتح الدال) ؛ لأن هذا كله لم يخالف قاعدة من قواعد العربية . وذلك أوغل في الفساد من سابقه ، لأنه إذا جاز للعامي أن يقول في حِصان بكسر الحاء : حصان بضمها ، جاز أيضاً أن يقول : حَصان بفتح الحاء ؛ لأنه على أصلك الذي جريت عليه على وزان (غزال) . وفي ذلك خلط بين الأبنية العربية

نعم إن كسر التاء في لفظ ترمس ونحوه لا ينشأ عنه اختلاط في الأبنية ولا تأثير في المعنى ، ولكننا إذا فتحنا هذا الباب على مصراعيه للعامي ، تجرأ على التحريف في ضبط سائر المفردات حتى المتواتر منها .

وهاهنا ملاحظة جديرة بالنظر ، وهي أن حضرة الكاتب ترك التمثيل لما يميز فيه بين اللفظ العربي والعامي بقواعد النحو والبلاغة . ويغلب على ظني أنه لا وجود لشيء من ذلك إلا في مخيلة الكاتب !

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

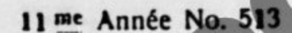
نزول عيسى

تنشر « الرسالة » ابتداء من العدد المقبل إن شاء الله بحثاً في نزول عيسى يرد به فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء على الشبه التي أثارها بعض الناس على فتواه السابقة التي نشرت بالعدد (٤٦٢) من الرسالة فنلفت إلى ذلك أنظار القراء .



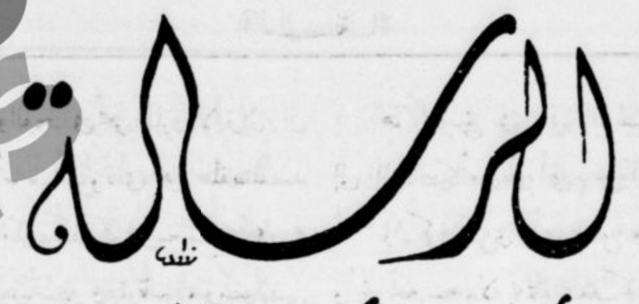
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





11 me Année No. 513

Lundi - 3 - 5 - 1943



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥١٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

قاسم أمـــين

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت في مجلة « روزاليوسف » حديثاً للسيدة الجليلة قرينة قاسم أمين رحمه الله ، نشرته المجلة لانقضاء خمس وثلاثين سنة على وفاة ذلك المصلح الكبير ، وكان من المصادفات الموفقة أن تؤدي هذا الواجب — واجب الذكرى — مجلة تصدرها سيدة. ففي ذلك بمض الوفاء « المناسب » لموضوع الوفاء.

وقاسم أمين رحمه الله حقيق بالتذكار لغير سبب واحد : حقيق بالتذكار لغزارة علمه ؛ وحقيق بالتذكار لنزاهة قضائه ؛ وحقيق بالتذكار لدماثة خلقه ولطافة ذوقه وامتزاج الثقافة الروحية فيه بالثقافة الفكرية ؛ وحقيق بالتذكار قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، لدعوته إلى إنصاف المرأة وإخراجها من ربقة الظلم الذي كان محيطاً بها وبالرجال

كتبنا عنه قبل ثلاثين سنة في « خلاصة اليومية » فقلنا :

« إن المرأة المصرية مدينة لقاسم ؛ لأنها كانت سجينة فأطلقها ، وكانت أمة فأعتقها . والأمة المصرية مدينة لقاسم ؛ لأنها كانت شلاء فأبرأها من ذلك الشلل الذي أمسك شقها عن الحركة دهوراً وأعواماً . والإنسانية مدينة لقاسم ؛ لأنه أنقذها من رق

لا تجرؤ مصلحة الرقيق على مطاردته . والفخر فى تحرير المرأة لا يزال الآن وبعد الآن من نصيب قاسم . أما من قفوه فى هذا القصد فهم إنما درجوا على طريق بينة الآثار وسلكوا فى منهج مأبور »

وقد مضت الآن خمس وثلاثون سنة على وفاة قاسم ، ومضى نحو خمسين سنة على دعوته الأولى فى سبيل تحرير المرأة ، وولد فى يوم دعوته — بل فى يوم وفاته — بنات يمشن الآن ويحسبن من الرجعيات المتخلفات ، لأنهن يتحرجن من أشياء لا يتحرج منها بناتهن الناشئات اللائى ولدن متحررات ، وغلون فى الحرية أبعد الغلواء ، ولما يسمعن باسم قاسم أمين ولا بالدعوة التى دعاها . لأنهن أخذن الحرية من عدوى المجتمع ولم يأخذنها من معرفة الحقوق ولا من العناية بنهضة المرأة

وإنصاف قاسم يستدعينا إلى تقرير هذه الحقيقة . فإن عدوى المجتمع شىء ودعوة قاسم إلى تحرير المرأة شىء آخر ، وإنما اللوم كل اللوم فيما نعيبه الآن من الشطط والهرج الكاذب إنما هو من عدوى المجتمع لا من الدعوة القاسمية التى لا يزال لها فضلها ولا يزال لها حقها من الثناء وإن شط بها الطريق على غير ما أراد صاحبها ، وعلى غير ما يستطيع أن يريد

قاسم أمين قد رأى خطأ فنبه إليه

ويكفى أن يثبت الخطأ ليثبت الفضل فى التنبيه إليه . ثم يكفى أن يكون التنبيه إليه شجاعة وتضحية ومجازفة بالمصير ليغنم صاحبه منا حمد الشجاع المقدم على التضحية فى سبيل الخير والفلاح ، ثم لا عليه بعد ذلك من الخطأ الآخر الذى جاءت به الحوادث ولا جناح عليه فيه

مثل قاسم أمين فى دعوته إلى تحرير المرأة مثل محام فاضل غيور على حقوق الناس رأى إنساناً يساق إلى السجن بغير جريرة معروفة وبغير حجة مشروعة يقبلها القانون ؛ فغضب المحامي الفاضل الغيور على الحقوق غضبة الكرامة الإنسانية ، وجهد فى إطلاق ذلك السجين جهده المستطاع ، وبر بذمة القانون وذمة الصناعة وهو يخرجه من السجن ويسلمه إلى الطريق الطليق . ثم دهم الترام ذلك السجين المظلوم على مدى خطوات من سجنه فات ؛ أو بدا له أن يمرج على حانة فيذهل عن صوابه ويعتدى على برىء أو يصاب بما يسقمه ويضنيه

هو لو بقى فى السجن لما قتله الترام ، ولا وصلت يده إلى الكأس أو أقدم على العدوان

ولكن الرأى فيمن ظلمه وأدخله السجن ، وفيمن أنصفه وأخرجه منه ، لا يختلف مع كل ما حدث أو يحدث بعد انطلاقه فلا يقول أحد فيه ذرة من إنصاف أن ظالمه خير من منصفه ، وأن إدخال الناس السجن بغير الحق عمل أشرف وأكرم من إعادتهم إلى الحرية وفاقاً لحكم القانون

والذى حدث فى الدعوة إلى تحرير المرأة شبيه بهذا من وجوه كثيرة . فإن الذى أنكره قاسم من ظلم المرأة وحرمانها العلم والتربية والرعاية الإنسانية لحقيق بالإنكار ، وحقيق بأن يتبدل أو يزول . وهنا صنع قاسم ما لا بد أن يصنع ، وقام بالواجب الذى نكص عنه آخرون . فوجب له الحمد وعرفان الجميل ، وإن ذهبت المرأة بعد ذلك فى حريتها مذهباً لم يكن ليرضاه

دعوة قاسم هى فضيلة قاسم التى تحسب له ولا تحسب عليه

أما « عدوى المجتمع » فليست من فعله ولم يكن فى يديه أن يمنعها ولو كف عن دعوته وسكت عنها فى زمانه كل السكوت

فهذا الشطط الذى نراه اليوم إنما نشأ من أمور كثيرة بمعزل عن الدعوة القاسمية وعن كل دعوة من قبيلها

نشأ من رؤية المرأة الأوربية فى مصر بالمئات والألوف ، ثم هجوم الناس على المحاكاة العمياء بغير تفرقة بين الأحوال عندنا والأحوال عند الأوربيين

ونشأ من الصور المتحركة التى تعرض لنا كل يوم مفاتن الحياة الغرامية بين الجنسين على نحو يراد به الإغراء وقلما يراد به التعليم والتهذيب

ونشأ من انتقال الألوف من أبنائنا إلى أوربا يعيشون هناك كما يعيش الشبان الميسورون فى غير رقبة ولا تقيد بالعرف الشرقى الذى نشأوا عليه

ونشأ من القراءة الرخيصة التى يصح أن يقال فيها ما يقال فى العملة « إن الردىء منها يطرد الجيد من الأسواق »

ونشأ من الأزمات الاقتصادية ثم من تداول الضنك والرخاء على البلاد ، وفى هذا التداول ما فيه من إفساد الأخلاق وزلزلة العرف والبيئة

ونشأ من معقبات الحرب الماضية التي عمت جميع الأقطار ، ولم تخصنا نحن الشرقيين أو نحن المصريين

وهذه كلها أسباب أين منها دعوة قاسم أمين وأين منها جهود قاسم أمين أو جهود نفر من المصلحين ؟

إن القدوة الاجتماعية لتصنع الكثير ولو قامت في طريقه العقبات ولم يرتفع بالدعوة إليه صوت داع من الدعاة ؟

فلم يقم في مصر « قاسم أمين » يؤلف الكتب ويستهدف للملام في سبيل « التنحيف » وإقلال الطعام

وإن الإقلال من الطعام لعسير جد عسير ، لأنه تضييق على الحرية وتضييق على الجسم في وقت واحد ... ومع هذا تصبر المرأة على الحرمان والشدة وتزهد في الطعام المشتهى لتظفر « بالنحافة » الموموقة التي فرضتها العدوى الاجتماعية ولم تفرضها على المرأة دعوة ولا عقيدة

بل فرضت الدعوة القوية صياماً في وقت من أوقات السنة وأنذرت على تركه بالعقاب في الدنيا والآخرة ، فلم تصم امرأة واحدة لاتقاء هذا العقاب إلى جانب عشر نساء ممن يصمن في العام كله مرضاة للعرف وتلبية للعدوى الاجتماعية . وما كانت دعوة قاسم رحمه الله بأقوى من دعوة الصيام ونذير العقاب على تركه باسم الدين

إنما هي آفة الإصلاح حيث كان

وإنما هي القسمة السيئة التي يصاب بها المصلحون في الحياة وبعد الممات

ففي حياتهم يكرهون ويصابون

وبعد حياتهم تعرض لدعواتهم العوارض التي لا ذنب لهم فيها ولا قدرة لهم عليها فيلامون من حيث يسكت الناس عن علة الملام

وقد تثمر دعواتهم أحسن الثمر بعد زمن طويل ، فإذا الناس يستمتعون بالثمر وينسون غارسيه ، ولعلهم إن ذكروهم لا يشكرون ولا يكترثون

ذلك كله حق نلمحه بيننا ونلمسه بأيدينا كل يوم ، فإن أوجب علينا شيئاً فإنما يوجب علينا أن نضاعف الجزاء للمصلحين الذين يساء إليهم بمقدار ما أحسنوا ، وإنهم لأقمن الناس بإحسان

قالت السيدة الجليلة قرينة قاسم بك في حديثها الذي أشرنا إليه : « إنما كان قاسم ينادي بالسفور الشرعي الذي لا يزيد عن إظهار الوجه واليدين والقدمين ولا يتجاوزه إلى إظهار العورات وإلى اختلاط المرأة بالرجل على النحو الحاصل الآن . وإني أعتقد أن قاسم بك لو كان حياً لما رضى عن هذه الحال بل لانبرى لمحاربتها . ويحزنني أن أرى الكثيرين يسيئون إلى قاسم أمين إذ يحملونه المسئولية عن هذا التهتك وينسبونه إلى دعوته ، فيدللون بذلك على أنهم يسيئون فهم الدعوة »

وصدقت السيدة الجليلة في قولها عن مقاصد قرينها الكريم وهي بها أدرى . فقد أراد قاسم عزة للمرأة تخرج بها من ذلة الجهل وفقد الشخصية ، فإذا بها قد وصلت إلى ذلة أخرى أسوأ لها من الذلة الأولى ، لأنها من طريق الشخصية والحرية التي لا تحسنها

فالعوارض التي نراها الآن إن هي إلا عوارض الضعف عن حمل الحرية قد أصيب بها النساء كما أصيب الرجال في المرحلة الحاضرة ، وغاية ما نرجوه أن تكون مرحلة انتقال وراءها مراحل استقامة وصلاح

***

عدت إلى كتب أدبائنا منذ أسبوعين لأكتب عنهم في مجلة « الإثنين » فقرأت في فيض الخاطر للأستاذ أحمد أمين مقالاً عن حرية المرأة بين جيلين يقول فيه بلسان البنات وهن يخاطبن آباءهن :

« يا أبانا الذي ليس في السماء ! رقصت أمنا فرقصنا ، وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سراً فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً ، ورأينا في روايات السينما والتمثيل حباً فأحببنا ، ورأينا عريا على الشواطىء فتعرينا ، وتزوجت أمنا بإذن أبيها فلنتزوج نحن بإذننا . قال : نعم . قلن : وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها . فإننا نرى شبان اليوم متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك ، فإرادتهم قوية كإرادتنا ، وهم يحبون السلطة حبنا ، فهم أحرار ونحن أحرار ، وهم مستبدون ونحن مستبدات ، فكيف نتفق ؟ »

والذين نراه أن شكوى الجيل الحاضر من مشكلة الزواج أعظم من شكوى الجيل الغابر الذي منه آباؤهم وأمهاتهم ، فليست المسألة قوة إرادة من هذا الجنس أو من ذاك ، ولكنها مسألة حرية لا يقوى على علاجها هذا ولا ذاك . وإن هان شأن الفتاة حيناً فإن شأن الفتى ليهون في حين آخر على حسب

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

درس فى الأخلاق — الكتاب الأسود — زكى مبارك كما يراه عباس العقاد — الطبيعة المصرية — الترجمة عمل مطلوب ومفيد، ولكنها لا تدل على الأصالة الذاتية

درس فى الأخلاق

صديق ...

أوجه إليك هذه الكلمة، وأنا أرجو أن تقرأها فيما بينك وبين نفسك، بلا تفكير فى التعقيب، لأنى لن أستمع لك إن قابلتها بأى اعتراض، فما يتسع وقتى للمجادلة فى أمور صارت عندى من البديهيات

وأسارع فأقرر أنى لا أقيم وزناً للتشكى من الزمان، على نحو ما يصنع بعض الشعراء، وعلى نحو ما كنا نصنع يوم كنا نتوهم أن الحظوظ تقسم بلا ميزان

أنا اليوم أومن بأن لله قانوناً اسمه النظام، وهو يطرد فى جميع الشؤون، فالشمس بنظام، والقمر بنظام، وجميع الخلائق بنظام يفسده أقل اختلال

لا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا وفقاً لقوانين أزلية لا يجوز عليها الانحراف

السيد سيدٌ بحق، والعبد عبدٌ بحق ... ولو حمل الهِرُّ روح الأسد لصاوله فى حومة الصراع بلا تهيب ولا إشفاق

نحن المسئولون عن تخلفنا حين نتخلف، لأن فى مقدورنا أن نصل إلى أعظم مكانة إن تحلينا بالصدق فى الجهاد، ولأن فى استطاعتنا أن نكون عظماء يشغلون التاريخ، إن ناضلنا فى سبيل المجد نضالاً يقرع سمع التاريخ

وهذا لا يتيسر إلا إن راعينا نظام الوجود

ذلك السائل لا يستحق غير ذل السؤال، لأنه يخمد قواه عن عمد ليظفر بالصدقات العجاف

وذلك البليد الذى رضى أن يكون طول عمره من الذيول سيظل ذيلاً لأنه بليد ... وذلك التابع السخيف لمتبوعين سخفاء لن يصلح لشىء، لأنه يستظل بأموات يعيشون فى ظلال الأموات ... وذلك الذى يتبهنس بفضل حماية غيره لن يرتفع بأى حال، وإن استمان بطنين الذباب

لك ما تريد لنفسك، على شرط أن تفهم تلك القوانين الأزلية فتجاهد فى حدود الصدق جهاد الرجال

لك ما تريد لنفسك، على شرط أن تترك الأوهام التى تزعم أن الرجل لا ينجح إلا إن صادفته فرصة تنقله من حال إلى أحوال

الفرصة فى يدك إن أردت، ولكن متى تريد؟

أنت لغفلتك تتوهم أن الذين سبقوك إلى المال أو الجاه لم يسبقوك إلا بفضل الفرص التى سنحت على غير ميعاد

الفرصة فى يدك، وميعادها بيدك، على شرط أن تكون رجلاً لا يجوز عنه الاستغناء

زوِّد نفسك بالمزايا التى ترفعك، واقض ليلك ونهارك فى كسب الخصائص التى تجعلك من أهل التفوق، وإن استطعت أن تكون الرجل الأول فى المذهب الذى اخترته لنفسك فلن تشكو الغبن ولو قامت فى طريقك ألوف وألوف من الأشواك

الرجل الذى يستطيع أعداؤه وحاسدوه أن يهدموه ليس بالرجل العظيم، وإنما هو وليد ظروف ومصادفات جعلته شبحاً يوهم من يراه أنه شخص من الأشخاص، وما أريد لك هذا الحظ الضئيل

المناسبة العارضة أو على حسب قانون العرض والطلب الذى يتحدث به الاقتصاديون. ويغلب الهوان على الفتاة فى المعترك الحاضر لأنها هى التى كانت مطلوبة فأصبحت معروضة أو طالبة فأصابها الرخص والهوان من طريق الحرية، وهو ما عنيناه بالذلة فى طريق مشيئتها بعد الذلة التى أصابتها قديماً من فقد المشيئة. فإذا وقع الفتى فى قيد الزواج فإنه ليشكو من زواجه أضعاف ما كان يشكوه أبوه وجده، ويحار فيه الحيرة التى لا تخرج منها إلا بالفرار أو الاصطبار

هى بلوى الحرية المفاجئة بعد بلوى العدوى الاجتماعية، وهى حالة جديدة تحتاج إلى «قاسم أمين» جديد يعالجها ويرفع العقيرة بالثورة عليها، ولا يكون فى عمله إلا فاتح صفحة من الكتاب الخالد الذى فتح صفحته السابقة قاسم أمين قبل خمسين سنة. رحمه الله.

عباس محمود العقاد

أتريد أن تكون كذلك المسكين الذي يعرف فى قرارة نفسه أنه لا يستطيع الوقوف على قدميه بلا سناد ؟

ما لهذه الغاية الضئيلة خلقنا ، وما لهذا النصيب الهزيل منّ الله علينا بنعمة السمع والبصر والفؤاد

الكسل آفة سخيفة ، وهو يميت مواهبنا الذاتية ، ويمضى بنا إلى مهاوى الخمود

الكسل مذموم العواقب ، وهو من صور الموت ، لأنه أول خصائص الأموات

وأنت ياصديق كسلان ، بغض النظر عن نشاطك فى لحظات التشكى من زمانك ، وهو نشاط المريض فى لحظات الصراخ

غيِّر ما بنفسك يا صديق ليغيِّر الله ما بك ، واحذر أن تأكل رغيفاً بغير حق ، كأن تأخذ أجراً على عمل لا تؤديه أحسن الأداء

الكتاب الأسود

تسامعَ الناس قبل أسابيع بأن سعادة الأستاذ مكرم باشا عبيد نشر كتاباً سماه الكتاب الأسود ، وقال من قرأوه إنه غاية فى قوة الحجج والبراهين ، فدفعنى الشوق إلى الاطلاع عليه ، وأنا بلا مباهاة أقرأ جميع ما تنشر المطابع فيما يتصل بالحياة الأدبية والوطنية لأساير اتجاه الأفكار فى زمانى

فماذا رأيت فى الكتاب الأسود ؟

رأيت مؤلفه اهتم بالشؤون الداخلية ، وترك الشؤون الخارجية ، فما معنى ذلك ؟

أتكون وزارة النحاس باشا سلمت كل السلامة من التقصير فى الشؤون الخارجية ونحن فى زمن تكثر فيه المشكلات الدولية ؟

إن كان هذا هو الواقع بفضل سكوت مكرم باشا فوزارة النحاس باشا أعظم وزارة تغلبت على المصاعب الدولية فى أحرج لحظات التاريخ

وإن كانت هناك مآخذ على الوزارة الوفدية من الوجهة الدولية فسكوت مكرم باشا على تلك المآخذ سكوت المريب

التعرض للشؤون الداخلية يغضب النحاس وحده . أما التعرض للشؤون الخارجية فيغضب ناساً يراعيهم مكرم فى السر قبل العلانية

ماهذه المغالاة فى تعقب الشؤون الداخلية ، مع ترك الشؤون الخارجية ؟

الجواب حاضر : فسعادة الأستاذ مكرم باشا يتوهم أن مسألة الأمور الدولية قد تنفع بعد حين ، وقد تردُّه إلى وزارة المالية بعد أحايين !

نحن نبالغ فى إيذاء المواطنين باسم الوطنية ، ونسكت عن الشؤون الخارجية باسم الدبلوماسية ، وذلك هو ماصنع الأستاذ مكرم عبيد !

هل أستطيع أن أسأل عن المصير الأخلاق لمن يجرح قوماً عاشرهم فى أعوام تزيد على العشرين ؟

وهل أستطيع سؤال مكرم عن سر سكوته فيما يختص بمتاعب مصر من الوجهة الدولية ؟

من واجب مكرم باشا أن يقرأ هذه الكلمة ليراعيها فى كتابه المقبل . وهذا درس فى الوطنية أقدمه إليه بالمجّان

زكى مبارك كما يراه عباس العقاد

تفضل الكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد فخصنى بكلمة نقدية فى مجلة الإثنين ، وهى كلمة تؤيد رأيى فى مذهبه الأدبى ... ألم أحدثكم أن منطق العقاد يستقيم فى جميع الشؤون إلا فيما يتصل بزملائه من الأدباء المصريين ؟

إن لى فى أدب الأستاذ العقاد آراء صحيحة لم تتأثر بتحامل المعاصرين بعضهم على بعض ، وقد أثنيت على أدبه فى ظروف لا تسمح بأن ينتظر منى أى ثناء ، فقد تخاصمنا وتعادينا فى آماد وآماد ، ثم كانت العاقبة أن أعترف بجهاده فى الحياة الأدبية ، وأن أذكره بالجميل حين يستأهل الجميل

قال الأستاذ عباس العقاد : « إن الدكتور زكى مبارك أقل الكتاب شخصية فى حياته الكتابية وإن أسلوبه الكتابى معروض لتوقيع من يشاء »

فبأى منطق وبأى حق يقول الأستاذ العقاد هذا الكلام الغريب ؟

هل يستطيع أن يدلنا على كاتب يضع اسمه على كتاب « النثر الفنى » أو كتاب « التصوف الإسلامى » أو كتاب « عبقرية الشريف الرضى » أو كتاب « ذكريات باريس »

أو كتاب « اللغة والدين والتقاليد » إلى آخر ما أخرجت من المؤلفات ؟

ثم يقول الأستاذ العقاد ما نصه بالحرف :

« الدكتور زكى مبارك حضر الأزهر والجامعة المصرية وجامعة فى باريس ، ولكنه لا يمثل الأزهر ولا الجامعة المصرية ولا جامعة باريس »

وهذا كلام يسرنى ، وإن أراد به العقاد إيذائى ، فأنا أبغض الاستعباد للمعاهد والمذاهب ، وأعتقد أن أدبى سيعيش بعد أن تصبح تلك الجامعات خبراً لا تعيه ذاكرة التاريخ

زكى مبارك هو زكى مبارك كما قال العقاد ، وهى أصدق كلمة قالها العقاد ، على كثرة ما صدق فى أحكامه الجوائر على أدباء هذا الجيل

قد يقول الأستاذ عباس العقاد كما قال الدكتور طه حسين : إن شخصية زكى مبارك المؤلف قوية كل القوة ، وإنما الخلاف فى شخصية زكى مبارك الكاتب

وأقول إن هذا ظلم من الدكتور طه والأستاذ العقاد ، وأنا أتحدى هذين الرجلين بكتاب « ليلى المريضة فى العراق » فهو آية من آيات البيان

وما رأى الأستاذ العقاد فى المقالات التى أنشرها بمجلة الرسالة من أسبوع إلى أسبوع ؟ أيظنها مقالات معروضة لتوقيع من يشاء ، كما يقول ؟

مجموعات الرسالة تشهد بما أملك من قوة الذاتية ، وهى أيضاً تشهد بأن أسلوبى أقوى من أسلوبه وأبلغ ، وبأنى أحلق فى آفاق لا يصل إليها ولو استمسك بأوهام الخيال . والعقاد يعرف فى قرارة نفسه أنه لا يقدر على مجاراتى فى أى ميدان

وما رأى الأستاذ العقاد فى القصائد التى نشرتها بمجلة الرسالة ؟

هل يستطيع أن ينظم مثلها فى أى غرض !

أنا أتحداه أن ينظم قصيدة مثل قصيدة « مصر الجديدة » أو قصيدة « الأسكندرية » أو قصيدة « بغداد »

العقاد شاعر كبير ، ولكنه لا يستطيع أن يكون أشعر منى ، وله أن يحاول مصاولتى فى ميدان الشعر إن أراد

قال الأستاذ العقاد : « زكى مبارك الكاتب لا يستغنى عن زكى مبارك بحال من الأحوال ، إذا استغنى المؤلفون عن أنفسهم فى بعض الأحيان »

وهذا حق وصدق ، وهو الدليل على ما أملك من قوة الذاتية ؛ وإذا استغنى العقاد عن نفسه فأنا لا أستغنى عن نفسى ، لأنها أثمن ما أملك

أما بعد فما الذى دعا الأستاذ العقاد لمناوشتى بمثل ذلك التحامل الذى لا يليق بمن يكون فى مثل منزلته الأدبية ؟ وما عدوانه على كاتب ذكره بالخير فى أكثر ما أنشأ من المقالات والمؤلفات ؟

رأيى فى العقاد لن يتغير بأى حال ، فهو كاتب وشاعر وناقد ومؤلف ، وسأزكيه عند قرائى بلا بخل وبلا إسراف ، ولكنى أرجوه أن يتذكر أن له صديقاً يكره أن يكون من المطففين

إن كان الأستاذ العقاد رأى بفكره الثاقب أنى سأتطلف فى الرد عليه فقد صدق فيما رأى ، فما أستبيح الهجوم على رجل يحمل القلم منذ أعوام تجاوز الثلاثين ، وقد تشارف الأربعين ، أطال الله فى حياته وأسبغ عليه نعمة الصفاء

الطبيعة المصرية

وأراد الأستاذ العقاد أن يحكم بأن الدكتور هيكل كاتب لا يثب إلى الآفاق العالية ولا ينقضّ إلى الأغوار العميقة ، فجعل ذلك وفاء للطبيعة المصرية ، طبيعة الأرض التى يرويها النيل بغير عناء كما يقول

وأقول إن الطبيعة المصرية لا تعرف السهولة التى عناها الأستاذ العقاد ، وليس بصحيح أن أرض مصر يرويها النيل بغير عناء ، فهو لا يؤدى واجبه فى رى الأرض إلا بأجمة من القناطر والجسور ، ولا ينكفّ شره إلا بمتاعب ثقال

والحق أننا أسرفنا فى وصف الأرض المصرية بالاستواء ، وكدنا نوهم أنفسنا بأن بلادنا قليلة التنوع فى المناظر ، وقليلة القدرة على إبداع النقائض فى المذاهب والآراء

والعقاد مصرىٌّ من أسوان ، فما الاستواء الذى يراه فى الطريق بين القاهرة وأسوان ؟ ومتى سهل رى الأرض فى مصر وهو المشقة الأولى فى حياة الفلاحين ؟

والعقاد لا يبخل على نفسه بما بخل به على هيكل ، فهو فى نظر نفسه من الذين يثبون إلى الآفاق العالية وينقضون إلى الأغوار العميقة ، فمن أى أرض ورث الوثوب والانقضاض ؟

إن الوطن المصرى وطنٌ مبدع ، وله فى الإبداع ألوان ، ومن آيات إبداعه أن يجود فى العصر الواحد بأفانين من الأذواق والعقول فى كثير من الميادين

ثم ماذا ؟

ثم يبقى القول فى تحامل العقاد على المازنى ، وقد أراد أن يستر تحامله فشهد بأن المازنى أقدر كاتب على الترجمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية

فمتى كانت الترجمة عملاً ذاتيًّا يقام له ميزات بين أعمال الرجال؟

الترجمة شئ مطلوب ومفيد ، ولكنها ليست بالعمل الذى يجعل فرداً أقدر من فرد ، وأمة أقوى من أمة ، ومزية مصر أنها تبدع قبل أن تترجم ، وذلك دليل الأصالة الذاتية ، وهو سر تفوق مصر على كثير من الشعوب

من المؤكد أن الأستاذ العقاد كان يمزح وهو يسطر مقاله لمجلة الإثنين ، فإن بدا له أن يجد فليساجلنى على صفحات الرسالة الصديق ، وله منى خالص التحية وعاطر الثناء .

زكى مبارك

أيها النيـــل !

للأستاذ درينى خشبة

أيها النيل ! يا أغنيةَ الأزل ! يا حابى العزيز ! ما لى كلما مررت بشاطئك طافت بىَ الأحلام ، وازدحمت فى روعى تهاويل الماضى ، ولم أدر ما مَسّ القُبل النحيلة التى تطبعها نسماتك على أفواف الزهر ، وأفنان الدوح ، وصفحة الماء ، وخيال الشاعر ، وجبين النوتى ، وخدود العذارى ؟ !

ما لى أنسى جمال الصباح المفتر ، والحدائق الضاحكة ، ولاز ورد السماء الذائب فى تبر الشمس ، وأمواه الطبيعة المتبرجة ، وعبير الربيع الفوّاح الذى يعطر جنباتك ، ويتضوّع فوق حفافيك ، ويملأ ملاعبك بهجة ، ويغازل الشعر والفن والجمال والحب . . . ما لى أنسى كل ذلك حينما تتصل روحى بروحك ، وينبض قلبى بالذى ينبض به قلبك ، فأحس كأنما ماؤك دموع حِرار تسكبها عيون الفراعنة ، وكأنما قطراتك أحقاب المجد المؤثل التى حضّرت الدنيا ، ومدينت الناس ، وهَدَت القلوب الضالة إلى الله الحق ، وسارت بموكب الإنسانية نحو النور المقدس الذى يهدى للرشد ، وانتشلت العقول من غرائز الغابة بما أشاعت فيها من بينات الهدى والعرفان !

أيها النيل !

ما أروع ما يتغنى الزمان بنشيدك الخالد ! ها هم أولاء الفراعين الصِّيدُ يهمسون فيهتز الوادى ، ويطرب الكرنك ، وتصحو منف ، وترجف أُون ، وتبسم أكاليل الغار على رؤوس القادة ، وتصرخ الصقور والبُزَاة : هوراس ! هوراس !

فأين هو هوراس اليوم ؟ إنه جريح مهيض الجناح ، لأنه كلما رَأرأ بناظريه فى سمائك يا نيل رأى بُزاةً لا تهتف بعظمتك ، ولا تسبّح بحمدك ولا تقدس لك ... بُزاة لا ترعى لك كرامة لأنها تعدك فريستها ... فإذا أدار هوراس ناظريه إلى الأحفاد وجدهم مشغولين عنك بالعَبث ، منصرفين عن الجد فى أمرك إلى اللهو ومتاع الغرور !

ما أروع ذكريات الصبا على ضفافك يا نيل ؟

لقد كنا نجلس فوق حفافيك وفى يد كل منا سنارة يُداعب بها صغار أسماكك كلما طلعت شمس أو غابت ذُكاء ...

وما أنس لا أنس يوم مرت بنا إحدى بواخر شركة كوك للسياحة ، فرأيت الدنيا تدور من حولى ، ونظر إلىّ رفاقُ صباى فرأوا عبرة حزينة تترقرق فى عينى ... ثم تنهمر على صدرى فتقف قريباً من قلبى الذى كان معها على ميعاد ... لقد كان يخفق هو الآخر ! ... لقد ذكرت أسلافى صِبْيةَ الفراعنة ... صِبْيةَ مصر العظيمة الخالدة ... يداعبون أسماكك يا نيل ، فلا تمر بهم إحدى بواخر كوك للسياحة ، تلك التى جرح مرآها كبريائى ، وردت إلىّ طرفى وهو كسير حسير ... !

لقد كان أبناء الفراعنة أولاد أمة كريمة لا يجسر الأجنبى على أن يحل بها إلا ضيفاً ... أما أن يكون فيها سيداً ويتيه فوقك على بواخره الماخرات ، فقد كنت تنقلب بحراً من الدماء يا نيل يقذف به إلى اليم ، أو يُلقمه أفواه التماسيح

لهذا نسيت صيدى ، ولمحنى رفاق صباى أبكى ... فلما

وقفتهم على ما شجانى لم يلبثوا أن بكوا مثلي ... وحطم كل منا سنارته ، وقذف بها فى أذيال هـذا التبج المنساب وراء باخرة كوك . وعدنا إلى القرية محزونين !

ما أجمل الخمائل التى تنشد فوق عدوتيك قصائد الورد يانيل !

لله هذا الأيك الذى تغنى فيه حمائمك البيض بالنهار ، ويرتل فيه الكروان أورادك بالليل !

فتنة ! أنهرك فتنة ! ولياليك فتنة ! وأنهرك يلعب فى سماواتها السبع أتون ، ولياليك يرقص بين أنجمها خون ! أتون الشمس المشرقة الضاحكة . وخون البدر السافر الطروب !

لقد كانت مصر الجيدة مشرقة ضاحكة كالشمس ، سافرة طروباً كالبدر ، وكان المصريون يتوقدون كما يتوقد النيران الشمس والقمر ، وكانوا ينشدون فى الدنيا كلها عبق ورودك يا نيل ، ويتغنون لموكب الإنسانية نشيد إنشادك ، وورد أورادك ، وموكب الإنسانية من ورائهم يسير . فماذا دهى الدنيا ؟ إن الشمس ما تزال تشرق ، وإن القمر ما يفتأ يسكب لُجَيْنَه فى واديك

لن أنسى أبداً تلك الليلة المقمرة فى رحبات خوفو ، وبين يدى أبى الهول ، حينما كنت أنصت إلى تسبيح الآباء الصناديد يملأ الفيافى والبيد ، وهتاف الأجداد الأمجاد ، يدوى بين تلك الأوتاد ...

لقد خيل إلى أننى عدت القهقرى لأعيش فى هذا العصر بين أسلافى الأعزة ، فذهبت بخيالى أول ما ذهبت إلى أقرب معبد فشهدت قومى يصلون لله ويقولون : « نحب الله والوطن والملك ، نحب الحياة العزيزة ونحب العمل الخالص لوجه الله والوطن والملك . الله والوطن والملك فى كل مكان وليس فى المعبد فقط »

ثم ذهبت إلى أقرب بيت فوجدت فى حديقته الصغيرة من ورودك يا نيل ، وذهبت إلى البيت الذى يليه فشممت فيه عبير رياحينك ، فتنقلت بين المنازل كلها فلم أجد واحداً ، واحداً فقط ليس له حديقة . وهنا ذكرت زهرة النيلوفر . زهرة اللوتس المقدسة ، تلك الزهرة التى كانوا يبرزونها فى كل شىء . فى مبانيهم وفى ملابسهم وفى آنيتهم وفى سفائنهم ... وحتى فى مقابرهم ... فذكرت أنهم كانوا دائماً يعيشون فيك ، لأنك أصل الحياة ومصدر العيش وجالب الخير وصانع الدنية . لذلك هم يقدسونك ولا يدنسون عُدْوَيتك بما يدنسها المصريون اليوم مما لا أسميه (!) ... ولا يلقون فيك الجيف والرم . بل يحيونك بباقات الورد وأكاليل الرياحين وضفائر اللوتس . أليست بلادهم حديقة يا نيل ؟ أليست مصر أينع حدائق الدنيا ؟ إن الأمة التى لا تفهم سر الحديقة ، ولا تعرف لغة الورد ، هى أمة لا قلب لها يا سيد الأنهار

ثم ذهبت إلى دار ندوتهم فوجدت فيها ملأ يأتمرون ... لم أسمع كلمة آثمة تقال يا نيل ... ! لقد أصغيت إليهم يمحصون خير هذه البلاد فى أدب وهدوء ... وفى وقار ... لم أسمع مطلقاً كلمة لاغية يصيب بها مصرى عِرْض مصرى ، ولم أر مصرياً يرمي مصرياً بالمروق ، ولا بانتهاب مال الدولة ، ولا باحتساب أقاربه وأصهاره ، وإيثارهم بالمناصب والأعطيات ... ولم أر واحداً منهم يحتكر الوطنية والإخلاص لمصر ، ويَسْفَه على معارضيه ويرسل لسانه فيهم ، ويتهمهم بممالأة العدو .. مما نستهين به اليوم ، ونصنعه فى غير مبالاة ولا اكتراث ، كأنه من الهنات الهينات . لقد رأيتهم جميعاً كرماء على أنفسهم ... لا يحمل أحدهم موجدة لأخيه ، ولا يبطن له ما يكره ... أليسوا يقولون في صلاتهم : « نحب الله والوطن والملك ... نحب الحياة العزيزة ونحب العمل الخالص لوجه الله والوطن والملك ... الله والوطن والملك فى كل مكان ... وليس فى المعبد فقط ! »

ما أجمل ما كانوا يأتمرون فى غير سفاهة ولا مهاترة ، فى سبيل إسعادك يا نيل !

غير أننى استيقظت من أحلامى فجأة ، لأن أحد رُوَّاد الأهرام عثر بى وانحطم كالبنيان الشاهق فوق ... فلما نهض ونظرت إليه ... وجدته ... أحد جنود الأنزاك ! وعند ما أدرت عينى ... وقعتا على وجه أبى الهول ... فرأيته يضحك علىّ ... ساخراً بى وبأحلامى ... والذى أذهلنى أننى رأيت شفتيه الغليظتين تنبسان ... فأرهفت أذنى ... فسمعته يقول : « ألست تعلم أن هؤلاء الأنزاك قد جاءوا يدافعون عنك ؟ لم لا تعتذر للجندى الباسل ! »

إلا أننى لم أعتذر للجندى الباسل ، ولم أصدع بما أمرنى أبو الهول . وكانت هذه هى أول مرة يعصى فيها أمر للملك خفرع ! وأقسمت إن أنا أصبحت فى برلمان مصر فلن أهاتر ولن

أسفه ، ولن أتهم زعيما عظيما بالمروق ، ولن أخوض فى عرض أحد من المصريين ، ولن أفرغ لهذا العبث ؛ وإن أنا أصبحت زعيما فلن أحتكر الوطنية لنفسي ، ولن تثيرنى تخرصات السفهاء ! أليس وجود هؤلاء الأنزاك كفيلاً بأن يشغلنا عن كل شيء ؟ لماذا يَجِدُّ العالم ونهزل ؟ لماذا تبكى الإنسانية ونعبث ؟ لماذا لا نأخذ عبرتنا من أنهار الدماء التى ضرجت جنبات مصر نفسها ؟ لماذا لا نصغى إلى همس الفراعنة ؟ لماذا لا يفزعنا هديرك الصخاب يا نيل !

لقد كنا نتعلم فى المدارس أن تلال العرب وتلال لوبية تحميانك من رمال الصحراء يا نيل ! والحمد لله ، إنهما ما تزالان قائمتين بوظيفتهما التقليدية ، وما تزال أنت دائباً على فطرتك التى فطرك الله عليها . . . تأتى بالزيادة فى ميعادك فتأتى بالخير واليمن والبركات ... قصة العنبرة السوداء والزبرجدة الخضراء التى رواها عمرو — إلى عمر — ما تزال تمثَّل على مسرحك إلى اليوم ، كما كانت تمثل منذ آلاف السنين قبل عمرو وعمر ... وما تزال المياه الحمراء تجري من الجنوب إلى الشمال فتنبت الحنطة والبقول وتهتز الخمائل و يُؤْتى الأُكل

أفتحميك التلال يا نيل ولا نحميك ، وتمطينا ولا نفديك ، وتحفظ عهودنا ولا نحفظ لك عهداً ، ويقصد بك السوء فلا نقف من حولك جنداً لم ! لشدَّ ما كفرنا بغناء بلابلك ، وشدْو جداولك ، وفيْء خمائلك ، وزلال سلسبيلك ، وفيض نوالك ، وعبق رياحينك ... وبكل أياديك يا نيل !

كيف يخصب ثراك وتجدب قلوبنا ؟ كيف ينبت الورد فى واديك وينبتُ الشوك فى نفوسنا ! كيف تدبُّ الحياة فى مروجك ويتسرب الموت إلى أرواحنا ؟

إن هذه خلائق الصحراء يانيل ! الصحراء ... حيث الجدب والشوك والحَسَك ... الصحراء الغادرة التى لا تعرف الوفاء ... الصحراء التى يصيبها الوابل ثم تجحده ، لأنه يغور فى قلبها الذى يشبه قلوبنا ...

ما أشد عواصفها الهُوج ... هذه التَّيْهاء المُضِلَّة !!

ولكن ... لا ... إنها مهما بلغت من العنف فلن تبلغ ما بلغته عاصفتنا الهَجوم من بأس . . .

لله يا نيل تلك المحنة الأخلاقية التى تمزق وحدتنا ، وتمسخ وطنيتنا ، وتبعثر جهودنا ، وتَشَعّب أمرنا ، وتزيد فى وهننا ، وتضحك الأمم علينا ، وتُغرى الأعداء بنا ، وتَلْبِسُنا شيعاً وأحزاباً ، وتذيق بعضنا بأس بعض !

أهكذا نستقبل الربيع فى جنَّاتك يا نيل ؟

أين فرعون المحتفل والكاهن الشادى والشعب المغنى !

أين القائد الظافر والجند المنتصر والطائر الميمون !

أين البنود والأعلام ؟ أين الشعراء والأقلام ؟ أين العلماء الأعلام ؟

أهكذا نستقبل الربيع بمواصفنا كما يستقبلنا بمواصفه ؟

أهكذا لا نستطيع أن نتعلم درساً فى الجد من المجزرة البشرية الماثلة ؟ ألى هذا الحد تعقم وطنيتنا يا نيل ! أفى زحمة تلك الدموع التى تسكبها عيون اليتامى والمنكوبين فى بولندة وروسيا والصين ... نعبث فوق ضفافك هذا العبث يا نهرنا المقدس ؟

يا رب !

تدارك اللّهم هذه الأمة فلم شملها ، وارأبْ صدعها ، واحسم داءها ، وسدَّ ثُلمتها ، وأقم ما مال من أمرها ، وأصلح بالها ، وأقل عثرتها ، وألهمها السداد منك ، والتوجه إليك ، والإيمان بك ؛ فهذه محنة ليس لها إلا أنت ... إن لم تتدار كنا فمن يرحمنا ؟ وإن غضبت علينا فمن لنا ؟ . . . اللّهم فأصلح ذات بيننا فقد أعضل أمرنا ، وبهظنا الخلاف حتى ساء حالنا ... اللّهم إن هؤلاء قومى قد ضلوا سبيلك الحق فردهم إليه ، واستفزهم الشيطان بغروره فنجهم منه ، وافتتنهم فلا تدعه يستحوذ عليهم ... اللّهم إلا تهدنا نضل ، وإلا تنجنا نهلك ؛ فهذِّب اللّهم أعراقنا ، وطهر أخلاقنا ، فلا ملجأ لنا إلا إليك ، ولا نعوذ إلا بك يا قريب !

أرأيت يا نيل إلى هذه الوحدانية الجميلة الهينة الحنيفيَّة ؟ ! أليست خيرا ألف مرة من أربابك القدامى المتفرقة ؟ أوزوريس وإيزيس وولدهما هوراس ! وهذه العصبة التى لا تنتهى ... ورع ... وآمون ... ثم أمون رع ... بل الله الواحد الخلاق .

فما لنا نقدس لله الواحد وقلوبنا شتى ؟ !

ما لنا نعتصم بحبال من الشيطان ولا نعتصم بحبل من الله !

ما لنا نفرقنا وقد أمرنا الله أن نتحد ؟

علام الخلف بيننا والوطن ما يزال جريحاً يهتف بنا وينادينا ؟

هل يليقُ أن تكون الوطنيــة مغنماً ومغرماً والأقوياء يتطاحنون علينا ؟

أرأيتم إلى فرنسا ماذا أصابها ؟ إن آخر بطلين من أبنائها ما زالان فى شقاق ...

فمن لك يا نيل ... !

دريني خشبة

سليمان الحكيم

لتوفيق الحكيم!

للأستاذ سيد قطب

(تتمة)

لو انتهت تمثيلية « سليمان الحكيم » عند الحد الذى وصلنا إليه آنفاً ما نقصت فى نظرنا إلا القليل من وقعها النفسى ، ومن أهدافها الإنسانية . ولكنها كانت تفقد — ولا شك — شيئاً من كمال الصناعة الفنية التى يبدو أن « توفيق الحكيم » يعنى بها كل العناية ، ولا سيما فى هذه التمثيلية الأخيرة . فلما أن بدأ تمثيليته بالصياد والعفريت وجهاً لوجه ثم توسع فيها شيئاً فشيئاً فى عرض الأشخاص وفى المجال الذى يعرضهم فيه ، كان من كمال هذه الصناعة أن يضيق في مجال العرض وفى الأشخاص شيئاً فشيئاً حتى إذا وصل إلى النهاية كان على المسرح فقط الصياد والعفريت وجهاً لوجه كما بدآ ، وكان أن يقذف العفريت القمقم فيلتقطه الصياد ، وأن يعلنا ابتداء الحرب الأبدية بينهما بعد انتهاء الرواية الموضعية !

وتلك طريقة توفيق الحكيم المختارة فى الصناعة الفنية وفى الأهداف الفلسفية على السواء ، فى جميع تمثيلياته الرمزية الفلسفية ؛ أما التمثيليات والقصص الواقعية فلها نظام آخر وشأن آخر .

ولعله يحسن هنا أن أقول : إن توفيق الحكيم لم يحسم برأى فى مشكلة من المشاكل التى أثارها فى رمزياته جميعاً . « فشهريار » فى نهاية « شهرزاد » ذهب إلى حيث لا يعلم أحد ولم يحل مشكلة القلق العقلى التى صارع من أجلها المكان والمحسوسات والأشياء ! و « بيجماليون » مات وفى نيته أن يصنع في الفن ما لم يصنع وأن ينفذ الوحى الأخير الذى يموت كل فنان أصيل وهو فى نفسه أمنية توسوس له فى الخيال ! و « أهل الكهف » فارقوا الحياة ، وهم لا يدرون إن كانوا فى حلم أم فى حقيقة ، ولم يدر القراء — ولا توفيق الحكيم نفسه — من المنتصر ؟ القلب أم الزمن ، والفناء أم الإنسان ! وها هو ذا الصياد والعفريت فى « سليمان الحكيم » يعلنان الصراع الأبدى فى اللحظة الأخيرة ثم يسدل الستار !

تلك طريقة « توفيق الحكيم » التى لا تتخلف . ومنشؤها — فيما أعتقد — طبيعة توفيق نفسها ، فهو « الأديب الحائر » كما قال عنه مرة الدكتور طه حسين . إنه الشك غير الواعى فى طبيعة هذا الفنان ، وإنه القلق الدفين فى نفسه ، يصدانه عن التعرض للحلول الحاسمة وعن الفصل فيما يعرض من مشاكل وأزمات . وإن ظن أنه مختار فى اختيار هذه الطريقة !

ومع هذا فكم وددت لو تخلفت هذه الطريقة فى « سليمان الحكيم » ، أو لو سار عليها ، ولكنه ظل — كما بدأ — يدع الحادثة تتكلم ، بدل أن يلقن أشخاصه الحديث ، وبدل أن يطيل الحوار الفلسفى ليعرض به ما يريد أن يعرضه من المشكلات

لقد نسج « توفيق الحكيم » أهل الكهف وشهرزاد وبيجماليون على منوال واحد يختلف نسيجه بعض الشيء فى الواحدة منها عن الأخرى ، ولكنه منوال واحد على كل حال . فأما « سليمان الحكيم » فقد نسجت على منوال آخر يختلف فى طبيعة قالبه عن ذلك المنوال .

فى التمثيليات الأولى — على خلاف بينها فى الاتجاهات — كان المؤلف يبرز لنا شخصيات ويدير بينها حواراً حول مشكلة فلسفية أو إنسانية ، فنشعر لأول وهلة أن هذه الشخصيات إن هى إلا دمى تحركها أصابعه من وراء ستار لتنطق بهذه الأفكار وتختلف تلك التمثيليات فى هذه الخاصية — كما قلت — ؛ ففى « شهرزاد » مثلاً لا يخطر لقارئ يفهم ما يقرأ أن « شهرزاد » و « شهريار » و « قمر » و « العبد » ... هم أشخاص حقيقيون ممن نلتقى بهم فى هذه الحياة ؛ وإنما هم منذ أول لحظة رموز ؛ والمشكلة التى يراد منهم التعبير عنها هى مشكلة القلق الإنسانى والشك العقلى ، والتطلع إلى المجهول ، والتخلص من الواقع بعد ارتواء الغريزة والحصول على الاكتفاء الأرضى المحدود . وفى « أهل الكهف » ربما خطر للقارئ أول الأمر أن « مشلينا وبريسكا ، وأرنوش ويمليخا » ... هم أشخاص حقيقيون — ولو كانوا من أشخاص الأساطير — ولكنه يلمح هنا وهنالك ما يشككه فى واقعيتهم ؛ وما يلبث أن ينكشف له أنهم رموز وأن المشكلة التى يراد منهم التعبير عنها هى مشكلة الصراع بين الفناء والإنسان ، أو بين القلب والزمان . وفى « بيجماليون » يحس القارئ من أول الأمر أنه يعيش فى جو أسطورى رمزى وأن « بيجماليون » و « جالاتيا » و « فينوس » و « أبولون »

و « نرسيس » و « إيسميه » ... إن هم إلا رموز لقوى بشرية وكونية تتصارع فى الحياة أو فى نفس الفنان ؛ وإذا تصور لحظة أن بيجماليون هذا إنسان خاص ، فسرعان ما يرى أنه رمز للفنان الحائر بين الفن المثالى والواقع الحي ، وبين الطموح الخالد والقدرة المحدودة ؛ وبين التسامى الفنى والميل الغريزى فى الفنان .

فأما « سليمان الحكيم » ، فقد نسجت على منوال جديد ، وعاشت فى جو جديد . إنه جو أسطورى نعم ، ولكن الحياة كانت تدب فيه منذ اللحظة الأولى ، فسليمان إنسان نبى يحيا حياة النبى الإنسان ، وبلقيس ملكة وامرأة محبة تتصرف تصرف الملكات والنساء المحبات ، ومنذر أمير أسير محب حتى وهو تمثال ! وصادوق وآصف والصياد هم أناس يعيشون فى هذا المستوى طوال الفصول الخمسة ، وحتى « داهش بن الدمرياط » هو كذلك عفريت حى على هذه الأرض ، على الرغم مما يداف به إلى عالم الرموز !

وهم جميعاً يعيشون ونشعر معهم بحرارة الحياة ، ولكنهم فى الوقت ذاته يعرضون لنا فى تصرفاتهم وفى حوارهم القصير (بالقياس إلى الحوار الطويل فى التمثيليات الأولى) مشاكل فكرية وإنسانية ونفسية فى كل خطوة وفى كل حركة ، دون أن ينبهونا إلى أنهم يعرضون هذه المشاكل ويقصدون إلى هذه الأفكار ...

وهذه فى اعتقادى مقدرة فنية أكثر من المقدرة التى يحتاج إليها المؤلف فى التمثيليات الأولى ، ومنوال أصعب فى النسج عليه من ذلك المنوال

لذلك وددت أن يظل هذا النسق إلى نهاية التمثيلية ؛ ولكن توفيق الحكيم لم يطق صبراً على الاختفاء الطويل عن المسرح ، فقد أطل مرة أو مرتين برأسه فى أثناء الفصول الخمسة الأولى ليتفلسف بالعبارات ! وليشعرنا بوجوده خلف الستار . حتى إذا كان الفصلان الأخيران تمرد على السكون ، واقتحم حياة أبطاله الذين خلقهم ، وظهر على المسرح بشخصه ، ليلقن هؤلاء الأبطال حواراً طويلاً يكشف عما فى نفوسهم ، ويصور المشاكل الفكرية التى يريد تصورها ، بدل أن كانوا هم أول الأمر يصورون هذه المشاكل بتصرفاتهم فى الحياة !

وإننا لنلخص هنا هذا الحوار لنشرك معنا القراء فيما نراه :

لقد اصطدمت بلقيس بالحرمان النهائى ، وقد اصطدم سليمان بالخطيئة والحرمان ، وقد اصطدم الصياد بالمحاولة التى لم تتم ، ولكنها نزغة من نزغات الشيطان

فأما سليمان فقد حبس الجنىّ وترك الصياد — بعد أن علم من أمره ما علم — وهو متهالك على نفسه ، شقى بعذاب ضميره ، معترف بخطيئته ؛ بينما يحاول « صادوق » أن يبرر هذه الخطيئة وأن ينظر إلى سليمان بمنظار التقديس التام (شأنه منذ أول القصة) ذلك أنه يعمل لحساب المظاهر والجماهير ، بينما سليمان يستوحى العقيدة والضمير . (وذلك هو الفرق بين الكاهن والنبى)

وأما بلقيس فقد هدأت باليأس واطمأنت إلى صداقة سليمان فهى لن تحبه ولم يعد قلبها صالحاً للحب . ولكنه رجل منحها فى فترة ما حبه وإعجابه ، فصداقته الآن هى أقرب الأحاسيس إلى نفسها وفيها بعض العزاء

وإن بلقيس وسليمان ليحسان لهذه الصداقة طعما مريحاً بعد الحرمان !

وأما الصياد ، فقد استيقظ ضميره ، وإنه ليطلب إلى سليمان عقابه على النية (وقد ارتفع درجات هائلة فى سلم الحكمة العالية) فلا يجيبه سليمان إلى طلبه ؛ بل يطلب هو إلى الصياد أن يكون قاضيه لأنه خير منه فقد همّ ولم يفعل . أما هو فهمّ وفعل !

ثم تودع الملكة بلقيس الملك سليمان عائدة إلى مملكتها بعد المعركة !

فإذا كان الفصل الأخير ، فإن سليمان قد اعتكف فى القصر الذى كان قد بناه لبلقيس (فهو إذن مكان حبيب إلى نفسه وما تزال للحب الإنسانى خيوط على الرغم من الندم والتوبة) ! وإذا هو متكئ على عصاه ، وإذا الصياد قائم على حراسته بإذنه . وإذا هو يموت دون أن يعلم أحد بموته (حسب رواية القرآن) . فإذا انكشف أنه مات بدأ حوار فلسفى طويل بين آصف وصادوق والصياد ، تثار فيه مسائل فلسفية حول الحكمة الإنسانية الصغرى ، والحكمة الكونية الكبرى . وحول السخرية بحكمة الإنسان وعظمته ، مهما بلغ من الحكمة والسلطان !

ثم إذا الجنى يظهر وجهاً لوجه أمام الصياد ـ قوة الخير وقوة الشر ـ وإذا هو يعلن الصراع الأبدي بينهما فيلتقط الصياد القفاز ! وإذا الصياد والعفريت في هذه الصورة رمزان خالصان وقد كدنا نظن طول الرواية أنهما شخصان كائنان ! وكذلك تسفر الرمزية في سليمان وصادوق وبقية الأشخاص

وفى هذين الفصلين أشياء تزيد وضوح أهداف الرواية ، ولكن كم وددت لو سارا على النسق الأول فى استبدال الحادثة بالحوار والحركة بالكلمات

ولكنه توفيق الحكيم على كل حال !

وأحب أن أنبه هنا إلى لبس قد يقع فيه من يتصدون للنقد بلا اطلاع ولا استقصاء . فالناقد المنصف لتوفيق الحكيم يرى أن له تمثيليات وقصصاً أخرى تنبض بحرارة الحياة الإنسانية وفيها الفكاهة والدعابة التي زعم الأستاذ « محمد مندور » أنه محروم منها بعد اطلاعه الخاطف على تمثيلية « بيجماليون » وحدها . وإنى لأذكر فى هذه اللحظة « رصاصة فى القلب » ، و « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » وغيرها ، وفيها جميعاً هذه الحياة الحارة البسيطة الجميلة ، وهذا تنبيه يجب أن يقال

ولقد أسلفت رأيى فى مقدرة توفيق الحكيم على الحوار ، فأريد هنا أن أسجل له سبقه وتفرده فى إدخال الحوار إلى عالم الأدب العربي مستقلاً عن المسرح ، بحيث يصلح للقراءة المجردة عن التمثيل . وفى تناوله الأسانيد والأساطير تناولاً فنياً فى التمثيلية الأدبية ، واستخدامها لعرض المشكلات الفكرية ، والصراعات الإنسانية على السواء

وقد بلغ توفيق الحكيم فى « سليمان الحكيم » ـ على الرغم مما لاحظناه ـ قمته الفنية فى الصناعة : بلغها فى تنسيق العرض الذى تحدثنا عنه في أول المقال ؛ وبلغها فى إدارة الحوار وفى رسم الشخصيات ، وفى الالتفاتات السريعة الموحية والإشارة الخاطفة المصورة (وفى مقال لصحيفة لا يتسع المجال لضرب الأمثال كما يتسع لها فى كتاب)

ولقد كنت ألمح فى أثناء دراستى للتمثيلية تلك الخيوط التى ينسجها فى شخصية كل شخص ، ثم يلقيها على أبعاد متقاربة أو متباعدة ، ليعود إليها بعد حين ، فينسج الخيط التالى بجوار الخيط الأول وهكذا . فأحس بعد خطوات لِمَ ألقى بهذا الخيط هنا وبذلك الخيط هناك !

والصورة التى أستخلصها لطريقة عمل المؤلف : أنه استحضر جميع أفكار تمثيليته وجميع مشاهدها بالتفصيل قبل أن يمسك القلم ليكتب ، ثم جعل يلقى بهذا الخيط هنا وبذلك الخيط هناك ، ليجمع أطرافها إليه ويشدها جميعاً فى الوقت المناسب . وهو تنظيم دقيق قد يستغرب من « توفيق الحكيم » المعروف للناس ؛ ولكنه غير مستغرب عند الناقد الذى « يفقس » توفيق الحكيم !

ولقد بلغ كذلك قمة التمثيلية فى اللغة العربية حتى الآن . أما القياس إلى التمثيلية العالمية فلست أنا صاحب الحق فى هذا المجال

وقد تكون الفكرة فى « شهرزاد » أعلى أفقاً وأوسع مدى ، ولكن الطريقة هنا أكمل والحركة أسرع والحياة أوضح وأبسط

* * *

وإلى هنا كان يمكن أن ينتهى الحديث ، ولكن لا بد من كلمة قصيرة عن لغة التمثيلية فهى عامية معربة حين يتحدث فى جو أسطورى ؛ وهى عربية سهلة حين يخرج إلى الجو الفكرى

ولا يفوتنى أن أنبه إلى ثلاث غلطات لفظية جاءت فى الرواية : فقد جاء فى ص ٤٢ : « فأنتم ترون من حسن السياسة أن توكلوا الأمر إلىَّ » وصحتها « تكلوا » . وجاء فى ص ١١١ : « أومن بي أيها الأحمق » وصحتها « آمنْ » . وجاء فى ص ١٨١ : « عما أتكلم ؟ » وصحتها « عمَّ أتكلم ؟ »

وقد وددت أن أغض الطرف عن هذه الغلطات ، لولا أننى أريد السلامة التامة لفن توفيق الحكيم ولغة توفيق الحكيم !!

(حلوان) **سيد قطب**

حكم فى القضية رقم ٨٧ سنة ٩٤٣ عسكرية بندر أسيوط ضد شفيق حنين الصواف من أسيوط بحبسه ثلاثة شهور بالشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصادرة مع التكليفات والتعليق يومين لبيعه سكراً بأزيد من التسعيرة بجلسة ٣١ مارس سنة ٩٤٣

في التصوير الإسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ١ —

تقدمة

أحبّ قيس بن الملوّح ليلى العامرية ، وبادلته الحب العفيف البرىء ، فلما فشا أمرها حُجبت عنه ، فشق ذلك عليه ، وجاء يخطبها إلى أبيها ، فرفض أبوها أن يزوجه إياها ، وزوجها غيره ، فاشتد به الأمر ، وحزن حزناً شديداً أفقده عقله ، وقيل له : « المجنون » أو « مجنون بنى عامر » ، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرّقه ، ولا يمشى إلا عارياً ، ويلعب بالتراب ، وهزل وطال شعر جسده ، وهام فى البرية مع الوحوش والظباء فألفته ، وكان يشرب معها إذا وردت مناهلها ، وهى لا تنفر منه ، وظل هكذا حاله ، يتغنى غرامه التعس ، فى أشعار جيدة رقيقة ، إلى أن ماتت ليلى ... فلحق بها

هذه قصة « ليلى والمجنون » مجردة من كل تنسيق وتنميق وتزويق ، وهى قصة بسيطة . . . لا غريب فيها ولا عجيب . . . وهل هو غريب أو عجيب أن يعشق رجل امرأة ، فيعبث به العشق ويودى بعقله وحياته ... ولكن الذى يحيرنا حقا أن تنال قصة قيس بن الملوّح وغرامه بليلى العامرية كل هذا الاهتمام بين القصص الغرامية الأخرى لشعراء العرب « العذريين » و « المحققين » .

وليس يعنينى أن يكون شخص قيس بن الملوح تاريخياً أو غير تاريخى ، وإنما الذى يعنينى أن هناك قصة غرامية هى قصة قيس بن الملوح[1] ... ولا يعنينى أن يشك بعض مؤرخى الأدب العربى فى وجود المجنون ، أو أن يبالغ البعض الآخر فى إنكار وجوده[1] ، وإنما الذى يعنينى هو وجود « فن القصص الغرامى » عند العرب فى القرن الأول للهجرة وتطوره حتى كاد يكون فنّا مستقلاً على نحو ما نرى من فنون القصص الغرامى فى الأدب الحديث ، وأن يشق هذا الفن لنفسه طريقاً إلى الأدب الإيرانى حيث تنال قصة « ليلى والمجنون » ما نالته من الحظوة فى بلاد العرب ، بل إنها تنفرد هنالك بأن ينظمها أكابر شعرائهم مثل نظامى الكنجوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ هـ والأمير خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥هـ ، والشاعر الصوفى الكبير عبد الرحمن الجامى المتوفى سنة ٨٩٨هـ ، وابن أخته هاتفى الجامى المتوفى سنة ٩١٨هـ ، والشاعر نامى من شعراء القرن الثانى عشر الهجرى فى عهد الملك نادر شاه ، وغيرهم من شعراء إيران[2] . ثم تنتقل هذه القصة أيضاً إلى الأدب التركى فينظمها من شعراء الترك نجاتى المتوفى سنة ٩١٤هـ ، وحمدى المتوفى فى السنة نفسها ، وفضولى المتوفى سنة ٩٧٠هـ ، وغيرهم[3] . وأخيراً ينظمها شاعر مصر الكبير المرحوم أحمد شوقي بك فى قصته « مجنون ليلى »

وإننا لا نعجب إذا بحثنا فى الأدب الأوربى أن نجد بعض الأثر لموضوع قصة ليلى والمجنون فى القصص الغرامية الأوربيه التى وضعت فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ، مثال ذلك قصة « تريستان وأيسولده »[4] أو قصة « روميو

---

(١) حديث الأربعاء للدكتور طه حسين بك جـ ٢ ص ١١

(١) راجع آراء الرواة المختلفة فيما كتبه : ابن الكلبي ، وأبو الفرج الأصفهانى ، وابن قتيبة ، وابن خلدون ، وابن خلكان ، وداود الانطاكى وغيرهم . وكذلك من أخذ عنهم من المستشرقين مثل : نلدكه ، وبروكلمان ، ونيكلسون وغيرهم . وأخيراً فى البحث الذى كتبه الدكتور طه حسين بك قيس بن الملوح فى حديث الأربعاء جـ ٢ ص ١ وما بعدها

(٢) أنظر ما كتبه الدكتور عبد الوهاب عزام فى مدخل الشاهنامه جـ ١ ص ٢٦ ، Browne, Literary Hist. of Persia, II, 406 ff, III, 533 ff, IV, 229
James Atkinson, Laila and Majnûn, London 1905

(٣) راجع : Gibb, History of Ottoman Poetry, II, 91 ff, 138 ff, HI, 70 ff.

(٤) قصة Tristan und Isolde نظمها الشاعر Gottfried von Strassburg أحد شعراء الشعر الغرامى Minnesang الذى كان شائعاً فى القرنين ١٢ و ١٣ الميلادى فى أواسط أوربا وغربيها ، وكان هؤلاء الشعراء يجوسون أنحاء البلاد ويكتسبون معاشهم من نظم الغزل والتغني به فى قصور النبلاء

وجوليت »[1] . لا سيما ونحن نعلم أن الآداب والفنون الأوربية في ذلك الوقت كانت متأثرة إلى حدّ ما بالآداب والفنون الإسلامية عن طريق صقلية وإيطاليا وإسبانيا .

أما سبب عشق المجنون « ليلى » ، فهنالك روايات مختلفة[2] ، يجمع المجنون بينها في قوله[3] :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

ولكن المشهور ما رواه أبو عمرو الشيباني[4] أن المجنون كان يهوى « ليلى » وهما حينئذ صبيان ، فعَـلِق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلّقتُ ليلى وهي غِرّ صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْمَ يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

واقتبس الشاعر نظامي الكنجوي هذه الرواية وحورها بما يناسب الحضارة الإيرانية في عصره ، فاستبدل بالبادية والمواشي حجرة المكتب والكتب ، وجعل المجنون يقابل ليلى في المدرسة وهما صغيران ، ويتعارفان ثم يتحابّان في أثناء الدراسة . واقتدى بنظامي الكنجوي في ذلك سائر شعراء الإيرانية والتركية الذين نظموا قصة « ليلى والمجنون » .

وكانت هذه القصة أيضاً ، موضوعاً محبباً لدى المصورين في جميع فروع الفن الإسلامي وجميع عصوره ، فنرى صوراً كبيرة لتوضيح حوادثها في دواوين الشعر الإيرانية والهندية والتركية ، وعلى السجاد والقاشاني وغير ذلك من الأشياء والأدوات ، وتمثل هذه الصور المجنون هزيلاً ناحلاً ، عارياً من الثياب إلا من غلالة صغيرة تستر عورته ، ويحيط به بعض الظباء والوحوش .

(١) قصة Romeo and Juliet إيطالية الأصل وقديمة ، اقتبسها الشاعر الانجليزي Shakespeare وأعاد نظمها بالانجليزية في قصته الشهيرة

(٢) أنظر : حديث الأربعاء ص ٨ ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب ج ٢ ص ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة في الفصل عن « المجنون » ، وكتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق لداود الأنطاكي ص ٥٣ وما بعدها ، وديوان مجنون ليلى للوالبي طبعة بولاق ص ٣

(٣) تزيين الأسواق ص ٦٥

(٤) الأغاني ص ١١

وقد حاولت فيما أقصه هنا أن أوفّق بين الروايات المختلفة العربية والإيرانية والتركية ، وأن أوضح بعض حوادث القصة بما يسمح به المقام من الصور[1] .

— ١ —

كان الملوح بن مزاحم يجلس إلى جانب زوجته وكل منهما واجم يفكر في شئون الحياة ، فقد أوتيا الثروة والجاه وآلت إلى الملوح زعامة بطن من بطون بني عامر ، فكان سيد القوم



(شكل ١)

يتمتع بينهم بالهيبة والجلال والاحترام — ومع ذلك لم يكن لهما ولد يجلب إليهما البهجة والسرور فيلطف خُشونة حياتهما في الصحراء . ولكن من أين لهما هذا الولد وقد بلغا خريف الحياة ، وكاد يشتعل رأساهما شيباً ! فأخذ كل منهما يدعو الله تعالى أن يهب لهما من لدنه ولياً يرثهما ويخلفهما في رئاسة بيتهما وزعامة آلهما وقومهما ، وأن يكون قلبه بعيداً عن البغضاء مفعماً بالحب ، ليخفف عنهما صحبةَ بني عامر غلاظ الأكباد . وبينما هما في وجومهما مسترسلان ، يتنازعهما الأمل

(١) الصور المعروضة هنا من تصوير الأستاذ محمد محمود شلبي مصور دار الآثار العربية

واليأس ، إذ تفتحت أمام أعينهما أبواب السماء ، وانبثق منها نور غمرهما فى غلالة من الرحمة والرضوان ، وجعلهما يشعران بالسعادة والاطمئنان

واستجاب الله دعوات الزوجين الطيبين الصالحين ورزقهما صبياً جميلاً أسمياه قيسا ، كان موضع إعجاب كل من رآه . وأقام الملوح على إرضاع ابنه وتغذيته وتربيته أربع نساء الحى وأحذقهن فى القيام بهذه الفنون ، ونما الصبى وترعرع ، وشب فى كنف والديه ، يعطفان عليه ويخصانه بأكبر قسط من حبهما ورعايتهما . ورزقا غيره ولكنه بقى أحب إخوته إلى قلبيهما

وفى (شكل ١) نرى منزل الملوح بن مزاحم ، وقد شمله الطرب والسرور ، واجتمع فيه الأهل والأصدقاء يحتفلون بمولد قيس الذى نراه فى وسط الصورة فى لفافة تحتضنه سيدة من سيدات العائلة وتمسح رأسه الصغير فى عطف وحنان بخدها الأملس البض وهى تجلس به إلى جانب حجرة « الحريم » حيث جاء بعض السيدات لتهنئة والدته . وجلس الرجال على سجادة جميلة فى الحديقة أمام سور المنزل يتزعمهم الملوح بلحيته البيضاء وهو على رأس الجالسين إلى اليسار ، وقد جلس أمامهم أفراد فرقة موسيقية يعزف بعضهم بالمزمار ، وواحد منهم يغنى ، وتقف إلى جانبهم راقصة تضرب على الدف . ونرى الخدم والجوار والعبيد وهم يروحون ويجيئون فى أنحاء المنزل يحملون أطباق الطعام وصحون الحلوى . وقد راعى المصور فى تصوير سحن الرجال وملابسهم أن تكون عربية لتتناسب مع القصة العربية الأصل . وهذه الصورة[١] فى مخطوط من المنظومات الخمس للأمير خسرو الدهلوى ، مؤرخ سنة ٨٩٠هـ (١٤٨٥م) وكانت الصور التى فى هـذا المخطوط تنسب إلى المصور الإيرانى الشهير بهزاد لما فيها من ميزات أسلوب هذا المصور ، كالدقة فى رسم المبانى وزخرفتها ، وفى جزء الحديقة الظاهر إلى اليمين ، والاهتمام البادى على سحن الأشخاص ، ووجود العبد الأسود الواقف هنا فى وسط الصورة إلى اليسار ، وغير ذلك . ولكن يظهر أن هذه الصورة من تصوير أحد تلاميذ بهزاد . وهذا المخطوط محفوظ فى مجموعة شستر بيتى بلندن .

(يتبع)

محمد مصطفى
مساعد فى دار الآثار العربية

(١) هذه الصورة منقولة عن : Martin, Les miniatures, Pl. 16 أنظر أيضاً : Martin, II, Pl. 78 ، وانظر ما كتبه الدكتور كيل عن هذا المخطوط فى : S. P. A, III, P. 1863



ابتسم للحياة

أرسلها الشاعر إلى صديقه الشاعر الصائغ « ع. ف. م »
وهو يهديها هنا إلى كل عابس فى الحياة لعله أن يبتسم

شدةٌ لا تدومُ إلا قليلا ... لا تخَلْها مقيمةً لن تزولا
قد عرفناكَ فى الخطوب حُساماً ... ماضياً حدُّه وسيفاً صقيلا
ورأيناك فى الودادِ كريماً ... وعهدناكَ فى الوفاء جميلا
هل يَعيبُ السيوفَ فى الضرب يوماً
أنها فى الصراع تَلْقى فلولا ؟
أو يَعيبُ البدورَ فى الأفق يوماً ... أنها صادفتْ لحين أفولا ؟
يا صحيح الفؤاد والودِّ إنى ... ساءنى اليومَ أن أراكَ عليلا
شدةٌ تنجَلى ونحسٌ يولّى ... عن قريبٍ ولا يدوم طويلا
ستعودُ الحياةُ أحسنَ عرضاً ... ويصيرُ الزمانُ أحلى فصولا
ابتسم فالحياة ليست تساوى ... صرخةً منك أو تساوى عويلا
ليس يُجْدى الأسى عليك قليلا ... ليس يغنى العُبوس عنك فتيلا
يا قوىَّ الإيمان بالله مهلاً ... يا صحيح اليقين صبراً جميلا

محمد عبد الغنى حسن

دير الحياة

ذكروا الشبابَ فقلتُ : إى والله
ما كنت عن ذكر الشباب بساهى
لكن يعزُّ علىَّ نعىِ باقياً ... وبِنِىٍّ لا بسواه من أفواهِ
نعىُ الفتوةِ والنضارة والهوى ... والرقص فى النيران والأمواهِ
والروغ من فرضٍ علىَّ وواجبٍ ... إن يُعفِنى لم أُعفَ من إكراه
أمرٌ وفائىَ صَدَعْتُ به وكم ... بعد الشباب أوامرٌ ونواهى ؟
وبصيرةٌ كشفت لعينى بعد ما ... كلَّتْ مآسى كُنَّ قبلُ ملاهى
قوسُ السحاب أرى به أنواءه ... لاما احتوى من كل لونٍ زاهى
وإذا بدا الشفقُ الفرىُّ تهوّنى ... ظلمٌ لدى الأفق البعيد دواهى
والورد يَسنح لى فأبحث جاهداً ... عن شوكهِ خلف الجمال الباهى
فإذا الذى هو مؤنسى هو موحشى
وإذا الذى أغرى شبابىَ ناهى
وإذا الخدود تغيَّرت أوضاعُها ... وخلودُ أحلامِ الشباب تناهى

***

يا راعىَ الغزلانِ فى (وادى طوًى)
أقصِرْ ، فأعينهن عنك سواهى !
إخلعْ هنا نعليكَ إنك واقفٌ ... فى موقف المتبتّلِ الأوّاه
وانظر صدى الوادى بكل عهوده ... لحناً تُغنّيه بصوتٍ واهى
ذكروا المشيبَ فقلتُ : لا والله ... ما كنتُ فى ديرِ الحياةِ بلاهى

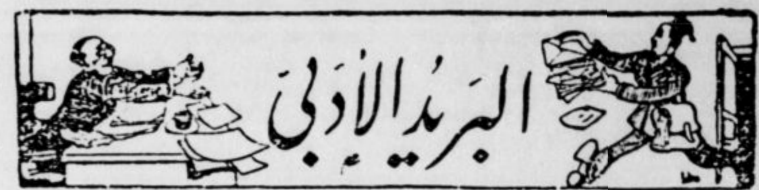
محمود عماد

السبيل القويم

الناس صنفان : صنف دائماً حذرٌ ... يخشى المنايا ويقضى العمر أوهاما
وذاك صنف إذا انتابته خشيته ... توهم الكون فى عينيه آلاما
وثانى اثنين مَنْ يحيا بعزمته ... حتى ليحسب صوت الرعد أنغاما
وذاك صنف عزيز دائماً أبداً ... يضيف للعمر أياماً وأعواما
فاختر لنفسك فى دنياك عزتها ... وابسم لدهرك مهما شاء أو راما

عبد القادر محمود

حكم فى الجنحة العسكرية ١٦٤ مفاغه سنة ١٩٤٣ بحبس عطية سالم جزحجى بمفاغه بجلسة ٣١ – ٣ – ٩٤٣ سنة شهور شغل وغرامة ١٠٠ جنيه والجلد عشر جلدات لبيعه سكرا بأزيد من التسعيرة



هل قتل ذو القرنين بيد التتر ؟

قرأت ما كتبه الأستاذ إبراهيم الدسوقي في العدد (٥١٢) من مجلة الرسالة الغراء ، فوجدته لا يزيد عن تكرار ما كتبه أولاً وثانياً ، ويتهرب من الرد على ما أذكره في تأييد رأيي أو يحوله عن وجهه ثم يرد عليه ، وهذا كما فعل في ردي عليه بأن كيرش قتله التتر في حربه لهم ، وذو القرنين المذكور في القرآن لم ينته أمره معهم بهذا الشكل ، لأن الله تعالى يقول في شأنه معهم : (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا ، قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا)

ولا يمكن أن يفعل ذو القرنين هذا مع يأجوج ومأجوج ثم يتمكنوا من قتله ، لأنهم لا يقتلونه إلا إذا استطاعوا أن يظهروا ذلك السد أو ينقبوه ، وقد أخبر القرآن أنهم لم يستطيعوا شيئاً من ذلك ، وإذن لا يمكن أن يكون ذو القرنين كيرش المقتول بيد التتر . فلما أراد الأستاذ إبراهيم الدسوقي أن يرد على هذا حوله عن وجهه ، وذكر أني أقول إن كورش قتل ببلاد التتر وذو القرنين لم يقتل ، ليتأتى له أن يقول في رده عليّ : ومن أين عرف أن ذا القرنين لم يقتل في حين أن القرآن لم يذكر إلا جزءاً يسيراً من تاريخه . وستطول المناظرة بيننا بهذا الشكل ، ولهذا رأيت أن أتركها إلى ما هو أهم .

عبد المتعال الصعيدي

ضبط الخلاف بين العربية والعامية ممكن

اطلعت في العدد (٥١٢) من مجلة الرسالة الغراء على كلمة للأستاذ الفاضل عبد الحميد عنتر تحت عنوان (ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل) يرد بها على اقتراح مقدم إلى المجمع اللغوي في ضبط الخلاف بين العربية والعامية ، فعجبت لدعوى الاستحالة من الأستاذ في هذا الأمر الممكن ، عجبت لإقدامنا على هذه الدعوى بسهولة ، بينما غيرنا يحاول أن يمحو كلمة مستحيل من قواميس اللغة . على أن ما كتبه الأستاذ في الرد على هذا الاقتراح لا يمت بصلة إلى عنوانه ، وقد ذكر في هذا الرد أن المتواضع عليه بين العلماء أن اللفظ العامي ما لم ينطق به عربي ، وأنه المدار في تمييز العربي من العامي على النقل عن المعاجم اللغوية ، ولا شك أن في هـذا ضبطاً للخلاف بين العربية والعامية ، فكيف يدعي معه أن ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل ؟

والاقتراح المقدم إلى المجمع اللغوي يرمي إلى إبطال هذا الضابط المتواضع عليه بين العلماء ، لأنه يبعد الشقة بين اللغتين ، ويؤدي إلى تخطئة كثير من العامية بدعوى أنه لا يوجد في معاجم اللغة ، مع أن هـذه المعاجم لم تستقص اللغة كلها ، ولو رجعنا إلى الضابط المذكور في ذلك الاقتراح لأمكن تصحيح ما يعد خطأ بالضابط المتواضع عليه بين العلماء ، وفي هذا تسهيل كبير لأمر العربية في هـذا العصر ، وتقريب للخلاف الذي بينها وبين العامية ومحاولة لجمع المختلفين في شأن اللغتين على أمر لا يؤثر في صميم العربية ، ويضم إليها كثيراً ممن ينتصر للعامية عليها ، وقد ذكر الأستاذ « عبد الحميد عنتر » في الرد على هذا الاقتراح أنه يخالف الضابط المتواضع عليه بين العلماء ، ومثل هذا من المصادرة التي لا تصلح في مقام الرد ، ثم ذكر أنه لو صح ذلك لجاز للعامي أن يخترع ألفاظاً لا حصر لها على نمط الأوزان العربية . والجواب عن هذا أن الاقتراح في ألفاظ موجودة بالفعل وهي ألفاظ جرت عليها سليقة الناس ، ولا شأن له بما يخترع من الألفاظ ، على أنه لا يوجد ما يمنع العامي من اختراع مثل ذلك عند حاجته إليه ، وذلك حين لا يجد في اللغة ما يغنيه عنه . ثم ذكر أنا لو أخذنا بهـذا الاقتراح لخطأنا نحو ربع اللغة من الألفاظ الشاذة ، وهذه مغالطة ظاهرة ، لأن موضوع الاقتراح الألفاظ العامية لا العربية . وأما ما ذكره في الأمثلة من تصحيح بعضها على لغة من اللغات فلا يفيد شيئاً في موضوع الاقتراح ، ولا يصح أن يصرفنا البحث فيها عن البحث في الاقتراح نفسه ، والأمثلة كثيرة لا تحصى ولا تعد .

(. . .)

ذو القرنين غير الإسكندر المقدوني

تأييداً للرأي القائل بأن أحدهما غير الآخر — وهو الرأي الذي أعيد موضحاً بالعدد (٥١٢) من الرسالة — أنقل ما يأتي :

(ومن ملوكهم — يعني اليونانيين — الإسكندر المقدوني وهو ابن فيلبس ، وليس بالإسكندر ذي القرنين الذي قص الله نبأه في القرآن بل بينهما فروق كثيرة . وبينهما في الدين أعظم تباين ؛ فهذا كان صالحاً مؤمناً ، وذاك المقدوني كان مشركا . وكان أرسططاليس وزيره) . عن كتاب الإغاثة لابن قيم الجوزية أحد أعلام القرن الثامن الهجري صفحة ٣٦٧ ببعض اختصار

وفي كتاب (لقطة العجلان) لصديق حسن خان القنوجي البخاري ملك مملكة بهوبال :

« التحقيق أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه عربي كثر ذكره في أشعار العرب واسمه الصعب بن ذي مرائد ابن الحارث الرائش وأنه ملك من ملوك حمير . وقد غلط من ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين ؛ فإن لفظة ذو عربية ، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن ، وذاك رومي يوناني غزا دارا ملك الفرس وقتله . وهو صاحب أرسطاليس وتلميذه . وذو القرنين المذكور في القرآن ملك قديم كان على زمن إبراهيم وهو الصعب بن الرائش الذي مكن الله له في الأرض وبنى السد على يأجوج ومأجوج . وقد غلط من ظن أن باني السد هو الاسكندر الرومي » صفحات ١٠ ، ١١ ، ٩١ ، ٩٢ باختصار وبعض تصرف . هذا ويؤثر عن تبّع قوله :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً	ملكاً تذل له الملوك وتسجدُ

ويروى بلفظ آخر فيه التصريح بأنه جدٌّ لتبع اليماني وهو :

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً	ملكا علا في الأرض غير مفنَّد
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغي	أسبابَ أمرٍ من حكيم مرشِد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها	في عين ذي خُلب وثأط حرمد[1]

محمد عبد الله الجزار
أستاذ بكلية الشريعة

حول مقال « أثر المرأة في علي محمود طه »

جاء في مقال الأستاذ ادوار حنا أسعد المنشور في العدد السابق أن لفظة « الثلاثون » الواردة في بيت شعر من قصيدة « بحيرة كومو » للملاح التائه لم تأت إلا لضرورة الشعر ، مدللاً على ذلك بكلمة من مقال للأستاذ الزيات ذكر فيها أول لقاء تم بينه وبين الشاعر إذ كان في إبان شبابه ، وكان الأستاذ الزيات في عنفوان شبابه . ثم عاد الكاتب في موطن آخر من مقاله إلى التعليق على ذلك

والذي أعرفه ويعرفه أصدقاء الشاعر أنه نظم قصيدة « بحيرة كومو » الوارد في سياقها البيت المشار إليه ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره . ولعل ما يؤثر من الأستاذ علي محمود طه هو احتفاله بذكر العلاقة الزمانية والمكانية بين ما ينشئه من شعر في أدوار حياته المختلفة حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من الخلط والاضطراب

حسن كامل الصيرفي

نزول عيسى

أرسل إلينا الأستاذ الجليل محمود شلتوت أولى مقالاته التي كتبها في « نزول عيسى » يفند فيها بالحجج اللازمة والنصوص الصريحة أقوال معارضيه ، ويعرض لبعض ما عُمّى على الحشويين والمتنطعين من وجوه الاستدلال بالحديث ، ويدلي بالقول الفصل فيما يختلف فيه الناس من حين إلى حين في بعض المسائل الشرعية . وقد كان بودنا أن ننشرها ، ولكن أسباباً قاهرة حالت دون ذلك

حانة الشعراء

نشرنا في العدد الماضي من (الرسالة) هذه القصيدة الفريدة من ديوان « زهر وخمر » للشاعر الكبير علي محمود طه ، ولكن مقطوعتين سقطتا منها سهواً عند الطبع ؛ فأحببنا أن ننشرهما احتفاظاً بوحدة القصيدة ، ومكانهما بين المقطوعة الرابعة والمقطوعة السابعة ، وهما :

مِنْ كلِّ مُرْسِلِ شَعْرِهِ حِلَقَا	وَكَأَنَّهَا قِطَعٌ مِنَ الحَلَكِ
غَلْيُونُهُ يَسْتَشْرِفُ الأُفُقَا	وَيَكَادُ يَخْرِقُ قُبَّةَ الفَلَكِ
أَمْسَى يُبَعْثِرُ حَوْلَهُ وَرَقَا	فَكَأَنَّهُ فِي وَسْطِ مُعْتَرَكِ
فَإِذَا أَتَاهُ وَحْيُهُ انْطَلَقَا	يُجْرِي اليَرَاعَ بِكَفِّ مُرْتَبِكِ
وَيَقُولُ شِعْراً كَيْفَمَا اتَّفَقَا	يُغْرِي ذَوَاتِ الشَّكْلِ بِالضَّحِكِ

«باخوسُ» يَرْوِي عنْ غَرَائِبِهِمْ	شَتَّى أَحَادِيثٍ وَأَنْبَاءِ
قِصَصٌ تَدَاوَلُ عَنْ صَوَاحِبِهِمْ	وَعَنِ الصَّبَايَا فِتْنَةِ الرَّائِي
وَعَنِ الخَطِيئَةِ فِي مَذَاهِبِهِمْ	بَدَأَتْ بِآدَمَ أَمْ بِحَوَّاءِ
وَالمُلْهِمَاتُ إِلَى جَوَانِبِهِمْ	يُكْثِرْنَ مِنْ غَمْزٍ وَإِيمَاءِ
يَعْجَبْنَ مِنْ فِعْلِ الشَّرَابِ بِهِمْ	وَيَلُذْنَ مِنْ سَأَمٍ بِإِغْفَاءِ

(١) الخلب: الطين والثأط: الحمأة والحرمد كجعفر وزبرج: الأسود

إلى الأستاذ حبيب الزحلاوى

أهدى إلى الأستاذ أحسن تحية ، وأعتذر إليه من تأخر هذه الكلمة بأنى طالعت أولاً « شباب قلب » لكى أشكر له هذه الهدية النفيسة ، وأشكر له فى آن معاً ، فضله الذى أتاح لى التلذذ بقراءة كتابه البديع .

صوّر لنا الأستاذ أفراداً من المجتمع فى زماننا هذا ، ومثلهم بسجاياهم ووجدانياتهم ، وشهواتهم وأهوائهم ، وقص حوادثهم وفعالهم ، ووصف أزمنتها وأمكنتها ، وصاغ كل أولئك على نظام سليم من السرد الرتيب ، فى أقاصيص شائقة وليدة ملكاته الراوية من تجاربه الشخصية ومطالعاته ، وقد مازجها الخيال وإن أنشأها من الحقائق الواقعية حتى ليكاد القارئ يتعرف فيها مثلاً شيخ « فلسفة الشيخوخة »

وليس فى هذه الأقاصيص عقود وحلول ؛ بل هى بسيطة بين الأقصوصة والحكاية ، وهى قطع من الحياة متفرقة ، لكن تضمها جهة جامعة تلوح فى خفاء للقارئ . وبودى لو يكتب الأستاذ قصة كاملة فيتسع فيها المجال لملكاته ، لكى تبلغ مدى قدرتها على تمثيل الحياة المصرية أو الشرقية لهذا العهد

وقد ماشى الأسلوب الحىّ فى « شباب قلب » تلك النفوس فيما خالجها من اكتئاب أو ابتهاج ، وحياء أو إباء أو رجاء ، وإعجاب أو عتاب ، وقلق أو شكوى ، وحسرة أو رغبة أو شهوة ؛ وتوافرت فيه الحركة بوسائل معنوية بلاغية ، كالتعجب والمبالغة ، والتجاهل والاستفهام ، والتصريح والتلميح ، والتشبيه والتصوير ؛ وجاء سريع المعانى إلى الفهم بمثل الفصل والوصل والإضمار فى عبارات تتمّ معانيها بالتقدير .

فما حسن بالفصل ، مثلاً : « كنت أنعم بالراحة كلها فى مخاصرة هذه السيدة التى تنبعث منها الطمأنينة إلى أعماق نفسى ؛ لم أكلمها ، لم أجتل محياها ، كنت نشوان بها ... »

ومن التشبيهات غير المحفوظة : « ذكرت ذلك الدير المهيب الشاهق الرابض فوق الربوة شبيهاً بقلعة شيدت لحماية الخيالات والأوهام ! ! » ومنها أيضاً : « أشعلت غليونى ، أخذت أنظر الدخان يعقد حلقات تتمدّد وتتبخر كخواطر الإنسان ، وأرى النار تتأجج وتهمد فى قلبه كالرغبات فى ضمير الرجل » ؟

ومن وصف الجمال ، والحياء ، والطهر ، والإعجاب : « ذكرت تلك الفتاة القروية عائدة من الكنيسة بثيابها الفضفاضة ، وضفائرها المنسدلة على كتفيها ، ووجهها الخمرى الزاهر بنفحات الربيع ، وصدرها الناهد ، وقدها المشوق ، وخطواتها المتزنة الحازمة . كم كانت رائعة صبغة الخجل الوردية التى اصطبغت بها أذناها لما سألتها عن اسمها ، وهل فكرت فى صلواتها فى غير أهلها ممن تعرف من الناس ! »

ومن المعانى المضمرة فى العبارة « كل امرأة ترضى الرجل ، وليس كل رجل يرضى المرأة . أما أنا فانى امرأة يسكن جسدى روحان : الأول محلّق فى السماء مصعّد نحو المجهول ، والثانى دنيوى يلتصق بأديم الأرض . ولم يكن تطلعى إلى السماء يعمينى عن التطلع إلى الأرض ! »

ومن جميل التصوير : « ممثل هزلى بارع . إحساسه فى وجهه ، وعقله فى نظرات عينيه ، وبراعة فنه فى إيماءته وسكونه » ؛ وأيضاً : « زايلت البيت فرحته ، فانطفأت أنواره ، وقد كانت تتألق أكثر الليل ؛ وهمدت الحركة فيه ، وقد كانت مرحة طليقة فياضة ؛ وخرست موسيقاه ، وقد كانت تفيض على الجيران أنغامها فاتنة ساحرة ، وانقطع عنه زواره ، وتبدلت وجوه قطانه ، خادمين ومخدومين ، واعتلاها مسحات من كآبة وسحب وغيوم »

إن هذا الكتاب ، على الإجمال ، أدب حىّ تزينه ثمار من المعرفة ، ويظهر فيه إلمام من الاشتراكية والمادية ، وأثر واضح من نظرية فرويد ؛ وأسلوبه محدث صاغته شخصية حرة ، وملكات طليقة . وما هفواته فى صدقه وتمثيله وقيمته الأدبية بشىء يذكر

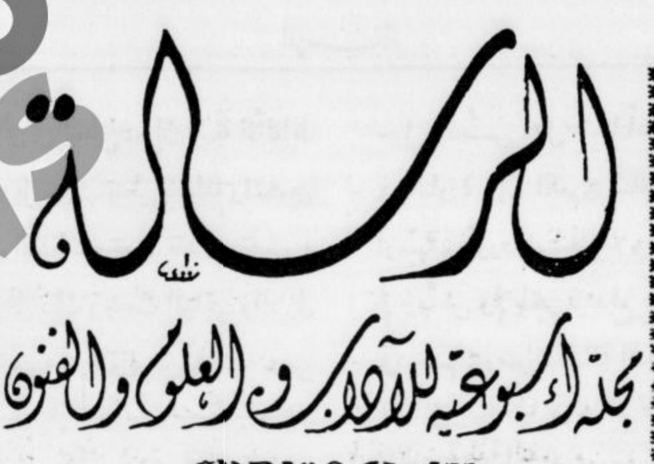
ثم سرورى بهدية الأستاذ الفاضل وثنائى عليه

محمد توحيد السلحدار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 514 — Lundi - 10 - 5 - 1943



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥١٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

١٠ ـ دفاع عن البلاغة

٢ ـ الأسلوب

من رجال الأدب من يرى أن العلاقة بين المعنى واللفظ كالعلاقة بين الجسم والثوب ، لكل منهما على تلازمهما وجود ذاتي مستقل له أوصافه وخصائصه ؛ فالجسم يقوَّم بحساب الخلقة ؛ والثوب يقوَّم بحساب الصناعة . ومنهم من يرى أن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد ، لا يوجد هذا بغير ذاك ؛ فإذا انفك أحدهما عن الآخر مات الحي وفسد الكائن . ونحن كما علمتَ من قبل على رأى هـذا الفريق . فقد قلنا في كلمة سبقت إن الأسلوب هو الهندسة الروحية لملكة البلاغة ؛ وإن البلاغة التي نعنيها هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل : إذ الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ ، وإذا فصلت بينهما أصبح الروح نَفَساً لا يتمثل ، والجسم جماداً لا يحس

فالفكرة والصورة في الأسلوب كلٌّ لا يتجزأ ، ووحدة لا تتعدد . وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت في الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت في الفكرة تغيرت الصورة . فقولك أعنيك ، غير قولك إياك أعنى . وقولك كل ذلك لم يكن ، غير قولك لم يكن كل ذلك . وقولك ما شاعر إلا فلان ، غير قولك ما فلان إلا شاعر . فترتيب الألفاظ

فى النطق لا يكون إلا بترتيب المعانى فى الذهن؛ وإن مزية الألفاظ « ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك »[1] . « ولن يتصور فى الألفاظ وجوب تقديم وتأخير، وتخصيص فى ترتيب وتنزيل . وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل فى الجمل المركبة ... فقيل من حق هذا أن يسبق ذاك، ومن حكم ما ههنا أن يقع هنالك ... فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ، فيقول : حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوى، بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده »[2] .

وإنا حين ذكرنا أن الأسلوب هو الطريقة الخاصة فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام، كنا نريد بذلك اختيار الألفاظ على الشكل الذى يرتضيه الذوق، وتأليف الكلام على الوضع الذى يقتضيه العقل .

فالأسلوب إذن هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها فى الصورة اللفظية المناسبة . هو ذلك الجهد العظيم الذى يبذله الفنان من ذكائه ومن خياله فى إيجاد الدقائق والعلائق والعبارات والصور فى الأفكار والألفاظ، أو فى الصلة بين الأفكار والألفاظ . ولهذا الجهد جهتان : جهة موضوعية تتصل بالنظام، وهو حسن الترتيب، وصحة التقسيم، وإحكام وضع القطع فى رقعة الشطرنج التى نسميها جملة أو فقرة أو فصلاً أو مقالة . وجهة أخرى شكلية تتصل بالحركة، وهى خلق الكلمات والصور والتأليف بينهما على نمط يحدث الحياة والقوة والحرارة والضوء والبروز والأثر

من ذلك نرى أن الأسلوب خلق مستمر : خلق الألفاظ بواسطة المعانى، وخلق المعانى بواسطة الألفاظ . ومن ذلك نرى أن الأسلوب ليس هو المعنى وحده، ولا اللفظ وحده، وإنما هو مركب فنى من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . تلك العناصر هى الأفكار، والصور، والعواطف، ثم الألفاظ المركبة، والمحسنات المختلفة

والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلى أو الحسى فى صورة محسة، وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفر منه

فى قول أمير البلاغة على بن أبى طالب : « ألا إن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، وخلعت لجمها، فتقحمت بهم فى النار؛ وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها، وأعطوا أزمتها، فأوردتهم الجنة » . تجد صورتين : صورة الفرس الشموس لم يروض ولم يلجم فيندفع براكبه جامحاً لا ينثنى حتى يتردى به فى جهنم؛ وصورة الناقة الذلول قد سلس خطوها وخف عنانها فتنطلق بصاحبها فى رسيم كالنسيم حتى تدخل به الجنة . ثم تجد عاطفتين : عاطفة النفور من الألم الذى يشعر به الخاطئ المستطار وقد جمحت به خطاياه الرعن فى أوعار الأرض حتى ألقته فى سواء الجحيم؛ وعاطفة الميل إلى لذة المتقى الوادع وقد سارت به تقواه سيراً ليناً حتى أبلغته جنة النعيم

ذلك من حيث الموضوع؛ أما من حيث الشكل فتجد اختيار الألفاظ المناسبة للفكرة، كالمطايا وما يلائمها من الانقياد والإيراد هنا، وكالخيل وما يوائمها من الشماس والتقحم هناك . والفروق الطبيعية بين هذين الحيوانين فى هذين المكانين لا تخفى على ذى لب . ثم تجد بعد ذلك هذا التأليف المتوازن المحكم الرصين، وهذه المقابلة البديعية بين عشرة معان لا تكلف فى صوغها ولا تعسف

***

أما القائلون باستقلال طرفى الأسلوب فجريرة رأيهم على البلاغة أن الذين فسدت فيهم حاسة الذوق أهملوا جانب اللفظ، والذين ضعفت فيهم ملكة العقل غضوا من شأن المعنى، فضلوا جميعاً طريق الأسلوب الحق؛ فلا هؤلاء سلموا من معرة العى، ولا أولئك سلموا من نقيصة الهذر

قال أبو هلال : « ليس الشأن فى إيراد المعانى؛ لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى؛ وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه ... مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف ... » . وقال لابروبير : « إن هوميروس وأفلاطون وفرجيل وهوراس لم يبن شأوهم على سائر الكتاب إلا بعباراتهم وصورهم » . وقال شاتوبريان : « لا تحيا الكتابة بغير الأسلوب . ومن العناء الباطل معارضة هذه الحقيقة؛ فإن الكتاب الجامع لأشتات الحكمة يولد ميتاً إذا أعوزه الأسلوب »

وهؤلاء ومن لف لفهم من أنصار الصياغة أقرب إلى الصواب من أولئك الذين كفروا بها وشنعوا عليها . وتعليل ذلك ستقرأه فى الحديث المقبل .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

(١) أسرار البلاغة ص (٣) (٢) دلائل الإعجاز ص (٤٠)

نزول عيسى

للأستاذ محمود شلتوت

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (قرآن كريم)

في مثل هذه الأيام من العام الماضي ورد إلى « مشيخة الأزهر سؤال عن عيسى عليه السلام : أحيٌّ هو أم ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ وعن حكم المسلم الذي ينكر أنه حي : أتبقى له زوجته ، وإذا مات أيصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ، أم يكون مرتداً فتبين منه زوجته ، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ؟

حولت المشيخة الجليلة هذا السؤال إلينا ، وطلبت أن نكتب فيه رأينا ، فعرضنا للآيات التي وردت في القرآن الكريم متصلة بنهاية عيسى مع قومه ، ثم عرضنا للمروى من الأحاديث في هذا الشأن ، وبحثنا الجميع على ضوء ما تبحث عليه الآيات والأحاديث ، فخرجنا من البحث بهذه النتيجة وهي بنصها :

« والخلاصة من هذا البحث :

١ — أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها ، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض

٢ — أن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه

٣ — إن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه فيها حي إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكراً لما ثبت بدليل قطعي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا مات فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ويدفن في مقابر المؤمنين ولا شية في إيمانه عند الله . والله بعباده خبير بصير »

قدمت هذا البحث إلى المشيخة الجليلة ، وبعد أن استقر الأمر عليه رأيت أن أنشره على صفحات الرسالة الغراء سداً لباب التكفير بهذا وأمثاله الذي شاع وذاع واتخذه بعض الناس حرفة في التدين ، وإعلاناً للورع والتقوى ، وتظاهراً بمظهر الغيرة على دين الله وأحكامه . وقد تفضلت الرسالة بنشره في العدد ٤٦٢ الصادر في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦١ هـ

وما كنت أظن أن متذوقاً للعلم واقفاً على أصول الاستدلال الشرعي تزورُّ عن هـذا البحث ويلتوي عن هذه الخلاصة البينة الواضحة ؛ ولكن قوماً لهم من شبه العلماء الزي واللقب قد حاولوا أن يغضوا من هذا البحث أو يثيروا من غبارهم عليه ، فنسجوا حوله خيوطاً ضعيفة واهية من الشبه ، وأخذوا يكتبون كلاماً مردداً متشابهاً في مجلات وصحف لا تقع عليها عين عالم . ويرجع كل ما موهوا به إلى ما يأتي :

١ — « أن حياة عيسى الآن ونزوله من السماء آخر الزمان ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع »

٢ — «أن من أنكر نزول عيسى كمن أنكر خروج المهدي ، كلاهما كافر مرتد عن الإسلام كمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره »

٣ — « أن هذا البحث صدر بروح قاديانية » : قصد صاحبه به أو سار فيه هوى أتباع غلام أحمد القادياني

ونحن نبدأ بالنقطة الثالثة لأن لها شيئاً من الطرافة ، ولأنها توضح للقراء أسلوب هؤلاء القوم في البحث وطريقتهم في التفكير والتكفير معا !

يقول « كبيرهم » في مطبوع له نشره :

« ولعل السائل هندي قادياني المذهب أراد الحصول على فتوى من الأزهر تؤيد مذهبه ! ولعل مشيخة الأزهر ندمت بعض الندامة على ما سبق لها من تنفيذ القرار الصادر عن هيئة كبار العلماء لطرد الطالبين الألبانيين القاديانيين من الأزهر ؛ إذ حولت السؤال إلى الشيخ كاتب المقالة من بين علماء الهيئة الذي سنعرف القاديانية في المسألة المحولة إليه ، فكان جوابه أنه

عليه السلام مات فى الأرض ورفعت روحه ولم يرفع حيا »

وهنا يكتب تعليقاً فى أسفل الصحيفة، يقول فيه سامحه الله :

« وكنت قد سمعت عند ما فاوضت هيئة كبار العلماء فيما بينهم للبت فى أمر الطالبين المذكورين أن فى الهيئة من يشذ ويتردد فى الإفتاء بكفر المنكر لكون نبينا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء طعناً منه فى حجية الحديث الوارد فيه والإجماع المنعقد عليه وفى دلالة قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) عليه القطعية ؛ وقد رددت على هذا العضو الشاذ شذوذه فى مقدمة الكتاب « الذى لم ينشر تمامه بعد » والآن أقول : إن كان الشيخ شلتوت لم يتأخر التحاقه بهيئة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين فهو أول من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ ! »

هكذا يقول شيخ الإسلام الذى كفرت به تركيا ! فارجع أيها القارئ إلى هذه العبارة ورددها لتنظر ما ذا يكتب صاحب « القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » رددها لتعلم العامل الوحيد الذى جعل دولة إسلامية كبرى تتشكك فيما ينسب إلى الدين عن طريق هؤلاء !

يبيح هذا الشيخ لنفسه أن يرى وجوه أهل العلم بدون أدنى تثبت بتهم خطيرة فى مثل هذه العبارة الركيكة الملتوية، فيزعم أن نزعة كاتب هذا البحث قاديانية، ويزعم أن هناك عضواً فى جماعة كبار العلماء شذ فعارض فى فصل الطالبين القاديانيين، وأن هذا العضو يتردد فى الإفتاء بكفر من أنكر ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه يطعن فى حجية الحديث الوارد فيه، ويطعن فى الإجماع المنعقد عليه، ويطعن فى دلالة الآية القطعية عليه . يتصور هذا الشيخ عضواً فى جماعة كبار العلماء هذا شأنه وتلك عقيدته، ويؤلف كما يقول كتاباً فى الرد عليه لم ينشره بعد، وهو لا يعرف شخصه ولا يكلف نفسه السؤال عنه حتى تسعفه به المصادفة فيجمع فى خياله بين بحث شلتوت ومعارضة العضو المجهول فى فصل الطالبين، بل يجمع بين بحث شلتوت وكفر هذا العضو المجهول بإنكاره مسألة من أمهات مسائل الدين وأصوله فيقول : « إن كان الشيخ شلتوت لم يتأخر التحاقه بهيئة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين فهو أول من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ ! »

ولست فى حاجة إلى أن أقول : إنه لا يوجد بين كبار العلماء قاطبة، ولم يكن فيها من قبل، شخص كهذا الذى تصوره الشيخ وألبسه تلك العقيدة ظلماً وعدوانا

ولست فى حاجة أيضاً إلى أن أقول : إن زمن التحاق بالجماعة متأخر عن درس مسألة هذين الطالبين وتنفيذ القرار فيهما

ولكننى بعد هذا أسأله، وقد علم أن هذا العضو ليس بشلتوت : من يكون إذن ؟ حتى نعرف على الأقل ثانى من يخطر بالبال فى مثل هذا المجال !

أسأله وأنا واثق أنه لا يستطيع أن يجيب لأن هذا الشيخ وأمثاله لا يقولون ما يقولون عن علم أو بحث، ولكن عن خرص وتظنن وتمويه وتشويه « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » و « إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً »

وحسب القراء أن يعلموا أن هذا الشيخ لم يكد يسلم منه أحد من قادة العلم والدين فى مصر : فهو يتهم الأستاذ الإمام المغفور له الشيخ محمد عبده، ويتهم المغفور له الأستاذ الشيخ رشيد رضا، ويتهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى، ويتهم غير هؤلاء ممن ذهبوا إلى ربهم وممن يعيشون ! ولو شئنا أن نضرب للقراء أمثالاً من اتهاماته المضحكة لطال بنا القول، ولكننا نكتفى بإيراد ما نسبه إلى الأستاذين : الشيخ عبده والشيخ المراغى

زعم أن الشيخ عبده رضى الله عنه يرى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجل « من أمثال الذين يثقون بأنفسهم فى صحة آرائهم ومبادئهم ويأمل الناس فيهم الصلاح والإصلاح » ينسب هذا إلى تلك الروح الطاهرة التى ذهبت إلى ربها راضية مرضية بعد أن جاهدت فى الله حق الجهاد، ويكرر هذا المعنى كثيراً ويقول فى لهجة تنم عن الحقد والضغينة فى كل ما يتناول به العلماء المصريين : « تفكر فى هذا وفى كون صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الغربية لا تزال تشيد باسم الشيخ قائل هذا القول »

يقول هذا فى الشيخ عبده وهو صاحب رسالة التوحيد التى تكلم فيها عن الرسالة والمعجزة ودلالتها على صدق الرسول وعن

الوحي وكونه ممكن الوقوع وواقعاً فعلاً ، وعن وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص — تكلم عن هذا كله في أكثر من نصف رسالته بعبارات جلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا تدع مجالاً للشك في رأيه العلمي لمن أراد مخلصاً أن يعرف آراء العلماء

أما تهمته التي حاول إلصاقها بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ، فهي تتصل بمقدمته التي قدم بها لكتاب « حياة محمد » الذي ألفه الدكتور هيكل باشا ، وفيها يقول فضيلة الأستاذ الأكبر « إن الإسلام أعلى من شأن العقل والبرهان وجعلهما أساس الحكم والعلم وعابَ التقليد وذم المقلدين وأنب من يتبع الظن وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا في القرآن وهي معجزة عقلية »

هذا هو قول فضيلة الأستاذ الأكبر . أتدري أيها القارىء ماذا صنع به هذا الشيخ الذي يتصيد التهم للناس تصيداً ؟ لقد أعاد فيه وأبدأ في عدة مواضع متفرقة من كتابه بعبارات مختلفة ولوازم منتحلة ، ومن ذلك أنه يقول « بهذه العبارة أنكر الشيخ المراغي المعجزات الكونية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويلزمه لذلك أن ينكر الأحاديث الواردة فيها ، ويلزمه لذلك أن ينكر المعقل الثاني للتشريع الإسلامي وهو السنة المحمدية ، وهو بهذا وذاك يمهد لإلغاء « كلية الشريعة » التي تدرس الفقه وأصول الفقه » قياس متصل النتائج نسج الخيال والتعسف مقدماته حتى انتهى إلى هذه النتيجة التي سود بها صحيفة كتابه !

فإذا كان هذا الشيخ ينتحل هذه التهم وأمثالها ويلصقها بالشيخ عبده والشيخ المراغي وأمثالها فلا غرابة في أن ينتحل مثلها أو أشد منها ويلصقه بشلتوت وأمثال شلتوت ، فتلك شنشنة عرفت من أمثال هؤلاء الذين منى الإسلام بهم في كل عصر ، ورأوا أن مسايرة الجماهير في أهوائهم وعقائدهم أجدى لهم وأسبغ للخير والنعمة عليهم !

ومن الأمثلة التي نسوقها تفكهة للقراء ، وبياناً لطريقة هؤلاء في البحث ومبلغ إخلاصهم للعلم ونزولهم على حكم البرهان ، أن أحد المتمرنين على طريقتهم كتب يقول :

« بل كان يجب عليه — يريدنا — أن يتقرب إلى الله بمخالفتهم — يعني القاديانية — وإظهار موافقة المسلمين فيما يعتقدون ، فإن لم يفعل ذلك تقرباً فليفعله مجاملة لأولئك الأبطال العلماء الذين وقفوا أنفسهم للدفاع عن الدين من هؤلاء المعتدين ، وإظهاراً لاتحاد كلمة المسلمين حتى لا يجد المعتدى خللاً ينفذ منه . والمثل العامي يقول : « أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب » ثم يقول : « فبربك قل لي : كيف يكون موقف إخواننا علماء الهند الذين أثبتوا نزول عيسى عليه السلام بسبعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وأثبتوا حياته ورفعه بأحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، حين يبلغهم عن طريق القاديانية قبل غيرهم أن الأزهر يخالفهم ويقول ليس في هذه المسائل دليل ولا شبه دليل ؟ »

وهذا كلام غني بنفسه عن التعليق عليه ، فقارئ الرسالة يكفيه أن يقرأه ليعلم أن من أسس البحث عند هؤلاء الجاملة والجرى على مقتضى المثل العامي القائل : « أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب » . وهذا أسلوب جديد في التفكير لا نستطيع مسايرته ، ولا نحب أن نشغل أنفسنا به ، وحسبنا أن نقول :

أولاً : إن الخلاصة التي أسلفنا نقلها من الفتوى صريحة في أن حياة عيسى ورفعه بجسمه إلى السماء ونزوله منها إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعي يكوّن عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها . وهذا القدر وحده لا اتصال له بمذهب القاديانية في قليل ولا كثير

ثانياً : وعلى سبيل الفرض والتقدير لو اتفقت الفتوى مع رأى القاديانية قطعاً أيلزم من ذلك أن صاحب الفتوى يكتب بروح قاديانية ويؤيد القاديانيين الذين يرون فيما يرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس خاتم النبيين ، وأن غلام أحمد نبي يوحى إليه ؟ وأين هذه من تلك ؟ وهل إذا قال المسلمون في مسألة مثل

ما يقول اليهود والنصارى يكون ذلك دليلاً على روح يهودية أو نصرانية ؟ وهل إذا أنكر عالم من علماء المسلمين وقوع النسخ فى القرآن يكون مُصدراً فى ذلك عن روح قاديانية ؟ وإذا رد علماء الهند على القاديانية فى ذلك أتجب عليه مجاملتهم أيضاً ؟ وهل إذا قال قائل بأن الجهاد ليس مطلوباً منا بسبب كفر الكافرين ولكن بسبب محاربتهم إيانا واعتدائهم علينا كما ينقل عن الثورى وكما ينسبه ابن العربى إلى الحنفية فى تفسيره ؛ أيكون بذلك مُصدراً عن روح قاديانية ؟

لا . لا . إنكم أيها الموهون لا تريدون بذلك إلا أن تجاروا سلفاً لكم ضعفوا عن الحجة والبرهان ، ولم يتعودوا الإخلاص للحق ، فراحوا يردون الآراء بتشويهها والتنفير منها : كانوا يقولون : هذا راى المعتزلة ، وهذا يتفق مع قول الفلاسفة ، وذاك رأى ابن تيمية ... الخ . وها أنتم أولاء تتبعون سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع فتحاولون تشويه الآراء بمثل قولكم : هذه روح قاديانية ، هذه مسايرة لآراء المستشرقين ، هذا تجديد فى الدين ... الخ . ولكن اعلموا أن الفكر الإسلامى قد أخذ يستعيد صفاءه ويسترد إخلاصه للحجة والبرهان كما كان شأن السلف الصالح من المؤمنين . وأصبحت هذه الأساليب مكشوفة معروفة ، بل أصبحت وبالاً على أصحابها لأنها تنفر منهم وتدل على ضعفهم والتواء عقولهم !

***

لقد كان جديراً بنا ألا نشغل أنفسنا بأمثال هؤلاء ، وأن نمر بما ذكروا كراماً ، ولكنهم عمدوا إلى أسلوب آخر من أساليب الخداع والتمويه إذ اتصلوا بقوم عزيز علينا أن نتركهم صيداً فى شبكتهم . خدعوهم باسم الدين ، ووسوسوا لهم بأن هذه الفتوى تمسُّ العقيدة الثابتة بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع القطعى ، فهى اعتداء على الدين وهدم لركن من أركانه . وسوسوا بهذا ونحوه ، وكان من آثار هذه الوسوسة أن نائباً محترماً له فى نفوسنا مكانة ومحبة انخدع بما يقولون وطاوعهم فى استكتابه كتاباً فى هذا الشأن رفعه إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وبعث بنسخة منه إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء[1]

وفى هذا الكتاب يقول :

« إنى أكتب لفضيلتكم فى مسألتين هامتين لكل واحدة منهما خطرها وعظم شأنها لمساسها من قريب أو بعيد بأصل العقيدة الدينية » ، ثم يرجو فضيلة الأستاذ الأكبر أن ينشر الرأى الصواب الذى يقرره فضيلته عن هاتين المسألتين فى مجلتى الرسالة والإسلام فضلاً عن نشره بمجلة الأزهر . ونحن لا نرى بأساً فى الرجوع إلى شيخ علماء الدين أو إلى هيئة علمية دينية فى تعرف رأيه أو رأيها فى مسألة دينية ، ولكننا لا نفهم ما المراد بتوجيه هذا الكتاب إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء فى مسألة دينية كهذه : أيراد أن تكون هنالك هيئة حاكمة يرجع إليها فى حماية نوع خاص من التفكير العلمي والدينى ؟ إن كان هذا هو المراد فما أشبهه بمحاولة العمل على إعادة صورة من صور محاكم التفتيش الأسبانية البائدة فى مصر وعلى يد رئيس حكومتها وشيخ علمائها وفى أحضان الإسلام دين الحجة والبرهان لا دين القوة والسلطان

***

ألا إننا لا نكتب ما نكتب إلا صوناً لمثل هذا النائب المحترم والجمهرة من المسلمين قد تروج عليهم حيل هؤلاء الخادعين المتطفلين على موائد العلم ، وسنعرض فى الفصول المقبلة إن شاء الله إلى شبههم التى موهوا بها وبنوا عليها قصور الخداع والإضلال . وسيعلم الناس أن الله سبحانه وتعالى كما ابتلى عباده بقوم يجادلون فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، قضت حكمته ـ رحمة بعباده وصوناً لدينه ـ أن يهيئ طائفة يظهرها على الحق ، ويدفع بها فى صدر الباطل ، حتى يكشف عواره ، وينسخ آثاره « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

محمود شلتوت
عضو « جماعة كبار العلماء »

---

(١) جريدة الوفد المصرى الصادرة فى الخامس من شهر ربيع الأول هذا العام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

على ميعاد — فى بناء الجيل الجديد — ظرف السكان
ضيوف القاهرة — شارع الشريف وغيظ الشريف

على ميعاد

مع مَن ؟ مع الربيع بعد أن كاد يخلف الميعاد

فى صباح كل يوم من هذه الأيام أطالع وجوه الأشجار الضواحك ، عسانى أنسى عبوسها فى الشتاء الذى طال ثم طال ، إلى حد الإملال . ومن العجب أن أرى أشجاراً لم تورق بعد ، كأنها تخشى أن يكون انصرام الشتاء خبراً لم يقم على صحته دليل . فلتقرأ هذه الأشجار هذا الكلام ، ولتصدّق أننا فى « مايو » شهر الأزهار والرياحين

لا شتاء بعد اليوم من هذا العام ، فلنفرح بقدوم الربيع الأول وهو مطلع الصيف ، إلى أن يجيء الربيع الثانى ، الربيع الحقيقى فى الديار المصرية ، وهو الذى يقع فى الأشهر الثلاثة : أغسطس وسبتمبر واكتوبر ، وهى أشهر الصفاء والرخاء فى هذه البلاد

مرحباً بالصيف ، والصيف المصرى جدير بالترحيب . فبفضله نتذوق نسمات فى المساء لا تجود بمثلها الطبيعة فى أى أرض . والقيظ فى مصر يُتقَى بالظل ؛ وفى غير مصر لا يُتقَى القيظ إلا بوسائل يغلب عليها الافتعال

وطعم الظل فى مصر لعهد الصيف جيل المذاق إلى أبعد الحدود . ولا أدري كيف تركناه بلا تنويه فيما كتبنا عن خصائص الطبيعة المصرية

ولا بد من النص على حقيقتين من حقائق الحياة فى مصر قبل أن أنسى وينسى الناس :

الحقيقة الأولى هى جمال الشتاء المصرى قبل التمدن الحديث ، ولا يعرف قيمة هذا الجمال إلا من نشأ فى الريف ، فقد كان هنالك طعمٌ لذيذ للدفء فى « القاعة المحمية » ، وكان لتلك القاعات فضلٌ فى خلق شعور السعادة بالتغلب على قسوة الشتاء

الحقيقة الثانية هى جمال الزِّير الملَّق فى أيام الصيف ، وهو يمنح الماء طعماً لا يمنحه الثلج بأى حال

وبالقرب من دار الرسالة حارة تسمى حارة الزير المعلق ، فمن كان يجهل أصل هذه فليعرف أن « الزير المعلق » هو قصر شيرين باشا . ولعل صاحب القصر سماه بهذا الاسم للمعنى المضمر فى لطافة الزير المعلق أيام الصيف . وقد سُجّل اسم هذا القصر فى قصيدة من قصائد الشاعر إبراهيم الدباغ ، أنعم الله عليه بالشفاء ، فقد سمعت أنه مريض .

أما بعد فماذا أريد أن أقول ؟

هذا ربيع ، وهذا صيف ، وهذه ليالى النسائم الرفيقة بمصر الجديدة والجيزة والمعادى وحلوان والزيتون

فأين صبواتك يا قلبي ؟ وأين أيامك ؟ وأين لياليك ؟ وأين أحبابٌ كنت معهم على ميعاد ؟

لقد بخلت الأقدار بالتلاق ، وتركتنا نصطرع فى لجج اليأس العجّاج

مضى الشتاء وأورقت أشجارٌ ثم أزهرت ، وما لك يا قلبي أملٌ فى إزهار ولا إيراق

الوجود كله ربيع ، فأين نصيبك من هذا الربيع يا قلبي ؟

ربيعك هنالك ، فامض إليه إن استطعت ، وإن استطاعت تلك الأزهار أن تطمس أبصار الرقباء

سيمر زمن وأزمان ، وستفعل المقادير ما تفعل بمصاير ممالك وشعوب ، ثم يبقى لك هواك يا قلبي ، هواك الذى لا يجوز عليه الخمود ، لأنه من أقباس الخلود

وهل يعرف أحبابك هنالك أنك معهم على ميعاد ؟

لقد يئسوا من وفائك يا قلبي ، لأنك آثرت الكتمان ، فمتى تفتضح فى هواهم ليعودوا مع الربيع ؟

أنتِ على بالى فى كل وقت ، يا مَهاةً لا تخطر إلا فى البال

ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم تُكتَبْ علىّ ذنوبُ

فى بناء الجيل الجديد

أعتقد أن الأساس لبناء الجيل الجديد هو خلق الإيمان بالعدل فى تقسيم الحظوظ ، بحيث يصير من المفهوم عند الجميع أن فى مقدور كل فرد أن يصل إلى أعظم المناصب ، إذا زوّد نفسه بالزاد الذى يؤهله لما يتسامى إليه ، بلا احتياج إلى وسيط أو شفيع

ولكى نصل إلى هذه الغاية يجب أن نروض أنفسنا على فهم المراد من العدل ، فقد يصرخ ناس ثم يصرخون بدعوى أنهم لم يؤهلوا أنفسهم لخوض معارك الحياة واقتحام أسوار المجد . وهذه آفة لم يسلم منها الناس فى أى زمان

نحن في الغالب نطالب بأكثر مما نستحق ، وندّعى لأنفسنا حقوقاً لم نبذل فى سبيلها ما يجب بذله من الجهود ، ثم نطيل التوجع والتفجع والتحسر على انعدام العدل . وهل عدلنا مع أنفسنا حتى نطالب غيرنا بالعدل ؟

لا يجوز تضييع لحظة واحدة بلا استفادة علمية أو أدبية ، ولا يجوز تضييع لحظة واحدة فى القيل والقال إذا كنا نريد أن يكون لنا فى الحياة السامية مكان

ومن آفات الناس فى هذا العصر أن تكون المظاهر غاية ما يطلبون ، فمن النادر أن نجد من يتشهى أن يكون نعيمه مقصوراً على المغانم الروحية ، ومن النادر أن نجد من يفرح لأن جيرانه فى رغد وإن كان فى حرمان

والاعتماد على الحكومة فى جميع الشؤون أخطر آفات هذا الجيل ؛ فالحكومة هى التى تصدّ بغى الناس بعضهم على بعض ، والحكومة هى التى تضمن وجود الرغيف فى السوق ، والحكومة هى المسئولة عن كف يد القريب عن ظلم القريب

نحن نشغل بعَدّ المنافع عن عدّ المآثم ، وننسى محاسبة أنفسنا على الكسل البغيض ، الكسل الذى يشلّ مواهبنا المكنونة ويضيفنا إلى جماعة المتواكلين

ما هذا الذى نعانى من كوارث وخطوب ؟

أقول هذا لأنى أعرف أننا لا نلتفت لغير المصاعب التى تساق إلينا من بُعد ، ونغفل عن المصاعب التى نخلقها بأيدينا ، وهى المصاعب الناشئة عن غفوتنا الروحية والذوقية والعقلية .

وصدق الرسول حين قال : « أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك »

الجهل الدميم بقوانين الوجود هو الذى يحملنا نلق المسئولية على من لا يحملون عنا أية مسئولية ، والفرار من التبعات هو أعظم شواهد الخذلان

لو أنفقنا فى محاسبة أنفسنا معشار ما ننفق فى محاسبة الحكومة والمجتمع لوصلنا فى جهاد النفس إلى أشياء . ولو تجنّينا على أنفسنا كما نتجنى على الحكومات والمجتمعات لتكشفت أنفسنا عن حقائق تهدينا فى ظلمات الوجود

محاسبة النفس لا تقع إلا عند يقظة النفس ، فلنفهم أن رضانا عن أنفسنا فى جميع الأحوال من دلائل السبات

وأغرب ما نتورط فيه أننا نبالغ فى تعقب عيوب الحكومات والمجتمعات ، ثم ننتظر أن لا ترى فينا الحكومات والمجتمعات غير الجميل

وما هى الحكومة ؟

هى مجموعة أشخاص يتعرضون لما يتعرض له سائر الناس فى المعاملات الفردية والاجتماعية ، ومن حقهم أن يعاملوك بالعدل فى الإساءة كما تحب أن يعاملوك بالعدل فى الإحسان

وما هو المجتمع ؟

هو تلك الخلائق المبثوثة فى القرى والمدن والأسواق ، وهى على تنوعها العجيب قد تلتقى فى المشاعر والعواطف من حين إلى حين

وقد نخطئ فنتوهم أن تلك الخلائق تعجز عن تعقب العيوب فيمن لا يرى فيها غير العيوب

والصالح فى الجيل الجديد سيُسأل أمام ضميره عن تجسيم المحاسن الأصيلة فى المجتمع ، وهى سر التماسك الاجتماعى ، وبفضلها استطاع المجتمع المصرى أن يقهر مصاعب كثيرة عانتها مصر من جيل إلى جيل

وخلاصة القول أنى أدعو إلى محاسبة النفس قبل محاسبة الحكومة والمجتمع ، وأرجو أن يؤمن كل فرد بأنه حجر الأساس فى بناء الحكومة وبناء المجتمع ، إن صحت النية على أن نكون من رجال الأخلاق

ظرف المكان

في يوم واحد ظهر لي مقال في مجلة الرسالة ومقال في مجلة الإثنين رداً على الأستاذ عباس محمود العقاد؛ ومع أن المعاني واحدة أو كالواحدة في المقالين فقد اختلف الأداء كل الاختلاف، فما السر في ذلك؟

يرجع السرّ إلى ظرف المكان، فقد بدا لي العقاد في «الإثنين» وهو خصم، وبدا لي في «الرسالة» وهو زميل، وما أبعد الفرق بين الخصم والزميل!

قال قائلٌ إن اللطف الذي بدا في مقال الرسالة بدّد العنف الذي ظهر في مقال الإثنين. وأقول إني لا أندم على كلمة الخير بأي حال. وليس في نيتي أن أصطنع العنف في معاملة زملائي، إلا أن يحرجوني. والرجل الغضبان يستبيح ما لا يباح

وأنا مع ذلك أشعر بفداحة الخسارة في العراك الذي ثار بيني وبين الأستاذ العقاد؛ فلا هو وصل إلى شيء، ولا أنا وصلت إلى شيء، لأن ذلك العراك لم يزد عن ملاحاة لا أرضاها منه ولا يرضاها مني

خصومتي مع الدكتور طه حسين هدتني إلى حقائق أدبية وفلسفية

وخصومتي مع الأستاذ أحمد أمين كانت السبب في أبحاث جياد أفصحت فيها عن سرائر الأدب العربي

وخصومتي مع الأستاذ توفيق الحكيم كانت السبب في أن أنشيء مقالي عن «رجال الأدب ورجال القضاء»

وخصومتي مع الأستاذ ابراهيم المازني كانت الباعث لبعث مواهبي الشعرية

فما مصير خصومتي مع الأستاذ العقاد؟

إن بوادرها لا تبشر بالخير، فهل تقع معجزة تحولها إلى الاختصام حول حقائق تكون دساتير في فهم أصول الأدب والبيان؟

أنا أنتظر أن نخوض في أحاديث تصل بنا إلى نفائس، وأكره أن تكون المعارك الأدبية في مصر مقصورة على مجادلات ينفر منها الذوق في أكثر الأحايين

وإلى اللقاء على صفحات «الرسالة» الصديق

ضيوف القاهرة

كان من المألوف أن يصطاف المصريون في فلسطين أو سورية أو لبنان، لينعموا بالرخاء الذي لا تعرفه مصايف الإسكندرية أو رأس البر أو بور سعيد، فما تمتع بلدٌ قبل هذه الحرب بمثل الرخاء الذي كان يتمتع به أهل فلسطين ولبنان

واليوم نسمع أن تلك البلاد تعاني متاعب عنيفة من الغلاء، ونرى بين أعيانها أفواجاً تزور القاهرة لتعيش في رفاهية بضعة أسابيع، فما الذي نصنع في إكرام أولئك الضيوف؟

يعزّ عليّ أن أعترف بأننا لم نتخذ خطة واضحة في استقبال من يزور مصر من أبناء الشرق العربي والإسلامي. وإلى وزير الشئون الاجتماعية أوجه هذا الحديث

شارع الشريف وغيط الشريف

في يناير سنة ١٩٣١ شكا إليّ المسيو فوشيه مراسل «الأهرام» في باريس من أن جريدة الأهرام لا تدعوه إلى الإقامة في القاهرة شهراً أو شهرين من كل عام، ليعرف الجو السياسي فيراعيه فيما يرسل من البرقيات

وفي أغسطس من سنة ٩٤١ زرت مدينة المنصورة لأتحدث مع الأستاذ الزيات فيما يجب أن نراعيه من التوجيهات الأدبية والاجتماعية

وفي إحدى السهرات قال فلان: هل سمعتم باسم الشارع الجديد؟

— وما اسم الشارع الجديد؟

— شارع الشريف الرضي

فابتسم الأستاذ الزيات وقال: هذا من وحي الدكتور المبارك

وفي يناير من سنة ١٩٤٢ رفعت قضية شفعة على غيط يجاور أملاكي في سنتريس. ولم أكن أملك من ثمنه غير دنانير كسبتها من كتاب «عبقرية الشريف الرضي»، وقد كسبت القضية وسميت الغيط «غيط الشريف»

أمر الأرواح عجب في عجب، وما أعجب أمور الأرواح!

مجــــلاتنا الممتازة

ونصيب المسرح والسينما والغناء منها

للأستاذ دريني خشبة

هل تكتب « الرسالة » أو « الثقافة » أو « المقتطف » أو « الهلال » شيئاً في المسرح المصري الحاضر أو السينما المصرية الحاضرة أو الغناء المصري الحاضر أو الموسيقا المصرية الحاضرة ؟[1]

وإن لم تكن هذه المجلات تكتب شيئاً من ذلك ، فهل هي على حق في خطتها تلك ! وهل هي بتلك الخطة التي تلتزمها حيال أرق فنوننا الجميلة تمثل النهضة المصرية أو تنطق بلسان مصر الحديثة ؟ وهل هناك فرق أن تصدر الرسالة — وتلك خطتها — في القاهرة أو في بغداد ؟ وهل يتغير المقتطف إن كان يطبع في دمشق ، لا في القاهرة ؟ وإن صدرت الثقافة في مكة ، ولم تصدر في مصر ، فماذا كان يتغير فيها بحكم تلك البيئة الجديدة ؟

(١) لقد كان في (الرسالة) قبل أن تنقص أزمة الورق حجمها باب ثابت لهذه الفنون نشرنا فيه لأساطينها بحوثاً قيمة لا يزال قراؤنا يذكرونها . وإنا لنرجو أن تنفرج حلقات هذه الأزمة فيعود إلى الرسالة أبوابها وكتابها على خير حال وأكمل وجه « الرسالة »

وإذا كان الهلال يأتي إلينا من صنعاء اليمن فهل كنا نرى فيه هلالاً غير هذا الهلال الذي يصدر عن القاهرة ؟

وما السبب يا ترى في امتناع مجلاتنا الممتازة هذه عن الكتابة في المسرح المصري الحديث والسينما المصرية الحديثة ، والغناء المصري الحديث ، والموسيقا المصرية الحديثة ؟ وفي سائر الفنون المصرية الحديثة !

هل يستطيع أحد أن يتهم الأستاذ الزيات أو الأستاذين أحمد أمين وعبد الواحد خلاف ، أو الأستاذ يعقوب صروف أو الأستاذين أميل وشكري زيدان بأنهم رجال لا يستطيعون أن يزنوا هذه الفنون من حيث تمثيلها للنهضة المصرية الحديثة والذوق المصري الحديث ؟

وإن قلنا إن هذه المجلات قد خصصت نفسها للأدب الجد والعلم الجد ، فهل نفهم من ذلك أن أصحابها لا يقولون بأن المسرح المصري الحديث ليس من الأدب الجد في شيء ، ومثله السينما والغناء والموسيقا ! !

وهل العلاقة بين هذه الفنون وبين الأدب الجد لا تصل في أهميتها إلى خطورة العلاقة بين الأدب الجد وبين اشتقاق كلمة « اجلوّز » وما إليها من تلك البيغائيات التي تحفل بها مجلاتنا الممتازة وتفسح لها صفحاتها ؟

ولكن ... ما علة امتناع مجلاتنا الممتازة ، هذا الامتناع

كان الشريف يتحدى خلفاء بغداد بأن له في مصر أنصاراً يستنصر بهم حين يشاء ، وقد وفت مصر للشريف بعد عشرة قرون ، فسمّت باسمه شارعاً في المنصورة وغيطاً في سنتريس ، ولن يموت رجلٌ يُحفظ اسمه في المنصورة وسنتريس

الشريف هو الذي يعبّر عن أشواق إلى أحبابي في العراق حين يقول :

ومن عجبٍ لا أسأل الركب عنكم   وأعلاق وجدي باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب   فلا بدّ أن يلقى بشيراً وناعيا

وقد فجعتني الأقدار بموت الصديقين الكريمين : إبراهيم العمر وصادق الوكيل ، وكانا عدوّين لا يقرب بينهما غير الاتفاق على ودادي ، وما أكثر ما صنعتُ في تبديد الخلاف بين المتخاصمين من أدباء العراق !

كنت أقول إني أحب العراق لأخلق فيه صداقات لوطني ؛ واليوم أقول إني أحب العراق ، لأنه العراق

ومن الذي يكره بلداً لا يفارقه بغير الدمع ؟

من الذي يكره بلداً من رجاله طه الراوي ورضا الشبيبي ؟ العراق وطني ، لأنه أصدق الأصدقاء لوطني ، ولأنه العراق ، ولأنه دار الذين يئسوا من وفائي ، مع أنني أوفى الأوفياء

أنا الجاني على نفسي ، فقد تهاونت في نقل تلك البُنَيَّة إلى وطني ، ومعها تلك الأم السمراء ، ويا لها من سمراء !

جنى الهوى مع جنى ، وجنيت ما جنيت ، فعلى أيام الهوى وعلى أيامي ألف تحية وألف سلام ، إلى أن نلتقي في ظل الوصلية التي تسكن بغداد ، وهي ملثوغة الراء ، لأنها حوراء ، وأنا أول الحافظين لعهد الوفاء .

زكي مبارك

الإجماعى ، عن الكتابة فى هذه النواحي من مقومات نهضتنا الفكرية الأدبية الحديثة ؟!

هل هو الاستعلاء كما زعم لى أحد الزاعمين وأنا أحاوره فى هذا الموضوع ؟

وفيم يا ترى استعلاء مجلاتنا المصرية الممتازة عن الكتابة فى المسرح المصرى الحديث والسينما المصرية الحديثة ؟ هل هى فى حاجة إلى من ينبهها إلى خطر المسرح والسينما ومكانهما من الأدب الذى تضطلع بنشره فى مصر قاطبة ؟!

وهل ترفض هذه المجلات الممتازة نشر بحث يقدم لها عن المسرح اليونانى ، أو المسرح الإنجليزى ، أو المسرح الفرنسى ؟ كلا ... إنها ترحب دائماً بهذا البحث وتعده من واجبها الأول !

وهل ترفض ترجمة لأحد رجال المسرح اليونانى أو المسرح الإنجليزى أو المسرح الفرنسى ؟ ... وهل ترفض ترجمة لأحد الموسيقيين من أمثال موزارت وباخ وهاندل وبيتهوفن وهايدن وشوبين وليزت ولتنتا يكوفسكى ؟ أم ترفض ترجمة لأحد المغنين القدامى من أمثال إسحاق وإبراهيم الموصلى وزرياب وعنان ؟

هذه طائفة من الأسئلة كانت وما تزال تملأ التفكير ، وتجعل الرأس أشبه شىء بخلية النحل من كثرة ما كانت تتوارد فيه ، فى شدة وفى عنف ... بل فى شبه ثورة جارفة ، مُغشاة بكثير من الهم والاكتئاب ! ... لماذا تستعلى مجلاتنا عن تناول المسرح المصرى ، والسينما المصرية ، والغناء المصرى والموسيقا المصرية ؟ ... إن أحداً لا ينقم على مجلاتنا الممتازة مظهرها العربى الصميم الذى هو مفخرة الصحافة المصرية ، ونحن حين نرى العالم العربى كله يقرأ مجلاتنا ويقبل عليها هذا الإقبال لنحمد الله على أن جعل لنا الصدارة فى هذا الباب ، وأن هيأ لنا من الزعامة الفكرية ما يجعل مصر نبراساً للأمم العربية جمعاء ... هذا حسن جداً ... وهو خير كل الخير ، لكن ما ذا يضرنا لو أظهرنا شقيقاتنا من الأمم العربية على هذا الجانب الهامّ من مصريتنا الصميمة ؟ لماذا لا نكتب لهم عن مسرحنا وعن هذه النخبة الفاضلة العامة المجدّة من رجاله ؟ لماذا لا ننقد لهم الروايات المصرية التى يؤديها هذا المسرح ويعالج فيها عللنا الاجتماعية ؟ ألم تكن فرقنا تذهب إلى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وتونس والجزائر وأمريكا الجنوبية لتمثل هنالك تلك الروايات المصرية ؟ أليست هذه هى الأفلام المصرية تصدر من مصر إلى تلك الأقطار الشقيقة فيقبل عليها الأهلون إقبالاً منقطع النظير ليشهدوا مصر الحديثة ، وليطالعوا الأدب المصرى الحديث ، والتمثيل المصرى الحديث . وليمتعوا أنفسهم بالغناء المصرى الحديث ويشنفوا آذانهم بالموسيقا المصرية الحديثة ؟ الحقيقة أن شطراً كبيراً من مسئولية ذلك تقع على عواتق رجال تلك الفنون من المسرحيين ومخرجى السينما وممثليها والمغنين والموسيقيين المصريين ... وسنكون صرحاء فى تحديد هذا الشطر من المسئولية فنقولها كلمة حق إن كثيرين منهم يكادون يكونون أُميين ... أميين فى فهم نفسه ، وأميين فى طريقة أدائه ، وأميين فى منوال حياتهم بوصف كونهم رجال الفنون الرفيعة فى مصر . أما أن منهم الأميين فى فهم فهذا هو الشاهد الملحوظ فى كثير من الروايات المصرية المسرحية ، وأشرطة الصور المصرية تأليفاً وإخراجاً وتصويراً وتمثيلاً – وأنا أكتفى هنا بالإشارة العابرة دون التصريح والتجريح ، فما لهذا كُتب المقال – ولست تعرف من أين يأتى أكثر العيب ؟ أيأتى من المؤلف الذى يتناول الموضوع المصرى أو إحدى البيئات المصرية فيشيع فيهما مرض خياله ويمسخها بسقم تصويره ويجعل منها أضحوكة لا تخطر فى بال مصرى ؟ أم يأتى من المخرج الذى يضرب أخماس المشاهد فى أسداسها حتى تبرز عرجاء شوهاء مقعدة في كثير من الأحيان ؟ أم يأتى العيب من المصور الذى لم يدرس قط ، أو درس دراسة ارتجالية – فن الضوء المسرحى أو السينمائى وزوايا المناظر ؟ أم يأتى أكثر العيب من الممثلين وفيهم مهرجون كثيرون فرضوا بطولتهم على الشركات التى ألفوها ، وعلى النظارة الذين أفسدوا أذواقهم بالإلحاح عليها بشعبذاتهم ومساخرهم

أما أميتهم فى أسلوب حياتهم فذاك أن أكثرهم لا يحاول قط أن يتعلم أو أن يثقف نفسه بمطالعة ما تصل إليه يده عن تاريخ فنه وتراجم أبطال هذا الفن وما يجد كل يوم فيه وما ينضاف إليه من جهود المتخصصين فيه ، ثم هم غير هذا يحيون حياة

سائبة ليس فيها أي شعور بالكرامة الفنية التي كان يخلق بها التسامى عن التبذل والانغماس فيما يشين الأقدار . وليس يضير هذه الفنون قط أن كثيرين من أبطالها في مصر قد نشأوا من صميم الشعب ، فهنا مفخرة هذه الفنون ، بل هنا حياتها ، لأنه لا يعرف هوى الشعب ولا يدرك علله إلا أفراد منه أوتوا تلك الملكات الشعبية التي يجهلها السراة جهلاً تاماً

وبمناسبة فقر أبطال المسرح والسينما والغناء والموسيقا في ثقافتهم ، ذلك الفقر المضحك المخزى ، يذكر الإنسان ما كان يشترط في المغنى العربي والمغنية العربية في العصر العباسي من إلمام واسع بنحو العربية وصرفها وعروض الشعر وقوافيه ، وما كان ينبغي أن يتوفر له من محفوظ الشعر والبصر بملله ودقة الذوق في نقده وطول الباع في الوقوف على أخبار الأدباء والكتاب والشعراء والمحبين . ولسنا هنا بمعرض ضرب الأمثال لذلك، فكتب الأدب العباسي والأندلسي تفيض بذلك وتزخر به . ونحن والحمد لله نعيش في مصر في عصر شباب اللغة العربية وورونق مجدها المبين ، مما لم تبلغه في أي عصر من عصورها الذهبية الحوالى ؛ والمستمع الذي له دراية بنحو هذه اللغة لا يتلف الغناء أو الإلقاء في نفسه ما يتلفه اللحن في القطعة المغناة أو الملقاة ... إنه يضيق عند ذلك بالغناء وبالمغنى ... بل إنه ليضيق بالدنيا جميعاً ولا يعود يعنيه من أمر الغناء ما يعنيه من جهل المغنى بنحو اللغة ، ذلك الجهل الذي لا عذر له فيه إلا الكسل عن الإلمام بهذا النحو . لقد كان المغنون في العصر العباسي وفي بلاد الأندلس أدباء من الطراز الأول ، وكانوا يحتلون من رواية الرواة ومؤلفي كتب الأدب ما كانوا خليقين به . وحسبهم فخراً وشرفاً أن يسمى أبو الفرج كتابه « الأغاني » ، ولم يسمه اسماً آخر بالرغم مما حشد فيه من تراجم الشعراء وقصائدهم

وبعد ... فمتى يعني مديرو مجلاتنا الممتازة ورؤساء تحريرها بالمسرح المصري الحديث وما إليه من سائر الفنون الرفيعة التي ذكرنا ؟ إننا حينما ندرس الأدب اليوناني القديم نجد ثلاثة أرباع هذه الدراسة تدور حول المسرح اليوناني وحول شعراء مآسيه وملاهيه ؛ ودراسة الآداب الأوربية تكاد تكون قسمة عادلة بين القصص في الشعر في ناحية ، والدرامة في ناحية أخرى ، بل يكاد بعض هذه الآداب يكون مسرحياً صرفاً . وقد عنى أرسطو بدراسة المأساة المسرحية وكرس لها كتابه الخالد « بويتيكا » (الشعر) وعدها مصدر الفضائل ولباب الأدب . فهل أصحاب مجلاتنا الممتازة ورؤساء تحريرها في حاجة إلى أن يذكرهم أحد بكل ذلك ؟ ...

قد يجادل رؤساء التحرير المحترمون هؤلاء في حقيقة المسرح المصري الحديث : أموجود هو ؟ وهل لدينا الممثلون الذين يستحقون أن يكتب عنهم ؟ وهل لدينا مذاهب مسرحية تستأهل أن يعنى بها ؟ ثم ما هي عيون الأدب المسرحي أو السينمائي التي تستحق أن تفسح لها مجلاتهم ميداناً للنقد أو العرض أو التحليل . وقد آن أن نكون صرحاء . . . فالمسرح المصري أصبح حقيقة لا مرية فيها ، وأشرطة الصور المصرية تغزو دور الصور في مصر خاصة وفي الشرق العربي عامة . وقد أصبح للمسرح المصري والسينما المصرية والغناء المصري أكبر الأثر في التوجيه الأخلاقي والتوجيه الثقافي الحديث . ورب درامة أو شريط سينمائي للأستاذ يوسف وهبي — كائناً ما كان هذا الشريط — له من الأثر في أخلاق هذه الأمة وفي مزاجها وفي تكييف ذوقها ما لا تستطيع أن تصنعه خمس مدارس أو عشرة أو عشرون ... ورب أغنية للأستاذ محمد عبد الوهاب أو للآنسة أم كلثوم يكون لها من الأثر في عامة الشعب وخاصته ما لا يكون لألف مقالة من مقالات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال مجتمعة . . . هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر ... فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تجمع هذه المجلات المحترمة الممتازة على الانصراف عن المسرح المصري والسينما المصرية والغناء المصري والموسيقا المصرية لا تتعرض لها بخير أو شر ؟ هل يظن رؤساء تحرير هذه المجلات — وهم قادة الفكر في مصر وفي الشرق العربي — أنهم يؤدون وظيفتهم كاملة على هذا النحو المبتور ؟ هل صحيح أن انصرافهم عن هذه النواحي الثقافية التي لها أكبر الخطر في تكييف نهضتنا الفكرية وذوقنا الفني هو صدى هذا

الاستعلاء الذي أشار إليه أحد رجال الفكر الذي حاورته في هذا الموضوع ... على أنني لست أدرى سبباً لهذا الاستعلاء ؟ أليس هو من باب وضع النعامة رأسها في الرمال إذا حاق بها الخطر ؟

هل يعارى رؤساء التحرير المحترمون هؤلاء في خطر المسرح والسينما والغناء والموسيقا على الأخلاق والأذواق ؟ ألا تستحق الأربعون أو الخمسون رواية التي ألفها الأستاذ يوسف وهبي ومثلها أو أخرجها للسينما وشهدها خمسون أو ستون مليونا من النظارة في مصر وفي العالم العربي ... كلمة نقد أو كلمة تقدير أو كلمة تحليل ... أو حتى كلمة تحذير من إحدى مجلاتنا الممتازة أو المتزمتة ... لا أدرى ...

ألا يستحق هؤلاء الأبطال : يوسف وهبي وحسين رياض وأحمد علام وزكى طليمات وسليمان نجيب وعباس فارس وعمر وصفى وحسين صدقى وأنور وجدى ومحمود ذو الفقار ومنسى فهمى ومحمود المليجى وأحمد جلال ومختار عثمان ونجيب الريحانى وفوزى الجزايرلى وعلى الكسار ... ألا يستحق هؤلاء أن تقدمهم مجلاتنا الممتازة إلى قرائها فتحلل لهم شخصياتهم أو تقفهم على مزاياهم أو تنقد لهم مذاهبهم في التمثيل أو طرائقهم في الأداء ؟

ألا تستحق أمينة رزق وزينب صدقى وفاطمة رشدى وعزيزة أمير وآسيا ودولت أبيض ومن إليهن أن تترجم لهن مجلاتنا الممتازة ، أو أن تقدمهن لجمهور قرائها بما ينبغى لنساء المسرح من عرض ونقد وتحليل ؟

ما هذا ؟ ألا يستحق محمد عبد الوهاب وأم كلثوم ورياض السنباطي والقصبجي وزكريا أحمد وعبد الغنى السيد وصفر على والمقاد والرشيدى وسامى شوا وفاضل شوا وعبد المطلب والسروجى وأحمد عبد القادر ونور الهدى ورجاء وفتحية وأسمهان ونجاة ... ألا يستحق هؤلاء أن يترجم لهم والعالم كله ينتفع بهم ويلتذ غناءهم وموسيقاهم وألحانهم ؟

إنى وأنا أكتب هذه الأسماء ألمح الابتسامات العريضة ترقص على شفاه رؤساء التحرير وعلى قسمات الكثيرين من القراء . وليست هذه الابتسامات من الغموض بحيث يخفى معناها على أحد ... إنها ابتسامات الاستعلاء . أو الاستهزاء . ما في ذلك شك ... وهو استعلاء ظالم ... بل هو استعلاء أنانى أثر ، وأمسك عن وصفه بشيء آخر

لقد آن أن تكون مجلاتنا الممتازة صادقة في التعبير عن مصر الحديثة . ولقد آن أن تعرف مجلاتنا الممتازة حق المسرح المصرى الحديث ، والسينما المصرية الحديثة ، والغناء المصرى والموسيقا المصرية ... هذه المظاهر الأربعة الهامة التى تصور للعالم العربى مصر الناهضة التى تتزعم ممالكه ودويلاته ، وتصدر إليها الفكر الجديد والثقافة الجديدة . ليكن بعض رجال هذه الفنون كما وصفنا في هذا المقال ؛ ولكن لتكتب مجلاتنا عنهم لتقوم اعوجاجهم ، ولترد إليهم كرامتهم ، ولتصل أسبابها بأسبابهم ، فإنه إذا استمرت تلك القطيعة بينها وبينهم وبين رجال الفنون على هذا النحو صار سواء أصدرت مجلاتنا تلك عن القاهرة أو عن مكة أو عن دمشق أو عن بغداد أو عن صنعاء . وربما جاء يوم تصبح فيه مجلاتنا صحائف أرثوذكسية لا تعبر عن شخصيات العصر الحديث ... ولست أدرى لماذا ألغت الرسالة باب الفنون وباب الموسيقا والموسيقيين وقد كانا من أجمل أبوابها ؟

هذه كلمة سريعة وربما كان لنا عود إلى الموضوع .

دريني خشبة

خيـــال الرافعي

[هدية إلى روح الرافعي في ذكرى وفاته]*

للأستـــاذ عمر الدسوقي

إذا تحامت الأقلام القديرة النقادة تراث الرافعي حتى اليوم، ولم تحاول عرض ما فيه من نفائس.وعجائب على جمهرة المتأدبين في العالم العربي؛ ليكون لهم ينبوع إشعاع يلهم ألبابهم، ويستثير عقولهم، ويستحث خيالهم، ويحكم بيانهم؛ وإذا لم يتقدم بعدُ الناقد الضليع، والكاتب العبقري الذي ينفذ إلى نفسه العميقة، وخياله المُغرب، فيحلل أدبه، ويبوئه منزلته في سفر الخلود؛ فما أظن ذلك عن تهاون بهذه الذخيرة الفذة، ولكن هيبة ورهبة وفرط إعجاب

ومعذرة إلى الإمام الرافعي إذا تطاول يراعي إلى الخوض في أدبه، فلقد طال - علم الله - تردده وإحجامه، ووقف دهشاً يملكه البهر أمام هذا النور الفياض الذي هتك الحدود عن أبكار المعاني، وهذا الذهن الثاقب الذي نفذ إلى أسرار الحقائق فتخير أطيبها عنصراً، وأكرمها جوهراً، وأجملها رواء، ثم كساها البيان الساحر أكمل حلة، فغدت فتنة المتأمل ومحراب الأديب. وإنما حفز هذا اليراع - على ضعف منته، ووهن عدته - لتسطير هذه الكلمة ذكرى ارتحال الرافعي، عليه الرحمة والرضوان، إلى جنة الخلد. وهي نفثة إعجاب ووفاء، وإن ضن على الزمن بمعرفة شخصه إلا أني مدين لروحه الكبير بالشيء الكثير

وبعد، فما اخترت الكلام عن خيال الرافعي، لأنه أبرز ما فيه، وأجل ما خلفه؛ ولكن لأن الرافعي نشأ شاعراً ملهماً مشبوب الخيال، ذا عبقرية فنية مبدعة، وهو وإن آثر النثر فيما بعد للافصاح عما يختلج في نفسه من فكر ومعان، فقد لازمه خيال الشاعر في أكثر ما دبجه قلمه في الأدب الإنشائي؛ فكثير من مقالاته الوصفية قصائد نادرة في عالم الشعر والخيال؛ وهو مصور قدير دقيق الحس، يعرض لك المعنى البكر في أروع صورة وكأني به عنى نفسه إذ يقول: «أما الذهن العبقري فليس له من المعاني إلا مادة عمل فلا نكاد نلابسه حتى تتحول فيه وتنمو وتتنوع وتتساقط له أشكالاً وصوراً في مثل خطرات البرق»[1]

وخيال الأديب النابغة له مظاهر شتى يتمثل فيها: فإما أن يصور ما في الطبيعة، وينقل عنها ويحاكيها؛ وليس سر نبوغه في هذا النوع جودة المحاكاة وإتقان التصوير، ولكنه يستشف من وراء ما يحاكيه أسراراً لا تخطر إلا له، ويختار ما لا يقف عنده إلا عين شاعر، أو يحس جماله إلا ذوق فنان، ثم يعرضه للناس بعد أن ينفث فيه من شخصيته وموهبته، ويسبغ عليه من خياله وبيانه ما يجعله صورة جديدة نادرة المثال

وإما أن يكون مرآة مصقولة تنطبع فيها الصورة المختارة فتعكسها وتبرزها وحدها؛ ويكون سر نبوغه في حسن ذوقه واختياره، وفي صفاء نفسه وقدرتها على إظهار الصورة خالية من الشوائب واضحة مجلوة

وإما أن يخترع ما لا وجود له في الخارج، ويخلق صوراً وأشكالاً هي وليدة عقله وصنع خياله، وبمقدار ما تكون مبتكرة جميلة أخاذة يكون تفوقه ونبوغه

وإما أن يوازن بين صور الطبيعة بعضها وبعض، وينظمها في سلك، ويأتي بالمفارقات التي تبهر العقول، ولا تتأتى إلا لصاحب الخيال الشرود، ومن تحسبه قد وضع الأشكال والمعاني بين يديه يؤلف منها ما يشاء، وينتقي منها كما يشتهي

وإما أن يوضح المعنويات بالمحسوسات، ويضرب الأمثال التي تقربها إلى الأذهان؛ وإما أن يتخيل في الجماد حياة فينطقه وينسب إليه - بالاستعارة والمجاز - أفعال الأحياء، ويرتفع بالطبيعة إلى درجة الإنسانية، وكلما كانت استعاراته ومجازاته طبيعية محبوكة طريفة برهن على سر نبوغه

والرافعي رزق من سمو الخيال، وتوقد القريحة، وإرهاف الحس، وكمال الذوق، ما مكنه أن يبتكر في كل هذه الأنواع وأن ينمي الثروة الأدبية دون أن يجري في مضمار غيره من السابقين أو يسطو على معاني سواه. وإذا حاكى غيره فشخصيته

(*) انتقل المرحوم مصطفى صادق الرافعي إلى جوار ربه في يوم الاثنين ١٠ من مايو سنة ۱۹۳۷

(۱) وحي القلم ج ۳ ص ۲۲۱

وروحه تنفحان ما يأتي به سمة خاصة ترتفع به عن التقليد

ولقد عرف الرافعي الخيال الأدبي تعريفاً دقيقاً ، وألزم نفسه في جل ما كتب أن تتمثله ولا تحيد عنها فيقول : « والخيال : هو الوزن الشعري للحقيقة المرسلة ، وتخيل الشاعر إنما هو إلقاء النور في طبيعة المعنى ليشف به ، فهو بهذا يرفع الطبيعة درجة إنسانية ، ويرفع الإنسانية درجة سماوية »(١)

وإذا كان الخيال سامياً ، والمعاني التي ينفذ إليها رائعة جديدة قيمة ، كان لا بد من صيغة تناسب ذاك الخيال وهـذه المعاني ، ولا بد من عبارة طلية قوية تزيد المعنى روعة ، والخيال جالا . والرافعي كان معنياً بعبارته أتم العناية ، يقدها وفق المعنى ، ويأتي بها رصينة جميلة منتقاة الألفاظ ؛ وفي هذا يقول : « ودورة العبارة الفنية في نفس الكاتب البياني دورة خلق وتركيب ، تخرج بها الألفاظ أكبر مما هي ، كأنها شبت في نفسه شباباً ، وأقوى مما هي كأنما كسبت من روحه قوة ، وأدل مما هي كأنما زاد فيها بصناعته زيادة »(٢)

ويقول : « والكاتب الحق لا يكتب ليكتب ، ولكنه أداة في يد القوة المصورة لهذا الوجود تصور به شيئاً من أعمالها فناً من التصوير »(٣)

أقرأت مقالة « الربيع » في (وحي القلم) ! ألا تحس كأن الرافعي اتحد بالطبيعة ، وفهم لغتها ، فجاءت إليه بأسرارها ثم جاء يترجم عنها فنقل مالم يتح لكاتب قبله ! . إسمعه يقول : « خرجت أشهد الطبيعة كيف تصبح كالمعشوق الجميل لا يقدم لعاشقه إلا أسباب حبه ، وكيف تكون كالحبيب يزيد في الجسم حاسة لمس المعاني الجميلة ! »

ويقول : « لاحت لي الأزهار كأنها ألفاظ حب رقيقة مغشاة باستعارات ومجازات ، والنسيم حولها كثوب الحسناء على الحسناء ، فيه تعبير من لابسته ، وكل زهرة كابتسامة تحتها أسرار وأسرار من معاني القلب المعقدة » . ويقول : « ويكون الهواء كأنه من شفاه متحابة يتنفس بعضها على بعض »(٤)

(١) مقدمة وحي القلم الجزء الأول

(٢) مقدمة وحي القلم الجزء الأول

(٣) مقدمة وحي القلم الجزء الأول

(٤) وحي القلم الجزء الأول

ولا يتسنى لي في هـذه الكلمة الموجزة أن أحلل وأعلق وأبين مطارح الجمال في عباراته وخياله ، وحسب القارىء أن يتأمل ويتذوق ويحكم . إن الرافعي تمثل الطبيعة عاشقة جميلة ترضى حبيبها ، ولها من القـدرة والغنى ما يمكنها من إرضائه ، بل لا يظهر منها إلا ما يرضيه ويفتنه ؛ وتأمل قوله : « أسباب حبه » وفسرها كما تشاء ، وعلل لماذا اختار الرافعي هذه الكلمة دون سواها ؛ ألأن أسباب الحب شتى من عطف وجمال وزينة وإبهاج ...

وانظر كيف رأى الأزهار « ألفاظ حب رقيقة » ، وهل رأيت تشبيهاً أحلى وأرق وأوفق من هـذا التشبيه ؟ أولا تراه لا يزال على خياله من أن الطبيعة حبيبة تبادله ألفاظ الحب الرقيقة على لسان أزهارها المختلفة الشكل واللون والشذى؟

ثم تأمل كيف يصور الشتاء فيقول : « وكانت الشمس في الشتاء كأنها صورة معلقة في السحاب ، وكان النهار كأنه يضيء بالقمر لا بالشمس ، وكان الهواء مع المطر كأنه مطر غير سائل ، وكانت الحياة تضع في أشياء كثيرة معنى عبوس الجو ، فلما جاء الربيع كان فرح جميع الأحياء بالشمس كفرح الأطفال رجعت أمهم من السفر ! »

تالله إن هذا وصف يفسده الشرح وأولى به أن يترجم ويذاع بين أمم الأرض ليبرهن على أن الأمة العربية لم تصب بالعقم في الخيال كما يدعي المفترون ، وأن فيها أمثال شكسبير ، وجيته ، وهوجو ، وأناتول فرانس .

أقرأت مقالة « عرش الورد » في زفاف ابنته ؟ ألا ترى أنه يستشف من وراء الموصوفات أسراراً لا يقف عليها إلا العباقرة الملهمون ؟

إسمعه يصف تاج الورد الذي عقد حول عرش العروسين : « وتنظر إليه يسطع في النور بجماله الساحر سطوعاً يخيل إليك أن أشعة من الشمس التي ربت هذا الورد لا تزال عالقة به »

أو اسمعه يصف لون الكرسيين اللذين نصبا على العرش : « ويكسوهما طراز أخضر تلمع نضارته بشراً ، حتى لتحسب أنه هو أيضاً قد نالته من هذه القلوب الفرحة لمسة من فرحها الحي »

ليت شعري ! أكانت للرافعي حاسة زائدة يقف بها على هذه

الأشياء فيرى أشعة الشمس لا تزال عالقة بالورد وسط الليل ، ويلبس فرحة الطراز الأخضر ، أم هو خياله الخصب ونشوة السرور صوّرا له ما رأى !

ويقول : « وأقبل العذارى يتخطرن فى الحرير الأبيض كأنه من نور الصبح ، ثم وقفن حافات حول العرش حاملات فى أيديهن طاقات من الزنبق ، تراها عطرة بيضاء ناضرة حيية كأنها عذارى مع عذارى »

وما أشبه الزنبقة بالعذارى الهيفاء فى لينها ، وهيفها ، ونضارتها ورائحتها وطهارة قلبها !

وماذا عساى أن أقدم إليك من هذه القصيدة المثالية ، وحسبى ما اقتطفت منها وعليك بالرجوع إليها والوقوف لديها ملياً ؛ لتحملك على أجنحة الخيال إلى عوالم من السحر والفتنة والفن ...

أقرأت مقال « البحر » و « الربيع الأزرق » ، تأمل فى قوله : « والقمر زاه رفاف من الحسن كأنه اغتسل وخرج من البحر » ، وقوله : « نظرت إلى هذا البحر العظيم بعينى طفل يتخيل أن البحر قد ملىء بالأمس وأن السماء كانت إناء له فانكفأ الإناء فاندفق البحر ، وتسرحت مع هذا الخيال الطفلى الصغير فكأنما نالنى رشاش من الإناء »

وقوله : لطف الجمال صورة أخرى من عظمة الجمال ، عرفت ذلك حينما أبصرت قطرة من الماء تلمع فى غصن نخيل إلى أن لها عظمة البحر لو صغر فعلق على ورقة »

وقوله : « الحياة فى المدينة كشرب الماء فى كوب من الخزف ، والحياة فى الطبيعة كشرب الماء فى كوب من البلور الساطع ، ذاك يحتوى الماء ، وهذا يحتويه ويبدى جماله للعين ...

هذه صور من ذياك الخيال الفريد الفياض فيها ابتكار ، وفيها جمال وفيها دقة وروعة ؛ وأكتفى بعرضها فهى غنية عن التوضيح ، ولعلها تنبه بعض أدبائنا إلى ما عليهم من التبعة إزاء هذا الأدب الرفيع .

محمد الدسوقى

خواطر على شاطىء النيل

إذا أثقلتنى هموم الحياة   وناء بها كاهلى الرهف
وضقت وضاق بقلبى مداه   على شاطىء النيل لى موقف
يفيض السكينة فى خاطرى

هنالك والماء ضاحى الجبين   بوجه ضحوك المحيا طروب
تخالجنى غبطة السنهين   بدنيا شرور ودنيا لغوب
تغيب عن القلب والناظر

جرى الخصب حيث جرى والجمال   فلا بِدْع أن تخصب الأنفس
إذا قهرتها صروف الليالى   ففى شاطئيه لها مَنْفس
بفرج من همها القاهر

أبٌ أنت يا نيل منذ الأزل   فلى فى لقائك عطف الأبِ
إذا غاب عنى حنان الأمل   فحسبى حنانك من مأرب
تطيب به مهجة الشاعر

سعادة قلبى مني ههنا   ترفرف فوق صفاء المياه
إذا رمتها لم يحل بيننا   ظلام الجدود وعسف الطغاه
هى المِلْك فى راحة الظافر

وإن أقبلت راقصات النسيم   تصافح موجك فى موكب
تنبه فى النفس وجد مقيم   يشاطرها نشوة المعجب
ويرقص فى أفقها الساحر

تزاحم قوم لأجل المحال   وكدوا ولكن بلا آخر
وفى وقفة تحت ظل الخيال   جمعت السعادة فى خاطرى
على شاطىء بالمنى زاهر

محمد طاهر الجبلاوى

من أزهار الشر (*)

لشارل بودلير

إلى عذراء

« نشيد بروح أسبانية »

إننى أود أن أشيِّد لك ، أيتها العذراء عشيقتى ، حرماً سارباً فى قرارة بؤسى ، وأن أحفر لك فى سويداء قلبى ، بعيداً عن الشهوة الدنيا والنظرة الساخرة ، محراباً لونه من زرقة السماء ، وزينته من الذهب لتنصبى نفسك فيه أيها التمثال الرائع

وسأضع لهامتك تاجاً فخماً من أشعارى المصقولة ، مضفراً بأدق المعادن ثم أُرَصّعه بقواف بلورية

وفى غيرتى سأحيك لك ، أيتها العذراء الفاتنة ، معطفاً متصلباً ثقيلاً ، على الطراز الهمجى ، ثم أبطنه بالشك ليكون كلاذ يحمى محاسنك الفاتنة

ولن أزيِّن هذا المعطف باللآلئ بل بكل مدامعى !

وسيكون رداؤك شهوتى المرتعشة المتموجة ، شهوتى التى تعلو وتُسف فتتأرجح على الذرى وتستقر فى الوهاد ، كما تغمر جسدك الناصع الوردى بقبلة واحدة

وسأصنع لك من إجلالى واحترامى نعلين من الأطلس نطأهما قدماك المقدستان فتضمهما ضمة لينة كقالبين وفيين يحتفظان بآثار إذلالهما

وإذا عجزت ، رغم مهارتى وفنى ، أن أصوغ لك قمراً فضياً كدرج تخطرين عليه . فسأُلقى تحت قدميك ، أيتها الملكة الظافرة التى تُفدى بسخاء ، الحية التى تنهش أحشائى لتسيرى عليها عابثة بهذا الوحش الذى يطفح بالبغضاء واللعاب

وستلمحين خواطرى مصطفات أمام مذبح ملكة العذارى الساطع المتألق ، تمكس أشعتها على الفناء الأزرق فترصعه بالنجوم وهى ترنو إليك بلحاظ من الهيب

ولما كانت كافة جوارحى تحبك وتعجب بك فإنها ستتحول

(*) أنظر العددين : (٥٠٠) و (٥٠١) من الرسالة



حول معركة الآزور

عند ما قرأت نقد الأستاذ محمد التونسى لما نشرته من ترجمة قصيدة معركة الآزور لألفريد تنيسون ، أحسست برغبة يسيرة فى ولوج باب مثل هذا النقاش اللغوى الذى ما أراه ينتهى ... والذى أخشى أن أقول إنه أقرب إلى اللجاج والمماحكة منه إلى البحث اللغوى الصحيح .

على أنى أكتفى هنا بمناقشة الفقرة الأولى من كلامه فقط ؛ ليصحّ عنده أن هذا النقد الذى أورده أوهنُ من أن يثبت لدى النقاش عند التمحيص ، فأقول : قلتُ فى ترجمة المطلع :

At Flores in the Azores Sir Richard Grenville lay;

كان السير رتشارد جرانفيل مرفئاً بسفينته إلى جدة من جدد شاطئ الفلورز ... وقال الأستاذ : بينما كان السير رتشارد جرانفل عند فلورز .

فكأنه يستكثر علىّ قولى : مرفئاً بسفينة إلى جدة ... وأنا أسأله بدورى : أين ترجمة الفعل lay فيما كتب ؟

إن الذى يستكثره علىّ هو ترجمة هذا الذى نسيه ، مع شىء من التوضيح لمعناه .

وقلتُ : عند ما أقبل زورق ذو مجاديف يهوى من بعيد كأنه الطائر يزف بجناحيه ... فقال الأستاذ : إذ أقبل من بعيد زورق حربى يخفق خفقان الطائر . والخلاف فى صفة الزورق هل هو حربى أو ذو مجاديف ؟ وإذا رجعنا إلى معنى كلمة Pinnace فى المعاجم الإنجليزية وجدناه هكذا ، وبنفس الترتيب : مركب صغير له مجاديف وأشرعة ـ زورق ذو ثمانية مجاديف (غالباً) ـ زورق حربى .

لكن لا يظن الأستاذ أنه ساوانى هنا فى فهم المعنى ؛ فإن فى اختيارى المعنى الذى فيه ذكر المجاديف دون غيره ، التفات إلى قصد الشاعر من تشبيه الزورق بالطائر ! إذ أى شبه يرمى إليه إن لم يكن يقصد هذه الحركة التى تحدثها المجاديف ، مما يشبه حركة أجنحة الطائر عند طيرانه ؟

وقلت : وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية...الخ فحذف الأستاذ الجملة الفعلية برمتها « وارتفع صوت ... الخ » وهى كلام ليس له ذكر فى أصل القصيدة ؛ ولكنى أعجب للأستاذ كيف يشوه الأساليب العربية بمثل هذه السهولة ...

إن مَقُول القول لا بد أن يُسبق فى كل كلام منثور بالإشارة إلى القائل . ولكن قد يُتجاوز عن ذلك فى الشعر فقط نظراً لضروراته المختلفة . ألا ترى إلى الأستاذ على محمود طه كيف يقول فى قصيدته حانة الشعراء (عدد ٥١٢ من الرسالة) :

زنجيةٌ فى الفن تحتكم ؟ قد ضاع فن الخالدين سُدى !

وهذا كلام يقوله على لسان روّاد الحانة دون أن يرى ضرورة النص على ذلك . ولكن عند ما يجد فى الجواب أن الأسلوب يُسعده على ذكر اسم المتكلم ، يذكره فيقول :

فأجابت الحسناء تبتسم : الفن روحاً كان ؟ أم جسداً ؟ الخ

فإذا كان تنيسون قد أعفى نفسه (فى هذا الموضع فقط) من الإشارة إلى القائل نظراً للضرورة الشعرية ، فليس ثمة ما يعفى المترجم الناثر من أن يوضح الكلام فيقول « وارتفع صوت من داخل الزورق يقول » . وكان بودى أن أناقش سائر النقط التى

إلى عود وبخور ولبان ومُر ، وستستمر روحى العاصفة تصعد كالبخار إليك أيتها القمة الناصعة المكللة بالصقيع

ولكى تكونى فى النهاية ، عذراء كريم ، ولكى تمزجى ، أيتها اللذة السوداء الهوى بالوحشية ، سأصنع مثل جلاد يشعر بالندامة سبعة أسنة مشحوذة من الكبائر السبع [1] ، ثم أتخذ — كشعوذ لا يُحس — أبعد أغوار حبك هدفاً ، فأطعنها جميعاً فى فؤادك الخافق ، فى فؤادك النائم ، فى فؤادك الذى يسيل منه الدم ... !

ترجمة

عثمانه على عسل

(١) الكبائر السبع فى المسيحية هى : التكبر والحسد والبخل والشبق والنهم والغضب والكسل وهى تعتبر مصدرا لجميع الآثام التى يرتكبها الانسان

أوردها الأستاذ ؛ ولكن صفحات الرسالة لا تتسع لمثل هذه المناقشات اللفظية ، فأرجو أن يعاود الأستاذ النظر فيما كتب على ضوء هذه القاعدة ؛ وهى أن الترجم مقيد بالأفكار وبالمعانى ، بل وأكثر من هذا بالروح الشائع فى القطعة المترجمة ؛ ولكنه مطلق الإرادة فيما سوى ذلك من الألفاظ والأساليب والتعبيرات ، تلك التى لا تزيد على كونها أوعية خارجية للأفكار والمعانى .

(جرجا) محمود عزت عرفة

الكلمة الأخيرة فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قرأت فى العدد (٥١٣) من الرسالة ، رد الكاتب الفاضل (...) على ردى عليه بالعدد (٥١٢) . وفيه يقول : إننى حكمت باستحالة الضبط المذكور ، بينما أتيت بضابط لهذا الخلاف !...

وردى عليه الآن أن لفظ مستحيل فى عنوانى ، ينصب على رأيه الجديد في ضبط الخلاف ، لا على الضابط الذى نقلته عن العلماء ، والذى عليه المعول فى التمييز بين العربية والعامية ، منذ ١٣٤٢ عاماً هجرياً بوجه التقريب ! وعلى ذلك فلا تناقض فى كلامى كما ادعى

وقوله : إن ردي لا يمت بصلة إلى عنوانه ، لا أجد أسطع برهان على دحضه غير إحالة القراء على الرد فى العدد السالف الذكر ...

أما قول الفاضل : إن ردى عليه ينقل الضابط المتواضع عليه بين العلماء ، مصادرة لا تصلح فى مقام الرد ، فالجواب عليه أنى اعتبرت هذا الضابط مجمعاً عليه عند العلماء الذين يؤخذ بآرائهم فى مثل هـذا الشأن . فإذا جاء أحد العلماء أخيراً برأى جديد متطرف — عد هذا الرأى خارجاً على الإجماع ، فلا يعتد به . إذن فليس هناك مصادرة ، وإنما ذلك نقض للاقتراح من أساسه

وقد تخلص الفاضل من إلزاماتى الموجهة إليه بمـا لا يجديه نفعاً ، ولا يشفع له عند أهل النظر !

وبعد فقبل أن يقول الجمع كلمته فى قيمة هـذا الاقتراح أظن أن الجدل بيننا قد يطول ، فأرى أن نتحاكم إلى القراء فى أينا على صواب فيما يقول . وما أكثر قراء الرسالة من العلماء والأدباء ، فإليهم نطلب الكلمة الأخيرة .

عبد الحميد عنتر

زهر وخمر

ذلك عنوان الديوان الجديد الذى أخرجه للعالم العربى شاعر اللذة والجمال ، وعاشق التيه والضلال ، ونَـجِىّ الأرواح والأشباح ، الأستاذ الكبير على محمود طه ؛ فكان ببديع خياله ورقيق نسجه وأنيق وشيه وبارع تصويره وجمال طبعه ، طاقة عطرية من ألوان الربيع ، ومجموعة عبقرية من ألحان الحب ، ونشوة علوية من رحيق الشباب ، لا يزال العقل والذوق والشعور منها على لذة لا تنقطع ، ومتعة لا تنفد

وإن إخراج هذا العمل الفنى البارع فى وسط هذه الزعازع الحربية والاقتصادية والسياسية دليل على خلوص العقيدة الفنية فى نفس الشاعر . وإن القيثار الذى لا تضطرب به اليد ولا يتهدج عليه الصوت فى هذا البحران العالمى ، شاهد على صلابة العود وسلامة الطبع فى الفنان

يشتمل هذا الديوان الجميل على عشرين قصيدة من آيات الشعر ومبتكراته ، تستطيع أن تتخيل طرافة موضوعها من وحى هذه العناوين : ليالى كليوبطرة ، ميلاد زهرة ، حانة الشعراء ، سارية الفجر ، أغنية الحب ، حديث قبلة ، خمرة الشاعر ، المدينة الباسلة ، حلم ليلة الهجرة ، ليلة عيد الميلاد . الخ .

وقد عرضنا عليك نماذج من هذا الشعر الرائع فى بعض أعداد الرسالة ؛ وهى نماذج خليقة أن تغريك باقتنائه ومطالعته . والديوان يباع فى جميع المكاتب المعروفة وثمنه عشرون قرشاً .

شعر منشور !

نشرت مجلة الثقافة فى عددها الأخير قصيدة للأديب مصطفى محمد الشكعة بكلية الآداب هالنى منها ألا ترتفع العين من خطأ فى الوزن فيها إلا لتقع على خطأ . وإلى القارئ الفاضل ما علق بالفكر منها :

هاجنى الشوق والولوع اشتياق (حائر ساهر فى سماء القلوب)

وقال أيضاً منها :

إيه يا قلب كم قضيت الأمانى (راقصاً صادحاً كالهزار الطروب)

والقصيدة من بحر الخفيف وهو (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)

وإذن فالشطرتان اللتان بين القوسين خطأ يبده التأمل لأول نظرة . وليس هذا فقط بل إن فى البيت الآتى (واواً) زائدة وهو :

مجمع الصحب والأحبة والخلا ن(و)مأوى لكل فكر خصيب

والأعجب من كل ذلك هو هذا البيت الغريب التركيب والوزن:

(عصف الدهر بالكؤوس وبالمحراب والحا

سان والرجاء الرطيب)

وبعد فجدير بالمبتدئ أن يتمهل ولا يتعجل النشر؛ وحقيق بالناشر أن يتأمل فيتجنب الزلل .

حسين محمود البشبيشي

رواية « زينات » تأليف الأستاذ حسين عفيف

هي قصة حب عذرى حوت من النزل أرقه ومن الخلق أقومه ومن المواقف أعنفها ، كل ذلك في أسلوب هو إلى الغناء أقرب ، وجمل حاسمة تهز النفس هزاً .

مغزاها أن الإنسان في هذه الحياة إنما يكفِّر عن ذنوب لم يجنها . ويحاول المؤلف تعليل ذلك فيقول : « فهل تُرى نكفر عن ذنوب نجهلها ، اقترفناها في عوالم سابقة ، وعاشت فينا خلال حيوات وموتات عدة ، حتى إذا ما آن أن نتطهر منها ، انتهى بنا المطاف إلى هذا المبكَى لنغتسل عليه ؟ »

وفي سياق الوصول إلى هذا المغزى الرهيب ، تعرض الرواية لمشكلات اجتماعية خطيرة كمشكلتي الفقر والزواج ، ومشاعر إنسانية دقيقة كالتضحية والصراع بين الروح والجسد .

ومن جميل ما جاء في هذه الرواية قول زينات لمختار قبيل سفرها : « أذا كرى أنت يا مختار ؟ »

فيجيبها : « وما شغلي غيرك ؟ نعم سأذكرك يا زينة . سأذكرك كلما غرد طائر ، فأبلغني منك رسالة ، أو نشرت زهرة عطرها ، فنشقتُ فيه أنفاسك . سأذكرك كلما سمعت حديثك في خرير الجدول ، أو أنصتُّ لهفهفة شعرك في حفيف الغصون . سأذكرك في كل وقت ، وأراك في ركاب كل شيء جميل : في مواكب الضياء التي يجرجرها الصبح ، وفي القمر المطل على المروج مساء ، سأراك ، نعم سأراك يا زينات . »

فتجيبه : « وأنا أيضاً سأذكرك . وسأبعث إليك بشوق الجريح في مغرب كل شمس . وبالتحايا مع الطيور العائدة إلى أوكارها . فإذا ما رأيت الدماء في الشفق تسيل ، فاعلم أنها أشواق . أو طرق سمعك نوح حمامة ، فاعلم أنه بثي ترجَّمه . وسأقطف الأزهار في الصباح ، وأضعها في الجدول ليحملها إليك . وأضمخ بالعطر النسيم السارى ليملأ به جوك . إرقبني يا مختار في كل شيء . وانظرني في كل شيء . وإذا ما رأيت كوكباً يتهاوى ، فاعلم أنني خررت صريعة حبك ، ولا ترقبني بعد ذلك . »

والرواية كلها تكاد تكون على هذا النسق ، وهي وإن أغرقت أحياناً في الخيال ، إلا أن جوَّها الساحر الذي يوقعك تحت سلطانه ، ينسيك ذلك . كما أن أصحاب المزاج الشعري يجدون فيها بغيتهم . ولقد فازت في مسابقة القصة التي أجرتها وزارة المعارف ، كما عنيت بنشرها مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

(م . ع)

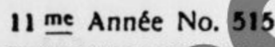
حكم في الجنحة العسكرية ن ٩٠ بندر المنيا سنة ٩٤٣ بجلسة ١٩ـ٤ سنة ١٩٤٣ بحبس حسن محمد حسن من بندر المنيا ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ ج لحيازته كمية سكر تتجاوز حاجاته العادية لاستهلاكه هو وأسرته .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



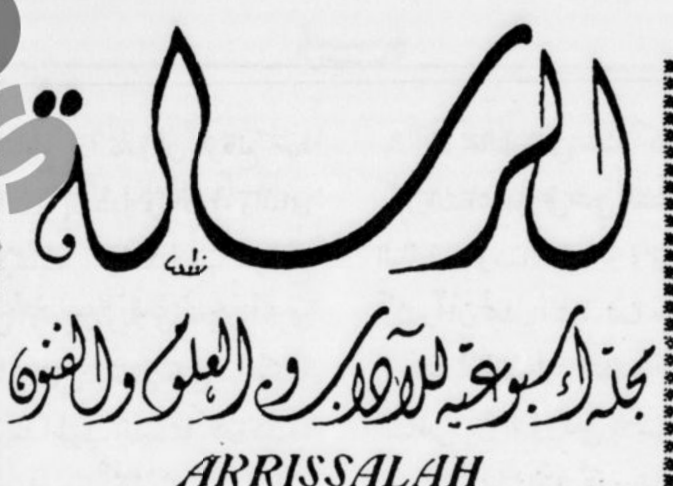
11 me Année No. 515

Lundi - 17 - 5 - 1943



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥١٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٧ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

السعادة بعد الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

طريقة الاستجواب فى القضاء الإنجليزى معروفة يذكرها الذين حضروا المحاكم العسكرية بمصر أو قرأوا محاضرها ، وهى طريقة يذهب فيها القضاة والمستجوبون مذاهب مختلفة ، فيبيح بعضهم الإطالة فى الجواب ، ويشترط بعضهم أن يقتصر الجواب على كلمة واحدة بالإثبات أو النفى أو الامتناع : نعم أو ، لا ، أو ، ممتنع ، ولا زيادة

ويتفق كثيراً أن يتعذر الجواب بكلمة واحدة ، ويشعر المحامون بذلك فيطلبون إلى المحكمة أن تأذن لموكلهم ببعض التفصيل . وأذكر من مراجعة إحدى القضايا الهامة فى انجلترا أن المحامى اعترض على توجيه سؤال إلى موكله يتعذر الجواب عليه بكلمة النفى وحدها أو بكلمة الإثبات وحدها ، وذكر للقاضى أن بعض الأسئلة لا يجاب عليه بنعم ولا بلا دون تعقيب . فسأله القاضى مثلاً فأجابه المحامى : هبنى سألت حضرة القاضى المحترم : ألا تزال تضرب امرأتك ؟ فبماذا يجيب ؟ إن كان لم يضربها قط ثم قال : « لا » ففى هذا النفى معنى الاعتراف بالضرب فيما مضى وإنكاره الآن . وإن قال : نعم فقد خالف الحقيقة . فكيف يكون الجواب بغير بيان الحقيقة بشىء من التفصيل ؟

وعندى أن هذا الجواب القاطع إذا تعذر فى الوقائع مرة فهو متعذر فى الآراء والمعانى مرات . إذ يندر فى الآراء والمعانى ذلك الفصل الجازم بين النفى والإثبات . وتكثر فيها المواضع التى تحتمل الجواب بنعم فى بعض الأحيان وبلا فى أحيان أخرى

ولكنى سئلت منذ أيام جملة أسئلة يتقيد فيها الجواب بكلمة واحدة ، ومنها : هل يصبح العالم بعد الحرب أسعد مما كان قبلها ؟

فقلت : نعم . لأنه أصدق جواب فى كلمة واحدة ، لا لأنه أصدق جواب على الإطلاق

أما الجواب الأصدق الأوفى فهو مزيج من القولين يتراوح فيه الإثبات والنفى تارة إلى الزيادة وتارة إلى النقصان فى أكثر من مكان

فالذى أعتقده أن العالم سيتقدم بعد الحرب فى سبيل الحرية ، وأن الحرية نعمة وتبعة فى وقت واحد . فمن حيث هى نعمة فهي ولا ريب سعادة ينعم بها الإنسان ؛ ومن حيث هى تبعة فهي ولا ريب باب للهموم والشواغل وقرينة للعناء الذى يغض من سعادة السعداء

كل تقدم فى الحياة فقياسه الأصدق الأوفى عندى زيادة التبعة لا زيادة السعادة

الرجل أقدر على التبعة من الطفل ، والعالم أقدر على التبعة من الجاهل ، والقوى أقدر على التبعة من الضعيف ، والعظيم أقدر على التبعة من الصغير ، وهكذا فى كل باب من أبواب التقدم بغير اختلاف وبغير استثناء

أما مقياس السعادة فقد يختلف فيه هذا القياس أبعد اختلاف : قد يكون الطفل أسعد من الرجل ، وقد يكون الجاهل أسعد من العالم ، وقد يكون الضعيف أسعد من القوى ، وقد يكون الصغير أسعد من العظيم ؛ بل هذا على الجملة هو الأقرب إلى الواقع والمعهود

فالمرجو من عواقب الحرب أن يزداد نصيب الناس من الحرية ، وأن يزداد نصيبهم إذن من التبعة ، وهنا موضع المزج بين النعمة والعناء ، وبين زيادة الرجاء وزيادة المخاوف والقلقات

لكننا نحصر المسائل الكبرى التى يرجى أن يتناولها التغيير النافع بعد الحرب الحاضرة لنحصر موارد الخير والشر فى المستقبل القريب جهد المستطاع

فلا نخالنا ننسى شيئاً كثيراً إذا حصرناها فى ثلاث مسائل كبريات تشتمل على شتى الصغائر والفروع ، وهى مسألة التجارة العالمية ، ومسألة البطالة ، والمسألة النفسية الأخلاقية التى يتفق كثيراً أن تجلب الشقاء لصاحبها وهو فى غمرة الثروة والعمل الجيد

فسألة التجارة العالمية كانت مورد الشر العميم من ناحية التنافس بين الدول على الأسواق وعلى الخامات

وقد نظر الأمريكيون والإنجليز فى علاج هذه المشكلة فخرجوا منها بطريقتين لا يصعب التوفيق بينهما على ما بينهما من خلاف :

طريقة الأمريكيين ، وهى تقوم على فتح الأسواق بغير تمييز بين الأمم ، وعلى تثبيت العملة العالمية بضمان من الذهب والمعادن النفيسة تشترك فيه كل أمة بالمقدار الذى يناسب طاقتها التجارية

وطريقة الإنجليز ، وهى تقوم على تعاون الأمم المشتركة فى المصالح ، وعلى تثبيت العملة العالمية بإنشاء مكتب دولى يتولى الموازنة بين الصادرات والواردات ، أو بين المبيعات والمشتريات ، على حسب الطاقة الاقتصادية التى تحتمل المراجعة والتعديل من حين إلى حين

وبين هاتين الطريقتين فرق فى التنفيذ وإن كانتا فى الجوهر أدنى إلى الاتفاق . ولكن المعول هنا على الضرورات العالمية التى لن تحكمها إرادة الأمم والحكومات . فإذا جاء دور التنفيذ فالمصلحة العالمية لها من القوة والرجحان ما يكفل لها الظهور والغلبة على كل إرادة ، وهى خليقة أن تزيل الفروق وتقارب بين المسافات

***

أما مسألة البطالة فالتأمين الاجتماعى الذى تتسابق الحكومات المتحالفة فى استنباط مشروعاته كفيل بتخفيف أعبائها عن كواهل الصناع والفقراء على الإجمال . وعلاج هذه المسألة ضرورة قومية فى كل أمة لا محيص عن الاهتمام العاجل بها بعد تسريح الجنود واستئناف الصناعة الانشائية للتعمير والترميم . وهذه الضرورة القومية وحدها هى التى تلجئ الدولة قسراً إلى علاج مشكلة التجارة العالمية ؛ لأن المصانع لن تدار بغير تنظيم الخامات والأسواق ، ومسألة البطالة والتأمين الاجتماعى لن تحل بغير إدارة المصانع وإعادتها إلى الإنشاء والتعمير ، وهذه الضرورة

العاجلة هي إحدى الضرورات التي قلنا إنها كفيلة بتنظيم التجارة بين الأسواق العالمية ، وإنها أقوى وأقدر على الغلبة والظهور من إرادة الساسة والحكومات

* * *

أما المسألة النفسية أو المسألة الأخلاقية فهي في اعتقادنا أعضل هذه المسائل وأدعاها إلى التفكير والتدبير

ومن بواعثها الكثيرة اختلال الأعصاب الذي ابتلى به ألوف الألوف من الجنود المشتركين في القتال ، وابتلى به ألوف الألوف من السكان المروعين بالغارات وفقد الأعزاء

ومن بواعثها الكثيرة اختلال التوازن بين عدد الفتيان والرجال ، وعدد الفتيات والنساء ، واضطرار الملايين من النساء العاطلات إلى المغامرة في سوق العمل أو المغامرة في سوق الشهوات

ومن بواعثها الكثيرة فقد البيوت آباءها وعائليها وأركان التربية والحياطة فيها

ومن بواعثها الكثيرة ضغائن المغلوبين وآلام المستضعفين الذين داستهم القوة وفرّج عنهم النصر وهم لا يملكون منه إلا التشيع والاغتباط

ومن بواعثها الكثيرة خلو النفوس من المذاهب والعقائد التي تبددت في الحرب الحاضرة وعجزت عن إمداد النفوس بالثقة والعزاء

وأصعب ما في علاج هذه البواعث أنها لا تعالج بالقمع لأن كبت الأهواء هو الداء العضال لمن يصلبون بمثل هذا المصاب ؛ ولا تعالج بالإباحة لأن « المعاصي » كما قال الأباصيري تقوى شهوة النهم ولا تشبع الشهوات

إنما تعالج هذه الآفة بالإيمان و « إحياء الروح » التي تعصم نوازع الفساد في الأجساد

وإنما يتوطد هذا الإيمان بالإقبال على العمل المفيد ، وإقناع كل من خامره الشك في مصير العالم بأن العالم يسعى إلى غاية مقصودة وغاية مستطاعة ولو في مرحلة منها بعد مرحلة ، وأن الحرب لم تذهب عبثاً ولم يرجع الناس بعدها إلى مثل ما كانوا عليه قبل فناء ما فني وخراب ما خرب وضياع ما ضاع وهو كثير جد كثير . فإذا وجد الناس أنفسهم بعد الحرب عاملين مجتهدين ، ووجدوا أن عملهم واجتهادهم عوض صالح لما فقدوه وأصيبوا به من الخسائر والقلق والعذاب ، وأيقنوا أن الطامة الكبرى لم تذهب عبثاً في غير مغنم وفي غير صلاح وإصلاح ، وأن داء الإنسانية ليس بالداء العضال الميئوس منه أبد الزمان ، ففي هذا وأشباهه من دواعي الإيمان والعقيدة ما يبعث العزاء ويشحذ الهمم ويعصم الأرواح من مزالق الشهوات

وهنا تدور الحلقة المفرغة التي لا يُدرى أين طرفاها . فاذا عولجت مسألة التجارة العالمية عولجت مسألة البطالة والتأمين الاجتماعي . وإذا عولجت هاتان المسألتان ثابت النفوس إلى التفاؤل بمصير العالم وتهيأت القلوب للتصديق بغاية شريفة في الحياة ، وظفر المصلحون النفسانيون ببلسم الجراح وأكسير الأمل وعنصر العقيدة التي تؤيدها المشاهدات العيانية ومطامح الآمال

ولك أن تقول إن النفوس إذا صدقت عملت وانشرحت لعملها ، وإذا عملت وانشرحت لعملها لم تتعاظمها المصاعب ولم يعسر عليها تفريج الأزمات وفض المشكلات

فهما قولان متقاربان

وليس من الضروري أن نعرف أين الابتداء وأين الانتهاء في هذه الحلقة المفرغة . فإن النفس الإنسانية لن تعيش أبداً في طور من الأطوار خلواً من المزيج الذي تتلاقى فيه دواعي العمل ودواعي العقيدة ، وبأيها ابتدأت فأنت واصل إلى نهاية تستحق عناء الوصول إليها

سيصبح العالم بعد الحرب أسعد مما كان قبلها ، فإن شككت في ذلك فالذي لا أشك فيه أنه سيتقدم في سبيل الحرية والتبعة وهو غنم جليل يساوي خسارته في الحروب . ورجائي الذي يرجوه مي من يحبون الحياة ألا تقضي سعادة العالم بعد الحرب على أسباب شكواه ، لأن القضاء على أسباب الشكوى قضاء على أسباب الحركة وأسباب التجديد وأسباب الطموح إلى المثل الأعلى .

عباس محمود العقاد

حكم في القضية ٥٤٩ سنة ١٩٤٣ وايلي بحبس جرجس رزق مرجان ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الرسالة والأهرام وتعليقه بمتجر المتهم والقسم لمدة شهرين على نفقته لبيعه عدساً بأزيد من السعر المحدد

السياسة التوجيهية العلمية في الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدني

ذلكم أيها القراء هو عنوان المحاضرة التي حدثتكم عنها من قبل، وقد كان لهذه المحاضرة شأن لا أجد بأساً في أن أقص عليكم منه طرفا:

عجب الأزهريون أول الأمر حين سمعوا أن محاضرة بهذا العنوان سيلقيها أزهري في دار أزهرية، ثم عجبوا وازداد عجبهم حين علموا أن صاحب هذه المحاضرة هو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت:

قالوا: هذا موضوع شائك دقيق ينبئ عنوانه عما سيقال فيه مما نعرفه ونشهد آثاره، ولا بد أن يمس الكلام فيه بعض أصحاب السلطان من قريب أو من بعيد، وأصحاب السلطان في كل زمان ومكان يرون أنفسهم في منزلة من السمو ليست لغيرهم: فهم لا يحتملون في أنفسهم ما يحتمله سائر الناس، ولا يصبرون على ما يصبر عليه سائر الناس؛ وهم يغالون فيما لهم من حقوق يجب أن تُرعى، ويُغمضون عما للناس من آمال «ينبغي» أن تحقق؛ وهم يرون من حقهم أن يشكُّوا في الناس إذا خالفوهم في سبيل الحق والواجب، ويرون من حسن السياسة أن يرفضوا النقد إذا كان صريحاً مسفراً، وأن يعرضوا عن النصح إذا لم يُلفَّ لهم في أوراق من الورد والريحان! فأيّ أزهري يعلم ذلك ثم يعرّض نفسه لما يستلزمه الخوض في مثل هذا الحديث؟

فلما سمعوا اسم «شلتوت» قالوا: هذا أعجب وأغرب! ولم يكن عجبهم إلا لأن صاحب هذا الاسم صديق حميم لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي، ونصير قوي لإصلاحه طالما دافع عنه، وأشاد به وأيده بقلمه ولسانه وبحوثه العلمية؛ وهو مع هذا وذاك وكيل كلية الشريعة، وعضو في مجلس إدارتها، بل هو عضو في جماعة كبار العلماء، فكيف يتكلم إذن في هذا الموضوع، وكيف يذكر حقائقه، ويعرض للناس وقائعه؟

عجبوا لذلك كله أول الأمر، وتساءلوا عنه في مجالسهم؛ ولكن هذا العجب لم يطل بهم كثيراً، فقد تأملوا الأمر من جميع جهاته وروَّوْا فيه فتبين لهم أن الذي أنكروا منه غير منكر، وحينئذ جرت الأحاديث بينهم على نحو آخر:

قالوا: إن الكلام في هذا الموضوع، ولو كرهه بعض الناس، لا بد منه لمصلحة الأزهر ولمصلحة الثقافة الإسلامية العربية. فلو كان الأزهر معهداً من هذه المعاهد المتشابهة المتكررة لهان الأمر، ولجاز لأبنائه أن يجاملوا فيه أو يصانعوا، ولقال الناس: معهد من المعاهد إن ضاع ففي غيره عوض منه، ولكن الأزهر ليس كذلك، وإنما هو الجامعة الكبرى التي تعتز بها الأمة الإسلامية في مصر والشرق، بل يعتز بها العالم كله شرقيُّه وغربيُّه. هو الجامعة الفريدة في نوعها، القوية بتاريخها التي انحاز إليها تراث الفكر الإسلامي في أجيال بعد أجيال!

وقالوا: إذا كان «شلتوت» صديقاً «للمراغي» فذلك أقرب إلى نجاح دعوته، فإن كلام الصديق أيسر على السمع، وأدخل إلى القلب. وإذا كان «شلتوت» نصيراً للاصلاح، حريصاً على النظام القائم إلى درجة الدفاع عنه فذلك أنفى للتهمة، وأبعد من الشبهة. وإذا كان «شلتوت» متصلا بالعمل، مكابداً لشئونه فذلك أدنى إلى القسط، وأهدى إلى الرشاد

فلتُقل إذن كلمة الحق، وليقلها «شلتوت» في صديقه لصديقه، وليصدع بها عالية بريئة يبتغي بها وجه الله، وليؤثر الأزهر على صاحبه وعلى عاطفته في صاحبه، فإن الحق أحق أن يتبع، وإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين! ولقد كان ذلك فكانت هذه المحاضرة

* * *

ولست أريد في هذا المقال أن أثبت شيئاً من نصوصها، فقد سمعها الناس حين ألقيت، وقرأها الناس حين طبعت ونشرت، وإنما أريد أن أذكر أهم المبادئ التي اشتملت عليها:

لقد مهد فضيلة الأستاذ الكبير لموضوعه بمقدمة بين فيها الغرض من الأزهر وعرض لتاريخه العلمي من يوم أن

انسلخت عنه الصبغة الشيمية التى أنشىء لتركيزها وتنميتها والقضاء بها على المذاهب الأخرى ، ووصف العلل التى ورثها عن ماضيه الطويل فصرفته عن التفكير والإنتاج وقصرته على غير النافع وغير المستقيم من عناية بالناقشات اللفظية ، وتقديس للآراء والأفهام التى دونها السابقون ، واشتغال بالفروض العقلية والاحتمالات التى لا تقع ، وباختراع الحيل التى يتخلص بها من الحكم الشرعى ، ومن تغليب لروح التعصب المذهبى ، وتحريم لتقليد غير المذاهب الأربعة ... الخ . وبعد أن فرغ من هذا التمهيد وأيد ما ذكره بالأمثلة العلمية أخذ يفيض فى موضوعه بما يرجع إلى المبادىء الآتية :

(١) كانت أول صيحة أيقظت الأزهر من نومه ، ونبهته إلى واجبه ، هى صيحة الأستاذ الإمام المغفور له الشيخ محمد عبده . « فكانت مبادئه وأفكاره بمثابة شعاع انبثق فى أفق الأزهر . انتفع به من انتفع ، وازورّ عنه من ازورّ ، ولكنه مع ما قوبل به من محاولات متعددة لإطفائه ظل قويا وهاجا يجذب إليه أنظار المؤمنين ، وينفذ إلى بصائر المخلصين . . . وإن الأزهر لينتفع الآن فى كلياته ومعاهده ، وفى القضاء الشرعى والإفتاء ، والوعظ والإرشاد بطائفة كبيرة من العلماء الذين تخرجوا فى ظلال هذه النظم التى تستمد من إصلاح الشيخ عبده ، لهم أثر واضح فى حياة الأمة من جميع نواحيها »

وفضيلة الأستاذ المحاضر ينفى بهذا فكرة ربما فهمت من عبارة ذكرها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فى مذكرته الإصلاحية التى وضعها فى سنة ١٩٢٨ إذ يقول فى شأن النظم التى تقدمت إصلاحه : « وإنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر فى إصلاح التعليم ، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه ! »

(٢) إن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى قد وضع فى عهده الأول مذكرته الكبرى فى إصلاح الأزهر « تلك المذكرة التى لا نعلم مثلها فى تاريخ الأزهر — حديثه وقديمه — قوة وفهماً وإدراكا للعوامل المختلفة المحيطة بالأزهر ، والتى جعلها برنامجه فى الإصلاح المنشود ، ودستوره الذى عاهد الناس على أن يسير على مبادئه فى النهوض بالأزهر وإعلاء شأنه ، وتحقيق آمال الأمة الإسلامية فيه » « تلك المذكرة التى علقت عليه الأمة من أجلها آمالها الكبرى فى إعلاء شأن الدين وإنهاض أهله »

وهو يرى فى هذه المذكرة رأيا مبيناً فى الكتب المعقدة « التى لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية »

ويرى فيما يختص بدراسة الفقه أنه « يجب أن يدرس دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ... الخ »

ويرى فى دراسة التفسير كذا ، وفى دراسة الحديث كذا ، وفى دراسة اللغة العربية كذا ... إلى غير ذلك مما سجله فى مذكرته

ولقد مضى على هذا الإصلاح أمد هو فيما يرى المصلحون غير قصير ، ونحن مع ذلك لم نزل حيث كنا ، وإن حدث اختلاف فى بعض الصور والمظاهر :

« لم نزل كتبنا هي الكتب المعقدة التى لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية »

« لم نحاولْ أن نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب ، ولم نحاول أن نأخذ النافع منها لنعرضه عرضاً يروج عند أهل العصر »

« ولم نزل ننفق أوقاتنا الثمينة فى المناقشات اللفظية ، وفى خدمة نصوص المتون وعبارات المؤلفين »

« ولم نزل نشغل أنفسنا بالفروض الفقهية كما اشتغل بها السابقون . ولم نزل نحس ثقل العلم ولا نجد فى أنفسنا اندفاعاً إلى تحصيله ، ولا رغبة فى المثابرة على طلبه . ولم نزل نحضر العلم حضوراً زمنياً لنقطع به أعوامنا الدراسية عاماً فى إثر عام »

« ونحن لا نقرأ من المقررات إلا نسباً ضئيلة تافهة لا تكوّن ملكة ولا تعد تحصيلاً »

٣ — يقرر المحاضر أن هذه الحالة المؤسفة هى حالة الأزهر الواقعية ، وأن فضيلة الأستاذ الأكبر وجميع معاونيه يعلمونها فيقول « هذه حالتنا التوجيهية الواقعية ، وهى حالة عامة تشترك

فيها الكليات جميعها على اختلاف بينها فى النسب ، وهى مسجلة فى التقارير التى تقدمها لجان الامتحان إلى الرياسة العامة إثر كل امتحان ، وفيها يقول حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الأكبر : وهناك أمثلة ظاهرة العوار فى قراءة المقررات تعلمونها كما أعلم ، وتشعرون بأنها أمثلة سيئة لا يجوز أن تبقى ماثلة » ولكنها مع ذلك بقيت ماثلة ، وازدادت سوءا

٤ — يقرر فضيلة المحاضر « أن من المؤلم له أن يصرح فى موقفه هذا بأن جهوداً كثيرة بذلت فى سبيل إصلاح هذه الحالة ، ولكنها لم تقابل بإخلاص ولا تضافر على تنفيذها ، فاتت تلك الجهود ، واستمرت هذه الحالة »

وهذا تصريح خطير من رجل مسئول . ولعل فضيلته يفصل للناس ما أجمله فيه حتى يعلموا : من هم المسئولون عن موت تلك الجهود !

٥ — يقرر فضيلة المحاضر « أن العامل الذى وقف بالأزهر هذا الموقف لا يرجع إلى الطلاب ولا إلى الأساتذة ، فإن هؤلاء جميعاً خاضعون لنظام يظلهم وتوجيه يوجههم . ولا يمكن أن يرجع إلى المناهج ، لأن المناهج فى جملتها قوية صالحة لتخريج نوابغ من العلماء فى الفقه والتشريع وفى غير الفقه والتشريع » وإنما يرجع إلى أن الإصلاح لم ينفذ بالروح التى وضع بها ، ولم يتعهد حتى يؤتى ثماره ، ولم يتهيأ له ما ذكره فضيلة الأستاذ الأكبر فى مذكرته الإصلاحية حيث يقول :

« يجب أن تكون الخطوة إلى ذلك الإصلاح خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، وقد قرنت كل الإصلاحات المظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة »

ويقول فضيلة الأستاذ المحاضر : « وإلى أن تحدث هذه الخطوة الجريئة التى يقصد بها وجه الله ، ولا يُبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ سيبقى الأزهر فى عزلته عن الأمة ، لا يسعفها بحاجتها ، ولا تقدره فى وجوده ولو سُنّ له ألف قانون ! »

***

أما بعد :

فهذه هى المحاضرة التى وعدتكم بها — أيها القراء — كمثال من أمثلة الظاهرة الجديدة التى ظهرت فى الأزهر هذا العام ، وقد تبينتم منها حالة الأزهر الواقعية ، وسياسته التوجيهية ، ولو كان فضيلة الأستاذ الأكبر لا يعلم ، أو كان مع علمه لا يرى أن يعمل ، أو كان مع عزمه لا يقدر ، لكان الأمر مفهوماً ؛ ولكن فضيلته يعلم هذه الحالة حق العلم ، ويعترف بها فى أحاديثه وكتبه الرسمية ، ويَعِد من يكلمه فيها بأنه سيتداركها ويسرع إلى إنقاذ الأزهر من سوء مغبتها ، وهو مع ذلك كله مالك لأمره غير مغلوب عليه ، تحترمه الأمة والحكومة ويعطف عليه المليك حفظه الله . أليس هذا موقفاً تحار فيه العقول ؟ وهل يطلب منا أن نقول فيه كما يقول الراسخون فى العلم عن المتشابه : « آمنا به كل من عند ربنا »

لا . لا ، ولكنا نقتبس ما اقتبسه الأستاذ الزيات حين نشر مذكرة فضيلته فى إصلاح الأزهر فنقول :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددا

محمد محمد المدنى

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٣ مارس سنة ٩٤٣ فى القضية رقم ٢٦٨ أبو حماد سنة ٩٤٣ بحبس كل من محمد عبد العزيز عبد المجيد وسليم عبد الرحمن معوض بائعى خبز بإتل الكبير ثلاثة شهور بشغل وتغريمهما ١٠٠ جنيه وإغلاق المحل يومين لعرضهما للبيع خبزاً دون الوزن المقرر

حكم فى الجنحة ن ١٩٢ عسكرية مصر القديمة سنة ١٩٤٣ بحبس رزق طه بكر ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والنشر والتعليق والمصادرة لنقله أذرة لخارج مدينة القاهرة بدون تصريح

اتهم اسماعيل حسن الدهان جزار بالأزهر فى الجنحة رقم ١٦٨٠٢ مستأنف مصر سنة ٩٤٠ بأنه فى ٧ / ٧ سنة ٩٤٠ الدرب الأحمر باع لحماً بأزيد من التسعيرة

وحكم عليه استئنافيا فى ٢٣ ديسمبر سنة ٩٤٠ بتغريمه ٢٠٠ جنيه وتعليق الحكم على باب متجره وعلى باب المحافظة ونشره على نفقته فى مجلتى الرسالة والمباحث القضائية

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

تجميل القاهرة — قطار بور سعيد — قطار الديزل — القيظ في أسيوط — المدينة المهجورة — كلمة صريحة إلى أهل أسيوط

تجميل القاهرة

المعروف أن رجال الهندسة لا يرون من حق رجال الأدب أن يتحدثوا في شؤون هي في الأصل من أعمال المهندسين ، ولكني مع ذلك سأسوق ملاحظة تبين أن تخطيط المدن يقوم على قواعد ذوقية قبل أن يقوم على قواعد هندسية ، إن جاز الفصل بين الهندسة والذوق !

هل سمعتم حديث « نَفَق شبرا » وقد انتظرناه عدداً من السنين ؟

لا أدرى كيف سمحنا بأن ننفق في إنشائه ألوفاً مؤلفة من الدنانير ، ثم تكون النتيجة أن يبقى جسر شبرا في حالة لا تريح من يسيرون على الأقدام ، لأنهم مضطرون إلى استعمال تلك السلالم المتعبة في الذهاب والإياب ، بغض النظر عن المتاعب التي يتعرض لها من يريد ركوب ترام شبرا وهو في ميدان باب الحديد

منشأ هذه الضجرات أننا أردنا أن تكون محطة القاهرة محطة واحدة ، وكان يجب أن تكون فيها محطة لقطارات الشمال ومحطة لقطارات الجنوب ، ولو فعلنا ذلك لظفرت القاهرة بميدان جديد ، ولكان من السهل أن تُرفع متاعب من يتجهون إلى شبرا ، وهي اليوم منطقة تموج موجاً بالسكان ، وستكون مصدر نشاط صناعي واقتصادي في المستقبل القريب

يجب أن نبادر إلى رفع جسر شبرا ، وأن نفصل محطة الشمال عن محطة الجنوب ، وهذا لا يمنع من بقاء الطريق الذي تمرّ به قطارات البضائع ، وهي قليلة العدد ، وأغلبها يمرّ بالليل ، فلا يعرقل حركة المرور إلا في لحظات لا يُحسب لها حساب .

لقاء القاهرة

خطر في البال هذا الخاطر وأنا أمتطى قطار الديزل إلى الصعيد في عصرية الخميس الماضي ، ثم خطر في البال أيضاً ما تعاني المنطقة التي يمر فيها قطار الصعيد بين باب الحديد وجسر امبابة ، وهي منطقة لا تقع فيها العين على منظر جميل ، لأنها من ذيول بولاق ، وكان الظن أن نفهم أنها أول ما يرى القادم على القاهرة من ناحية الصعيد

منذ ثلاث سنين كتبت كلمة في مجلة الرسالة أدعو فيها إلى تجميل مدخل القاهرة في نظر القادم من الاسكندرية أو بورسعيد فما استمع مستمع ولا استجاب مستجيب ، وأنا اليوم أعجب من أن تبقى منطقة بولاق على ما كانت عليه قبل التمدن الحديث ، مع أن لبولاق تاريخاً من أعظم التواريخ ، فهي التي أنشأت المدافع لمقاومة الاحتلال الفرنسي ، وفيها أقيمت أول مطبعة لإحياء المؤلفات العربية والإسلامية . وهل في العرب من لا يدين لمطبعة بولاق ، ولو كان في أقاصي الصين ؟

قطار بورسعيد

الواقع أننا لا نفكر في خلق الجاذبية في صدور من يفد على الديار المصرية ... هل تعرفون شيئاً عن قطار بورسعيد ؟ وهل تصدقون أن أجرة الباخرة من مارسيليا إلى الاسكندرية أرخص من أجرة المثل في السفر من مارسيليا إلى بورسعيد ؟

لذلك أسباب ، ولكني أحب أن أجعل قطار بورسعيد من أهم الأسباب

هو قطار سخيف ، وهو لسخفه يجهل أنه يقاسي زوابع الصحراء نحو ساعتين ، فليس بالدرجة الثانية ستائر تمنع هجوم الرمل والتراب . أما الدرجة الثالثة فطعام ركابها عَجاج في عَجاج . ويا ويل من يركب قطار بور سعيد وهو خفيف الجيب !

وبهذه المناسبة أذكر أن الدرجة الثانية بقطار الصعيد ليس فيها مراوح ، فماذا يصنع الركاب في وهج الصيف ، إذا كتب عليهم أن يصطلوا القيظ بين الأقصر وأسوان ؟

شيئاً من الرحمة ، يا مدير سكك الحديد ، فقد سمعت أنك من الرحماء ؟

وما حال المقصف الذى يوجد فى بعض القطارات لا كل القطارات ؟

هو محرم على ركاب الدرجة الثالثة تحريماً قاطعاً ، وقد يكون فيهم من يحتاج إلى تناول الطعام فى مكان مريح ليدفع مشقة السفر وهو قطعة من العذاب

ياناس ، ياناس ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء !

قطار الديزل

سمى باسم المخترع Deisel وهو ألمانى الأصل ، وليس بقطار الديزل مقصف ، مع أنه خاص بركاب الدرجة الأولى والثانية ، ومع أنه لا يقف إلا فى محطات قليلة ، وهو حين يقف لا يتمكث غير دقيقة أو دقيقتين

بهذا القطار حنفية تجود بالماء لمن يقبل الجود من الأشحاء ، وما قيمة الجود بماء لم يسمع بأخبار الثلج ، ولا يعرف الطريق إلى تنسم الهواء ؟

جرّبوا السفر بهذا القطار بعد الظهر فى مثل هذه الأيام وفى طريق الصعيد ، لتعرفوا كيف يبخل القطار على ضيوفه الأعزاء بكمية من الماء المثلوج لا تتكلف خمسة قروش

وقف الديزل فى محطة بنى سويف ، فتصايح الركاب يطلبون من الباعة إمدادهم بأكواب الليمون ، ليبتلعوها فى مثل ومضة البرق ، ويقوم القطار قبل أن يتناول المسافرون ما يخفف وقدة الظمأ ، وبعد لحظات يقف القطار ، وننظر فنعرف أنه وقف إكراماً لصاحب « بوفيه المحطة » وكان بقى فى القطار إلى أن يتسلم ما له عند المسافرين من نقود !

فما الذى يمنع من أن يقف القطار بالمحطة نحو ثلاث أو خمس دقائق ، ليستغنى عن هذا التلطف فى معاملة صاحب البوفيه ، وليضمن راحة المسافرين من بعض هذا العناء ؟

أيكون من الصعب إمداد ثلاجة القطار بزادها من الثلج ، ولو بإضافة زيادة على أثمان التذاكر ؟

أما بعد فهذه شؤون تبدو من التوافه فى نظر بعض الناس ، ولكنها شؤون على جانب من الأهمية ، والاهتمام بها قد يغيّر ما درجنا عليه من الغفلة عن تذوق الحياة

وهل كان البدوى الذى يعانى متاعب السفر فى البيداء أشقى من الحضرى الذى يمتطى قطار الديزل ، وهو على ما وصفت ؟

لقد ظمئت بهذا القطار ظمأ لم أشعر بمثله وأنا أخترق البادية من دمشق إلى بغداد ، لأن مطية نيرن تفكر فيما لا تفكر فيه مطية ديزل ، ولأن الشركات تصنع فى ملاطفة الزبائن ما لا تصنع الحكومات ... وما أحب أن أزيد !

القيظ فى أسيوط

دخلت أسيوط وقد انتصف الليل أو كاد ، فرأيتها فى حال من القيظ لا تطاق ، فماذا صنعت الأيام بجوّ هذه المدينة الفيحاء ؟

إنها بعيدة من النيل بعض البعد ، فكيف أنشئت على هذا الوضع ، وما كان لمدينة مصرية أن تُنشأ إلا على ضفاف النيل ؟

كانت أسيوط فى الأصل على شاطئ نهر يجاورها من الغرب ، نهر يساير الجبل من الجنوب إلى الشمال ، وقد انطمر هذا النهر ، ولم يبق ما يدل عليه غير بقايا من قناطر محطمة كان لها شأن فيما سلف من الزمان

وكان بأسيوط برك واسعة ، كالبرك التى كانت بالقاهرة ، من أمثال بركة الأزبكية وبركة الرطلى وبركة الفيل

والبِركة كانت كلمة مقبولة فى الأيام الخوالى ، ولها فى أشعار البحترى مكان ، وقد أخذتها اللغة الأسبانية عن اللغة العربية ، وابتذال هذه الكلمة جديد فى حياتها اللغوية ، فهى اليوم ترادف كلمة المستنقع ، ومن هنا قيل « بطينه ولا غسيل البِرك »

• البركة قديماً هى البحيرة ، والبحيرة تصغير بحرة مؤنث بحر ، والبحر فى أصل اللغة هو مجتمع الماء الغزير ، بغض النظر عن العذوبة والملوحة ، فما يخطئ المصريون فى تسمية النيل بحراً ، مع أنه عذب لا أجاج

وأقول إن البرك التى كانت بالقاهرة وأسيوط هى بحيرات ، فقد كانت تأخذ مددها من النيل فى أيام الفيضان ، ثم يَبرُك فيها الماء بعد انحسار الفيضان ، فهى بركة من أجل هذا ، إن صح هذا التخريج ، وهو صحيح

كانت برك القاهرة كثيرة المنافع ، فقد كانت مجالاً لنزهات الأصيل والعشيات فى السفائن اللطيفة ، وكانت منادح لتوالد الأسماك . وكذلك كانت برك أسيوط ، وإن لم يسجل الأسيوطيون بِركهم فى الأشعار كما صنع القاهريون

والذى يهمنى فى هذا المقام هو النص على أن برك أسيوط طُمِرت كما طُمر النهر الذى كان يساير الجبل ، وهذا من أسباب عنف القيظ فى أسيوط

لقد حاول عبد السلام الشاذلى باشا بتحويل تلك البرك إلى حدائق فتم له ما أراد فى بركة واحدة ، وبقيت البرك الأخرى فى حال من الجفاف تزيد وقدة القيظ

أنا أعرف أن من العسير نقل أسيوط إلى شاطئ النيل فى سنة أو سنوات ، فلم يبق إلا أن نقترح المبادرة إلى تزويدها بالحدائق الكثيرة ليخف عذابها بلوافح الصيف

المدينة المهجورة

هى مدينة أسيوط فقد زهد فيها كبار أهليها من المسلمين والأقباط ، وكادت تفقد اللقب الذى يجعلها عاصمة الصعيد

ومن يصدّق أن أسيوط كانت قبل عشرين سنة أنضر مما هى اليوم ؟

ومن غريب ما لاحظت أن أسيوط أقل الحواضر المصرية مسايرة للحياة الأدبية ، ولولا الرعاية لحق هذه المدينة لقلت إنها لا تعرف من مطبوعات القاهرة بعض ما تعرف دمشق أو بيروت أو بغداد .

هل تتغير هذه الحال بإنشاء الجامعة الثالثة جامعة أسيوط ؟

إن الجلال السيوطى وهو أشهر من مجّد اسم أسيوط فى العهد الإسلامى لم يتخذ هذه المدينة دار مقام فى الحياة ولا بعد الممات ، فهل كان يعرف زهدها فى المجد العلمى والأدبى ؟

كلمة صريحة إلى أهل أسيوط

فى أسيوط وحدها يمر يوم وأيام بلا مَدد من الجرائد والمجلات ، فكيف يقع ذلك ومدينة أسيوط هى الثالثة أو الرابعة بين كبريات المدائن المصرية ؟

اتقوا الأدب فى مدينة كان لها فى الأدب تاريخ

عزيز على أن أقول فى أسيوط كلاماً كالذى قلت ، ولكن ماذا أصنع وأنا موقن بأنها أقل اهتماماً بالأدب من حواضر السودان ، وبيننا وبينه أبعادٌ طوال ؟

زكى مبارك

على هامش النقد

الأدب «المهموس» والأدب الصادق

للأستاذ سيد قطب

حكاية أن « الأدب تعبير عن الحياة » حكاية معروفة من معاد القول الحديث عنها . وإن كان تفسيرها وتطبيقها لا يزالان موضع اختلاف عند استعراض النماذج . والنموذج فى الفن أبلغ دائماً فى بيان المذهب من النظريات العامة .

وقد تحدث الأستاذ «محمد مندور» فى مقالات ثلاث بالثقافة عن « الشعر المهموس » ثم تحدث فى العدد الماضى عن « النثر المهموس » وأعاد قصة « الشعر المهموس »

وفى جميع هذه الكلمات كان مندفعاً لأن يثبت أن أدباء المهجر هم « شعراء اللغة العربية » وأن « بين شعرهم وشعر الكثير من شعراء مصر قرونا » وكذلك نثرهم الشعرى

وليس يسوءنى ولا يسوء أدباء مصر أن يكون الأمر كذلك حقيقة ، فالتعصب هنا لا محل له ؛ ولكن الذى يهمني ويهم أدباء مصر ويهم الأدب فى ذاته ، أن « النماذج » التى جاء بها والدعوة التى يدعو بها إلى هذه النماذج هى توجيه مؤذٍ فى فهم الأدب وفهم الحياة !

وأنا أفهم مثلا أن يحب الأستاذ مندور أو سواه لوناً خاصاً من ألوان الأدب ، فتلك مسألة مزاج ؛ ولكن الذى لا أفهمه أن يصبح هذا اللون الواحد دون سواه هو الأدب الصحيح الراق المتقدم ، وأن يكون ما عداه من الألوان مرة « سخيفاً » كما يقول عن شاعر كبير معاصر ، وطوراً خطابياً كما يقول عن شاعر كبير قديم ... فذلك ضيق فى الإحساس ، يجوز أن يقنع به قارىء يتذوق ويلذ له لون واحد من الغذاء الروحى ؛ ولكنه لا يصلح لمن يتصدى للنقد والتوجيه

وما اللون المفضل الذى يدعو إليه الأستاذ ؟

من جميع النماذج التى اختارها حتى الآن — والنموذج كما قلت أكثر دلالة من الشرح العام — أستطيع أن أسمى هذا اللون باللون « الحِـنـتّين » حسب تعبير أولاد البلد من القاهريين ! الذى تحس فيه « بالحِـنـيِّـة » أو بالهمس والوداعة الأليفة حسب تعبيره هو !

وهذا الأدب الحِنـتّين قد يكون فيه الصادق السليم ، وقد يكون فيه الكاذب المريض . ولكنه على كل حال لون واحد من ألوان الأدب ، يعبر عن مزاج واحد من الأمزجة ، فى حالة شعورية واحدة من حالات الشعور

فاذا نحن جعلنا همنا أن نهمس فقط ، وأن نكون وديعين أليفين فقط ، وأن تكون الحنية هى طابعنا فقط ؛ فأين نذهب بالأنماط التى لا تعد من حالات الشعور وحالات النفوس وحالات الأمزجة ، فى هذه الحياة الحافلة بشتى الأنماط ؟

يسمى الأستاذ شعر المتنبي شعراً خطابياً ، ويعنى أن المتنبى لا يهمس ولا يأتى إلينا تعبيره فى دعة وفى حنيّة أو فى همس كما يقول مثلا ميخائيل نعيمة

أخى إن عاد بعد الحرب جندى لأوطانه
وألقى جسمه المنهوك فى أحضان خلانه
... إلى الآخر

وإن الأستاذ مندور ليقف معجباً أمام صورة هـذا الجندى المنهوك الذى يلقى بجسمه فى أحضان خلانه ، وهى صورة وديعة منهوكة قد تكون جميلة فى مكانها ؛ ولكن أى خطأ ينتظرنا حين نطالب المتنبى العارم الطبع ، الصائل الرجولة ، بأن يحدثنا فى وداعة كوداعة ميخائيل نعيمة ؟

أنا لا أحاول (مؤقتاً) المفاضلة بين الطبيعتين ، ولكنى أحاول فقط أن أقول : إن الصدق هو الذى يجب أن ننظر إليه حين نقف أمام عمل الشاعر أو الفنان بوجه عام . وإن المتنبى لصادق أجمل الصدق ، وهو يجلجل ويصلصل في شعوره وفى أدائه ، لأنه هو هكذا من الداخل . وتلك صورة لنفسه ولمزاجه ، وإنها لنفس صادقة ، وإنه لمزاج أصيل

يجب أن نوسع آفاقنا - ولا سيما حين نقف موقف النقاد — فلا نحكم مزاجنا الخاص ، الذى قد لا يكون أصدق الأمزجة ، بل الذى قد يكون ثمرة « عقدة نفسية » أو حادثة عارضة من حوادث حياتنا الشخصية

وإنه ليستلفت نظرى أن جميع النماذج التي استعرضها الأستاذ مندور هي من اللون الذى يشيع فيه الأسى المتهالك المنهوك . فهل أفهم أن هذه عناصر محببة إليه وحدها ، وأن الشاعر لا يكون شاعراً حتى تشيع هذه العناصر في شعره ؟

أعرض هنا تعبيراً أفلت منه ، وله دلالة خاصة على هذا المزاج . ففي قصيدة « لنسيب عريضة » ساق الحديث هكذا :

يانفس مالك والأنين ؟ تتألمين وتؤلمين ؟

عذبت قلبي بالحنين وكتمته . ماتقصدين؟

«وها نحن منذ المقطوعة الأولى في جو الشعر «فالنفس تئن» !

إذن كانت النغمة التى استرعت سمعه وجعلته يحس بأنه دخل في جو الشعر هى أن « النفس تئن » . ولهذا دلالته ، وهى الدلالة التى تنطق بها جميع مختاراته حتى الآن . وهو « مزاج » خاص له أن يتذوق ما يحبه من الألوان ، ولكن ليس له أن يتولى مهمة النقد والتوجيه كما قدمت

وأريد أن أسأل : ألا ندخل فى جو الشعر إلا إذا سمعنا هذا الأنين ؟ و « الهمس » بالسرور والفرح والانطلاق ؟ ألا يكون شعراً على هذا الأساس ؟

إن الأستاذ مندور لم يقل هذا بالضبط ، ولكن النماذج التى جاء بها جميعاً تكاد تنطق فذلك إذن توجيه مؤذ ، يكاد الدافع إليه يكون دافعاً « مَرَضياً » وهو ما يدعو إلى الحذر الشديد !

***

ولا أحب أن أقف من الشعر المهموس والنثر المهموس موقف العداء المطلق كما وقف الأستاذ مندور من جميع ألوان الشعر الأخرى . وكذلك لا أريد (مؤقتاً) أن أفاضل بين هذا اللون وبين الألوان الأخرى .

ولكن هذا لا يمنعنى أن أقول إنه كان موفقاً فى اختيار بعض النماذج ، وغير موفق فى اختيار بعضها . فقصيدة « يا أخى » لميخائيل نعيمة وقصيدة « ترنيمة سرير » لنسيب عريضة يعدان نموذجاً طيباً لهذا اللون الذى يحبه . وأقول نموذجاً طيباً لهذا اللون بذلك القيد . ولكن ما عداها من مختاراته كان نماذج رديئة للشعر عامة ولهذا اللون من الشعر كذلك ، لا فى الأداء وحده ، ولكن فى حقيقة الشعور

والفرق بعيد والمسافة طويلة بين هذين النموذجين وبين سواهما . ولكن الذى يجمع بينها هو مجرد « الحنية » ومجرد الأسى المنهوك . ويهمنى أن أبرز هذا المعنى إبرازاً خاصاً ؛ فهو دليل عندى على هذه « الحالة الخاصة » التى أكاد أعزو إليها ولعه بهذا اللون ، فهذه الحالة هى التى تجعله يستجيد كل ما ينطوى على هذه العناصر جيدة ورديئة على السواء . وهذا ما يدعونى للشك العميق فى أن « مزاج » الأستاذ الخاص هو الذى يملى عليه آراءه لا ذوقه الفنى

إن المسألة ليست مسألة ضيق فى أفق الذوق الفنى فقط ، ولكنها « حالة مزاجية » خاصة تتحكم فى هذا الأفق الضيق بطبيعته . وأخشى أن تكون حادثة ما أو عدة حوادث كامنة فى ماضى الأستاذ مندور تتحكم فى نفسه دون شعور . وهذا ما يدعو إلى الحذر الشديد فى تقبل هذه الآراء !

وقصة « النثر المهموس » ؟ إنها كقصة «الشعر المهموس» . وأريد أن أقول للأستاذ مندور إن الفقرات الأخيرة من قطعة « يا أمى » لأمين مشرق هى فقرات طيبة فى إحساسها وفى أدائها ، ولكن الفقرات الأولى « تقليدية » من أدب « القوالب » المحفوظة . وكناقد كان يستطيع أن يفرق بين هذا وذاك ؛ ولكنه كصاحب مزاج خاص لم يستطع التفرقة . ففيها جميعاً تشيع روح « الأسى المنهوك » وهذا يكفى !

***

وإذ انتهيت إلى هذا الحد أحب أن أعرض على الأستاذ مندور وعلى القراء ألواناً من الشعور البسيط الأليف الذى لا تفقده بساطته وألفته قوته وسلامته وصحته . وهو من عمل أدباء مصريين من أولئك المتخلفين قروناً فى نظره

وهذا النموذج الأول لأديب شاب من رثاء لأمه : (وقد اخترتها لمناسبة قطعة أمين مشرق) :

« من نحن اليوم يا أماه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ؟ ما عنواننا الذى نحمله فى الحياة ونعرف به ؟

« إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان . بل أصبحوا يقولون : هذا فلان . وهذا أخوه . وهاتان أختاه !

« اليوم فقط مات أبى ؛ واليوم فقط أصبحنا شتيتاً منثوراً . وإنى لأضم اليوم إلى صدرى ابنكما وابنتيكما . أضمهم بشدة لأستوثق من الوحدة ، وأشعرهم بالرعاية . ولكن هيهات هيهات . فأنا وهم بعدك أيتام يا أماه !

« لقد شعرت اليوم فقط بثقل العبء . وعلمت أننى لم أكن أنهض به وحدى ، وأننى كنت أرعاهم وأرعاكِ معهم ، لأننى قوىٌّ بك . أما اليوم فالعبء فادح ، والحمل ثقيل ، وأنا وحدى ضعيف هزيل !

« إن الشوط لطويل . وإنى لوحدى فى الطريق ، وأخى وحده كذلك ، وأختاى وحدهما أيضاً ، وإن كنا نقطعه جميعا !

والعش الذى خلّفته ستظل فراخه زغباً مهما امتد بها الزمن ، لأن يدك الرفيقة لا تمسح ريشها وتباركه ، وكفك الناعمة لا تدرب أجنحتها على التحليق ، وروحك الحنون لا تكلؤها فى أجواز الفضاء !

نحن اليوم غرباء يا أماه .

لقد كنا — وأنت معنا — نستشعر فى القاهرة معنى الغربة فى بعض اللحظات ، وكنا نشبه أنفسنا بالشجرة التى نقلت من تربتها ، والتى ينبغى لها أن تكثر من فروعها لتتقى الاندثار فى غربتها !

أما نحن اليوم فغرباء فى الحياة كلها . نحن الأفرع القليلة ذوى غصنها ، بعد اغترابها من تربتها . وهيهات أن تثبت أغصان فى التربة الغريبة ... بلا أم !

« أماه ...

من ذا الذى يقص على أقاصيص طفولتى كأنها حادث الأمس القريب ، ويصور لى أيامى الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى فى الوجود ؟

لقد كنت تصورينني لنفسى كأنها نسيج فريد منذ ما كنت فى المهد صبياً ! وكنت تحدثيننى عن آمالك التى شهد مولدها مولدى ، فينسرب فى خاطرى أننى عظيم ، وأننى مطالب بتكاليف هذه العظمة التى هى من نسيج خيالك ووحى جنانك ! فمن ذا يوسوس إلى بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة ؟ ومن ذا يوحى إلى بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة ؟

لمن أصعد درج الحياة بعدك يا أماه ؟ ومن الذى يفرح بى ويفرح لى وأنا أصعد الدرج ، ويمتلئ زهواً وإعجاباً وأنا فى طريقى إلى القمة ؟

قد يفرح لى الكثيرون . وقد يحبنى الكثيرون . ولكن فرحك أنت فريد ، لأنه فرح الزارع الماهر يرى ثمرة غرسه وجهده ... وحبك أنت عجيب ، لأنه حب مزدوج : حبك لى ، وحب نفسك فى نفسى ... !

أماه ...

عندى لك أنباء كثيرة . كثيرة جداً ومتزاحمة . تواكبت جميعها فى خاطرى على قصر المهد بغيبتك . وإنه ليخيّل إلى فى لحظات ذاهلة : أننى أترقب عودتك لأسمعك هذه الأنباء ، وأحدثك بما جد فى غيبتك من أحداث ؛ وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها ... وهى مدخرة لك فى نفسى يا أماه . ولن تدب فيها إلا حين أقصها على سمعك ... ولكن هيهات فسيدركها الفناء ، وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتى إليها مرة أخرى ...

أماه . أماه . أماه ... »

***

وموعدنا العدد التالى لتقديم نماذج أخرى من الشعر المصرى « المتخلف قرونا »

سيد قطب

في التصوير الإسلامي

ليلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ٢ —

جاء قيس محققاً ما تمنّاه والداه ، لا يعرف قلبه سوى أخلص الحب ... يعشق الجميل ويحب الجمال ... فكان وهو في مهده يتطلع إلى الفتيات الجميلات المليحات ، ويرنو إليهن في شغف ونهم ، كأن في منظرهن ما يجلب السرور إلى قلبه ، أو ما هو غذاء لنفسه الصغيرة ، يصيح في طلبهن إذا ابتعدن عنه ، ويبكي في توجع وتوسل ليقترب منهن إذا لم يستطع رؤيتهن . ثم صار يجالسهن ويحادثهن ويستنشدهن الشعر ، حتى حفظ منه الكثير ، فاكتسب حديثه طلاوة ولباقة ، وأسلوبه أناقة وطرافة ، وأخذ على صغر سنه يقرض شعر الغزل وينشده ، ويغازل به الفتيات ويشبّب بهن ، وكأنه جاء من عالم آخر لا يعرفه بنو عامر ، ولا عهد لهم به ، فالحب والغزل في رأيهم « إنما يكون في اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة رؤوسها » .

ولما كبر الصبي وفات سن الطفولة ، أرسله أبوه إلى المدرسة مع أقرانه الصغار من الفتيات والفتيان . وبين الفتيات كانت فتاة تسمى (ليلى) ، كان أبوها شيخاً لبطن أخرى من بطون بني عامر ، ووقعت ليلى موقعاً حسناً من قلب قيس فمال إليها وأحبها وقال في وصفها[1] :

بيضاء خالصةُ البياض كأنها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ

موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ ... إنَّ الجمالَ مَظِنةٌ للحُسّدِ

وترى مدامعَها ترقرقُ مقلةً ... سوداءَ ترغب عن سواد الإثمِدِ

خودٌ إذا كثُرَ الكلام تعوذت ... بحِمى الحياء وإن تكلّم تقصدِ

ووقع لقيس في قلب ليلى مثل ما وقع لها في قلبه ، فكانا يجتمعان كل يوم في المدرسة ليدرس كل منهما ما يتجلى في نظرات صاحبه وقسماته من الحب والهيام . وحاولا أن يخفيا حبهما عن أصحابهما ... ولكن عبثاً ... فإن الحب يشبه الطيب أو المسك إذا وجد في بيت لا يمكن إخفاء رائحته . ففي ذات يوم أرادت ليلى أن تعلم ما لها في قلب قيس ، فأعرضت عنه ، وأقبلت بحديثها على غيره ، فلما رأى ذلك جزع جزعاً شديداً حتى خافت عليه فقالت له[1] :

كلانا مظهر للناس بغضاً ... وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا ... وفي القلبين ثَمَّ هوى دفين

فلما سمع قولها سرى عنه وعلم ما له في قلبها ، وانصرف عنها وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرّهم عيناً ، وقال :

أظن هواها تاركي بمضلة ... من الأرض لا مالٌ لدي ولا أهلُ

ولا أحدٌ أفضي إليه وصيتي ... ولا صاحب إلا المطيّة والرحل

محا حبها حب الأُلى كن قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل



(شكل ١)

ولما سمع جلساؤهما ذلك فطنوا إلى أمرها ، وشاعت قصة

---

(١) الأغاني ص ٨٢ ، وتزيين الأسواق ص ٦١

(١) الديوان ص ٣ ، والأغاني ص ٤٦ ، وتزيين الأسواق ص ٥٤

غرامهما بين الناس حتى بلغت مسامع والد ليلى ، فأبعدها عن المدرسة وحجبها عن قيس ، ومنعه من رؤيتها والتحدث إليها ، وتوعده بالشر إذا اقترب منها ، فقال قيس فى ذلك[١] :

ألا حجبت ليلى وآلى أميرُها ... علىَّ يميناً جاهداً لا أزورُها

وأوعدنى فيها رجالٌ أبوهمُ ... أبى وأبوها خُشِّنتْ لى صدورها

على غير جُرم غير أنى أحبُّها ... وأن فؤادى رهنها وأسيرها

وفى (شكل ١) منظر داخلى للمدرسة يبين قبة يجلس تحتها المعلم بلحيته البيضاء الطويلة ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وفى يده عصا لتأديب « أشقياء » التلاميذ ، وأمامه تلميذ يتلو عليه ما حفظه من الدروس . ونرى قيساً جالساً إلى اليمين فى معزل عن زملائه ، يسند رأسه على ذراعه غارقاً فى تأملاته كأنه يفكر فى حبيبته ليلى التى تجلس إلى اليسار بجانب صديقة لها تواسيها وتعطف عليها . ويقرأ أو يكتب بعض التلاميذ الآخرين فى كتبهم ويتجادل آخرون . وإلى اليسار يتقاذف « شقيان » بأدواتهما الدرسية ، غير عابثين باحتمال إصابة « زير الماء » الموضوع فى الركن الأيسر على كرسى حامل له ، وما قد تجلبه هذه الإصابة على جسديهما من آثار عصا المعلم . ولم ينس المصور أن يخفف من حدة « عصا » المعلم ببيت شعر كتبه على مدخل القبة يناشده فيه ألا يعلم الفتاة الشقراء ذات الوجه الجميل سوى كل شىء حسن هى جديرة به . وهذه الصورة[٢] فى مخطوط من المنظومات الخمس للشاعر نظامى الكنجوى كتبه الخطاط سلطان محمد نور ، ومؤرخ سنة ٩٣١ هجرية (١٥٢٥ م) ، وقد اختلف مؤرخو الفن الإسلامى فى نسبة الصور التوضيحية التى به[٣] ، ولكننا نرجح ما يقوله الأستاذ كينل[٤] فى نسبتها إلى المصور شيخ زاده تلميذ المصور الكبير بهزاد الذى هاجر معه إلى مدينة تبريز . وهذا المخطوط محفوظ فى متحف المتروبوليتان للفنون الجميلة بنيويورك

(١) الديوان ص ٤ ، والأغانى ص ٦٨

(٢) منقولة عن : Dimand, Pl I

(٣) أنظر : زكى محمد حسن ، التصوير فى الاسلام ص ٦٠

(٤) فى : S. P. A, III, p. 1872, 1873, n. 2.

— ٣ —

بعد أن حجبت ليلى فى منزل أبيها ، حزن قيس وضاقت الدنيا فى عينيه ، ولما لم يجد فى المدرسة ما يرفه عن نفسه الحزينة ويسرى عنه ، هجرها وهام على وجهه يبحث عن حبيبته فى منزل والديها . ولما أعياه ذلك عمد إلى الحيلة فتزيا بزى درويش عجوز أعمى قد أناخ عليه الدهر بكلاكله ، وسار يتلمس طريقه بعكاز فى يده حتى وصل إلى بيت ليلى ، فألقى بنفسه على عتبته متصنعاً الإعياء . وخرج أهل الدار لمساعدة هذا الدرويش البائس الذى أنهكه السير الطويل وشقة الطريق ، وكانت بينهم ليلى فعرفته وأمسكت يده وشدت عليها لتعلمه أنها ما زالت على عهده بها ، ولكى تجدد ما قطعته على نفسها من ميثاق الإخلاص له فى الحب . ولاحظ والدها ذلك وتعرف على قيس ، فنهر ابنته وطرد قيساً ، فزاد ذلك من شدة حزنه ويأسه . وعاتبه أصحابه ورموه بالجنون لما رأوه فى مسلكه من شذوذ ، فقال لهم[١] :

وإنى لمجنونٌ بليلى مُوكَّلُ ... ولستُ عَزوفاً عن هواها ولا جَلْدا

إذا ذُكِرَتْ ليلى بكيتُ صبابة ... لتذكارها حتى يبل البكا الخدّا

وسماه أصحابه « المجنون » وصار يعرف بين قومه بهذا الإسم . واشتد به الحزن واليأس فاعترض على قضاء الله بقوله[٢] :

خليلى لا والله لا أملك الذى ... قضى الله فى ليلى ولا ماقضى ليا

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها ... فهلا بشىء غير ليلى ابتلانيا

فسلب عقله ، وهجر أهله وذويه ، وانفرد فى جنبات الحىّ عارياً ، لا يلبس ثوباً إلا خرّقه ، يخطط بأصبعه فى التراب ، ويجمع العظام حوله ، ولا يجيب أحداً سأله عن شىء إلا إذا ذكروا له ليلى ، فيرجع إليه عقله ويخاطبونه فيجيبهم جواباً صحيحاً . ولما يئس من لقاء ليلى بارح الحىّ ولجأ إلى البرية وهو يقول[٣] :

(١) الأغانى ص ٣٧

(٢) الديوان ص ٦٨ ، الأغانى ص ٥٤ ، تزيين الأسواق ص ٥٨

(٣) الديوان ص ٣٤

فمن أجلها ضاقت عليّ برحبها بلادي إذا لم أرض ممن أجاوره
ومن أجلها أحببت من لا يحبني وباغضت من قد كنت حيناً أعاشره

وكان المجنون وليلي وهما صبيان يذهبان إلى جبل قريب يقال له « التوباد » فذهب إلى هنالك وجلس على ربوة منه فأتته ذكريات الصبا فقال[1] :

هــذه الربوة كانت ملعبا لشبابينا وكانت مرتعـا
كم بنينا من حصاها أربعا وانثنينا فمحونا الأربعـا
وخططنا في نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزل ليــلى بعيني طفلة لم تزد عن أمس إلا أصبعا

(شوقي)

وخرج الملوح بن مزاحم ومعه بعض أولاده وذويه يبحث عن ابنه قيس ، فوجده هائماً على وجهه في جبل التوباد ، وكان في حالة يرثى لها ، عارياً ، نحيل الجسم ، طويل الأظافر ، يخط بأصبعه في الرمل وهو تائه الفكر ، وقد طال شعر جسده وتوحش وألفته الظباء والوحوش فكانت تجالسه وتلازمه ، فلما اقترب ذووه منه لم يعرفهم ونفر منهم ، فناداه أبوه : قيس ، أنا أبوك الملوح وهذا أخوك ، فطب نفساً وابشر فقد وعدني أبو ليلى أن يزوجكها . فأقبل إليهم وأنس بهم ، فقال له أبوه : ياقيس ، أما تتقي الله وتراقبه ؟ كم تطيع هواك وتعصيني ، فقد كنت أرجى ولدي ، أفضلك عليهم وأوثرك ، فأخلفت ظني ولم تحقق أملي ، فليت شعري ما هي أراها ممن يوصف بالجمال والحسن ، وقد بلغني أنها فوهاء قصيرة جاحظة العينين شهلة سمجة ، فصدّ عن ذكرها ولك في قومك من هو خير لك منها . فلما سمع ثلبه فيها أنشأ يقول[2] :

يقول لي الواشون ليلى قصيرة فليت ذراعاً عرض ليلى وطولها
وأن بعينيها لعمرك شهلة - فقلت كرام الطير شهل عيونها
وجاحظة فوهاء لا بأس أنها منى كبدي بل كل نفسي وسولها
فدق صلاب الصخر رأسك سرمدا فإني إلى حين الممات خليلها

فاضطر أبوه أن يعده بالسعي لدى والد ليلى كي يزوجه إياها ، واستطاعوا بذلك أن يأخذوه معهم ويردوه إلى الحيّ وأهل بيته .

(١) مجنون ليلى لشوقي ص ١١٤
(٢) الديوان ص ٢٠٦

ولما رأته أمه بكت لحالته البائسة التعسة ، وحاولت جهدها أن تروّح عن نفسه ، فألبسته ملابس جميلة ، وأصلحت من شكله وهندامه ، وجملت تواسيه وتشمله بعطفها ورعايتها عساها تجلب إلى قلبه العزاء والسلوة .



(شكل ٢)

وفي (شكل ٢) ينام المجنون إلى جانب مجرى ماء ، ويسهر على حراسته الوحوش من كل جانب ، فيربض الأسد والفهد إلى اليمين ، والثعلب والظباء والوعول إلى اليسار . وجاء ذووه وضربوا خيامهم بالقرب منه ، وقد خرج الرجال وانتشروا في المكان ، بينما نرى والده بلحيته البيضاء قادماً نحوه . وقد أجاد المصور تصوير الحياة المنزلية لنساء البدو في بيوتهن ، فرسم إحداهن وهي تحلب بقرة ، وأخرى تغزل على مغزل أحضرته معها وهي تستعين في عملها بيديها وقدميها ، واثنتين جالستين في مدخل إحدى الخيام وقد احتدم بينهما الجدل . وهذه الصورة[2] من تصوير المصور الإيراني قاسم على أحد تلامذة المصور الشهير بهزاد ، وهي في مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامي الكنجوي كتب في سنة ٩٠٠ هجرية (١٤٩٤م) باسم أحد أمراء السلطان حسين ميرزا . وهذا المخطوط محفوظ في المتحف البريطاني .

(يتبع)

محمد مصطفى
مساعد فني دار الآثار العربية

(١) منقولة عن : Sakisian, Pl. LII, fig. 91 أنظر أيضاً : S. P. A, III, p. 1866

أغرودة الليل

« إلى وردتي الشقراء ! »

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان
JEAN RICHEPIN
بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى

أواه ألحانى ، غردى ، غردى ! واسكبى الخمر عذباً ، صداح الأغانى ، إلى من تَغنى بها الحبُّ فى روض جنانى ، وسكبَت نشيد الهوى فى كأس وجدانى !

***

هام النور على جيد ليلاى ، ناشراً حلو الضياء ، وغنى سناه على جبين دنياى ، شادياً لحن الصفاء ، وداعب السحاب غصن مناى ، بأنامل النور والبهاء ، لما ارتقينا معراج السماء ، صوب المشرق الوضاء ، فانتشت بسلافه أقاويق الطرب ، ومراشف السرور ، واحتست شعاع النور بأقداح البسمات !

***

الدجى وسنان ، والليل سكران ، والكون نعسان ، والوسن هيمان ، وشمسى الذهبية أشرقت فى رقة وحنان ، وبدت غدائرها العسجدية تهفو بنفح العبير وشذى الربيع النشوان . فدانيتها عن كثب مازجاً أشواقى بأزهار جمالها ، ناهلاً النور من نجوى محياها ، راشفاً الضياء من سحر سناها ، الهاتك حجب الدجى وجحافل الظلام .

***

ويصوغ خاطرى نجوم الكواكب الساطعة من درر ذلك النهر الباهرة ، قلادة ماسية متألقة ، ذات فتنة ووضاء ، وظلال ساحرة زرقاء ، ودرة يتيمة رائعة تزهر بسناها فوق أديم جيد الحبيب ، الندى الرطيب .

***

أواه ألحانى ، غردى ، غردى ! فروض ليلاى زاهر بأنواره كسنا التاج ، باهر بجلاله كأبهة الملك ، وحبيبتى بين أطيافه ملك تحف به سراته . . .

***

ليلاى ! أنا هائم بترتيل أبهى الأغانى ، والترنم بأعذب الألحان ! فحسبك أن تكونى يا حبيبتى وحى أشعارى ، ولحن قيثارى ، ومحراب إلهامى ، وناى أنغامى !

***

حنانيك حنانيك يا وردتى الشقراء ! كونى لجمالك راعية ، ولدلالك رانية ؛ وابسمى ، وهيمى بنغم القوافى الراقصة فى موكب حبنا ، ولحن الأغانى الشادية حول أجسادنا ! إسمعى أغاريد الصبوة الهائمة ، وأناشيد قيثارة الأشعار المترنمة ! إستمعى إليها . . . فقد هصرتها كلها من جنى الخيال ، وشهى الجمال !

***

أرهفى السمع لسحر الأغانى ، وشيق المعانى ، وحلو النغم وجرس الكلم . . . قد ملأت أقداحى بها من سلسبيل الفكر ، وعناقيد الغزل ؛ فارشفى منها رحيق القبل واقطفى منها جنى الثمر ! وأذنى لورد شفتيك بالتفتح ، ليفضى عبيره بسر حبك ، ويهفو أريجه عن مكنون سحرك ، فيسعد طالعى ، وينعم خاطرى . . .

***

وتنساب الأناشيد إثر وقع خطواتك الراقصة ، تناجى خيالك ، وتناغى جمالك فى حنان الأم لرضيعها . . . فتصدح الأشعار بغرامك ، منشدة أهازيج هيامك . . . ؛ أنى شاقتك الأغانى ، وطاب لك النغم . . .

***

ليلاى ! ثغرك النضيد حلو كالزهرة الباسمة ، ذات الفتنة والنقاء ، والسحر والصفاء . . . قد مزج بها منذ فضت عنك التمائم : ترنمت الأشعار بسنا جمالك وسجعت أغاريد الصيف البهى لصدى ضيائك وبهائك ، ولرجع جلالك ودلالك

***

ترنمت الأشعار بجمال صدر ڤينوس الكاعب لصدى روعة نديك الناهد ؛ سجمات قلبك الباسم ، وخطرات قدك النامي هي تآلف أنغام غصنك الغانى وفرعك الدانى باللحن السامى

***

ترنمت الأشعار بخمر لحظك الوسنان ، وسلاف سحرك الفتان ، فسكرت الروح الهائمة بوصلك ، وثملت النفس الولهى بقربك ، وانتشت بخمر آثر من عتيق الدام ... ترنمت الأشعار يا ليلاى بفتنة غدائرك الذهبية المترجرجة ؛ وروعة خصلات شعرك الأرجوانى المنساب على عنقك العاجي ... فهام القلب بالشَّ.ر المسجدى ، وقدّم العمر قرباناً على مذبح الحب القدسى ، فى معبد الهوى العذرى !

***

وأخيراً صدحتْ الخواطر شجى الأغانى ، وغرّدت الأشعار رقيق المعانى ، مشدوهة هالمة عند ما تغنّيْتُ مترنماً : « أنا المتيّم بهواكِ ، المعذّب بضناك ، الشادى بجمالك ، اللحن عذب ألحانك ! »

***

واهاً من الحب والهوى ! الأشعار ظمأى لسلاف أغانيه ، وألحان مغانيه ، وشدو أنغامه على قيثار قوافيه ! ولا تسخرى يا حبيبتى من حمق مجاليه ؛ إذا تآلف لحنها ولم يتباين سجعها

***

ليلاى ! اهجى أنى طاب لك الرقاد ! فالأشعار هى وثير فراشك ومثوى جسدك بين رياشك ، وحلم راقص على أهدابك الوطف الساجية ، بين أنغامه الحالمة ، وألحانه السامية . . .

***

أواه ألحانى ؛ غردى ، غردى ! واسكبى الأحلام صداحة الأغانى ! وانشدى الأنغام سكرى بخمر الوصال فى دنيا الخيال ؛ ليتغنى النسيم على مسارح الغابات ، ويهفو بعبير النفحات ! ويصفق الهزار بجناحيه غرداً ، معرباً عن شجوه ، ويرقص الموج طرباً ، مغنياً فى كرنفال غديره .

عبد العزيز العيونى

إلى زهرتى اليتيمة

[من دموع لم تذرف]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَئِنْ مَاتَ حَوْلَكِ نُورُ الضُّحَى ... وَرَانَتْ عَلَيْكِ سُتُورُ الظَّلَامْ

فَلَا تَجْزَعِي .. فَالْهَوَى فِي دَمِي ... صَبَاحٌ يُزَلْزِلُ هَذَا الْقَتَامْ

وَفَجْرٌ مَدَى الدَّهْرِ يَبْقَى لَكِ

تُشَعْشِعُ أَنْوَارُهُ حَوْلَكِ

وَتَسْقِي أَبَارِيقُهُ لَيْلَكِ ...

... سَنَا خَمْرَةٍ لَمْ يَذُقْهَا الْأَنَامْ !

***

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ سَاقِي النَّدَى ... وَفَحَّتْ لَدَيْكِ أَفَاعِي الْهَجِيرْ

فَلَا تَجْزَعِي ... إِنَّ رُوحِي بِهَا ... لِآهَاتِ رَوْضِكِ نَبْعٌ غَزِيرْ

يُفَجِّرُهُ عَاتِياً سِحْرُكِ

وَيُسْكِرُ أَمْوَاجَهُ عِطْرُكِ

فَتَجْرِي وَيَجْرِي بِهَا نُورُكِ ...

... إِلَى أَنْ نُلَاقِي الرِّكَابَ الْأَخِيرْ !

***

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ سَاجِي الظِّلَالْ ... وَنَاحَتْ بِأَرْضِكِ ثَكْلَى الرِّيَاحْ

فَلَا تَجْزَعِي ... فَأَنَا نَسْمَةٌ ... وَظِلٌّ عَلَيْكِ رَطِيبُ الْجَنَاحْ

وَطَيْرٌ نَمَا عُودُهُ فِي يَدَيْكِ

فَإِنْ أَوْمَأَ الْحُزْنُ يَوْماً إِلَيْكِ

عَصَفْتُ بِلَحْنِي وَعُشِّي وَأَيْكِي ..

... لِأَفْنَى وَأَشْرَبَ عَنْكِ الْجِرَاحْ

***

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ زَهْرُ الرُّبَى ... وَكُنْتِ الْيَتِيمَةَ فَوْقَ الْهِضَابْ

فَلَا تَذْرُفِي دَمْعَةً ... إِنَّنِي ... خُلِقْتُ لِأَحْمِلَ عَنْكِ الْعَذَابْ



الى الأستاذ دريني خشبة

قرأت فى مقالكم القيم عن « مجلاتنا الممتازة ونصيب المسرح والسينما والغناء منها » فعنت لى الملاحظات الآتية :

١ – التأليف – سواء فى المسرح أم فى السينما – لم يتحقق وجوده بعد . ومن يعرفون بالمؤلفين فى هذين الفنين يعيشون فى الواقع عالة على الترجمة والاقتباس ولا أقول أكثر من ذلك !

٢ – صلة المسرح بالأدب وثيقة بل ذاك فرع من هذا ولذلك أشارك الأستاذ رأيه فى وجوب عناية مجلاتنا الممتازة به والاهتمام بنقده وتقويمه ، وفضلاً عن ذلك فللمسرح رجاله من الممثلين الذين يستحقون التنويه والذكر

٣ – أما السينما فبحكم مواجهتها المباشرة للملايين من الشعب تنقطع بها الأنفاس دون أهداف الأدب السامية ، ففكاهتها تهريج ، وعلاجها للمشكلات الاجتماعية يقوم على التمحل والمبالغات السخيفة والأخيلة السقيمة ، وفيما عدا هذا من الغايات الأدبية فهى عاجزة عنه غاية العجز . ألا ترى يا سيدى الأستاذ أن السينما الأمريكية والأوربية نفسها ٩٠ ٪ منها غث تافه إذا قومته بحساب الأدب الفنى ، وأن الـ ١٠ ٪ الذى يتصدى لإخراج أعمال فنية عالية يعرض جسدها دون روحها ، أو بمعنى آخر يظهر الحادثة التى توافق « الحركة السينمائية » دون التحليل والوصف ، وهما لباب الفن الأدبى عامة ، والحديث منه خاصة ؟ . . . فالسينما فى الواقع إخراج وتمثيل ، وصلتها بالأدب الرفيع مقطوعة أو واهية

٤ – أرجو ألا ينسى الأستاذ أن مجلات لا حصر لها – وهى فى انتشارها تسبق المجلات الممتازة وأسفاه بمراحل – لا هم لها إلا تسويد صفحاتها بأخبار أبطال السينما والمسرح سواء من يستحق منهم الذكر أو غالبيتهم الكبرى الغارقة فى أمية اللغة وعامية العقل والذوق ، وهى أخبار لا تشرف مجلة لها من الاحترام والوقار ما لمجلاتنا الممتازة

٥ – وأما الغناء فمن نجومه فئة يسمو بها فنها إلى مرتبة الأساتذة الأجلاء الذين يغذون المجلات الممتازة بنفحات أرواحهم وعقولهم وعلى رأس هؤلاء أم كلثوم وعبد الوهاب والقصبجى وزكريا والسنباطى !

والسلام عليكم ورحمة الله . **حافظ القاهرى**

الى الأستاذ العلامة الشيخ محمود شلتوت

فى العالم كله تنتشر المصارف المالية لتقرض الناس لأجل معين بفائدة صريحة تقل وتكثر قيمتها بين ٦ – ٩ ٪ بحسب درجة عملاء البنك

والاقتراض من البنك يفيد المقترض فائدة مادية عظيمة إذا تيسر له القيام بمشروع له فى بنائه وتنفيذه وإدارة شؤونه خبرة وإلمام كبير ، وخصوصاً فى أيام الحرب التى بها أصبح منتوج الأرض ذا قيمة كبيرة

فهل ما يأخذه البنك من الفائدة هو الربا كما يفهمه الناس : آكله ملعون وموكله ملعون ، وملعون شاهده وكاتبه ، أم هذه الفائدة الخفيفة ليست أضعافاً مضاعفة ، ويحل التعامل على صورتها ؟ وإذا ثبتت حرمة الفائدة سواء أقلت أم كثرت فهل يستثنى

كِلانَا غَرِيبٌ يَتِيمُ الزَّمَانْ

فَهَيَّا نُجَدِّدُ زَهْرَ الْجِنَــانْ

وَنَقْطِفُ مِنْ قَبْلِ يَمْضِى الأَوَانْ . . .

. . . . وَتَقْطِفُنَا قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابْ

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ مَنْ فِى الثَّرَى   وَأَصْبَحْتِ مُفْرَدَةً فِى الْجِبَالْ

فَلَا تَنْدُبِى فَانِياً . . . إِنَّنِى   أَرَى فِيكِ خُلْداً يُذِيبُ الزَّوَالْ

فَفِيكِ الإِلٰهُ الَّذِى أَعْبُــدُ

وَفِيكِ الْخَيَالُ الَّذِى أَنْشُدُ

وَفِيكِ الْهَوَى وَالصِّبَا وَالْغَدُ . . .

. . . دَعِينِى أُسَبِّحْ بِهَـذَا الْجَمَالْ

محمود حسن اسماعيل

من ذلك أحد من الناس أو طائفة من الناس لسبب من الأسباب أو فى حالة من الحالات أو لغرض من الأغراض ؟ ومتى وكيف يباح ذلك ؟ وفى حالة التحريم القطعى هل يعد المال المقبوض من البنك من المال الحرام كأن يكون مسروقاً مثلاً ولا يحل الانتفاع به أم يصبح ملكاً حلالاً للمستدين مع تحريم المعاملة ؟

(قلقيلية — فلسطين) محمد عبد الفتاح محمود الحسن

إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

كيف يمكن التوفيق بين الآية الكريمة : « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى » وبين قول علماء الحياة : « الأحياء لا تنتج إلا من أحياء » ؟

(القدس) حافظ عبد النبى

« أرواح وأشباح » على المسرح

أقام الفرع المدرسى لمعهد فؤاد الأول للموسيقى العربية حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على طلابه المتخرجين ، وكان أظرف ما فى برنامجها الحافل فاصل تمثيلى غنائى عنوانه (ابن السماء) من كتاب (أرواح وأشباح) للأستاذ الشاعر على محمود طه ، وضع ألحانه وموسيقاه الفنان الدكتور محمد شرف الدين ، وتولى إخراجه الفنان عثمان أباظة ، ومثله طلاب المعهد ، فكان تأثيره على النظارة عجيباً دعا القائمين على شئون الفرقة المصرية أن يفكروا فى إخراج هذه الملحمة الجميلة على مسرح دار الأوبرا الملكية لتكون أروع إخراجاً وأبرع تمثيلاً وأكمل عدة ؛ وهى فكرة موفقة نرجو أن يصاحبها العزم حتى تصل إلى دور التنفيذ .

كلمة أخيرة أيضاً فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل عبد الحميد عنتر فى العدد (٥١٤) من مجلة « الرسالة » الغراء ، فوجدته يعتمد فى إبطال الاقتراح المقدم إلى المجمع اللغوى فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية على أنه يخالف الضابط الذى أجمع عليه العلماء منذ ١٣٦٢ عاماً هجرياً ، ويقوم على رأى جديد متطرف لا يعتد به لخروجه على ذلك الإجماع ، وما كنت أظن أن مثله يفوته أن صاحب الاقتراح يعرف أن رأيه يخالف ما أجمع عليه العلماء قبله ، ولكنه يؤمن مع هذا بما قاله الأُوَلُ : كم ترك الأول للآخر . وبما قاله الإمام على رضى الله عنه : لا تكن ممن يعرف الحق بالقائلين له ، إعرف الحق تعرف أهله

وقد كان إجماع العلماء القدماء على أن العناصر البسيطة أربعة ، فلم يمنع هذا مخالفة المتأخرين لهم ، وأن يثبتوا أن هذه العناصر الأربعة مركبة لا بسيطة ، وأن العناصر البسيطة لا تحصى ولا تعد . وبعد فإن ذلك الاقتراح ليس فيه إلا مخالفة ذلك الإجماع ، ولا شك أن هذا لا يجعله من الاستحالة فى شىء .

(...)

تراجم المعاصرين

أُثير هذا الرأى فى إحدى المجلات المصرية منذ زمن غير بعيد ؛ ولقد انشرح صدرى لتقبُّل المجلة التى أثير فيها أن تساهم فى هذه الغاية بنشر هذا اللون من الأدب المؤرخ . وأيقنتُ أن ذلك سيعود على تاريخ الأدب العربى بفوائد جمة إن يُشرع فى تحقيقه . ذلك لأن تدوين حياة الأديب الكبير ودراسة أدبه : أفكاره وأسلوبه ، فى حال حياته ، أسهل وأصدق مما لو عُمِدَ إلى ذلك بعد موته . فإن دراسته إذ ذاك تكون أوفى وأقرب إلى الحقيقة .

أقول هذا وبين يدىّ الآن العدد الأخير من مجلة « الصباح » الدمشقية (عدد ٢٩ آذار ١٩٤٣) أطالع فيه دراسة مستفيضة عن الشاعر احمد الصافى النجفى .

حرّر هذا العدد الخاص الأستاذ فؤاد الشائب فاستخلص شخصية الصافى من دواوينه التى أشهرها « الأمواج » و « أشعة ملونة » فتحدث عن حياة الصافى الحرّ البعيد عن الدنيا ، القريب منها ، وقدّم لبحثه بهذه الكلمات :

« قرأت فى حياته ، وقرأت فى ديوانه ، فلم أجد أحفل منها حياة ، ولا أصدق منه كتاباً ... نغمتان أختان ، وصورتان توأمان للنفس البشرية فى أعمق شعورها وأصدق حكمتها ...

فلا أدري أيهما كتاب الشاعر، وأيهما حياته ... »

تكلم الأستاذ الشائب عن خصائص الصافى الشعرية، وعن تحرره وعدم تقيده وإبداعه وعن روحه الشعرية، ودلل على أنه شاعر لا ناظم، ووصف شعره « بالبساطة الحلوة النافذة إلى غرضها بلا عنف أو جهد » وأوضح أنه اقترب أعظم الاقتراب من الإنسانية، وأنه وإن لم يَبْلُ الحب ويخبره، فقد بلا الألم وخَبِرَهُ أكبر الخبر، فجاء شعره وليد نفس ثائرة متألمة ملتاعة

نرجو أن نستمع إلى من يحدثنا عن العقاد، والزيات، وطه حسين، واحمد أمين ... وغيرهم من زعماء الأدب العربي ... أما الدكتور المبارك، فلا بأس من أن نستمع إلى من يحدثنا عنه، ولو أنه هو نفسه تحدث كثيراً عن نفسه، وكتب ما ينبغى أن يُكتب عن حياة أديب، بل وأكثر ...

(بيروت) سهيل ادريس

تصحيح أجزاء بحر الخفيف

كتب الأديب حسين البشبيشى تحت عنوان شعر منشور بالعدد ٥١٤ من قصيدة الأديب مصطفى محمد أن الشطرتين اللتين بين القوسين خطأ، وذلك لأن القصيدة من بحر الخفيف

وقد أصاب فى ذلك ولكنه أخطأ فى أجزاء البحر حيث قال إن أجزاءه (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) . والصواب (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن) بالوتد المفروق وهو ما كان ثلاثة أحرف وسطها ساكن . وكم من فرق بين مستفعلن بالوتد المجموع ومستفع لن بالوتد المفروق فقد قال العروضيون هناك فرق بينهما من جهة موقعهما في البحور، ومن جهة الخط، ومن جهة اللفظ، ومن جهة الحكم . أما من جهة الفرق فى موقعهما فى البحور أن مستفعلن أحد أجزاء البسيط ومخلعه والرجز والسريع والمقتضب . والثانى أحد أجزاء الخفيف والمجتث . والفرق بينهما فى الخط أن الأول وهو مستفعلن لا وقف فيه . والثانى يوقف على آخر وتده المفروق . والفرق بينهما فى اللفظ أنه يجب صناعة على قارئ الأول ألا يقف على الرابع ليعلم السامع أنه ذو الوتد المجموع بخلاف الثانى فيجب عليه أن يقف ليعلم السامع أنه ذو الوتد المفروق، وأما من جهة الحكم أن الأول يجوز طيه وهو حذف الرابع الساكن بخلاف الثانى فلا يجوز طيه . لهذا كله ولما لهذه الفروق من الأهمية كتبت هذا إعلاناً للحق . وإلى الأديب عاطر التحية وأزكى السلام

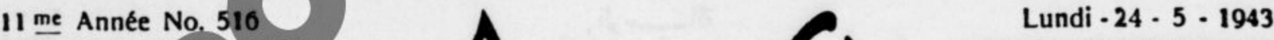
(معهد الاسكندرية) عبد الفضيل يوسف

جماعة نشر الثقافة

تواصل جماعة نشر الثقافة نشاطها الأدبى لتساهم بجهودها فى تقوية الحركة الفكرية بالأسكندرية، وستقيم مهرجاناً للربيع بمسرح نادى موظفى الحكومة عند الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٤ مايو ١٩٤٣؛ إذ يشترك الفن والأدب فى الاحتفاء بفصل الجمال والحياة .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





11me Année No. 516

Lundi - 24 - 5 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥١٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٤ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

أخطار الطعام الواحد

[رسالة مهداة إلى جار الشجرة الزهراء]

للدكتور زكي مبارك

أكاد أحكم بأن جمال الحياة من صُنع أيدينا ، وأن الله لم يجعل الإنسان خليفته في الأرض إلا بعد أن زوّده بالقدرة على تجميل الحياة بأغرب وألطف ألوان التجميل

ومَلَكات الإنسان تؤهله للغرور القائم على أساس ، فمن حقه أن يزعم أنه يَهَبُ الحياة للحياة ، وأن يقول في بعض حالات التمرد إنه خالق لا مخلوق

ولن نؤمن بالله حق الإيمان إلا يوم نعرف على وجه التحديد أو التقريب قيمة ما خصنا به من القدرة على تلوين الوجود بأشتات من الألوان

والواقع أن المزية الإلٰهية دانت الإنسان بديون تعجز عن حملها الجبال . ولا يعاب على الإنسان إلا غفلته عن استثمار ما في صدره وروحه وعقله من كنوز تفوق الذخائر المعروفة والمجهولة في جميع بقاع الأرض ... هو يملك ثروة معنوية في غاية من النفاسة ، ولكنه قد يجهلها بعض الجهل أو كل الجهل فلا يبذل في استكشافها أي مجهود ، ولا يؤذيه أن يعيش على الفِطرة كما يعيش سائر الحيوان

كل أمة من الخلائق تنقرض بالموت ، إلا الأمة الإنسانية ، فهي تترك شواهد خوالد على ما قدمت للحياة من أفانين العقل والذوق ، وهل كان من المصادفة أن تتفق الديانات على أن البعث بعد الموت مقصور على الأمة الإنسانية ؟

وأنا مع هذا أفترض أن البعث لن يكون عامًّا ، وسأحرص على هذا الافتراض لغاية أخلاقية توضحها السطور الآتية :

يوم البعث هو يوم الحساب ، ومعنى ذلك أنه خاص بمن كانت لهم إرادات ذاتية تدرك معاني الثواب والعقاب ، ومعناه أيضاً أن الذين مرّت حياتهم بلا إدراك قد يضافون إلى الخلائق المنسية ، إن صح هذا الافتراض

ولكن ما هذا التهيب في عرض هذه النظرية ؟

هل أخاف من أن يعترض معترض وبيده الأثر الذي يقول : أكثر أهل الجنة هم البُله والمجانين ؟

هذا أثر مصنوع ، اختلقه واضعه لغاية مدخولة يراد بها صد الناس عن الاحتكام إلى العقل في مختلف المعضلات ، وإلا فما قيمة الجنة إذا كان أكثر ساكنيها من قدماء البُله والمجانين ؟

مزية الإنسان هي قوة الشعور بالمسئولية ، وهذا الشعور قد يسوقه إلى البحث عما في صدره من المكنونات ، فإن فعل فقد يصل إلى منافع لا تخطر في البال

الحياة لا تقاس بالطول والعرض ، وإنما تقاس بالخصب المعنوي ، وهو أطيب الأرزاق ، فمن واجبنا أن نزوّد أنفسنا بالكثير النافع من الأزواد العقلية والذوقية عساها تجود بإبراز تلك المكنونات

النفس كنز تحرسه أقفال وأرصاد . وقد تعب الناس منذ أزمان في التعرف إلى كنوز النفوس ، بأساليب تختلف باختلاف الأقاليم والأفهام ، فأهل الهند يرون الصوم عن الطعام والشراب هو الوسيلة إلى كشف أسرار النفس ، وكان بعض فلاسفة اليونان يرون الطعام والشراب من وسائل الوصول إلى أسرار النفس ، وفريق من رجال الإسلام يرون النفس لا تتفتح إلا في أعقاب الصلوات عند هدأة الليل

ما ذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص بصراحة على أن الرقي الإنساني لم يبدأ إلا بعد التحرر من الطعام الواحد ، وذلك لم يقع إلا بعد أن عرف الإنسان كيف ينتقل من أرض إلى أرض . ودليل ذلك أن الأمم القليلة المعارف والقليلة الحيوية هي الأمم التي ألفت الاستقرار في وطنها الأول ، لأن الاستقرار يخمد شهوة التطلع ، بسبب الركود الذي يصحب توحّد المطعومات والمرئيات

والمعروف أن حواس الطفل أقوى من حواس الكهل ، فكيف يكون ذلك ؟

قد يقال إن الحواس تضعف مع الزمن ، وذلك أسهل التعاليل ، ولكني أرجح أن قوة الحواس عند الأطفال ترجع إلى أن كل شيء في نظرهم جديد ، فهم يتطلعون إلى كل أفق ، ويتشوفون إلى كل مجهول ، ولا كذلك حال الكهل الذي ألف ما حواليه من الأشياء ، فهو ينظر ويتأمل بفتور وبطء ، ثم ينتهي به الأمر إلى تبلد الإحساس

والمعروف أيضاً أن النبوّات لا تظهر إلا في البلاد التي يكثر فيها الاعتراك والاقتتال حول المبادئ والآراء ، فما كان يمكن لمكة أن تكون مهبط الرسالة الإسلامية لو أنها كانت قرية منعزلة لا تشتبك فيها المنافع ، ولا تصطرع فيها العقول . وهل ننسى كيف منّ الله على قريش برحلة الشتاء والصيف ؟

إن تلك الرحلات هيأت القرشيين لما صاروا إليه فيما بعد ؛ وفضلُ الإسلام على العرب لا يقتصر على تزويدهم بعقيدة التوحيد ، فهنالك فضلٌ عظيم ، وهو تمكين العرب من الاتصال بأكثر الأمم المعروفة لذلك العهد ، وهذا الاتصال خلق في العرب حيويات جديدة ، وأيقظ في نفوسهم كثيراً من القوى النافية ، وأمدهم بأزواد عقلية وذوقية لم يعرف مثلها العرب القدماء

والمدنية الإسلامية تمتاز بهذه الميزة ، فهي ليست وليدة العقل العربي الصرف ، وإنما هي مدنية دولية أخذت زاداً من كل أرض ، فقد كان المسلمون إنجليز زمانهم ، وكانت لهم مسالك إلى كل بلد عُرفت أرضه بالثمرات

هل تعرفون السر في أن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام كان يوصي بالزواج من غير القريبات ؟

تعليل ذلك سهل : فالتزاوج في البيئة المحصورة ينتهي بضعف النسل ، لأن كثرة الألفة تضعف الشهية ، ولأن الاكتفاء بالقريبات يضيع فرصة الموارد الجديدة من الطبائع والأذواق .

العاهات الموروثة تكثر في البيئات التي تتزاوج فيما بينها كثرة تنذر بالخطر البعيد . وقد تعرض اليهود لهذا الخطر في الأزمان الخوالي فكثرت فيهم العاهات الحسية والمعنوية ، ثم

أنقذتهم الحوادث فشردتهم فى الأرض ليجدوا أجواء تطب لمرض القرار والاطمئنان

وقد أكثر اليهود من المطالبة بالوطن القومى ، وهو عندهم فلسطين ، فإن عادوا إليها جيماً فستكون عودتهم المرموقة نذير انحلال ، ومن قال بغير ذلك فهو يجهل خطر الطعام الواحد على الجسوم والعقول

وقد صرخ اليهود لمهد موسى من الطعام الواحد ، كما قص علينا القرآن ، فأوصاهم موسى بهبوط مصر ، لأن مصر منوعة الفواكه والحبوب والبقول ، وهذا سر القوة التى جعلت المصريين بمأمن من طغيان الأمراض الفواتك على اختلاف الأجيال

قال العباس بن الأحنف وقد آذاه تقلب محبوبته فوز :

يا فوزُ لم أهجركمُ لملالةٍ ... منى ولا لمقال واشٍ حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

وقال شاعرٌ آخر :

ومُظهِرةٍ لخلق الله ودًّا ... وتلقى بالتحيـة والسلام
أتيت لقلبها أشكو إليـه ... فلم أخلُص إليه من الزحام
أيا من ليس يكفيها محبٌّ ... ولا ألفا محبٍّ كل عام
كأنك من بقية قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وبقليل من التأمل ندرك أن هذين الشاعرين فى غفلة عن تلوين العواطف والأحاسيس . وهل يتعلق العاشق بمعشوقته إن أمن عليها الشركاء كل الأمان ؟

التعقيد فى الميول والأهواء هو سبب الحيوية فى الميول والأهواء . ومزية الإنسان أنه منوّع المطاعم والمشارب ، فهو يأكل ما تأكل السباع والأنعام والحشرات ، وهو لذلك يواجه مكاره الحياة بالقوة المستمدة من تلوين الطعام والشراب . إن مزية الإنسان أنه حيوان عارم لا تصده حدود ولا سدود ، وأنه يجد طعامه ولو سكن فوق رءوس الجبال

هل سمعتم خبر الوزير الإنجليزى الذى اختبر معدته بالأكلة الهندية ، الأكلة المركبة من توابل حِرّيفة لا يقدر على ابتلاعها غير الهنود ؟

كان يقال إن العائلة الإنجليزية إذا استقرت مئة سنة فى الهند تنقرض ، لأن جو الهند يخالف جوّ الجزر البريطانية ، ثم ظهر أن هـذا القول بموزه الدليل ، فقد تأصلت فى بلاد الهند عائلات بريطانية ولم تنقرض

والوثائق تحت يدى ، فالإنجليزى المقيم فى الهند تصل إليه أزواد من كل أرض ، فهو هندى الوطن، ولكنه دولىّ الطعام والشراب ، وبذلك تأخذ أمعاؤه وقودها المنوع من هنا وهناك

والإنجليزى المقيم فى الهند لا يكتفى بقراءة ما تخرج مطابع الهند . وإنما تنتقل إليه المطبوعات الأوربية والأمريكية بأيسر عناء ، فيرى وجوه الآراء الغربية قبل أن يرى وجوه الآراء الشرقية ، ويعيش بملء روحه وعقله عيشاً لا يعرفه جيرانه من الهنود

قلّت أملاك الآساد فى الأرض ، لأنها آكلة لحوم ، وقلت أملاك الغزلان فى الأرض ، لأنها آكلة أعشاب

هل تعرفون الظباء فى حياتها اليومية ؟

إنهـا تتمرن على الجرى فى كل وقت ، لتحسن الفرار من هجوم الآساد ، وكان ذلك لأن فطرة الظباء فطرة غبية ، فهى لا تحب غير حياة التوحش والتوحد ، وهذه الحياة فرضت عليها الذل ، كما فرضته على الآساد . أليس من بلاء الأسد أنه لا يستطيع العيش بأرض خالية من الحيوان ، ولو أخرجت أطيب الثمرات ؟

واكتفاء أكثر أنواع الحيوان بالطعام الواحد قضى بأن تعيش فى ظل الوهم الأول ، فهي جيماً تخاف من النور حين يسطع بالليل . ولو دخل إنسان غابة وحشية وبيده مصباح لأزعج ما فيها من الكواسر والجوارح ، لأن تلك الخلائق ترى أن النور قوة سماوية لا أرضية ، وأنه لذلك أمضى سلاح

وقد تحرر الكلب من الطعام الواحد بعض التحرر لا كل التحرر ، ولهذا ظل على أشياء من المخاوف الحيوانية ، فهو يتزعج من الليل أشد الانزعاج ، وهو لا يكف عن النباح إن قضى الليل فى العراء

والطعام الواحـد يؤذى الأرواح ، كما يؤذى الأبدان ، والعقل يُعطب بالطعام الواحد كما يُعطب الجسم . فمن الواجب أن نزود عقولنا فى كل يوم بأزواد مختلفات . ورياضة العقل على تقبل الآراء لا تقل عنفاً عن رياضة الجسم على تناول الطعام الحِرّيف

لاحظت أن البهائم تميز بين الطيب والخبيث من الأعشاب بدون تعليم ، وهل سمعنا أن بهيمة أكلت عشباً ساماً فماتت ؟

ولكن هذه الغريزة الهادية من أسباب الانحطاط فى طوائف من الحيوان ، فبها تنعدم فرص التجاريب ، والتجربة خصيصة إنسانية وهى أعظم تمرين لتقوية عضلات العقل ، وللعقل عضلات !

ولاحظت أن المواليد الحيوانية تعرف طريقها إلى الحياة منذ ساعة الميلاد ، فهى تأكل وتشرب وتمشى وتلعب من أول يوم

فكيف ضاع هذا الحظ على المواليد الإنسانية ؟

وكيف جاز أن يحتاج المولود الآدمى إلى شهور طوال قبل أن يعرف كيفية الوقوف ؟

قالت إحدى الجرائد الإنجليزية فى وصف الملك فيصل الثانى « هو طفل فى غاية من الذكاء ولكن لا تظهر عليه علامات النُّضج المبكِّر »

فما معنى العبارة الأخيرة ؟ هل ترونها ترمى إلى التهوين من شأن ذلك الطفل ؟

لا ، إنها غاية فى المدح ، لأن النضج المبكر ليس علامة حسنة فى حيوات الأطفال

الإنسان الجيد كالشجرة الجيدة ، يحتاج فى تكوينه إلى متاعب ، وقد حدثتكم مرة أن الشجر الجيد هو الذى ينمو فى بطء وتمهل . وأحدثكم اليوم أن السوس لا يعض غير الخشب المأخوذ من شجر سريع النماء

أقول هذا لأقرر حقيقة طُفتُ حولها عدداً من السنين ، ولم أستطع التعبير عنها بوضوح وبيان

تلك الحقيقة هى أن العقل لا يخاف عليه من اصطراع الآراء إلا إذا فاتته فرص التدريب على الاصطراع ، وهذه الفرص تفوت العقل إذا اكتفى بالطعام الواحد فى المعقولات ، كما يتعرض الجسم للخطر إذا اكتفى باللون الواحد فى المطعومات

ألم تلاحظوا أن خواطر الشك والريب والإلحاد لا تساور غير المبتدئين ؟

إذا رأيت شخصاً يجادل فى آيات الله فاعرف أنه طفل ، لأن هذا النوع من الجدال مألوف عند الأطفال

وإذا رأيت شخصاً يناقش فى أمور فرغ منها الباحثون فاعرف أنه طفل ، والطفولة فى العقول قد تطول فى حياة بعض الناس !

***

أما بعد فما الذى أوحى هذه الأفكار بهذا الأسلوب ؟

أوحاها ضيفٌ رحل إلى غير مَعاد ، وما أصعب فراق الضيف المحبوب إلى غير مَعاد !

موضوع المقال هو الصفحات الآتية ، أما الصفحات الماضية فقد أنشأتها على سبيل التمهيد ، على قلة ما أصنع فى تحرير المقال على دفعات

وسأترك الصفحات الآتية على ما كانت عليه فى الوضع الأول ، لأنى أخشى أن يصيبها التزييف بالتعديل

وفى ترجمة خبرك ، أيها المفارق إلى غير مَعاد ، أسوق الحديث :

فى جُنح الليلة الماضية مات العصفور . وفى صبيحة اليوم دفناه فى حديقة البيت بجوار شجرة زهراء ، ضنًّا على جسمه اللطيف بأن يكون طعمة لفرد من الحيوان أو لطائفة من النمل ، إن ألقيناه به فى الصحراء . . . فما تاريخ ذلك العصفور الصريع ؟

كان هدية من صديق راقه ما كتبت فى خصائص الطير والحيوان ، يوم كنت أنشر بمجلة الرسالة قصة آدم وحواء ، هدية لطيفة من صديق عُرف أهله بلطافة الأذواق

دخل العصفور المنزل بعد الغروب ، وهو يغفو بعد الغروب ، ولكنه استيقظ حين بهره نور الكهرباء ، فتلفّت حواليه تلفُّت المتأمل ، عساه يتعرف إلى مأواه الجديد

وانتظر الأطفال تغريده فى الصباح ، وكانوا سمعوا أنه يستقبل الصباح بالتغريد ، ولكنه آثر الصمت ، كما يصمت كل غريب !

وبعد يومين بدأ يرسل تغاريده بقوة أغنت الأطفال عن صلصلة « المُنبِّه » وحببت إليهم انتظار تباشير الصباح

كانت حياة هذا العصفور فى طعامه عجباً من العَجب ، كان طعامه حبّات تُشبه حبات البرسيم ، ومع هذا كان يقزقزها قزقزة غريبة فيفصل القشور عن اللباب فى لمحات وهو يتناول الغداء ، وكانت هذه المهارة من طرائف ما ترى العيون . . .

كان مُقامه فى مدخل البيت ، وهو مكان يواجه هواء الشمال ، ويشمر من يقيم فيه بقسوة الشتاء ، فاقترحت أن يقيم

ساعتين من كل صُبحية بشرفة الغرفة الشرقية ، وهى مأواى فى الشتاء

فرح العصفور بالشمس فغرّد وغرّد ، والتفتُّ فرأيت جماعة من العصافير تحيط بالقفص لتستمتع بالحفلة الموسيقية ، الحفلة التى تُقدم كل صباح بالمجان !

عند ذلك أشرت بأن يبقى العصفور فى تلك الشرفة ساعات من كل يوم ، إكراماً لهذه العصافير المرهفة الأحاسيس !

ثم وقع ما لم يكن فى الحسبان ، فقد سُمع صراخ العصفور ، سُمِع من الدور الأول وهو يصرخ بشُرفة فى الدور الثانى ، مع أن التليفون لا يسمع فى الدور الأول إلا بتوصيلة كهربائية تمنح التليفون لقب الهتّاف

أسرعت الروح التى تهيمن على البيت لتعرف سبب الصراخ فرأت صقراً بسط جناحيه على قفص العصفور ، وأخذ ينقره من جانب إلى جانب ، والعصفور يعلو ويهبط فى ذهول ، فلطمت الصقر بيدها لطمة قهرته على الفرار ، ثم أنزلت العصفور إلى مكانه بالدور الأول ، بعد أن ترك الصقر برأسه جرحاً صار فى صورة « الشوشة » التى تزدان بها رءوس بعض الشبان

بدا لى بعد ذلك أن أقيم العصفور فى الشرفة لحظات من كل صباح وأنا أتهيأ للخروج ، لعل الصقر يدنو فأصطاده ، وأنا مولع باصطياد الصقور والنسور ، ولكن الصقر كان أمكر منى فقد كان يقف من بعد ، ثم ينصرف حين يعرف ما أريد

قلت لأبنائى : إن الصقر لن ييأس ، وهو يتحرق شوقاً إلى لحم العصفور المغرد ، وفى هذه المنارة لوح من الزجاج حطمه رصاص المدافع أيام الغارات الجوية ، فانتظروا نزول الصقر من هذا المكان لتصطادوه ، إن اجترأ على النزول

***

ثم كانت العجيبة الآتية :

جاء عيد الفصح ، ومضى أبنائى إلى سنتريس ، ليشهدوا مطلع الربيع فى الحديقة التى تنتظر قدومهم فى كل صباح ، الحديقة التى أعدّ أشجارها من أبنائى

ونظرت فرأيتنى فى البيت وحدى ، ورأيت العصفور فى إملاق ، فلم يكن أمامه غير حبات لا تدفع غوائل الجوع ، وهو أضعف من أن يحتمل الجوع

مضيت إلى دار ابنى الأكبر أستشيره فيما أصنع ، وكان العصفور غرّد بعد الغروب ، وهو لا يغرّد بعد الغروب إلا فى توسل الملهوف

وخرجنا فطوفنا بشوارع مصر الجديدة وبعض شوارع العباسية فلم نجد طعام العصفور فى أى مكان

وبعد متاعب وجدنا نوعاً من السمسم يصلح لاقتيات العصافير ، فيما قيل

أقبل العصفور على السمسم يلتهمه بلا احتراس ، ليأمن غائلة الجوع ، ألم أكن أقدم إليه أغصاناً يابسة فينقرها بشهية لأنها تذكره بعهد أجداده فى حضانة الغابات ؟

ولكن نشاط العصفور أخذ يضعف من يوم إلى يوم ، وانتهى الأمر بموته فى جنح الليلة الماضية ، فما العِبرة من ذلك الموت ، ولكل موتٍ عبرة ؟

أماته الاكتفاء بالطعام الواحد ، والطعام الواحد يميت الجسوم والعقول

الآن عرفت كيف كان يغرّد بأسلوبٍ رتيبٍ لا يعرف تلوين الألحان

الآن عرفت كيف تقترب طرائق الصوت عند أكثر صنوف الحيوان ، فما كان ذلك إلا لأن كل أمة حيوانية لها طعام واحد ، ولو بَعُد ما بينها بعد الشمال من الجنوب

الآن عرفت كيف امتاز الإنسان باختلاف الألوان فى الملامح والطبائع والأصوات ، وكيف يختلف رجل عن رجل وأمة عن أمة في طرائق التعبير عن المعانى

تلوين الطعام يلون الأهداف والأغراض والآراء والأهواء

وذلك كنز وصلت مفاتيحه إلى بعض الشعوب فهى تُلقى بأبنائها فى مجاهل الشرق والغرب ، لترتاض أمعاؤهم على الحياة ، ولو فوق متون البراكين

كم تمنيت أن أعيش أياماً فى سفح فيزوف ، وكان يستهوينى حين تمر عليه الباخرة بالليل . . . ولكن لا بأس ، فقد أمتعتنى الحياة بصنوف من المضجرات والمزعجات والأحابيل .

هل يمر يوم بلا متاعب على من يعتشق القلم فى كل يوم ؟

زكى مبارك

العقيـــدة الدينية
وطريق ثبوتها
للأستاذ محمود شلتوت

التكاليف علمية وعملية — العقائد — طريق ثبوتها — النظريات الخلافية الاجتهاد فيما لا قاطع فيه يمنع التأثيم — أثر التعصب المذهبي — تطبيق

قال العلماء : إن للانسان قوتين ؛ إحداهما نظرية ، وكمالها في معرفة الحقائق على ما هي عليه ؛ والأخرى عملية ، وكمالها في القيام بما ينبغي من الشئون في الحياة . وقد قرر الإسلام هذا المبدأ أساساً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة فجاءت تكاليفه نوعين : منها ما يطلب علماً ، ومنها ما يطلب عملاً . ونرى ذلك واضحاً جلياً في هذه الكثرة من الآيات القرآنية التي تجمع بين الإيمان والعمل وتربط بهما النجاة والسعادة : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ، « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً » . « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ... الخ

وقد اصطلح العلماء على تسمية التكاليف التي تطلب علماً « بالعقائد » أو « أصول الدين » كما اصطلحوا على تسمية التكاليف التي تطلب عملاً « بالشريعة » أو « الفروع »

ولما كانت الحقائق التي يمكن أن يعلمها الإنسان كثيرة ، وكان أكثرها لا يتصل من قريب بالسعادة التي يقصدها الشارع قضت الحكمة أن يبين للناس ما يجب عليهم أن يؤمنوا به في سبيل الحصول على تلك السعادة . وذلك عند التحقيق يرجع إلى الأصول التي اشتركت فيها الأديان السماوية جميعها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ... الخ

حدد الشارع هذه الأمور ، وطلب من الناس الإيمان بها .
والإيمان هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل . ومن الواضح أن هذا الاعتقاد لا يحصله كل ما يسمى دليلاً ، وإنما يحصله الدليل القطعي الذي لا تعتريه شبهة

وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته ، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب

أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين[1] ولا تحصل الإيمان المطلوب ، ولا تثبت بها وحدها عقيدة . قالوا : وذلك لأنها مجال واسع لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات . والذين ذهبوا إلى أن الدليل النقلي يفيد اليقين ويثبت العقيدة شرطوا فيه أن يكون قطعياً في وروده ، قطعياً في دلالته . ومعنى كونه قطعياً في وروده ألا يكون هناك أي شبهة في ثبوته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك إنما يكون في المتواتر فقط . ومعنى كونه قطعياً في دلالته أن يكون نصاً محكما في معناه ، وذلك إنما يكون فيما لا يحتمل التأويل .
فإذا كان الدليل النقلي بهذه المثابة أفاد اليقين وصلح لأن تثبت به العقيدة . وأمثلة ذلك فيما ورد إلينا آيات القرآن التي تحدثت عن التوحيد والرسالة واليوم الآخر وما إلى ذلك من أصول الدين ؛ فقد جاءت — كما هي قطعية في ورودها — قطعية في دلالتها ، لا تحتمل أكثر من معناها : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » . « قل بلى وربي لتبعثن » . « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » . « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » . « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين »

هذا هو شأن العقائد وطريق ثبوتها . ولا بد أن يعم العلم بها جميع الناس ولا يختص بطائفة دون أخرى ، لأنها أساس الدين وبها يكون المرء مؤمناً فكيف يتصور في مؤمن أن يجهلها ؟ ومن مقتضيات هذا العلم العام بها ألا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها أو نفيها

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن العلميات التي لم ترد بطريق قطعي ، أو وردت عن طريق قطعي ولكن لابسها احتمال في الدلالة فاختلف فيها العلماء ، ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين ، والتي تعتبر حداً فاصلاً بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون ! .

---

(١) أنظر محصل الرازي ومقاصد السعد وغيرهما من كتب الكلام والأصول

وإنك لتجد كثيراً من هذا النوع فى كتب التوحيد إلى جانب العقائد التى كلفنا الله أن نؤمن بها ، فهى تذكر إلى جانب وجود الله ووحدانيته والرسل واليوم الآخر مسائل : رؤية الله بالأبصار ، وزيادة الصفات على الذات ، ومرتكب الكبيرة ، وما يكون آخر الزمان من ظهور المهدى والدجال والدابة والدخان ونزول عيسى وما إلى ذلك مما يذكر فى مثل « خريدة الدردير » و « جوهرة اللقانى » وغيرها

والتاريخ العلمى يدل على أن هذه مسائل جر إليها البحث فى العقائد حين تعددت الفرق وكثرت الآراء والمذاهب الكلامية ، فكانت محل اجتهاد بين العلماء كل يرى رأيه فيها ، ويدلى بحجته على ما يرى ملتمساً الوصول إلى ما يلائم فى نظره العقيدة المتفق عليها

وأمثلة ذلك كثيرة ، منها أن المسلمين جميعاً قد اتفقوا على أن الله تعالى منزه عن كل نقص ، متصف بكل كمال . فهذه عقيدة قاطعة يعلمها كل مؤمن ولا يختلف فيها عالم مع عالم ، ولكن البحث جر إلى مسائل تتصل بها : هل يجب على الله أن يفعل الأصلح لعباده ؟ هل العبد خالق لأفعال نفسه الاختيارية ؟ هل المعاصى التى يفعلها العباد مرادة لله ؟ فاختلف العلماء فى هذه المسائل : رأى المعتزلة أن ترك الأصلح ، وتعذيب العبد على شىء لم يفعله ، وإرادة القبيح ، نقص لا يليق بجلال الله وكماله ، فذهبوا إلى وجوب الأصلح على الله ، وإلى أن العبد خالق لأفعال نفسه ، وإلى أنه تعالى لا يريد المعاصى . ورأى غيرهم أن إيجاب شىء على الله ، وعجزه عن خلق ما يفعله العبد ، وحصول ما لا يريد فى ملكه ، نقص لا يليق بجلال الله وكماله فذهبوا إلى أن الله لا يجب عليه فعل الأصلح ، وإلى أنه خالق أفعال العباد ، وإلى أنه يريد المعاصى . فأنت ترى أن هؤلاء جميعاً لم يختلفوا فى الأصل الذى كلفنا الله الإيمان به وهو تنزيه الله تعالى عن النقص ووصفه بالكمال ، ولكنهم اختلفوا فى أشياء : هل هى نقص فلا يتصف الله بها ، أو ليست بنقص فيتصف بها ، وقد ذكرت كتب التوحيد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه ، وأوردت الأدلة النقلية التى استدل بها كلٌّ على ما يرى .

على هذا النحو جرى الخلاف بين الفرق الإسلامية فى المسائل التى جر إليها البحث فى العقائد ، وهو خلاف كخلاف الفقهاء فى أحكام الفروع التى لم يرد فيها نص قاطع محكم . خلاف لا يصح أن يُرمَى أحد فيه بأنه حاد عن الصراط المستقيم ، أو ضل ، أو فسق ، أو أنكر مسألة من مسائل الدين ... الخ[1] ولكن عصور التعصب المذهبى المنيف حلت للمسلمين تراثاً بغيضاً من التراشق بالتهم ، والترامى بالفسوق والضلال ، فتبادل الفقهاء أصحاب الفروع نوعاً من التهم ، وتبادل المتكلمون أصحاب العقائد مثل ذلك ، وتلقف المخدوعون من الخلف هذه التهم وملأوا بها كتبهم ، وأسرفوا فى الاعتداد بها حتى جعلوها مقياس ما يقبل من الآراء أو يرفض

من هذا كله يتضح :

١ — أنه لا بد فى العقيدة من أن يكون دليلها قطعياً فى وروده وفى دلالته

٢ — وأن ما لم يكن دليله قطعياً ، فاختلف فيه العلماء ، لا يصح أن يعد من العقائد ، ولا أن يكون رأىُ طائفة معينة فيه هو الحق دون سواه

٣ — وأن كتب التوحيد لم تقتصر على ذكر العقائد التى كلفنا الشارع بها ، وإنما ذكرت بجانبها بعض النظريات العلمية التى تعارضت فيها ظواهر النصوص فكانت محل اجتهاد بين العلماء

ونتيجة هذا كله : أن القول بأن كذا عقيدة يجب الإيمان بها لأن ظاهر الآية أو المروى من الحديث يدل عليه ، أو لأنه رأى أهل السنة والجماعة مثلاً ، أو لأنه مذكور فى كتب التوحيد . كل ذلك قول من لا يفهم معنى « العقيدة » ولا يعرف أساسها الذى تبنى عليه .

* * *

لا شك أن هذه المبادىء التى ذكرنا تنير سبيل البحث لمن يريد معرفة الحق فيما هو من العقائد وما ليس منها ، وهى مبادىء مسلمة عند العلماء يعرف كل مطلع على كتبهم ومناقشاتهم أنه لا نزاع فيها . وعلى ضوء هذه المبادى نستقبل قول الذين زعموا « أن رفع عيسى ونزوله آخر الزمان ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع » ولنا فى ذلك نظرات ثلاث : نظرة فيما

(١) أنظر « الملل والنحل » لابن حزم ، و « القواعد الكبرى » لعز ابن عبد السلام ، وغيرهما من كتب الأصول والكلام

ذكروا من آيات ، ونظرة فيما ساقوا من أحاديث ، والنظرة الثالثة فيما ادعوا فى هذا المقام من إجماع

فأما الآيات التى تذكر فى هذا الشأن فنحن نرجعها إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : آيات تذكر وفاة عيسى ورفعه ، وتدل بظاهرها على أن الوفاة قد وقعت ، وهذه الآيات هى :

١ — قوله تعالى فى سورة آل عمران « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ »

٢ — قوله تعالى فى سورة النساء : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم » إلى قوله : « وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه »

٣ — قوله تعالى فى سورة المائدة « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم »

وقد تناولنا هذه الآيات فى الفتوى ودرسناها دراسة علمية واضحة ، وعرضنا إلى آراء المفسرين فيها ، وبينا أنه ليس فيها دليل قاطع على أن عيسى رفع بجسمه إلى السماء ، بل هى — على الرغم مما يراه بعض المفسرين — ظاهرة بمجموعها فى أن عيسى قد توفى لأجله ، وأن الله رفع مكانته حين عصمه منهم ، وصانه وطهره من مكرهم . ولسنا فى حاجة إلى أن نعيد شيئاً مما ذكرناه[1]

النوع الثانى : آيات ما كان ليخطر بالبال أن لها صلة بموضوع البحث ، فلذا لم نفكر فيها ، وحسبنا الآن أن نمثل لهذا النوع بما قال أحدهم :

« ولك أن تضم إلى ما ذكرناه قوله تعالى عنه عليه السلام « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » . فى قوله « ومن المقربين » إشارة إلى رفعه إلى محل الملائكة المقربين »

والشيخ يريد السماء طبعاً ، وهو لىّ للكتاب غريب ، فقد وردت كلمة « المقربين » فى غير موضع من القرآن الكريم : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » . « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » . « عيناً يشرب بها المقربون » وإذن فليس عيسى وحده هو الذى يعيش بجسمه فى السماء ، بل معه أفواج من عباد الله يعيشون فيها ويزداد عددهم يوماً بعد يوم . وهكذا فليكن المنطق !

ثم يقول : « بل فى قوله تعالى « وجيهاً فى الدنيا والآخرة » إشارة إلى ذلك ، لأن الوجيه بمعنى ذى الجاه ، ولا أدل على كونه ذا جاه فى الدنيا من رفعه إلى السماء »

وهذا كلام لا يقال ، فإن وجاهة عيسى فى الدنيا هى الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل : أنى قد جئتكم بآية من ربكم » فكيف تذكر بجانب هذه الوجاهة قصة الرفع إلى السماء التى يزعمون هذه الآية على إفادتها أو الإشارة إليها ؟ وكيف يكون وجيهاً فى الدنيا من غادر الأرض وترك أهلها الذين يحسون وجاهته ؟ . وهكذا ينتزع القوم من كل عبارة إشارة أو تلميحاً ليؤيدوا ما زعموا أنه عقيدة يكفر منكرها ؟

النوع الثالث : آيتان قد اختلفت آراء المفسرين فى بيان المراد منهما ، وجاء فى بعض ما قيل أنهما تدلان على نزول عيسى وهما :

١ — قوله تعالى فى سورة النساء : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته »

٢ — وقوله تعالى فى سورة الزخرف : « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها »

ولا نحب أن نطيل اليوم على القراء بالبحث فى هاتين الآيتين وبيان درجتهما فى الدلالة على ما زعموا ، فليكن ذلك فى حديثنا المقبل إن شاء الله :

محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

---

(١) غير أنهم تمسكوا بقوله تعالى : « بل رفعه الله إليه » بعد قوله « وما قتلوه يقيناً » فقالوا : إن الرفع بعد نفى القتل هو رفع الجسم حتما ، وإلا لما تحققت المنافاة بين ما قبل « بل » وما بعدها ، ونحن نقول لهم إن المنافاة متحققة ، لأن الغرض من الرفع رفع المكانة والدرجة بالحيلولة بينهم وبين الايقاع به كما كانوا يريدون . والمعنى : إن الله عصمه منهم فلم يمكنهم من قتله بل أحبط مكرهم وأنقذه وتوفاه لأجله فرفع بذلك مكانته . وقد قلنا فى الفتوى : إن الآية بهذا تتفق تماما مع ظاهر قوله تعالى « إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا » وهذا احتمال قوى فى الآية يمنع الزعم بأنها نص أو ظاهر فى رفعه بجسمه حيا . ويقول الامام الرازى فى تفسيره « ومطهرك : مخرجك من بينهم ومفرق بينك وبينهم . وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل ذلك يدل على المبالغة فى إعلاء شأنه وتعظيم منزلته . ويقول فى معنى قوله تعالى « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا » : القول الثانى : المراد من هذه الفوقية الفوقية بالحجة والبرهان » ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه فى قوله « ورافعك إلى » هو رفع الدرجة والمنقبة لا بالمكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة » اهـ

أدباؤنا والمسرح

للأستاذ دريني خشبة

أخذنا على مجلاتنا الممتازة ، فى كلمة سابقة ، انقطاع الصلة بينها وبين الفنون المصرية الحديثة ، وأكبر مظاهرها المسرح والسينما والغناء والموسيقا ؛ ونريد فى هذه الكلمة بحث العلل التى تصرف كبار أدبائنا عن التأليف أو محاولة التأليف ، للمسرح المصرى

والملاحظ فى مصر اليوم تلك الحركة الطيبة فى كتابة القصة ، وإقبال القراء على القصة المصرية ذلك الإقبال الكبير المشجع الذى أوشك أن يكون منافساً خطراً لقراء القصة المترجمة . ولدينا ولله الحمد عدد لا بأس به من كتاب القصة المصرية الشائقة التى لا تقل رونقاً ولا بهاء عن القصة الأجنبية وإن لم تبلغ مرتبتها بعد فى الطول ولا فى التماسك ولا فى الصبر على معالجة الأدواء الاجتماعية ... ولا بأس من أن نسجل هنا أن جل كتابنا ، إن لم يكن كلهم ، أميل إلى كتابة الأقصوصة منهم إلى تأليف القصة ، وقد بلغ بعضهم فى ذلك حد الكمال ، وهو ما يفخر به الأدب المصرى الحديث

وقد يحار الإنسان فى انصراف أدبائنا هؤلاء عن التأليف المسرحى ، وإمداد المسرح المصرى بما يفتقر إليه من المسرحيات التى تساعده فى شق طريقه بين مسارح العالم الناجحة المحترمة . ولعلنا سائرون فى نهضتنا الأدبية الحديثة فى مثل الطريق التى سار فيها الأدب الإنجليزى خاصة والآداب الأوروبية على العموم ؛ فلقد لاحظ مؤرخو الأدب الإنجليزى أنه لم يتفق أن ازدهرت القصة إلى جانب ازدهار الدرامة فى عصر ما من عصور هذا الأدب ، فى عصر إليزابث مثلاً كانت الدرامة هى التى تحتل المقام الأول فى انجلترا ، بينما كانت القصة متخلفة نوعاً ما . أما فى العصر الفكتورى ، فقد حدث العكس ، إذ ازدهر أدب القصة ، وغاض أو كاد أن يغيض الأدب المسرحى ، حتى رد إليه برناردشو وسير جيمس باری ، وطائفة أخرى من الكتاب المسرحيين شبابه الذى ولى ، ويتنبأ بعض مؤرخى هذا الأدب أن نهضة التأليف المسرحى الحديثة التى بدأها شو ونفخ فيها بارى وجولز ورثى وموجهام و كوارد ، ومن إليهم دورة من هذه الدورات فى تاريخ الدرامة والقصة ، تلك الدورات التى تجرى إحداها فى إثر سابقتها حتى إذا حلت محلها لم تلبث أن تخلى لها الطريق ردحاً من الزمن لتعود إلى مسرح الحياة مرة أخرى ، وهكذا دواليك ... ويعللون ذلك بروح العصر أولاً ، وبما كان من تحريم التمثيل وإغلاق جميع المسارح الإنجليزية خلال الحروب الأهلية ثانياً ؛ لكنهم لم يعللوه قط بكسل الأدباء ، أو تكاسلهم ، أو ازدرائهم للمسرح كما يخيل للانسان أن يعلل كساد الإنتاج المسرحى عندنا ، وتراخى كبار الكتاب فى مصر فى مد المسرح بما هو جد محتاج إليه من الدرامات بأنواعها ...

وبعد ، فلنكن صرحاء فى تعليل عقمنا فى الإنتاج المسرحى ، هذا العقم الذى يضع أدبنا فى مؤخرة آداب العالم بالرغم من تقدم فن القصة المصرية الذى لا يسع المنصف إلا أن يعترف به

فأول أسباب ذلك العقم هو تأخر الترجمة فى مصر ، وضآلة النقل الفنى المسرحى ، إن لم نقل انعدامه ... ويحار الإنسان على من تقع جريرة تأخر الترجمة وضآلة النقل الفنى المسرحى ؟! أتقع جريرة ذلك على الأدباء المصريين ذوى الثقافة الأجنبية والبصر بمختلف آداب العالم ! أم تقع على كلية الآداب المصرية ؟ أم تقع على وزارة المعارف العمومية وإدارة الترجمة بها ؟ أم تقع على دور النشر ولجان الترجمة والتأليف ؟ أم تقع على أغنيائنا الذين يصمون آذانهم عن الحركات الأدبية فى مصر ؟ أم تقع على أمرائنا الذين لا يشملون بالرعاية (مساكين الأدباء) كما كان يصنع أمراء أوروبا فى عصر النهضة ؟

١ — على من تقع جريرة تأخر الترجمة فى مصر ؟ لا جرم أن شطراً كبيراً من تلك الجريرة يقع على عاتق الأدباء المصريين الذين لهم دراية كاملة بالتيارات الأدبية الحديثة فى العالم كله ... فأولئك الأدباء — وهم كثيرون جداً والحمد لله — يعلمون مما درسوا من آداب الأمم المختلفة أنه لا بد لكل نهضة

أدبية فى مدارج ارتقائها الأولى من لقاح أجنبي تستفيد به ، وينير لها السبيل إلى الـكمال ، ويوقيها الوقوع فى التجارب الفاشلة التى مرت بها الأمم الأخرى - وهم يعلمون كذلك أن الأمة التى لا مسرح لها لا أدب لهـا ، مهما كثر عندها كتاب المقالات ومؤرخو الأدب العربى وناظمو القصـائد والموشحات ، فالمسرح اليوم عند جميع الأمم ، وكما كان فى معظم العصور ، هو المظهر الأول من مظاهر النشاط الأولى عند أى شعب من الشعوب ، وقد أسلفنا القول فى كلمة سابقة أن نصف ، أو ثلاثة أرباع الآداب العالمية هو أدب مسرحى صرف .

فإذا كان الأمر كذلك ، فإلى متى يا ترى نظل بأدبنا الحديث فى مؤخرة آداب العالم ؟ . . . ليس معقولاً ولا مقبولاً أن يمارى أحد فى قيمة المسرح ومساسه بالتربية الشعبية ، ومجرد المماراة فى ذلك ضرب من الجنون أو النقص الذهنى لا يليق بأمة ناهضة طامحة إلى الـكمال ... فلماذا لا يترجم كبار كتابنا مع ما لهم من الإلمام باللغات الأجنبية ؟ ... إن الذى له دراية بأية لغة أوربية من اللغات الـكبيرة يستطيع أن يقرأ روائع الآداب العالمية منقولة إلى تلك اللغة نقلاً يشبه الأصل إن لم يفقه جمالاً وروعة ... فمتى يستطيع القارئ العربى الاطلاع على روائع آداب العالم منقولة إلى اللغة العربية ؟ متى يستطيع أدباء الأزهر ودار العلوم وطلاب الثقافة العامة من جمهور القراء الاتصال بالأذهان العالمية دون أن يتجشموا تعلم اللغات الأجنبية ؟ متى يستطيع المسرحيون فى مصر الاطلاع على تاريخ المسارح العالمية وروائعها وتراجم أبطالها ، ومعظمهم على ما نعرف من الأمية والعجز والفقر الأدبى والثقافى ؟ ... ثم ماذا يمنع كبار أدبائنا من الترجمة وأنا أعرف منهم أربعين أو خمسين على الأقل يستطيع الواحد منهم أن ينقل إلى العربية ثلاث مسرحيات كل عام على أن يشتغل كل يوم ساعة ، فإذا انتهى العام قدموا للقارئ العربى وللمسرح المصرى مائة أو مائة وخمسين من روائع درامات العالم . فماذا تـكون هذه الثروة الأدبية يا ترى ؟ وماذا يكون أثرها فى خلق النهضة المسرحية وتوجيهها فى مصر ؟ ... وأعود إلى التساؤل عمـا يمنع هؤلاء الأدباء الـكبار من الترجمة ؟ إنى أجلهم عن أن يكون ما يحول بينهم وبين ذلك هو الـكسل ، أو التعلل بالعوامل المثبطة التى سنتناولها فيما بعد !

٢ — أما نصيب كلية الآداب من جريرة تأخر الترجمة فى مصر فهو كبير بلا شك ، وإن كان فى رأيى فى المرتبة الثالثة أو الرابعة بعد نصيب الكبار من أدبائنا . فخريجو كلية الآداب ولا سيما خريجو أقسام اللغات الأجنبية . ما يزالون قلة فى مثقفى هذه الأمة ، ولست أريد أن أنتقص من أقدار هؤلاء الخريجين حين أقرر أن معظمهم ضعاف أشـد الضعف فى اللغة العربية ، وأن كثيرين منهم - إن لم يكن أكثرهم - ينصرفون عن القراءة وإدمان المطالعة والاتصال بما أخرجته المطابع الأوربية ، وما تزال تخرجه من روائع الأدب ، والأدب المسرحى بوجه خاص . على أن كثيرين من هؤلاء الخريجين يجيدون أكثر من لغة أجنبية ، كما يجيدون العربية إجادة تامة ، فماذا يمنع هؤلاء من النقل المسرحى إلى اللغة العربية ؟ إنهم أعرف من جمهور القراء بما نقوله هنا عن المسرح والأدب المسرحى ، فهل الذى يحول بينهم وبين هذا العمل هو نفسه ما يحول بين كبار الأدباء فى مصر وبين المسرح والدرامة المسرحية ؟ على أننا نعفى من ذلك هيئة خريجى قسم اللغة الإنجليزية التى تنفى عن نفسها تهمة الـكسل بما تقدمه لنا أحياناً من إذاعات تمثيلية جيدة وإن تكن مقتضبة ...

٣ — أما جريرة وزارة المعارف فى تأخر الترجمة فهى بلا شك أعظم شأناً من جريرة كبار الأدباء ومن جريرة كلية الآداب ؛ ومن المؤلم جداً أن يكون ذلك كذلك ، وفى وزارة المعارف إدارة للترجمة يرأسها مدير مجد صبور على العمل ، ويشرف عليها رجل ارتبطت به نهضتنا الأدبية الحديثة إلى حد بعيد ، وكان من حسن حظ هذه النهضة أن يتزعمها من نحو عشرين عاماً ... ذلك هو عميد الأدب العربى ، ومؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » ومستشار وزارة المعارف الفنى . وقد يخيل لى أن الـكلام هنا لا بد أن يكون شائكاً لأنه يتناول الإدارة التى أعمل فيها منذ

عهد قريب ، ولذلك أعتذر مقدماً عن صراحتى التى جرّت علىّ كل مصائبى فى هذه الحياة ، لأنى إن لم أكن صريحاً فى الكلام عن هذه الإدارة فماذا أكون ؟ إن إلواء الكلام لم يكن قط من سجاياى ، وإن كان ـ قبحه الله ـ من أحسن فضائل العصر الحديث ! وقبل أن أخوض فى نقد المنوال الذى تسير عليه إدارتنا المحترمة أنقل للقراء ما يأتى من كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى ألفه الدكتور طه حسين بك . قال حضرته فى الفصل الثالث والخمسين (ج٢ ـ ص٤٩٦ ومابعدها) :

« وفى حياتنا العقلية تقصير معيب يصيبنا منه كثير من الخزى كما يصيبنا كثير من الجهل وما يستتبعه الجهل من الشر . ولا بد من إصلاحه إن كنا نريد أن ننصح لأنفسنا ونعيش عيشة الأمم الراقية . وإن كنا نريد أن ننصح للعلم نفسه ونشارك فى ترقيته وتنميته . وإن كنا نريد أن ننصح للشعب فنخرجه من الجهل إلى المعرفة ، ومن الخمود والجمود إلى النشاط والإنتاج . ومظهر هذا التقصير المخزى إهمالنا الشنيع للترجمة والنقل عن اللغات الأوروبية الحية ... إلى أن يقول ... ونحن من غير شك أقل الأمم حظاً من الترجمة ، وأقلها علماً لا أقول بدقائق الحياة العقلية الأوربية بل أقول بأيسر مظاهرها . . . وينشأ عن هذا أننا لا نترجم ؛ وكيف نترجم إذا كنا لا نقرأ ؟ وكيف نقرأ إذا كنا لم نثقف هذه الثقافة التى تجعل القراءة جزءاً مقوماً لحياتنا اليومية ؟ وينشأ عن هذا خطر عظيم جداً وهو أن القارئين الكاتبين منا على قلتهم يجهلون الحضارة الحديثة جهلاً تاماً ، لأن كثرة هؤلاء القارئين الكاتبين يجهلون اللغات الأجنبية جهلا تاماً ، ولأننا لا نترجم لها إلى اللغة العربية ما لا تستطيع أن تقرأه فى اللغات الأجنبية ... ثم يقول ... وقد قلنا غير مرة فى غير هذا الحديث أن من غير المعقول أن تكلف كثرة القارئين الكاتبين فى أمة من الأمم إتقان اللغات الأجنبية ؛ فلا بد من أن تنتقل لها خلاصة هذه اللغات إلى لغتها العربية . ذلك حق لها على الدولة ، وهو حق لها على المثقفين القادرين على الترجمة ... إلى أن يقول : فلنترجم إذن ولنكثر من الترجمة ، ولنبذل فى ذلك أقصى ما نملك من الجهد وأكثر ما نستطيع من المال . وعلى الدولة المسكينة يقع هذا العبء كما يقع عنها كثير من الأعباء وقتاً طويلاً ، لأن ظروف الحياة المصرية تقتضى ذلك وتفرضه فرضاً . وإذا كانت وزارة المعارف تمنح الإعانات لكثير من الجماعات والهيئات التى يُشك فى نفعها ، فلا أقل من أن تنشئ مكتباً للترجمة على أن يكون عمله منوعاً بعض الشىء ، فينهض بنقل الآثار الأدبية والعلمية والفلسفية الخالدة التى أصبحت تراثاً للانسانية كلها والتى لا يجوز للغة حية أن تخلو منها . يترجم هذه الآثار لإغناء اللغة نفسها ومنحها ما تحتاج إليه من المرونة ، ولإرضاء الكرامة القومية ... ثم يقول ... وواضح جداً أن هذا المكتب لن يستطيع وحده أن ينهض بهذه الأعباء الثقال ، فلا بد من تشجيع المترجمين وإغرائهم بالمال ... الخ »

وليس يخامرنى شك فى أن الدكتور طه هو أقدر الناس فى التعليق على هذا الكلام الحماسى عن الترجمة ومكتب الترجمة الآن ، فقد عبر ، عند ما كان يؤلف كتابه ، عن أمانى مصر والمصريين وعن حاجة النهضة المصرية إلى هذه الثقافة التى تعتمد — أول ما تعتمد على شىء — على الترجمة ، وعبّر عن حاجة اللغة إلى ما يغنيها حين ينقل إليها من اللغات الأجنبية ويكسبها المرونة اللازمة لها ... ثم هو قد رسم المنهاج لمكتب الترجمة الذى هو ضرورة الضرورات لمد النهضة واللغة وجماهير المثقفين والقارئين الكاتبين بروائع الآداب العالمية وإن لم يستطع وحده أن يضطلع بهذا العمل ... وها هى الأيام قد دارت ووقع اختيار الدولة على الأستاذ الدكتور ليكون مستشارها الفنى فى تطبيق برنامجه الحافل الذى رسمه فى كتابه الجليل ... والدولة — والله المحمود — سخية أعظم السخاء على جميع المشروعات الحيوية هذه الأيام ، وقد بلغت ميزانيتها من الضخامة هذا العام مبلغاً لم تعرفه من قبل ، فماذا صنع الدكتور لمكتب الترجمة ؟ هل نال هذا المكتب بعض ما تناله قنطرة أو مصرف أو تطهير ترعة أو مدرسة إلزامية ولا أقول ابتدائية أو ثانوية ؟ وهل أصبح هذا المكتب — الذى هو ضرورة الضرورات لنهضتنا الثقافية — من الأشياء التى لا نفكر فيها إلا ذلك التفكير الخفى ؟ وبهذه

بحث لغوى أُنُف

للأســتاذ عبد القادر المغربى

كنت ألقيت فى ردهة المجمع العلمى العربى بدمشق محاضرة فى غريب اللغة قصصت فى آخرها خبر الأميرة العمانية (ابنة الجلندى)، وكانت تحمق، أى تنسب إلى الحمق. وقد ذكروا من حمقها أنها أرادت يوماً أن تلهو، فألبست سلحفاة لها حلىَّ زينتها، ونزلتها تسرح فى حديقة قصرها. وكانت الحديقة على شاطىء البحر، فانسابت السلحفاة إلى الشاطىء وغاصت فى الماء بما عليها من الحلى. فأمرت الأميرة جواريها أن يغترفن ماء البحر بأكفهن، ويصببنه على رمل الساحل. وكانت تقول لهن منشطة (نزافِ نزافِ، لم يبق غير قُدافِ) أى لم يبق غير غرفة؛ فعيروها بحمقها، وضربوا به المثل. فتخيلت أنها دافعت عن نفسها بقولها: إن الحروب البشرية التى يقع فيها التغريق والتدمير، لم ينسبوا أهلها إلى الحمق، فكيف يحمقوننى أنا؟ ثم قلت على لسانها (أنا غرَّقتُ وهم غرَّقوا، وشتان بين ما حمَّقت وحمَّقوا، أفيكون من العدل أن أحمَّق ولا يحمقوا؟) فاستعملت فعل (حمَّق) من باب (التفعيل)، وعلى أثر ذلك كتب الأستاذ صلاح الدين المنجد فى مجلة الرسالة الزاهرة (العدد ٤٤١ من السنة التاسعة) مقالاً أثنى فيه على المحاضرة، ولكنه انتقد استعمالى لفعل (التحميق مكان (الحمق) وسأل عما إذا كان يصح هذا الاستعمال، فأحببت أن أجيبه على نقده بالكلمة التالية:

حقاً إن فعل الحمق لا يجىء فى كلام العرب إلا ثلاثياً، ونقل بعضهم مجيئة من باب الإفعال، لكنهم اتفقوا على أنه لغة رديئة بل أنكرها الأصمعى بالمرة. هكذا قال أصحاب اللسان والصحاح ومختار الصحاح والمصباح، فإنهم جميعهم ذكروا (الحمق والإحماق) ولم يذكرا التحميق. وقد خالفهم فى ذكره صاحب القاموس وشارحه

السرعة ننسى الأحلام التى يزخرفها لنا الخيال ونحن نؤلف؟ وهل يستطيع هذا المكتب ولما يبلغ أعضاؤه العشرة، أن يؤدى للنهضة حقوقها عليه؟ وهل العمل الذي فرض على هذا المكتب، والذى لن ينتهى فى أقل من عشر سنوات هو من قبيل التنويع الذى أشار إليه الدكتور للنهوض بنقل الآثار الأدبية والعلمية والفلسفية الخالدة؟ وأخشى أن يكون الدكتور قد نسى تلك المثل العليا التى كان يغازلها خياله الخصب وهو يكتب فصوله الشائقة عن الأدب والأدباء والترجمة والمترجمين والتمثيل والممثلين فى كتابه الجليل. لقد كان الأجدر بإدارة الترجمة أن تكون شيئاً آخر غير هذا الشيء الذى لن تشعر به الأمة إلا بعد عشرات السنين ... لماذا نفرغ إلى هذا العمل البطىء السلحفائى الذى يخمد الأنفاس ولا تعطى لنا الحرية فى نقل روائع الآداب العالمية التى أشار إليها الدكتور فى كتابه؟ ... إنى لا أجادل فى قيمة الموسوعة التاريخية التى نقلها إلى العربية، ولكنى أجادل فى عدم الملاءمة بين احتياجاتنا وبين أعمالنا ... وليس يجادل أحد فى أننا أحوج ألف مرة إلى روائع المسرح العالمية وروائع القصص العالمية منا إلى هذا التاريخ العام الذى يأتى دوره بعد أدوار الآداب المختلفة بمراحل شاسعة. فإن لم يكن بد من القيام بكل ذلك، فلنمن على الأقل بهذه الإدارة الضيقة (ولتبذل لها الدولة أقصى ما تملك من جهد وأكثر ما تستطيع من المال) كما يقول الدكتور فى كتابه. أما أن نحلم بأشياء جميلة فتتاح لنا الفرصة فى إنشائها فنوجدها ولا نوجدها فى وقت واحد، فهذا من التناقضات التى ينبغى ألا نقع فيها، كما يجب ألا تتبعثر جهود تلك الإدارة التى يرأسها أقدر رجال الترجمة فى مصر فيما هو بالمحل الثانى أو الثالث مما نحتاج إليه أصلاً. إن الساعات الثمينة التى يقضيها شباب المترجمين يومياً فى نقل هذه (الأضابير) التاريخية إلى اللغة العربية كانت تتيح لهذه اللغة عشرين أو ثلاثين درامة كل سنة من أروع الدرامات التى تمد المسرح والقراء فى وقت معاً بثروة لا تعدلها ثروة.

(الحديث بقية) صبرى خشبة

وهذه عبارتهما : (محقه كنمه محقاً أبطله ومحاه ، كمحّقه تمحيقاً للمبالغة . ومنه قراءة عبد الله بن الزبير « يمحق الله الرّبا ، ويُربّى الصدقات ، يمحق من التمحيق ويربى بتشديد الباء من التربية) هـ وظاهر هذا القول أن التشديد لغة فى التخفيف

وأرى أن قول أرباب المعاجم هو الحق ، وأنه لا (تمحيق) فى اللغة ، وإنما الذى فيها هو (المحق) وقد سها صاحب القاموس فقال بالتمحيق ، وما استشهد به من قراءة ابن الزبير ليس محلاً للاستشهاد ، وإن صحّت القراءة .

وبيان ذلك أنّ (يمحّق الله الربا) المشدّد الحاء فى قراءة ابن الزبير إنما جاء مشدداً للمزاوجة بين فِعْلَىْ (يمحّق) و (يربّى) فيصبحان كلاهما مشددين

والتزاوج بين كلمات اللغة فى الكلام الفصيح مذهب للبلغاء معروف وطريق مطروق . ومنه الحديث الشريف (إرجعن مأزورات غير مأجورات) فقوله (مأزورات) إنما همِزَ ليواخى ويزاوج (مأجورات) فلا يُقال إن الفعل من (مأزورات) هو (أزر) بالهمز وإنه بمعنى (وزر) . ثم لا يجوز استعمال أزر فى الكلام من دون غرض المزاوجة المذكورة ، كما لا يجوز تدوين فعل (أزر) فى المعاجم فى مادة (أ . ز . ر) . ومثله (محّق) بالتشديد فهو إنما ورد فى قراءة ابن الزبير لغرض المزاوجة وليس هو لغة للعرب . ولذا لا يجوز استعماله فى جملة لا ازدواج فيها ، كما لا يجوز تدوينه فى المعاجم . وهذا ما جعل أرباب المعاجم يهملونه

فأستنتج من كلّ ما مرّ أنه تجوز تخطئة صاحب القاموس فى تدوينه فعل التمحيق وتخطئة شارحه فى عدم الإشارة إلى أمر المزاوجة ، كما يجوز لى أن أعتذر لنفسى في استعمال فِعْلَىْ (محّقتُ ومحّقوا) بالتشديد ، أعتذر بأنى إنما ذكرته مزدوجاً بأشباهه من الأفعال المشددة قبله وبعده ، (أنا غرّقتُ وهؤلاء غرّقوا ، وشتان بين ما محّقت ومحّقوا ، أفيكون من العدل أن أحمّق وما يحمقوا !) :

وهناك وجه آخر لصحة فعل التمحيق ربما ذهب بعضهم إليه ، وهو أن علماء الصرف ذكروا أنه يؤتى بالفعل الثلاثىّ من باب التفعيل لإفادة المبالغة تارة والتعدية تارة ؛ فلم لا يكون محق إنما شُدد لهذا الغرض ، أى غرض المبالغة لا غرض المزاوجة ؟ والجواب على ما يذهبون إليه هو أن هذه المسألة ، أى مسألة ما يقوله علماء الصرف فى قياسية صيغ الأفعال المزيدة على اختلافها ، وما تفيده تلك الزيادات من الدلالة على التعدية والمبالغة وغيرها ـ هذه المسألة ما زالت ولا تزال موضعاً للأخذ والرد بين العلماء وبين أعضاء مجامعنا العلمية خاصة . وكل ما فعل مجمع مصر من التوسعة والترخيص فى زيادات الأفعال المزيدة ، أنه قرر قياسية تعدية الفعل الثلاثى بالهمزة (مجلة المجمع ج ١ ص ٢٣٠) ولم يبت الرأى فى ما وراء ذلك بعد . ولعله يعود إلى الترخيص فى قياسيّة التضعيف لإفادة المبالغة فى مثل أفعال (حلّل ، برّر ، عضّد ، نقّد ، وصّف) فإن فى الترخيص بذلك سداً للثلمة ، ووفاء للحاجة ، وتأدية لأغراض المتكلمين فى العلوم المصرية والفنية وماله اتصال بها من صناعات واختراعات

وما قلناه فى عدم جواز استعمال (التمحيق) هو رأينا ، ما دمنا لم نجد نصًّا على جوازه غير قراءة ابن الزبير فإذا وُجد النص فنحن له تَبَع .

(دمشق) عبد القادر المغربى

نائب رئيس المجمع العلمي العربى بدمشق
وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية



كيف عرفت الرافعي

للأستاذ محمود أبو رية

[ننشر هذه الكلمة بعد انقضاء ستة أعوام على وفاة أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعي طيب الله ثراه ، ونرجو أن تكون تحية طيبة منا نقابل بها ذكراه ، وآية صادقة على أنه مهما باعدت بيننا وبينه السنون فانا لن ننساه .]
(أبو رية)

رغب إليّ بعض إخواني من الذين يعرفون ما كان بيني وبين أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعي رضى الله عنه من وُصْلة الصداقة ، وما ربطني به من آصرة المحبة ، أن أنشر بعض ما لدى من كتبه الخاصة التي كان يرسلها إليّ ؛ فصادفت هذه الرغبة مني قبولاً وارتياحاً ، لأنها من أمانيّ العزيزة ، التي كنت أود من قبل أن أقوم بها مع ما هو واجب عليّ أداؤه للناس في هذه الحياة لولا ما رمتني به الأقدار من مصائب في أولادي ومصاعب في حياتي حتى أصبحت ممزق القلب مشرد اللب لا أكاد أحسن عملاً أتولاه ، ولا أجيد أمراً أقوم به

ولقد كان أشد هذه الضربات على تلك التي نفذت إلى صدر أكبر أولادي بعد أن أتم دراسته العالية فخر منها صريعاً

وإذا كان نشر هذه الكتب سيكون فيه شيء من الخير للأدباء بما سيرون فيها من آراء أديبنا الرافعي وفتاواه في أغراض كثيرة من الأدب ورجاله ، فإنه سيكشف لهم كذلك عن جوانب جديدة من أدبه وحياته لم يطلعوا عليها من قبل ، ويعرفون كيف كان يكتب رسائله الخاصة التي تصدر في الغالب بغير أن ينالها تهذيب أو يصيبها تنميق ، وإنما ترسل إرسالاً من عفو الخاطر وصفو الهاجس ، وهذه ناحية لا يتم تأريخ رجال الأدب وأمراء البيان إلا بمعرفتها والاطلاع عليها

ولقد كنت أظهرت الأستاذ الكبير صاحب الرسالة في بعض أحاديثي معه على هذه الأمنية فرحب بها وطلب مني تحقيقها .

على أني رأيت أن أقدم لما سأنشره من كتب الرافعي كلمة أذكر فيها كيف عرفت هذا الأديب الحجة ، والسبب الذي جعلني أتصل به ذلك الاتصال الذي نما حتى صار صداقة وثيقة امتدت بيننا أكثر من ربع قرن خلطني فيها بنفسه ، واصطفاني لصحبته ، حتى لقد كان يشاورني في خاص أحواله ، ويظهرني على مكنون أسراره

وليس من همي اليوم أن أعرض لتأريخ هذه الصداقة ، ولا يتجه قلمي لبيان ما كان لها من أثر وما كان فيها من خير لأن لذلك يوماً أرجو أن أبلغه

ترجع معرفتي بأديبنا الكبير إلى أوائل سنة ١٩١٢ . ذلك أن الحرب الطرابلسية كانت حينئذ مستعرة بين الترك والطليان . وكان الأمير الجليل شكيب أرسلان قد ألم بمصر في سفره مع بعثة الهلال الأحمر إلى طرابلس الغرب ، وما كاد يحط بها رحاله حتى أشرق على الناس نور بيانه فاستنارت به الأندية واستضاءت به وجوه الصحف ، وكنت يومئذ في صدر شبابي والأدب العربي قد غلب على حبه حتى أغرمت به غراماً ؛ ولكني لم أكن أعرف كيف السبيل إلى دراسته ولا قرأت من مصادره إلا كتباً قليلة كان قد أشار عليّ بقراءة بعضها العالم الكبير محمد فريد وجدي بك حفظه الله .

ولما رأيت الأبصار قد اتجهت إلى الأمير شكيب أرسلان ، وذكره قد استفاض حتى نفذ إلى كل مكان ، وأن رجال الأدب قد ذهبوا في الإعجاب به إلى أن لقبوه بأمير البيان ، دفعتني الرغبة المشبوبة بين جوانحي لدراسة الأدب إلى أن أتوجه له بكلمة أرغب إليه فيها أن يبين لي وللذين هم مثلي في هوى الأدب كيف يبلغون منه غايتهم ، فأجابني حفظه الله بجواب طويل ملأ صدر العدد الذي خرج من جريدة المؤيد في ١٩ فبراير سنة ١٩١٢ وكان صدر هذه الجريدة يزين كل يوم بمقال ممتع من تحبيره في الأدب والسياسة ؛ وكان المؤيد يقدم لكل مقال له بهذه العبارة :

« لسعادة الكاتب العثمانى الكبير صاحب الإمضاء » أما الأمير فكان يرمز لاسمه فى أعقاب ما يكتب بهذا الحرف (ش) وقد ساق الأمير الجليل فى هذا الجواب القيم الذى لا زلت أحتفظ به وأعده من نفائس البيان نصيحة غالية لكل من يريد دراسة الأدب ، ثم أنشأ بعدها يبين للناس طريقته هو التى اتخذها فى دراسته . ولما عرض للمصادر والكتب التى يجب على كل أديب أن يقرأها أخذ يثنى ثناء طيباً على كتاب « تاريخ آداب العرب للرافعى » وكان قد صدر يومئذ الجزء الأول منه ، فكان مما قاله هذه العبارة البليغة : « لو كان هذا الكتاب خطاً محجوباً فى بيت حرام إخراجه منه لاستحق أن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشئ الأسحار لكان جديراً أن يعكف عليه »

ومن ثم عرفت الرافعى وفضله ولم ألبث أن أقبلت على ما له من كتب أدرسها وأنتفع بها . وبعد انقضاء بضعة شهور على ذلك رأيت أن أجاذبه حبل المودة وكان ذلك فى أواخر سنة ١٩١٢ ولكن أنى لى ذلك وأنا لا أعرف أين مكانه ولا بأى عمل يعمل ؟ على أنى استخرت الله وأرسلت إليه خطاباً جعلت عنوانه على القاهرة إذ ظننت أنه من أهلها وما كان أشد فرحى إذ تلقيت منه بعد أيام قليلة أول جواب وهذا الجواب مؤرخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٢

وقد امتدت بينى وبينه بعد ذلك أسباب المراسلة طوال السنين التى صادقته فيها حتى بلغ ما لدى من كتبه أكثر من ثلاثمئة خطاب ، منها نحو مائتين فى شؤون أدبية وغير أدبية يصح نشرها كلها وإن كان فى بعضها ما قد يؤلم بعض أدبائنا المعاصرين بما جاء عنهم فيها

أما سائر الكتب وهى أكثر من مئة فهى فى أمور خاصة بى وبه لا يمكن نشرها ولا يصح إظهار أحد على ما جاء فيها .

(المنصورة) محمود أبو رية

أغنية

ذكريات ...

حِينَمَا كُنْتُ أَرَاهَا وَتَرَانِى ... مِنْ بَعِيدٍ كَالتِمَاعَاتِ الأَمَانِى

فَتَقَارَبْنَا عَلَى بُعْدِ الْمَكَانِ ... وَتَحَابَبْنَا عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ

وَبَعَثْنَا مِنْ أَمَانِينَا مَدَاهَا

فَتَلَاقَيْنَا عُيُونًا وَشِفَاهَا !!

لَسْتُ أَنْسَى وَقْفَةً عِنْدَ الْغَدِيرِ ... وَهَجِيرُ الصَّيْفِ كَالشَّوْقِ الْمُثِيرِ

فَخَلَقْنَا نَحْنُ مِنْ نَارِ السَّعِيرِ ... جَنَّةً لِلْحُبِّ فَاضَتْ بِالْعَبِيرِ

قَدْ خَلَقْنَاهَا وَسَوَّيْنَا رُبَاهَا

وَعَلَيْنَا حَرَّمَ اللهُ جَنَاهَا !!

لَسْتُ أَنْسَى فِى صِبَانَا مَرْبَعًا ... كَانَ مَلْهَانَا نُقَدِّسْهُ مَعَا

فَرَكِبْنَا اللَّهْوَ وَالدَّهْرُ سَعَى ... لَا الصِّبَا دَامَ وَلَا الصَّفْوُ رَعَى

رَبَّةَ الآمَالِ وَاسْتَبْقِى صِبَاهَا

وَكَأَنِّى لَمْ أَكُنْ قَبَّلْتُ فَاهَا !

أَيْنَ مِنِّى جَنَّةُ الأَمْسِ الْقَرِيبِ؟ ... أَيْنَ مِنِّى خَمْرَةُ الثَّغْرِ الشَّنِيبِ؟!

أَيْنَ مِنِّى رِقَّةُ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ ... يَا حَبِيبِى أَيْنَ مِنِّى يَا حَبِيبِى

جَلْوَةُ الْحُبِّ وَإِشْرَاقُ ضُحَاهَا !

خَيَّمَ اللَّيْلُ عَلَيْهَا فَمَحَاهَا !!

أَصْبَحَ الْحُبُّ وَأَمْسَى ذِكْرَيَاتِ ... وَانْقَضَى عَهْدُ الْهَوَى وَالصَّبَوَاتِ

وَتَوَلَّى الْعُمْرُ إِلَّا زَفَرَاتِ ... لَمْ تَزَلْ تُشْعِلُ قَلْبِى بِشِكَاتِى

أَيْنَ عَيْنَاهَا وَأَيَّامُ هَوَاهَا ؟؟

لَيْتَنِى كُنْتُ ، أَنَا وَحْدِى ، نِدَاهَا !

(كوم النور) أحمد أحمد العجمى

الأحــلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

[ترجمة المحاضرة التي ألقاها الفيلسوف هنري برجسن في دار المعهد العام لعلم النفس]

إن المحاضرة التي عُهد إليَّ بإلقائها معقدة ومثيرة لمسائل عديدة: منها ما يتعلق بعلم النفس، ومنها ما يتعلق بعلم الحياة وأيضاً بما وراء الطبيعة. والموضوع يتطلب شرحاً طويلاً ولدينا القصير من الوقت، لذلك أطلب إليكم أن تعفوني من كل مقدمة حتى نبحث الموضوع مباشرة

هاك حلم: أرى أشياء مختلفة تمر أمامي وليس واحد منها موجوداً فعلاً — يخيل إلى أنني أغدو وأروح، أمر بسلسلة من الحوادث بينما أنا نائم في فراشي بكل هدوء. أصغي إلى نفسي تتحدث وأسمع من يجيبني، ولكن أنا لا أفوه بشيء. فمن أين هذا الوهم؟ لِمَ ندرك أشخاصاً وأشياء كأنها موجودة حقيقة؟ ألا توجد أشياء حقيقة؟ أليست هناك بعض المواد الحسية تهيأ أمام السمع أو البصر أو اللمس الخ... في وقت النوم كما هو الشأن في وقت اليقظة؟

لنغمض أعيننا ونرى ماذا يحدث. كثيرون من يقولون إنه لا يحدث شيء لأنهم لم يتبصروا في الأمر، ولكننا في الحقيقة نرى أشياء عديدة: أولاً نرى قاعاً أسود ثم بقعاً مختلفة الألوان باهتة حيناً وبراقة حيناً آخر، وهذه البقع تتمدد وتنقبض، تبدل ألوانها وتتحدى الواحدة منها الأخرى. وهذا التبدل يمكن أن يكون بطيئاً متدرجاً ويمكن أن يتم في بعض الأحيان بسرعة شديدة. فمن أين هذه التخيلات؟. تكلم علماء الحياة وعلماء النفس عن « غبار منير » وعن « طيف بصري » وعن « شرار العين » فتراهم ينسبون هذه الظواهر إلى التغيرات البسيطة التي تحصل باستمرار في الدورة الدموية في شبكة العين، أو إلى الضغط الذي يسببه الجفن المقفل على المقلة والذي يؤثر تأثيراً آلياً على العصب البصري — ولكن قلما يهمنا شرح الحادث أو الإسم الذي يطلق عليه — إن هذا الحادث عام لدى الجميع ويقدم بلاشك المادة التي تنقش عليها كثير من أحلامنا.

لاحظ ألفريد موري كما لاحظ في نفس الوقت المركيز درڤي دي سان دينى أن هذه البقع الملونة ذات الأشكال المتحركة المتقلبة يمكنها أن تثبت عند ما نخمل؛ فترسم حينئذ دوائر الأشياء التي تكون الحلم. ولكن علينا أن ننظر إلى هذه الملاحظة بعين الحذر لأنها ناتجة عن علماء نفس أنصاف نُيَّم. تصور الفيلسوف الأميركي لار الأستاذ في جامعة يال طريقة أكثر إحكاماً ولكنها صعبة التطبيق لأنها تتطلب شيئاً من المران. تنحصر هذه الطريقة في إبقاء العينين مقفلتين عند ما نستيقظ والمحافظة مدة لحظات على الحلم الآخذ في الزوال من حقل البصر وبالتالي من حقل الذاكرة. ترى عندئذ موضوعات الحلم تتحول إلى شرار العين وتمتزج بالبقع الملونة التي كانت تشاهدها العين حقيقة عند ما كان الجفنان مغلقين. فإذا كنا نطالع جريدة مثلاً فها هو الحلم يتكون ثم تستيقظ وتبقى من الجريدة التي ارتسمت سطورها في العين بقعة بيضاء وبعض السطور السوداء المبهمة. هذا ما في الواقع. أو إذا كنا نتنزه في عرض البحر بالحلم، وعلى مدى البصر كان المحيط ينشر أمواجه الرمادية التي تكللها رغوة بيضاء. فعند اليقظة كل هذا يتلاشى في بقعة كبيرة اللون الرمادي الباهت تتخططها نقط براقة. البقعة موجودة وكذلك النقط اللامعة؛ إذاً يوجد غبار بصري بدا لإدراكنا أثناء النوم وهذا الغبار استعمل في صنع الحلم

هل يستعمل هذا الغبار وحده فقط؟ لكي نختصر الحديث على حاسة البصر نقول إنه بجانب الإحساسات البصرية الصادرة من الداخل توجد إحساسات أخرى صادرة عن سبب خارجي. مهما يكن الجفنان مغلقين فالعين لا تزال تميز بين النور والظلام وتتعرف أيضاً — إلى حد ما — على نوع النور؛ لكن الإحساسات الناتجة عن نور حقيقي هي أصل لكثير من أحلامنا، فشمعة تضاء فجأة تحدث عند النائم عدة رؤى تسود فكرة الحريق ويذكر تيسيه مثلين لذلك: « فلان يحلم أن النار تلتهم مسرح الإسكندرية واللهب يضيء حياً بأثره، وفجأة يجد نفسه قد انتقل إلى ميدان القناصل، وهناك يرى شريطاً من النار يجري على مدى

السلاسل التي يربط بعضها ببعض علامات الحدود الغليظة الموجودة حول الحوض، ثم يجد نفسه في باريس في المعرض وقد التهمته النار ... يشاهد مناظر مؤلمة الخ ... فيستيقظ بغتة: إن عينيه كانتا متأثرتين بحزمة النور المنبعث من مصباح الواعية وهي تمر في جولتها الليلية وكانت قد سلطت المصباح على السرير

فلان آخر يحلم أنه التحق بوحدة مشاة البحرية حيث خدم سابقاً — يذهب إلى نور دي فرانس، إلى ظولون، إلى لوريان، إلى القرم، إلى القسطنطينية، يشاهد برقاً، يسمع رعداً، ثم يشاهد معركة يجد فيها النار تخرج من أفواه المدافع فيستيقظ — ومثل فلان الأول استيقظ بسبب النورَ المنبعث من مصباح الواعية عند مرورها » — هذه هي الأحلام الناتجة عن نور شديد مفاجئ.

لكن الأحلام الناتجة عن نور مستمر ولطيف (خفيف) مثل نور القمر فتختلف عن الأولى بعض الاختلاف — يذكر كراوس أنه ذات ليلة عند ما استيقظ لاحظ أنه لم يزل يمد ذراعيه نحو ما كان يظنه في حلمه غادة، ولم تكن سوى القمر يرسل له شعاعه — إن هذه الحادثة ليست فريدة في نوعها. يظهر أن شعاع القمر عند ما يداعب أعين النائم يمكنه أن يثير رؤى طاهرة. أليس هذا ما تذكره قصة أنديمون: « الراعي النائم دائماً الذي تحبه الإلهة سيلينيه (أي القمر) حباً جماً ؟ ...

للأذن أيضاً إحساساتها الداخلية مثل الطنين والرنين والصفير التي لا تقوى على تمييزها وقت اليقظة ولكن النوم يبرزها بكل وضوح — لا نزال ونحن نائمين نسمع بعض الأصوات الآتية من الخارج مثل طقطقة دولاب أو تلألؤ النور أو صوت المطر المنهمر على النافذة أو الريح المتقلب النغمات؛ فكلها أصوات تصدم الأذن ويحولها الحلم إلى محادثة وصراخ وألحان الخ ...

حك بعضهم مقصاً بملقط أمام أذن الفريد موري وهو نائم، ففي الحال حلم أنه يسمع صوت المدفع ويشاهد حوادث ١٨٤٨ — ويمكنني أن أسرد لكم أمثلة أخرى ولكن يجب أن يكون للأصوات نفس الأهمية التي للأشكال والألوان في أغلب الأحلام — إن الإحساسات البصرية لها الأسبقية وفي غالب الأحيان نرى فقط حينما نظن أننا نسمع أيضاً ..

ويلاحظ مكس سيمون أننا نقوم بمحادثة كاملة في الحلم، ونلاحظ بغتة أنه لا شخص يحدثنا ولا أحد يتكلم — لقد كان هناك بيننا وبين محدثنا تبادل مباشر في الأفكار، محادثة ساكنة — إنه لحدث غريب ولكنه سهل التفسير — فلكي نسمع أصواتاً في الحلم يجب أن تكون هناك دائماً أصوات حقيقية نحس ونشعر بها لأن الحلم لا يصنع شيئاً من لا شيء؛ وإن لم تقدم له مادة رنانة فيصعب عليه أن يصنع ما هو رنان.

ومن جهة أخرى يتدخل اللمس بقدر ما يتدخل السمع، فأي لمس وأي ضغط مهما قل يصل إلى الوجدان أثناء النوم فحاسة اللمس تقمر بتأثيرها الصور الموجودة حينئذ في الحقل البصري؛ وعليه يمكنها أن تُغَيِّر شكل هذا الحقل ومعناه. لنفرض أننا نشعر فجأة بملامسة الجسم مع القميص فالنائم يتذكر أن ما يرتديه من ملابس خفيف. وإذا ظن حينئذ أنه يتنزه في الشارع فإنه سيظهر أمام أعين المارة في هذا اللباس البسيط جداً. ولكن المارة لا تتأثر من هذا لأنه نادراً ما تبدو الأشياء الخارقة التي نستسلم إليها في الحلم، مثيرة لدهشة المراقبين بينما نحن يعترينا منها الحياء والخجل.

(يتبع) ألبير نادر

من أزهار الشر

للشاعر شارل بودلير

شبح

١ – الظلمات

فى غيران الحزن الذى لا قرار له ، حيث رمانى القدر ، وحيث لا ينفذ شعاع وردى مرح ، أرانى وأنا منفرد مع الليل ، هذا الزائر العبوس ، كمصور قضى عليه إله ساخر أن يرسم ويا للأسف ! صورة على الظلمات ، أو كطاه ذى شهوات كئيبة تُفضى إلى الموت ، أغلى قلبى وأجمله أُكالتى

وفى لحظة تألق طيف صيغ من الرواء والجلال ، وعندما بلغ آية روعته فى مشيته الشرقية الحالمة ، عرفت زائرتى الجميلة : إنها هى ... ! سوداء وإنها لسنية

٢ – العطر

أيها القارىء ألم تستنش ، فى شىء من السكر والنهم المتمهل ، رائحة البخور التى تملأ جو المعابد ، أو عطراً معتقاً من مثبنة حسناء ؟

إنها لفتنة عميقة سحرية ، تبعث فى نفوسنا النشوة بالماضى الذى يعود فى اللحظة الحاضرة ! كذلك يجنى العاشق الزهرة الناضرة من ذكرياته النابرة ، وبين يديه جسد معبود

فمن جدائلها اللدنة الجثلة ، هذه المثبنة الحية ، هذه المبخرة التى تملأ جو المخدع ، كانت تفوح رائحة وحشية ضاربة

ومن ثيابها الحريرية والمخملة ، العامرة بشبابها الناضر ، كان ينبعث أريج الفراء

٣ – الإطار

مثل الإطار الجميل الذى يضيف إلى الصورة الجميلة ، وإن كانت بريشة رسام عظيم ، ما لا أدرى من الغرابة والسحر حين يعزلها عن الطبيعة الهائلة ، مثل ما حولها من الحلى والأثاث والمعادن والطلاء ، فإنها كانت تتسق مع جمالها النادر . فلم يحجب وصفاتها الساطعة شىء ، وقد بدا كل شىء كزينة أحاطت بها حتى خالت ذات يوم أنها تريد أن تتعلق بها حباً ، فأغرقت جسمها العارى باشتهاء فى لثمات الأطلس والكتان ، وكانت كلما تمايلت فى أناة أو سرعة تبدى فى لفتاتها رشاقة القرد الساذجة

٤ – الصورة

إن العلة والمنية تحيل النار التى تشتعل بها حياتنا إلى رماد . فماذا تبقى من هذه العيون النجل المتوهجة الوردية ، ومن هذا الثغر الذى كان يغرق فيه قلبى ، ومن هذه القبل القديرة كالسلوان ، ومن هذه النظرات التى تفيض بالحياة أكثر من الأشعة ؟ ماذا تبقى ؟ إنه لمروع يا نفس ! فماذا تبقى غير صورة شاحبة من ثلاثة خطوط

ويحى ! من مثلى يموت فى الوحدة ، ومن مثلى يلطمه الدهر ، هذا الظالم المسن ، كل يوم بجناحه القوى ؟

أيها القاتل الأسود ، يا غاصب الحياة والجمال ، لن تقضى ، فى ذا كرتى ، على تلك التى كانت بهجتى ومجدى !

ترجمة

عثمان على عسل



الإصلاح والحرية

اطلع قراء الرسالة فى العدد ٥١٢ على تنبيه للبحث الذى اعتزم الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت نشره فى الرسالة، مدافعاً عن فتواه بشأن « نزول عيسى »، داحضاً أقوال مخالفيه فى هذه المسألة. وقد فوجئنا فى العدد التالى، بأن أسباباً قاهرة حالت دون نشر الرسالة لهذا البحث القيم، وهى إشارة لا تستبهم على من تتبع حركة الإصلاح الدينى فى مصر، وما لقيته فى العهد الأخير من تعنت الجامدين، ومناهضتهم كل رأى جديد وبحث حر، مهما كان نصيبه من الإخلاص والغيرة على الشريعة السمحة التى أطلقت العقول من عقالها، وجعلت حرية التفكير من ألزم خصالها

وبينما يتطلع العالم الإسلامى إلى مصر لتكون موئل التفكير الحر، ومثابة الإصلاح المثمر لدينه وتقاليده وآرائه، ويتلقى بشغف بالغ الدعوات الكريمة والأبحاث الجريئة التى يتقدم بها أساطين العلم وجهابذة الفكر من رجالات مصر - يقف مبهوتاً كلما علم أن هذا الباحث أو ذلك المصلح قد حيل بينه وبين ما يريد من إبلاغ دعوته ونشر أبحاثه، وهذا فى مصر التى حدثنا التاريخ أنها وسعت كل مذهب، وآوت كل حر طريد

نحن نعلم أن الخلاف لا بد منه بين أهل البحث، ولا ننكر على مصر وجود طائفة تناهض الإصلاح وتخاصم المصلحين، ولكننا ننكر على هذه الطائفة أن تخاصم بالوقيعة وتستغل عواطف العامة، مستمدة فى ذلك أسباب الغلب عندما تعوزها الحجة والبرهان.

ونفهم أيضاً أن يعرض أولو الأمر لحماية العقائد وصيانة الأخلاق، ويحولوا دون إفسادها بالآراء الشاذة والنشرات الخبيثة؛ ولكننا لا نسيغ أن يمنع عالم مصلح كالأستاذ شلتوت من الدفاع عن رأيه فى مسألة دينية، وهو يتمتع بمركز علمى يعلو بصاحبه عن كل شبهة تحول دون نشر أبحاثه على الناس، لا سيما فى عهد الإمام المراغى الذى يرتقب فيه المسلمون خيراً كثيراً، ولن يبلغ المسلمون أمنيتهم من الإصلاح ما دام أنصار الجمود يملكون من النفوذ ما كانوا يملكونه فى عهد ابن تيمية ومحمد عبده « هم العدو فاحذرهم ».

(نابلس - فلسطين) حلمى الإدريسى

فائدة القرض من المصارف المالية

قرأت السؤال الذى وجهه إلىّ الفاضل « محمد عبد الفتاح محمود الحسن - من فلسطين » فى البريد الأدبى بالعدد ٥١٥ من الرسالة الغراء، فيما يتعلق بفائدة القرض من المصارف المالية،

وإنى لا أشك فى شدة الحاجة إلى وضع حد بين فى هذه المسألة المتصلة اتصالاً وثيقاً بحياة المسلمين الاقتصادية فى هذا العصر، وأقرر فى الوقت نفسه أن وضع هذا الحد فى مثل تلك المسألة التى تشعبت فيها الآراء قديماً وحديثاً، واتخذت على ألسنة بعض الناس فى جميع فروعها صفة العقيدة ليس من السهل أن يبادر به فرد واحد، وإنما ينبغى أن يصدر عن هيئة دينية كجماعة كبار العلماء فى الأزهر، حتى تكون له قيمته العملية وتتلقاه القلوب بصدق وإذعان

ولقد توجهت منذ عامين إلى جماعة كبار العلماء باقتراح يتضمن أن تعالج الجماعة أمثال هذه المسألة مما « جد ويجد فى المعاملات ويحتاج المسلمون إلى معرفة حكم الشرع فيه ». ولا يزال هذا الاقتراح بين يدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس الجماعة الموقرة. هذا ما أراه الآن وللسائل الفاضل تحياتى محمود شلتوت

عثرات ...

أما الأولى ففى كلام أديبنا الكبير الدكتور زكى مبارك:

« يا مهاةً لا تخطر إلا فى البال »

كلام جميل ... لكنه غير دقيق، ففى العبارة ما يسميه علماء المعانى « القصر »

وفى قصر خطور هذه المهاة على « البال » نظر، كما يقول سادتنا الأزهريون، إذ أنه يقتضى جواز خطورها بشىء آخر غير البال ...

أفهم أن يقال: « لا تخطر إلا فى بالى » فالقصر واقع على باله وحده دون بال غيره من الناس. وإن كان فى هذا المعنى غضٌّ من جمال هذه المهاة الذى لا يؤثر إلا فيه وحده، أما قصره الخطور على « البال » دون سائر جوارح البدن، فهو قصر لا معنى له.

وأما الثانية ففى كلام فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت إذ يقول: « وهل إذا قال المسلمون فى مسألة ... وهل إذا أنكر عالم ... وهل إذا قال قائل ... الخ »

وعلماء المعانى — وعلماء النحو أيضاً كصاحب المغنى —

يقولون : إن هل الاستفهامية لا يقع بعدها الشرط أبداً ... وهذا فرق بينها وبين الهمزة ...

وأما الثالثة ففي كلمة الأديب حسين البشبيشي التي يخطئ فيها شعراً نشرته « الثقافة » ، وذلك إذ يقول : « والأعجب من كل ذلك هو هذا البيت الغريب ... الخ . »

ولو أن الأديب البشبيشي رجع إلى أبيه – أستاذنا الفاضل – لدله على أن أفعل التفضيل إذا كان محلى بأل امتنع الإتيان بعده بالفضل عليه مجروراً بمن ، وأن الصواب إن أراد ذكر المفضل عليه أن يقول : « وأعجب من كل ذلك » بتجريده من أل .

محمد محمود رضوان
المدرس ببني سويف الابتدائية

في القصة والمقامة

أهدى إلى الأستاذ الفاضل محمد جميل سلطان الدكتور في الآداب وعضو المجمع اللغوي للدراسات السامية في باريس ، وأستاذ الأدب العربي في تجهيزي دمشق الرسميين وفي الكلية الشرعية الإسلامية ، رسالته في « القصة والمقامة » ، وهي رسالة صغيرة تقع في ٥٦ صفحة من القطع الصغير . وقد طبعت في مطبعة الترقي بدمشق في هذه السنة

وهي تتضمن بحثاً طريفاً في القصة وشروطها ، وتبين كيف تدرجت القصة حتى وصلت إلى المقامة في عصر الهمذاني والحريري وكيف اهتدى إلى هذا بديع الزمان ، وهل هو الذي اخترع فن المقامة ، وما الفرق بينها وبين القصة ، وبين عمل الهمذاني وعمل الحريري فيها . فإذا انتهت من هذا كله في دراسة دقيقة مستفيضة انتقلت منه إلى بيان ما طرأ على المقامة بعد الحريري ، فذكرت في هذا من تناولها من الأدباء إلى عصرنا الحاضر ، وبينت حالها في ذلك من قوة وضعف واستقامة وانحراف ، وقد ختمت ببحث طريف في المقامات عند غير العرب ، بين فيه أثر هذا الفن العربي في الأدب الفارسي والأدب السرياني والأدب العبري ؛ فجاءت بهذا كله رسالة جامعة لكل ما يتعلق بموضوعها . ولهذا نحث المشتغلين بالأدب على اقتنائها . عبد المتعال الصعيدي

حول تراجم المعاصرين

أمنية يطيب للنفس أن تتعلق بها ولكن الشواهد التي حولنا توشك أن تثبط الهمم . فمن كان يتوهم أن أديباً فاضلاً سيعجز عن جمع طرائف المرحوم حافظ ونوادره ؟ وأن هذه الملح ستتبخر من واعية أصدقاء حافظ وجلسائه وخاصته !!

بل من كان يتوهم أن أديباً يكتب كتاباً فيذكر فيه « المرحوم فلان ! » وفلان هذا لم يزل ينعم بأنفاس الحياة !!

وأكثر من هذا . فإن الكثير من شعرائنا لا يقيمون وزناً لتأريخ ظروف قصيدهم مما يضيع على الأدب فوائد يدركها الناقد الفطن

ولقد كان الظن أن تقوى هذه الناحية من الأدب في عصر الطباعة والراديو ! ولكن المشاهد غير ذلك ... وتلك هي المسألة ، كما يعبر الغربيون ... أفيكون هناك أثر نفسي خطير « لانتشار الطباعة » سبب ضعف الذاكرة وتهاونها ، وقعد بالناس عن مسايرة الأخبار وروايتها ؟

إنا لنعتقد ذلك ... فإن وفرة المطبوعات أيقظت في الناس رغبة التحول والاعتماد على « الغير » ممن يؤلفون ... وهؤلاء نفر قليل قد لا يلازمهم التوفيق في كل الأحايين . ومع هذا فإننا لنعتقد أن باب النقد والتحليل في كبريات مجلاتنا كالرسالة والثقافة والمقتطف والهلال يقدم صورة مصغرة لتراجم المعاصرين .

وبعد فما من شك في أننا نجهل الكثير من أطوار حياة كتابنا ، ولقد كنت إلى عهد قريب أجهل أن أستاذنا الكبير الزيات يحمل شهادة الحقوق ، وأن هناك بعض كتب ألفها ليضع غيره عليها اسمه ! لو أننا اهتممنا بتراجم المعاصرين لانكشفت لنا أسرار وأسرار ، ولتركنا لخلفنا آثاراً أدبية واضحة التقاسيم سديدة المرامي

(الإسكندرية) حسين محمود البشبيشي

جماعة نشر الثقافة بالإسكندرية

أعلنت جماعة نشر الثقافة عن إقامتها لمهرجان الربيع بمسرح نادي الحكومة عند الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٤ مايو ٩٤٣ ، وسيكون شعراء الحفل وخطباؤه وفنانوه الأساتذة الأفاضل :

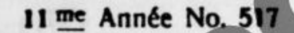
(١) محمود البشبيشي (٧) حسين محمود البشبيشي
(٢) خليل شيبوب (٨) فرقة موسيقى نادي الموظفين
(٣) مصطفى علي عبد الرحمن (٩) صلاح الدين طاهر
(٤) حسين جنيد الموسيقار (١٠) عثمان حلمي
(٥) أحمد الطاهر (١١) أحمد السمره
(٦) السيدة منيرة توفيق (١٢) المطرب طاهر القرضاري

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 517

Lundi - 31 - 5 - 1943



بدل الاشتراك عن سنة

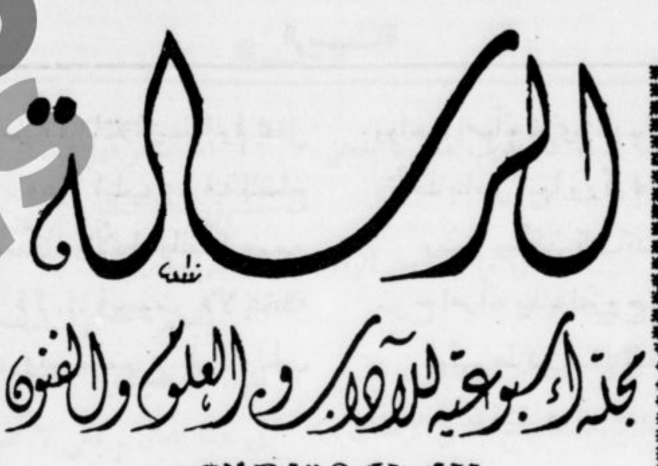
٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥١٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣١ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

بيفردج والمرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قال لي صاحبي وهو يوشك أن يلقي بالصحيفة من يده : وما شأن بيفردج بهذه المسألة ؟ ما شأنه بالمرأة وما يقوله الحكماء والشعراء في النساء ؟

بيفردج والمشاكل الاقتصادية مفهوم ؛ أما بيفردج والمشاكل العاطفية فغريب غير مفهوم ، لأنه يبدو للأكثرين في هذه الحالة كمدير المصرف الذي ينظم ديواناً من الشعر على هامش الميزانية ! أو كالسياسي الذي يسوق العواطف في خطاب رسمي من خطب الأزمات والمعضلات ! وكل ذلك غريب أو « نشاز » كما يقال في لغة الفنيين

كان الذين يعرفون بيفردج قبل هذه السنة يعرفونه قطباً من أقطاب الاقتصاد السياسي ولا سيما في مسألة البطالة ومسائل التأمين الاجتماعي والتموين على الإجمال . فلما ظهر بمشروعه المشهور منذ بضعة شهور ظهر في ثوبه الذي يعهده الناس ، وعرفه الأكثرون في أنحاء الأرض كما كان يعرفه الأقلون في البلاد الإنجليزية ، رجلاً من رجال الحساب أو الإصلاح المبني على الحساب

أما صاحبي الذي كان يقرأ الصحيفة وأوشك أن يلقيها من يده دهشة فقد خيل إليه أنه يراه في غير زيه ويلتقي به في غير

مكانه ؛ لأنه رآه فى كتاب عجيب صدر قبل ثلاثين سنة ولم يحفل به أحد غير قراء الأدب يومذاك . وهو كتاب جمع فيه المصلح الكبير طائفة مختارة من أقوال الحكماء والأدباء والمفكرين من أقدمين ومحدثين ... فى أى موضوع ؟ ... فى موضوع لا يتخلله رقم واحد من أرقام الحساب ، وهو موضوع المرأة والحب والعاطفة والمناجاة !

قلت لصاحبى : الرجل على حق ! ... وأنت المخطىء فى هذه الدهشة التى فوجئت بها كما يفاجأ المرء بالمتناقضات . وليس فيها من التناقض شىء على ما أعتقد . بل هى أدل الدلائل على طبيعة الإصلاح المتأصلة فى هـذا الرجل من أوائل عهده بالاشتغال بالمسائل الاجتماعية ، لأنه جمع الإصلاح الاجتماعى من يمينه وشماله ، واحتواه فى جميع أحواله وأشكاله . فاهتم بمسألة الرجل والمرأة ، كما اهتم بمسألة الفقر والغنى ، وهما هما الإصلاح الاجتماعى بحذافيره من قديم الزمان ، وفي كل ما تنزل من الأديان أو المذاهب والدعوات

العظات التى نسمعها من عشرة آلاف سنة يبدأها الواعظون ويعيدونها من جديد عصراً بعد عصر وجيلاً وراء جيل ، على أى شىء تدور وفى أى معنى تقال مع اختلاف الكلمات والأساليب ؟ على العلاقات المشروعة أو غير المشروعة بين الرجل والمرأة ، على البيوت والآباء والأمهات ، على الرحمة والإحسان أو على الإنصاف فى توزيع الأرزاق

وهذه هى خلاصة الإصلاح كله ، وهـذه هى المسائل التى شغل بها صاحبنا بيفردج واهتم بها وهو يلهو فى شبابه كما اهتم بها وهو يعالج المعضلات فى مشيبه ، كأن أعصابه موصولة بأعصاب المجتمع الإنسانى فهو يهتدى إلى المواضع الحساسة بإلهام البداهة

وأعجب من إحساسه البديهى بأصول الإصلاح دقة إحساسه فى اختيار الحكماء والشعراء ثم دقة إحساسه فى اختيار مايقولون . فيخيل إليك أنه لا يختار من الحكماء والشعراء إلا الذين لمسوا مشكلة المرأة فى حياتهم الخاصة ، ولا يقع من كلامهم إلا على الكلمة التى تمثلهم فى الصميم

فمن حكمائه تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور الذى خانته امرأته فوصف هذه الخيانة في قصة من أشهر قصصه الصغيرة ، وراحت امرأته تبرىء نفسها بعد موته فتصدت لها بنته تكذبها وتأخذ بناصر أبيها وترثى له مما لقيه من خيانة أمها

ومنهم رسكن الناقد الفيلسوف الفنان الإنجليزى الذى سرح امرأته بيديه لتتزوج من عشيقها

ومنهم هازليت ملك النقاد فى العالم الذى فشل أفجع الفشل فى حبه كما فشل فى زواجه

ومنهم روسو ورابيليه وسقراط وأمثالهم من حكماء الأمم الذين عرفوا هذا الجانب من الحياة بالذكاء والفطنة كما عرفوه بالخبرة والمحنة ، وهم كثيرون

فالفيلسوف الروسى تولستوى يقول : « إن النساء يعرفن جيداً أن ما يسمى حبًّا علوياً أو حبًّا شعرياً لا يتوقف على الفضائل الأخلاقية كما يتوقف على المقابلات الكثيرة ، وعلى « تسريحة الشعر » وألوان الملابس وطريقة تفصيلها »

وروسو يقول : « إن الذكر إنما يكون ذكراً فى بعض أوقاته . أما المرأة فهى أنثى فى جميع حياتها أو على الأقل فى جميع أيام شبابها . فكل شىء يذكرها ولا يزال مذكراً لها بجنسها »

وهازليت يقول : « النساء لا يعتمدن على التفكير أو القياس المنطقى أبداً ، وإنما يحكمن بالغريزة على ما يشعرن به مباشرة ولا يشغلن أنفسهن بالعواقب البعيدة . فإذا فاتهن المشور على الأفكار العظيمة فهن أيضاً لا يتورطن فى السخافات الضخمة ، وإنما هو العقل وحده — أو القياس المنطقى — الذى يجعل الإنسان مثلاً فى أصالة الرأى أو مثلاً فى الحماقة »

وشستر فلد الذى كتب رسائله المشهورة إلى ابنه غير الشرعى يقول : « اثنتان من النساء يحسن تمليقهما بوصف الذكاء واللباقة ، وهما المرأة التى لا شك فى جمالها ، والمرأة التى لا شك فى قبحها . أما المتوسطات بين الجمال والقبح فهن اللواتى يخدعن بوصف الجمال أو على الأقل بوصف الملاحة »

وهولز يقول : « الإفراط فى قلة الكلام من المرأة التى تحبها خير من الإفراط فى كثرة الكلام . فإن الطبيعة تعمل لها وتغنيها عن العمل لمصلحتها وهى ساكتة ، ولكنها إذا تكلمت فهى تعمل لنفسها (ولن تدرك فى ذلك شأو الطبيعة) والحب على ألسنة الرجال عسير الذوبان فهم يكثرون من الكلام فيه ،

ولكن الكلمة الواحدة تقولها المرأة قد تذيب منه ما يعجز قلب الرجل عن احتماله »

وديوجين — الكلبي — يقول : « إياك أن تأمن المرأة ولو ماتت ! »

أما سيجوس فيقول : « لنكن للنساء منصفين ، فإنهن لا يزلن على طول الزمن مصدر العزاء الصحيح لجنس الإنسان . إنهن أقدر منا على الشعور بحاجة من يرونه محتاجاً إلى العزاء »

ويقول رسكن مثله : « في المجتمع الذي يبلغ فيه الرجال والنساء غاية المقدور لهم من الكمال تتولى النساء رسالة الهداية والتطهير . أما في المجتمعات الهمجية أو المتأخرة فهن يعانين الظلم جهرة كأنهن من العجماوات ، ثم هن يعانينه خلسة — مضاعفاً — في المجتمعات التي يشيع بينها الفساد والسقوط »

ويمود رابيليه فينقض هذا الرأي وما شابهه حيث يقول متهكماً : « يزعمون أنهم قلما يعثرون بحسناء يقيدها العرف أو القانون بقيد الواجب المفروض »

***

ويتعرض كولردج الشاعر الإنجليزي غريم نابليون للملكات الفنية في المرأة فيقول : « إن النساء روائيات مجيدات ولكنهن شاعرات مخفقات ، وذلك لأنهن يفرقن نادراً — أو لا يفرقن أبداً — بين الواقع والاختلاق »

أصحيح هذا ؟

الأمثلة المتواترة أمامنا تدل على أنه صحيح كل الصحة . لأننا عرفنا كثيراً من النساء النابغات في كتابة القصة والرواية ، ولم نعرف قط شاعرة عظيمة نبغت في أمة من أمم العالم قديمها وحديثها

فهن روائيات مجيدات وشاعرات مقصرات ، ولكن لغير السبب الذي يراه كولردج فيما نرجح ، وهو قلة التفرقة بين الواقع والاختلاق أو التأليف

والذي نرجحه أن المرأة تحسن كتابة القصة لأنها مطبوعة على الفضول والاستطلاع والخوض في أسرار الملاقات بين الرجال والنساء والإطالة في أحاديث هذه الأسرار مع الاشتياق والتشويق . وهذا كله هو معدن القصة التي تصاغ منه ، وهو جوهر من جواهر الرواية قد يغنيها عن المزايا الأخرى من تحليل وتمليل وإبداع في الوصف والتمثيل

أما الشعر فهو ابتكار واقتدار على الإنشاء ، وليست المرأة مشهورة بالابتكار حتى في صناعاتها الخاصة بها كالطهي وصناعة الملابس والتزيين

والشعر — وأساسه الغزل — هو وسيلة الرجل لمناجاة المرأة ، وقد تعودت المرأة بفطرتها أن تكون مطلوبة مستمعة في هذا المجال . فهي لا تحسن الشعر كما يحسنه الرجل ، وعلى هذه السنة تجري جميع الذكور في أنواع الحيوان حين تسترعي أسماع الأناث بالغناء أو الهتاف والنداء

ولا عجب لهذا أن يخلو تاريخ الإنسان من شاعرات مجيدات بل من شاعرة واحدة مجيدة بغير استثناء في جميع اللغات . وحتى « سافو » الشاعرة اليونانية التي ذاع صيتها في الزمن القديم لا تحسب بين الطراز الأول في الشعراء . وإن حسبت من الطراز الأول ؛ فهي في شعرها — المعكوس — تمثل الرجال أكثر من تمثيلها النساء ، لأنها كانت تنظم الغزل في البنات

***

هذه طرائف من الآراء التي حام بينها بيفردج لتصوير المرأة بألسنة الحكماء والشعراء في الأمم كافة . ثم لم يمنعه ذلك آخر المطاف أن يلتمس لها المعونة والعذر والإنصاف . وهكذا تكون رحمة العليم ومعذرة الحكيم

قبل في نقد مشروعه الاقتصادي الكبير أنه لم يأت فيه بجديد ولم يجاوز أن يستقصي فيه ما تقدم من خطط الإصلاح مع قليل من التنقيح والزيادة هنا وهناك

ويمكن أن يقال في فلسفته عن المرأة أنها على هذا النحو فلسفة الجمع والتوفيق بين مختلف الآراء

وعلى هذا وذاك يجب أن يقال إنه قد أفاد وأعان على فهم جوانب الإصلاح

ويجب أن يقال بعد هذا وذاك أنه كان مثلاً من أمثلة عدة في الحرب الحاضرة على اتساع آفاق الحياة عند الغربيين . فهم على قدر أعباء الحياة التي ينهضون بها يقابلونها بما يكافئها ويلاقيها في كل ناحية من نواحيها ، لا يشغلهم اليوم عن الغد ، ولا الجد عن اللهو ، ولا العظيم عن الصغير ، ولا أحاديث الأزمات والمعضلات ، عن أحاديث المساجلة والمناجاة .

عباس محمود العقاد

آيتــان ...

للأستاذ محمود شلتوت

كان فيما قررناه سابقاً : أن القرآن كله قطعي في وروده ، وأنه في دلالته نوعان : قطعي لا يحتمل التأويل ، وغير قطعي يحتمل معنيين فأكثر ، وأن هذين النوعين قد وجدا في العلميات والعمليات ، وأن النوع الثاني لا يصلح أن يتخذ دليلا على عقيدة يحكم على منكرها بأنه قد كفر . قررنا هذا ثم أخذنا في تطبيقه على الآيات التي أوردوها في شأن عيسى من رفعه أو نزوله ، فأرجعنا هذه الآيات إلى أنواع ثلاثة بيّنا بطلان رأيهم في نوعين منها ، واليوم نذكر النوع الثالث وهو آيتان زعموا أنهما تدلان دلالة قاطعة على نزول عيسى :

إحداهما : قوله تعالى في سورة النساء « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً »

والأخرى : قوله تعالى في سورة الزخرف « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها »

* * *

ما غاب عنا ، وقت أن كتبنا الفتوى ، النظر في هاتين الآيتين وفي درجة دلالتهما على نزول عيسى ، وما غاب عنا ما ذكره المفسرون من الآراء والأفهام المختلفة فيهما ، وما كنا نحسب — ونحن بصدد البحث عن دليل قاطع يحكم بالكفر على مخالفه — أن أحداً يعرض لهاتين الآيتين وقد رأى فيهما ما رأينا من أقوال المفسرين المختلفة في ذاتها ، والمختلفة في ترجيحها ، فيقول إنهما نصان قاطعان في نزول عيسى ! ولذلك آثرنا إذ ذاك أن نترك الكلام عليهما اكتفاء بظهور درجتهما في الدلالة لكل من يقرأ شيئاً من كتب التفسير . ولكنهم أبوا إلا أن يذكروا هاتين الآيتين ويزعموا أنهما تدلان دلالة قاطعة على نزول عيسى ، فلسنا نجد بداً من أن نضع بين يدي القراء خلاصة لآراء المفسرين فيهما ، ثم نقفي على ذلك بما نرى ليتبين الحق واضحاً :

الآية الأولى :

للمفسرين في هذه الآية آراء مختلفة وأشهرها رأيان :

الأول : أن الضميرين في « به » و « موته » لعيسى . والمعنى : ما من أحد من أهل الكتاب يهوديهم ونصرانيهم إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى . قالوا : أخبرت هذه الآية أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل موته ، وهم لم يؤمنوا به إلى الآن على الوجه الذي طلب منهم ، فلا بد أن يكون عيسى إلى الآن حياً ، ولا بد أن يتحقق هذا الإيمان به قبل موته ، وذلك إنما يكون عند نزوله آخر الزمان

الثاني : أن الضمير في « به » لعيسى ، وفي « موته » للكتابي . والمعنى : أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى . والإخبار بإيمان أهل الكتاب على هذا الوجه لا يتوقف على حياة عيسى الآن ، ولا على نزوله في المستقبل ، لأن المراد أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبي الله وابن أمته

هذان رأيان مشهوران في الآية عند المفسرين ، ولكل منهما من يرجحه . وقد ساقهما ابن جرير ، وذكر الآثار التي تدل لكل منهما ثم قال : « وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى . وإنما قلنا ذلك لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة ؛ فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب ألا يرث الكتابيَّ إذا مات إلا أولادُه الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام ... وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره ، لأن من مات مؤمناً بعيسى فقد مات مؤمناً بمحمد . . . وقد أجمع أهل الإسلام على أن كل كتابي مات قبل إقراره بمحمد صلوات الله عليه ، وما جاء به من عند الله فحكوم له بحكم ما كان عليه أيام حياته غير منقول شيء من أحكامه في نفسه وماله وولده صغارهم وكبارهم بموته عما كان عليه في حياته ، فدل هذا على أن المعنى : إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وإن ذلك عند نزوله »(1)

ويريد ابن جرير بهذه العبارة أن الإيمان بعيسى يلزمه الإيمان بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، لأن رسالة محمد مما جاء به عيسى ، وعليه يكون من آمن بعيسى مؤمناً بمحمد فيكون

(1) عن ابن جرير ببعض تصرف

مسلماً له أحكام المسلمين فى التوارث والصلاة عليه وغسله ودفنه فى مقابر المسلمين ... الخ . وهذا يخالف إجماع المسلمين على عدم ثبوت شىء من هذه الأحكام للكتابى الذى يموت ، وإذا كان هذا يخالف الإجماع فقد بطل أن يكون معنى الآية ما ذكر ، وكان «أولى الأقوال بالصحة والصواب» فى نظر ابن جرير هو الرأى الأول الذى لا يترتب عليه مصادمة الإجماع

إلى هنا ، وقبل مناقشة ابن جرير فيما رجح به ، ليس فى الأمر أكثر من أن مفسراً من بين المفسرين قد اختار رأياً من رأيين حكاهما عن أهل المأثور ورجح ما اختاره بما رأى ، ولكن القوم تلقفوا هذا من ابن جرير وصوروه بما يريدون موهمين الناس أن الآية صارت بترجيح ابن جرير دليلاً قاطعاً على ما يزعمون من نزول عيسى . ونحن نلخص ردنا عليهم فى النقط الآتية التى غفلوا أو تغافلوا عنها :

١ — إن ابن جرير يذكر احتمالين فى الآية ، ويذكر الآثار الدالة لكل منهما ، ويصل بالرأى الثانى إلى ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، فكيف يعد نصاً قاطعاً غير محتمل لأكثر من معنى ما خالف فيه ابن عباس ومجاهد وغيرهما ؟

٢ — إن ابن جرير كما وجه الرأى الذى اختاره وجه الرأى الثانى أيضاً «بأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل فى دينه» . وهذا فيما أرى هو الذى جعل ابن جرير يقتصد فى التعبير عن ترجيح ما اختاره فيقول : «وأولى الأقوال» دون أن يقول مثلاً : والرأى الصحيح

٣ — إن يكن ابن جرير قد رجح أحد المعنيين فقد رجح غيره من العلماء المعنى الآخر ومنهم الإمامان : النووى والزمخشرى وغيرهما . قال ابن حجر فى فتح البارى : «ورجح جماعة هذا المذهب — يريد الثانى — بقراءة أبى بن كعب «إلا ليؤمنُنّ به قبل موتهم» أى أهل الكتاب . قال النووى : معنى الآية على هذا : ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان فى تلك الحالة كما قال تعالى : «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن» ثم قال : وهذا المذهب أظهر لأن الأول يخص الكتابى الذى يدرك نزول عيسى وظاهر القرآن عمومه فى كل كتابى فى زمن نزول عيسى وقبله»

وقد ذكر صاحب الكشاف قريباً من هذا وأطال فيه ونقله عنه الإمام الرازى فى تفسيره فليرجع إليهما من شاء

بهذا يتبين : —

١ — أن هذه الآية ليست نصاً فى معنى واحد حتى تكون دليلاً قاطعاً فيه

٢ — أن ما تمسك به ابن جرير فى ترجيحه للرأى الأول غير مسلم له ، فقد بناه على أن المراد بالإيمان فى الآية هو الإيمان المعتبر الذى ينفع صاحبه وتترتب عليه الأحكام ، مع أنه إيمان — كما قرره العلماء ، ومنهم ابن جرير نفسه — لا يعتد به ولا يقام له وزن ولا تترتب عليه أحكام لأنه إيمان جاء فى غير وقته

٣ — أن من ينظر فيما تمسك به أصحاب المذهب الثانى : من العموم الواضح فى قوله «وإن من أهل الكتاب» ومن قراءة أبى «إلا ليؤمنُنّ به قبل موتهم» ومن أن إيمان المعاينة لا ينفع صاحبه عند الجميع ، لا يسعه إلا أن يخالف ابن جرير فيما ذهب إليه وأن يقول مع النووى عن المذهب الثانى : «وهذا المذهب أظهر» .

والنتيجة الحتمية لهذا كله أن الآية ليست ظاهرة فيما يقتضى نزول عيسى فضلاً عن أن تكون قاطعة فيه !

الآية الثانية

للمفسرين فى هذه الآية أيضاً آراء مختلفة ، ومن هذه الآراء أن الضمير فى قوله تعالى : «وإنه لعلم للساعة» راجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم أو إلى القرآن ، ولكننا نستبعد هذا ونرى أن الضمير راجع إلى عيسى كما يراه كثير من المفسرين ؛ وذلك لأن الحديث فى الآيات السابقة كان عن عيسى . ومع ذلك نجد خلافاً آخر يصوره لنا بعض المفسرين بقوله : «وإنه : أى عيسى لعلم للساعة : أى أنه بنزوله شرط من أشراطها ، أو بحدوثه بغير أب ، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث»[1]

ومن ذلك يتبين أن فى توجيه كون عيسى علماً للساعة ثلاثة أقوال :

---

(١) تفسير أبى السعود

الأول : أنه بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة
الثانى : أنه بحدوثه من غير أب دليل على إمكان الساعة
الثالث : أنه بإحيائه الموتى دليل على إمكان البعث والنشور
ولقد كان فى احتمال الآية لهذه المعانى التى يقررها المفسرون كفاية فى أنها ليست نصاً قاطعاً فى نزول عيسى ، ولكننا لا نكتفى بهذا بل نرجح القول الثانى وهو « أن عيسى بحدوثه من غير أب دليل على إمكان الساعة » معتمدين فى هذا الترجيح على ما يأتى :

١ – إن الكلام مسوق لأهل مكة الذين ينكرون البعث ويعجبون من حديثه ، وقد عنى القرآن الكريم فى كثير من آياته وسوره بالرد عليهم واقتلاع الشك من قلوبهم . وطريقته فى ذلك أن يلفت أنظارهم إلى الأشياء التى يشاهدونها فعلاً أو يؤمنون بها « يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب » « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » . « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها . إن ذلك لمحيي الموتى » وقد عرضت سورة الزخرف التى وردت فيها هذه الآية إلى هذا المعنى فى أولها « والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون »

وهذه هى الطريقة المستقيمة المنتجة فى الاستدلال المقتلعة للشك ، أما أن يلفت أنظارهم إلى أشياء يخبرهم هو بها كنزول عيسى ، وهى أيضاً فى موضع الشك عندهم ، ويطلب منهم أن يقتلعوا بهذه الأشياء ما فى قلوبهم من شك فذلك طريق غير مستقيم ؛ لأنه استدلال على شىء فى موضع الأنكار بشىء هو كذلك فى موضع الأنكار !

٢ – ومما يؤيد هذا قول الله تعالى تفريعاً على أن عيسى علم للساعة : « فلا تمترن بها » فإنه يدل على أن الكلام مع قوم يشكون فى نفس الساعة ، والعلامة إنما تكون لمن آمن بها وصدق أنها آتية لا ريب فيها ؛ أما الذى ينكر وقوعها أو يشك فيها فهو ليس بحاجة إلى أن يتحدث معه عن علاماتها ، بل لا يصح أن يتحدث فى ذلك معه ، وإنما هو بحاجة إلى دليل يحمله على الإيمان بها أولاً ليمكن أن يقال له بعد ذلك : هذا الذى آمنت به علامته كذا

٣ – ثم إنه من الأصول المقررة فى فهم أساليب اللغة العربية أن الحكم إذا أسند فى اللفظ إلى الذات ، ولم تصح إرادتها معنى ، قدر فى الكلام ما كان أقرب إلى الذات وأشد اتصالاً بها . فإذا طبقنا هذه القاعدة على قوله تعالى : « وإنه لعلم للساعة » وعلمنا أن ذات عيسى من حيث هى لا يصح أن تكون مرادة هنا ، وإنه لا بد من تقدير فى الكلام ، ثم وازنا بين النزول ، والخلق من غير أب ، وإحياء الموتى ، فلا شك أننا نجد الخلق من غير أب أقرب هذه الثلاثة إلى الذات ، لأنه راجع إلى إنشائه وتكوينه لا إلى شىء عارض له ، وحينئذ يتعين الحمل عليه ويكون معنى الآية الكريمة : « لا تشكوا فى الساعة ، فإن الذى قدر على خلق عيسى من غير أب قادر عليها »

وبهذا يتبين :
أولاً : أن الإخبار بنزول عيسى لا يصلح دليلاً على الساعة يقتلع به ما فى نفوس المنكرين لها من شك ويصح أن يقال عقبه (فلا تمترن بها)
وثانياً : أن جعل عيسى بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة لا يستقيم هنا ، لأن الحديث مع قوم منكرين للساعة فهم بحاجة إلى دليل عليها ، لا مع قوم مؤمنين بها حتى تذكر لهم علاماتها
وثالثاً : أن أقرب ما تحمل عليه الآية هو المعنى الثانى الذى بيناه .

***

أما بعد فهذه هى الآيات التى أوردوها فى شأن عيسى من رفعه أو نزوله . ولا شك أن القارئ المنصف بعد عرضها على هذا النحو وتطبيقها على المبادئ التى ذكرنا لا يخامره شك فى أنه « ليس فى القرآن الكريم ما يفيد بظاهره غلبة ظن بنزول عيسى أو رفعه فضلاً عما يفيد القطع الذى يكون العقيدة ، ويكفر منكره كما يزعمون »

محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

اتهم حامد منصور محمد جزار بالسيدة زينب بأنه فى ١٠ – ٧ – ٤٠ باع لحماً بأزيد من التسعيرة وحكم عليه استئنافياً من محكمة مصر فى الجنحة رقم ١٧٥٣٦ سنة ٩٤٠ فى ٣٠ – ١٢ – ٩٤٠ بغرامة ١٥٠ قرش صاغ وتعليق الحكم على باب متجره والمحافظة والنشر على نفقته فى جريدتى الرسالة والجامعة الاسلامية .

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

حياة أسيوط — الدفع مقدماً . . . — بلادة أدبية ! — المارك القلمية فى مصر — الطبيعة والناس

حياة أسيوط

كان من المنتظر أن يتأذى قومٌ من الكلمة التى كتبتها عن أسيوط ، وفى دفع تلك الكلمة تلقيت خطابين كريمين ، أحدهما من الأستاذ أحمد فتحى القاضى المحامى ، والثانية من الآنسة «ليلى» فاذا أقول فى مناقشة هذين الخطابين ؟

أذكر أولاً أن لى غاية من التجنى على أسيوط ، فأنا أريد التنبيه إلى أن هذه المدينة لا تأخذ حظها من الاهتمام الواجب لمدينة فى مثل مكانتها التاريخية . وأنا أريد أيضاً تأييد الرأى الذى يقول بإنشاء جامعة فى أسيوط لتسترد المدينة حيويتها العلمية والأدبية . وهل ينكر أحدٌ أن من واجب الكاتب الوطنى أن يدعو قومه إلى المبادرة بتزويد الحواضر الكبيرة بأزواد العلوم والآداب والفنون ؟

إن أكابر أسيوط يهجرونها طائعين ، رغبةً فى الحياة القاهرية ، حياة السيطرة على المجتمع السياسى ، وأنا أحب أن تعيش العصبيات الإقليمية على نحو ما كانت عليه قبل سنين ، وأتمنى أن يرى الرجل فى بلده من قوة الذاتية ما يغريه بالزهد فى صوت القاهرة الصخّاب

وتقول الآنسة « ليلى » إنى لو درست حياة أسيوط بعناية لأدركتُ أنها أعظم من سنتريس . وأقول إن البلاد تحيا بحب أهلها ، وأنا أحب بلدى بأكثر مما يحب الأسيوطيون بلدهم الجميل

حدثنى أحد أساتذة الكلية الأمريكية بأسيوط قال : إن الكلية دعت معالى الأستاذ نجيب باشا الهلالى ليكون خطيب الحفلة الختامية فى هذه السنة فتفضل بالقبول ثم اعتذر بعد ذلك

فقلت : الكلية لم تراع ظروف الخطيب ، فإن الهلالى باشا نفسه حدثنى أنه لم يزر أسيوط منذ عشر سنين ، ومن المؤكد أن هذه المدة الطويلة مرّت فيها مناسبات تفرض عليه زيارة وطنه الأول ، مناسبات عائلية فى الأفراح أو الأتراح ، فكان يكتفى بالبرقيات فى التهنئة أو العزاء ، فمن العسير عليه أن يعود فى مناسبة وقتية لإلقاء خطاب يستطيع إرساله بالبريد إن أراد

وأعجب ما فى هذه القضية أن للهلالى باشا مصالح فى أسيوط تعطلت بسبب انصرافه عن زيارة تلك المدينة ، فله دار فخيمة تعرّضت للتصدع بسبب هذا الانصراف

قلت لصاحبى وأنا أحاوره : هل تعرف أن للديار أرواحاً يؤذيها الجفاء ؟

فقال : المعروف أن الديار مجموعة أحجار وأخشاب ، فهى جمادات لا تتأثر بالهجران

قلت : هذا وهمٌ فى وهم ، فالديار تتأذى بالهجر كما يتأذى الأحباب ، وليس فى الوجود كائنٌ بلا روح ، ولو كان فى الاصطلاح من الجماد

يستطيع الهلالى باشا أن يعتذر لداره بالشواغل التى تصده عن زيارة أسيوط ، ولكن لى رأياً آخر ، هو أن نجعل زيارة دورنا بالأقاليم النائية من شواغلنا الأساسية ، فلتلك الديار حقوق ، وهى أيضاً من ضمائر الوطن الغالى

وبماذا يجيب الهلالى باشا لو دعوته إلى بناء دار بأم درمان أو الخرطوم ؟

لو التفت هذه الالتفاتة لكان من السهل عليه أن يخلق لمصر صداقات جديدة فى السودان

بإحدى المحاضرات الافتتاحية فى الكوللييج دى فرانس ألقى علينا المسيو ماسّينيون محاضرة عن مشاهداته فى إيران ، وبعد المحاضرة سألته عن السبب فى كثرة أسفاره إلى إيران ، فأجاب : ألا تعرف أن لى داراً هنالك ؟

وفى مقابل هـذا أذكر أن كثيراً من كبرائنا باع أملاكه فى بلده لتكون ثروته فى القاهرة ، عساه يشرف عليها بلا عناء

ومع هذا يعاب علىّ أن أقول إن أكابر أسيوط يهجرون أسيوط!

يجب أن نقول ونقول ثم نقول بأن الإقبال على الحياة القاهرية سيؤذى الأقاليم المصرية أشد الإيذاء

هذا مع أن النيل يرشدنا إلى الواجب فى كل لحظة باختياره

الموفّق لأطايب البقاع ، ولو سايرْنا النيل فى هواه لكان عندنا مئات من غُرر البلاد

وهل ننسى أننا لم ننشىء مدينة جيلة فى « القناطر الخيرية » وهى بقعة لا نظير لها فى أى أرض ؟

وقطار الإسكندرية يمر بنا على مدينة اسمها « كفر الزيات » على موقع من أجل مواقع النيل ، فما تلك المدينة ؟ ومتى تخطر فى البال ؟

والنيل بين زفتى وميت غمر على جانب العَظَمة الطبيعية والجمال الأصيل ، فأين من فكر فى الاستظلال بتلك العظمة وذلك الجمال ؟

إن الحمائم والعصافير تعرف من سرائر بلادنا ما لا نعرف ألم أحدثكم مرة أن لها مغانى فى أكثر البقاع المصرية ؟

لكل مكان فى مصر روح وأرواح ، وبلادنا نشأتْ أول ما نشأت على فِطرة الاستقلال ، فقد كان لكل قطر من أقطار مصر سيادة محلية ، وكان بكل قطر من أقطار مصر سادة يتعالون باسم الشرف والجود ، فكيف نحوّل هذه القُوى إلى بقعة واحدة هى البقعة القاهرية ؟

هل نتعزّى بأن يقال إن القاهرة أعظم مدينة فى الشرق ونحن نعرف أنها تجنى على الحواضر المصرية بغير حق ، كما تجنى أسيوط على منفلوط ؟

وهنا يجيء حديث المناطق فى وزارة المعارف ، وقد سمعت أن نظام المناطق فى طريق الإلغاء

وأقول بصراحة إن أول وزارة عرفت نظام المناطق هى وزارة الداخلية ، وهى لا تستطيع التخلى عنه بأى حال ، لأنه أفضل الأنظمة فى صيانة الحياة الداخلية ، ولأن المشرفين عليه كانوا السبب فى تنظيم حواضر البلاد

وإذا استطاعت وزارة المعارف أن تمنح ممثليها بالأقاليم قوة تشبه القوة الممنوحة لممثلى وزارة الداخلية فستظفر الأقاليم بإصلاحات قائمة على أساس الفهم والذوق ، وقد تفك الحصار المضروب على رجال التعليم ، وهم رجال عوّقتهم الظروف عن تحقيق ما يريدون فى إصلاح الأقاليم

هل يعرف أحد كيف يجوز أن يكون ممثل وزارة الداخلية هو الرجل الأول فى المديرية ، ولا يكون مثل هذا الحظ لممثل وزارة المعارف ؟

نحن إخوة ، فكيف نفترق فى الواجبات ولم نفترق فى الحقوق؟

ما الذى يمنع من إعطاء مدير التعليم فرصة الإصلاح الممنوحة لمدير المديرية ؟

أنا أوجه القول إلى وزير المعارف ، وأسأله برفق عن تعطيل مواهب رجال التعليم فى الأقاليم ، وفى مقدورهم أن يخدموا الإصلاح خدمات عظيمات ؟

لقد اقترحت أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول ، ليكون المعلم هو الرجل الأول ، فهل كنت فى هذا الاقتراح من المسرفين ؟

إن كان ذلك فأنا أطالب معالى وزير الأشغال بأتعابى ، وقد وجهت إليه كلاماً عن « نفَق شبرا » يستحق ألوفاً من الجنيهات فليدفع الأتعاب قبل أن أقاضيه بمحكمة مصر الجديدة ... وهل فى مصر الجديدة محكمة أهلية ؟

هذا إشكالٌ جديد ، وسأخاصم فيه وزير العدل بعد حين !

ثم ماذا ؟ ثم يبقى القول فى رد ما جاء بالخطابين الكريمين ، خطاب ابن منفلوط ، وخطاب بنت أسيوط ، فإلى اللقاء !

الدفع مقدماً ... !

من العبارات المألوفة فى البيع والشراء عبارات : الدفع مقدماً ، والدفع فوراً ، والدفع بالتقسيط

والمفهوم أن الدفع مقدماً أدل على النفاسة من الدفع فوراً ، أما العبارة الثالثة فهى شاهدة بهوان المعروض . وكل معروض مهان

ولكن ما الرأى إذا كان التقسيط من تلطف البائع ، لا من هوان المبيع ؟

ما الرأى إذا كانت السِّلعة المبذولة غنيمة وجدانية لا تقوَّم بالمال ، وإنما تقوَّم بقصيدة أو مقالة تؤخذ أقباسها من لهيب الروح؟

ألا يكفى أن تصبح ذمة الكاتب والشاعر فى غنى عن الضمان؟

سأرى كيف أصنع فى سداد الديون بالتقسيط . ولعلى أسارع ليكون من حقى أن أطمع فى غنائم جديدة من غنائم الوجدان ، فى المدينة التى قال فيها أحد الشعراء :

ولا عيب فيها غير أن نسيمها ... يزيد سمير القلب وقداً إلى وَقد

بلادة أدبية

هي بلادة الأدباء الذين يسألون من وقت إلى وقت عن السبب في خمود نار الخصومة بيني وبين الدكتور طه حسين . وإني لأنظر فأرى لهم غاية من تأريث تلك الخصومة ، لأنها تشفي صدوراً يعجز أصحابها عن الوقوف موقف الخصماء

إن خصومتي للدكتور طه حسين خصومة أدبية لا شخصية ، وسأخاصمه كلما لاحت فرصة لنقد ما يصدر عن قلمه من آراء ، وهو لا يزال في الميدان فليس من البعيد أن أرجع إليه بعد أسبوع أو أسابيع

المهم هو تسجيل هذه الظاهرة الغريبة ، ظاهرة البلادة الأدبية عند بعض الأدباء البهاليل ، فما الذي يصدهم عن نقد الدكتور طه بأقلامهم إن كانوا يرون في مذهبه الأدبي شيئاً من الاعوجاج ؟

إن الذين يتوهمون أن في مقدورهم أن يثيروني على الدكتور طه حسين بمثل ما توسل به أحدهم من النمائم لفي ضلال ، فما يستطيع قلمي أن يصول بغير الحق ، ولو في مناوشة أعدى أعدائي، على فرض أن الدكتور طه من الأعداء ، وله في قلبي مكان

المعارك القلمية في مصر

لخصت مجلة الصباح الدمشقية ما دار بيني وبين الأستاذ عباس العقاد من صيال ، ثم قالت :

« هذا نمط من المعارك القلمية التي تثور في مصر اليوم ، ويمثل هذا النقد اللاذع يتراشقون »

والجواب حاضر ، فمصاولة الأدباء المصريين بعضهم لبعض لا تغض من النهضة الأدبية في الديار المصرية ، وإنما هي شاهد صادق على حيوية الأدباء المصريين

قلت مرة ومرات : إننا نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

فإن شاء رفاقنا في دمشق أن يعدّوا الاختلاف من عيوبنا فهم مخطئون

ألم أقل لكم : إن السلام ضربٌ من الموت ؟

الطبيعة والناس

في اللحظات التي يتزحزح فيها برد الشتاء من وضع إلى وضع تبدأ الطبيعة بإعداد الخلائق الجديدة في عوالم الشجر والنبات والطير والحيوان

والأمر كذلك في حياة الناس ... ألم تسمعوا بهجوم الربيع في دنيا الحرب ؟

كان ذلك لأن الربيع يوقظ القُوى النافية ، قُوى الحب والبغض ، والصلح والقتال

أكتب هذا وقد سمعت ما سمعت وقرأت ما قرأت من أخبار العراك في مجلس النواب . فما دلالة هذا العراك ؟ وهل يحط من أقدارنا في أنظار أهل الشرق والغرب ، كما قيل ؟

الرأي عندي أن مصر غنمت بهذا العراك غنائم لم تكن تخطر في البال ، فقد ظهر جليًّا أن عندنا خطباء من الطراز الأول في اللغة العربية ، وظهر جليًّا أن عندنا رجالاً من أصحاب الأعصاب الحديدية . وهل من القليل أن يكون عندنا وزراء يقضون نهارهم في مكاتبهم على خير حال من النشاط ، ثم يقضون صدر الليل في مصاولات برلمانية تفلّ الحديد ؟

ماذا يقول الجيل المقبل حين يرى مضابط البرلمان ؟ ماذا يقول ؟

كل ما أتمناه أن تدوم هذه اليقظة العقلية والروحية على نحو ما رأينا من القوة والحيوية ، ليعرف الجيل المقبل أن آباءه كانوا أحياء في الأرواح والعقول ، وأنه جدير بأن يخلفهم في ميادين المنطق والفكر والبيان

أظهرُ ما عِيبتْ به تلك المصاولات هو صدور ألفاظ نابية على ألسنة بعض النواب ، فهل تفردنا بخلق تلك الألفاظ ، ولها نظائر في جميع اللغات ؟ وهل كان مجلس النواب مجلس سَمَر لا يدور فيه غير مصقول الأحاديث ؟

إن خصوم الحكومة قالوا فيها ما قالوا ، وقالت فيهم ما قالت ، وعرف الجمهور عن طريق العلانية كل شيء ، برغم قيام الأحكام العرفية •

إن موقفي موقف المؤرخ لعهد من عهودنا الأدبية في البلاغة البرلمانية ، وهي بلاغة وصلتْ إلى غاية من أرفع غايات البيان ، وشهدت بأن للفكر في مصر أقطاباً وأساطين .

زكي مبارك

٢ ـ أدباؤنا والمسرح

للأستاذ دريني خشبة

تكلمنا فى الكلمة السابقة عن السبب الأول من أسباب عقم الإنتاج المسرحى بين أدبائنا المصريين ، وذكرنا أن هذا السبب الأول هو تأخر الترجمة فى مصر ، وضآلة النقل الفنى المسرحى ، إن لم يكن انعدامه ... ثم وزعنا جريرة هذا التأخر فتكلمنا عن نصيب كل من كبار أدبائنا ، وكلية الآداب ، ووزارة المعارف ممثلةً فى إدارة الترجمة من هذه الجريرة ...

٤ — وتأتى بعد ذلك جريرة دور النشر ، ودور النشر مع الأسف الشديد يملكها ويسيطر عليها تجار لا يعرفون للأدب طعماً ولا لوناً ، ولا يفهمون منه إلا أنه مغنم لهم ومغرم على الأدباء المساكين ، فهم دائماً يلقون فى روع الأديب أن طبع كتابه مجازفة قد تجر على داره الخسارة إن لم يدع أنها تجر عليها الخراب والإفلاس ، وأنه ـ أى صاحب الدار يريد أن يضحى والسلام ، فإما أفلحت التضحية وإما (آهى خدمة للأدب والسلام ! !) ـ والسلام الذى يتمشدق به هذا التاجر أو ذاك من أصحاب دور النشر هو السم الذعاف الذى يجرعه للأدباء . على أننا لا ندرى لماذا تقف لجان الترجمة والتأليف والنشر من شباب الأدباء نفس الموقف الذى تقفه منهم دور النشر التجارية ، مع ما تبذله الحكومة لهذه اللجان من المعونات المتواضعة أحياناً السخية أحياناً أخرى ؟ ولا ندرى أيضاً لماذا تتفشى روح البيرقراطية الأدبيـة بين السادة القائمين بأمر هذه اللجان ؟ إن الشباب من الأدباء يداولون فيما بينهم ألواناً من الشكاوى التى لها مايبررها بلا ريب ، وقد أثبتت أحوالنا الأدبية أن مشايخنا الأدباء المصنفين لا يصلحون بحال للانتاج المسرحى لما صح من أنهم عاشوا أعمارهم الطويلة المباركة هذه ولم يلتفتوا قط إلى أهمية الأدب المسرحى بدليل أنهم لم ينتجوا فيه شيئاً قط ولم يترجموا له شيئاً قط . والذى لا شك فيه هو أن الشباب من الأدباء أقدر على هذا كله من أساتذتهم أدباء أمس الدابر . فبالى أن ينظم أدباء الشباب أمورهم يجب أن يتقدموا إلى الدولة بطلب المعونة التى تبذلها لمشايخ الأدباء ، ولكن عليهم قبل ذلك أن يستعدوا ... فلا يتقدموا لطلب هذه المعونة وأيديهم فارغة ، وإلا أضحكوا الدنيا كلها عليهم ... وإذا هم أقبلوا على نقل المسرحيات الأجنبية إلى اللغة العربية فإنهم بذلك يؤدون خيراً مزدوجاً لنهضة المسرح المصرى أولاً ولأنفسهم ثانياً .

٥ — أما نصيب أغنيائنا من هذه المسئولية فنحن نسكت عنه ، ثم نفضى ، لأننا أعرف بالنتيجة ، ولكنها فرصة طيبة للتكلم عن نصيب الأغنياء فى بعض الأمم وفى عصور التاريخ المختلفة فى إحياء النهضة الأدبية على العموم ، والأدب المسرحى على الخصوص . ففي اليونان القديمة كان الشاعر من شعراء المآسى ينظم مأساته ثم لا يذهب إلى بيوت الأغنياء كى يبذل لديهم ماء وجهه ابتغاء أن يتولى أحدهم الإنفاق على إخراج هذه المأساة ، وكان إخراجها يقتضى القناطير المقنطرة من المال ، بل كان الأديب لا يلبث أن يذيع فى الأوساط الأدبية أنه يوشك أن يتم مأساته التى نظمها فى موضوع كذا حتى يتهافت عليه الأغنياء يعرضون العروض السخية لكى يتم لأحدهم شرف إخراج هذه المأساة ... وإذا علمنا أن كلاً من إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيذز وأرستوفان (وعشرات غيرهم من رجال المسرح اليونانى) قد ألف أكثر من مائة مأساة أو ملهاة ، وأن الدرامة الواحدة كانت تكلف الموسر الذى يتولى الإنفاق على إخراجها أكثر من ثلاثة آلاف من الجنيهات ، عرفنا كيف كان أغنياء اليونانيين يجودون بملايين الجنيهات . ولا نقول بمئات الألوف ـ فى سبيل تشجيع الأدباء والنهضة المسرحية فى ذلك العصر اليونانى القديم ـ ولا يحسبن القارئ أننا ننفخ فى كلمتنا هذه روح المبالغة بذكر تلك الأرقام التى كان سراة اليونانيين يسخون بها على مسارحهم وتيسير أحوال شعرائهم ، فقد كان الشاعر ومساعداه ورجال الخورس ـ ويتراوح عددهم بين الخمسين والثمانين ـ يأكلون ويشربون ويسكنون ويقبضون

أحسن الرواتب لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر حتى يتم إخراج الرواية على حساب هذا المثرى كما كان يدفع لهم ثمن الملابس التمثيلية (أربعة أطقم لكل منهم) وأثمان الملابس التنكرية التي كانت مرتفعة جداً . فإذا بدأ التمثيل تولت الدولة الإنفاق على هؤلاء الممثلين وإعطائهم رواتب حسنة ، كما كانت تسبغ على الشاعر أجزل المكافآت (غير راتبه الخاص)

كان هذا في اليونان من أربعمائة وألفين من السنين ...

أما في أوربا ، فقد لقى المسرح ما يقرب من هذا التشجيع في جميع الممالك وفي فرنسا وانجلترا خاصة ... ففي انجلترا مثلاً كانت تتكون النقابات التمثيلية Gilds أو Guilds من أرباب الحرف المختلفة ، وذلك بعد أن انتقل زمام التمثيل إليها من أيدى رجال الأكليروس في الطور الثاني من أطوار حياة المسرح الإنجليزية . وكان لكل طائفة من الصناع نقابتها التمثيلية الخاصة بها ، فثمة نقابة للدباغين وثانية للسقائين وأخرى لتجار الأقمشة ... الخ . وكان أصحاب رؤوس الأموال ومديرو المصانع ينفقون على هذه النقابات ويمدونها بالأموال الضخمة لما اضطلعت به من إخراج الروايات القديسية أو الكرامية Miracle Plays ، فكانت النقابات بدورها لا تألو جهداً في الإنفاق عن سعة على الإخراج حتى تبلغ به حد الإتقان استعداداً للمواسم التمثيلية التي تشبه ما كان يقام منها عند اليونانيين القدماء في أعيادهم الدينية ، والتي كانت تقام في الأعياد الدينية الإنجليزية أيضاً ، مثل عيد الميلاد وعيد الفصح وأحد المنصرة وعيد الجسد أو القربان المقدس ... الخ . وقد نالت نقابات بعض المدن شهرة كبيرة أدت إلى تنافس شديد بين المدن الإنجليزية كي يبز بعضها بعضاً في الكمال التمثيلي . وكان هذا التنافس الشديد سبباً في أن تضاعف النقابات ، وبالأحرى الأغنياء من أصحاب رؤوس المال ، ما ينفقون على فرقهم التمثيلية ... فهذا اتحاد نقابات لندن ينافس اتحاد كوفنتري ، كما ينافس اتحاد دبلن اتحاد يورك ، وكما تتنافس شستر ولانكستر وبرستون ... وهكذا كانت جميلة رائعة حرب السلام والفن والفكر والأدب هذه بين سائر المدائن الإنجليزية في فجر النهضة التمثيلية في القرن الرابع عشر .

وأظرف من هذا التنافس بين المدن ، التنافس المحلي الذي كان ينشب بين أحياء المدينة الواحدة لكي يفوز أحدها بتمثيل الرواية فيه دون الأحياء الأخرى ، فكانت الأحياء تتبارى في إجزال العطاء لفرق النقابات كي تفوز بهذا الشرف ، وكانت الفرق مطلقة الحرية في قبول العطاء الأسخى ، وكثيراً ما كانت العطاءات تنيف على الخمسمائة جنيه للحفلة الواحدة ، وكثيراً ما كان العرض يستمر لمدة ثمانية أيام متتالية للرواية الواحدة كما حدث في رواية « طوفان نوح » التي مثلت في إسخلين بلندن سنة ١٤٩ في عهد الملك هنري الرابع . فهاتان منافستان . ثم كانت هنالك منافسة من نوع ثالث بين المنازل نفسها ، فالمنزل الذي يساهم في العطاء بأكبر مبلغ هو الذي يفوز بتمثيل الرواية أمامه ، وكان أصحاب المنازل يتبارون من أجل ذلك في الدفع حتى كان أحدهم يدفع قرابة الخمسمائة جنيه حتى لا ينتصر عليه في مضمار المباهاة أحد أعيان الناحية !! وكانت أجور الممثلين والمنشدين Choristers مرتفعة جداً حتى كانت تصل إلى خمسة جنيهات عن الحفلة الواحدة وذلك بعملتنا الحاضرة ، وقد كان ذلك سبباً في دخول الاحتراف المسرحي في انجلترا . ولما حدث هذا الإقبال العظيم من الشعب على شهود التمثيل اضطرت النقابات إلى المؤلفين الذين ينتجون الروائع في سرعة فنشأ الاحتراف في التأليف أيضاً . غير أن مؤرخي المسرح الإنجليزي يقررون بكل أسف أن النقابات كانت تمتص دماء المؤلفين بالثمن البخس ، وكان عنصر الربا يدخل في المعاملة بينها وبين المؤلفين لتذلهم إذلالاً ، وتربط حياتهم بها ربطاً محكما حتى لا تغربهم النقابات الأخرى بالعطاء الأجزل ... وذلك من قبيل ما تبديه دور النشر عندنا من جشع

ذلك بعض ما كان يسخو به الأغنياء الإنجليز لتعضيد المسرح وما كان يحدث أعظم منه في فرنسا ، فمتى يصل هذا الصوت إلى أغنيائنا فيشاركوا في صناعة الذوق العام لهذه الأمة بإحياء المسرح المصري ؟

٦ – وإذا كنا نطمع أن يعضد أغنياؤنا الأدب المسرحى — وسيضحك القراء جميعاً حين يقرأون هذا الهذيان ! — فنحن نطمع فى أن يتشبه أمراؤنا بأمراء أوربا فى عصر النهضة ، وذلك بحماية المؤلفين ورعاية الأدباء المسرحيين بوجه خاص . فالأمير الذى يساعد مؤلفاً أو يوفر الراحة الذهنية لشاعر ، إنما يقدم لأمته أثمن هدية فى الحياة ... إنه يقدم لها قلباً من القلوب النابضة ، وقريحة من القرائح الخصبة التى تشيع فيها النشاط وترد إليها العزة ... وكل من درس تاريخ النهضة وإحياء العلوم فى أوربا يذكر أن هذه النهضة العجيبة التى عم خيرها جميع شعوب الأرض هى من صنع أمراء فلورنسا من أسرة دى مديشى تلك الأسرة التى كانت تنفق معظم أرباحها التجارية فى شراء الكتب والمخطوطات مهما كانت أثمانها عالية باهظة ، كما كانت تحمى العلماء والأدباء ورجال الفكر ، والتى أنشأت فى فلورنسا تلك الأكاديمية الفلسفية لدراسة آراء الفلاسفة الإغريق فكانت أول منارة شع نورها فى ظلمات أوربا السادرة فى الجهالات . وستظل أسماء كوزيمو وحفيده لورنزو وابن لورنزو الثانى جيوفانى دى مديشى كواكب ساطعة على الزمن فى سماء النهضة العالمية ، فإليهم يرجع الفضل فى إحياء التراث اليونانى الخالد من فلسفة وأدب ، وذلك بما أنفقوا من حر مالهم فى سبيل الحصول على مخطوطات أفلاطون وآرسطو وأدباء المسرح اليونانى القديم ، مما قدره علماء البِبْليوغرافيا (جمع الكتب والمخطوطات القديمة) بملايين الجنيهات

كذلك يعلم كل من درس تاريخ النهضة ما كان لأمراء بافاريا وغيرها من الولايات الجرمانية من فضل على النهضة الألمانية . وكان لحماة الأدباء من لوردات انجلترا أكبر الأثر فى رعاية المسرح الإنجليزى ، وكل من له معرفة بشيكسبير يعلم تلك الصلة الخالدة التى كانت بينه وبين هنرى ريوتسلى (إرل أوف سوثمبتون) . الحق . . . أنه قد آن أن يكون للوطن حق معلوم فى الأموال المصرية التى تفتقر إليها العبقريات المصرية . ولن تنسى مصر تلك اليد التى أسداها إلى الفنون الرفيعة واحد من أبر أمرائها

وبعد ، فقد أطلنا القول فى أسباب تأخر الترجمة وما جرت إليه من تأخر الآداب المسرحية فى مصر ، وما أدى إليه ذلك من فقر الأدب العربى الحديث بالقياس إلى آداب الأمم المتحضرة ، إذ نكاد نكون الأمة الوحيدة — بين جميع الأمم — التى ليس لها أدب مسرحى تقريباً .

ومن أسباب عقمنا فى الإنتاج الأدبى المسرحى هذا التهيب الذميم الذى نتناول به تاريخنا الدينى والسياسى . والمدهش أن الأدباء إنما يخشون رجال الدين وما عساهم أن يحدثوا من ضجة إذا هم وضعوا درامات مشتقة موضوعاتها من أحداث التاريخ الإسلامى ، وما أروع أحداث هذا التاريخ ! وهذا الذى يخشاه الأدباء فى مصر ، حدث ضده فى تاريخ المسرح الأوربى الحديث ، فقد نشأ التمثيل أول ما نشأ فى أوربا فى الكنائس والبيع ، وكان الأحبار والقسيسون والرهبان والعرفاء هم الذين ابتدعوا الدرامات الانجيلية Mysteries والدرامات الكرامية Miracles وأخذوا موضوعات النوع الأول من الكتاب المقدس مع المحافظة على حرفية القصص ، كما أخذوا موضوعات النوع الثانى من خوارق القديسين ومعجزات الأنبياء وكرامات أهل التقى والورع . ولما رأى رجال الدين إقبال الشعب على شهود تمثيلياتهم الدينية هذا الإقبال العظيم فكروا فى تنشئة صبيان البيع على هذه الصناعة الجديدة فكان الاحتراف فى التمثيل ، وبذلك وجد عمل شريف عظيم لهذه الكثرة من رجال الدين - غير المتفقهين — ممن عندنا منهم آلاف مؤلفة احترفت قراءة القرآن بأبخس الأثمان على المقابر والمزارات وفى المنازل والمتاجر للتبرك مما يستنكره ديننا وتأباه كرامة الإسلام وتألم له روح نبينا العظيم ويبغضنا الله من أجله . . . فلو أن الذى حدث فى أوربا حدث بعضه عندنا لخلصنا من هذا الخزى المنتشر بيننا مما جعلنا أمة جنائزية عجيبة الأحوال ... وإذا كنا نحرص على عدم تمثيل شخصيات الرسل الكرام توفيراً للوقار الذى ينبغى لهم ، مع أن القصص العظيم

في التصوير الإسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

– ٣ –

أقام المجنون بين أهله وذويه ، يواسونه ويعطفون عليه ، ويخصونه برعايتهم وعنايتهم ، حتى تاقت نفسه إلى رؤية حبيبته ليلى ، فاصطحب بعض أصحابه المخلصين ، وذهب معهم إلى حي قبيلتها ، فوجدوها جالسة أمام بيتها مع بعض أهلها . وعرفته ليلى فحيته وحياها ، ولكنه لما أراد أن يقترب منها ليحادثها منعه ذووها . فأعاده أصحابه إلى بيت والديه مهموما حزيناً متفكراً . وظل يتفكر في أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب ، وترك محادثة الناس ، وصار في حدّ يرحمه كل من رآه من عدو وصديق ، فكان يقول[1] :

ما بال قلبك يا مجنون قد خُلعا ... في حب من لا ترى في وصلها طمعا
الحب والود نيطا بالفؤاد لها ... فأصبحا في فؤادي ثابتين معا

(١) الديوان ص ٨ — ٩ ، والأغاني ص ٣٧

ولامه أهله وعذلوه وقالوا : لا خير لك في ليلى ولا لها فيك ، فلو تزوجت واحدة من بنات عمك ، نرجو أن يذهب عنك بعض ما بقلبك من حب ليلى ، فأنشأ يقول[1] :

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... وبالشوق مني والغرام قضى ليا
أراني إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
وما بي إشراك ولكن حبها ... وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا

واشتد بالمجنون الأمر حتى خاف عليه أهله ، فذهب معه أبوه وبعض رجال عشيرته إلى والد ليلى وقالوا له[2] : إن هذا الرجل لهالك ، وإنك فاجع به أباه وأهله ، فنشدناك الله والرحم أن تزوجه ليلى ، فوالله ما هي أشرف منه ، ولا لك مثل مال أبيه ، وقد حكمك في المهر ، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل . فأبى وحلف بالله وطلاق أمها أنه لا يزوج ابنته هذا الرجل المجنون أبداً ، فقال قيس[3] :

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى ... شقيتَ ولا هنيتَ من عيشك الغضا
شقيتَ كما أشقيتني وتركتني ... أهيم مع الهلاّك لا أطعم الغمضا

(١) الديوان ص ٦٩ ، والأغاني ص ٦٨ ، وتزيين الأسواق ٦٩
(٢) الأغاني ص ٢١
(٣) الديوان ص ٥٥ ، والأغاني ٩٠ ، وتزيين الأسواق ص ٦٥

الذي جاء به القرآن هو أسمى ألوان القصص التمثيلي الذي تندق دون تقليده أعناق المقلدين ، فما بالنا جعلنا الانصراف عن ذلك عاماً بحيث شمل جميع الموضوعات الدينية والشخصيات الدينية ؟ إن في سير صحابة الرسول الكريم آيات من القصص التمثيلي لو عرفنا كيف نبرزها على المسرح لتوفرت لنا مئات من التمثيليات الرائعة التي تزري بما هو نوعها عند الأمم الأخرى . . . وأقول مرة أخرى إنني وأنا أكتب ذلك الكلام الآن ألمح هذه الابتسامات الساخرة ترقص على بعض الشفاه التي لم تشذ قليلاً ولا كثيراً من تاريخنا الاسلامي — على أنها شفاه جاهلة لا تزن ما للدين من أعمق الأثر في توجيه الأمة التدينة — على أنني أيضاً لست أريد أن نبدأ في نهضتنا المسرحية من حيث انتهت أوربا ، وإلا تكون دعوة إلى نكسة لا تليق بنا ، لكنني أرى استغلال الروائع العظيمة من سير الصحابة الذين يجلهم الشعب في إيجاد مسرحيات دينية تمس روح الشعب الدينية وتلعب على أوتاره الحساسة في سبيل النهوض به وهدايته إلى مثله الأعلى الذي يرفعه إلى منازل العز والسؤدد الأخلاقي . يجب أن نفهم روح العصر ونتخذ الوسائل المستحدثة في الوصول إلى روح الجماهير ، ويجب ألا نتخلف عن موكب الانسانية فنتخذ وسائل عقيمة غير التي يتخذها هذا الموكب وإلا كنا شذاذاً — ويجب أن نصنع ذلك ما دام لا يناقض ديننا . . . إن رواية القصة على الأسماع ليس له من السحر في النفس والأسر في القلب ما تحدثه مشاهدتها على المسرح تتحرك شخصياتها ، وتتحرك وقائعها ، وتتحرك مشاهدها ، فتثبت في الذاكرة إلى الأبد . يجب ألا نكون أمين فنسد آذاننا عن هذه الحقائق

دريني خشبة

كأن فؤادي في مخالب طائر إذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم علىّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

وسمعه أبوه الملوّح فأشفق عليه ، وقال إن ابنه عاقل وليس به جنون ، ثم التفت إليه وناداه أن يتقدم ويخاطب والد حبيبته ليثبت له عقله ورشاده ... وتقدم قيس ... وإذا بكاب ليلى يظهر بغتة ، فيعرف فيه حبيب سيدته ، ويبصبص له بذنبه ... فلم يتمالك المجنون من أن يلقى بنفسه على الأرض ، إلى جانب الكلب ، ليحتضنه ويناجيه ويسأله عن ليلى ... فكان فى ذلك أكبر دليل على جنونه . ورجع أبوه معه إلى بيته حزيناً وقد خاب أمله



(شكل ١)

ولما حاول أهله مرة أخرى أن يزوّجوه إحدى بنات عمه ، مزق ملابسه ، وفر هارباً ... إلى حيث تأتيه ذكريات ليلى ... إلى جبل التوباد ... ولما دنا منه قال[1] :

وأجهشتُ للتوباد حين رأيته وكبّر للرحمن حين رآني
وأذريتُ دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له أين الذين عهدتهم حواليك فى حفظ وطيب زمان
فقال مَضَوْا واستودعونى ديارهم ومَنْ ذا الذى يبقى على الحدثان

ثم خر مغشياً عليه ، فوجده بعض عابرى السبيل ، فأشفقوا عليه ، وحملوه إلى منزل والديه

وفى (شكل ١) اجتمع الملوّح بن مزاحم وبعض أقاربه بوالد ليلى يخطبونها لابنهم قيس . ويرى قيس وقد ألقى بنفسه على الأرض يحتضن كاب ليلى ويناجيه ، ويحاول أخوه عبثاً أن يجره إلى الخلف ليبعده عن الكلب . وجلس والد ليلى فى الوسط وقد ثبت ما قاله عن جنون قيس ، وإلى يمينه الملوّح وقد ظهر على وجهه الحزن والأسى . ووضع بعض الحاضرين أصابعهم السبابة فى أفواههم دلالة على ما اعتراهم من دهشة لهذا المنظر الغريب الغير مألوف لديهم . وهذه الصورة[1] فى مخطوط من منظومات الشاعر هاتفى الجامى ، مؤرخ سنة ٩٤١هـ (١٥٣٥م) ومحفوظ فى مكتبة الدولة ببرلين .

***

أفاق المجنون من غشيته حائل اللون ذاهلاً ، فوجد نفسه فى منزل والديه وقد جلسا إلى جانبه مع إخوته وابن عمه زياد بن مزاحم وبعض أقاربه ، يبتهلون إلى الله تعالى أن يخفف عن قيس ويرد إليه عقله . وأجال المجنون بصره فيمن حوله ، فتبيّنهم وعرف فيهم أهله وذويه ، فترك لنفسه العنان ، وجعل يبكى أشد بكاء وأوجعه للقلب ويقول[2] :

صريع من الحب المبرح والهوى وأى فتى من علة الحب يسلم

وتقدم الناس إلى أبيه أن يخرجه إلى مكة ، ويعوّذه ببيت الله الحرام ، لعل الله يعافيه مما ابتلى به . فخرج به أبوه ، وسار معه ابن عمه زياد ، الذى جعل يلازمه ويدوّن ما يقول من أشعار وأناشيد . ومروا فى طريقهم بحمامة تنوح على دوحة ، فوقف

(١) الديوان ص ٢٥ ، والأغاني ص ٥٢ — ٥٣ ، وتزيين الأسواق ص ٥٩ — ٦٠ ، وانظر أيضاً شرقى ص ٨٣

(١) منقولة عن : Arnold and Grohmann, Pl 52
(٢) الديوان ص ٤

المجنون صاغياً لما يبكى ، وتخلّف معه زياد وقال له : ماهذا الذى يبكيك ؟ سر بنا نلحق الرفقة . فأنشد المجنون(١) :

أأن هتفت يوماً بوادٍ حمامةٌ
بكيتَ ولم يعذِرك بالجهل عاذرُ
دعت ساقَ حرٍ(٢) بعدما علت الضحى
فهاج لكَ الأحزانَ إن ناح طائرُ
يقول زيادٌ إذ رأى الحيّ هجّروا
أرى الحيَّ قد ساروا فهل أنت سائرُ
وإنى وإن غالَ التقادمُ حاجتى مُلِمٌّ على أوْطان ليلى فناظرُ

ولما دخل مكة أمره أبوه أن يدعو الله أن ينسيه ذكر ليلى ويبغضها إليه، فقال المجنون : اللهم زدنى لليلى حبـاً ، وبها كلفاً ، ولا تنسنى ذكرها أبداً . فزجره أبوه وأخذه حتى أمسكه أستار الكعبة وقال له : قل اللهم أرحنى من ليلى وحبها . فتعلق المجنون بأستار الكعبة(٣) ...

ولكن قال يا ربٌّ ملكت الخير والشرَّا
فهات الضرَّ إن كان هوى ليلى هو الضرَّا
وإن كان هو السحر فلا تُبطلْ لها سحرا
ويا رب هب السلوى لغيرى وهب الصبرا
وهب لى موتة المُضْنى بها لا ميتة أخرى

(شوق)

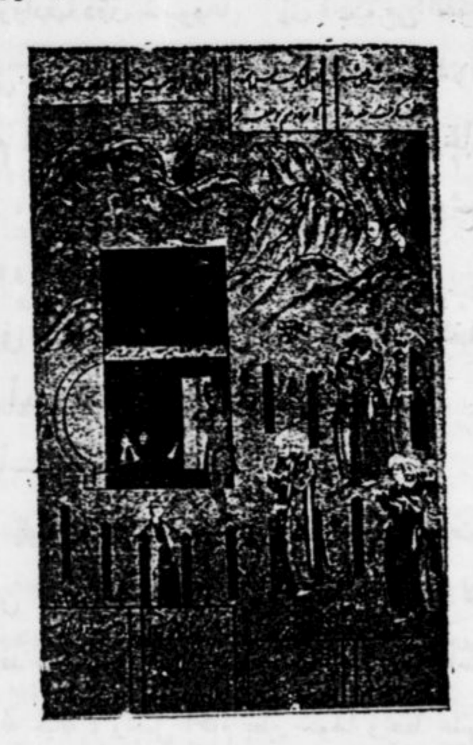
فلما سمعه أبوه رق له ، وأخذ بيده نحو « منى » يريد رمى الجمار . وكان الوقت موسم الحج، والطريق غاصة بقوافل الحجاج ، تغدو وتروح بين بيت الله الحرام وجميع بلاد العالم الإسلامى . وكان قيس يسير بين أهله متفكراً ، يستقبل الريح التى تهب من ناحية نجد ، وإذا به يسمع صوت حادٍ يتجه صوب تلك الناحية ، حيث مضارب بنى عامر على سفح جبل التوباد . ثم يتعالى الصوت قليلاً قليلاً حتى يظهر الحادى ومن ورائه قافلة

(١) الأغانى ص ٥١ — ٥٢ ، وتزيين الأسواق ص ٥٩
(٢) ساق حر : أصله صوت القمارى أنظر الأغانى ص ٥١ م ٢
(٣) شوقي ص ٣٨ — ٣٩

تسير ، وأنصت قيس ، وإذا بالحادى ينشد فى صوت عذب حنون(١) :

هلا هلا هيّا ، إطوى الفلاطيّا ، وقربى الحيّا ، للنازح الصب
جلاجل فى البيد ، شجية الترديد ، كرنة الغرّيد ، فى الفنن الرطب
هلا هلا سيرى ، وامضى بتيسير ، طيرى بنا طيرى ، للماء والعشب
طيرى اسبقى الليلا ، وأدركى النيلا ، العهد من ليلى ، ومنزل الحب
بالله ياحادى ، فتش بتوباد ، فالقلب فى الوادى ، والعقل فى الشعب

(شوق)



(شكل ٢)

ولما سمع المجنون الحادى يردد في أنشودته ذكر ليلى والتوباد ، صرخ صرخة مدوية وخر مغشياً عليه . واجتمع عليه قومه ، وأبوه باك حزين ، وجعلوا يروحون له ويرشون على وجهه الماء إلى أن أفاق مصفر اللون وأنشأ يقول(٢) :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه وليلى بأرض الشام فى بلد قفر

(١) شوقى ص ٣٩ — ٤٠
(٢) الديوان ص٥ ، الأغانى ص ٢٢ ، ٥٥ تزيين الأسواق ص ٥٩

عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فاجزع لا تمل من الصبر

وفشا أمر المجنون بين الحجاج ، فلامه بعض قومه وطلب منه أن يستشعر الصبر ويستبقى مودة الحبيب بكتمان الحب ، فكان من جوابه أن قال[1] :

إن التوانى قتلت عشاقها ... يا ليت من جهل الصبابة ذاقها
فى صدغهن عقارب يلسعننا ... ما من لسعن بواجد ترياقها
إن الشفاء عناق كل خريدة ... كالخيزرانة لا تمل عناقها
زانت روادفها دقاق خصورها ... إنى أحب من الخصور دقاقها
إن التى طرق الرجال خيالها ... ما كنت زائرها ولا طراقها

ثم انسل من بين أهله ، ومزق ملابسه ، ولجأ إلى جبل التوباد ، حيث جعل يخطط بأصبعه فى التراب ، ويجمع العظام حوله ، ويباشر الظباء والوحوش .

وفى (شكل ٢) نرى الناس وقد أحاطوا بالكعبة الشريفة رافعين أيديهم بالدعاء لقيس أن يمن الله عليه بالفرج . بينما تعلق قيس بأستار الكعبة وهو يقول[2] :

أتوب إليك يا رحمن مما ... عملت فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى ليلى وتركى ... زيارتها فإنى لا أتوب

وقد صور المصور الإيرانى الكعبة الشريفة بأستارها كما هيأها له خياله ، وجعل الحمام يطير حولها ويحط عليها فى أمن وسلام . وهذه الصورة[3] من تصوير المصور حيدر قولى فى أسلوب المصور الشهير رضا عباسى . وهى فى مخطوط من المنظومات الخمس للشاعر الكنجوى كتب حوالى سنة ١٠٣٤هـ (١٦٢٤م) فى مدينة أصفهان . وهذا المخطوط محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس .

(يتبع)

محمد مصطفى
مساعد فنى بدار الآثار العربية

(١) الديوان ص ٦
(٢) الديوان ص ٦
(٣) منقولة عن : Blochet, Musulman Painting, Pl. CLXIII

من تحت الأنقاض

«........»

للأستاذ محمد محمود شاكر

حَسْرَةٌ وَلَّتْ، وَأُخْرَى أَقْبَلَتْ، ... كَيْفَ؟ مِنْ أَيْنَ؟ مَتَى؟ لَمْ أَعْلَمِ!
مَوْجَةٌ سَوْدَاءُ تَنْقَضُّ عَلَى ... مَوْجَةٍ فى بَحْرِ لَيْلٍ مُظْلِمِ
تَنَفَانَى وَمْىَ لَا تَفْنَى ، وَكَمْ ... رَدَّهَا تَيَّارُهَا كَالضَّيْغَمِ !
صَمَّمَتْ ، حَتَّى إِذَا مَا الْتَهَمَتْ ... نُورَ أَيَّامِى طَاشَتْ فى دَمِى
فَهْوَ أَمْوَاجُ ظَلَامٍ : لَا تَرَى، ... لَا تُبَالِى، لَا تَعِى ، لَا تَحْتَمِى

* * *

زَهْرَةٌ حَنَّتْ ، فَبَاحَتْ فَذَوَتْ ... أَذْبَلَتْهَا نَفْحَةٌ لَمْ تُكْتَمِ
شَكَتِ الْبَثَّ لِنَجْمٍ سَاطِعٍ ، ... ثُمَّ ظَنَّتْ فى شُعَاعٍ مُلْهِمِ
شَعْشَعَتْ عِطْرًا ، فَلَمْ يَعْبَأْ بِهِ ... لَئِمَ الْمَوْطِئُ أَمْ لَمْ يَلْثَمِ
فَضَّ سِرٌّ سِرَّهَا ، فَانْتَفَضَتْ ، ... فَهَوَتْ سَاجِدَةً لَمْ تُرْحَمِ
وَرَمَى النَّجْمُ شُعَاعًا وَسَنًا . ... ثُمَّ ضَاعَ النَّجْمُ بَيْنَ الأَنْجُمِ

* * *

قَدْ جَلَا الْوَهْمُ عَرُوسًا زُيِّنَتْ ... لَبِسَتْ حِلْيَتَهَا لِلْمَأْتَمِ
إِنَّمَا أَثْوَابُهَا أَكْفَانُهَا ، ... وَالأَغَانِى لَحْنُ قَبْرٍ مُعْتِمِ
وَوُجُوهٌ أَشْرَقَتْ مِنْ نَشْوَةٍ ... لَمْ تَكَدْ... ثُمَّ هَوَتْ لَمْ تَسْلَمِ
شَهَوَاتٌ أَشْعَلَتْ ثُمَّ خَبَتْ : ... لَمْ تَكُنْ إِلَّا شَكَاةَ الْمُغْرَمِ
نَظْرَةٌ ، ثُمَّ هَوًى ، ثُمَّ مُنًى ، ... ثُمَّ ... وَانْفَضَّ كَأَنْ لَمْ تَحْلُمِ

* * *

لَا أَرَى إِلَّا فَنَاءً أَوْ سُدًى ، ... فَبَصِيرٌ فى ضَلَالٍ أَوْ عَمِ
وَلَيَالٍ أَظْلَمَتْ أَنْوَارُهَا ، ... وَلَيَالٍ نُورُهَا لَمْ يُظْلِمِ
وَهُمَا الدَّهْرُ ... فلا لَيْلَ وَلَا ... صُبْحَ ، بَلْ وَالِدَةٌ لَمْ تَعْقَمِ
وَحَيَاةٌ مِنْ فَنَاءٍ فُجِّرَتْ ... لِفَنَاءٍ فى حَيَاةٍ يَرْتَمِى
كُلُّهُ لَمْحٌ وَمِيضٌ خَاطِفٌ ... ثُمَّ ... لا شَىْءَ ... نَجَاهِدُ أَوْ نَمِ

محمود محمد شاكر

٢ـ الأحلام
للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون
بقلم الأستاذ ألبير نادر

سبق أن ذكرت حلماً مشهوراً، وها كم حلما آخر ربما رآه الكثير منكم. موضوعه أن يشعر الإنسان بأنه يطير ويرفرف ويمر بالفضاء دون أن يلمس الأرض. فإذا ظهر هذا الحلم مرة فى الغالب يحاول أن يظهر مرة أخرى ؛ وفى كل مرة تقول : « كثيراً ما حلمت أنى أطير فوق الأرض، ولكننى فى هذه المرة مستيقظ تماما — الآن أعرف وسأبين للآخرين — أنه يمكننا أن نتحرر من قانون الجاذبية. فإذا استيقظتَ فجأة أظن أنك تجد الآتى : تشعر بأن قدميك فقدتا نقطة ارتكازهما، بما أنك كنت متمدداً فعلاً. ومن جهة أخرى اعتقادك بعدم نومك هو عدم شعورك بالنوم. كنت تقول فى نفسك إنك لم تلمس الأرض بالرغم من أنك كنت واقفاً. هذا هو الاعتقاد الذى كان يزيده فيك حلمك فى الحالات التى تشعر فيها أنك تطير. لاحظ أنك تظن أنك تقذف بجسمك إلى الجانب يميناً أو شمالاً وأنت ترفعه بحركة ذراع فجائية كأنها ضربة جناح، ولكن هذا الجانب هو نفسه الجانب الذى كنت نائماً عليه، استيقظ تجد شعورك بمجهودك لتطير هو نفس الشعور بضغط الذراع والجسم على السرير، وضغط الذراع والجسم هذا إذا فصل عن سببه لم يعد إلا شعوراً غامضاً ناتجاً عن التعب وسببه المجهود. وإذا ارتبط هذا الشعور بالضغط باعتقادك بأن جسمك ترك الأرض، يتحول هذا الشعور إلى شعور واضح بمجهود للطيران

من المهم أن نلاحظ كيف أن إحساسات الضغط عند ما تصعد إلى الحقل البصرى وتستفيد من الغبار المضىء الموجود فيه يمكنها أن تتحول حينئذ إلى أشكال وألوان. حلم ذات يوم ماكس سيمون أنه أمام كومتين من قطع الذهب، وأن هاتين الكومتين غير متساويتين، وكان يحاول أن يسويهما ولكن عبثاً. فشعر بانقباض شديد، وازداد هذا الشعور من لحظة إلى أخرى حتى أيقظه. فلاحظ حينئذ أن ساقاً من ساقيه كانت معاقة بثنايا الغطاء، وأن قدميه لم تكونا فى مستوى واحد، وكانت كل واحدة تحاول عبثاً الاقتراب من الأخرى، فبدون شك نتج عن ذلك شعور مبهم بعدم المساواة، وانتشر فى الحقل البصرى حيث قابل (وهى النظرية التى أقدمها) نقطة صفراء أو أكثر، وظهر على شكل بصرى بواسطة عدم التعادل هذا بين كومتى قطع الذهب. فيوجد إذاً فى باطن الإحساسات اللمسية أثناء النوم استعداداً لكى تتحول إلى إحساسات بصرية وتدخل على هذه الصورة فى الحلم

وأهم من هذه الإحساسات الخارجية إحساسات اللمس الداخلى الناتجة من جميع أجزاء الجسم، لا سيما الحواشى. فالنوم يمكنه أن يمنحها، أو بالأحرى أن يهبها دقة وحدة فريدتين، أن هذه الإحساسات موجودة بدون شك زمن اليقظة، ولكننا نكون غافلين عنها بسبب الحركة لأننا نعيش حينئذ خارجا عن أنفسنا، ولكن النوم يجعلنا نعود إلى أنفسنا

يتفق أن بعض الأشخاص المرضين لالتهاب الحلق أو الغدد يشعرون بأن هذه النوبات انتابتهم ضمن حلم، ويشعرون حينئذ بوخزات مؤلمة جهة الحلق. وعند ما يستيقظون يقولون إنها وهم وحسب ؛ ولكن مع الأسف سرعان ما يتحقق هذا الوهم. يذكرون أن أمراضاً وعوارض خطيرة مثل ذبحة صدرية ونوبة قلبية ... كانت قد ظهرت وتنبأ عنها فى الحلم. فلا نندهش إذا رأينا فلاسفة مثل شوبنهور يقولون إن الحلم يشخص أمام الوجدان اهتزازات صادرة من الجهاز العصبى السمبتاوى، وإذا رأينا علماء نفس مثل شرنر يقولون إن كل عضو له مقدرة خاصة لينتج أحلاما نوعية تمثله تمثيلاً رمزياً، وأخيراً إذا رأينا أطباء مثل أرتيج يكتبون مجلداً عن « قيمة الأحلام وما تنبىء به »، وعن طريقة استعمال الحلم لمعرفة نوع الأمراض، وحديثاً بيّن تيسيه : كيف أن خللاً فى الهضم، أو فى التنفس، أو فى الدورة الدموية، يظهر فى أحلام معينة

خلاصة ما تقدم : أننا أثناء النوم الطبيعى لا تكون حواسنا مقفلة تماماً للتأثيرات الخارجية. نعم إنها حينئذ لا تكون على نفس الدقة التى لها زمن اليقظة، بل عوضاً عن ذلك تصادف كثيراً

من التأثيرات الشخصية التي لم نكن نشعر بها أثناء اليقظة عند ما كنا نتحرك في عالم خارجي مشترك لجميع الناس ، ولكنها تظهر أثناء النوم حيث أننا لا نعيش عندئذ إلا لأنفسنا فقط . ولا يمكننا أن نقول إن إدراكنا يتقيد عند ما ننام بل بالعكس فالإدراك يوسع حقل عمله في بعض الاتجاهات على الأقل . نعم إنه يفقد دقة ما يكسبه في التوسع لأنه لا يأتي إلا بالمبهم والمبهم مما يدل على أننا نصنع الحلم بواسطة إحساس حقيقي

كيف نصنع الحلم ؟ إن الإحساسات التي نستخدمها كمادة تكون مبهمة وغير معينة . لنأخذ مثلاً الإحساسات التي تبدو في الصف الأول أي البقع الملونة التي تتطور أمامنا عند ما يكون جفنانا مغلقين – ترى سطوراً سوداً على مسطح أبيض يمكنها أن تمثل سجادة أو صفحة مخطوطة أو عدة أشياء أخرى أيضاً . من الذي سيجري الاختيار ؟ أي شكل سيمين هذه المادة غير المعينة ؟ هذا الشكل إنما هو التذكر – لنلاحظ أولاً أن الحلم عادة لا يخلق شيئاً . نعم يذكرون بعض الأمثلة عن عمل فني أو أدبي أو علمي نُفِّذ أثناء الحلم ، ولا أذكر هنا إلا المثل الأكثر شيوعاً : كان تارتيني – وهو موسيقي عاش في القرن الثامن عشر – يجدُّ في تأليف قطعة موسيقية ، ولكن قريحته كانت عاصية ، فنام . وها هو الشيطان قد ظهر له بنفسه واستولى على القيثارة وعزف القطعة المنشودة . ولما استيقظ تارتيني سطَّر هذه القطعة من ذاكرته ووهبها لنا تحت اسم « أنشودة الشيطان » . ولكن لا يمكننا أن نستخلص شيئاً من قصة مختصرة كهذه . يجب أن نعرف هل كان تارتيني جاداً في إتمام هذه الأنشودة عند ما كان يتذكرها ؟ إن مخيلة النائم الذي يستيقظ تضيف في بعض الأحيان شيئاً إلى الحلم وتبدله بمقتضى فاعلية رجعية وتسد ثغراته التي يمكنها أن تكون عديدة . بحثت عن ملاحظات أدق وخصوصاً أكثر صدقاً فلم أجد سوى ملاحظة الروائي الإنجليزي استيفنسن في كتاب عنوانه « فصل في الأحلام » : يخبرنا استيفنسن أنه ألف أو بالأحرى رسم في الحلم قصصه الأكثر غرابة . لنقرأ بإمعان الفصل نجد أن المؤلف عاش فترة من حياته بحالة نفسية لم يتمكن أثناءها أن يعرف ما إذا كان نائماً أو مستيقظاً . إني أعتقد أنه ليس هناك نوم عند ما تخلق (تبدع) النفس شيئاً ، وعند ما تقوم بالمجهود الذي يتطلبه تأليف عمل أو حل مسألة . وعلى الأقل جزء النفس الذي يعمل ليس هو الجزء الذي يحلم . فالجزء الأول يعمل في ثنايا الوجدان الخفية (العقل الباطن) باحثاً ولكن بدون أي تأثير على الحلم ، وهذا البحث لا تظهر نتيجته إلا عند اليقظة . . . أما بخصوص الحلم ذاته فما هو إلا إحياء الماضي . ولكن هذا الماضي يمكننا أن نتعرفه ، فيكون في غالب الأحيان حدثاً قد نسيناه ، أو ذكرى يبدت لنا كأنها زالت ولكنها في الحقيقة كانت متوارية في أعماق الذاكرة . وفي الغالب تكون الصورة المتذكرة صورة شيء أو حدث نظرناه ونحن غير مبالين وبدون أن نشعر به تقريباً وقت اليقظة . وتوجد خصوصاً أجزاء ذكريات مشتتة تجمعها الذاكرة من هنا وهناك وتقدمها إلى وجدان النائم على شكل غير متماسك . فأمام هذه المجموعة التي لا معنى لها يبحث العقل عن معنى (والعقل يستمر في التعقل مهما قيل في ذلك) والعقل ينسب عدم التماسك هذا لثغرات يسدها بمناجاة ذكريات أخرى تبدو غالباً بدون نظام ، وتتطلب بدورها تعبيراً جديداً ، وهكذا دواليك . ولكني لا أريد الشرح الآن وإنما أقول إجابة عن السؤال الموجه منذ لحظة : أن التذكر هو القوة التي ترشد إلى المواد الصادرة عن أعضاء الحس ، والقوة التي تحول إلى أشياء واضحة ومعينة تلك التأثيرات المبهمة الصادرة عن العين والأذن وعن كل مدى الجسم وعن داخله

(يتبع) ألبير نادر



النسل وصفاته المتوارثة

أشار الأستاذ الجليل الدكتور زكى مبارك فى مقاله عن : أخطار الطعام الواحد ؛ إلى وصية الرسول عليه الصلوات بالزواج من غير القريبات

وهذا الحديث المشهور : « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا » قد أصبح — رغم الشك فى صحة نسبته إلى الرسول — منبعَ حقيقة اعترف بها القدماء جميعاً وسجلوها فى غير موضع من مؤلفاتهم ؛ ثم جاءت علوم الأحياء الحديثة ودراسة طبائع أجسام الحيوان والنبات ، مؤيدة لصحتها تمام التأييد

وقد عقد الغزالى فى باب النكاح من كتابه « إحياء علوم الدين » فصلاً تحت عنوان : الخصال الطيِّبةَ للعيش التى لا بد من مراعاتها فى المرأة ... فجعل ثامنةَ هذه الخصال ونهايتها : ألا تكون من القرابة القريبة ؛ وأورد الحديث الذى ذكرناه ، ثم علل لذلك بضعف الشهوة بين المتقاربين ...

وقد أورد الدكتور فى مقاله مثل هذا التعليل ؛ ثم زاد على ضعف النسل بسببه جسمياً ، آفةً أخرى نفسية فقال : إن الاكتفاء بالقريبات يضيع فرصة الموارد الجديدة من الطبائع والأذواق ...

ونقول إننا مع اعترافنا بالعلاقة الوثيقة القائمة بين الأجسام — فى قوتها وضعفها — والطبائع والأذواق — فى رقيها وانحطاطها — نحبُّ أن نسجل حقيقة استرعتْ نظرنا أثناء مطالعاتنا المختلفة حول هذا الموضوع

فقد أشار الدميرى صاحب حياة الحيوان عند حديثه عن « البغل » إلى تركُّبه من الفرس والحمار ؛ ثم قال : لذلك صار له صلابة الحمار وعِظم آلات الخيل ... وهذا يؤيد الحقيقة التى ألمعنا إليها . ولكنه عاد فوصف هذا الحيوان برداءة الأخلاق والتلوُّن (لأجل التركيب) ، ثم قال : وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتباينة ، والعناصر المتباعدة ... وذكر فى موضع آخر أن « أكثر الحيوانات المركبة من نوعين من الحيوان أخبث طبعاً من أصولها التى تتولد منها وأشد شراسة ، كالسِّمع والعسبار ونحوهما » — وكلاهما يتولد بين الضبع والذئب —

وظاهر من هذا أن تحسُّن « النسل المتولد من متباعدَين » فى صفاته الجسمية ، لا يستتبع تحسنه فى صفاته النفسية ، أو فيما ركب فيه من طبائع وأذواق ... بل على العكس من ذلك ، ينشأ النسل الجديد أخبث فى الطبائع من أصوله ، أو هو يكتسب أسوأ ما فى أبويه من صفات نفسية ؛ وهذا متحقق — على الأقل — فى أنواع الحيوان المركب من نوعين ، وفقاً لما قاله الدميرى

بقى أن ننظر فى نسل الآدمى المتولد من متباعدين ... أى الصفات النفسية يجتمع فيه ؟ وهل هو فى اكتسابه أحسن الصفات الجسمية من أبويه ، يكتسب أيضاً أفضل ما فيهما من صفات عقلية وخلقية ؟

وإذا كان الأمر كذلك ، فلِمَ هذا التفريق — من هذه الوجهة — بين الإنسان والحيوان ؟

على أنه إذا نفينا هذا التفريق ، فماذا يبقى من الثقة بكلام الدميرى فى طبائع الحيوان المركب ، وهو قد ضرب لإثباته الأمثلة المحسوسة من طبائع البغل والسمع والعسبار وغيرها من هذه الأنواع ؟

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

نظرات فى مهرجان الربيع

أمسى ثغرنا السكندرى على حفل أدبى كبير زفت فيه تحايا الربيع في أثواب من النغم الشعرى البديع ، وآيات من الكلم النثرى الرفيع ... ولعل السر فى هذا يتمثل فى اشتراك نفر من أسرة « الرسالة » الغراء فى هذا المهرجان ، فقد مثلها من شيوخها الأستاذ الكبير محمود البشبيشى ، والأستاذ الفاضل خليل شيبوب ؛ ومثلها من شبابها الأستاذان : حسين البشبيشى ، ومصطفى على عبد الرحمن . وكان لا بد للناقد من التأثر فالتأمل فالتعبير ... وكان لا بد لتعبيره أن يتناول الهنات قبل المحاسن ، ويحق لنا أن نقول إن بعض الخطباء قد أصاب ، وبعضهم قد تردد فى النطق واضطرب فى الإبانة ... وزل لسان بعضهم بلحنات يجدر بالخطيب الحق أن يتفاداها . ولكن الذى يخفف من تلك الهنات ويذهب بها ذلكم البيان الدافق والقدرة الخطابية العجيبة التى

غمر بها الحفل أستاذنا القدير محمود البشبيشي ، الذي عرض فيها لجهودات الجماعة في بيان جامع ، وحيا الربيع بأسلوب رائع !

ولقد كان جيلاً من الأستاذ البشبيشي ذلك الوفاء لإخوانه القاهريين « أعضاء رابطة العروبة » الذين ذكرهم بكل خير

أما عن الشعر فقد أوشك أن يحتكر المهرجان لذاته ، إذ رأينا فيه اتجاهين من الشعر يعرضان لونين مختلفين : الشعر الذي يحافظ على الديباجة ويلمس المعاني بهوادة . ثم الشعر الذي تغلب روعة معانيه على حيوية ألفاظه ، وينطلق في جواء من الخيال الوضيء . ولقد مثل النوع الأول الأستاذ خليل شيبوب ، ومثل النوع الثاني الأستاذان مصطفى علي عبد الرحمن وحسين البشبيشي

ومن قصيدة الأستاذ شيبوب قوله :

عيد الطبيعة والشباب كأنه فطر يعيد بعد صوم شتائه
والشاطئ المسحور دار كأنه أفق الجمال حنا على دأمائه

ومن قصيدة الأستاذ مصطفى علي عبد الرحمن قوله :

على الشاطئ المسحور دنيا رحيبة عليها الجمال العبقري تجسما
أرى الموج فيها والرمال تعانقا ولم يعبأ بالناس ترنو إليهما
وحولك جنات تفيض عيونها وتندى بشاشات وتورق أنعما

ولقد كانت ربيع الحفل ، ودرة القصائد بحق ، قصيدة الأستاذ حسين البشبيشي الذي وفق فيها إلى مقارنة ربيع الطبيعة بربيع قلبه إذ قال :

ربِّ هبني الحياة كي أصحب الدنيا إلى مولد الربيع الثاني
آه ... ! عاد الربيع وانطلق الحب وراء المنى بكل مكان
يا ربيعي الذي انطلقت ولم ترجع بقلب ممزق حيران
أنت دنياي والربيع الذي يهفو إلى ورده فؤادي الفاني

عبد العزيز البيسي

عضو جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

هنات[1] :

جاء في المقال الأول من الرسالة :

« هبني سألت حضرة القاضي المحترم : ألا تزال تضرب امرأتك ؟ فماذا يجيب ؟ إن كان لم يضربها قط ثم قال « لا » ففي هذا النفي ممنى الاعتراف بالضرب فيما مضى وإنكاره الآن ، وإن قال « نعم » فقد خالف الحقيقة ... الخ »

والصواب أن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي كان الجواب بالحرف « بلى » إثباتاً وبالحرف « نعم » نفياً . أما « لا » فلا موضع لها هنا

وأما الثانية ففي كلامه أيضاً :

« فلا نخالنا ننسى شيئاً كثيراً إذا حصرناها في ثلاث مسائل كبريات »

وصواب الكلام « ثلاث مسائل كبار » إذا لم يرد التفضيل ؛ فإن أراده قال « مسائل أكبر » وذلك لأن « كبريات » جمع « كبرى » مؤنث أكبر ، فهي اسم تفضيل ؛ وهو يجب إفراده وتذكيره إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة ، فإذا أضيف إلى المعرفة جازت المطابقة والإفراد مع التذكير .

وأما الثالثة ففي كلام الأستاذ سهيل إدريس « وأيقنت أن ذلك سيعود على تاريخ الأدب العربي بفوائد جمة إن يشرعْ في تحقيقه »

والصواب « إن شرع في تحقيقه » لأن جواب الشرط لا يحذف إلا إذا كان فعل الشرط ماضياً ، وما عدا ذلك فهو شاذ لا يقاس عليه .

محمد محمود رضوان

المدرس ببني سويف الابتدائية

من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

حدثنا صديقنا الأستاذ الزناتي عن عطار يمني لقيه بالغشن أن الشيخ (شعيب) عمدة هِلْيه من بلاد الصعيد مدح صاحب السعادة الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا بقصيدة فرد عليه بهذين البيتين :

أبديتَ من خِدْر فكرٍ سامي المقام عروسا
هي ابنة لشعيب فأين في الناس موسى

وقصة زواج الرسول موسى من ابنة النبي شعيب معروفة .

[1] راجع العدد ٨١٥ من الرسالة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

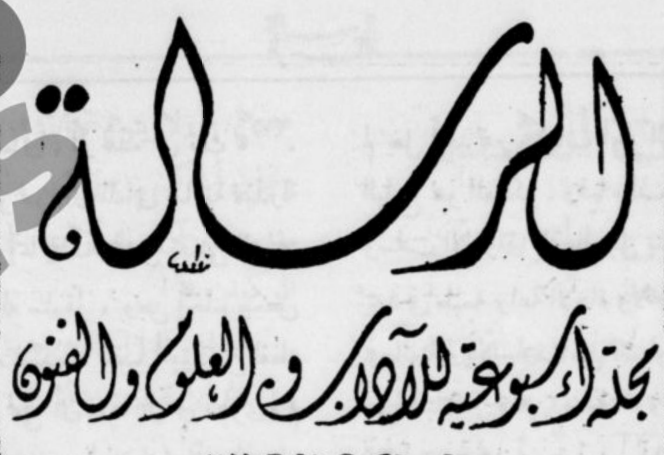


11 me Année No. 518

Lundi - 7 - 6 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

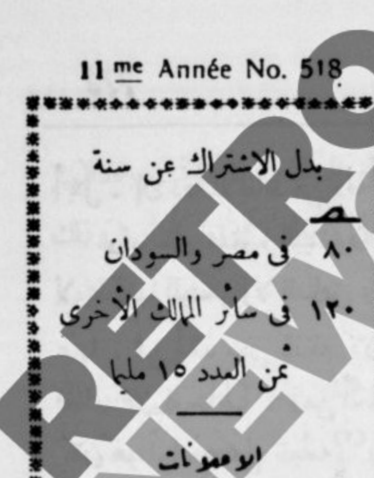


الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٥١٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٧ يونية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

١١ ـ دفاع عن البلاغة

٣ – الأســلوب

أجل ، إن الذين آمنوا بالصياغة ودعوا إليها ، كانوا أفهم لمعنى البلاغة من الذين كفروا بهـا وزرَوْا عليها . ذلك لأن تجويد الصور يستلزم تجويد المِكر وليس كذلك العكس . والعناية الدقيقة بالعبارة سبيل إلى إجادة التفكير وإحسان التخيل كما يرى فلوبير . وفلوبير هذا كان إمام الصناعة في فرنسا ، أخذ نفسه بالتزام ما لا يلتزم غيره ، فكان لا يكرر صوتاً في كلمة ، ولا يعيد كلمة في صفحة . وكانت أذنه هي الحكَم الأعلى في صوغ الكلام ، فلا تسيغ منه إلا ما حسن انسجامه وتعادلت أقسامه وتوازنت فِقره . قال فيه تلميذه ومواطنه موباسان : « كان يرفع الصحيفة التي يكتبها إلى مستوى نظره وهو معتمد على مرفقه ، ثم يتلو ما كتب جاهراً بتلاوته ، مصغياً لإيقاعه ؛ فكان في نَبْره وإرساله يوفق بين السكنات والحركات ، ويؤلف بين الحروف والكلمات ، ويضع الفواصل في الجملة وضعاً دقيقاً محكماً فكأنها الاستراحات في الطريق الطويل »

وقال هو لبعض أصحابه : « تقول إنني شديد العناية بصورة الأسلوب ، والصورة والفكرة كالجسد والروح هما في رأيي شيء واحد . وكلما كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها

أجل . إن دقة الألفاظ من دقة المعانى ، أو هذه هى تلك »[١] .

وقد غالى علماؤنا البيانيون فزعموا أن المعانى شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها . فمن أخذ معنى بلفظه كان له سارقاً ، ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخاً ، ومن أخذه فكساه لفظاً أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه[٢] . على أن هذا الرأى الجرىء لم يكن رأى العرب وحدهم ، وإنما يراه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ؛ فقد قرر فى خطبته عن الأسلوب التى ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية ، أن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الأسلوب من الرجل نفسه

نعم قال بوفون : إن الأسلوب من الرجل نفسه (le style est de l'homme même) ، ولم يقل : إن الأسلوب هو الرجل (le style c'est l'homme) كما شاع ذلك على الألسنة . ولم يرد بما قال أن الأسلوب ينم عن خلق الكاتب ويكشف عن طبعه كما فهم أكثر الناس ، وإنما أراد أن الأسلوب ، ويعنى به النظام والحركة المودعين فى الأفكار ، هو طابع الكاتب وإمضاؤه على الفكرة . ومعنى ذلك أن الأفكار تكون ، قبل أن يفرغها الفنان فى قالبه الخاص ، من الأملاك العامة ؛ فإذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة اللائقة تصبح ملكا خالصاً له ، تسير فى الناس موسومة بوسمه ، وتعيش فى الحياة مقرونة باسمه . فالأسلوب وحده هو الذى يملكك الأفكار وإن كانت لغيرك[٣] . ألا ترى أن أثر الأخلاق فى بقاء الأمم وفنائها معنى من المعانى المأثورة المطروقة ؛ فلما أجاد شوقي سبك اللفظ عليه فى بيته المشهور أصبح بهذه الصيغة من حسناته المعدودة وأبياته المروية ؟

***

على أنك مهما استقربت لا تجد امرأً سليم الملكات ينكر ما لحلاوة الجرس وطلاوة العبارة من الأثر الفعال فى بلاغة الكلام . وعلماء البيان مجمعون على أن (الكلام إذا كان لفظه غثاً ، ومعرضه رثاً ، كان مردوداً ولو احتوى على أجل معنى وأنبله)[٤] . ومنذ تنزلت الشياطين بالسجع والقصيد على كهان الجاهلية الأولى لم يقل أحد غير كتاب آخر الزمان أن البلاغة هى الفكرة وأن البليغ هو المفكر . وفيما سلف من العهود التى صحت فيها القرائح وسلمت الأذواق كان الرجل ينصرف عن الكتابة أو الشعر إذا لم يجد فى طبعه براعة الأداء ولا فى نفسه ملكة الفن . إنما يحاجُّك فى العناية بالأسلوب من اضطر إلى مزاولة الكتابة وهو مدفوع عن البلاغة بوهن سليقته وجفاء طبعه . ولهم فى الحِجاج رقاعات سبيلك أن تُسَلِّم بها لتسلم منها . يقولون مثلاً : إن الناس يتكلمون ليفهم الشاهد ، ويكتبون ليفهم الغائب ؛ فلماذا لا نكتب مثل ما نتكلم ؟ لماذا نؤثر أن يقال : وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، على أن يقال : كبرت سنى وشاب رأسى ، والجملتان الأخيرتان أخصر لفظاً وأيسر فهماً ؟

على أن من أعداء العناية بالأسلوب قوماً جادّين ليسوا من أبناء العربية ذات الأناقة الذاتية والتلاؤم المطبوع ، ولكن لهم آثاراً تُقرأ وآراء تناقش ، أولاهم بالذكر الكاتب الفرنسى إميل زولا . فلقد مكن الله لهذا الكاتب فى دولة الكتابة وآتاه أسباب النبوغ ، ولكنه ابتلاه بشىء من خشونة الطبع وفجاجة الذوق فلم يستطع مجاراة البلغاء من أنداده ومعاصريه فى رونق البيان وروعة الأسلوب ، فأخذ يهوّن من شأن الصور الفنية فى العبارة بمثل قوله : « ليس من مطلق الحق – وإن عارض بوفون وبوالو وشاتوبريان وفلوبير – أن الكاتب يكفيه أن يعنى كل العناية بأسلوبه ليشق له فى الأدب طريقاً يبقى على الأبد . إن الشكل عرضة للتغير والزوال بسرعة . ولا بد للعمل الكتابي قبل كل شىء أن يكون حياً ؛ ولا يمكن أن يكون حياً إلا إذا كان حقاً . والكاتب لا يظفر بالخلود إلا إذا استطاع أن يوجد مخلوقات أحياء » ثم يقول بعد ذلك : « وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفنى فى أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرأهما مترجَمين ؟ » وهذا القول ظاهر البطلان ، لأن المخلوقات الحية التى يلدها ذهن الكاتب لا يتسنى لها البقاء على توالى الأعقاب والأحقاب إلا بالأسلوب كما قال شاتوبريان . ومن هنا قل اهتمام الناس بكتب زولا بعد موته ، وإن ظلت فى تاريخ الأدب هرما شاهقاً ضخما يدل على جبروت الذهن وقوة القريحة ، لأنها فقدت النبل فى الموضوع والبلاغة فى الأسلوب ، وبغير هاتين الصفتين لا يخلد كتاب ...

(الكلام بقية)

احمد حسن الزيات

---

(١) Strowski. Tab'eau de la littérature française au XIXe siecle et au XXe siecle P. 402

(٢) الصناعتين ص (١٤٦)

(٣) Des granges. Histoire de la littérature fr nçaise P. 6 2

(٤) الصناعتين ص (٤٩)

السنة وثبوت العقيدة

للأستاذ محمود شلتوت

منشأ ظنية السنة — التواتر والآحاد — الآحاد لا تفيد اليقين — ندرة المتواتر — الاسراف فى وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه — تطبيق

بينا فيما سبق أنه « ليس فى القرآن الكريم ما يفيد بظاهره غلبة ظن برفع عيسى أو نزوله فضلاً عما يفيد اليقين » وتمت بذلك النظرة الأولى من النظرات الثلاث التى وعدنا بها

وسنعرض فى هذا الفصل للمبادئ التى تنبنى عليها « قطعية السنة أو ظنيتها » ثم نطبق هذه المبادئ على الأحاديث التى زعموا أنها تدل دلالة قطعية على نزول عيسى ، وهذه هى النظرة الثانية

وأول ما يجب التنبه له فى هذا المقام أن « الظنية » تلحق السنة من جهتى الورود والدلالة : فقد يكون فى اتصال الحديث برسول الله صلى الله عليه وسلم شبهة فيكون ظنى الورود ، وقد يلابس دلالته احتمال فيكون ظنى الدلالة ، وقد يجتمع فيه الأمران : الشبهة فى اتصاله ، والاحتمال فى دلالته ، فيكون ظنياً فى وروده ودلالته . ومتى لحقت « الظنية » الحديث على أى نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر منكرها ، وإنما يثبت الحديث العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً فى وروده وفى دلالته

ولكى يتضح مناط « القطعية والظنية » فى ورود الحديث ينبغى أن نبين ما قرره العلماء فى « التواتر والآحاد » ليكون مناراً يهتدى به من يريد الوصول إلى الحق :

قسم العلماء « السنة » إلى قسمين : ما ورد بطريق التواتر ، وما ورد بطريق الآحاد . وضابط التواتر أن يبلغ الرواة حداً من الكثرة تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب . ولا بد أن يكون ذلك متحققاً فى جميع طبقاته : أوله ومنتهاه ووسطه ، بأن يروى جمع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يروى عنهم جمع مثلهم ، وهكذا حتى يصل إلينا ، وهو عند التحقيق رواية الكافة عن الكافة

ويقول بعض علماء الأصول : « الخبر المتواتر هو الذى اتصل بك من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالاً بلا شبهة حتى صار كالمعاين المسموع منه ، وذلك أن يرويه قوم لا يحصى عددهم ، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم ، ويدوم هذا فى وسطه وآخره كأوله ، وذلك مثل : القرآن والصلوات الخمس ، وأعداد الركعات ، ومقادير الزكوات »(١)

هذا هو التواتر الذى يوجب اليقين بثبوت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما إذا روى الخبر واحد ، أو عدد يسير ولو فى بعض طبقاته ، فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يكون « آحاديا » فى اتصاله بالرسول شبهة فلا يفيد اليقين(٢)

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة : مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد فى إحدى الروايتين عنه ، وقد جاء فى الرواية الأخرى خلاف ذلك ، وفيها يقول شارح مسلم الثبوت « وهذا بعيد عن مثله فإنه مكابرة ظاهرة » وقال البزدوى : « وأما دعوى علم اليقين — يريد فى أحاديث الآحاد — فباطلة بلا شبهة لأن العيان يرده ؛ وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة ، ولا يقين مع الاحتمال . ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضل عقله »

وقال الغزالى : « خبر الواحد لا يفيد العلم وهو — أى عدم إفادته العلم — معلوم بالضرورة . وما نقل عن المحدثين من أنه يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علماً ، ولهذا قال بعضهم : خبر الآحاد يورث العلم الظاهر ، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن »

وقال الأسنوى : « وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظن »

وقال البزدوى تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم : « خبر الواحد لما لم يفد اليقين لا يكون حجة فيما يرجع إلى الاعتقاد لأنه مبنى على اليقين ، وإنما كان حجة فيما قصد فيه العمل »

وقال الأسنوى : « إن رواية الآحاد إن أفادت فإنما تفيد الظن والشارع إنما أجاز الظن فى المسائل العملية وهى الفروع دون العلمية كقواعد أصول الدين »

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، فلا تثبت به العقيدة ، ونجد

---

(١) البزدوى

(٢) ولا فرق فى ذلك بين أحاديث الصحيحين وغيرهما . أنظر مسلم الثبوت والتحرير

المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضرورى لا يصح أن ينازع أحد فى شىء منه ، ويحملون قول من قال[1] : « إن خبر الواحد يفيد العلم » على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد ، أو العلم بوجوب العمل . على أن الكلام إنما هو فى إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة ، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما ، فإن من الناس من يحدث العلمُ فى نفسه بمـا هو أقل من خبر الواحد الذي نتحدث عنه ، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد ، ولا تثبت به عقيدة يكفر جاحدها ، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن . ومن هنا يتبين أن ما قلناه فى الفتوى من « أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات »[2] قولٌ مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التى لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء !

* * *

وإذ قد عرفنا الفرق بين مناط القطعية فى الورود وهو التواتر ، ومناط الظنية وهو الآحادية ، فهناك بحث آخر يتصل بالتواتر ولا بد من النظر فيه ، هذا البحث هو : هل يوجد المتواتر فى الآحاديث المروية فى الكتب المدونة ؟ وقد اختلف العلماء فى الجواب عن ذلك : فذهب قوم إلى أنه لا يوجد حديث متواتر فيما روى لنا من الأحاديث ودون فى الكتب ، ولعل هؤلاء بنوا رأيهم هذا على اشتراط عدم الإحصاء فى رواة المتواتر ، وهو مذهب لطائفة من العلماء كما تبين مما نقلناه فى تعريف المتواتر . وقال ابن الصلاح : « لا يكاد يوجد المتواتر فى رواياتهم ، ومن سئل عن إبراز مثال له فيما يروى من أهل الحديث أعياه تطلبه ، وحديث « إنما الأعمال بالنيات » ليس من ذلك السبيل وإن نقله عدد التواتر وزيادة ، لأن ذلك طرأ فى وسط إسناده ولم يوجد فى أوله . نعم حديث «من كذب على» نراه مثالاً لذلك ، فإن رواته أزيد من مائة صحابى وفيهم العشرة المبشرون بالجنة ، ولا يعرف حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيا إلا هـذا الحديث الواحد »

وذهب آخرون إلى أن المتواتر كثير فى هذه الكتب . قالوا : « إن هذه الكتب المشهورة المتداولة بأيدى أهل العلم شرقاً وغرباً مقطوع بصحة نسبتها إلى مصنفيها ، فإذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد ذلك العلم اليقينى بصحة نسبته إلى قائله ، ومثل ذلك فى الكتب كثير »[1]

وليس بنا حاجة إلى أن نعرف مدى هذه الكثرة التى يراها هؤلاء ، ويذكرونها فى مقابلة القول بالعدم ، أو فى مقابلة القول بالندرة وإعياء تطلب المثال ، وإنما يهمنا أن نلفت النظر إلى أنه لا يحكم لحديث بالتواتر ـ حتى على أكثر هذه المذاهب توسعاً ـ إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية :

١ — أن تخرجه جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة

٢ — أن تتعدد طرق إخراجه تعدداً تحيل العـادة معه التواطؤ على الكذب

٣ — أن يثبت هذا التعدد في جميع طبقاته : أوله وآخره ووسطه

وإذن : فالحديث الذى لم تخرجه جميع الكتب المتداولة المشهورة ، أو أخرجتـه جميعها ولكن لا بطرق متعددة ، أو أخرجته بطرق متعددة ولكن لا فى جميع الطبقات ، بل فى بعضها دون بعض ، لا يكون متواتراً باتفاق العلماء أجمعين !

* * *

ويجدر بنا بعد هـذا أن نعرض لظاهرة غريبة شاعت فى الناس ، وإن الحق ليتقاضى فيها واجبه من العلماء المسئولين أمام الله وأمام الرسول : تلك الظاهرة هى أنه على الرغم مما قرره العلماء فى شأن المتواتر تحديداً ووجوداً ، وعلى الرغم من هذا التحفظ الشديد فى الحكم لحديث مما دون فى الكتب بالتواتر ، نرى بعض المؤلفين قديماً وحديثاً يسرفون فى وصف الأحاديث بالتواتر ، وقد يقتصدون فيخلعون عليها أوصافاً أخرى كالشهرة والاستفاضة والذيوع على ألسنة العلماء ، وتلقى الأمة إياها بالقبول والثبوت فى كتب التفسير وشرح الحديث ، أو فى كتب التاريخ والمناقب ... الخ . وقد ينشط « أناس » فى سلوك هذه السبيل ، فتراهم يتتبعون مع هذا أسماء الصحابة والتابعين والأئمة والمؤلفين الذين جرى ذكرهم على ألسنة النقلة فى رواية الحديث ، وهم يعلمون أنها روايات ضعيفة لا تصبر على النقد ، وأن هذه الأسماء التى يحرصون على جمعها توجـد فى كل حديث حتى

(١) كابن حزم فى كتابه « الاحكام »

(٢) العدد ٦٢ ٤ من الرسالة

(١) أنظر مسلم الثبوت ، والتحرير ، ومقدمة ابن الصلاح

فى الأحاديث الموضوعة ، ولكنهم مع ذلك يجمعونها ، ويجتهدون فى عدها وإحصائها وذكر الكتب التى اشتملت عليها لأنهم يريدون أن يخطفوا أبصار العامة ، ويستغلوا عاطفتهم الدينية ، ويزعموا لهم أن هذا الحديث أو تلك الأحاديث قد وردت عن نبيكم فى هذه الكتب الكثيرة وعلى لسان هذا الجم الغفير من الرواة بين صحابة وتابعين فهى متواترة لا شك فى تواترها ، وهى متصلة بالرسول لا شك فى اتصالها ، ومن حاول الطعن فيها ، أو الحط من درجتها ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ، وحاد عن سبيل المؤمنين !

ولهذه الظاهرة أسباب :

منها ، وقد يكون أقلها خطراً ، اشتهار الحديث فى طبقة أو طبقتين فتسحب الشهرة على جميع طبقاته ، ويحكم عليه حكما عاماً بالتواتر أو الشهرة من غير تحقيق ولا تمحيص ، وقد لا يصل الحديث إلى حد الشهرة فى طبقة ما ، ولكنه جاء فى « الخلافيات » فقهية أو كلامية فتعصب له أتباع المذاهب وخلعوا عليه وصف الشهرة أو التواتر تأييداً لمذهبهم ، وتناقلته الكتب ، موصوفاً بذلك منسوباً إلى جمع من رجال الرأى والمذهب فيخاله الناس مشهوراً أو متواتراً وهو ليس بمتواتر ولا مشهور !

ولقد كان للقائمين « بالترغيب والترهيب » ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار التى تميل النفوس إلى التحدث بها والاستماع إليها ، أثر عظيم فى خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة بل ربما كانت غير صحيحة[1] ، وقد تأثرت بذلك طبقة من الخاصة لم تعن بتحقيق الرواية ، ولا بمعرفة درجة الحديث ، واكتفت بنقل ما يقوله هؤلاء وإجرائه على ألسنتهم وفى كتبهم حتى شاع واشتهر

وإنما استباحوا ذلك معتمدين على ما قرره بعض علماء المصطلح من « جواز التساهل فى الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع[2] من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما ، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد »[3]

وبذلك رووا الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة ، ثم توسعوا فوصفوا الآحاد بالتواتر ، والضعيف بالصحيح ، وتناسوا مقاييس التواتر والآحادية ، ومقاييس الصحة والضعف ، ومن هنا رأينا من يصف « المعجزات الحسية » كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وكلام الغزالة وحنين الجذع بالتواتر مع أنها غير متواترة ، وإنما هى آحادية كما قرره علماء الأصول . وكذلك رأينا من يصف أخبار المهدى والدجال ويأجوج ومأجوج وما إلى ذلك مما يذكر باسم « أشراط الساعة » بالشهرة أو التواتر

ولعل أحقر ما رأينا من أسباب الإسراف فى وصف الأحاديث بالتواتر أن قوماً من المرتزقة باسم الدين وباسم الغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم استباحوا لأنفسهم فى سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه فى شأن أحاديث عيسى التى لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء فى تحققه ، وهى مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعانى ، فتراهم يقولون هي متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين ، وذكرت فى كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فإذا رأوا فى بعضها ضعفاً أو اضطرابا أو نكارة حاولوا التخلص من ذلك فقالوا : إن الضعيف فيها منجبر بالقوى ، وأن العدالة لا تشترط فى رواة المتواتر . وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لا رغبة فى علم ولا غيرة على حق ، ولكن مكابرة وعنادا ، وإصراراً على التضليل ، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون !

* * *

بقى بعد هذا أمر لا بد من تقريره : وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذى لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها . وقد جاء فى شرح المقاصد بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية ما نصه : « ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة ... وأول بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازى ، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك ، وفتنة الدجال بظهور الشر والفساد ، ونزول عيسى صلى الله عليه وسلم باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح ... الخ . » . ومن ذلك نرى أن السعد لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعي الدلالة الذى

(١) وقد روى عن الامام أحمد أنه قال : أربعة أحاديث تدور بين الناس فى الأسواق ولا أصل لها ... الخ

(٢) وفى نخبة الفكر عن بعض الكرامية والمتصوفة « إباحة الوضع فى الترغيب والترهيب » انظر مسلم الثبوت

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

فى دار المفوضية الأفغانية — مع النحاس باشا — مع الدكتور طه حسين — مع الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا — نفحات عراقية

فى دار المفوضية الأفغانية

كانت عصرية الخميس الماضى موعد الاحتفال بعيد استقلال أفغانستان ، فأقبل على دار المفوضية الأفغانية بالزمالك جمهور من رجال السياسة والأدب والدين ، وشعر الزائرون جميعاً بأنهم فى دارهم ، بفضل المودة التى يضمرها سعادة السيد محمد صادق المجددى لأهل هذه البلاد ، وبفضل ما يكنه المصريون لهذا الرجل من الإجلال

ولكن ما القيمة الصحيحة للسيد المجددى ، القيمة التى توجب أن يبقى فى مصر مدة لم تتفق لغيره من السفراء ؟

التوفيق بيد الله ، ومع هذا فمن الواجب أن نحاول وزن الرجل من الوجهة الأخلاقية ، فقد يكون فى ذلك ما ينفع بعض الديبلوماسيين من رجال الشرق

المجددى ذكىٌّ جدًّا ، ولكنّ ذكاءه يشبه النبع الذى يترقرق تحت الرمال ، فهو يرى الأمور على ما هى عليه من قُرب أو من بُعد ، ثم يؤدى واجبه بلا جَلَبة ولا صياح

والمجددى سفيرٌ مسلم فى أمة إسلامية ، مسلم صادق إلى أبعد حدود الصدق ، وقد يُعَدّ من النوادر فى بعض السِّمات ، وإلا فمن يصدّق أن وزيراً مفوّضاً ينزل من سيارته ليساعد على حمل نعش ، عساه يظفر بموعود الثواب ؟

والمجددى يقيم حفلات موسمية متصلة بالأعياد القومية فى أفغانستان ، ولكنه لا يُلقى خطبة إلا فى الحفلة التى يقيمها بمناسبة المولد النبوى

وهو يعتكف أياماً من كل سنة فى أحد المساجد اعتكافاً لا يسمع به غير الخواصّ . وأين من يصبر على الاعتكاف بالمساجد في هذا الزمان ؟

وإسلام المجددى إسلام لطيف فهو يحيا حياة ذوقية قليلة الأمثال

دخلت المفوضية الأفغانية مع السيد خالد الشوربجى ، فلما جاء السيد المجددى لاستقبالنا قدّم إليه الشوربجى سبحة ، فقال المجددى : وأين القرنفلة ؟

وكان ذلك لأن المجددى نسِى فى المفوضية العراقية سبحة وقرنفلة ، ولم يفته حين تردّ إليه السبحة أن يذكر القرنفلة ، كأنها أُهديتْ إليه فى ساعة صفاء

ويظهر ذوق المجددى فى أحاديثه الإخوانية ، الذوق المطلول بندى الوجدان ، فهو يحادثك بروحه وقلبه حديث الرجل المفطور على صدق الطوية ، ولا تلمح فى بشاشته أى تكلف أو افتعال

وقد ربى أبناءه فى مصر تربية عربية إسلامية ، ليكون اتجاههم إلى المشرق لا إلى المغرب ، وليضمن انتفاعهم بالإقامة فى وطن الأزهر الشريف

لم تكن لمصر مفوضية فى أفغانستان ، فسعى السيد المجددى لحمل الحكومة المصرية على إنشاء مفوضية هناك ، ثم لاحظ أنها تتردد ، فأعلن أن هذا التردد قد يقهره على مفارقة مصر بعد أن أحبها أصدق الحب . وبهذه اللمحة الوجدانية وصل إلى ما يريد

أما بعد فهذه كلمة نكتبها لوجه الله في تحية رجل من المؤمنين بالله .

مع النحاس باشا

كانت مصادفة جميلة فى ذلك اليوم الجميل ، فقد جلست مع رفعة النحاس باشا على مائدة واحدة وتجاذبنا أطراف الأحاديث

يمتنع تأويله ، وإنما يقرر بصريح العبارة « أنه لا مانع من حملها على ظواهرها » فيعطى بذلك حق التأويل لمن انقدح فى قلبه سبب للتأويل ، ثم يحدث عن بعض العلماء أنهم سلكوا سبيل التأويل فى هذه الأحاديث فعلاً ، ويبين المعنى الذى حملوها عليه ، ولا شك أن هذا لم يكن منه إلا لأنه يعتقد — كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله — إن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها ، فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك ، ومن أداه نظره إلى تأويلها فله ذلك ، شأن كل ظنى فى دلالته

ومما تقدم يتبين جلياً « أنه ليس فى الأحاديث التى أوردوها فى شأن نزول عيسى آخر الزمان قطعية ما ، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها » . والسلام على من اتبع الهدى

محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

والنحاس باشا يترسل حين يتحدث ، ويحرص على أن يقدم لمحدثه أطايب من المعانى اللطاف

مرّ اسم « عبّاد الشمس » بالحديث فقال إن اسمه بالفرنسية tournesol لأنه يدور مع الشمس ، وهو رمز الرياء

فقلت : إن عباد الشمس يدور مع الشمس بإرادة لا تعرف التقلب ، فن الظلم أن نضيفه إلى زمرة المرائين ، وإن سمح رفعة الرئيس فأنا أذكر أن رمز الرياء هو « أبو رياح » لأنه يدور مع الرياح بلا إحساس ، وبهذا الوصف عرفه العرب ، وكان له مكان فوق أبواب القصور وأسوار البساتين

وعند ذلك قال عبد الفتاح باشا الطويل ، ولا يزال أبو رياح معروفاً عند باعة الحلويات ، ويكثر وجوده فى الموالد والأسواق

وسأل أحد الحاضرين من الأجانب رفعة الرئيس عن موعد اصطياف الحكومة بالأسكندرية فأجاب : سُيحدَّد الوعد بعد استئذان جلالة الملك فى أن يكون انتقال الحكومة إلى هناك بصفة رسمية ، فقال السائل : وما الفرق بين الصفة الرسمية وغير الرسمية فى الأصطياف ؟ فأجاب رفعة الرئيس : الاصطياف الرسمى يوجب انتقال الهيئة الديبلوماسية إلى هناك

فقلت فى نفسى : هذا بعض ما كنت أجهل من تأثير الرسميات

ثم اعتذر الرئيس بأن عليه أن يحضر حفلة يونانية وانصرف قبل نهاية الاحتفال .

مع الدكتور طه حسين

والتفت فرأيت الدكتور طه بك قريباً منى فمضيت للتسليم عليه ، ودار الحديث :

— هل يعرف سيدى الدكتور أن ورق الطباعة قد انعدم أو كاد ؟

— إنها فرصة ثمينة جداً

— انعدام الورق فرصة ثمينة جداً ؟

— بالتأكيد ، لأنه يريح الناس من مؤلفات زكي مبارك سنة أو سنتين !

— ولكن ما رأيك فى الكتب المدرسية ؟

— هذا ما نفكر فيه ؛ وقد نصل إلى شىء ، فليس من الصعب أن نقنع الحكومة بأن استيراد السماد لا يغنى عن استيراد الورق

— وهل يعرف سيدى الدكتور أن إرسال المطبوعات المصرية إلى الشرق قُيِّد بقيود ثقال ؟

— أعرف ذلك وقد انتهينا إلى حلّ

— ما هو ذلك الحل ؟

— قيدنا إصدار المؤلفات القديمة ، وأبحنا إصدار المؤلفات الحديثة بلا قيد ولا شرط ، تشجيعاً للتأليف الحديث ، فليس من الرفق ولا من العدل أن تصد المواهب المصرية عن الاتصال بأمم الشرق ، ويكفيها ما تعانى من أزمة الورق وغلاء المطبوعات

— ولكن ما الموجب لتقييد التصدير بالنسبة للمؤلفات القديمة ، ولبعضها أهمية لا تحتاج إلى بيان ؟

— المؤلفات القديمة موجودة فى أكثر بقاع الشرق ، فن واجب كل أمة عربية أو إسلامية أن تنشر ما تحتاج إليه من تلك المؤلفات . وهل تظن أن الجاحظ مثلاً يحتاج إلى تشجيع الحكومة المصرية ؟ إنما يحتاج إلى التشجيع جماعة المؤلفين من الأحياء ، وقد نشأوا فى زمن لا ينقل فيه الفكر بغير الطباعة والتوزيع .

وما كدنا نفرغ من هذا الحوار الهادئ حتى رأينا رجلاً يقول : يا دكتور طه بك ، عندى مؤلفات عميقة جداً لا يفهمها أحد غيرك ، فتى أعرضها عليك ، لأعرف رأيك ؟

فقلت : إسمع يا حضرة المؤلف العميق ، إن الدكتور طه مشغول فى هذه الأسابيع ، فانتظر إجازته الصيفية ليَفرُغ لك ولأمثالك من أهل العمق العميق !

وتفضل حضرة المؤلف فنح الدكتور طه بطاقته الغالية ليذكره حين يستريح فى إجازة الصيف !

قال الجرّاح الدكتور محمد كامل حسين وهو يتأمل تلك البطاقة المزخرفة : يجب على وزارة المعارف أن تؤلف لجنة لدرس مؤلفات هذا المؤلف العميق !

فقلت : ومن أجل هذا المؤلف توصد الأبواب فى وجه الجاحظ !

وأسرع الدكتور طه فانصرف قبل أن يتم الحديث

مع الشيخ مصطفى باشا

ولقيت فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا عند الباب فرجعت معه لآنس بحديثه لحظات ، ولم أكن رأيته

منذ شهور طوال فاقترحت عليه أن يقيم فى كل سنة موسماً دراسياً بالرواق العباسى ، إحياء لذكرى الشيخ محمد عبده ، فقال إن ذكرى الشيخ تقع فى يونية . فقلت ليس المهم ذكرى الوفاة وإنما المهم ذكرى الدرس ، وهى مقيدة بالعام الدراسى

— فى النية أن تقام فى مبانى الأزهر الجديدة قاعة محاضرات باسم الشيخ محمد عبده

— أهم من هذا أن يقترن الرواق العباسى باسم الشيخ محمد عبده ، فنى ذلك الرواق تألق نجم الشيخ ، وفيه دارت المساجلات بين طلاب الحق واليقين

— ما الذى يمنع من أن تقدم هذا الاقتراح لفضيلة الشيخ المراغى ؟

— الشيخ المراغى يرحب كل الترحيب ، فاستعد أنت ، وليستعد من انتفعوا بآراء الشيخ محمد عبده ، عساكم تحيون ذكراه بأبحاث متصلة بالمعضلات العقلية فى هذا الجيل

ثم تحدثنا فى تأثير الشيخ عبده فى زمانه ، فقال الشيخ مصطفى : كان السلطان حسين كامل يحمل المصحف دائماً . وكان يقول : أنا مسلم على مذهب الشيخ عبده

وتحدثنا عن صنيع الشيخ رشيد رضا فى نشر مؤلفات الأستاذ الإمام فقال الشيخ مصطفى : خدمات الشيخ رشيد لا تنكر ، ولكنه ظل بعيداً عن روح الشيخ عبده ، فقد كان يسرع إلى تكفير المسلمين لأقل الشبهات ، مع أن الشيخ كان يحكم بأن الرأى الذى يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه واحد يحمل صاحبه من المؤمنين

وعرفت من حديث الشيخ مصطفى أن أوراق الشيخ عبده قدمت إلى الشيخ رشيد لينتفع بها فى تدوين تاريخه بعد أن اعتذر الشيخ عبد الكريم سلمان ، وأن تاريخ الشيخ عبده روعيت فى تدوينه أشياء ، فلم يدوَّن على الوجه الصحيح فيما يمس تلك الأشياء

ثم ماذا ؟ ثم أذكر أن المستر بلنت قال فى مذكراته : لقد وجب على أن أسجل شعورى نحو الشيخ محمد عبده ، فهو فى نظرى أصدق رجل عرفته فى الشرق

وأنا أشعر بمثل هذه العاطفة نحو الشيخ مصطفى عبد الرازق فهو فى نظرى أصدق الأوفياء ، وهو معى فى كل وقت ، وإن كنا لا نلتقى إلا فى القليل من الأحايين

الصديق الحق هو الذى يحمل الصداقة فى مكانة من القدسية لا تتأثر بالقرب أو البعد ، ولا تختلف باختلاف الظروف ، ولا يزيدها تقادم العهد إلا صفاء إلى صفاء

نفحات عراقية

أصدرت مجلة « الغَرِىّ » عدداً خاصًّا بالوفد الملكى ، وفد الأساتذة المصريين إلى النجف ، وهو مجموعة من الخطب النفيسة والقصائد الجياد ، وفيه ذُكِرَت مصر بالخير على ألسنة فصاح ، وأفئدة صحاح

قرأت تلك المجموعة حرفاً حرفاً ، ومتعت خاطرى بذكريات النجف والموصل والبصرة والحلة وبغداد ، وهى بلاد الأهل والأحباب ، ثم سرنى أن أرى خطباء النجف وشعراء النجف بعافية ، وإن لم أر اسم السيد عبود شلاش بين الخطباء

وتذكرت الصديق الذى زرت معه النجف ، فمن ذلك الصديق ؟

لن أنسى أبداً أنى زرت النجف مع السيد صادق الوكيل ، ولن ينقضى حزنى عليه ، وكان أكرم صاحب وأكرم أليف

لو عاش هذا الفتى لوصل إلى خفايا الدقائق من التاريخ الإسلامى

ولو كنت أعرف أنه سيُخْتَـضر لأديت إليه بعض حقوق الوفاء

كان طيِّع القلم فى الرسائل الإخوانية ، فكنت أتلقى منه خطاباً فى كل أسبوع ، برغم تقصيرى فى الجواب ، لأنه كان يعرف أن الوقت لا يوافينى بما أريد ، والصديق الذى يعتذر عن أخيه نادر الوجود

إن زرت العراق بعد حين أو أحايين فسأمر على كربلاء ، لأقرأ الفاتحة على قبرك يا صادق ، ولأعزى أهلك ، إن جاز لمن يفقدك أن يجد العزاء

أترك هذه اللواعج وأشكر لمجلة الغَرِىّ لطفها مع الأساتذة المصريين ، راجياً أن تلوح فرصة قريبة نجزى فيها العراق لطفاً بلطف ، وجميلاً بجميل

زكى مبارك

موســـــيقا ...

للأستاذ دريني خشبة

كلما جلست وحدى تحت قبة السماء ، لا يمضى غير قليل حتى تملأ أذنى موسيقا الأفلاك ... الأفلاك العلوية ... التى تسبح فوقها الملائكة !

ما أطيب الوحدة فى هذا الزمن ! إنها تصلنا بالأول والآخر، والظاهر والباطن ... إنها تصلنا بالله !

ما أجمل موسيقا هذا الوجود المشرق بنور ربه ! النور الذى يُدَوِّى بأعذب الألحان فى قلوب الشعراء والمؤمنين والمحبين ! النور الذى يفيض على الخمائل فيغنى الورد ، وتصدح البلابل ، وتسقسق العصافير ، ويهتز الأيك ، ويستيقظ الوادى النائم ، ويصحو النهر الوسنان ، وتهرول الأنجم الحَيْرى ، ويقف البدر الخجول مستأذناً عند أبواب المغرب الفضية !

غنِّ يا قلبى فكل ما فى الوجود يغنى !

هات ألحانك فكل ما فى الكون ألحان !

ألحان صامتة هنا ، وألحان مُدَوِّية هناك ؛ وألحان من ألوان الزهر الضاحك ، والفنن المورق ، والبلبل الشادى ، والخرير المترقرق ، والنسيم العاشق ، وعبير الحب فى القلوب اليافعة ، وابتسام الأمل فى قلوب العذارى ، ورواء الحَمَل وهو يقضم الكلأ ، ثم يحسو جرعة من صفحة الغدير !

تلك موسيقا الخلود أيها الفؤاد المعمود !

ألست ترى إلى قطرات الكد التى تتحدر فوق جبين العامل ! وتفيض ملء أسارير الفلاح ؟ ... إنها صلوات الرجاء الذى لا ينقطع ، وأدعية الأمل الذى لا يخيب ... إن لها بين يدى الله لغناء تردده الملائكة من حول العرش ، كما تردده الأطفال من حول الأم ... أما فى قلوب العمال والفلاحين ، فهى موسيقا الإيمان الذى لا ينقم ، والرضى الذى لا يسخط ، والقناعة التى لا تضيق ، والتسليم الذى لا يعرف الحسد

كل ما فى الكون ألحان فتغن يا فؤادى

ليست ألحان الرياح فى أوتار الدوح ، ولا هديل الحمائم فى ضحى القرية ، ولا موسيقا الكروان فى هدأة الليل ، ولا تنهدة الحسناء فى ضوء القمر ، ولا تناجى المحبين فى غفلة الرقباء ، ولا همس القُبَل المذعورة فى أول لقاء ، ولا رعشة الشفاه الظامئة وهى تمترف ، ولا المعانى الراقصة وهى تغازل خيال الشاعر ، ولا مس فم الأم وهى تسجل أسرار قلبها فوق جبين الطفل ، ولا قطرات الندى وهى تُفتِّح أكمام الورد ، ولا آراد الشمس وهى توشى أذيال السحاب عند ما يتنفس الصبح ، ولا حفيف الريشة فى يد المصور وهى تجمش اللوحة ، ولا صلاة الناسك وقد فنى فى الله فى سكون الخلوة ، ولا تبرج الموج وهو يعانق حِسان الصيف قريباً من الشاطىء ، ولا براءة الطفلة وهى تضم القطيطة إلى صدرها النابض ، ولا غناء القلوب الملتاعة حين تلتقى ، فتتماس ، وتخفق ثم تهدأ ...

ليس هذا كله إلا موسيقا الوجود المتحد ، فغن مع القافلة يا قلبى ! ...

إتحد بالأغنية الكبرى التى تصغى إلى موسيقاها المذبة الحنون ترددها قرائح الشعراء ، وتصدح بها أسراب الطير ، وتنفخ فى نايها أنفاس الريح ، وتستروح إليها قلوب المدنفين ، ويستجيب لها بيان الأديب الذى يغدو لها مزماراً ، ويقدم من روحه لجرسها قيثاراً ، فيجعلها دموعاً فى أعين المحبين ، أو رحمة فى جوانح الحزانى ، أو حمرة فى شفة كل عذراء ، أو سحراً فى أهداب كل حورية ، أو نفحة فى فؤاد كل مبتئس ... أو ما شاء له فنه الذى جعله الله مرآة هذه الحياة الدائبة ، ولسان هذا العالم الشادى

***

لله ما فى حناياك من حناياى يا وتر !

تعال أسمعك أنانى التى هاجت حَرّها أنانك ... أنت أيها المعجب المطرب ، إن عندى ما يشجى وما يبكى ! ... إن هذا النغم الحلو النحيل الذى يمس المشاعر المترنحة كما يمس الفراش أفواف الزهر ... إن هذا النغم الذى يشبه الأهداب الطويلة الناعسة ، هو نغم ضحوك طروب ثمل ، يصدر عنك ولا يرتد إليك . إنه يمس القلوب مساً خفيفاً ثم يمضى كما تمضى الذكريات السعيدة ، ويتبدد كما تبدد الاحلام الفضية ، وقلما يبقى منه شىء فى السويداء تستعين به على تخفيف آلامها وتلطيف مآسيها ... وإن بقى منه شىء فإنما يكون أطيافاً . أطيافاً من آهات ولوعات

ولهفات ، تزيد الشجا فى صدر الشجى ، وتؤجج اللظى فى قلب المشتاق . إنها تزيد المواجع ولا تشفيها ، وتثبتها ولا تنفيها ، إنهـا تفجر دموع الضعفاء الذين يعتزلون الدنيا من أجل غادة ، ويلبسون المسوح من أجل حب خائب ، وغرام تعس

أما موسيقاى يا وتر ! فن لى بكلمات أعصرها من قلبى دماً ، إذا جملته سطوراً على أديم طروسى ، وقرأها الناس ، ملأت قلوبهم ، قبل أن تملأ أسماعهم ...!

هذاك قلمى يا وتر ! إنه أشبه اليراعات بالناى الذى يبكى معك ليبكى الناس ! أليس ينفث من شبابته ما تتغنى به الإنسانية من ألحان هذا الزمان المضرج بالدماء ، مثل ما ينفث نايك من ألحانه الخمرية التى يتغنى بها السهاة اللهاة العرابيد !

اسمع إلى موسيقاى يا وتر ، تحملها الصبا من جوانح الأمهات والأيامى والمنكوبات فى جنبات الفستولا وحفافى اليانع وضفاف الروهر . ثم من مغاور الأولمب وكهوفه ، وليس من شماقه ومشارفه التى كان يصدح فوقها أبوللو ، إذ تتهدهد مركبته أورورا الوردية فوق السحب مطلع كل شمس

هَـلُمَّ أسمعك موسيقاى يا وتر !

هلم أسمعك دقات القلوب النابضة ... القلوب المجروحة ... قلوب العذارى البولونيات اللائى لَدَىَّ من همس عيونهن ، ومشبوب ضلوعهن ، ما لا يدور لك فى خلد ! تعال ... أرهف آذانك التى يملؤها الشدو دائماً بما تتشكى هذه الفتاة التى تقول لى وهى تبكى : « لقد كان لى أب ... لقد كان لى أم ... لقد كان لى حبيب ... والآن ها أنذى جائعة ... ها أنذى ظمآى ... ظمآى إلى كل شىء . . . إن صدرى يمزّقه الظمأ ، وتشويه الُحرَق ، وتفتات به الآلام . . . وإن جمالى الذى كان العالم يفتتن به ، قد ذبل ، إنه يدى الآن فى أسمال الفاقة ، وفى وادى الموت والتشريد . إنه يبكى على الآباء والأمهات والأخوة ... وعلى كناره الذى كان يملأ جنة حبه بالشدو ، ويغسل أرضها بالدمع ، ويورق أغصانها بالتغريد ... يا رب أين ذهب كنارى ... لم لم يفرد جناحيه للريح حين هبت زوابع الهون ؟ هل ظن أنه يحول بينى وبينهم بأغنياته ؟ ما كان أرق فؤاده يا ربى ؟ . . . ولـكن ما لى أذكر كنارى الحبيب ولا أذكر بيانكا ... بيانكا الصغيرة ذات العامين ، التى ظلت تحت الردم يومين ، ولما أُخرجت فى الثالث سألتنى بصوتها النحيل الباكى الذى يتحشرج : ماما ... أين ماما ؟ فلما أنبأتها أنها تنتظرها فى الجنة . . . تلك الحديقة الكبيرة اليانعة التى غرستها يد الله ، تبسمت ، وأطبقت جفنيها وأسلمت آخر أنفاسها وصعدت إلى الله القادر اللطيف لتقابل أمها فى الحديقة الكبيرة اليانعة ... ولعلها تتذكر حينما تلقى البستانى فتروى له ما صنع الهون

ولأترك لك بقية القصة ، قصة البولونية تلحنها أنت وتغنيها أنت ... وتزفر بها أنت . ثم تبكى بها ملء عيون الإنسانية وملء قلوبها يا وتر !

* * *

تعال ... تعال أسمعك من أناشيدى الباكية يا وتر !

هل سمعت ما قالت كيتى اليونانية ، عذراء كوريتزا ، وهى تبكى ؟! إن أنين القيثار كله يذهب فى بعض أنينها يا وتر ... لقد كانت تذيب روحها قطرات من الدمع المختنق ترسله قطرة فقطرة من عينيها الترتين ، إذ هما ترويان مأساتها ... مأساة أفروديت وپالّلا وسيرز وبندورا ... بل مأساة الجمال والحكمة والخير والأمل !!

أسكبى دموعك يا ورود الحديقة على فينوس الجميلة التى أثخن الأعداء جسمها البض بجروح الوحشية المتبربرة المزهوّة بالطائرات والدبابات والغواصات والطرابيد !

أسكبى دموعك يا ورود الحديقة على أدونيس الغُرانِق الذى جندله الخنزير البرّى وراح يلغ فى دمه ، ويسلب القوت من أطفاله العُراة الظِّماء الجياع الذين هبّوا يردّون عن عرينهم الضبع ، فهب الخنزير البرىُّ إلى معونة ابن عمه ... لـكنه ذاده آخر الأمر عن الجثة التى غرز فيها أظافره ، ووقف على رمتها يُقهقه ويُغنى

اسمع إلى كيتى عذراء كوريتزا يا وتر ، وهى تروى مأساتها : « لقد كان لى أب ... لقد كانت لى أم ... لقد كان لى كِنارٌ حبيب يملأ حديقة حياتى ترجيماً وتسجيعاً ... يبتسم لى وأبتسم له ... ويملأ قلبى بالمُنى البيضِ ، وأفعم حياته بغُرر الأمانى ... ثم جاءت القائمة السوداء تنعيه من ميدان المجد والشرف ... فلبست عليه البياض الذى ترى يا وتر ... لأنه

على هامش النقد

الأدب « المهموس » والادب الصادق

للأستاذ سيد قطب

قلت فى كلمتى السابقة عن اللون المفضل من ألوان الأدب الذى يدعو إليه الأستاذ مندور

« من جميع النماذج التى اختارها حتى الآن — والنموذج كما قلت أكثر دلالة من الشرح العام - أستطيع أن أسمى هذا اللون باللون « الحِنـيّن » حسب تعبير أولاد البلد من القاهريين ! الذى تحس فيه « بالحنية » أو بالهمس والوداعة الأليفة حسب تعبيره هو »

ولست أحب أن أظلم الأستاذ « مندور » ولا أن أشوه صورة اللون الأدبى المفضل لديه . فليس فى الأمر ما يدعو إلى هذا العناء ، أو هـذا الالتواء . فأنا أسجل له هنا — فى الرسالة — بعض الشرح لما يريده نقلاً عن « الثقافة » . قال فى أحد الأعداد :

« الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوى هو الذى يهمس ، فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى نغمات حارة ؛ ولكنه غير الخطابة التى تغلب على شعرنا فتفسده ، إذ تبعد به عن النفس ، عن الصدق ، عن الدنو من القلوب »

ثم قال فى عدد آخر :

« وبعد ، فهناك شعر صادق جيل ، وهناك نثر صادق جيل ، سميتها مهموسة لأعبر عما يثيره التعبير الفرنسى « à mi-voix » الذى نستطيع ترجمته حرفياً بـ « نصف الملفوظ » والمعنى فى نفسى ليس واضحاً تمام الوضوح ، لأنه فى الحق إحساس أكثر منه معنى ، وإنما أستطيع أن أوحى للقارىء بشىء منه . إن قلت إننى أقصد إلى ذلك الأدب الذى سلم من الروح الخطابية التى غلبت على شعرنا التقليدى منذ المتنبى »

ثم يقول فى نفس المقال :

« لست أدرى أأفصحت أم لا . ولكنى فى الحق أعتمد على نفاذ روح القارىء ، لأنى يائس من أن أحل إليه ما فى نفسى حلاً تاماً ، ولهذا أترك له دائماً مشاطرتى التفكير والإحساس .

قدَّم قلبَينا قرباناً للوطن ... ولما مضيت فى إثره أقتل الهون البرابرة الذين قتلوا كنارى ، قبض علىّ سفاحهم فى طريق الحومة ، ولما أقتلْ من كلابهم غير عِلْجَين ... فوا أسفاه على أن لم أروِّ الأولب بدمائهم جيماً ... »

***

إسمع إلى لحن الإنسانية المجنونة يا وتر !

الإنسانية التى أصابها هذا السُّعار المحزن الذى جرَّح القلوب وقرَّح العيونَ وبرَّح بالقافلة ...

ألا أيها الليل الطويل متى ينبلج الفجر ؟

إلا أيتها العير الضالة متى تطلع الشمس ؟

ألا أيها الوتر الناجن متى تجد فتسمع قوى هدير الموج الصخاب وهزيم الرعد النَّصر وانفطار قلب الإنسانية الباكية . .

الإنسانية التى تدفن أطفالها تحت الردم ، وتهوى جواريها فى بطن اليم ، وتبث ألغامها فى البحر واليَبَس ...

الإنسانية التى تضحك وتبكى ، وتنوح وتغنى ، وتلبس السواد وتلبس البياض ، وترقص فى العُرس كما ترقص على المقبرة ، وتتحمس فى الخندق كما تتيه فى الحانة ...

ما هذا ؟

ما ذا تسمع يا وتر ؟

ما هذا الصوت المذب الجيل الذى يقول :

أيها الخفاق فى مسرى الهواء ؟

ولمن هذا اللحن الخلاب :

يا شباب النيل !.

يا عماد الجيل ؟ !

يا للموسيقا ؟ !

أين هو اللواء الخفاق ؟ وأين هم شباب النيل عماد الجيل ؟

اصدق يا موسيقا ... اصدق ... اصدق فقد جد الجد ، وآن أن يزهق الباطل !

دريني خشبة

عليه أن يصل ما أقطع ، وأن يفصل ما أجمل ، وأن يضفى على الإشارة كل ما خلفها ...

وقد عنيت أن أسجل هذه الفقرات ، ولعلها أقوى وأوضح ما يصور فكرة الأستاذ مندور — أو إحساسه بتعبير أصح — وهذا اللون الذى يدعو إليه فى الأدب ، لون حبيب ، ما فى ذلك شك ؛ ولكنه ليس اللون الوحيد الذى نعادى كل ما سواه ، لأنه ليس الصورة الوحيدة للحياة .

ولم يكن خطأ الأستاذ مندور فى هذا التضييق وحده — عند رسم آفاق الأدب — ولكنه كان كذلك فى رسم صورة واحدة لهذا اللون الواحد عند اختيار نماذجه — والنموذج الواحد هو الذى يكشف عن الصورة الباطنة فى نفس المتحدث — فإذا جاز لى أن أعد النماذج التى جاء بها صورة للون الذى يدعو إليه، لم أكن حينئذ ظالماً له ، ولا مشوهاً لغرضه حين سميت الأدب المهموس بالأدب « الحنين » !

وأحب أن أطمئن الأستاذ مندور على أننى أحس ما فى نفسه مما لا يستطيع أن يحمله إلى القارئ حملاً تاماً — كما يقول — ولا أرى فى استنجاده بإحساس القارئ لتكملة ما يريد وتفصيله ، عجزاً ولا قصوراً — كما رأى البعض — فالحس الفنى لا تستطيع الألفاظ دائماً أن تحمل معانيه كاملة بوضوح ، وحسبها أن تشير إليه وأن تستثير فى نفوسنا المعانى والأحاسيس والذكريات الخاصة به

وهو فى شرحه للأدب المهموس ، كان أوسع أفقاً وأرحب صدراً ، من الأمثلة التى جاء بها جميعاً من لون واحد ، ولو كانت المسألة مسألة علمية أو فكرية لكان هذا الشرح هو كل شىء . ولكنها مسألة فنية ، فالمثال هو الأصدق والأصح فى تصوير الشرح العام

وإذا قلت : كان أوسع أفقاً وأرحب صدراً ، فإنما أقيسه إلى نفسه فى فهم الأدب . ولا أحتاج أن أقول : إن ذلك الأفق ليس وسيعاً ، وهذا الصدر ليس رحيباً ، بالقياس إلى الفهم العام الذى يجب أن تمنيه جميع الألوان الصادقة من الفنون ، لا لون واحد قد يكون أفضل الألوان ، وقد لا يكون !

وقد قلت فى الكلمة السابقة : « إنه كان موفقاً فى اختيار بعض النماذج ، غير موفق فى اختيار بعضها ، فقصيدة « يا أخى » لميخائيل نعيمة ، وقصيدة « ترنيمة سرير » لنسيب عريضة بعدان نموذجاً طيباً لهذا اللون بذلك القيد . ولكن ما عداهما من مختاراته كان نماذج رديئة للشعر عامة ، ولهذا اللون من الشعر كذلك ، لا فى الأداء وحده ، ولكن فى حقيقة الشعور »

فأحب أن أفصل هذا القول بعض التفصيل

يقول الشاعر « نسيب عريضة » بعنوان « ترنيمة سرير » :

ظلام الليل قد جنا ... وبوق الهمّ قد رنّا
فنم يا طفل لا يهنا ... غنى بات شبعانا

فتام اليأس غطّانا ... فَنَمْ ، لا عين ترعانا
إذا ما صبحنا حانا ... حسبنا الصبح أكفانا

ألا يا همّ يكفينا ... لقد جفّت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا ... أكلنا بعض بلوانا

فتنال هذه القطعة إعجاب الأستاذ « مندور » وحبه ، وهى حقيقة أن تنال هذا منه ، ومنا نحن أيضاً — بوصفها لوناً من ألوان الأدب ، لا بوصفها اللون الوحيد الذى يحب —

ولكن الشاعر يقول قطعة أخرى بعنوان « يا نفس » لا تبلغ أن تكون فى هذا المستوى ، ولا أن تكون نموذجاً شعرياً ، فتنال إعجاب الأستاذ مندور كذلك لأسباب سنذكرها بعد . وهذه بعض مقطوعاتها :

يا نفس مالك والأنين ... تتألمين وتؤلمين
عذبت قلبى بالحنين ... وكتمته ما تقصدين !

قد نام أرباب الغرام ... وتدثروا لحف السلام
وأبيت يا نفس المنام ... أفأنت وحدك تشعرين؟

والليل مر على سواك ... أفما دهاهم ما دهاك
فلم التمرّد والعراك ... ماسور جسمى بالمتين

ولا يعلو مستوى بقية القصيدة عن هذا المستوى ، الذى لا شعر فيه ولا حرارة . وأحسب أن وضع القصيدتين متقابلتين — وهما لشاعر واحد — يكفى للاحساس القوى الواضح بما بين مستواهما من فروق . ولكن الأستاذ مندور يصب إعجابه عليها جميعاً ، ووائده فى ذلك أمران :

الأول : أن القصيدتين لشاعر من شعراء المهجر . وهو يحب شعراء المهجر ، لأنه حين ذهب إلى أوربا كان يحمل بعض أدبهم ، وبعد أن عاد إلى مصر لم ينفسح له الوقت ليقرأ الشعراء المصريين المحدثين !

والثاني : أن في كلتا القصيدتين نغمة أسى دفين متهالك . وهو لا يحوجنا في هذا إلى التخمين إذ يقول عن القصيدة الأولى : « أعود أنصت إليه — أي إلى نسيب عريضة — يهدهد طفله في « ترنيمة سرير » حزينة بموسيقاها المطردة ! » وكان قد قال عن المقطوعة الثانية : « وها نحن منذ المقطوعة الأولى في جو الشعر فالنفس تئن »

يكفي إذن عند الأستاذ « مندور » أن تكون القصيدة لأحد شعراء المهجر ، وأن يكون فيها حزن وأنين ، لتنال منه الحب والاستحسان ! ومرد هذا كما قلت إلى « مزاج خاص » هو إلى الحالات المرضية أقرب فيما أعتقد

هناك عقدتان نفسيتان لعلهما تلتقيان عند عقدة واحدة . فالأستاذ — كما لمحت في أحاديثي القصيرة معه — حاد المزاج ، سريع التأثر ، شديد الحنين والألفة ، وهي صفات إنسانية تحب ، ولكنها لا تصلح للناقد ولا يستقيم معها النقد . وهو يقول في إحدى مقالاته :

بلغني أن « أمين مشرق » قد قتلته سيارة بأمريكا ، فحزنت وراجعت نفسي في سر ذلك الحزن ، وهذا رجل ما رأيته قط ، ولا حدثني عنه أحد ، وإنما هي مصادفات الحياة ساقتني وأنا طالب ، إلى كتاب به مختارات لشعراء المهجر ، فتفتحت لنغماتهم نفسي ، واصطحبت الكتاب إلى أوربا سنوات ، وعدت « بكتابي » القديم كما ذهبت به ، وإن تكن جلدته قد ضاعت ، وأوراقه الأولى قد تآكلت ، وأصبحت لا أعرف له عنواناً . ولكنني أفزع إليه كلما ضاق الصدر أو عض الألم ، فأجد بين صفحاته من عبير الروح ما يحيي الإيمان

« أمين مشرق ، بين من يضمهم « كتابي » . له فيه صفحات من الشعر والنثر . كم آنست من وحشتي ورفعت من قلبي . إنه صديق قديم »

هكذا كتب الأستاذ « مندور » وأنا « أحب » هذه النغمة منه . ولكنني من أجلها لا أثق بأحكامه الأدبية — وبخاصة في الشعر — ومن أجلها كذلك أحذر القراء من الاطمئنان إلى هذه الأحكام !

في « مندور » حنان وألفة ، وهو قد « هاجر » إلى أوربا وحمل معه إلى المهجر كتاباً يضم مختارات لشعراء « المهجر » وكان هذا وحده يكفي لأن يحب هذا الكتاب وشعراء هذا الكتاب . ولكنه كان كذلك كتاب الصبا الذي رافقه وهو « طالب » ، وجلدته قد ضاعت ، وأوراقه قد تآكلت . ولكنه عاد « بكتابه » القديم كما ذهب به ، فزاده ذلك إعزازاً لديه وأثارة عنده . وصار يفزع إليه كلما ضاق الصدر أو عض الألم . وكان « أمين مشرق » بين من يضمهم كتابه فاستحق لقب « الصديق القديم » وكان سواه من شعراء المهجر كذلك . فكل منهم إذن هو « صديق قديم » !

ولقد قلت إنني « أخشى أن تكون حادثة ما أو عدة حوادث كامنة في ماضي الأستاذ مندور ، تتحكم في نفسه دون شعور » فهذه حادثة من تلك الحوادث التي افترضتها ومن يدري فلعل وراءها من نوعها الكثير !

على أن هناك عاملاً آخر تتأثر به أحكام صاحب « الميزان الجديد » ؛ فقد عاد إلى مصر قريباً ، ولم يتسع له الوقت بعد ليقرأ الشعراء والأدباء المصريين ؛ إذ كان مشغولاً في الوقت القصير الذي تلا عودته بكتابة رسالة يتقدم بها إلى الجامعة . فهو — كما فهمت من حديث سريع معي — كان يحسب الشعر المصري هو ذلك الذي تنشره الأهرام في بعض « المناسبات » ، فأصدر عليه حكماً جازماً سريعاً . كما أنه عند ما تحدث عن « بيجماليون » لتوفيق الحكيم ، لم يكن قرأ كل مؤلفاته فأصدر عليه حكماً جازماً سريعاً . وهكذا كان أمره — فيما أحسب — مع شعر العقاد وشعر سواه : نظرة خاطفة سريعة ، وحكم جازم سريع ! وليس هكذا يصنع « أصحاب الموازين » !

***

وبعد فلقد كان اليوم موعدي مع القراء لعرض نماذج من الشعر الهامس الصحيح ؛ فمعذرتي إليهم أن الفرغ المتاح قد استغرق كله . وإلى اللقاء القريب .

(حلوان) سيد قطب

إنشاء معهد لفنون التمثيل

ضرورة لا غنى عنها

للأستاذ زكى طليمات
المدير الفنى للفرقة المصرية للتمثيل والسينما

[تحية للأستاذ دريني خشبة الذى يعنى بشئون المسرح المصرى ويفسح لها من علمه وأدبه]

إن ما تجرى عليه الحكومة من وسائل ترقية فن التمثيل وتشجيع القائمين به – وأبين مظاهرها قيام الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى – إنما هو علاج مؤقت لحالة يجب أن يشملها إصلاح واسع يرتكز على سياسة إنشائية ترسم الوجهة التى يجب أن يولى المسرح المصرى وجهه شطرها ، ويكون من أول ما تسعى إلى تحقيقه إنشاء معاهد لفن التمثيل تعلم فيها فنونه وصناعاته على حقيقتها ، وتكفل نشر ثقافة حقة لهذا الفن الجيل

وإنا إذ نقرر هذا ونشير به لا ننسى اعتباراً آخر له أهميته فى تدعيم أساس لفن التمثيل وأدبه ، وأعنى به المسرحية المحلية ومؤلفها ، بيد أن إيجاد هذا المؤلف النابه لا يتم بمجرد استشعارنا الحاجة إليه والبحث عنه ، إذ أنه من فعل البيئة الثقافية وصنع الواعية الباطنة للمجتمع ، وهذه أشياء تخرج على طوقنا لاحيلة لنا فى السيطرة عليها . غير أنه مما لا شك فيه أن إذاعة ثقافية منظمة لهذه الفنون وتنظيم فرق تمثيلية تتسامى فى عملها على الارتجال والجهل والتهويش والعرض الزائف لما يساعد على خلق البيئة الفنية الصالحة التى قد ينجم منها المؤلف المسرحى الذى يسجل سمات الإنسانية العامة فى معالم جيله ، ويكشف عن القلب البشرى فى مسرحياته . لهذا نتجاوز عن هذا الاعتبار على أهميته ، لنعالج عنصراً آخر له أيضاً أهميته لأنه مما يقوم عليه المسرح فى كل زمان ومكان ، ألا وهو الممثل والمخرج

إن إنشاء معاهد للتمثيل ضرورة ملحة مأتاها أن فن التمثيل باللسان العربى ليس أصيلاً فى الأدب العربى ، ولا هو من مرائى الحياة الاجتماعية فى مصر ، بل هو لون من الفن والأدب منتحل من الغرب ، دخيل على المجتمع المصرى منذ أن تفتحت أبواب من الأدب العربى على الأدب الغربى فى أواسط القرن الماضى ، فتقاليده غير ممتدة فى التربة المصرية ، وفنونه وصناعاته غير مستبطن دخائلها ، والقائمون بأمره ليسوا كلهم مما يرتفع بهم هذا الفن ويسمو ، وذلك لخفة مؤونتهم من التعليم العام والثقافة الفنية .

وإن ما انتهى إليه المسرح المصرى فى شتى نواحى هذا الفن ، ولا سيما فن الأداء التمثيلى والإخراج ، إنما هو ثمرة الجهاد الذى يقوم على الموهبة العاجزة والميل الشديد أكثر مما يقوم على الموهبة المثقفة والدراية الكاملة بمعارف هذه الفنون ولتقاليدها ، وهو جهاد كان يسفر ولا شك عن مستوى أرفع مما انتهى إليه لو أنه أحيط بالدراسات التى تنمى مواهب القائمين به وتوسع فى آفاق تفكيرهم وتردهم دائماً إلى الموثوق بصحته من التعاليم الفنية ، إذ أن كل فن جيل إنما يقوم على عمادين : الدراسة والميل ، ولا يقوم على واحد منهما

ولا أغالى إذا قررت أن فن التمثيل فى مصر يتفرد بين جميع الفنون بأنه قائم من غير مدرسة ولا خطة تعليمية ما ، وهذه حال تثير العجب والأسف فى وقت واحد .

وليس فن الأداء التمثيلى وصناعات المسرح وفن الإخراج مما يرتجل ارتجالاً بدفعة الميل والرغبة ، وإمداد الجرأة ، ومواتاة المدارك فحسب ، وإنما هى فنون تقوم على التثقيف النظرى الواسع والممارسة السليمة من الزيف ، بعد أن تناولها العلم بالصقل والتوليد ، فقعّد لها القواعد وأصّل الأصول

نقرر هذا من غير أن نجحد ما للمواهب التى تركبها الطبيعة فى الخلق من أثر كبير فى نتاج الفنان ، فقد وعت حافظة المسرح فى مختلف الأقطار أسماء ممثلين اتسم عملهم بالنبوغ من غير أن يخضعوا لتعاليم معهد أو كتاب فن ، ولكن هذا النبوغ قليل ، يكاد يخرج على كل قاعدة وتعليم ، فهو أمر خارق وشاذ لا يؤخذ به فى وضع النظم التعليمية العامة

وفن الأداء التمثيلى وفن الإخراج ، عنصران لهما خطرهما وأهميتهما فى هذا الفن . وذلك باعتبار أنهما أداة الاتصال بين المسرحية والجمهور . المخرج والممثل : الأول يرسم وينشىء ، والثانى يؤدى ويطالع الجمهور ، فبطريقيهما يجرى التأثير وتتم الفائدة من حضور الرواية

وقد سبق لوزارة المعارف العمومية أن أخذت بوجهة النظر

هذه بعد أن سجلتها فى تقريرى الذى قدمته إليها مفصلاً معززاً بأقوال الثقاة من رجال الفن المسرحى فى أوربا ، وهو تقرير قدمته عام ١٩٢٩ عقب عودتى من البعثة الفنية فى مسارح أوربا ومعاهدها، فكان أن أنشأت معهداً حكومياً للتمثيل عام ١٩٣٠ ، ولكن هذا المعهد لم يقطع من سنى حياته غير العام الأول ، ثم ذهب ضحية المنازعات الشخصية التى كان يحتاج بها صدر الوزارة فى ذلك الوقت ، فأغلقت أبوابه بدعوى أنه مخالف للتقاليد الشرقية !

وكان من جراء هذا أن انهار ركن كبير من سياسة إنشائية مرسومة ، وحرم المسرح العربى من أن تمثل فيه وجوه جديدة لها مستواها الثقافى العالى ومواهبها الممتازة ، فكان ذلك القصور المشهود فى فنون المسرح ، وكانت هذه المعاناة فى سبيل إصلاحه . وها قد مرت اثنتا عشرة سنة منذ أن أغلق المعهد الحكومى أبوابه ، بذلت أثناءها جهود مختلفة للارتقاء بمستوى المسرح ، ولم تسفر عن شىء فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، وبقيت الفرق العاملة تشكو ما كانت تكابده من ضعف فى وسائل الأداء ، وما تعانيه من افتقار إلى وجوه جديدة تحمل المشعل بأيد فتية وتواصل الجهاد إلى جانب ذلك النفر العزيز من الممثلين والممثلات المقتدرين ، وهم نفر قليل عددهم قد برزوا فى فنهم بخصب مواهبهم وفيض مؤهلاتهم . وإننى أتساءل ما ذا يحل بالمسرح المصرى فى ناحية فن الممثل لو أن هذا النفر العزيز تنحى عن خدمة المسرح مختاراً بدافع الشبع والزهد ، أو مجبراً بعامل المرض أو الوفاة ؟ .

إن إنشاء معهد للتمثيل أصبح ضرورة لا مندوحة عن مواجهتها لوزارة الشئون الاجتماعية التى آل إليها أمر الفرقة المصرية وإعانات التمثيل والموسيقى .

وما دامت الوزارة قد أولت المسرح المصرى هذه العناية المأثورة إذ تتعهد الآن بنفسها أمر توجيهه وتقويمه ورعاية القائمين بأمره ، فما أظن أن رعايتها تقصر عن إنشاء معهد للتمثيل يكون حجر الزاوية لمرحلة جديدة ينتقل إليها المسرح وقد رسخت له قدم ثابتة فيها هى جوهر له وأساس .

زكى طليمات

الصديق أبو بكر
بين العقاد وهيكل
للأستاذ محمود أبو رية

كانت هذه الكلمة فى أصلها ستخرج خالصة لكتاب (عبقرية الصديق) الذى أخرجه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد ، ولكن عرض ما غير وجهة القول ، وجعلنى أتناول بالحديث كتاباً آخر معه ، ولعل الخيرة فيما وقع

ذلك أن أحد الأدباء واجهنى بسؤال قال فيه : ترى ماذا بقى من تاريخ أبى بكر بعد ما أتى به هيكل باشا فى كتابه ، فيجرى به قلم غيره ؟ وإنى أجيبه هنا فأقول : إن هيكل باشا قد عنى فى كتابه بذكر الأخبار وإيراد الوقائع التى حدثت فى عهد أبى بكر متبعاً فى ذلك سَنن من قبله من المؤرخين الذين ينقل بعضهم عن بعض

وعلى أنه قد أطال فى النقل حتى خرج عمله فى سفر ضخم ، فإنه – كما قال صديقنا الكاتب السيد محب الدين الخطيب – قد فاته الاطلاع على مراجع وثيقة واعتمد على مصادر واهية لا يصح التعويل عليها (المقتطف والفتح)

ومن أجل ذلك ترى كتابه قد حمل أخباراً ما كان لمؤرخ محقق أن يأخذ بها ، مثل ما روى أن علياً حمل فاطمة على دابة وخرج بها يطوف على الناس يجر هذه الدابة وهى تناشد الرجال وتتوسل إليهم أن ينصفوا بعلها وهم يعتذرون آسفين . وقد عجب الكاتب الكبير إبرهيم عبد القادر المازنى فى البلاغ من إيراد هيكل باشا لهذه القصة وقال « إن المرء لا يحتاج إلى ذكاء أو علم ليدرك أنها مختلقة من أولها إلى آخرها »

ومن الأخبار التى نقلها هيكل باشا إلى كتابه وهى إلى الخرافات أدنى منها إلى الحقائق أن العنكبوت خيمت على الغار لتحجب النبي وصاحبه عن الناس . ومن العجيب أن ما أتى به فى كتابه من مثل هذه الخرافة قد عابه على الدكتور طه حسين يوم أن نشر الجزء الأول من كتابه (على هامش السيرة) وكان مما قاله فى ذلك : « إن هذه الأمور إنما وضعت لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الإسلام ودينه » (السياسة الأسبوعية)

هذا هو كتاب هيكل باشا ونحن بما أظهرنا من نقد – لنا ولغيرنا – لا نغض منه ، وإنما نقول إنه قد أصبح مصدراً من المصادر التى يجد فيها الباحث تاريخ الإسلام فى عهد أبى بكر وبخاصة تاريخ حروب الردة

أما العقاد فقد اتخذ فى تأليفه منهجاً جديداً يباين ما ذهب إليه رجال التاريخ الإسلامى جميعاً ، ذلك أنه جعل وجهته دراسة شخصية أبى بكر وتحليل ملكاته . وقد بين هذا المنهج بقوله : « إننى لا أكتب ترجمة للصديق رضى الله عنه ، ولا أكتب تاريخاً لخلافته وحوادث عصره ، ولا أعنى بالوقائع من حيث هى وقائع ، ولا بالأخبار من حيث هى أخبار ، فهذه موضوعات لم أقصدها ... ولكنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين ، فلا تعنينا الوقائع والأخبار إلا بمقدار ما تؤدى أداءها فى هذا القصد ... وهى قد تكبر أو تصغر فلا يهمنا منها الكبر أو الصغر إلا بذلك المقدار ، ولعل حادثاً صغيراً يستحق منا التقديم على أكبر الحوادث إذا كان فيه دلالة نفسية أكبر من دلالته ، ولمحة مصورة أظهر من لمحته » (ص ٣)

وهذا المذهب الذى اتخذه لدراسة أبى بكر هو ما نحتاج إليه ولا ريب فى هذا العصر وما يجب على كل كاتب مجيد أن يسلكه ، لأنه كما يقول العقاد : « أوجب مما كان فى الأزمان الغابرة لأن الأسباب التى تغض من وقار للعظمة لم تزل تتكاثر منذ القرن الثامن عشر إلى الآن ... وأن الإنسانية لا تعرف حقاً من الحقوق إن لم تعرف حق عظمائها ، وأن الإنسانية كلها ليست بشىء إن كانت العظمة الإنسانية فى قديمها أو حديثها ليست بشىء » (ص ٦ و ٧)

ولكى يُحكم التصوير ويُوفى بعمله على الغاية جعل من عقله وفكره وعلمه مجهراً جمله أمام شخصية أبى بكر ثم أجرى قلمه على القرطاس ليرسم ما يستعلن فى هذا المجهر حتى خرجت هذه الشخصية فى صورة « صادقة كل الصدق فى جملتها وتفصيلها »

وإذا كانت الصورة الجيلة التى تفترق العين لا يمكن لواصف أن يجلوها على حقيقتها فإنا نشير إلى بعض ملامح تلك الصورة التى أبدعها قلم العقاد إشارة عابرة تومئ ولا تغنى

لقد جعل العقاد من مذهبه إذا ما ترجم لعظيم أن يستقصى

فى الدرس ويمعن فى التحليل حتى يقبض بيده على مفتاح شخصيته ثم يعطيه لكل باحث لكي ينفذ به إلى سر عبقريتها ، ويكشف عن دخائل ملكاتها . وقد كشفت له دراسته لأبى بكر عن مفتاح شخصيته فإذا هو «الإعجاب بالبطولة» وقد تحدث عن هذه البطولة فقال : إن البطولة التى أعجب بها أبو بكر هى البطولة التى ليس أشرق منها ، بطولة تعرفها النفس الإنسانية ، هى بطولة الحق وبطولة الخير وبطولة الاستقامة ؛ وهى بعد هذا وفوق هذا بطولة الفداء يقبل عليها من يقبل وهو عالم بما سيلقاه من عنت الأقوياء والجهلاء ، تلك هى بطولة محمد » ص٦٨

ولما عرض إلى ما بين أبى بكر وعمر من تقابل قال : « كان أبو بكر نموذج الاقتداء ، وكان عمر نموذج الاجتهاد » ص ٨٤ وبعد أن بين ما بينهما من اختلاف فى الصفات قال تلك الكلمة الحكيمة : « وموضع العبرة بل موضع الإعجاز هو تلك الدعوة التى شملت هذه القوى كلها فى طية واحدة ، وضمت هؤلاء الرجال حول رجل واحد ، وجذبت إليها أكرم العناصر التى تأتى بالعظائم وتصلح للخير وتقدم على الفداء » ص ٩٥

وإذا كان مما لا ريب فيه أن أهم الأحداث التى نجمت بعد وفاة الرسول إنما هو أمر الخلافة وأمر الردة ، فإن العقاد بعد أن استقصى الأمور كلها - فى الأمر الأول - وقلبها على جميع وجوهها قال : « ومصلحة المسلمين فى ولايته راجحة فى كل حساب ؛ لأن المسلمين كانوا يومئذ أحوج إلى عهد يكون امتداداً لعهد النبي حتى يحين وقت التوسع والتصرف الخ ص ٣٣

ولقد أصاب العقاد فى ذلك ، إذ ما كان أحد يصلح للخلافة أو ينهض بأعبائها بعد رسول الله غير أبى بكر ، لا لأنه أفضل الصحابة - فما ذلك قصدنا - ولكن لما كان عليه العرب حينئذ عامة ، وبنو أمية خاصة ، هؤلاء الذين كانت عصبيتهم المكبوتة تنتهز الفرصة للوثبة . فإذا أتيح لها أن تتولى الأمر بعد وفاة الرسول لأعادتها جاهلية ، ولصار أمر الإسلام إلى زوال . وناهيك بما فعلوه بعد أن تولى عثمان أمر المسلمين ، وكانت الدعوة قد استقرت والأمور قد تمهدت ! وإذا كان عهد أبى بكر كما قال العقاد آنفاً امتداداً لعهد النبي فإنه كان كذلك عهد تمحيص وتثبيت . وكذلك ما كان يَصْلح للأمر بعد أبى بكر غير عمر ولا يتولى بعده إلا من يكون فى مثل قوته وصرامته حتى يكون أمر المسلمين بعيداً عن أعاصير الأهواء وعواصف الفتن

أما أمر الردة فبينا نرى هيكل باشا يكتفى بأن يقول فيه عن الذين ارتدوا «إن كثيراً منهم راجعهم الحنين إلى عقائدهم الأولى فلم يلبثوا حين علموا بوفاة رسول الله أن ارتدوا عن دين الله» ص ١٤ . ويقف فى التعليل عند ذلك ، إذ بك تبصر العقاد قد أرجع هذا الارتداد إلى علل منطقية ودلائل عقلية لا نطيل بذكرها . ص١٤١ وهذا هو فرق ما بين من يأخذ الأمور من ظواهرها وبين من يوغل فى دراستها إلى أن يصل إلى بواطنها

بقى أمر لا بد من أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبى بكر من فاطمة بنت الرسول رضى الله عنها وما فعل معها فى ميراث أبيها . وهذا أمر نخالف فيه الأستاذ العقاد وكل من يرى رأيه ؛ لأننا إذا سلمنا معهم بأن خبر الآحاد الظنى يخصص الكتاب القطعى ، وأنه قد ثبت أن النبى قد قال إنه لا يورث . وإنه لا تخصيص فى عموم هذا الخبر ، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطى فاطمة رضى الله عنها بعض تركة أبيها كأن يخصها بفدك ، وهذا من حقه الذى لا يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخص من شاء بما شاء ؛ وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي . على أن فَدَك هذه التى منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها (الخليفة) عثمان لمروان

هذه لمحات قصيرة من ملامح صورة أبى بكر التى صورها العقاد ؛ أما هذه الصورة على حقيقتها فإنه لا يغنى القول فيها عن الاطلاع عليها

ولعل القارىء قد أدرك بما بيناه بعد ما بين عمل هيكل باشا وعمل العقاد ؛ فذاك قد آثر حشد الأخبار وسوق الأحداث فعل الإخباريين ، وهذا قد أبدع مذهباً جديداً فى التأليف أعانه عليه أنه لم يتوله إلا وهو مستحصد المِرَّة من عقل وفكر ، مستكمل الأداة من اطلاع وعلم . وقد خرج هذا النحو من التأليف فى عبارة محكمة السرد لم يستلهم فيها وحى الخيال ، وإنما استعان بمنطق الفيلسوف الذى يفتح من آفاق الحقائق مالا يبلغه خيال الشاعر أو الكاتب

وإذا كانت مؤلفات العقاد تعمل على تربية العقل وتنمية الفكر فإن ما يكتبه عن عباقرة الإسلام يربى على ذلك بأنه خير دعاية للدين الإسلامى وأنجع وسيلة لإظهار فضل رجاله الذين هم أهل لكل تعظيم .

(المنصورة) محمود أبو رية

حصاد القمر ... !

[وحي سياحة قرية في ليلة من ليالي الحصاد بين حقول القمح، والنخيل. حيث كان الشاعر ضيف القمر بقرية «أم خنان» الهاجعة في مروج الجيزة الخضراء]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سيان في جفنه الإغفاء والسهر ... نامت سنابله واستيقظ القمر!

نشوان يحلم والأضواء ساهدة ... قلب النسيم لها ولهان ينفطر

مال السنا جاثيا يلقي بمسمعه ... همسا من الوحي لا يدرى له خبر

وأطرقت نخلة قامت بتلعته ... كأنها زاهد في الله يفتكر

إن هب نسم بها، خيلت ذوائبها ... أناملا مرعشات هزها الكبر!

كأنما ظلها في الحقل مضطهد ... ضمت السكينة عن جانبيه يعتذر

الدوح نشوان! فاخشع إن مررت به ... فضيفه الباطشان: الليل، والقدر!

كأن أغصانه أشباح قافلة ... غاب الرفيقان عنها: الركب، والسفر

مبهورة شخصت في الجو ذاهلة ... كأنها لحبيب غاب تنتظر!

أو أنها نسيت عهدا، وأنعشها ... شجو الرياح فهاجت قلبها الذكر

أو أنها والأسى المكبوت في فمها ... بنات وعد بها عشاقها غدروا

عجماء تنبس كالتمتام عاتبة ... وملء أفواهها التهويم والخدر!

يا ساكب النور لا يدرى منابعه ... لأنت قلب يشع الحب، لا قمر!

هيمان تحمل وجد الليل أضلعه ... والليل تقتله الأشجان والفكر

كأنه زورق في الخلد رحلته ... تياره من ضفاف الحور منحدر

يا طائرا في ربى الأفلاك مختفيا ... يمشي على خطوه الإجفال والحذر

أرخ اللثام، فمهما سرت محتجبا ... نمت على نورك الأسدال والستر

علام ضنك بالأنوار في زمن ... إليك يظمأ فيه الروح والبصر!

الأرض مظلمة الأسرار ساخرة ... كأنها شيخة بالناس تتجر!

تقبلت كل مولود بقهقهة ... وقهقه اللحد لما جاء ينذر!

يا طائفا لم ينم سيرا على كبد ... إلا وحفت من أخلائه أثر

تمشي الهوينا، كما لو كنت مقتفيا ... آثار من دفنوا مغناك واستتروا

لليلاتك البيض والأيام تحسدها ... عرائس عن صباها انحلت الأزر

سمعت سحرك في الأضواء أغنية ... حيرى تأوه عنها الريح والشجر!

وعيتها ونقلت السر عن فمها ... لمن أبوح به والناس قد كفروا؟!

آمنت بالله! كل الكون في خلدي ... هاد إليه... الحصى، والذر، والحجر!

ذرت عيونك دمعا ليس يعرفه ... إلا غريب بصدري حائر ضجر!

قلب، كقلبك مجروح... وفي دمه ... هالات نور إليها يفزع البشر!

إن العذاب الذي أضناك في كبدي ... من ناره جذوة تغلي وتستعر

سرى كلانا ونبع النور في يده ... أنت السنا! وأنا الإنشاد والوتر!

وأشربتنا الليالي السود أدمعنا ... وأنت سال ونفسي غالها الشرر!

كأن وجهك في الشطآن حين غدا ... إليك يومئ من أدواحها نفر...

مبشر بنبي... ذاع مؤتلقا ... على العوالم من أضوائه الخبر!

الله أكبر! يا ابن الليل.. يا كبدا ... لم يضن أسرارها التطواف والسهر!

بكى الحيارى على الدنيا مواجعهم ... وصرعتهم بلايا الدهر والغير

وأنت حيران منذ المهد... لا وطن ... ولا رفيق، ولا درب... ولا سفر!



من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

نشرت الرسالة فى العدد الماضى بيتين من الشعر لسعادة الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، وقد يحسب بعض القراء أن هذين البيتين يتيمان ليس له غيرهما ولكنا نقول لهم إن لسعادته أشعاراً كثيرة ولكنه لم يُعن بنشرها ، ونحن نذكر هنا بضعة أبيات من قصيدة مدح بها الأستاذ الإمام محمد عبده عند عودته من أوروبة وتونس والجزائر سنة ١٩٠٣ (أى منذ أربعين سنة) وها هى ذى :

أقبل عليك تحية وسلام ... يا ساهراً والمسلمون نيام
تطوى البلاد وحيث جئت لأمة ... نشرت لفضلك بينهم أعلام
كالبدر أنّى سار يشرق نوره ... والحق أنّى حل فهو إمام
إن يقدروا فى الغرب علمك قدره ... فلمصر أولى منهم والشام
فيك الرجاء لأمة لعبت بها ... يُلهى الصغار وجدّت الأيام
لا زلت غيظاً للضلال وأهله ... والله يرضى عنك والإسلام

وقد كان جزاءه من شيخه أن كتب إليه كتاباً رقيقاً هذه نسخته :

ولدنا الأديب ...

خير الكلام ما وافق حالاً ، وحوى من النفس مثالاً ، تلك أبياتك العشرة رأيتنى والحمد لله متربعاً فى سبعة منها كأنها الكواكب تسكنها الملائكة وما بقى كله كأنه الشهب، نور للأحباء، ورجوم للأشقياء، ما سررت بشىء سرورى بأنك شعرت من علم حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك . فلله أنت ولله أبوك ![1] ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ، ما يملأ عليك الفضاء ، ولكنى أكتفى بالإخلاص فى الدعاء ، أن يمتعنى الله من نهايتك ، بما تفرسته فى بدايتك ، وأن يخلص للحق سرك ، ويقدرك على الهداية إليه ، وينشط نفسك لجمع قومك عليه

محمود أبو رية

وزير سورى يؤلف معجماً زراعياً

عرف الأمير مصطفى الشهابى وزير الدولة فى حكومة سورية المؤقتة بأنه من الأعلام الثقات فى وضع مصطلحات عربية للعلوم الزراعية ، وقد شرع معاليه الآن يطبع معجمه المسمى «معجم العلوم الزراعية» بالفرنسية واللاتينية والعربية وهو معجم يضم نحو عشرة آلاف كلمة .

إلى فضيلة الأستاذ الكبير محمود شلتوت

ملكتْ قلوبنا بحوثك المتعة فى: نزول عيسى عليه السلام وتقرير العقيدة الدينية على أساس من العلم كما هو متفق وأصول

(١) كان والده المغفور له حسن عبد الرازق باشا صديقاً حميماً للأستاذ الإمام

لكنّ طرفكَ نشوانُ السّنا ، ذهبتْ ... مَنابعُ السّحرِ مِنْ نجواهُ تنهمرُ !
قِفْ مرّةً فى سماءِ النّيلِ واصْغَ إلى ... محيّرينَ سَرَوْا فى الحقلِ وانتشروا
قومٌ ... همُ الدّمعُ والآهاتُ تحملها ... أقفاصُ عظمٍ لهمْ مِنْ خطوِها نُذُرُ !
كادتْ مناجلُهمْ والله مُشرِعُها ... بأسَ الحديدِ مِنَ البأساءِ تنصهرُ !
مشَوْا بها فى مغانى النّورِ تحسَبُهمْ ... جنائزاً ... زمرٌ أنّتْ لها زمرُ !
جاسُوا الحقولَ مساكيناً جلابيبُهمْ ... توراةُ بؤسٍ عليها نقرأُ العبرُ
يجنونَ أيديهمْ ضنكاً ومسغبةً ... مِمّا أفاءَ لهمْ واديهمُ النّضرُ !
ساءلتُ سُنبلَهمْ : ما سِرُّ شقوتِهمْ ... ومِنْ غبارِ يديهمْ مرجلكَ العطرُ ؟
فمالَ واسترجعتْ عيدانُهُ نغماً ... يلغو مِنَ الموتِ فى أصدائهِ سَمَرُ !
وإذْ بها فى ترابِ الحقلِ نائمةً ... تحكى توابيتَ لم توجدْ لما حفروا
بكى الحصيدُ على أحزانِ غارسِهِ ... متى سيخضدُ هذا الدّمعُ ... يا قمرُ ؟!

الدين : وإيماناً بما أفاضت علينا الرسالة الغراء من سامي تحقيقك وخالص نصحك أرجو إفادتي عن :

١ — قول بعض العلماء المتقدمين كالنووي والقاضي عياض بصحة الأحاديث الواردة في نزول عيسى واستدلالهم عليه بأهل السنة

٢ — إذا ثبتت صحة الأحاديث الواردة في نزوله ، ولكن لم تنهض دليلاً لاعتقاد ذلك لأنها لم تبلغ حد التواتر الذي تبنى عليه عقائدنا ، فما موقفنا إزاء تلك الأحاديث الصحيحة ؟

دسوقي ابراهيم

دفع الاعتراض

أخذ الأستاذ محمد محمود رضوان على الأستاذ العقاد أنه استعمل الحرف « لا » جوابا لسؤال هو « ألا تزال تضرب امرأتك ؟ » وحقيقة أن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي كان الجواب بالحرف « بلى » إثباتاً وبالحرف « نعم » نفياً . ولكن العبارة التي معنا لم تدخل فيها الهمزة على نفي ، بل دخلت على إثبات ، لأن لا للنفي وتزال للنفي ، ونفي النفي إثبات ، فهي في قوة قولك « أتضرب امرأتك إلى الآن » فكيف تكون الإجابة بعد ذلك بنعم ويكون المراد بها نفي الضرب ؟ لعل هذه القاعدة مقيدة بما إذا كان النفي لم ينتقض .

محمد أبو سريع حسين
بمعهد القاهرة

ذكرى السيد جمال الدين

بهذا العنوان قرأت أول ما قرأت بشوق ولهفة مقال الأستاذ محمود شلبي في عدد الرسالة ٥٠٦

فهو لعمر الحق مقال ممتع قوي التعابير ، محكم التراكيب تعلوه موجة أدبية لا يشعر بها إلا من منحه الله ذلك الإحساس الفني والشعور الأدبي .

وكيف نستكثر على الرسالة واتجاهها هذا اللون الإنشائي وهي قد مهدت الطرق لرفع مستوى الأسلوب الفني في مصر والأقطار العربية ؟ وإني لا زلت أتذكر جيداً كلمة أستاذنا محمود البشبيشي في موضوع الرسالة ، وقد كان يدرس لنا الإنشاء إذ قال إن الرسالة حملت عبء مدرس الإنشاء في المدارس العالية ، وقد كان المدرس ينوء بحملها

وقد استرعت تفكيري أمور في مقال الأستاذ شلبي لا يحسن السكوت عليها ، فقد ذكر أن السيد جمال الدين ولد في قرية (أسعد أباد من قرى كنر) ولا أعلم من أين أخذ الأستاذ هذه المعلومات في حياة هذا الفيلسوف العظيم . وعلى فرض أنه استند إلى جريدة أو مجلة فإن قراء الرسالة لا يغتفرون له هذا الاستناد بل يرجون منه ومن غيره تحقيقاً وتمحيصاً فإن آذانهم مرهفة ، وأبصارهم شاخصة لكل ما يكتب في الرسالة

وكان الواجب على الأستاذ أن يطلع على الكتاب الذي أصدره منذ سنيهات عن السيد جمال الدين ومحمد على الكبير مساعد أستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت باللغة الفارسية واسم الكتاب (مودان نامي شرق) فهذا الكتاب منجم ثري لمن أراد الكتابة عن السيد جمال الدين وفيه مراسلات جميلة وطريفة بينه وبين العالم السيد مرزا حسن الشيرازي

أما ولادته ففي قرية (أسداباد من قرى همدان) لا في قرية (أسعد أباد من قرى كنر) وفي هذه القرية اليوم مدرسة اسمها (الجمالية) تخليداً لذكرى السيد جمال الدين

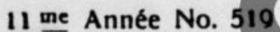
ودراسته الأولى كانت على والده ثم رحل إلى النجف ، وله فيها حتى الآن أصهار وأقارب . وإذا أراد الأستاذ التعرف إلى أقاربه فإني أحيله على الأستاذ المحامي السيد صادق كمونة في النجف فهو خير من يعرف عنهم

أما قبره ففي تركيا وقد كان مهجوراً دارساً إلا أن المستر كراين الأمريكي تبرع لبنائه لما زار تركيا . وللأستاذ شلبي مني ألف تحية .

(بغداد) عبد الكريم الدجيلي
المدرس بدار المعلمين الابتدائية

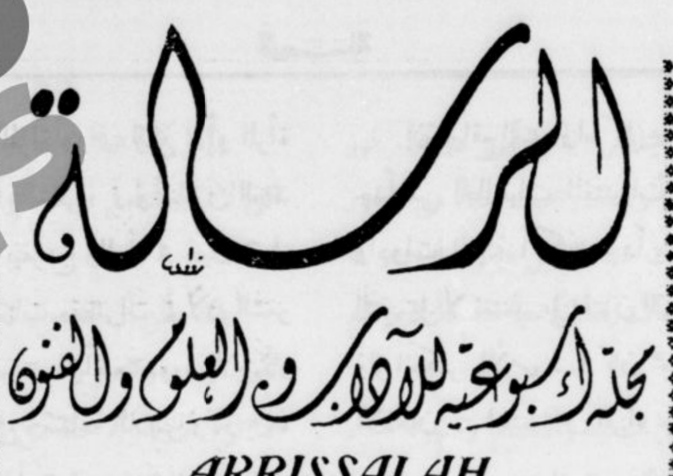


11 me Année No. 519 — Lundi - 14 - 6 - 1943



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥١٩ «القاهرة في يوم الإثنين ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٤ يونية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

المـــــرأة والفن

للأستاذ عباس محمود العقاد

ليس أكثر من المرأة في هذه الدنيا

وليس أخطأ ولا أضل مع هذا من الكلام عنها بين الرجال والنساء على السواء

كأنهم يتكلمون جميعاً عن «عينة» نادرة في بقعة من بقاع الأرض النائية، أو عن بقية من مخلفات العصور الأولى في قارورة مغلقة عليها، أو كأنما هذه المرأة التي نحسبها آدمية — كما قال بعض العلماء — إن هي إلا أنثى حيوان دائر تغلب عليه الإنسان وانتزعها منه لفاقة أصابته في نسائه. وليست هي في النوع الإنساني بالأنثى الأصيلة فيفهمها الرجل وتفهمه كما يتفاهم الزوجان من جنس واحد

وسر هذا الخطأ والضلال فيما نرى هو أن المرأة خلاصة الحياة الحسية كلها، فلا محيص من الخطأ فيها إذ لا محيص في الحياة الحسية من التجدد والتناقض، ومن رؤية الشيء الواحد على شتى الوجوه، حسبما تعرضه لنا المناسبات والطوارق التي لا يضبطها عنان

ومن أكثر الأهداف عرضة للخطأ في موضوع المرأة كلام الناس عن نصيبها من الفنون الجميلة ونصيب الفنون الجميلة

منها . نلمح ذلك كلما كتبنا عن المرأة ووحي الفن ، أو المرأة وحقيقة الجمال ، أو المرأة والشعر والشعراء ، ولمحناه في العهد الأخير بعد مقالنا في الرسالة عن « بيفردج والمرأة » حيث نقول إن النساء روائيات مجيدات وشاعرات مقصرات ؛ لأن الشعر ابتكار واقتدار على الإنشاء ، وليست المرأة مشهورة بالابتكار حتى في صناعاتها الخاصة بها كالطهي وصناعة الملابس والتزيين ، وزدنا فقلنا : إن الشعر وأساسه الغزل « هو وسيلة الرجل لمناجاة المرأة ، وقد تعودت المرأة بفطرتها أن تكون مطلوبة مستمعة في هذا المجال . فهي لا تحسن الشعر كما يحسنه الرجل ، وعلى هذه السنة تجري جميع الذكور في أنواع الحيوان حين تسترعي أسماع الأناث بالغناء أو الهتاف والنداء

قلنا هذا فلم نر أكثر من المستغربين أن تكون المرأة عالة على الشعر وهي مصدر وحيه إلى الشعراء فيما يقولون . مع أن المسألة هنا مسألة واقع محسوس وعلة معقولة، وليست مسألة فروض أو مذاهب تفكير . فنحن نقول : إن إجادة المرأة للشعر نادرة في آداب الأمم قاطبة ، فمن شك في ذلك فعليه أن يذكر أسماء الشواعر الكثيرات اللواتي يكذبن ما نقول من ندرتهن في الآداب العالمية . فأين هن أولئك الشواعر الكثيرات المجيدات ؟

لا يزدن على الأربع أو الخمس عداً في آداب العالم من قديمها وحديثها . وفي إجادتهن للشعر مع هذا شك كثير يطول فيه الخلاف ، وإن بطل الخلاف في إجادتهن فأيسر الأشياء أن ترد هذه الإجادة إلى شذوذ في بعضهن يلحقهن بالرجال ، ولا يقصرهن على طبائع النساء

ونحن نقول إن علة القصور الذي يلاحظ على المرأة في ميدان الشعر أنها لا تحسن الابتكار والإنشاء حتى في صناعاتها الخاصة بها كالطهي وصناعة الأكسية والزينة . فمن شك في ذلك فعليه أن يقول لا : بل تحسن المرأة هذه الصناعات ولهذا تتقدم الطاهيات على الطهاة ، وتتقدم مخترعات الأزياء على مخترعيها ، وتتقدم المشتغلات بالتجميل على المشتغلين به ، ولا سيما في العصر الحديث

فهل يقول ذلك القول أحد وله سند من الواقع الذي نراه كل يوم ؟

إن الواقع الذي نراه كل يوم هو أن الطهاة المقتدرين أكثر جداً من الطاهيات المقتدرات ، وإن اختراع الرجال للأزياء وأدوات الزينة أكثر جداً من اختراع النساء ، وإن معاهد التجميل لا تعتمد على فنون النساء كما تعتمد على فنون الرجال . ولو انعكس الأمر لما كان عجباً للوهلة الأولى مع المتبادر إلى الأذهان من اختصاص المرأة بهذه الصناعات .

* * *

ونحن نقول إن الشعر أساسه الغزل ، وإن الغزل من عمل الرجل وليس من عمل المرأة . لأن المرأة خلقت مطلوبة تستمع النداء فتجيبه ، وسنتها هذه هي السنة التي تجري عليها جميع الذكور في أنواع الحيوان حين تسترعي أسماع الأناث بالغناء أو الهتاف والنداء

فمن شك في ذلك فسبيله أن يقول لا : بل هناك باب من الشعر هو أحق من الغزل بأن يكون أساساً للشعر كله ، وهو أقرب إلى ملكات المرأة منه إلى ملكات الرجل

وسبيله أيضاً أن يقول لا : بل الأناث هي التي تدعو الذكور وليست الذكور هي التي تدعو الأناث

فأما والقول بذلك بعيد التصديق بعيد المرجع والبرهان فليكن الواقع إذن عمدتنا في نصيب المرأة من الفنون ، ولا يكن عمدتنا الفرض والظن والجدل الذي يحيط بالفروض والظنون .

* * *

والواقع ينتهي بنا إلى حصر الفن الأنثوي في مجالين اثنين نصيبهما من التقليد والمحاكاة أكبر من نصيب الابتكار والإنشاء ، وهما مجال الرواية ومجال التمثيل

أما الرواية فالذي نرجو كما قلنا : « إن المرأة تحسن كتابتها لأنها مطبوعة على الفضول والاستطلاع والخوض في أسرار الملاقات بين الرجال والنساء ، والإطالة في أحاديث هذه الأسرار مع الاشتياق والتشويق ، وهذا كله معدن الرواية الذي تصاغ منه ، وهو جوهر من جواهرها قد يغنيها عن المزايا الأخرى من تحليل وتعليل وإبداع ، في الوصف والتمثيل »

وأما التمثيل فالإجادة فيه قائمة على قدرتين أو على نوعين من القدرة لا على نوع واحد : قدرة الخلق والإنشاء كأنما يخلق

الممثل حياة بطله مستمداً لها عناصر الخلق من حياته . فهو لا يحاكي رجلاً بعينه رآه أو قرأ وصفه وعرف سيماه من الصور والتماثيل ، وإنما يعمد إلى صفات هذا الرجل فيفرغها في بوتقة من حسه وخياله ويخرجها من هنالك إنساناً حياً جديداً لا موضع فيه للمحاكاة والتقليد

والقدرة الأخرى هي قدرة التقليد والتصنع وسهولة اتخاذ المظاهر والألوان على حسب الدواعي والبيئات ، وهـذه القدرة في المرأة على أوفى نصيب ، فهي مطبوعة على التصنع والمداراة وإظهار الحب في موضع البغض والتمنع في موضع الإقبال ، وهي تتلقى الأحاسيس التي توائم طبيعة الأنوثة لأنها مستغرقة في الحس طوال حياتها فلا يجهدها كثيراً أن تحضر على المسرح إحساساً من الذي جربته أو تقدر على تجربته في عالم الحقيقة

ولهذا نبغ في العالم روائيات وممثلات ، وإن لم يعرف عن ممثلة نابغة أنها خلقت دوراً من محض خيالها وتفكيرها كما يتفق لنوابغ الممثلين من الرجال

* * *

أما الشعر فلم يكثر فيه نبوغ النساء لما قدمناه من الأسباب ، بل هن لم ينبغن فيه حتى فيما هو أقرب إليهن وأحرى أن يتفوقن به على الرجال

خذ مثلاً لذلك شعر الرثاء وهو أقرب إلى المرأة التي تطيل الندب والعويل على موتاها . فهل في آداب العالم كله شاعرة رائية تفوق بالرثاء طاقة الشعراء من الذكور !

الخنساء التي يضربون بها المثل بين الشواعر لا تخرج من ديوانها بأكثر من أبيات متفرقات في بكائها على أخيها فلما ترتقي إلى منزلة الشعر الجيد السيار ، وما عدا ذلك من قصائدها العديدة فكله تكرير وترديد وإعادة وإبداء في معنى واحد ، بل في ضرب من القول واحد لا يصح أن يقال عنه إنه معنى من معاني القريحة والخيال

وعلى إدمان المرأة البكاء والرثاء لم توجد قط رائية بلغت في هذا الباب ما بلغه رجل كالشريف الرضي في رثاء أمه ، أو رجل كابن الرومي في رثاء أولاده ، أو رجل كالمعري في رثاء أصدقائه ، سواء وجهنا إلى وصف الشعور أو إلى معاني الحكمة ومعارض الاعتبار

وإذا كان هذا شأن البكاء والرثاء فما بالك بالمطالب الأخرى التي لا تقترب من طبائع المرأة هذا الاقتراب

* * *

وقد يظن أن التصوير مخالف للفنون الأخرى في هذا القياس لأن النقش والتطريز من معدن واحد على ما يخيل إلى بعض الناظرين ، وللمرأة حظ من إجادة التطريز والوشي قد تضارع به حظوظ الرجال في هذه الصناعة الآلية

ولكن الحقيقة بعيدة مما يتخيله هؤلاء الناظرون ، لأن التصوير كالتمثيل يعتمد أيضاً على نوعين من القدرة لا على نوع واحد ، وهما الخلق والتقليد

فأما التقليد فهو لا يعدو صبغة الألوان وظاهر الأشكال ، وقد يتاح للمرأة أن تجيد نقل الألوان ومحاكاة الأشكال فيقال إذن إنه تطريز بالريشة يجري على منوال التطريز بالإبرة ولا يزيد

وأما الخلق فهو صوغ المرئيات في بوتقة النفس والخيال ثم إعادتها على اللوحة صورة نفسية خيالية ليس نصيب العين منها إلا نصيب الأداء والإبلاغ

وهذا هو الجانب الذي لم تنبغ فيه المرأة بين المصورين ، ولا نحسب أننا عرفنا مثلاً هاماً من الأمثلة الدالة على إجادتها فيه

وفحوى هـذا جميعه أن المرأة موضوع حسن للفن وأهله ، وأنها قد توحي إلى أهل الفن معاني يرتفعون بها إلى مراتب النبوغ ، ولكن الموضوع لا يخلق شيئاً إلا بخالق ، ولو جاز أن يكون إيحاء المرأة للفن حجة على نبوغها الفني لجاز كذلك أن تنبغ البساتين والبحار وكواكب السماء مثل هذا النبوغ

واستحضار هذه الحقيقة لازم جد اللزوم في عصرنا هذا ، لأننا نسمع المذاهب الاجتماعية حولنا تمارى على حسب أهوائها ومراميها في تقويم الجنسين بين قائل بالتشابه الكامل وقائل بالفوارق والمزايا التي يقتضيها توزيع العمل واطراد الخلق في طريق التخصيص والامتياز ، ورأينا نحن أميل إلى هذا المذهب القائل بالفوارق والمزايا ، لأنه الحق الواضح أمامنا ، ولأنه العدة التي ندرع بها أذهاننا للقاء فوضى المذاهب التي فيها الضير أكبر الضير على المجتمع الإنساني وخلائق الإنسان

عباس محمود العقاد

الاجماع وثبوت العقيدة

للأستاذ محمود شلتوت

آراء العلماء فى الاجماع : حقيقته وحجيته وما يكون فيه — شيوع حكاية الاجماع فى المسائل الخلافية وسببه — الاجماع عند المحققين — تطبيق

نظرنا — على ضوء المبادىء العامة لثبوت العقيدة — نظرتين فى الآيات والأحاديث التى زعموا أنها تدل دلالة قاطعة على حياة عيسى الآن ونزوله آخر الزمان ، وبينا مدى ما تفيده الآيات والأحاديث فى ذلك ، وبقى أن ننظر النظرة الثالثة فيما زعموا من إجماع فى هذا المقام

ويحسن بنا — جريا على ما اتبعناه فى هذه البحوث — أن نقدم للقراء العلميين مقدمة إجمالية تصور لهم موقف العلماء من الإجماع : حقيقته ، وحجيته ، وما يكون فيه من أحكام ، ثم نتبع ذلك بما نريد من إبطال زعمهم الذى يزعمون

إنى لا أكاد أعرف شيئاً اشتهر بين الناس أنه أصل من أصول التشريع فى الإسلام ، ثم تناولته الآراء واختلفت فيه المذاهب من جميع جهاته كهذا الأصل الذى يسمونه «الإجماع»

فقد اختلفوا فى حقيقته : فمنهم من رأى أنه « اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور على حكم شرعى » ، ومنهم من رأى أنه « اتفاق أكثر المجتهدين فحسب » ومنهم من ذهب إلى أنه اتفاق طائفة معينة » فلا يعد اتفاق غيرها إجماعا . ثم اختلف هؤلاء فى هذه الطائفة مَن هى ؟ فقيل « الصحابة » وقيل « أهل المدينة » وقيل « أهل البيت » وقيل « الشيخان : أبو بكر وعمر » وقيل « الأئمة الأربعة » الخ

واختلف الذين قالوا بالجميع : هل الإجماع بهذا المعنى ممكن متصور الوقوع ، أو هو غير ممكن لأن الاجتهاد ليس له مقياس بارز متفق عليه بين العلماء ، ولأن المجتهدين غير محصورين فى بلد واحد أو إقليم واحد ؟

واختلف الذين قالوا بإمكانه وتصور وقوعه : هل يمكن معرفته والاطلاع عليه أولا ؟ وممن روى عنه المنع الإمام أحمد رضى الله عنه إذ يقول فى إحدى روايتين عنه : من ادعى وجود الإجماع فهو كاذب

واختلف الذين قالوا بإمكان معرفته والاطلاع عليه : هل هو حجة شرعية فيجب العمل به على كل مسلم أو ليس حجة شرعية فلا يجب العمل به ؟

واختلف الذين قالوا إنه حجة شرعية : هل ثبتت حجيته بدليل قطعى يكفر منكره ، أو بدليل ظنى فلا يكفر ؟ وهل يشترط فى وجوب العمل به أن ينقل إلينا بالتواتر أو يكفى أن ينقل ولو بالآحاد ؟ وهل يشترط أن يبلغ المجمعون عدد التواتر أو لا يشترط ؟ وهل يشترط أن يصرح الجميع بالحكم مشافهة أو كتابة ، أو لا يشترط فيكفى تصريح بعضهم وسماع الباقين مع سكوتهم ؟ ...الخ

وكما اختلفوا فى حقيقته وفى حجيته اختلفوا فيما يكون فيه من أحكام : فقال قوم : إنه حجة فى العلميات والعمليات جميعاً . وقال غيرهم : إنه حجة فى العمليات فقط . ومن ذلك كله يتبين أن حجية الإجماع فى ذاتها غير معلومة بدليل قطعي فضلاً عن أن يكون الحكم الذى يثبت به معلوماً بدليل قطعى فيكفر منكره

* * *

ولعل اختلاف العلماء فى الإجماع على هذا النحو يفسر لنا ظاهرة منتشرة فى كتب القوم وهى حكاية الإجماع فى كثير من المسائل التى ثبت أنهـا محل خلاف بين العلماء ، وذلك من جهة أن كل من حكي الإجماع فى مسألة هى محل خلاف قد بنى حكايته على ما يفهمه هو أو يفهمه إمامه أو الطائفة التى ينتمي إليها فى معنى الإجماع وما يكفى لتحققه

وعلى الرغم من ظهور السبب فى تلك الظاهرة قد تأثر بها كثير من المتأخرين فخضعوا لها ، وتوسعوا فيها تأييداً لآرائهم فى المسائل الخلافية : فتجدهم فى علم الفروع يحكون الإجماع على إلزام الطلاق الثلاث بكلمة واحـدة ، وعلى تحريم لحم الخيل ، وعلى حل أكل الضب ، وغير ذلك . وتجدهم فى علم أصول الأحكام يحكون الإجماع على العمل بخبر الواحد ، وعلى تقديم الإجماع على النص عند التعارض ، وعلى العمل بالقياس . وتجدهم فى علم الكلام يحكون الإجماع على رؤية الله بالأبصار ، وعلى ظهور المهدى والدجال ونزول عيسى ، وما إلى ذلك من المسائل العلمية والعملية التى ثبت فيها الخلاف ولم تكن محل قطع وإجماع ،

ولقد كان فى وسعهم أن يقيدوا ذلك بالإجماع الطائفى أو المذهبى ولكنهم قصدوا أن يرسلوا كلمة الإجماع ليسجلوا على المخالف لوازمها الشائعة بين الناس : من مخالفة سبيل المؤمنين ، ومشاقة الله ورسوله ، وخرق اتفاق الأمة ، إلى غير ذلك مما يتحرجه المسلم ويخشى أن يعرف به عند العامة . وكثيراً ما نراهم يردفون حكايتهم للاجماع بقولهم : « ولا عبرة بمخالفة الشيعة والخوارج » أو « بمخالفة أهل البدع والأهواء » أو « بمخالفة المعتزلة والجهمية » ونحو ذلك مما يخيفون به ، وبهذا امتنع كثير من العلماء عن إبداء رأيهم فى كثير من المسائل التى هى محل خلاف ضناً بسمعتهم الدينية ، فوقف العلم ، وحرمت العقول لذة البحث ، وحيل بين الأمة وما ينفعها فى حياتها العملية والعلمية . ونحن معشر الأزهريين لا ننسى شيوع القول بحرمة الاشتغال بالعلوم الرياضية والكونية والحكم بالزندقة والإلحاد على من شذ فتعلمها أو أباح تعلمها !

وفى مثل هؤلاء الذين يحكون الإجماع فى مواضع الخلاف يقول ابن حزم : « ويكفى فى فساد ذلك أنا نجدهم يتركون فى كثير من مسائلهم ما ذكروا أنه إجماع ، وإنما نحوا إلى تسميته إجماعا عناداً منهم وشغباً عند اضطرار الحجة والبراهين إلى ترك اختيارأتهم الفاسدة »[1]

* * *

وقد كشف جهابذة العلماء عن حقيقة الإجماع التى تسمو عن الخلاف والتى هى حجة ملزمة عند الجميع ؛ قال الشافعى : « ولست أقول ، ولا واحد من أهل العلم : هذا مجمع عليه ، إلا لما لا تلقى عالماً أبداً إلا قاله لك ، وحكاه عمن قبله ، كالظهر أربع ركعات وكتحريم الخمر وما أشبه هذا »[2] . وقال ابن حزم : « وصفة الإجماع هو ما يُتيقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام ونعلم ذلك من حيث علمنا الأخبار التى لا يتخالج فيها شك مثل أن المسلمين خرجوا من الحجاز واليمن ففتحوا العراق وخراسان ومصر والشام ، وأن بنى أمية ملكوا دهراً طويلاً ثم ملك بنو العباس ، وأنه كانت موقعة صفين والحرة وسائر ذلك مما يعلم بيقين وضرورة »[3]

(١) مراتب الاجماع
(٢) رسالة الشافعى (٣) مراتب الاجماع

ولا يخفى أن معنى ما ذكره الشافعى وابن حزم أن الإجماع لا يكون إلا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وفيما كان طريق العلم به هو التواتر الذى يفيد قطعية الورود وانتفاء الريب ، فهذا هو الإجماع الذى تتم به الحجة ولا يصح أن يخالف ، ولا ريب أن العمل فى مثل هذا لا يكون عملاً بالإجماع من حيث هو إجماع وإنما هو عمل بما تلقته الكافة عن الكافة مما لا شبهة فى ثبوته عن صاحب الشرع ، وأن الإجماع فيه لم يكن إلا أثراً من آثار الثبوت على هذا الوجه فلا يكون مصدراً له ولا أصلاً فى ثبوته

ومن هنا قرر العلماء أن منكر حجية الإجماع لا يكفر فى حين أنهم حكموا بالكفر على من أنكر المجمع عليه

هذا وقد رأى بعض الباحثين أن الإجماع الذى كان يرجع إليه ويجرى على الألسنة فى الصدر الأول حيث لا نص هو إجماع بمعنى آخر غير هذا الإجماع الذى اصطلح عليه الأصوليون واشتهر بين الناس أنه حجة شرعية ، واعتمدت عليه عصور التقليد فى سد باب الاجتهاد ، وعصور التعصب فى الرمى بالتضليل والتفسيق والخروج عن سبيل المؤمنين . ونرجو أن تهيأ لنا فرصة قريبة نشرح بها نظرية هؤلاء الباحثين ونبين ما لها من الآثار الطيبة المباركة على الشريعة وعلى الأمة الإسلامية .

* * *

نعود بعد هذا إلى موضوعنا فنقول : إن الذين ذهبوا إلى حجية الإجماع لم يتفقوا على شىء يحتج به فيه سوى الأحكام الشرعية العملية ، أما الحسيات المستقبلة من أشراط الساعة وأمور الآخرة فقد قالوا : « إن الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع لأن المجمعين لا يعلمون الغيب ، بل يعتبر من حيث هو منقول عمن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع إلى الإخبارات فيأخذ حكمها ، وليس من الإجماع المخصوص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الحسى المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه ، فإن ورد به نص فهو ثابت به ولا احتياج إلى الإجماع ، وإن لم يرد به نص فلا مساغ للاجتهاد فيه »[1] وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التى تتحدث عن أشراط الساعة ومن بينها نزول عيسى إلى مبدأ القطعية والظنية فى الورود والدلالة ، وقد سلف بيان ذلك فى موضوع « السنة وثبوت العقيدة »

(١) التحرير

وعلى فرض أن أشراط الساعة مما يخضع للاجماع الذى اصطلحوا عليه نقول : إن نزول عيسى قد استقر فيه الخلاف قديماً وحديثاً :

أما قديماً فقد نص على ذلك ابن حزم فى كتابه « مراتب الإجماع » حيث يقول : « واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبداً ، إلا أنهم اختلفوا فى عيسى عليه السلام : أيأتى قبل يوم القيامة أم لا ؟ وهو عيسى بن مريم المبعوث إلى بنى إسرائيل قبل مبعث محمد عليه السلام » كما نص عليه أيضاً القاضى عياض فى شرح مسلم ، والسعد فى شرح المقاصد ، وقد سقنا عبارته فى البحث السابق وهى واضحة جلية فى أن المسألة ظنية فى ورودها ودلالتها !

وأما حديثاً فقد قرر ذلك كل من الأستاذين المغفور لهما : الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى :

فالشيخ عبده رضى الله عنه يذكر وهو بصدد تفسير آية آل عمران « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ » « أن للعلماء هنا طريقتين : إحداهما وهى المشهورة أنه رفع بجسمه حيًّا وأنه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ... والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها ، وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر منه وهو الإماتة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ... الخ » ثم يذكر « أن لأهل هذه الطريقة فى أحاديث الرفع والنزول تخريجين : أحدهما أنها آحاد تتعلق بأمر اعتقادى ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي وليس في الباب حديث متواتر . وثانيهما تأويل النزول » بنحو ما سبق نقله عن شرح المقاصد[1]

وقد ورد على المغفور له السيد رشيد رضا سؤال من « تونس » وفيه « ما حالة سيدنا عيسى الآن ؟ وأين جسمه من روحه ؟ وما قولكم فى الآية (إنى متوفيك ورافعك) . وإن كان حيًّا يرزق كما كان فى الدنيا فمن يأتيه الغذاء الذى يحتاج إليه كل جسم حيوانى كما هى سنة الله فى خلقه ؟ » فأجابه السيد رشيد إجابة مفصلة عما سأل عنه نقتطف منها ما يأتى :

قال بعد أن عرض للآيات وآراء المفسرين فيها « وجملة القول أنه ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين » ثم تكلم عن الأحاديث وقال : « إن هذه المسألة من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء »[1]

أما فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فقد كتب بمناسبة السؤال الذى رفع إلى فضيلته وكان سبباً فى فتوانا ، إجابة جاء فيها : « ليس فى القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه . وقول الله سبحانه : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » الظاهر منه أنه توفاه وأماته ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجاتٍ عند الله كما قال فى إدريس عليه السلام : « ورفعناه مكاناً عليا » وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده فهو حى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء . لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حى الآن بجسمه وروحه ، وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوّغ تفسير القرآن بها » ثم قال فضيلته : « لكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر » ثم قال : وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وروحه ، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافراً فى نظر الشريعة الإسلامية »

هذه نصوص صريحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديماً وحديثاً أن مسألة عيسى مسألة خلافية ، وأن الآيات المتصلة بها ظاهرة فى موته عليه السلام موتاً عادياً ، وأن الأحاديث الواردة فيها

(١) الجزء الثالث من تفسير المنار

(١) الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار

أحاديث آحاد لا تثبت عقيدة وهى مع هذا تحتمل التأويل ، وأنه لا تكفير لمسلم بإنكار رفع المسيح أو نزوله ، فأين مع هذا كله ما يدعونه من إجماع ؟

ولعلنا ، بعد إظهار فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، نستريح من لغط بعض العلماء الرسميين الذين عرف عنهم أن تمسكهم بالرأى وما يزعمون أنه دين ليس إلا بمقدار جهلهم رأى فضيلته « وهو شيخ الجامع الأزهر » فإذا ما عرفوا رأيه وهو شيخ الجامع الأزهر خلعوا أنفسهم من ربقة رأيهم الأول وسارعوا إلى اعتناق رأيه بل تسابقوا فى توجيهه وتأييده « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا »

محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

حاشية : لعل الأستاذ الفاضل « دسوقي ابراهيم » قد وجد فى بحثنا السابق « السنة وثبوت العقيدة » وفى بحثنا هذا جواب ما سألنا عنه فى بريد الرسالة بالعدد الماضى ، وله منا الشكر والتحية .

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

هنا تقرأ الرسالة — تمثال سعد باشا — منارة أبي العباس — عهود ومواثيق

هنا تقرأ الرسالة

بهذه الجملة هتفتُ حين سمعت النداء بالرسالة صباح الأحد فى شاطىء ستانلى ، وحين رأيت مع بائع الجرائد كمية من أعداد الرسالة لم أكن أنتظر أن أراها فى ذلك المكان . وقبل ذلك بيوم رأيت فى مكتب « بريد سيدى جابر » جماعة من أفاضل الموظفين يحدثوننى عن مقال أسيوط . ومن هذا وذاك فهمت أن المجلات التى تُعنَى بالأدب الصِّرف أخذت تسيطر سيطرة روحية على أكثر الميادين ، وكانت فيما سلف مقصورة على طوائف قليلة من الخواص

إن وصول المجلات الأدبية إلى الشواطىء له دلالة معنوية ، فهو شاهد على رقيّ الذوق ، ودليل على أن روّاد الشواطىء ليسوا جميعاً من اللاهين ، فقد ظهر أن فيهم من يتخير المكان الذى يقرأ فيه ، كما يتخير الكاتب المكان الذى يكتب فيه . والقراءة كالكتابة تحتاج إلى جوّ يسود فيه الجمال

أقمت بالشاطىء ساعتين مع جماعة من رجال الأدب ومحبيه ، فدار الحديث حول كثير من المعضلات ، ودار أيضاً حول اللآلىء المنثورة فوق الرمال ... وأُخِذتْ صور ، وأُنشِدتْ قصائد ، وتجاوبتْ عيونٌ وقلوب

ثم أنظر فأرى رجلاً ملء العين والقلب يشرِّف الشاطىء ، وهو سعادة الأستاذ الجليل محمد العشماوى بك ، فيقع هذا السجال :

— ماذا تصنع هنا يا دكتور مبارك ؟

— جئت أحاول إتمام الصنيع الذى بدأته قبل أربع سنين

— وما ذلك الصنيع ؟

— هو تأليف كتاب عن « أدب الشواطىء »

— وما أساس الفكرة فى ذلك الكتاب ؟

— أساس الفكرة أن المصريين أنشأوا فنّا جديداً فى الأدب العربى هو أدب الشواطىء ، وقد يكون ابتكارهم لهذا الفن جديداً بالنسبة لسائر الآداب

— تريد أن تقول إنه فنٌّ لم يوجد فى الفرنسية أو الإنجليزية مثلاً ؟ ...

— هو ذلك ، مع الاعتراف بأن لشعراء فرنسا وانجلترا أفانين متصلة بالحياة البحرية ، ولكنها تخالف إحساس المصريين بالشواطىء فى مواسم الاصطياف

— وهل تفردت الشواطىء المصرية بخصائص ؟

— هذا مؤكد ، فأنت لا تستطيع أن تحدد موعد لقاء على شاطىء فرنسى أو انجليزى بعد أسابيع ولا بعد أيام ، لأن الطبيعة هنالك مفطورة على التقلب ، أما فى مصر فتستطيع أن تحدد موعداً على أحد الشواطىء بعد سنة أو سنتين ، لأن جو مصر مفطور على القرار والاطمئنان

— إن كان الأمر كذلك فكيف تأخر أدب الشواطىء فى مصر ، ولم نر له بوارق فيما مضى من العهود ؟

— بدعة الاصطياف على الشواطىء بدعةٌ حديثة العهد فى الشرق والغرب

— تعنِى أنها لم توجد قبل أن يوجد الشيخ أبو العيون ؟

— الشيخ أبو العيون وجد قبل قرون !

— متى ؟

— وُجد باسم السخاوى

— وكيف ؟

— كان السخاوى مولعاً بعدّ هفوات ابن خلدون ، فطاب له أن يدون فى كتاب « الضوء اللامع ، فى أعيان القرن التاسع » أن ابن خلدون كانت له جولات فى الشاطىء السكندرى أيام الصيف

وما معنى هذا ؟

— معناه أن شواطىء الإسكندرية كانت مراتع صبوات فى ذلك الزمان

— وهل قال ابن خلدون شعراً أو نثراً فى الشواطىء ؟

— حكاية ابن خلدون غريبة جداً

— وما وجه الغرابة فى حكاية ابن خلدون ؟

— حدثنا الأستاذ محمد المهدى بك فى إحدى محاضراته بالجامعة المصرية سنة ١٩١٧ أن السفينة التى أقلت ابن خلدون من تونس إلى الإسكندرية غرقت وهى مشرفة على الشاطىء ، فهلك أهله وأصحابه ، ونجا بعد أن كاد يمسى من المغرَقين

— وإذن تكون جولات ابن خلدون على شواطىء الإسكندرية مناجاة لتلك الأرواح ، وهذا معنَى جهله السخاوى ولن يجهله أبو العيون

— فى هذا الكلام لواعج ذاتية ، فهل كان لك مع شواطىء الإسكندرية تاريخ ؟

— كان ذلك أيام الاعتقال

— هل اعتُقِلْتَ يا دكتور ؟

— قال ناسٌ إنى كنت من خطباء الثورة المصرية ، وإننى استصبحت بغياهب الاعتقال

— وأنا أيضاً لم أسمع به قبل اليوم

— تلك إذن دعابة من دعاباتك ؟

— هى دعابة من دعاباتى ، بلا جدال ، ولكن لها عقابيل

— لا تؤاخذنى يا دكتور فى جهل هذا الجانب من حياتك

— أى جانب ؟ أنا أمزح !

— وأنا أحب أن أسمع هذا المزاح

— دخلت الإسكندرية أول مرة فى سيارة مغلقة من سيارات الجيش البريطانى ، دخلتها بعد انتصاف الليل وفى أعنف وقت من قسوة الشتاء ، فاجتهدت فى زحزحة الأحجبة عسانى أرى وجهاً من وجوه الحياة فوقع نظرى على غابة من النخيل

— وأين كان المعتقَل فى الإسكندرية ؟

— لا أدرى أين ! كنا فى «سيدى بِشْر» ، ولكن أين ؟

— هل فكرت فى التعرف إلى مكان الاعتقال ؟

— فكرت وفكرت ، ولكنى لم أستطع الاهتداء إليه ، برغم الشوق إلى المكان الذى أودعت فيه ذخائر شبابى

— هذه رموز تحتاج إلى تفاسير

— كنت بطل البحر فى ذلك العهد ، ولعلنى أول سابح عرفته البحار على نحو ما كنت

— وكيف ؟

— كنت أثبتُ قدمىّ فى الماء بصورة لا تختلف عمن يثبت قدميه فوق الجبال ، وكان من المستحيل أن أتزحزح ولو صارعنى أمهر السابحين ، فأين الماضى الجميل لعهد فتوّتى وشبابى ؟ أنا اليوم أزور الشاطىء زيارة الطيف ، وكل ماضىّ فيه أننى أنقذت من الغرق جماعة فيهم فلان ، وهو مخلوق لا يؤذيه أن يُذكر فضلى عليه وبعض الناس يكربهم الوفاء !

— وبمثل هذه الخواطر تزور هذا الشاطىء ؟

— ينبغى أن أقول كلاما من هذا الطراز ، لينسى الناس أننى قلت فيه :

رعاه الحب من شطٍّ جميل ... خفيف الروح مصقولٍ أنيقِ
بهىّ الرمل تحسبهُ سُجُوفا ... مطرَّزةً بحبات العقيق
أطوف به فيغلبنى خشوعى ... كأنى طفت بالبيت العتيق

— هذه شيطنة شعراء !

— وما ذا يصنع الملائكة لو طافوا بهذه الشواطىء ؟ هل ينسون أن الله هو الذى جمّل هذه الخلائق؟ هل ينسون أن أعظم نعمة من نِعم الله هى نعمة الجمال الوهّاج ؟ هذه الشواطىء كنوزٌ أتحف الله بها هذه البلاد ، فلنشكر لله هذه التحفة الغالية ، ولنسأله أن يجعل أيامنا مواسم لشيطنة الشعراء

ثم انتقل الحوار إلى مسائل سأعود إليها بالتفصيل بعد حين

تمثال سعد باشا

أعجب ما يقع في مصر أن يفاجأ الجمهور بأشياء لم يؤخذ فيها الرأي ، كالذي وقع في تمثال سعد باشا زغلول ، وإلا فمن يذكر أن تمثال سعد أخذت فيه الآراء قبل أن يقام في القاهرة والإسكندرية على ذلك الوضع الغريب ؟

قاعدة التمثال يعاب عليها ما يعاب على قاعدة التمثال القائم بميدان باب الحديد ، فهي مرتفعة بطريقة لا تخلو من عُنجهية

والتمثال نفسه سيّئ التعبير في أكثر نواحيه ، فعزيمة سعد باشا تتمثل في يده الشمال ، وقد أُرخيتْ يمناه بصورة لا تليق

وهنالك لوحة جانبية تَفرض على سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلى شعراوي أن يقدموا مطالب الأمة إلى رجل قاعد وهمُ وقوف ، فهل كأن السير وِنجت قاعداً وهو يستقبل أولئك الرجال ؟

وفي هذه اللوحة يقف عبد العزيز فهمي وِقفة غير مقبولة ، فما الموجب لذلك ؟

وهنالك لوحة ثانية جانبيّة تُحمل فيها سعد على أعناق مريديه ، وقد برز نعلاه بروزاً يأباه الذوق

أعيدوا النظر فيما رُسِم على جوانب ذلك التمثال

منارة أبي العباس

قلت مرةً إن منارة أبي العباس المُرسي ستشهد بإسلام الإسكندرية حين تنار بعد الحرب ، وستكون على الشاطئ المصري نظيرةً لبُرج « نوتردام دى لاجارد » على الشاطئ الفرنسي . والتنافس بين الإسلام والنصرانية سيمتدّ إلى آخر الزمان .

واليوم أذكر أن سعادة الأستاذ عبد الهادي الجندي باشا أسدى خدمة جليلة إلى الإسكندرية الإسلامية قبل أن يترك وزارة الأوقاف ، فقد كلّف الأستاذ حسن السندوبي تأليف كتاب تُفصَّل فيه أخبار أبي العباس وأخبار مريديه من الصوفية ، ليوزع على المصلين يوم يتفضل جلالة الملك بافتتاح ذلك المسجد البهيج

فما مصير ذلك الكتاب ، وقد راعني ما فيه من تفاصيل ؟

أيُهمَل باستقالة الوزير الذي أشار بأن يؤلَّف ؟ أيوضع عليه اسمٌ جديد إن كُتِب له البعث من مرقَد وزارة الأوقاف ؟

إن معالي الأستاذ عبد الحميد عبد الحق في غِنًى عمن يذكّره بأن الإسكندرية الإسلامية منسية في عالم التأليف ، فليس من الكثير أن يذاع كتابٌ يؤرخ عهداً يفوق في الروحانية عهود اليونان والرومان ، وهو أيضاً في غِنًى عمن يذكره بأن إسلام الإسكندرية ينتظر الإحياء

عهود ومواثيق

لم أسمح لنفسي يوماً بالراحة باسم المرض ، ولم أشكُ لغير الله ما يعتريني من التعب في بعض الأحايين ، فكيف جاز أن أفكر في الرجوع إلى القاهرة قبل أن أقضي في الإسكندرية لحظات بين هدير البحر وظلام الليل ؟

وما ذا يقول أبنائي حين أرجع إليهم بعد يوم وأنا مكروب ؟

بيني وبين الله عهود ومواثيق ، والعهد بيني وبينه أن أقضي العمر ساجماً فوق ما أبدع من أفنان الجمال ، فأنا واثقٌ بأن العافية لن تضيع من يدي ، وهل يُرضي الله أن أسجع سجع الجريح ؟

سأفارق الإسكندرية حزيناً هذه المرة ، وسأجد في أصدقائي بها من يعتذر عني ، فما عندي بسمات ولا ضحكات ألقاهم بها لقاء الحبيب المحبوب

سنلتقي حتماً يا أحبابي ، وسنلهو معاً بمصارعة الأمواج ، وسنُسِرّ أحاديث تصغي إليها ضمائر السماء ، فمن المستحيل أن ينفصم ما بيني وبين الله من عهود ومواثيق

زكي مبارك

حكم في القضية ٣١٩ سنة ٩٤٣ عسكرية شبرا بحبس محمد السيد خلاف ثلاثة شهور بالشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصادرة والنشر والتعليق لحيازته خيوط غزل بقصد البيع بلا ترخيص

حكم في الجنحة رقم ٩٧٢ عسكرية السيدة سنة ١٩٤٢ بحبس سيد علي عيد لمدة أربعة شهور مع الشغل والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لبيعه زيت أمريكاني بأزيد من السعر المحدد

لكى ننتفع بتجاريب غيرنا

١ ـ المسرح فى أوربا

بين حربين

للأستاذ درينى خشبة

« تحقيق وشكرى للأستاذ الصديق زكى طليمات أحد الذين تدخرهم مصر لنهضتها المسرحية »

لم تمض سنوات قلائل بعد إذ وضعت الحرب الكبرى أوزارها حتى أخذ النقاد المسرحيون — ولا سيما فى أمريكا — يتلفتون حولهم ، ويتساءلون ماذا أصاب المسرح بعد الذى أصاب العالم من تقتيل وتخريب ؟ وقد ذهب كثير من النقاد الأمريكيين إلى أوربا يجوبون أطرافها ويدرسون أحوال المسرح فيها ، مارين بانجلترا بادىء الرأى ، حيث هالهم ما أصاب المسرح الإنجليزى من الانتكاس المؤلم ، وما عراه من الشعبذات التى لم تكن قط مما يروج فى سوقه ، أو ينفق فى ناديه ... ثم ذهبوا بعد ذلك إلى فرنسا ثم إلى إيطاليا ، فإلى بلجيكا ، فإلى ألمانيا وروسيا ... ثم عادوا أدراجهم إلى أمريكا ليكتبوا ، ولينقدوا المسرح الأوربى ، ولينشروا فى ذلك المؤلفات القيمة وغير القيمة ، ثم ليثنوا على هذا المسرح ، وليقدحوا فى ذاك ، مما أوجد فى أوربا رد فعل عظيم أرهف الآذان وفتح الأعين ، وكان سبباً فى حركة اصلاحية مباركة تضافرت جميع القوى فى القيام بها بالاشتراك بين الهيئات الحرة وجهات الاختصاص الحكومية

ولقد كان الناقدان الأمريكيان : كِنث ماك جوان — و — روبرت إدموند جونس فى مقدمة الذين ألفوا فى هذا الموضوع ، إذ أصدرا كتابهما الفذ المسمى : (البراعة الأوربية فى الإخراج المسرحى Continental Stage - craft الذى صرحا فيه بانحطاط المسرح الإنجليزى وتخلفه عن المسرح فى القارة الأوربية واضطرارها إلى تجنب الكلام عنه وتناول الإخراج فيه تبعاً لذلك فى حين أنهما أثنيا الثناء العطر على المسرح الأوربى فيما عدا انجلترا من الممالك الأخرى . وقد جاء إلى أوربا ناقد أمريكى آخر هو الأستاذ ستارك يونج فجاب معظم ممالكها ، متفقداً حالة المسرح فى كل منها ، ثم عاد ليكتب فصوله البارعة فى مجلة أمريكا الشمالية N. A. Review وهى تلك الفصول التى أقامت انجلترا وأقعدتها لما صرح فيها بمثل ماصرح به الناقدان الأسبقان من مر القول عن المسرح الإنجليزى الذى انحط بكل عناصره جمهوراً وروايات وإخراجاً وغرضاً ، عن سائر المسارح فى أوربا . وقد انبرى للرد على هؤلاء النقاد الأمريكيين عدة كتاب من المشتغلين بالمسرح الإنجليزى وفى مقدمتهم الأستاذ چون إرفن St. John Ervine الذى ألف كتابه The Organised Theatre وقد جمع فيه ما ألقاه من المحاضرات عن المسرح الإنجليزى فى انجلترا رداً على المستر ستارك يونج وأضرابه ، ودفاعاً عن المسرح الإنجليزى وتاريخه العتيد . والذى حدا بنا إلى الاهتمام بما كتبه المستر أرفن هو انطباقه على المسرح المصرى انطباقاً يوشك أن يكون كاملاً ؛ مع أنه ألقى محاضراته سنة ١٩٢٣ ونشرها فى كتابه سنة ١٩٢٤ وقد تكلم فيه عن .

١ — المسرح الإنجليزى والمسرح الأوربى إجمالاً

٢ — جمهور النظارة من الإنجليز

٣ — انحطاط الدرامة الإنجليزية بعد الحرب الكبرى وتعليل ذلك

٤ — المسارح التجارية واضطرارها إلى النزول إلى مستوى الجماهير ، وعدم محاولتها إطلاقاً أن ترتفع بهم حتى لا يختل ميزانها الاقتصادى

٥ — نتائج الحرب الكبرى الاقتصادية والأخلاقية والفنية وأثر ذلك فى المؤلف والنظّارة ، ومديرى المسارح والإنتاج المسرحى وفى الذوق العام للشعب الإنجليزى

٦ — موازنات طريفة بين الذوق الزراعى والذوق الصناعى والثقافة الزراعية والثقافة العمّالية ... أى بين الريف والمدن

٧ — تطبيق هذه الموازنات على انجلترا فى عصر إليزابث وانجلترا فى القرن التاسع عشر إلى اليوم

٨ — العوامل التى تتحكم فى حياة المسرح بعد الحرب الكبرى

غير العوامل التى أنتجت المبقريات الخالدة فى عصر إليزابث

٩ – نفقات الإخراج وإيجار المسارح وأجور الممثلين وأثمان الملابس والمناظر والإضاءة والدرامات مما يبهظ عاتق المديرين ويضطرهم إلى اعتبار العامل الاقتصادى قبل أى اعتبار فنى آخر

١٠ – واجب الحكومة ، وواجب الشعب ، وواجب الفرق التمثيلية

وقد تناول الكلام عن مئات من الأسباب والنتائج غير هذه القضايا العشر حيث عرض الموضوع عرضاً عادلاً ووفاه حقه من البحث بطريقة تبدأ فى نظر القارئ خطأ فى خطأ ، وشروداً عجيباً عن الموضوع الذي زعم لنا أنه بسبيله ، ثم لا يفتأ أن يدخل بنا فى الحقائق التى مهد لها بالمقدمات التى وهمنا أنها شاردة ، فإذا هى تبدهنا ، وإذا نحن منها فى النور الساطع .

١ – ولقد تناول المستر أرثن تاريخ المسرح فى أوروبا قديماً وحديثاً ، وقبل الحرب الكبرى ثم بعدها ، فقرر ما سبق إلى تقريره مؤرخو الأدب المسرحى من ازدهار المسرح فى الأمم التى تشتغل غالبية سكانها بالزراعة ، حتى إذا بدأت هذه الغالبية تتحول إلى غالبية صناعية أخذت دورة الفلك تتبدل ، وأخذ الانتكاس المسرحى يعمل عمله ، ولا سيما فى الأمم التى أخذت نفسها فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين بالصناعات الكبيرة التى ترمى إلى سرعة الإنتاج وكثرته والتى تخصص من أجل ذلك الأيدى العاملة آلافاً آلافاً لصنع جزء من ألف جزء من السلعة بحيث يقضى العامل كل حياته وهو لا يدرى من الصناعة شيئاً غير عمل رأس دبوس أو خَرْم سَمّ الخياط (عين الإبرة) أو تلوين جزء خاص من صورة من صور الشوكولاتة بالأزرق أو الأحمر ، أو عملية بعينها من مئات العمليات فى مصنع للنسج أو الغزل ، أو تركيب مسمار بعينه فى مدفع يتركب من مئات الأجزاء فى مصنع للأسلحة المختلفة ... إلى آخر ما هنالك من أمثال هذه الصناعات المركبة ... ويقيم المستر إرثن الدليل على أن أمة تشتغل الكثرة الساحقة من أبنائها فى مثل هذه التفاهات هى بلا شك أمة من الأميين الفقراء فى ثقافتهم ، الفقراء فى أمزجتهم ، الفقراء فى صحتهم ، الفقراء فى تقديرهم للحياة الفنية ، الفقراء فى مساكنهم التى يتراكم فوقها الدخان ويزيدها الضباب واكفهرار الجو المستديم بلاء على بلاء ... أما الأمة التى تتكون غالبية أفرادها من الزراع – كاليونان القديمة وانجلترا فى عصر إليزابث ، وفرنسا فى القرن الثامن عشر ، وروسيا وإيطاليا . فهى أمة ذات مزاج رفيع وذوق سام وتقدير متند للفنون بكل أنواعها وإن كانت غالبية سكانها أميين كذلك ، لأن الزارع الأمى أوسع ثقافة من غير شك من الصانع الذى شدا هذا اللون الفقير من ألوان التعليم الإجبارى حتى إذا بلغ سنا معينة وابتلعه المصنع ، لم يبق فى رأسه شىء مما شداه فى المدرسة ، خصوصاً بعد أن يصبح عبداً للآلة على النحو الذى أسلفنا . . . أما لماذا يكون الزارع الأمى أوسع ثقافة من مثل هذا الصانع ، فذاك لأنه نشأ على حسن الملاحظة فى الريف الزراعى الجميل ، فهو لا يحبس نفسه فى المصنع طول حياته ليثقب إبرة أو ليصنع رأس دبوس ، بل هو ينطلق حراً فى فردوسه الشاسع الواسع يشق الأرض بمحراثه ، ثم يخططها بالسليقة تخطيطاً يعجز عنه المهندسون ، ثم يقسمها أحواضاً ليس فيها حوض أوسع من حوض ، ثم هو يلاحظ خروج الشطء من البذر ، ويعرف متى ينبغى سق الزرع ، ويقوم بالحصاد حين يأتى الزرع أكله ، فيبدأ الدرس . . . إلى آخر هذه السلسلة من الأعمال التى يلاحق بعضها بعضاً ... ثم هو يربى الماشية ويتخذ من ألبانها صناعات مختلفة ، كما يربى الشاء والخنازير ويعرف من طباع الطير ما لا يعرف أهل المدن ، بله الصناع ، ثم هو يستمتع فى كل ذلك بالصحة الكاملة والحرية المطلقة ، ولا يعيش فى جنته عبداً لآلة تجعل الصناع بعد قليل قطعة منها لا قيمة لها لأنها ربما استطاعت الاستغناء بنفسها عنهم ... وليس المسرح وحده هو الذى يرق فى الأمم الزراعية وينحط فى الأمم الصناعية ، بل سائر الفنون والآداب ، فها هو ذا فن النحت فى مصر القديمة واليونان القديمة ، وهو ذا فن التصوير فيهما وفى إيطاليا ، وها هو ذا الشعر اليونانى القديم والشعر الرومانى القديم ... شعر فرجيل وهوراس وأوفيد وكاتولوس ، وها هى ذى الفلسفة اليونانية القديمة ، وفلاسفة النهضة الأوربية الذين نشأوا فى حمى الأستقراطيين الزراعيين ... وها هى ذى روائع الفن القديم التى

لا يسمو إليها شيء من شوائه النحت الحديث أو التصوير الحديث. ثم ها هي ذى موسيقا القرنين السابع عشر والثامن عشر الزراعيين ... تلك الموسيقا العلوية التي نشتفي بها ونسكن إليها في القرن العشرين ...

ومن أجل ما قرره المستر إرفن هو إقبال الشعوب ذوى الثقافات الزراعية على المأساة المسرحية في حين لا تقبل الشعوب الصناعية إلا على الملهاة ... والملهاة الخفيفة المرحة التي ترتكز على الشعبذة والنكات الطائرة التي تخلقها المناسبات إن لم تقحم هي نفسها في تلك المناسبات إقحاماً ... والعجيب أن تروج المأساة في العصور الذهبية للأمم، كعصر بركليس المتيد وعصر إليزابث البهي، حتى إذا أخذت الشيخوخة تحل محل الفتوة في حياة الأمة من الأمم، أخذت المأساة تنزل عن عرشها، متخلية عنه للدعابة الخفيفة الطائشة التي تتخذ مادة تهريجها من شخصيات العظماء والمصلحين ... فقد ارتفع المسرح اليوناني إلى الذروة في أعظم فترة من فترات القوة في التاريخ اليوناني الحافل بالأمجاد، وكانت المأساة هي مادة ذلك المسرح في هذا العهد، فلما أخذت الروح اليونانية تفسد، وتسرب الضعف إلى روح الشعب، بدأت الملهاة تنتعش، وأخذ أرستوفان يكتب ملاهيه الساخرة، متخذاً من يوربيبدز نخر المأساة اليونانية، ثم من غيره من المصلحين، مادة لتهريجاته ... أما في عصر إليزابث فقد كتب شيكسبير وبن جونسون وأضرابهما عدداً كبيراً من المآسي والملاهي، إلا أن الشعب أقبل إقبالاً منقطع النظير على المآسي ولم يقبل ذلك الإقبال على الملاهي، مع أنها كانت من الملاهي الجميلة العميقة التي ترتفع درجات فوق ملاهي أرستوفان ... وقد علل إرفن ذلك بأن روح الشعب الزراعي أقوى من روح الشعب الصناعي، وأعصابه أقوى من أعصابه، فهو يستطيع أن يتفرج بالآلام ويصبر على مشاهدتها تمثل أمامه ويتسلى بذلك جميعاً كما يحلو له أن يتأسى أيضاً، ويشعر خلال ذلك بأضعاف اللذة التي يشعر بها المتفرج بالملهاة ... أما الشعب الصناعي فهو مركب من كثرة منهوكة الأعصاب مختلة التوازن الفكري، ومن قلة من أصحاب المصانع والتجار رفعتها المضاربات فجأة فوق أكداس من الثروة الطائلة ومن أوساط عجماء عادة، إن صح هذا التعبير ... فالكثرة تريد الترويح الخفيف عن أعصابها المتعبة، وذلك إنما يكون بالملهاة ذات البهرج الزائف من مناظر الرقص والافتنان في الشعبذة، والنكات التي تداعب الأسماع وتثير أعصاب الضحك، كما تثير حركات (البهلوان) أعصاب الضحك عند الأطفال. أما القلة من الأغنياء فهي فقيرة بثقافتها وأسلوب حياتها عن أن تسيغ المأساة؛ وهي تحمل عقلية وضيعة لا تسمو كثيراً فوق عقلية الكثرة من الصناع. ولذلك فهي تشاطرها ميولها وأهواءها

أما في فرنسا، فقد أوشك تاريخها في المائة سنة الأخيرة أن يكون حلقة متصلة من الحروب المستمرة، ولذلك أصبحت الأعصاب الفرنسية أكثر تأثراً وأشد نصباً من غيرها، ولذلك أيضاً أصبح لا يمثل على المسرح الفرنسي إلا نوع واحد من الدرامات المتشابهة كلها التي تتناول موضوع الحب غير الشرعي. ولعل إرفن نسى أن يعلل ذلك بكثرة الأزواج الذين فقدوا في حروب الثورة وحروب نابليون وحرب السبعين والحرب الكبرى، مما كان سبباً في كثرة الأرامل وكثرة العوانس وقلة الأزواج ... هذا وإن يكن الإخراج في المسرح الفرنسي قد بلغ الأوج الذي لم يبلغه قط في أي من مسارح العالم

أما في ألمانيا فقد ظهرت جماعة (التعبيريين Expressionists) التي تدعو إلى أن تكون الدرامة من مناظر كثيرة متعددة، لا من فصول، كما أصبحت الحال في السينما، على أنه لا في ألمانيا ولا في روسيا كان المسرح أحسن حالاً منه في انجلترا أو فرنسا فقد خرجت ألمانيا المهزومة من الحرب كما خرجت روسيا بروح جديدة ونظام من الحكم جديد حوّر مرافق الدولة جميعاً وأخضعها لأغراضه واستعان بكل شيء، ولا سيما بالمسرح، في تثبيت دعائمه والوصول إلى أهدافه. والاشتراكية في ذاتها تنكر الفنون والآداب كما تجحد الأديان والأخلاق، وذلك أنها لا تعترف إلا بالعلم، وهي تعتبر هذه الأشياء آخر ما يشغل العالم به نفسه. كما تفسرها على أنها ألوان من الخبز واللحم حتى إن الألمان ليقولون في أمثالهم «يكون الناس كما يأكلون!»، والاشتراكية في إنكارها للفنون والآداب والأديان والأخلاق لا تغض من قيمتها، ولكنها تتركها في مؤخرة برنامجها لتأتي

عبد الحميد الديب

شاعر البؤس والفاقة والحرمان

للأستاذ على متولى صلاح

من أراد أن يلتمس حظ الأديب فى الشرق ، وما يلاحقه من فاقة وحرمان ، وما تضطرب به حياته من أوجاع وآلام ، فيلتمس ذلك كله فى حياة عبد الحميد الديب

ذلك شاعر قطع حياته غريباً عن هذا العالم الذى يعيش الناس فيه ، لم يكن يدرى أنه حىّ ، لأنه لا يُرزق والأحياء يرزقون !

صدفتْ عنه النعم جميعاً ، وحلّتْ به النقم جميعاً . عاش لا يعرف السكن ، ولا يعرف الأهل ، ولا يعرف الوطن

حاول مرةً أن يتخذ لنفسه سكناً كما يفعل الناس ، وأن يعيش مثلهم ذلك العيش الرتيب المريح ، فجمع كل عزمه ، واستأجر غرفة فى أحد الأحياء الوطنية بالقاهرة ، وأقام بها أياماً يفترش أرضها ويلتحف سماءها ، ثم تأمّل حياته فيها ، ومُقامه بها فقال :

أرانى بها كلّ الأثاث فمطفى ... وسادٌ لرأسى أوْ وقاءٌ من البرد !

وهجرها إلى غير رجعة وعاد إلى ضلاله وتيهه !

عاش هذا الفنان البائس لا يعرف المال إلا من فضل ما يمنحه إخوانه من دراهم معدودات يسد بها بعض رمقه ، ويقضى بها بعض لبانته ، ولكنها لا تكاد تفى له بشىء ، فعاش على الجوع والطوى ، إنْ أصاب طعام يومه فنى ذمة الحظ والمصادفة طعام غده ، وأخيراً جداً أرادوا به خيراً ، فوظفوه فى وزارة الشؤون الاجتماعية براتب هو جنيهات خمسة ! فقبل الوظيفة راضياً شاكراً ، وذهب إلى « الديوان » نشوان فرحاً ، حامداً الله على نعمته ، والتمس كرسيًّا يجلس إليه ، ومكتباً يعمل عليه فلم يجدْ ، فأرسل إلى الوزير يقول :

بالأمس كنت مشرّداً أهليًّا ... واليوم صرت مشرداً رسميًّا !

وبعد ثلاثة أشهر من توليه هذه الوظيفة ، لفظ الشاعر آخر أنفاسه ، وقضتْ عليه علّة طارئة لم تجد العلاج النافع

كانت هذه المحن التى ألمت بهذا الشاعر ، وطاردته طول حياته لا يكاد يفر منها إلا إليها ، وهذه النكبات التى انصبت على رأسه لا يعرف عنها منصرفاً . كان كل ذلك مُلهباً لنفسه ، مثيراً لحفيظته . رأى الحرمان الشامل يحيط به ويُلازمه فحقد على المجتمع ووجد عليه ، وهو الأديب الفنان ذو الحس المرهف ، واستحال الشاعر جحيماً من العداوة والكره والبغضاء للناس ، تغنّى آلامه وأوجاعه بالبليغ الجزل مما عرفت العربية من شعر الشكوى والأنين ، كنتُ — وأنا بعدُ فى صدر الشباب — أغشى مجالس الأدباء والشعراء فى العاصمة فما رأيتُ — علم الله — مصدوراً يُنفس عن كربته إلا بشعر عبد الحميد الديب ، ولا مُؤلماً يشكو آلامه ، ولا متعباً يشكو أوجاعه إلا بشعر عبد الحميد الديب وهو النكرة المجهول المحروم المقصىُّ عن الناس بفقره وخصاصته

لك الله أيها الأدب ، ولكم الله أيها الأدباء ، أنتم بحق

من نفسها طائفة مختارة[1] كما يدعون ، وعلى كل فلم تنتج النازية كما لم تنتج الشيوعية بطلاً من أبطال الدرامة أو المسرح يعتد به ، ولعل هذا راجع إلى أنهما لم تسلخا فى التجربة أكثر من ربع قرن بعد . وها هى ذى تلك الحرب العالمية القائمة قد أخذت تحصد الأرواح الفينانة التى أبقت عليها الحرب السالفة ، كما أخذت تضاعف آلام الإنسانية وأحزانها فى كل مكان ، ولم تتوحش هذه الحرب بعد كما توحشت فى الأعوام الثلاثة الماضية بين النازية والشيوعية . أليس كل من النظامين إنما يؤمن بالعلم وحده ويريد أن تأتيه الفنون والآداب والأخلاق والأديان طائفة مختارة ؟

(يتبع) دريني خشبة

(١) معرض الآراء الحديثة لدكنسن ترجمة الأستاذ محمد رفعت

جنود هذا المجتمع المجهولون ، تحترقون أيها الأدباء لتنيروا للناس، وتجوعون أيها الأدباء لتشبعوا الناس ، وتعرون أيها الأدباء ليكتسى الناس ، وأنتم - بعد - لا تنالون منهم جزاء ولا شكوراً

شدَّ ما مَنَّى غروراً نفسه تاجر الآداب فى أن يربحا !

أما أنت يا عبد الحميد ، فهيات أملك وصفك الحق للناس - وقلَّ فيهم من يعرفك - هيهات يا عبد الحميد أن أعطيهم عنك صورة صادقة صحيحة سليمة لنفسك ولمتاعبك وشقائك ، فلأعرض عليهم بعض شعرك ليعرفوا يا عبد الحميد من أنت

١ - دمع المنازل

بِوَادٍ كدار الخلد برَّ المنازل حييتُ فما لى لا أفوز بنائل ؟

أقاسى به فى ليله ونهاره معيشة أفَّاق ووحدة ثاكل

وكم سألونى كيف تشقى مع الحجى وفى شعرك الهامى عِذاب المناهل ؟

فقلت بهذا الشعر بؤسى وشقوتى كما قتل الصدَّاحَ زهرُ الخمائل

فلا تسألونى عن دمائى وسفكها سلوا بدى الغالى جريمة قاتلى

فكم مرَّت النعمى علىَّ بسيمة فأبعدنى عنها وضيع الوسائل

ورفض لئيم كاشح القلب حاقد منالى أرزاق بهمة عامل

بكت بلدتى حزناً على وحسرةً وأحزن ما أبصرت دمع المنازل

وكم ندبتنى فى حمـــاها ضريرةٌ تنوح بصوت خافت الصوت ذابل

وشيخ أبىُّ الدمع إلا بمحنتى وفى ثوبه مجد الكرام الأماثل

هما والداى الصالحان : كلاهما على شدة البأساء موئل سائل

فيا ربِّ إما نعمة من حصافتى وإما حياةٌ فى حماقة جاهل ! !

٢ - الطلل الباكى

لو أستطيع البكا يأيها الطللُ بكيت حتى شكت من دمعى المقل

أرى الحوادث ذؤباناً مقذفةً علىَّ دون الورى تعدو وتقتتل

فكم تصوَّح عودى بعد نضرته وكم خبا فى دياجى عيشى الأمل

وكم دعت لى أمى وهى باكيةٌ وكم دعا لى أبى يقظان يبتهل

وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم وكلهم بمجالى رقتى حفل

حتى إذا سلموا للمود وانصرفوا سريت جوعان يفرى عزمى الطلل

جوعان! يامحنةً أربت على جلدى كأن ليلى بيوم البعث متَّصل

كأن حظى رحيق الدهر يشربها بكراً معتقة فالدهر بى ثمل

فإن تطلبت عيشى مت من كمد وإن تطلبت حينى يبعد الأجل

٣ - البائس

أذله الدهر لا مال ولا سكن فتى تزيد على أنفاسه المحن

إذا سعى فجميع الأرض قبلته وإن أقام فلا أهل ولا وطن

مهاجر بين أقطار الأسى أبداً كأنه بيد الأرزاء مرتهن

كأنه حكمة المجنون يرسلها من غير قصد فلا تصغى لها أذن

ثيابه كأمانيه ممزقةٌ كأنها وهو حى فوقه كفن

هو الهدى صرفتكم عنه محنته إن العزيز مهين حين يمتحن

ألا فصونوه من عزائه كرماً ولا تخلوه يورى شره الزمن

فرب عزم يثير البؤس فيصله فينبرى لسبيل الشر لا يهن

٤ - مصرع الحظ

حظى ومصرعه فى لين أخلاقي وفيض عطفى على قوى وإشفاق

ومن حبته الطلى أخلاف نشوتها عدا على الكأس طوراً أو على الساق

بين النجوم أناس قد رفعتهمو إلى السماء فسدُّوا باب أرزاقى

وكنت نُوح سفين أنشئت حرماً للعالمين فجازونى بإغراق

وكم وقيت الردى من بتُّ مضطرباً فى أسره المرّ لم أظفر بإطلاق

يا أمة جهلتنى وهى عالمةٌ أن الكواكب من نورى وإشراق

أعيش فيكم بلا أهل ولا وطن كعيش منتجع المعروف أفاق

وليس لى من حبيب فى ربوعكمو إلا الحبيبين : أقلامى وأوراقى

ريشت لحظى سهام من نميمتكم ... فصارعتنى وما لى دونها واق

لم أدر ماذا طعمتم في موائدكم ... لحم الذبيحة أم لحمى وأخلاقى

قالوا : غوىٌّ شقىٌّ قلت يا عجبا ... قد امتُحنت بكفار وفساق

وما تألمت من خطب ضحكت له ... كما تألمت من خطبي بمشاق

أنا على القرب منهم كل متعهم ... وإن نأيت حبونى فيض أشواق

فـالهم قد أشاعوا كل مخجلة ... عنى ، وقد أعلنوا بؤسى بأبواق

كصاحب الطير لا ينفك يسجنه ... سجنين من قفص مضن وأطواق

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة ... هو النسيم جموحاً غير خفاق

هو السحاب جهاماً والندى أسفاً ... هو الضياء لهيباً حين إحراق

كأنه أذرع شـلاء راحتها ... أو أنه أعين من غير أحداق

لا تسألونى عن بؤسى وعلته ... سلوا به الحظ ميتاً فوق أعناق!

والسلام عليك يا صديق ما انبعث أنين ، وصرخت شكوى والتهبت صدور .

(المنصورة) **علي متولي صالح**



٣ - الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

التذكر !

في حالة اليقظة تمر بنا ذكريات تظهر وتغيب متطلبة انتباهنا على التوالي وعلى الدوام . ولكنها ذكريات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحالتنا وعملنا . إني أتذكر في هذه اللحظة كتاب المركيز درني في الأحلام لأني أبحث في موضوع الحلم وأنا الآن في معهد الدراسات النفسية ومحيطي ومشاغلي وما أراه وما أنا قائم به من عمل ، كل هذا يوجه نشاط ذاكرتي نحو اتجاه معين . إن الذكريات التي نناجيها وقت اليقظة ، مهما تبدو غريبة عن مشاغلنا الوقتية فإنها تمت إليها دائماً بصلة ما . ما هي وظيفة الذاكرة عند الحيوان ؟ هي أن تُذكره في كل مناسبة العواقب النافعة أو المضرة التي سبق أن تلت حوادث متشابهة للحوادث الحاضرة ، وتخبره عندئذ بما يجب عليه عمله . - عند الإنسان - اعترف بأن الذاكرة تكون في حالة تحرر عن العمل أكثر مما هو الحال عند الحيوان ؛ ولكنها لا تزال مرتبطة بالعمل ، فإن ذكرياتنا في وقت ما تكون كلاً متماسكا . قل إذا شئت هرماً قمته في حركة مستمرة ومتفقة مع وقتنا الحاضر وتغوص معه في وقتنا المستقبل . ولكن خلف الذكريات التي ترتكز هكذا على مشاغلنا الحاضرة وتظهر بواسطتها ، توجد ذكريات أخرى - آلاف وآلاف أخرى - موجودة في الأسفل ، خلف المسرح المضاء بواسطة الوجدان . أجل أظن أن ماضينا موجود هناك محفوظ حتى أقل جزء منه ، وأننا لا ننسى شيئاً ، وأن كل ما أدركناه ، وكل ما فكرنا فيه وأردناه منذ أول فجر وجداننا فإنه يدوم أبداً . ولكن الذكريات التي تحافظ عليها ذاكرتي هكذا في أظلم أعماقها موجودة هناك على شكل أشباح خفية - ربما تتشوق إلى النور ولكنها لا تحاول أن تصعد نحوه فهي تعرف أن هذا من المستحيل - وإني أنا الكائن الحي الفعّال لديّ مشاغل أخرى تنهاني عنها . ولكن لنفرض أنه في وقت ما أكف عن حالتي الحاضرة ، عن العمل الملح أي عن كل ما كان يحصر في نقطة واحدة كل نشاط ذاكرتي . لنفرض باختصار أني نائم - فحينئذ تتحرك تلك الذكريات الثابتة عند ما تشعر بأني نزعت العائق ورفعت الحاجز الذي كان يجعلها ملازمة قاع الوجدان ، فتنهض وتهب وتضطرب وتقوم برقص قبري عظيم في ظلمات الوجدان - وجميعها تتجه نحو الباب الذي انفتح ، تريد أن تمر كلها ولكنها لا تقدر لكثرة عددها . فما هي الذكريات المختارة من هذا الحشد المدعو ؟ أنكم تدركونها بسهولة . منذ لحظة ، عند ما كنت في حالة اليقظة ، كنت أختار فقط الذكريات التي تمت بصلة قرابة إلى الحالة الحاضرة ، أعني مداركي الحالية . وإنها الآن لأشكال أكثر إبهاماً ترتسم أمام عينيّ وأصوات أقل وضوحاً تؤثر في أذنيّ ؛ ولمس أقل وضوحاً مبعثر على طول مساحة جسمي ولكنها أيضاً إحساسات أكثر عدداً تأتيني من داخل أعضائي . ولكن من بين هذه الذكريات الشبحية التي تحاول أن تكتسب ثقلاً بواسطة اللون والرنين والمادية ، فقط تظهر تلك التي يمكنها أن تمثل الغبار الملون الذي أشاهده ، والأصوات الخارجية والداخلية التي أسمعها الخ . والتي تتفق أيضاً والحالة العاطفية العامة التي تكونها التأثيرات العضوية ، ومتى حصلت هذه الصلة بين التذكر والإحساس ينتج الحلم .

في صفحة شعرية من صفحات كتاب التساعيات يشرح لنا الفيلسوف أفلوطين — مترجم أفلاطون ومتممه — كيف يولد الناس وينالون الحياة - يقول : تبدأ الطبيعة في صنع الأجسام الحية ولكنها تبدأ فقط ، وإذا تركت الطبيعة وشأنها فلا يمكنها أن تصل إلى النهاية . ومن جهة أخرى تسكن الأرواح في عالم المُثُل حيث لا يمكنها أن تعمل ، وهي لا تفكر في العمل فترفرف مرتفعة عن الزمن خارجة عن الفضاء - ولكن بين الأجسام ما يكون أكثر ملاءمة بفضل أشكالها لأغراض هذه الأرواح أو تلك - ومن بين الأرواح ما يجد نفسه أكثر ملاءمة ليحل في هذه الأجسام أو تلك - والجسم - وهو لا يخرج حياً تماماً من بين أيدي الطبيعة - يرتفع نحو الروح التي تهبه الحياة الكاملة . والروح تنظر إلى الجسم الذي تظن أنها ترى فيه صورتها فتنجذب وتنخدع كأنها أمام مرآة وتترك نفسها تندفع نحوه وتنحني وتسقط - وسقوطها هو ابتداء الحياة - إني أشبه الذكريات التي تنتظر في ثنايا الوجدان الخفية بتلك الأرواح المنفصلة - وهكذا إحساساتنا الليلية فإنها تشبه هذه الأجسام

في بداية تكوينها. الإحساس حار ملون رنان، وتقريباً هي كذلك ولكنه غير مستقر - والتذكر واضح معين ولكنه فارغ وبدون حياة. يبحث الإحساس عن شكل يثبت فيه خطوطه المتقلبة. والتذكر يبحث عن مادة تملأه وتمطيه ثقلاً حتى يتحقق فيجذب الواحد الآخر، والتذكر الشبحي يتخذ شكلاً مادياً في الإحساس الذي يقدم له الدم واللحم ويصير كائناً يعيش عيشة خاصة أي حلماً

فتولد الحلم ليس بأمر غريب. إن أحلامنا تتكون تقريباً مثل ما تتكون رؤانا للعالم الواقعي. إن آلية العملية واحدة بالإجمال. فما نراه من أشياء أمام أعيننا، وما نسمعه من كلام أمام أذننا، ما هو إلا الشيء القليل بالنسبة إلى ما تضيفه الذاكرة. عند ما تطالع جريدة أو تتصفح كتاباً أتعتقد أنك ترى فعلاً كل حرف وكل كلمة أو كل كلمة ضمن كل جملة؟ إذا كان الأمر كذلك فلا يمكنك أن تطالع الكثير في جريدتك - في الحقيقة أنت لا ترى من الكلمة أو من الجملة سوى بعض الأحرف أو بعض العلامات المميزة، وهو ما يلزم حتى تخمن الباقي. يبدو لك أنك ترى كل الباقي ولكنك في الواقع تتوهمه - هناك اختبارات عديدة ومتفقة لا تترك أي مجال للشك في هذا الصدد

ولا أذكر هنا سوى اختبارات جلوشيدر وموللر: إنهما كتبا أو طبعا صيغة دارجة عادية وهي مثلاً «ممنوع الدخول بتاتاً» أو «مقدمة الطبعة الرابعة» الخ. ولكنهما أخطآ بتبديل الحروف أو بحذف بعضها. ثم يوضع الشخص الذي سيعمل بواسطته الاختبار أمام هذه الصيغة في الظلام، وهو يجهل طبعاً ما كتب على اللوحة أمامه. ثم تضاء هذه الصيغة المكتوبة مدة قصيرة من الزمن حتى لا يتمكن الشاهد لها من أن يرى جميع الحروف. وفعلاً كانا قد توصلا إلى معرفة الوقت اللازم لمشاهدة حرف من حروف الأبجدية وذلك عن طريق التجربة. فمن السهل إذاً عمل الترتيب اللازم حتى لا يتمكن الشاهد من أن يميز أكثر من ثمانية حروف أو عشرة مثلاً من الثلاثين أو الأربعين حرفاً التي تكوّن الصيغة. ففي غالب الأحيان يقرأها بدون صعوبة، ولكن ليست هذه النقطة هي المهمة في الاختبار - إذا سألنا الشاهد ما هي الحروف التي شاهدها بكل تأكيد، فالحروف التي يذكرها يجوز أن تكون موجودة فعلاً ولكنه سيذكر أيضاً حروفاً كانت ناقصة أو استبدلت بحروف أخرى. هكذا يبدو له أنه شاهد الحروف الناقصة ترتسم في الضوء لأن الحس يتطلب ذلك.

فالحروف التي شاهدها فعلاً ساعدت على تذكره شيئاً ما. ووجدت الذاكرة الباطنية مرة أخرى الصيغة التي بدأت تحققها هذه الحروف فتبعث بها التذكر إلى الخارج على شكل وهمي. فالمشاهد رأى هذه الذكرى بقدر ما رأى وأكثر ما رأى الصيغة المكتوبة نفسها. فالمطالعة العادية باختصار عمل تخمين ولكنها ليست مجرد تخمين. إنها انبعاث ذكريات إلى الخارج أي مجرد تذكر إدراكات غير واقعية تنتهز فرصة تحقيق جزئي تصادفه هنا وهناك حتى تتحقق بأكملها

هكذا في حالة اليقظة تتطلب معرفتنا لشيء ما عملية مشابهة للعملية التي نقوم بها في الحلم. إننا لا ندرك من الشيء إلا ابتداءه؛ وهذا الابتداء يتبعه تذكر الشيء بأكمله. والذكرى الكاملة الكامنة في عقلنا والتي كانت في الباطن مجرد نكرة تنتهز هذه الفرصة لتندفع إلى الخارج. ونحن عند ما نرى الشيء نتوهم هذا النوع من الوهم المحاط بحاجز واقعي. ويمكننا أن نقول الكثير في تصرف الذاكرة أثناء هذه العملية. لا يجب أن نعتقد بأن الذكريات الموجودة في ثنايا الذاكرة تبقى فيها ساكنة جامدة وغير مكترثة، لا بل إنها صاغية وفي انتظار. إذا كان عقلنا مشغولاً ببعض الانشغال وفتحنا جريدة يقع بصرنا صدفة على كلمة تتفق تماماً ومشغلتنا؟ لكن نرى الجملة عارية عن كل معنى وسرعان ما نلاحظ أن الكلمة التي قرأناها لم تكن الكلمة المطبوعة. فقط توجد بينهما بعض العلامات المشتركة أو تشابه ضئيل بين شكليهما. فالفكرة التي كانت تشغل بالنا أيقظت في خفايا شعورنا جميع الصور المتجانسة وجميع الذكريات عن الكلمات المتشابهة، وعللتها، بنوع ما، بالعودة إلى الوجدان، والذكرى التي تعود إلى حقل الوجدان هي التي بدأ في تحقيقها إدراك وقتي لشكل من أشكال الكلمة

هذه هي آلية الإدراك الحقيقي وآلية الحلم - يوجد في الحالتين تأثير حقيقي على أعضاء الحس من جهة ومن جهة أخرى توجد ذكريات تنضم إلى التأثير وتنتفع بحيويته لكي نعود إلى الحياة

(يتبع) **ألبير نادر**

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٣ أبريل سنة ٩٤٣ في القضية رقم ٢١٣٦ سنة ٩٤٢ بتغريم إبراهيم عليوه إبراهيم الجزار من القطاوية خمسة جنيهات وإغلاق المحل ثلاثة أيام لبيعه لحوم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٣ أبريل في القضية رقم ١٢٧ بندر الزقازيق سنة ٩٤٣ بحبس محمد حسن عمر خباز بالزقازيق ثلاثة شهور بشغل وتغريمه ١٠٠ جنيه وإغلاق المحل ثلاثة أيام والمصادرة لعرضه للبيع خبز بأزيد من التسعيرة



روسيا والثقافة العربية

روت وكالة الأنباء العربية أن الأستاذ أجناتي كراشوفسكي — العضو في المجمع العلمي ، ومن أنصار العرب المعدودين — تلا بياناً عن الجهود التي بذلها أنصار الشؤون العربية ، أمام معهد اللغات لشعوب الجمهوريات السوفيتية في موسكو ، متحدثاً فيه عن مبلغ العناية التي وجهت إلى دراسة لغة العرب وثقافتهم وتاريخهم ، مسترعياً أنظار المستشرقين الروسيين إليها قائلاً : إنها أساس الثقافة الإسلامية القديمة الفنية التي تعتنقها شعوب كثيرة تستوطن آسيا الوسطى كالقوزاق والتتر الذين يؤلفون جزءاً من جامعة الأمم السوفيتية وإن آثاراً عديدة عن الثقافة العربية تقوم في آسيا السوفيتية والقوقاز . وما زال بعض سكان داغستان وشيستو ينجوشتيا يتكلمون بلغة عربية قديمة إلى جانب لغتهم الأصلية ، ويستخدمونها في التخاطب والكتابة ، حتى في نظم الشعر وفق الأوزان العربية القديمة . ويعتبر قسم أنصار العربية في معهد الدراسات الشرقية وفي جمعية أنصار العربية التي تضم بين أعضائها علماء من كافة أنحاء روسيا دليلاً على الاهتمام الكبير الذي تبديه روسيا بشأن مسائل الثقافة العربية . ورغماً من ظروف الحرب لا يزال العمل مستمراً في تنفيذ مشروعات عربية أدبية وتاريخية . وقد تمت في الأعوام الأخيرة أعمال كثيرة بفضل دراسة الموضوعات العربية باعتبارها من الموارد التي يستقي منها تاريخ الشعوب الروسية

ولم تكن الحرب عائقاً كبيراً لتطور هذه الأبحاث العربية ، بل اقتصر أثرها على إرجاء صدور بعض المؤلفات التي تم وضعها وبخاصة في لينينجراد ؛ ولم يفقد أو يضع منها أي مؤلف برغم أخطار الحياة ومتاعبها في هذه المدينة وقت الحصار الذي كان مضروباً حولها ، فقد حفظت هذه المؤلفات جميعاً بعناية كبرى

ولا يزال يواصل أنصار العربية في روسيا عملهم في هذه الأبحاث

مشكلة النظافة في مصر

أعجبني وأثار تفكيري استطراد الأستاذ الجليل أحمد أمين بك إلى مسألة — النظافة عند المصريين — وهو يسوق حديث المرحوم الشيخ رفاعة الطهطاوي في إعجابه بنظافة (الفرنساوية) وقد امتطى ظهر سفينتهم إلى أوربا ، واستنكاره لقذارة المصريين وهو يعترف بها في حديثه على مضض

والحق أن للمصريين شهرة بعيدة بقلة النظافة لا يفيدنا في شيء أن ننكرها أو نتصام دون سماعها . وقد رد الأستاذ ذلك إلى سببين : أولهما « الفقر المنتشر والبؤس الشائع » اللذان يحولان بين عامة الشعب واستكمال وسائل نظافته ؛ وثانيهما تقصير الحكومة في الدعوة الصحية و « عدم تدخل أولى الأمر في نظافة الشعب وتعويده أن يقوّم النظافة قيمتها الحقة »

والواقع أن كلا السببين ينقصه الوجاهة ، ويعوزه شيء من صدق التأييد . فالفقر والبؤس لا يغرسان عادة القذارة في نفوس طبعت على حب النظافة ، وليس صحيحاً هذا الارتباط الذي نتوهمه بين الفقر والقذارة أو بين الغنى والطهارة !

بل إن الأستاذ لينقض رأيه هذا في نفس الكلمة حين يقول : « ومن نعم الله أن تكاليف النظافة رخيصة إذا وجدت نفوساً تأنف القذر » أما الحديث عن مهمة الحكومة في تنظيف الشعب فحديث عجيب ، حتى لكأننا — نحن أفراد هذه الرعية — من طينة ، ورجال حكومتنا من طينة أخرى

وهب الأمر كذلك ، فما قيمة الشعرة الواحدة البيضاء في أديم الثور الأسود ؟ ما أثر دعوة الحكومة إلى النظافة إذا صح أن نرجع بالقذارة إلى أسباب طبيعية أقوى من أن تخضع للارشاد أو تتأثر بتزجية المقال ؟

ولتوضيح هذا نقول : إن جذور القذارة عندنا أعمق

مما يبدو فى كلام الأستاذ ؛ ومنبعها — فيما أرى — يرتد إلى أسباب طبيعية ثابتة قوامها البيئة والمهنة ، أكثر مما يرتد إلى هذين السببين العارضين اللذين ساقهما خلال حديثه

فطبيعة الطقس فى مصر ، بين شدة حرّ وندرة مطر ، مما يلوث الجو ويوبئه ، ويهدم سياج النظافة ، بل ويضاعف الشقة على من يتحرى ذلك فى ملبسه أو فى جسمه ، بله المسكن وسائر الأدوات والمرافق الأخرى . ولو راقبنا الأجنبي عندنا فى صيف أو شتاء لرأيناه راضياً لنفسه بمستوى من النظافة يقل عما يألفه فى بلده ، وإلا فهو مرغم على بذل مجهود أكبر ، ليصل إلى الدرجة التى كان يبلغها هنالك بأيسر المجهود

هذا ولمهنة المصريين الطبيعية أثر لا يقل عما ذكرناه وضوحاً ؛ فالفلاحة لا تترك لدى الزارع المخلص مجالاً للتحرز من أوساخ الأرض . وليس صميماً فى مصريته من يكره الخوض فى الأوحال أو يضيق ذرعاً بهذا الطمى العالق بماء النيل ، وإنه لسبب حياتنا ونعمتنا ، بل سبب الرزق الذى يتحدر من أيدينا إلى لهوات شعوب وشعوب

وإن قولتنا المشهورة — أرض مصر من ذهب — لحقيقة صادقة لا يعلق بها مجاز ، أو يقلل من تصريحها كناية . فليس بضائر فلاحنا أن يوشى ثوبه بالطين والغبار ، إذا توشت ثياب غيره بخيوط الذهب ، وتزين صدره بقلائد النضار

وأخلص من كل هذا إلى تقرير أمرين : الأول أن النظافة — كخلق أو عادة أو سمها كيف شئت — تخضع فى كل أمة إلى ظروف من بيئتها ومن طبيعة عملها خضوعاً تقف معه عند مقاييس خاصة ، وتضطرب بسببه فى مجال محدود وأفق معين ، يختلفان ضيقاً وسعة عن مثلهما فى الأمم الأخرى . والثانى : أن إهمال الحكومة وتفشى الفقر . . . هما داعيان — فقط — من دواعى استدامة هذه الحال التى نشاهدها من قذارة أغلب العامة من أهل مصر ؛ ولكنهما ليسا العلة الأساسية فى وجود هذه الحال التى قد ترتقى فى بعض الأحيان إلى مستوى (العادة) المتأصلة ؛ ولكنها تزول مع ذلك — فى سهولة ويسر بالغين — إذا نحن هيأنا لأقذر من نختار من المصريين شيئين اثنين فقط : هما الجو اللطيف ، والعمل النظيف

(جرجا) محمود عزت عرفة

٢٠ ٣١

ديوان زهر وخمر

إن من عرف ديوان الملاح التائه فقد عرف الأستاذ على محمود طه على حقيقته : ذلك لأن روح القلق المشوب بالمرح تغلب على شعر صاحب الجندول حتى لتكاد تجعل منه نغمة واحدة تجمع بين الحيرة والفرحة ، وهذه الروح التى تعبر أصدق تعبير عن طابع الحياة العام ، يلمسها قارىء ديوان « زهر وخمر » فى سهولة ويسر ؛ فإن ثمة موجة هائلة تغمر بفيضها كل شىء فى الوجود ، عند صاحب هذا الديوان ؛ إذ ينظر المرء فيرى المجداف يمرح ، والزورق قد رنحته الأمواج ، والأضواء ترقص مع الموج ، والشماع يمرح مع الأمواج الحليمة ... إلى آخر تلك التعبيرات التى تضفى على كل شىء روحاً من البهجة والمرح ... وما عسى أن يكون هذا إلا صدى لروح الملاح التائه الذى يستعذب القلق والحيرة ، ويجد فيهما الفرح والبهجة ؟

إن الأستاذ « على محمود طه » ليصور لنا فى ديوانه الجديد روح الملاح التائه ، فيعرض لنا فى قصيدته « سارية الفجر » صورة جميلة لغادة فاتنة عبرت به فى الصباح الباكر ؛ وهنا نراه ينظر إليها نظرة الملاح التائه أيضاً ، إذ ينبئنا بأنها عرضت له عند الفجر حتى لقد عجب لهذه الغادة وقال :

هذه الساعة تسمى امرأة حين لم يخفق جناح الطائر !

وهو لا يقف عند هذا الوصف ، وإنما يضيف إليه وصفاً جديداً تكتمل به صورة الحيرة والقلق ، فيصور تلك الغادة وقد أخذت تقطع الإفريز كالأسير الهارب من الأسر ، وهي تتقى الأعين أن تبصرها ، وتلتفت إلى العابرين التفات الحائر ، ولا تعبأ بالمطر الذى يصيبها والبرد الذى يلفحها ... الخ . وينظر المرء مرة أخرى فلا يرى فى هذه الصورة غير طيف لتلك الصور التى عرضت لصاحب « الجندول » حين كان يلتقى بغادات أوربا الجميلات فلا يستطيع أن يظفر منهن بغير اللفتة العاجلة والنظرة العابرة ! وهل كان الحب عند الملاح التائه غير هذا القلق المغلف بالمرح والبهجة ؟

إنى لأكاد أجزم بأن الحيرة والمرح هما كل شىء فى « شاعرية » الأستاذ على محمود طه ؛ ومن أجل ذلك نرانا نراه يعنف حيناً فى تصوير موقف الإنسان أمام الطبيعة ، ونراه يفرط حيناً آخر فى تصوير متعة الإنسان التى يجدها فى الطبيعة . وهو فى كلتا الحالتين يعبر عن روح الملاح التائه التى قد يطغى

عليها القلق حيناً فتعنف وتشتد ، ولكنها لا تلبث أن تعود إلى مرحها فتطرب وتبتهج . والظاهر أن المرح أغلب على تلك الروح ، فإن الحيرة تمتزج بالحب فتذهب مرارتها فى عذوبته . والحب عند الملاح التائه ينزع إلى أن يصبغ كل شىء فى الوجود بصبغته الجميلة المستحبة . وهل ننسى أن صاحب الجندول هو الذى يقول :

كل نجم مهجة تهفو وعينٌ لا تنـام
وشعاع البـدر معشـوق به جُنّ الغمامْ
يا حبيبى كل عَيْشٍ ما خلا الحبَّ حرامْ

أجل ! هذا ما يقوله صاحب « زهر وخمر » ؛ ومن قبله قال جيته شاعر الألمان : « ليس ثمة نعمة فى هذه الحياة ، أعظم من أن يَعشِق المرء ويُعشَق »

زكريا ابراهيم

محمد بن عبد الوهاب

أصدر صديقنا الأستاذ الفاضل أحمد عبد الغفور العطار الأديب الشاعر الحجازى المعروف كتابه الجديد عن هذا الزعيم العربى المصلح ، فسد فى كتب التراجم فراغاً ملموساً وأسدى به إلى الزعيم المسلم الصادق يداً سيذكرها له المعجبون بمحمد بن عبد الوهاب فى جميع الآفاق . والكتاب برغم المآخذ القليلة التى يمكن تداركها فى الطبعة الثانية هو مصدر نافع يفيد كل من يريد الإلمام بالمصلح النجدى كما يلقى الضوء على هذه الشخصية العربية التى جددت سنة الرسول الكريم ودعت إلى العود بدينه إلى الفطرة التى صدر عنها وبشر بها ، واتخذ من رسول الله أسوته الحسنة فى كل ما تجشمه بسبيلها . ونحن فى مصر نرحب كل الترحيب بالكتاب الجديد ونتمنى له الذيوع والانتشار فإنه لهما أهل .

د. بنى مشنة

ندائى

عزيزتى (ن)

أين أنت ؟ تجاهلتنى ونسيت نور الماضى . انطفأ ذلك النور الذى كان يبدد لى غسق الحياة . انتهى كل شىء وحل الظلام ، الظلام الأبدى ... انتظرى خطابى الأخير

وعند ما يتحقق لى أنك بريئة سأذرف عليك دموعى الباقيات يا أملى الوحيد .

سراج الدين

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

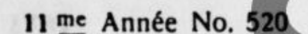


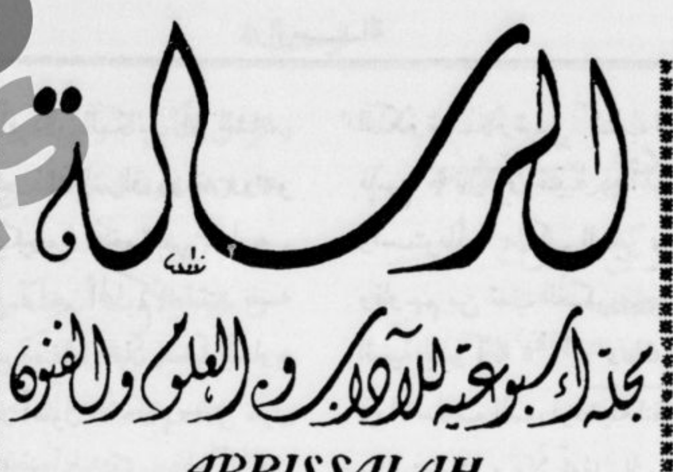
11 me Année No. 520

Lundi - 21 - 6 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٠ «القاهرة في يوم الإثنين ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢١ يونية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهــــرس

١٢ ــ دفاع عن البلاغة

٤ ــ الأســلوب

أما قول إميل زولا[١] : « وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفني في أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرأهما مترجمين » فرماه أن روائع اليونان والرومان لم تخلد على الدهر إلا بمعانيها المبتكرة ، ووقائعها المشوقة ، وعواطفها الصادقة ، وشخوصها الحية ، بدليل أننا نقرأها اليوم بمعانيها لا بمبانيها ، وبفكرها لا بصورها . فلو كان خلودها منوطاً بدقة الصياغة وجودة الصناعة لما عاشت بالترجمة . ثم يترتب على ذلك خطأ القول باتحاد الصور والأفكار في الأسلوب ؛ لأننا حين نقرأ الإلياذة مثلاً في الفرنسية أو في العربية لا نقرأ منها غير الموضوع

والحق الذي تؤيده الدلائل أن جمال الأسلوب وحده هو الذي ضمن الخلود لهذه الروائع ؛ فإن الثابت بالسند المتصل والخبر المتواتر أنها كانت آية عصرها في البلاغة ، ولولا ذلك ما روتها الرواة ولا ترجمتها التراجم . واللفظ كما يقول الجاحظ : « إذا لم يكن رائعاً والمعنى بارعاً لم تصغ له الأسماع ، ولم تحفظه النفوس ، ولم تنطق به الأفواه ، ولم يخلد في الكتب »[٢]

(١) راجع العدد ٥١٨ من الرسالة
(٢) رسالة الشكر ، صبح الأعشى ج ١٤ ص ١٧٣

والترجمة الصحيحة لا تنقل أفكار الكاتب أو الشاعر وحدها عن الأصل ؛ إنما تنقل مع ذلك إشراق روحه ، وسمو إلهامه ، ولطف شعوره ، ونمط تفكيره ، وخصائص أسلوبه . فلو أن ترجماناً ضعيف العربية من تراجم المحاكم حدثته نفسه أن يعرض لإحدى روائع شكسبير فنقلها نقلاً لفظياً بأسلوبه الذي يترجم به عروض الأحوال أو أصول الأحكام ، فهل تقول إذا استطعت أن تقرأ ما كتب إنك قرأت شكسبير ، أم ترى أنك قرأت ألفاظاً كالعظام المعروقة المبعثرة لا تمثل من أي حيوان معنى من معانيه ولا صورة من صوره ؟ إن بلاغة التوراة والإنجيل في العبرية لا مساغ للشك فيها ، ولكنك تقرأهما في العربية فلا تجد أثراً لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموهما إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ، فوضعوا لفظاً مكان لفظ ، ولم يضعوا أسلوباً مكان أسلوب ؛ فجاءت الترجمة كما ترى موضوعية عجماء لا تشبه لغة من لغات الناس في لون ولا طعم ولا شكل

فأنت ترى أن الترجمة التي يسوقونها دليلاً على أن الروائع الأدبية تحيا بصدق موضوعها ، وأن الأفكار تنفصل عن الصور وتنتقل بدونها ، هي نفسها الدليل الناهض على أن الموضوع لا تتحرك الهمم لنقله ، إلا إذا راع النفوس بشكله ، وأن الترجمة لا تكون صحيحة إلا إذا نقل المترجم أسلوب الكاتب أو استبدل به مثله

***

إذا حَلِيَ في صدرك بعد ذلك أن تذهب إلى ما ذهبتُ إليه من أن تجويد الأسلوب يتضمن تجويد الفكرة ويضمن خلودها ؛ فدعك من أولئك الذين عادَوا الكمال الفني بطبائعهم فآثروا جانب التسمح والتجوز والمجازفة والمعافاة : كزولا ، وبلزاك ، واستندال ، وسائر الذين رآهم فُلتير يحاصرون (معبد الذوق)[1] ثم لا يستطيعون أن يَظهَروه ولا أن ينقبوه ولا أن يمنعوه . ولا تبال أولئك الذين نزلوا بقصورهم عن طبقة البلغاء فتنطعوا بركيك الألفاظ ، وتكثروا بسخيف التراكيب ، كهذه الكثرة الكاثرة من كتاب العربية وشعرائها في هذا العصر ، فإنهم كما قال ابن قتيبة في أهل زمانه : « قد استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، وأعفوا أنفسهم من كد النظر ، وقلوبهم من تعب الفكر ، حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة »[1] . دعك من هؤلاء وأولئك وانظر أنت في الأسلوب الذي ارتضيته لنفسك فتعهده بالتصحيح والتنقيح ما استطعت ، ولا تحفل الزمن الذي تنفق فيه ؛ فإنك تخلق الخلق ليعيش ، وتبدع الأثر ليخلد . والزمن لا يُبقي على عمل يتم بدونه . وما العبقرية كما يقول بوفون إلا صبر طويل . ولا عليك أن يقال عنك إنك بطيء بكيء ؛ فإن زهيراً لم يعبه أحد بحولياته ، وابن المقفع لم يغض من عبقريته قلة مؤلفاته ، وأبو نواس شهر بالتخير والتفكر ، كما شهر أبو العتاهية بالارتجال والاقتضاب ، فجاء شعره كله من حر الكلام ومختاره ، كما جاء شعر الآخر على رأي الأصمعي « كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » . وللابروبير كتاب واحد ، ولفلوبير كتابان ؛ ولو كان لبلزاك كتاب من طراز (الشمائل) ، أو كتابان على أسلوب (مدام بوفاري) و (سلامبو) لما قلت شهرته بهما عن شهرته بمجلداته الخمسين

والروية والعمل والتهذيب والتأنق تشف عنها العبقريات الخالدات للعباقرة الخالدين . فهنا تجد الفرزدق ومسلم بن الوليد وأبا تمام وأبا العلاء وسهل بن هرون وأحمد بن يوسف والجاحظ وابن العميد والحريري ؛ وهناك تجد بوالو ولافونتين وتين ولا بروبير وبسكال ومنتسكيو وفلوبير وشاتوبريان وإدمون رستان!

كان لافونتين ينظم المثل ثم ينظر فيه عشر مرات ، وفي كل مرة يحرر ويغيِّر ، ويحذف ويضيف . وكان شاتوبريان يبدىء الصفحة ثم يعيدها على نحو ما كان يفعل لافونتين . ويقول بسكال إنه حرر بعض فصول (البروفنسيات) خمس عشرة مرة . ولو كشف أفذاذ الكتاب عن عاداتهم في الكتابة لما وجدت فيهم من يرسل الكلام كما يجيء ، ويقيد الفكر كما يعن

(البقية على صفحة ٥٠٠)

احمد حسن الزيات

(١) قصيدة نقدية لفولتير تخيل فيها أن يونان وروما وفرنسا أقاموا (معبد الذوق) وأنه حج إليه فوجد ضعفة الكتاب قد حاصروه ولكنه على الرغم منهم دخله واجتمع فيه بعباقرة الفن

(١) مقدمة أدب الكاتب

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

بين الحب والاعجاب — شبهة لغوية — غناء وغناء

بين الحب والاعجاب

الصلة بين الكاتب والقارئ منوَّعة الألوان ، فهنالك كاتب يحبه القارئ ، وكاتب يعجب به القارئ ، وكاتب يظفر بالحب والإعجاب

ومَرَدُّ الأمر إلى ذاتية الكاتب ، فإن كان أدبه أدب وجدان فهو جدير بالحب ، وإن كان أدبه أدب ذكاء فهو خليق بالإعجاب ، وإن جمع بين الوجدان والذكاء فهو الكاتب المنشود ، وهو الذاتية الكاملة فيما يرى أصحاب الأذواق وأرباب العقول

والظاهر أن الأدب الحق يأخذ زاده من الذكاء ومن الوجدان ، فإن خلا من أحد هذين الزادين فهو عُرضة للضعف ، وإن خلا منهما معاً فهو إلى فناء

وقد يظن بعض الناس أن الذكاء والوجدان من المواهب الثوابت ، وأن من حق الموهوبين أن يتكلموا حين يريدون . وهذا توهم ، فما يستطيع أعظم عقل أو أكبر قلب أن يجود بالمعانى فى كل وقت ، وإنما هى بوارق تَصدُرعن العقل والقلب من حين إلى أحايين

ومع هذا فمن المؤكد عندى أن العقول تُراض وأن القلوب تُراض ، ولكن كيف ؟

هنالك أغذية لا يعرفها مؤتمر الأغذية ، وهى التأملات فى دقائق الفروق بين الحيوات الحسية والمعنوية ، وهى فروق لِطاف لا يدركها غير قلب الأديب وعقل الفيلسوف

والظاهر أيضاً أنه لا بد من التزود بما سميته « الحاسّة الفنية » وهى حاسة لا توهب لجميع الناس ، وإنما يختص الله بها من يشاء ، وإلا فكيف جاز أن يكون النوابغ فى كل أمة آحاداً وإن زاد أبناؤها على عشرات الملايين ؟

إن الوجود كتابٌ مفتوح ، ولكنه لا يُقرأ بسهولة ، ولا يجتلى أسرارَه غيرُ أفراد ، فكيف نصل إلى لُبابه المكنون ؟ أعتقد أن مسئوليتنا نحو أنفسنا خطيرة ، فنحن نضيع فرص التأمل ، ونحن نتهيّب ما يُغضب المجتمع ، ونحن نجعل السلامة شارة النصر المُبين

الأصل فى الأدب أن يكون ثورة عقلية وذوقية ، والأصل فى طبيعة الأديب أن تكون قوة موحية ، قوة تُعطى وتَمنح ، وعنها تصدر أقباس الفكر وألوان الخيال

وليس معنى هذا أن يعيش الأديب عيش المحادّة للمجتمع ، فالمحادّة المقصودة عناد بغيض ، ولكن معناه أن يستقل الأديب عن الوحيات الخارجية ، موحيات الظروف ، بصورة تجعل أدبه من وحى الخلود

ويظن ناسٌ أن الكاتب المحبوب هو الذى يحدّث قراءه عما يألفون ، وهذا خطأ فى خطأ ، وإنما الكاتب المحبوب هو الذى يمضى بقرائه إلى شِعاب من الفكر والروح والوجدان لا يصلون إليها بغير دليل . فمن غفلة بعض الكاتبين أن يأنسوا إلى العامية الفكرية ، عامية الرأى المبذول بغير حساب على اختلاف عهود التاريخ . وما قيمة الكاتب إن لم يُشعر القارئ بأنه هداه إلى أفق جديد من آفاق العقل والروح ، ولو بلمحة سانحة فى أثناء الحديث ؟

يجب أن تكون للكاتب ذاتية عقلية وروحية ، عساه يخلُق فى القارئ وجداناً يحس به حقائق الوجود . فليس بكاتب ولا مفكر من يكون محصوله نُفَاضة من أضابير زهد فيها المنكبون

والأدب عند كل أمة وفى كل عهد سموٌّ وعَلاء ، أو هو التعبير الصحيح عن المطامح الكريمة فى السمو والعلاء ، ولهذا كان من آساسه الأصيلة أن يكون طريف الفكرة جميل الأسلوب

وليس المراد من طرافة الفكرة أن تكون رأياً لم يسمع بمثله الناس ، لا ، وإنما المراد أن يكون تعبير الكاتب عنها تعبيراً ذاتيًّا يجعلها من الطريف ، بحيث لو تحدث عنها غيره لعُدّت من الحديث المعاد

أما جمال الأسلوب فله عندى مقياس يخالف المعروف من المقاييس ، والكاتب صاحب الأسلوب فى نظرى هو الكاتب الذى يشغلك بنفسك حين يوجه إليك الحديث ، ومعنى هذا أن تبرز الفكرة بصورة قهّارة ينسى فيها القارئ أنه فى صحبة كاتب ، ولا يدرك إلا أنه يواجه معضلات يشترك فيها العقل والوجدان . وهذه البراعة لا تتفق للكاتب ولا تنصاع إليه

إلا بعد أن يكون إماماً فى لغته ، إمامة صحيحة كونتها الرياضات الطوال على الأداء المبين بالأسلوب الرشيق

شبهة لغوية

هى شبهة من يتوهمون أن اللفظة الفصيحة هى اللفظة المخدّرة ويريدون بها اللفظة التى لا يعرفها سواد الناس ، فالكاتب العظيم فى نظر هؤلاء هو الكاتب الذى يتحامى المأنوس من الألفاظ ، ويؤثر الألفاظ التى عاشت فى المعاجم بقوة التحنيط وإن حُرمت الحياة منذ أزمان

وأنا لا أقيم وزناً لهذا الرأى ، وأضيف أصحابه إلى الجهلاء ، ولا يؤذينى أن يتهمونى بالتسامح فى اللغة ، كما طاب لأحدهم أن يقول ذلك فى إحدى المجلات

الألفاظ تتقاتل فى سبيل العيش كما يتقاتل الناس ، فينتصر فريق وينهزم فريق ، ثم يجىء الكاتب الحصيف فيمانق اللفظ المنتصر ، ويتقدم الكاتب المخذول فيمانق اللفظ المخذول

كان أحد أعضاء المجمع اللغوى ــ وهو السيد حسن القاياتى ــ أنكر علىّ فى مقال نشره فى جريدة البلاغ منذ سنين أن أستعمل لفظة « يستأهل » بمعنى « يستحق » فكتبت فى الرد عليه مقالاً بعنوان : « والله تستأهل يا قلبى »

واستعملت مرة كلمة « شافَ » بمعنى « رأى » فثار خلقٌ من خلق الله وعدونى من المتسامحين فى اللغة ، فسألتهم عن « تشوّف » وهى كلمة كثيرة الورود فى قصائد التشبيب ، ثم أكدت لهم أن العرب فى جميع الأقطار يقولون : « شافه » بمعنى « رآه » وقد « شفتهم » بعينى !

أتريدون الحق ؟

الحق أن النقد اللغوى غلبت عليه الصبغة البيغاوية ، وإليكم هذا المثال :

قضى علماء البلاغة نحو عشرة قرون وهم يقولون فى مؤلفاتهم وفى دروسهم بأن المتنبى أخطأ فى جمع بوق على بوقات حين قال :

فإن بك بعض الناس سيفاً لدولة ... فنى الناس بوقاتٌ لها وطبول

وكان العجب كل العجب أن يتحامل علماء البلاغة على المتنبى نحو عشرة قرون ، ولا يجدون من يهديهم إلى الصواب

وأثنى على نفسى « للمرة الأولى بعد الديشيليون » فأقرر أنى نفردت برفع الظلم الذى عاناه المتنبى فى تلك القرون ، ولكن كيف؟ ليست البوقات جمع بوق ، كما توهموا ، وإنما هى جمع بوقة ، والبوقة هى اللفظة الاصطلاحية فى موسيقا الجيش العربى ، كما تشهد نصوص رأيتها فى بعض كتب التاريخ

وهنا أسوق فائدة لا أذكر أنى رأيت من نبه إليها فى كتب الصرف ، وهى جعل التأنيث من صور التصغير ، فالبوقة أصغر من البوق ، والطبلة أصغر من الطبل ، والبحرة أصغر من البحر ، وقد بولغ فى تصغيرها فصارت بحيرة

و « طُونس » الساقية فى عُرف أهل الريف له وصلة يسمونها « الفرخ » إن كانت طويلة ، ويسمونها « الفرخة » إن كانت قصيرة

وفى شوارع القاهرة نجد بائماً يتغنّى :

« حَبُّ العزيز الرُّبعة بقرش »

فما الرُّبعة ؟ هى مصغّر الرُّبع ، بلا جدال

إن الصفة البيغاوية فى النقد اللغوى أضرت باللغة وآذتها أعنف الإيذاء ، فقد كتب كاتب فى الرسالة ينقد استعمال كلمة « مَرِير » بمعنى مُر ، وحجته أن المرير هو الحبل المحكم الفتل ، ثم اتفق أن رأيت الشريف الرضى يستعمل كلمة المرير ويريد بها المر ، فنظرت فى أساس البلاغة فوجدت الزمخشرى نص عليها بوضوح لا يحتمل الخلاف

وأنكر قومٌ جمع صناعة على صنائع ، وألحوا إلى أن حملوا وزارة المعارف على تغيير اسم مدرسة الصنائع ، مع أن لهذا الجمع شواهد تفوق العدّ ، وعلى أقلام كبار البلغاء

وأنكروا أن تنسب إلى الطبيعة فتقول طبيعى ، مع أن العرب لم يقولوا طبَعى ، ومع أن « فَعَلىّ » فى « فَعيلة » هو فى ذاته شذوذ

والجرائد تقول « القتيل » وهى تريد القتيلة ، لأن قائلاً قال بأن « فعيل » يستوى فيه التذكير والتأنيث ، وهذا خطأ ، إذا كان فعيل بمعنى مفعول ، وهل أخطأ صاحب لسان العرب حين قال : رجل دفين وامرأة دفينة ؟

ولم يفهم النحويون علة التذكير فى آية « إن رحمة الله قريب من المحسنين » فعدوه تذكيراً أوجبته المجاورة ونسوا أن « قريب » فى معنى الفاعل لا معنى المفعول

والمراد من الصفة البيغاوية فى النقد اللغوى هو أن يحكى بعض الناس ما يقرأون حكاية البيغاوات . فأكثر ما نرى من اعتراض هو ألفاظ منقولة عن ناس تعرضوا للنقد اللغوى بلا بصيرة ولا يقين

لغة العرب لغة آبائنا وأجدادنا ، فليعرف من لم يكن يعرف

أن خطأنا فيها أفصح من الصواب . وإننا لن نستمع لأى اعتراض بعد أن ركزنا الراية فوق ناصية الخلود

غناء وغناء

فى مكان يستبق إليه ضياء الشمس ، ونور القمر ، وهدير الأمواج ، وقفت أنتظر وفاء بميعاد هو الميعاد

وأقبلت الروح الملائكية فى رسمة إنسانية ، كما يطيب للملائكة أن تتشكل بصور الناس فى بعض الأحيان

ودار حديثٌ أعذب من رنين الكؤوس ، وأرقّ من وسوسة الحلىّ ، فى لحظات الصفاء

ثم دار عتابٌ كعتاب القلوب للعيون ، فماذا قلت وماذا قالت تلك الروح ، وقد أصغى البحر واستمع الوجود ؟

لو تجمّع ما أثار البحر من عواطف على اختلاف الأجيال ، ولو اعتصرت الحياة ما يجرى فى أعوادها من رحيق الحب ، لكان هذا وذاك دونَ ما أضفينا على الكون من بهجة النعيم ...

ولو دُعينا لأداء الزكاة عن تلك اللحظات لكان من القليل أن نقضى العمر فى شكران من قضت حكمته أن يجعل الحب سيطرة روح على روح ، وانجذاب روح إلى روح

كان ضجيج المدينة أضعف من أن يحجب أسرار القلوب ، وكان القمر بفضل عليائه أشرف من أن ينمّ عن خلوة حبيب بمحبوب

فى شهر يونية تقوم غمامة تحجب القمر فى لحظة لا تنتظر ظلال السحاب ، فنفهم أن للحب والشعر آلهة ، كما تقول أساطير القدماء

كانت الدنيا كلها فى يدى ، وكان هواى هو الهوى ، وزمانى هو الزمان ، وكانت لغة الوجد فوق الأصوات والحروف ، وهل يعرف أحدٌ ما لغةُ الأنفاس الحِرار ؟ وكيف وما كانت اللغات إلا تعابير عما يجوز البَوْح به من أسرار الأرواح ؟

وأين اللغة التى تعبّر عن فرحنا بالحب فى تلك اللحظة الوجدانية ؟

أين أين ... وهى لحظة ما ظفر بمثلها عاشق فى قديم ولا حديث ؟

هى زاد العمر كله ، فليتمرّد الهجر كيف شاء بعد ذلك الوصال .

لو مرّت تلك اللحظة بالناس فى ماضيهم البعيد لظفرت اللغات بألفاظ وتعابير تفوقَ الوصف ، ولكان من السهل أن أشرح ما يوحى به ذَرْع « الرمل » على نغمات الموج فى صمت الليل

ثم نفترق ، فمتى نلتقى ، يا روحاً لا يحيا بدونه روحى ؟

للوجود كله غِناء ، ولنا وحدنا غناء ، وروحك هو تغريد البلبل ، وحفيف النسيم ، وهدير الموج ، وعربدة الكهرباء

ثم نفترق وقد تحيرنا بين النور الأحمر والأزرق ، وهذه إشارة لا يفهمها غير أسارى هذين النورين فى « دار الوجد والمجد » ، عليها أطيب التسليمات !

فمن فاته أن يعرف سر هيامى بوطنى فليقرأ هذه السطور بروحانية وإخلاص

الإسكندرية هى المثال المصوّر لسرائر النعماء ، ومن لم يزر الإسكندرية فليس من حقه أن يزعم أنه عاش لحظةً من زمان

ولى فى الإسكندرية دارٌ تشكو جفائى ، ولم أكن من الجافين ، دارٌ أساورها بلا استئذان حين أريد ، كأنها دار الهوى فى سنتريس أو بغداد أو باريس

فى الصبح قرأت مقالاً فى جريدة الأهرام عن إيطاليا بعد ثلاث سنين ، وفى الظهر قرأت مقالاً فى جريدة الريفورم عن إيطاليا بعد ثلاث سنين ، فتذكرت أنى عرفت تلك الروح فى اليوم الذى أعلنتْ فيه إيطاليا الحرب قبل ثلاث سنين

وما أبعد الفرق بين إيطاليا وبينى !

مرّت بها موجاتٌ هزمتها ، ومرت بى موجات نصرتنى أفى الحق أننا لم نتعارف إلا قبل ثلاث سنين ؟

أنت يا جِنّية الشاطىء رفيقة روحى منذ أزمان وأجيال ، وأنت مُناى من الهوى قبل أن يتنفس صبح الوجود

لا بدّ للإسكندرية من حبيبَيْن ، فلنكن هذين الحبيبين ، ولتفرح بنا الإسكندرية فرح الأليف بالأليف

يا مثال الحسن ومثال اللطف ، ويا ريحانةً مطلولة فى صباح من أصبحة آذار !

يا تلك الروح فى تلك المدينة ، تذكرى ثم تذكرى ، تذكرى « سبعة أبحُر » فى لغة العراق و « سبعة أرادبَ » فى لغة السودان ، وتذكرى الأبيات التى أمليتها عليك من لغة الفرنسيس .

وإلى اللقاء فى شِعاب الوجدان **زكى مبارك**

لكي ننتفع بتجارب غيرنا

٢ ـ المسرح في أوربا

بين حربين

(في انجلترا)

للأستاذ دريني خشبة

رأينا في الكلمة السابقة كيف علل إرفن عوامل الرق والانحطاط في المسرح الأوربي بوجه الإجمال، وعرفنا وجهة نظره في جمهور النظارة؛ وسنرى كيف ربط وجهة نظره تلك بتأخر الدرامة بعد الحرب الكبرى في أوربا عامة وفي انجلترا على وجه الخصوص، ثم ما نشأ عن انحطاط حاسة هذا الجمهور الفنية من قيام المسارح التجارية التي أجهزت على البقية الباقية من السمو المسرحي الذي ورثته أوربا عن جهابذة كتاب الدرامة وشعرائها قبل تحول هذه القارة من الزراعة إلى الصناعة، ثم ما صنعته الحرب الكبرى من التحلل في أعصاب الأوربيين وما أفسدت به أرواحهم من انتشار الخلاعات في معظم شعوبهم ولا سيما في شعوب البحر الأبيض المتوسط أو الشعوب اللاتينية على وجه التخصيص

لم تعد تروج المأساة في مسارح هذه الشعوب المحتاجة إلى ما يرفه عنها... لقد فقدت انجلترا قرابة المليون من زهرة شبابها المثقف اليانع، وقل الرجال في فرنسا التي فقدت في تلك الحرب المشئومة أكثر من مليونين، وكان لقلتهم أوخم العواقب الاجتماعية والأخلاقية، فقد فشت الخلاعة، وانتشرت الرشوة، ونفقت السوق السوداء، وخربت الأمم، واختلت معايير الفضيلة، وأصبحت الخيانة الوطنية أبسط الجرائم التي تقترف دون مبالاة. أما في إيطاليا فقد خنقت الحريات باسم الإصلاح الفاسستي، ذلك الإصلاح المادي الذي ملأ روح الأمة بالخيلاء والزهو الكاذب وأفسد فيها مثُل غاريبلدي العليا.. وفي أسبانيا حدثت القلاقل التقليدية في تاريخها المفعم بالأعاجيب، فطاح عرش ألفونسو، وشبت الحرب بين الاشتراكيتين اللتين تصطرعان الآن في روسيا وألمانيا، وانصرف الجمهور عن المسرح بعد إذ كان يشارك الجمهور الإيطالي في الذهاب إليه (بالجملة) حيث كانت العائلات تقصد بكامل هيئاتها لشهود الروايات التمثيلية حاملة معها عشاءها أو غداءها فلا تجد بأساً من تناوله أثناء التمثيل. أما في روسيا وألمانيا فقد عرفنا رأي الاشتراكية في الفنون والآداب والأخلاق والأديان في الكلمة السالفة، وعرفنا كيف خضع المسرح فيهما لخدمة الدعاوة السياسية مما حاد به عن الجادة

فمن غير المعقول أن يرى في التأليف المسرحي في شعوب هذه حال الكثرة الساحقة من أفرادها، وإذا قدر لنوع من التأليف أن يروج فيها فلا بد أن يكون النوع الذي ينحط إلى مغازلة هذه الأذواق المريضة والأعصاب المنهوكة والأرواح المتعبة؛ ومؤلف الدرامة مضطر إلى أن ينصاع للخطة التي تمليها عليه الظروف المسرحية والتي ترسمها وتتحكم فيها نقود ذلك الجمهور، تلك النقود التي أتلفت الدرامة الفنية وخلقت المسارح التجارية في طول أوربا وعرضها ولا سيما في فرنسا وفي انجلترا. إننا نردد في مصر دائماً أن واجب رجل المسرح سواء أكان مؤلفاً أو مخرجاً أو ممثلاً هو أن يرتفع دائماً بالجمهور لا أن ينحط إلى مستوى الجمهور، ثم ننسى أن ذلك الارتفاع بالجمهور الذي ننادي به هو عمل شاق يتعرض دائماً لظروف تجعل المهمة تنتهي دائماً إلى الفشل الذريع، لأننا نتعامى عن عيوب جمهورنا الذي كان ينبغي إصلاحه وتهيئته لشهود الروائع المسرحية. إن جمهورنا بثقافته التي لا نجهلها غير مستعد لشهود الدرامة الهادئة التحليلية ذات القضايا التي تنتهي إلى نتائج ترضي العقل ولا تستفز القلب، وتقنع التفكير ولا تحرك العاطفة. ولقد حاولت الفرقة القومية المنحلة القيام بهذا العمل الجليل، فماذا كانت النتيجة؟ ... إنها لم تجد جمهوراً... لأنها نسيت طبائع هذا الجمهور فلم تعالجها العلاج المعقول ولم تزخرف له من المغريات ما تجذبه بواسطته إليها... ولو أننا الآن بسبيل الكلام عن المسرح المصري لخضنا في الحديث عن الفرقة القومية التي أدى إلى حلها، كما أدى إلى إلغاء معهد التمثيل، تفكير أميٌّ مرتجل يدل على قصر النظر إن لم يدل على العمى المطلق الذي يصيب سياستنا الإنشائية دائماً... ولما كان لهذا الحديث حينه إن شاء الله فنحن نرجئه لوقته...

تحكم العامل الاقتصادي إذن في خلق المسرح التجاري في أوربا جميعها، وفي انجلترا خاصة، ولكي نعذر مديري

المسارح التجاوية فى الأزلاق بالدرامة وبالمسرح فى هذه الهوة التي لم تكن تليق بأسمى الأعمال الفنية الثقافية . نذكر أن متوسط نفقات المسرح العادى فى انجلترا فى الأسبوع الواحد هو أربعمائة جنيه ، ويقفز هذا المبلغ في مسارح الوست إند West End الإنجليزية إلى ١٢٠٠ جنيه أو ١٣٠٠ جنيه فى الأسبوع ، إذ يقدر إيجار المسرح بما يتراوح بين ٢٥٠ و ٦٠٠ جنيه فى الأسبوع الواحد ، ومتوسط إيجار أحد المسارح اللندنية اليوم هو ٤٠٠ جنيه فى الأسبوع ، وبإضافة أجور الممثلين والإداريين ومصممى المناظر ومهندسى الإضاءة والخدم والمستخدمين الآخرين ورجال الأركسترا وأجور الإعلان والنور والتدفئة الصناعية وثمن الدرامة وضريبة الملاهى (وإن تكن محتسبة على النظارة) يقفز المنصرف على المسرح أسبوعياً إلى ما ينيف على الألف جنيه بكثير . وإذا علمنا أن ثمن تذكرة الكرسى الممتاز هو ستون قرشاً (١٢ شلناً) ، وأن ثمن الكرسى العادى هو تسعة قروش عرفنا أن إيراد المسرح متوقف إلى حد بعيد على ثمن الكراسي الممتازة (الألواج والبناوير والكراسى الأمامية) وهى الكراسى التى يدفع ثمنها الأغنياء من الجمهور الذى وصفنا ، فإن لم يعمل مدير المسرح حساباً لذوق هؤلاء الأغنياء انصرفوا عنه بطبيعة الحال وتكون النتيجة المنطقية هى الخراب والإفلاس إذ تسقط الرواية من الوجهة الاقتصادية ، والمدير محتاج - كى يغطى مصروفات الإخراج فقط - إلى أن تباع جميع كراسيه فى حفلات شهرين على الأقل ، لأن فترة الإخراج لا تدر عليه إيراداً ، وهى عادة تكلفه ثلاثة أسابيع ، أى أنها تكلفه حوالى أربعة آلاف أو خمسة آلاف من الجنيهات . ومن أظرف ما يورده إرڤن بهذه المناسبة أن جميع المديرين فى مسارح لندن ، بل فى جميع المسارح الإنجليزية هم رجال مثقفون ثقافة ممتازة ، وهم لهذا يخجلون من أنفسهم كلما بالغوا فى الإسفاف بالدرامة إلى حضيض التهريج والشعبذة ليضمنوا إقبال الطبقة الخاصة من هؤلاء الأغنياء التى تشترى التذاكر ذات الأثمان المرتفعة

« وليس أحب إليهم ، لهذا السبب ، من أن يقدموا للجمهور درامات من عصارة الفكر ولباب الفلسفة لو ضمنوا جمهوراً من الأغنياء الفلاسفة ؛ إذ لو تأخر الزمن بشيكسبير وأقبل بعد الحرب الكبرى وفى يده روايته الخالدة هملت ليعرضها على أحد هؤلاء المديرين لألقوه جيماً من نوافذ مسارحهم ، إن لم يلقوه فى شىء آخر داخل هذه المسارح (!!) وذلك لأن فى رواية هملت ثلاثين بطلاً يقتل معظمهم ، ثم منظر هذا الشبح المفزع كفيل بتمزيق أعصاب المترفين من جمهور النظارة ... فما لهم ولهذه المهلكات التمثيلية ، وما جاءوا إلا ليلهوا هذا اللهو الخفيف الظريف الذى لا يسيل دموعاً ولا ينكأ فى القلوب أوجاعاً !! ولا شك فى أن شكسبير كان يرتد على عقبيه كسير الفؤاد كاسف البال فينطوى إلى الأبد على نفسه ، وتضيع عبقريته التى تألقت فى عصر إليزابث هباء منثوراً »

وقد عولج هذا الخطر فى انجلترا علاجاً جيلاً ، إذ أنشئ فى كل مدينة انجليزية هامة مسرح من المسارح باسم The Repertory Theatre أو المستودع — إن جازت هذه الترجمة السقيمة — أو مسرح الروايات التى سبق تمثيلها . وتمتاز هذه المستودعات بقلة النفقات ، إذ لا يتجاوز مصروفات أحدها المائة من الجنيهات كما تمتاز بتفاهة أجور الممثلين وثبات ما تنفقه على المناظر لأنه لا يتكرر إلا كلما رث وأصبح غير صالح للاستعمال ، ثم هي معفاة تقريباً من مصروفات الإخراج . فمن أشهر تلك المسارح مسرح برمنجهام الذى يدين ببقائه لكرم المستر بارى جاكسون ؛ ثم مسرح منشستر The Gaiety Th. الذى كان يدين بوجوده للمنح الكبيرة السخية التى تنفحه بها الآنسة هورنيمان Miss H. تلك الإنجليزية العجيبة التى كانت تنفق من حر مالها على مسارح كثيرة حفظاً لها من الانحلال ؛ فمن تلك المسارح التى كانت تنعم بأعطياتها مسرح دبلن بإيرلندة The Abbey Th. أما مسرح ليڤربول The Playhouse فكان هو الآخر يعتمد فى مواصلة أعماله على كرم اثنين من أسخياء الإنجليز ... وقد كانت معظم هذه المسارح تستمد قوتها من مسرح الكورت The Court بلندن الذى كان يأذن لها جيماً فى تمثيل رواياته بل كان يمدها ببعض ممثليه ... على أن مسارح المستودعات كثيراً ما كانت تحيد عن تقاليدها فتخرج روايات جديدة للمؤلفين المبتدئين . ومن هنا كانت فائدتها الجزيلة فى إظهار عبقريات انجليزية لم تكن لتبرز إلى الوجود لولا هذه المسارح . وحسبك أن تعلم أن برمنجهام كان الحقل الأول الذى نما فيه جون درنكووتر حيث أخرج له روايته المعروفة (أبراهام لنكولن) ، كما نما فيه أيضاً شاعر الأوبرا المشهور (رتلاند باوتن) ؛ وأن مسرح دبلن كان الحقل

الأول الذى ازدهر فيه العاهل الدرامي الكبير جون . م . سينج Synge والمستر لِنكس روبنسن والليدى جريجورى . والذى يهمنا من هؤلاء الثلاثة هو سينج الذى يسمو إلى مرتبة شو فى المسرح الإنجليزى الحديث ؛ ولولا مسرح دبلن لما ظهر فى الوجود . وفى مسرح منشستر : ال Gaiety ظهرت عبقرية ستانلى هاوتن ، شارلز ماك إفوى Mc Evoy ومستر ألان منكهوس . وفى ليفربول تألق نجم المستر رونالد جينس الناقد المسرحى اللامع ... أما فى مسرح الكورت بلندن فقد وثب إلى قمة المجد مستر شو وجولزورثى وجرانفيل باركر وچون هانكن ...

وكما كانت هذه المسارح وسيلة لإظهار هذه الطائفة الضخمة من كبار المؤلفين فكذلك كانت سبباً لظهور أكابر الممثلين الإنجليز . وقد كان مسرح ليفربول أعظم مدرسة إنجليزية لتخريج أحسن ممثلى الطراز الأول كما بدأ نبوغ الممثلة الذائعة الصيت سيبيل ثورنديك فى مسرح منشستر وهى التى أصبحت درة مسارح الوست إند فيما بعد ... وكذلك أخرجت تلك المسارح طائفة عظيمة من كبار المخرجين وعلى رأسهم المستر باسل دين Basil Dean ؛ كما أخرجت الكثيرين من مصورى المناظر وفى مقدمتهم المستر چورج هارِس Harris

أما ما كان يعاب على مسارح المستودعات هذه فجملة أمور أهمها ضآلة أجور الممثلين وضآلة المكافآت التى كانت تمنحها للمؤلفين الناشئين — وكثيراً ما كانت المس هورنيمان وغيرها من أسخياء الإنجليز هم الذين يشترون الروايات الجديدة ويمنحونها للمسارح على سبيل الهدايا ومن باب التشجيع ، — وكانت هذه المسارح كلها متقاطعة فيما بينها ، فلا يتصل أحدها بالآخر ، ولا تقوم فرقها بزيارات إقليمية ، وكانت عنايتها بالروايات الجديدة تافهة كما قدمنا . ولعل هذا كان سبباً فى تخليد تلك الثروة العتيدة الضخمة من الروائع المسرحية القديمة التى لولا مسارح المستودعات لاختفت إلى الأبد أو لأصبحت محبوسة فى بطون الكتب لمن شاء أن يقرأها لا لمن يحاول أن يمثلها أو يشهدها على خشبة المسرح قطعة فنية حية تتحرك بأشخاصها ومناظرها وعنصرها وموضوعها . على أن أكبر عيوب تلك المسارح هو الملل الذى يتسرب إلى نفوس النظارة من كثرة ما يشهدون ممثليها ، إذ يتفق للمتفرج أن يشهد الممثل ثلاثين أو أربعين مرة (هذا فى انجلترا !) فى السنة الواحدة ، وفى ذلك من الأملال لنفس المتفرج ما فيه ، والتفرج — بل كل نفس بشرية — محتاجة إلى التشويق بالأشخاص الجدد حاجتها إلى الهواء الجديد والمناظر الجديدة والموضوعات الجديدة . ولعل هذا الركود فى وحدة أشخاص الممثلين هو الذى أوشك أن يقضى على تلك المسارح بانصراف الجمهور عنها — ولعل هذا أيضاً هو أحد العوامل التى هونت على الجمهور المصرى شأن المسرح وسببت انصرافه عنه .

وهم يقترحون لاستدراك هذا الخطر — فى انجلترا طبعاً — تسهيل تزاور هذه الفرق ليعرض كل منها رواياته فى مسارح البلدان الأخرى ، على ألا تتحمل الفرق مصروفات الانتقال أو أجور المسارح التى تزورها ما دام التزاور سيكون على قاعدة التبادل المنفعى ... ومن عيوب مسارح المستودعات أيضاً سرعة تغيير البرنامج الذى يقتضيه الفرار من إملال الجمهور المتشوق إلى رؤية الجديد دائماً ... وسرعة تغيير البرنامج تؤدى إلى أخطار كثيرة منها عدم عناية الممثل بدوره لكثرة إرهاقه بالعمل . وكان المسرح الألمانى يتخلص من نتيجة ذلك بتمثيل الرواية الواحدة فى أكثر مسارح ال Prepertory فى وقت واحد ولمدة طويلة معينة ربما امتدت إلى أكثر من خمسة عشر أسبوعاً ، وبذلك يضمن ربحاً معقولاً للمؤلف الذى تخصص له حصة معلومة من جميع المسارح ، كما يضمن الراحة لجميع أفراد الممثلين الذين يتمكنون بذلك من أداء أدوارهم على خير وجه مضمون . على أن الألمانيين ، قبل الحرب الكبرى ، كانوا يعرفون للمسرح قدره ، وقد ضاقوا ببطء الأساليب المسرحية الإنجليزية فأنشأوا مسارحهم الخاصة على منوال جديد وذلك بتشييد المسارح الشعبية الحرة .Free Peopl's Th التى كانت بلديات المدن الكبرى تمدها بإعانات على جانب كبير من السخاء كما كانت هى تتألف عن طريق الاشتراك من آلاف الأعضاء الذين كانوا يمنحون امتيازات عظيمة لشهود الروايات ، وكان أجر الدخول لا يتجاوز الخمسة قروش قط ، كما كانوا ، مقابل جنيه واحد فى السنة ، يحصلون ، يحصلون على مجلة مسرحية ثقافية ويملكون الحق فى شهود عدة محاضرات ثقافية تلق

على هامش النقد

الأدب «المهموس»
والأدب الصادق
للأستاذ سيد قطب

أرجو أن تكون هذه الكلمة هي الكلمة الأخيرة عن «الأدب المهموس» . وبرنامجها يتناول ثلاثة أغراض :

فأما الغرض الأول : فهو أن الأدب المصرى لم يخل من صور من ذلك اللون المحبب إلى الأستاذ «مندور» ، وهى صور منوعة وأكثر سلامة من النماذج التى استهوته هناك . ولكن عجلته فيما يصدر من الأحكام ، وعدم انفساح الوقت أمامه ليدرس قبل أن يحكم ، وتشيعه الواضح المفهوم لشعراء المهجر ... هذه الأسباب جميعها جعلته ينادى بأن الشعر المصرى متخلف قروناً عن شعر المهجر ، وأنه شعر خطابى لا يستهويه

وأما الغرض الثانى : فهو أن هذا اللون من الأدب ، ليس هو اللون الوحيد الذى يستحق الإعجاب ، وقد لا يكون أفضل الألوان ؛ فالتشيع له إلى أقصى الحدود ، وإنكار ما عداه من ألوان الأدب الأخرى ، مسألة «مزاج» خاص ، له دوافعه الخاصة ، وليس حكما أدبياً يركن إليه النقد الفنى

وأما الغرض الثالث : فهو الحديث عن «النماذج البشرية» الحبيبة إلى الأستاذ مندور وعلاقتها فى «مزاجه» بحكاية «الأدب المهموس» من بعض النواحى . وهو ما أرجو أن ينفسح له المجال فى هذا المقال

* * *

ليس من الضرورى أن يستتبع الهمسُ الأسى ، وليس من الضرورى أن يكون الأسى متهالكا ليكون حبيباً إلى النفوس . ولكننا — مع هذا — نعرض للأستاذ مندور صورة من صور الشعر الهامس فيها الأسى وإن لم يكن فيها التهالك ، لشاعر مصرى كبير تحت عنوان «السلو» .

أذن الشفاء . فما له لم يحمد ؟ ودنا الرجاء وما الرجاء بمسعدى
أعدوت أم شارفت غاية مقصدى ؟

برد الغليل اليوم وانطفأ الجوى وسلا الفؤاد فلا لقاء ولا نوى
وتبـــدد الشملان أى تبدد

قذفت بنا الأيام فى غمراتهـا ورمت بنا فى التيه من فلواتها
فردين لم يتلاقيـــا فى موعد

لا أنت أكرم من أحب ولا أنا سلواك دون الناس فى هذى الدنى
تفدين حبى بالحيـــاة وأفتدى

ما كنت أحسب أن أبيت عشية أبدَ الزمان ولا أراك نجية
تحت الظلام ولا أضيق بمرقدى

يأتي الأصيل ولا تراقب وعده ويلى الظلام ولا نحاذر مهده
وإذا انقضى يوم فليس : إلى غد

وإذا رأيتك فى الطريق فعابر يجتاز عابرة ، وطرف ناظر
يرنو لناظرة تروح وتغتـــدى !

عجباً لغابرنا وحاضر أمرنا ! أكذا تمرّ بنسا معالم عمرنا
وتزول حتى لا دليـل لمهتـد ؟

هذى الشفاه فهل على بسماتها أثر يشف اليوم عن قبلاتها
فى ذلك الماضى الذى لم يبعد ؟

هذى العيون فأين من نظراتها لمسات رحمتها ووحى هناتها
لم يبق من خبر ولا من مشهد !

عليهم بانتظام ، هذا إلى حضور أربعين حفلة تمثيلية بالمجان موزعة على الفصل التمثيلى السنوى . والعجيب فى ألمانيا أن برلين نفسها كانت متخلفة فى الحركة التمثيلية وراء جميع المدن الألمانية الكبرى فلم تكن تفرض هذا الذوق ال Metropolitan أو العاصمى الذى تفرضه العواصم الأخرى على المدن الأقل شأناً فى المملكة ؛ فكان لمدينة كولونيا مسرحها الشعبى العتيد الذى كانت بلديتها تمنحه سنوياً مبلغ خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات ؛ وكذلك كان لمدينة ثورن ، وهى من أصغر المدن الألمانية ، مسرحها الشعبى الذى كانت تمنحه بلديتها مبلغ ألف جنيه سنوياً . وقد مثل مسرح كولونيا رواية المعركة لجوالذورثى الإنجليزى فربح منها أضعاف ما ربح فى انجلترا .

دريني خشبة

ذكرى تودد فى الحياة سقيمة وتعيش فى كنف الهوان يتيمة
وتمر ذاهبة كأن لم توجد

ترى يستطيع الأستاذ مندور أن يحس بهذه القطعة وما يغشى جوها كله من أسى شفيف وهمس عميق ؟ ثم تراه حين تقلب الصفحة الأخرى على صورة هامسة ذات لون آخر ، يستطيع كذلك أن يحس بالصفحتين المتقابلتين ؟

إذن فليسمع هذه المقطوعة الأخرى لنفس الشاعر الكبير ! تحت عنوان « الكون جميل »

صفحة الجو على الزر قاء كالخد الصقيل
لمعة الشمس كمين لمت نحو خليل
رجفة الزهر كجسم هزه الشوق الدخيل
حيث يمت مروج وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشىء إنما الكون جميل

ونلمح هنا « ألفة » عميقة بين الشاعر وبين الطبيعة ، هى ألفة الحبيب العاشق المتفتح الحس والنفس ، النهوم القلب والجوارح ؛ ونكاد نلمحه متسع الحدق مفغور الفم ، متوفز الإحساس ، وهو ينشق بل يلتهم ما فى الطبيعة الحبيبة من روح وجمال

قل ولا تحفل بشىء إنما الكون جميل

قلها وأنت تستنشق ملء رئتيك ما فيه من روح وحلاوة ، ثم تستريح بنفس طويل ! . قلها فإنها لحظة تجلٍّ لروح ذلك الكون الجميل

وقصة ثالثة ذات لون ثالث ، لا هو بالأسى الشفيف ، ولا هو بالحس النهوم ؛ ولكنها اللهفة الآسفة ، والحيرة الخاطفة فى « الحلم الضائع » لشاعر من شعراء الشباب المصريين :

أين حلمى وغرامى ونشيدى ؟ أين آمالىَ فى الأفق المديد ؟
أين دنيـــاى التى جسَّمتها فى خيالى ، فتوارت من بعيد !

ومضة كالبرق مرت فى حياتى أيقظت قلبى وحثت أمنياتى
وكما يخبو شــعاع بارق لم أجد حولىَ إلا الظلمات

أين عش كان فى نفسى دفيناً أين أفق كان فى قلبى وضيئا
وحياة عشتها فى خاطرى قبل أن تولد ، نشوان هنيئا ؟

أهو حلم أم ترى كان عيانا عشنا النائم فى دفء هوانا
وسياحات لنـــا فى عالم نحن أبدعناه فى الحلم فكانا ؟

أين يا أحلام واديك الجميل ؟ أين ظل عند واديك ظليل ؟
أين ؟ فالجدب يغشى عالمى وخريف العمر والصمت الثقيل

أين أين ؟ كل ما قد كان فات لم تعد فى النفس إلا الذكريات
وحنين فى الحنايا موغل وظلام غارق فى الظلمات

ولدى من هذه الصور عشرات ، ولكن الفراغ محدود ، فبحسبى هذه الصور الثلاث من الشعر المصرى المتخلف قروناً ، لأنه ليس من عمل شعراء المهجر لسوء الحظ !

* * *

وبعد . فليس هذا اللون من الشعر — على تمدد صوره — باللون الوحيد الذى يعجب الناقد الفنى ذا الآفاق الوسيمة ، والنفس الرحيبة . وقد لا يكون أفضل الألوان حين يكون المقياس هو صدق التعبير عن الحياة ، لا إرضاء الأمزجة الخاصة المتأثرة بماض خاص

ومن الذى يقول : إن الهمس والوسوسة فى الطبيعة أصدق من الجأر والجهر ؟ إن بغام الظباء ليس آصل فى الحياة من زئير الآساد ؛ وإن خرير الجدول ليس أعمق فى النفس من هدير الشلالات ؛ وإن وسوسة النسيم ليست أوقع فى الحس من زمجرة العاصفة

والموسيقى ؛ ما شأنها فى هذا المجال ، (وهو خاطر جال فى نفس الموسيقى المصرى المبدع الأستاذ الشجاعى بهذه المناسبة) أنقضى مثلاً على موسيقى « واجنر » وكثير من سيمفونيات بتهوفن وسواه فى سبيل الهمس الذى تلجأ إليه الطبيعة مرة ، كلما لجأت إلى مختلف النغمات والطبقات مرات !

كل مقاييس الفنون تنكر أن يكون الهمس أجمل أو أصدق أو أعمق . وإن هو إلا « حالة » من حالات ، بل حالة لا تلجأ إليها الطبيعة والحياة إلا فى فترات الراحة من عناء الضجيج ! وليست الحياة كلها راحة إلا أن تكون حياة مزاج خاص يرى الدنيا من زاوية واحدة صغيرة !

ألا وإن الدنيا لحفية بالهامسين والجاهرين وإنهم لأبناؤها المخلصون فى جميع نغماتهم وطبقاتهم ما داموا صادقين . وإن هذه

الشعر الخطابي

للدكتور محمد مندور

يريد الأستاذ السيد قطب أن يجعل مما سميته الهمس في الشعر نوعاً من الأدب يتميز بالإحساس الذي يغذيه فهو شعر الحنين أو « الحنية » كما يقول ، وهو يحذر القراء من آرائي لخضوعها لطبع خاص أقرب إلى المرض منه إلى الصحة ، ولكنني بحمد الله لست مريضاً ، ولا أذكر أنني مرضت يوماً ما ، وأنا على العكس سليم الجسم صلب البناء متمتع بكل قواي الجسمية والعقلية ، وشخصي بعد ليس موضع الحديث ، والهمس في الشعر ليس « الحنية » ، ولا هو خاص بنوع من الإحساس ، وإنما هو مذهب في الفن ، مذهب عام لا يتقيد بمادة

أما تحذير القراء من آرائي فهذا ما أدعو إليه أنا أيضاً لأنني أمقت مبدأ « السلطة » principe d'authorité ، وأعرف ما أصاب الإنسانية من أضراره المميتة خلال القرون الوسطى يوم كان الناس يؤمنون بآراء أرسطو لأنها صادرة عن المعلم الأول ، لا لما تقوم عليه من بينات . ونحن في الشرق أحوج ما نكون إلى تحطيم هذا المبدأ الذي يشل عقول الناس فتستسلم لآراء هذا أو ذاك ، والأمر في المسائل الفنية أشد خطورة ، وذلك لأن الأذواق الفنية لم تتكون بعد لسبب واضح هو جهلنا بالآداب الأجنبية أو معرفتنا بها معرفة أضر من الجهل بها ، وليس من سبيل إطلاقاً إلى الادعاء بأن أدبنا العربي يكفي لتكوين ذوق أدبي صحيح

وإذن فأنا لا أريد أن أملي ذوق على أحد ؛ وذلك لأن الذوق وإن يكن من أعمق ملكاتنا البشرية في إدراك مواضع الجمال والقبح ، إلا أنه لا يمكن أن يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة التي لدى الغير ، إلا إذا علل بأسباب عقلية وفنية ونفسية تستطيع أن توحي بمثل ما نحس به ، وإلا أصبح ما نقول ادعاء كاذباً إن لم يكن نصباً .

ولقد حاولت تمييز « الشعر المهموس » بمعارضته « بالشعر الخطابي » ، ولكنني فيما يظهر لا أزال محتاجاً إلى مزيد من الإيضاح . وها أنا اليوم أتناول قصيدة للأستاذ محمود حسن إسماعيل ، وجدتها مصادفة في عدد ٧ يونية سنة ١٩٤٣ من « الرسالة » بعنوان « حصاد القمر »

النغمات والطبقات لكثيرة منوعة تنوعَ النفوس ، بل تنوعَ الحالات النفسية في الإنسان الواحد . وإننا لنعجب بالمتنبي مثلاً حين يجهر بأعلى صوته :

أفكر في معاقرة المنايا ... وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيم للقنا الخطي عزمي ... بسفك دم الحواضر والبوادي
إلى كم ذا التخلف والتواني ... وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ... ببيع الشعر في سوق الكساد

كما نعجب به حين يهمس في حنين :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

أو حين يهمس في ألم مرير :

وحيد من الخلان في كل بلدة ... إذا أعوز المطلوب قل المساعد

فهو هو المتنبي في جهره وهمسه ، ذو الطابع الواضح ، والصدق الأصيل

وبهذه الرحابة يجب أن ننظر إلى أنماط الفنون ، وأنماط النفوس في هذه الحياة التي تتسع للجميع ، وتحفل بالجميع ، ولا تتطلب منهم إلا التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، وليكن في هذه الحدود الرحيبة ما يكون

***

فأما النماذج البشرية ، التي يهفو إليها الأستاذ « مندور » وبعض زملائه في هذه الأيام ، فيمهلني القراء أسبوعاً آخر لإدارة الحديث عليها ، بعد أن استغرق المقال كل المجال !

(حلوان) سيد قطب

ملاحظة : كنت ق . ذكرت — نقلا عن الأستاذ مندور — أن قصيدة « ترنيمة سرير وقصيدة « يا نفس » لشاعر واحد هو « نسيب عريضة » وقلت : إن بينهما فارقاً بعيداً فالأولى شعر يستحق الحب والإعجاب ، والثانية لا تبلغ أن تكون شعرا

وفي عدد الثقافة رقم ٢٣٠ كتب حضرة الفاضل « عزمي يوسف » يصحح ما ذكره الأستاذ مندور من نسبة « ترنيمة سرير » إلى نسيب عريضة ويقرر أنها للشاعر « إلياس فرحات » وأنا أرجح هذا ، للفارق البين بين روحي القصيدتين اللتين أشرت إليه في المقال السابق

الأستاذ محمود حسن إسمعيل يذكرني دائماً بالمتنبي ، ففي شعره رنين قوي تجده في بسطة أوزانه وضخامة ألفاظه بل في بعض صوره الشعرية المجتلبة على نفس النحو الذي كان المتنبي يصطنعه متلمذاً لأبي تمام . ولكني أبادر فأقرر أن شعر المتنبي غير شعر محمود إسمعيل في معدنه النفسي وفي رؤيته الشعرية

شعر المتنبي كشعر محمود إسمعيل من النوع الخطابي ولكن شاعر الحدانيين كان شاعراً كبيراً . وأما صاحب « هكذا أغني » فشاعر يعيبه أمران خطيران :

١ — أولهما أن المتنبي نفسٌ قوية عاتية متماسكة . عاطفة المتنبي مغلقة مركزة عميقة ولهذا قلما تلوح كاذبة . عاطفة المتنبي نار داخلية لا تراها وإن ألهبت اللفظ أو أوقدت الصورة . وأما إحساس محمود حسن إسمعيل فمفضوح ؛ ويأبى شاعرنا إلا أن يزيده افتضاحاً بقصاصات النثر التي يعلقها فوق قصائده . وفي هذا ابتذال ، للنفس عنه نفرة . عاطفة محمود إسمعيل « مطرطشة » حتى لتلوح « سراباً عاطفياً » pathetic fallacy كما يقول نقاد الإنجليز

٢ — ثانيهما اضطراب الرؤية الشعرية vision poetique عند محمود إسمعيل ، بل إنني لأخشى ألا يكون له حقل شعري على الإطلاق ، وهذا أمر يتضح لمن يراجع صوره في أية قصيدة من قصائده ، فإنه لا بد واجد بينها من التنافر ما يقطع بأنه لا يرى الأشياء رؤية شعرية صحيحة . تراه يجمع بين صور لا يمكن أن تكون وحدة للموصوف ، ولو أنه حرص على الرؤية الشعرية الصادقة لرأيت التجانس الذي يعوزه . وأنا بعد أرجح أنه يلتمس الصور من ذاكرته لا مما يراه ببصره أو يدركه بحسه

ونحن عند ما لا نجد لدى الشاعر العاطفة المتماسكة والرؤية الشعرية لا نستطيع أن نحكم بتفوق فنه ؛ وذلك لأن الرنين الخطابي مهما بلغت قوته لا يمكن أن يسمو بالشعر . فلغيري إذن أن يعجب بقوة أسر محمود اسماعيل واستحصاد لفظه وغرابة صوره . وأما أنا فما دمت لا أستطيع أن أدرك ببصري حقيقة ما يصف ولا أن أسكن إلى نوع إحساسه ، فإنني لا أتردد في رفض شعره وتفضيل (نعيمه) أو (عريضة) عليه وذلك لصدق شعراء المهجر في فنهم

وأنا بعد مؤمن بأن محمود اسماعيل يستطيع أن يصبح شاعراً كبيراً جداً وذلك لأنه يملك هبتين لا شك فيهما

١ — أولاهما روح الشعر . روح غفل ولكنها قوة من قوى الطبيعة . قوة تحتاج إلى التثقيف الصحيح . ولو جاز لي أن آمل من هذا الشاعر الإصغاء إلى موضعي النقص الكبير اللذين أشرت إليهما فيما سبق لرجوت أن نجد فيه شاعراً يعتز به عصرنا

٢ — وثانيهما قدرته على الانفعال ، وفي هذا ما يلهب الحس فيدرك المرء بقلبه ما لن تدركه العقول . وما يحتاج إليه محمود اسماعيل لاستغلال قدرته إنما هو نوع من النظام يركز به إحساسه ويرد ما فيه من فضول

ثم إنني أريد أن يطمئن الأستاذ قطب إلى أن أحكامي على أدباء المهجر ليست سريعة ولا هي عن جهل ، فقد قرأت الكثير مما كتب وإن لم أتحدث عنه ؛ وأمر اشتغالي بالدكتوراه حدث عارض لم يستوعب قط كل وقتي ، وأنا لا أزال عند رأيي في أدب الحكيم ومحمود طه وغيرهما مع تحفظ واحد هو أنني اقتصرت في مقالاتي على كتب بعينها ليكون النقد موضعياً ومن ثم منتجاً . ولقد قرأت لكل كاتب معظم كتبه الأخرى فوجدت الخصائص التي ذكرتها واضحة وإن تكن ثمة اتجاهات أخرى تحتاج إلى علاج خاص كتصوير الحكيم لبعض الشخصيات تصويراً ناجحاً في « عودة الروح » وكاستخدامه للهيومر في « أهل الفن » ، ولكن أدبه كما قلت في جملته أدب فكرة ، أدب رمزي allegorique

وكذلك الأمر في حديثي اليوم عن محمود اسماعيل هذا الحديث الذي لا أبغي من ورائه لجاجة وإنما أبغي الخير ، خير الشاعر وخير أدبنا الجديد . فأحكامي عنه تستند إلى قراءة شبه شاملة لما كتب ، وإن كنت سأكتفي اليوم بنقد قصيدة واحدة من قصائده حرصاً على الدقة

القصيدة كما يقول الشاعر في بطاقته وحي سياحة قمرية في ليلة من ليالي الحصاد ... » وها هو شاعرنا يبدأ بوصف الحقل : « سيان في جفنه الأغفاء والسهر » وإذن فنحن في حالة

هيام شترى تستوى فيه اليقظة والنوم . نحن إن أردت فى حلم يقظة « نعسان يحلم والأضواء ساهدة » وهذا لا ريب جو الإلهام الشعرى ، ولكنه جو قد قيد الشاعر ؛ ونحن لا يعنينا منه صدقه أو تصنعه ، فالشاعر يدعونا إلى هذا الجو وقد أعاننا على أن نحيط أنفسنا به لنخلق فيها جواً مشابهاً وننظر مع الشاعر فاذا نرى : نرى أن السنابل قد نامت واستيقظ القمر فإذا بنا أمام مقابلة مصنوعة ، لأننا لا نرى نوم السنابل بوضوح ولا يقظة القمر . القمر الذى ينشر الأحلام . وهذا يسلمنا إلى ملاحظة عامة خطيرة على شعر محمود اسماعيل وهى مصدر ما فيه من تنافر وأعنى بها « تشخيصه » للأشياء ؛ والتشخيص لا ريب من وسائل الفن القوية ، ولكنه لا يمكن أن يكون مجرد عبث أو مهارة ، بل من الواجب أن تمليه الأشياء إملاء يقربه الفن وقد مسه بجناحه فإذا به كالحقائق . والفن إلى حد بعيد إيهام ، إيهام بالخلق ، خلق واقع شعرى ، فهل نجح الشاعر فى ذلك ؟

إننى أنظر فأرى « قلب النسيم ولهان ينفطر للأضواء » وأرى « السناقد مال جاثياً » وأرى « نخلة قد أطرقت بتلعة » وأرى ظل النخلة كأنه «مضطهد» ، ثم أرى « الدوح نشواناً » ومع ذلك يدعونا الشاعر إلى أن نخشع إن مررنا بالدوح النشوان . ما هذا التنافر ؟ « لماذا ينفطر قلب النسيم ولهاً بالأضواء » ، أهذا تجسيم لإحساس الشاعر ؟ أهو تصوير لرقة النسيم تصويراً مجتلباً ؟ و « لماذا يجثو السنا » وهو يحنو على الشاعر وينساب إليه من السماء ؟ ثم إن الجو كله جو أحلام هادئة فيها لا ريب حزن خفيف melancholie ومع ذلك فجأة نرى الدوح نشواناً . وكل هذا تخبط فى الرواية الشعرية أو انعدام لها . ومن عجب أن تجد وسط هذا التنافر الكاذب البيت الرائع بتصويره :

إن هب نسم بها خيلت ذوائبها   أناملاً مرعشات هزها الكبر

وأن يجاور هذا التصوير الجميل تشبيهه لظل النخلة « بمضطهد » وأغصان الدوح بأشباح قافلة غاب عنها الرفيقان « الركب والسفر » وقد نزل على الدوح ضيفان « الليل والقدر » ليتم الازدواج الكاذب : الليل والقدر والركب والسفر . أما الليل فنستطيع أن نفهمه ، ولكن ما شأن القدر هنا ، وما الرأى فى « غياب السفر » كناية عن ثبات الدوح وعدم تحركه . قد يكون فى غياب الركب ما يشعر بالوحشة ولكننى فى الحق لا أدرك العبارة عن السكون بغياب السفر . والأغصان « مبهورة ذاهلة » ولكنها مع ذلك قد تكون « منتعشة بشجو الرياح » وما أريد أن أدركه هو وضع تلك الأغصان . كيف كانت أو كيف رآها الشاعر . « ذاهلة أم منتعشة » أننى لا أطيق ما يلقيه الشاعر فى نفسى من عجز عن إدراك ما رأى

ثم إن القمر « هيمان يحمل وجد الليل أضلعه » وقديماً قاتل النقاد أبا تمام لقوله « ماء الملام » وثار به الآمدى إذ وصف حمرة الخدين بـ « ملطومة الخدين بالورد » فماذا يقول المسكين الآمدى لو سمع محمود اسماعيل يتحدث عن « أضلع القمر »

وأنا لا أريد أن أطيل فقد أبنت بالأمثلة السابقة عما أريد من « الرواية الشعرية » ؛ وأما «طرطشة» العاطفة فليست واضحة فى هذه القصيدة الوصفية وضوحها فى قصائده العاطفية وهى كثيرة بديوانه « هكذا أغنى » ومع ذلك نجد فى هذه القصيدة أيضاً كثيراً من « التأوه » و « الآهات » و « الكبد » و « كبدى » و « يا كبدا » وما إليها

أنظر مثلاً إلى قوله يخاطب القمر :

« قلب كقلبك مجروح » . وقوله لنفس المخاطب : « إن العذاب الذى أضناك فى كبدى » ثم حدثنى عما تستطيع أن ترى من جروح فى قلب القمر الهادئ البارد الحالم الحزين حزناً رفيقاً لا يعرف الدماء . ثم ما هذا الضنا الآخذ بكبد الشاعر وكيف يوحى به القمر ؟ أليس هذا إسرافاً معيباً ووضعاً للاحساس فى غير موضعه ؟

« الله أكبر ! يا ابن النيل ... يا كبدا » . أو ما تحس بنفرة نفسية من « يا كبدا » هذه . وكيف تخاطب القمر « بيا كبدا »

وبعد فأنا لا أدرى كيف يجوز لنا أن نضع هذا الفن الذى نرده اليوم فى مستوى فن شعراء المهجر المرهف القوى المباشر . كيف نقارن هذا الضجيج بهمسهم الفنى ؟ وأما عن النثر فما أظن

تشـــــارلز دكنز

مواهبه وخصائص فنه

للأستاذ محمود عزت عرفة

حلم ... يتحقق

كان جمال الطبيعة وفتنة المناظر فى الطريق بين بلدتى شاتهام وجريفسيند مما يملك لب الصغير « تشارلى » ويستثير عنده أدق الأحاسيس بالجمال . وكان أحب شىء عنده أن يقف ويستوقف أباه لدن هذا الصرح المرد القائم على قمة الربوة ... صرح جادز هيل ؛ حيث كان يربض فيما مضى قاطع الطريق فالستاف مع رجال عصابته ليسلب المسافرين والمنقطعين ؛ وحيث تنبسط اليوم على مدى البصر السهولُ الآمنة الخضر والمروج الآواهل الفيح .

قال الوالد الفقير المثقل بأعباء الحياة لطفله ذات يوم ، وهو يحاول أن يبعث فى قلبه الصغير بصيصاً من الأمل :

أترى هذا القصر الأنيق يا تشارلى ؟ إنك لتستطيع أن تكون مالكه يوماً ما ، إذا أنت أخذت نفسك منذ اليوم بالجد والدأب ، وسلكت فى حياتك مسلكا ناجحاً شريفاً حتى تنال ما ينبغى لك من الجاه والثراء جميعاً ...

وما من شك فى أن الأب كان يرتاب فى إمكان تحقيق هذا الأمل الذى داعب به مشاعر غلامه ؛ ولكن مشيئة القدر، وانطواء الزمن تلو الزمن كانا كفيلين بتحقيق هذه الأمنية النفيسة ، فى جلتها وفى تفصيلها . فقد جد تشارلز ودأب ، وسلك فى حياته سبيلاً ناجحاً شريفاً ، ونال الجاه والثراء جميعاً ... ثم امتلك قصر جادزهيل بمروجه ومزارعه ، وقضى فى رحابه أجمل أيام حياته . ولكن لم يتم له ذلك إلا فى أعقاب أربعين سنة كاملة تجرع فيها كؤوس الآلام مترعة دهاقا ...

لم يكن تشارلز من مواليد شاتهام وإنما انتقل إليها مع والده وهو فى الرابعة من عمره ؛ وكان مولده فى لاندبورت بجزيرة بورت سى يوم الجمعة السابع من فبراير عام ١٨١٢ م .

وكان والده — وهو كاتب ببعض خزائن الأسطول — رجلاً ممتلىء النفس بالعطف البالغ على أسرته ، وتلمس أسباب السعادة والنعيم لها ، إلى الحد الذى لا يفي به دخله ، أو تتسع له ذات يده ، فأقبل يستدين ويستدين حتى اضطرب ميزان حياته ، وحتى جنى بهذا التصرف على أسرته أكثر مما أفادها ! ولم تُتح بذلك أدنى فرصة لتشارلز يتلقى فيها من العلم ما يشبع بعض نهمه أو يُروى القليل من غلته

وبلغ العاشرة من عمره دون أن ينتظم فى سلك مدرسة أو يتلقى دروساً بالمعنى المفهوم ؛ ولكنه كان قد لقن من الحياة دروساً نافعات ، واستنبط من الإهمال والجهالة اللذين اكتنفاه علماً ولقانة قل أن أتيحا لغيره ؛ وكان أثر هذه السنوات الست التى قضاها فى شاتهام بالغ الوضوح فى تفكيره وإنتاجه الأدبى فيما بعد . ففيها ثقب فكره وتفتحت مداركه ، وفيها اكتسب دقة فى النظر وقوة فى الملاحظة شعَّ سناهما على سائر تآليفه ، وفيها عرف من بأساء الحياة وذاق من مرارة العيش ما أجداه ذوقه ومعرفته كثيراً ، وتقلب فى أحضان الفاقة والضر إلى الحد الذى مكّن له من أن يصف ذلك فى رواياته أبلغ الوصف وأصدقه ؛ حتى لأصبح البؤس مادة لفنه والبائسون أبطالاً لقصصه ، يفصح فى التعبير عن أشجانهم ، ويجلّى فى الإبانة عما دق أو عظم من أحداث حياتهم .

القراء فى حاجة إلى أن أدلهم على أن « رثاء أحد الشبان لأمه » الذى أورده الأستاذ قطب لا يمكن بحال من الأحوال أن يقارن « بأمى » لأمين مشرق . فرثاء الشاب المذكور لا إيقاع فيه ولا نبل فى الإحساس ولا توفيق فى الاختيار للتفاصيل . وكيف تريد من شاب يؤله من موت أمه أنهم لم يعودوا يعرفون « بأسرة » أن يصل فى فن الكتابة إلى مشرق الذى يذكر « فستانها العتيق » و « يديها اللطيفتين » « ووقع قدميها حول سريره » و « غابة السنديان » وما إلى ذلك من فتات الحياة التى يعرف كبار الشعراء — كما قلت — كيف يلتقطونها بأنامل ورعة فيصلون من التأثير فى نفوسنا إلى ما لا تصل إليه « الأبواق والطبول » .

محمد مندور

من شاتهام إلى لندن

انتقل تشارلز وهو فى العاشرة من عمره مع أسرته إلى لندن . وكان الجو من حوله يزداد قتاما ، ومشاكل الأسرة المالية تهدد بقية نعمتها بالزوال ؛ فألحقه قريب له بمخزن لبعض معامل الصباغة لقاء أجر أسبوعى يقل عن ثلاثين قرشاً !

وبدأ تشارلز يتذوق نوعاً من الشقاء لم يألفه من قبل ؛ ولقد كتب مرة يقول وهو يسترجع ذكريات هذه الفترة من حياته : إنى لأعجب كيف كنت مطرحاً منبوذاً بمثل هذه السهولة وفى مثل تلك السن . أعجب كيف أن إنساناً واحداً لم تحركه دواعى الشفقة والرحمة فيرى تدارك ما فات من أمرى بإرسالى إلى أية مدرسة عامة !

... وقبض على والد تشارلز بعد قليل وأُتى به مع زوجه فى معتقل المدينين ؛ فتقوضت بهذا الحادث دعائم الأسرة الصغيرة ، وقطن تشارلز بالكراء فى بيت عجوز لم تكن لتعنى به فى كثير ولا قليل

ولقد رسم لنا تشارلز فيما بعد صورة صادقة لهذه المرأة فى روايته الموسومة بعنوان : دومبى وولده !

كان فى هذه الفترة من حياته يعتمد على نفسه اعتماداً تاماً ، ولا يكاد يحظى بكلمة عطف من مخلوق ، إذا استثنينا هذه الفترات المتباعدة التى كان يُسمح له فيها بلقاء أبويه

وإن من المؤلم حقاً أن نتصور طفلاً فى الحادية عشرة من عمره يعانى وحده أعباء مثل هذه الحياة الشاقة المريرة ؛ ولكن يبدو أن أباه فى معتقله كان يحاول تسوية مشاكله المالية ، ولم يكن النظام فى معتقلات المدينين يحول بينهم وبين محاولة ذلك ... ويبدو أيضاً أن تشارلز كان يتلقى من عطف أبويه ومن معونتهما ما يخفف عنه أعباء المسكن ويعفيه من مؤونة الكسوة . وكان يزورهما فى نهاية كل أسبوع فيقضى بينهما سحابة يوم الأحد سجيناً مختاراً ...

ويصف تشارلز بعد سنين ما ألم به فى هذا الطور من حياته فيقول : لقد أعتمد على نفسى فى تهيئة طعام إفطارى الذى لا يعدو خبزة بلدية بأربعة مليمات وبمثل هذه القيمة لبناً . وكنت أحتفظ بخبزة أخرى مع ثلاث أواق من الجبن فوق رف لى من خزانة خاصة ، ليكون ذلك عشائى عند ما أعود ليلاً . وكان هذا القدر الضرورى من الانفاق يستغرق جانباً كبيراً من شلناتى الستة التى ينبغى أن أعتمد عليها طوال الأسبوع . وأحسب أن أجر المسكن كان يدفعه أبى ، لأنى لم أكن أسأل عنه ألبتة . ولم أكن أتلقى أى مساعدة أخرى كيفما كانت — عدا ملابسى على ما أذكر — من صبيحة الإثنين إلى مساء السبت من كل أسبوع . وما أذكر أنى حظيت من أى مخلوق بأيسر شىء من الترفيه أو الإرشاد أو المعونة ، أما أيام الآحاد فكنت أقضيها إلى جانب أبوىّ فى السجن

ولقد طالما تسكعت فى الطرقات والجوع يقض أحشائى ؛ وأعرف أنه لولا رحمة من الله تداركتنى لكان من أيسر الأمور أن أتحول على يد من يريد ، لصاً متمرداً أو عياراً متشرداً ...

انتقل تشارلز بعد حين إلى مسكن قريب من سجن مارشالسى حيث كان هو أول الداخلين من الباب صبيحة كل يوم ، لينعم بلقاء أبويه ويتناول معهما إفطاره ، وكان فى هذا أكبر العزاء لنفسه المحرومة المستوحشة

حياة جديدة

على أن هذه الحياة المؤلمة انتهت عند حد ، وكأن طبيعة دكنز كانت قد صهرت فى بوتقة الآلام إلى القدر الكافى ، وتهيأت لأن تتجلى فى عنصرها المشرق الوضاء ، فها هو ذا والده يغادر السجن وقد سوى مشاكله المالية . وها هو ذا تشارلز يجد نفسه فى الثانية عشرة من عمره تلميذاً بإحدى المدارس بعد أن كان عاملاً فى مخزن صباغة ! واستمر به الحال على ذلك سنتين

وإنه ليصور لنا ، فيما بعد ، هذه الفترة من حياته تحت عنوان (مدرستنا) ويصف لنا شخصياتها وحوادثها وقد استقر عليها غبار ربع قرن كامل من الزمان

... والآن وقد بلغنا تلك المرحلة من حياة دكنز لا نجدنا بحاجة إلى الإطناب فى تتبع بقية المراحل لسبب واضح : ذلك أن خصائص دكنز الأدبية وعناصر تفكيره ، وكل مقومات حياته الفنية إنما تكونت فى هذه الفترة التى ألممنا بها من سيرته ؛ أما ما تلا ذلك من أحداث فهو أشبه شىء بالحاشية تحت المتن ، أو الإطار حول الصورة . ولكن الإشارة إليه مع ذلك أمر

من الغرب

أغاريد بليتيس (*)

لشاعر الهوى والغزل بيير لويس

« إلى شادية الأغانى ! »

بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى

« بليتيس »

فتاة غيداء فاتنة ، مزملة بالصوف ، وكاعب حسناء ساحرة ، مدبجة بالدمقس والحرير ، وغادة زهراء شائقة ، متشحة بالكروم والأزهار ، وغانية هيفاء رائعة ملتفة بأوراق الأشجار ... أما أنا ، فسافرة المحيا ، عارية الجسد ، خالعة العذار ، حاسرة الإزار ، ممزقة الغُلف ، هاتكة سادل الحجب ، متجردة من الحلىّ والذهب ، ومن نعل يقى قدمى . ها أنذا بليتيس يا حبيبى ! خذنى بين أحضانك ، عارية بلا ثياب تستر غصنى المتدل الفارع ، ولا دثار يغطى قوامى المشوق البارع .

***

حبيبى إن ليل شعرى ناشر ظلال حلكته ، ودجى غدائرى منساب حول قدى ، مسترسل على جسدى كأبهى الرياش ... وثغرى الدقيق ، يقطر الشهد والرحيق ، من بين فمى عقيق ! حبيبى ؟ خذنى بين ذراعيك ، وضمنى إليك ، واهصر عطنى بساعديك ، ثم انهل رحيق ورودى ، واقطف جنى ثمارى ، وارشف خمر أزهارى ...

***

ها أنذا عارية كما جاءت بى أمى فى نزوة من نزوات الهوى الجامح والهيام الدافق . . . فاشد بالأغانى إذا فتنك هيف قوامى ، واصدح بالأمانى إذا سحرك أضحيان جمالى ، وترنم بالألحان والأنغام ، ترنح النشوان بالمدام !

(*) شاعرة خرافية ، إبداع الشاعر الفرنسى بيير لويس . تتغنى بالحب المستعر ، والغزل الملتهب ، والشهوة المتأججة بين بنات حواء .. أسلوب الشاعر مشرق ، وألفاظه سهلة ، ومعانيه واضحة . . . (العجيزى)

محتوم لإتمام هذه الهالة المشرقة التى نريد أن نرسمها لدكنز غير مباهين كى تتسنى لنا رؤيته على وضعه الحقيقى وهو فى عنفوان مجده وقمة شهرته ... فها هو ذا يغادر مدرسته بعد عامين ليعمل فى مكتب أحد المحامين عاماً وبعض العام . ثم تتجه به نزعته الأدبية إلى الصحافة فيعمل مندوباً برلمانياً لبعض الصحف ، وتتفتح أمامه فى هذه الفترة من حياته آفاق جديدة . فهو يدرس فن الاختزال Stenography ليستعين به على أداء مهمته الصحفية ويتعرف إلى بعض الشخصيات البارزة بحكم عمله وطبيعة مهنته ، ولكن أهم ما يستحق التسجيل فى نظرنا هو انصرافه فى ذلك العهد إلى التزود بأنواع العلوم والمعارف المختلفة ، وتردده الطويل على قاعة المطالعة بالمتحف البريطانى . ويبدو أن هنا كانت مدرسته الحقيقية التى اضطلع فيها بمهمة المعلم والتلميذ معاً ...

وفى عام ١٨٣١ — وكان فى التاسعة عشرة من عمره — أصبح مندوباً لصحيفة تروصن True Sun ؛ وبعد سنيات قليلة كان المحرر الدبلوماسى للمورننج كرونكل ... منصب وثب به إلى الأمام وثبات بعيدة !

وكان أول إنتاج دكنز الأدبى مجموعة مقالات نشرها فى (المجلة الشهرية) بتوقيع Boz [1] ثم ضمنها كتاباً فى مجلدين أصدره فى ربيع عام ١٨٣٦م

وقد أعجب الناس من هذه المقالات بروح التهكم اللاذع الذى يسيطر عليها ، وبالفكاهات الرقيقة الحلوة يرسلها دكنز خلال عباراته من غير تصنع ولا كلفة ، ثم بقوة ملاحظته التى تجلو له الحقائق فيبسطها أمام القارىء بسطاً رفيقاً دقيقاً

وكانت هذه خصائص دكنز وسماته الفنية فى سائر ما كتب ، يضاف إليها خبرته الدقيقة الواسعة بحياة الطبقتين الوسطى والفقيرة من أبناء وطنه ، وتسجيله البارع لآلامهم وآمالهم ، وكفاحه الدائم فى سبيل النهوض بهم ورفع أعباء الحياة ومظالم المجتمع عن كواهلهم ، مما صير لأدبه قيمة اجتماعية وأخلاقية كبرى ، قد تساوى قيمته الفنية لدى الكثيرين إن لم تفقها .

(للكلام بقية) محمود عزت عرفة

(١) استوحى دكنز هذا التوقيع من لقب كان ينبز به أخاه صغيراً

« تسابيح الليل »

امتدت ظلال الأشجار القائمة ، وأشباحها القاتمة ، كما يمتد الطود الراسخ . وانتشرت الكواكب متألقة فى مسارى الأفلاك ومسابح الأملاك ؛ ولاطف النسيم الحالم أهداب الجفون الناعسة ، وداعب العبير اللافح ورود الخدود الزاهرة ... بينما الليل ساج ، يوحى الأشعار بسكونه ، ويلهم الأفكار بصمته ، والدجى ساهر يردد ترانيم قيثارى ، ونسيمه الرقراق هائم يداعب غدائرى ، والظلام ناشر على قدى غلالة من السحر والفتون ... فتأخذنى روعة جلاله ، وتهيجنى فتنة جماله . هنالك ... يجود سنا محياى الباهر ، بربيع موفق زاهر ، تتفتق فيه الورود ، وتتفتح الأزهار ، ويفوح النسيم معطراً من شذى نسماتى ، وعبير نفحاتى ؛ وتذيع نسمات الروض همسات شوقى وحنينى ، ويرتل هزار الأيك شكاة تأوهى وأنينى ؛ ثم تسطع النجوم ، وتأتلق الكواكب من سنا عينىّ ، وضياء محياى !

***

واهاً حبيبتى ! أترانيم صوتك العذب الندى ، من شدو خرير المياه المترقرقة ، أم من سكون الطبيعة الصامتة ؟ ! واهاً لصوتك الحلو الرنين ! واهاً لنغمك الشجى الرخيم ! واهاً لغنائك الذى يهز أحاسيس نفسى وحياً وإلهاماً ، ويثير أهازيج قلبى طرباً وإعجاباً ...

« آهات »

علت وجهى حمرة الخجل ، ولم ألب نداء الغزل ، لرشف سلاف القبل ... فارتعشت كزهرة بللتها حبات الندى ، واضطرب قلبى ؛ وخفق لخفقان فؤادى صدرى ونهداى . . . وبعد دلال يثير الوجد ، وإعراض يذيب الكبد ، قلت : أواه . لا . لا ! ... ثم أسندت رأسى إلى الوراء . ولكن لم تغادر قبلة الحب شفتىّ ، ولم تفارق رعدة الهوى ساقىّ !

***

حينئذ ، عانق رأسى مستعطفاً ، طالباً عفوى وصفحي ... فتنسمت شذى أنفاسه ، ونشقت عبير أنسامه ، وتأرج النسيم بنفح زفراته ؛ ثم مضى عنى وارتحل ... !

***

أواه ! ها أنذا وحيدة حزينة ، أبكى ربيع حبى الراحل ، وأندب زهر عمرى الذابل ، بعد أن طوح بى البعد فى بيداء الهجر ، بين تأوهات الحسرات ، وتناوح العبرات !

أواه ! ها أنذا راسفة بين أكداس آلامي وأحزانى ، غارقة فى خضم أسقامى وأشجاني ؛ شاكية لوعة هواى ، باكية هوى صباى ! وقت أنشد حبى الثاوى فى الغاب المهجور ، والربع القفر ؛ ورحت أناجى شبابى الهاوى فى الرياض الموحشة ، والمسالك الواجمة التى كتمت سر غرامنا مذ وطئتها أقدامنا ! فلم أر من الأطياف إلا أشباح الذكريات ، ولم أسمع من الأصوات إلا أصداء التأوهات !

***

أواه ! لقد نفثت كظيم لوعات حيرى حزينة ، وزفرت أليم آهات حرّى كليمة ، تهاوت بين الحشائش متهالكة ، يذيبها الجوى ، وتوارت بين الأعشاب غضبى كسيفة ، يدميها الضنى !

« أمطار »

ترقرق المطر فبلل الكون برذاذه ، ولامس الأرض بقطراته ، ثم جادت السماء بماء منهمر ؛ وطاب لى السير تحت وابله وطله ، متفيئة بوارف الشجر وظله .

***

واهاً للمطر فى الربيع ! ما أرقه وأعذبه ! ما أروع الأغصان الدانية ، وقد كللها الزهر الزاهى ، وتهاوت عليها ظلال النوّار الضاحى ، وماء المطر الصافى ؛ فانتشر منها أريج يفوح بالعطر الزكى ، والعرف الندى ؛ وطاف بالنفس الولهى فأطربها ، وحلق فوق الروح الحيرى فأنعشها . ولاح سنا محياى مشرق الضياء ، ساطع اللألاء !

***

واحسرتاه ! كم من الأزهار النضرة مبعثرة فى الفضاء ؟ كم من الورود العبقة ملقاة فى مدارج الفناء ؟ فرحمة بها يا حبيبتى ورفقاً ! إدخريها للنحل ، كى لا تهب عطرها للريح ، وتذهب أدراجها برياها وجناها ، ملوثة بطين الأرض وأقذارها .

عبد العزيز العميرى

حكم فى الجنحة العسكرية ٧٦ الفشن سنة ٩٤٣ بجلسة ١٩ – ٥ – ٩٤٣ بحبس أحمد على محمد البنان بالفشن ستة شهور شغل وتغريمه ٢٠٠ جنيه والمصادرة وذلك لاختزانه كميات من الشاى الناعم والكبريت مما يزيد عن حاجته العادية لاستهلاكه وحبسها بقصد التأثير فى الأسعار

حكم فى القضية ١٩٠٨ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد حميده أدريس بزفى بحبسها ثلاثة شهور بالشغل والنفاذ والنشر والتعليق وذلك لبيعها دره بسعر أكثر من المحدد



من رسائل الرافعي — دراسة الأدب العربي

عنّ لى أن أعرف رأى الرافعي فى دراسة الأدب ، فكتبت إليه خطاباً فى ذلك كان الجواب عنه هذا الكتاب :

طنطا فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٢

أيها الفاضل

إن أعمالى كثيرة فى هذه الأيام ، ولذا أرانى أبطأت فى الرد على كتابك ، وإنى مجيبك عنه بإيجاز لأن ما سألت عنه يصعب التبسط فيه على وجه واحد

إنك تريد امتلاك (ناصية الأدب) كما تقول ، فينبغي أن تكون لك مواهب وراثية تؤديك إلى هذه الغاية وهى مما لا يعرف إلا بعد أن تشتغل بالتحصيل زمناً ، فإن ظهر عليك أثرها وإلا كنت أديباً كسائر الأدباء الذين يستميضون من الموهبة بقوة الكسب والاجتهاد ، فإذا رغبت فى أقرب الطرق إلى ذلك فاجتهد أن تكون مفكراً منتقداً . وعليك بقراءة كتب المعانى قبل كتب الألفاظ ، وادرس ما تصل إليه يدك من كتب الاجتماع والفلسفة الأدبية فى لغة أوربية أو فيما عرب منها . واصرف همك عن كتب الأدب العربى بادىء ذى بدء إلى كليلة ودمنة والأغانى ورسائل الجاحظ ، وكتاب الحيوان ، والبيان والتبيين له . وتفقه فى البلاغة بكتاب المثل السائر ؛ وهذا الكتاب وحده يكفل لك ملكة حسنة فى الانتقاد الأدبى وقد كنت شديد الولوع به

ثم عليك بحفظ الكثير من ألفاظ كتاب نجعة الرائد لليازجى والألفاظ الكتابية للهمذانى ، وبالمطالعة فى كتاب يتيمة الدهر للثعالبى والعقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب زهر الآداب الذى بهامشه

وأشير عليك بمجلتين تعنى بقراءتهما كل العناية (المقتطف والبيان)[1] . وحسبك (الجريدة)[1] من الصحف اليومية ، والصاعقة[1] من الأسبوعية ، ثم حسبك ما أشرت عليك به فإن فيه البلاغ كله . ولا تنس شرح ديوان الحماسة وكتاب نهج البلاغة فاحفظ منهما كثيراً

ورأس هذا الأمر بل سر النجاح فيه أن تكون صبوراً وأن تعرف أن ما يستطيعه الرجل لا يستطيعه الطفل إلا متى صار رجلاً ؛ وبعبارة صريحة إلا متى انتظر سنوات كثيرة

فإن دأبت فى القراءة والبحث وأهملت أمر الزمن طال أو قصر انتهي بك الزمن إلى يوم يكون تاريخاً لمجدك ، وثواباً لجدك ، والسلام عليك ورحمة الله . (الرافعي)

(المنصورة) محمود أبو ريه

معنى قوله تعالى : يخرج الحى من الميت

إن الله تعالى جعل أساس الخلقة فى مختلف أنواع الحيوان والنبات هو حفظ النوع . ولحفظ النوع يجب أن تتوافر جملة عوامل أهمها المحافظة على الجنين حتى ينمو ويقوى ، ومنها إيجاد نسل قوى يصلح لهذه المحافظة وهذا النمو . وهذان العاملان جليان فى الحيوان — أما فى النبات فيحتاج الأمر إلى بعض الشرح . خذ مثلاً شجرة النبق تجد أن ثمرتها فاكهة صغيرة داخلها نواة تحتوى على جزأين أحدهما غلاف صلب متين يحتاج فى كسره إلى مجهود ، والجزء الآخر داخل هذا الغلاف الصلب وهو حبة صغيرة مستديرة هشة ضعيفة تسمى الجنين ؛ وهذا الجنين وما يحيط به من غلاف صلب متين يشابه الجنين فى بطن أمه فى عالم الحيوان ؛ لأن الله تعالى خلق حوله هذا الغلاف للمحافظة عليه من يد عابث أو أسنان آكل أو أن تهضمه معدة الطيور إذا ابتلعته لأنه لا يتأثر بعصيرها الهضمى . أما الحكمة فى خلق الجزء الفاكهى فهى تبادل المنفعة ، فيأكله الآكل هنيئاً ثم تنتفع النواة من هذا الآكل بإلقائها فى الأراضى النائية لتنبت فيها ، وكذلك الطيور تبتلعها ثم تتبرز النواة سليمة

---

(١) (البيان) مجلة شهرية أدبية كان يصدرها الأستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقى (والجريدة) صحيفة يومية كانت لسان حال حزب الأمة ، وكان محررها الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا (والصاعقة) صحيفة أسبوعية كان يصدرها المرحوم أحمد فؤاد

فى جهات نائية لتنبت فيها ؛ وهـذا سر من أسرار الكون ، لأنه إذا سقط كل حب الشجرة تحت غصونها وحول جذعها ولم يفرق بهذه الطريقة الحكيمة هنا وهناك فإنه يتراكم بعضه فوق بعض ويفقد قوة إنباته ، وإذا نبت البعض منه فإنه ينبت ضعيفاً إلى حين ثم يموت

ولنفكر فيما يحدث فى هذه الثمرة الصغيرة بعد أن تنزع من الشجرة ؟ الذى يحدث هو أن يموت بها الجزآن : الفاكهة وغلاف النواة الصلب ، ويفقدان الخواص الحيوية كالأنبات والتمثيل النباتى وامتصاص الغذاء وما إلى ذلك ، بدليل أنهما إذا وضعا فى الأرض للأنبات بعد تجريدهما من الجنين يصيبهما التعفن . أما الجنين فيبقى حياً وفيه كل معانى الحياة النباتية ولكنه ضعيف ومحاط بغلاف قوى صلب متين ؛ فإذا استمر الحال على هذا المنوال استحال الأنبات ؛ ولذا شاءت إرادة الله تعالى أن يتشقق هذا الغلاف الصلب من تلقاء نفسه بعد مدة معينة من وضعه فى الأرض ليسمح بنمو الجنين إلى خارج النواة . وهذا يفسر ما جاء بالشطر الأول من الآية الشريفة (أى يخرج الجنين الحى من الغلاف الصلب المحيط ؛ وهو ميت وذلك بقدرته وإرادته)

أما الشطر الثانى فهو مكمل لهذه العملية ، لأن هذا النبات بعد أن ينمو من الجنين خارج هذا الغلاف الصلب يتخلص منه نهائياً إذ يصبح لا فائدة منه بعد أن قام بمهمته (أى ويخرج الغلاف الصلب الميت من الجنين النابت الحى بدون أن يعيق نموه) وقس على ذلك فى عالم النبات على اختلاف أشكاله وأنواعه . والذى يؤيد ذلك ما جاء فى نفس السورة وبعد بضع آيات من الآية التى نحن بصددها قوله تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ... أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ففي هذا إشارة صريحة إلى الإنبات بعد أن يفلق الحب والنوى ويخرج الحى منها من الميت فيها فينبت الحى بالماء فينتعش ويثمر ويأتى منه كل الثمرات وهذه قدرة بالغة

أما ما جاء بقول السائل من أن الحى يخرج من الحى فهذا لا علاقة له بهذا الموضوع . والذى أوجد هذا اللبس هو أن المفسرين قد تركوا الشطر الأول من الآية الشريفة وهو (إن الله فالق الحب والنوى) وراحوا يفسرون الجزء الثانى على حدة ويطبقونه على نظريات بعيدة كل البعد عن القصد المطلوب .

أما الذى ينطبق هنا على نظرية العلماء هو الجنين الذى بالحبة فإنه حىّ ولا يتكون طبعاً إلا من شجرة حية .

دكتور
عباس محمود حسين
كبير أطباء منطقة التفتيش بأسيوط

بنو اسرائيل والطعام الواحد

جاء فى مقال الدكتور زكى مبارك (أخطار الطعام الواحد) هذا الكلام : « وقد صرخ اليهود لعهد موسى من الطعام الواحد ، كما قص القرآن ، فأوصاهم موسى بهبوط مصر ، لأن مصر منوعة الفواكه والحبوب والبقول ، وهذا سر القوة التى جعلت المصريين بأمن من طغيان الأمراض الفواتك على اختلاف الأجيال »[1] . والآية المشار إليها هى قوله تعالى : « اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم » . وظاهر أن « مصراً » فى الآية مرادفة لكلمة (بلد) . والمعنى : اهبطوا أى مصر من الأمصار تجدوا طلبتكم . أما « مصر » النيل المبارك فهى علم ممنوع من التنوين وليس مراداً فى الآية . وظاهر أيضاً أن الدكتور مبارك قد سها فى فهمه الآية وبنى على هذا السهو النتائج التى تقدمت

(دمشق) (س)

فى الأدب المصرى « فكرة ومنهج »

صدر أخيراً هذا الكتاب ، لأستاذنا الفاضل أمين الخولى ، وكتب مقدمته تلميذ من تلاميذه فى الجامعة اقتداء بسنة السلف من العلماء

وفى الكتاب دعوة حرة إلى دراسة الأدب المصرى دراسة خاصة وبيان للمنهج الذى يجب أن يتبع فى هذه الدراسة

فهو إذن قسمان : فكرة ومنهج . أما الفكرة ، فقد أملتها اعتبارات قومية مصرية خاصة وأخرى فنية أدبية عامة

يقول المؤلف فى الاعتبار القومى الخاص « إن حياً لن يكفر بنفسه وهو حى ، لأن إيمان الحى بنفسه سر وجوده الفطرى ، ومصر لم تكفر بنفسها لحظة ما ، فكيف لا تؤمن بشخصيتها فى الفنون بعامة ثم فى الأدب بخاصة . وفى هذا العصر الإسلامى الذى ظلت فيه كدأبها شاعرة بنفسها يقظة لذاتها ، فهي لهذا تصر على أن تدرس وجودها الأدبى فى العصر الإسلامى »

ثم تناول المؤلف الاعتبارات الفنية العامة فبين الخطأ الشائع

(١) الرسالة العدد (٥١٦)

فى تحديد العصور الأدبية تحديداً زمنياً كالأموى والعباسى دون نظر إلى المكان الذى يشغله هذا الأدب كالعراق أو مصر ، فذلك إخلال بالتحديد والضبط وإهمال للمؤثرات الطبيعية القاهرة مع الاهتمام بحالة أيسر الأثر وهو الحكم السياسى وزمنه . فالبيئة الطبيعية لها أثرها القوى على ما يعيش فيها من ماديات ومعنويات والأدب من أشد هذه المعنويات تأثراً بالبيئة والإقليم .

ويقول المؤلف إن مصر بوصفها الطبيعى الفطرى قد تميز كيانها الاجتماعى واستقر ماضيها التاريخى فتوافرت لها مقومات البيئة المتفردة الواضحة . فدرس أدبها عمل علمى صحيح الأصول .

وأنكر الأستاذ وحدة الثروة الأدبية العربية وحدة تامة ، وبيَّن ما يتميز به أدب أمة عن أدب أخرى ، وأوضح كيف تكون الإقليمية منهجاً واضحاً صحيحاً مع الطموح إلى دعوة أدبية إنسانية عامة ، ومشاركة الأمة فى الحياة الأدبية العالمية مع وضوح مشخصاتها الأدبية المميزة لها

والقسم الثانى من الكتاب رسم للمنهج الصحيح فى دراسة الأدب المصرى . فبين المؤلف معنى الأدب وتاريخه وما بينهما من صلة ، ثم قسم منهجه إلى خطوات ثلاث : « ما حول الأدب » وهو ما يتيسر به درس النص الأدبى حتى يفهم المتن فهماً مجدياً له أثره فى تكوين الذوق الأدبى ومعاونته الهامة فى تحقيق تاريخ الأدب ، ثم « المتن الأدبى » وهو فهم النص بهداية الأضواء التى تحف به مع الاعتماد على وسائط هذا الفهم من علوم العربية وفنونها الأدبية

ثم ندرس « تاريخ الأدب » فنستطيع أن نلمح على عصور الحياة مناطق متميزة وفوارق واضحة ، نستطيع بها تأريخ الحياة الأدبية ووصف أدوارها وبيان مسالك الحياة الأدبية فيها وسبيل تطورها وموقع حاضرها من ماضيها ؛ وأى مستقبل فنى وراء ذلك ينتظرها

ذلك بيان لما ورد فى الكتاب من آراء جريئة سديدة لم أشأ أن أنقدها ، لأنى أوافق عليها جملة وتفصيلاً . ولن يكفى هذا العرض السريع عن قراءة الكتاب ، فهنالك قضايا تستحق اهتمام الباحثين ، لأنها تتصل بدعوة فنية قومية من جهة ، وتتصل من جهة أخرى بما ينادى به الناس الآن من ضروب الوحدة .

محمود عبد المنعم مراد

ليسانس فى الآداب من جامعة فؤاد

دفاع عن البلاغة

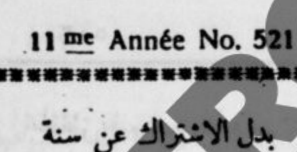
(بقية المنشور على صفحة ٤٨٢)

ومعاذ الله أن تحمل هذا الكلام الواضح على محمل العجزة الكسالى من مفاليك الأدب وصعاليك الصحافة ، فتفهم من الروية التكلف ، ومن العمل الجهد ، ومن التهذيب الصنعة المكشوفة ، ومن التأنق الزخرف الكاذب . تلك عيوب سيجيئك الحديث عنها فيما يجىء . ولسنا اليوم بصدد الإفاضة فى تحليل الصفات الفنية التى تميز كلاماً من كلام ، وتقفى لأسلوب على أسلوب . ذلك موضوع الحديث المقبل ، وإنما كان ما ذكرناه من ضرورة المعالجة والمراجعة والتخير، تذييلاً لا بد منه لمناقشة الخلاف بين أنصار الجمع بين الفكرة والصورة ، وبين أنصار التفريق بينهما على الوجه الذى رأيت ؛ فإن من لوازم الجمع التروية والتجويد والعناية ، ومن لوازم التفريق التساهل والإهمال والارتجال ومجافاة القواعد ؛ وكلها من أعراض السرعة التى جعلناها فى حديثنا الأول إحدى البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات





11 me Année No. 521

Lundi - 28 - 6 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٨ يونية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

عرض واحد

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان خلاصة ما قلناه في مقالنا السابق عن المرأة والفنون أن نصيب المرأة من الفنون محدود لا يرتقي بها إلى مراتب النبوغ العليا بين الشعراء والمصورين والموسيقيين ، وختمناه بقولنا : « إن استحضار هذه الحقيقة لازم جد اللزوم في عصرنا هذا ، لأننا نسمع المذاهب الاجتماعية حولنا تمارى على حسب أهوائها ومراميها في تقديم الجنسين بين قائل بالتشابه الكامل وقائل بالفوارق والمزايا التي يقتضيها توزيع العمل واطراد الخلق في طريق التخصيص والامتياز . ورأينا نحن أميل إلى هذا المذهب القائل بالفوارق والمزايا ، لأنه الحق الواضح أمامنا ، ولأنه العدة التي ندرع بها أذهاننا للقاء فوضى المذاهب التي فيها الضير أكبر الضير على المجتمع الإنساني وخلائق الإنسان »

***

أما المذهب القائل بالتشابه الكامل بين الرجال والنساء فهو مذهب الشيوعية ، وهو ينزع هذا المنزع في تقديم الجنسين لأن فلسفة كارل ماركس تقتضيه ولا تستقيم بعضها مع بعض إلا إذا فرضنا أن الجنسين متماثلان متشابهان في الواجبات والحقوق . وآفة كارل ماركس وأتباعه أنهم يريدون أن تتحول

الحقائق ليصبح مذهبهم صحيحاً قابلاً للتنفيذ ، ولا يريدون أن يتحولوا هم فى آرائهم وفروضهم وتقديراتهم لتصبح الحقيقة هى الحقيقة بمعزل عن المذاهب والفلسفات

فالعائلة عندهم هي أساس الاستغلال

وقيام المرأة بشئون البيت هو أساس العائلة

والتفرقة بين الرجل والمرأة فى الواجبات والحقوق إنما تنشأ من قيام المرأة بشئون البيت وانصراف الرجل وحده إلى الأعمال الخارجية

لهذا يجب أن تكون المرأة مساوية للرجل ، وألا يكون بينهما فارق فى كفاءة من الكفاءات ، لأنهم مضطرون إلى هذا القول فى طريق إلغاء العائلة

فلتكن الحقيقة إذن هكذا لأنهم هكذا يريدونها ، لا لأن قوانين الخلق والتكوين منذ وجدت الذكور والأناث فى الحياة الحيوانية والنباتية تشهد بالتفرقة بين الجنسين ، وتشهد بأن الحياة ماضية فى طريق تقسيم العمل والاختصاص ولا تمضى فى طريق التشابه وإلغاء الفروق

وبلغ من سخف الغلاة منهم فى هذا الباب أنهم يسمحون للمرأة بالإجهاض ولا يرون فيه وجهاً للعقاب ، لأن الرجال والنساء متساوون

وأنت تسأل : وما شأن هذه المساواة فى إباحة الإجهاض ؟ فيقولون لك نعم ؛ إن الرجل لا يكرهه أحد على إنتاج النسل فلماذا يفرض على المرأة أن تحمل على غير إرادتها ؟

حقارة فى التفكير هنا لا تقل عن الحقارة فى الشعور ، لأن هؤلاء الشيوعيين ينسون أساس مذهبهم وهم يلغطون بهذا اللغو السخيف : ينسون أن مذهبهم كله قائم على تغليب المجتمع على حرية الفرد فى تصرفاته العامة . فكيف يتفق مع هذا المذهب أن تكون حرية الفرد غالبة حتى على حفظ النوع وتجديد الحياة ؟

وليس هذا كل ما هنالك من حقارة التفكير وحقارة الشعور ، لأن القياس العقلى معدوم هنا لا يستند إلى برهان . إذ الإكراه وعدم الإكراه إنما يكونان فى دور الإرادة والرغبة ولا يكونان بعد خلق الجنين ووجود هذه الحياة الجديدة . والمرأة تستطيع كما يستطيع الرجل أن تمتنع عن العلاقة الجنسية فلا فرق فى هذا بين الرجال والنساء ، ولكن المسألة إذا وصلت إلى جنين يخلق وحياة جديدة تظهر فلا الرجل ولا المرأة يملك هنا أن يريد أمام إرادة الحياة وأمام القانون الطبيعى والقانون الإنسانى اللذين يحميان كل حياة

وهكذا تلتقى فى كثير من الآراء الماركسية حقارة الفكر وحقارة الشعور

وهكذا ينبغى أن نحرس عقول الشبان ونفوسهم من هذه الحقارة فى شعورهم وهذه الحقارة فى تفكيرهم ، وأن نضع أيديهم على موطن الداء الذى ليس به كثير خفاء

وموطن الداء فيما نعتقد إنما هو الكسل والحسد

وصدق « فرويد » وأصحابه حين قالوا إن المرتبة الأولى من مراتب الشفاء فى العقد النفسية إنما هي كشف العلة الحقيقية لعين المريض المصاب بها

والعلة الخفية التى تجنح ببعض الشبان عندنا إلى التفكير الشيوعى هى أنهم يحسدون وأنهم يكسلون ، وأنهم يريدون من المجتمع أن يعطيهم جميع حظوظ الحياة ؛ ويخيل إليهم أن المجتمع الشيوعى كفيل بتحقيق هذا المطلب ، وإذا لم يكن كفيلاً بتحقيقه

فاقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى

على حد قول الشاعر العربى ، أو « علىَّ وعلى أعدائك يا رب » كما قال شمشون الجبار

وكلمة وجيزة تفتح عيون هؤلاء المخدوعين على الحقيقة التى تبدو من وراء ستار رقيق

هذه الكلمة الوجيزة هى أن المجتمع الشيوعى لا يدعى أية دعوى فى الإصلاح الاجتماعى إلا سمعنا دعوى مثلها من ناحية الفاشيين والنازيين

فمحاربة البطالة وإسعاد المرأة وإنصاف الفقراء وما شابه هذه الدعاوى ذائعة بين الفاشيين والنازيين ذيوعها بين الشيوعيين ، والإحصاءات التى يسردها هؤلاء تشبه الإحصاءات التى يسردها هؤلاء ، وكلها فى الواقع تمثل حالة طارئة أمكن فيها تشغيل معظم الأيدى من الذكور والإناث ، وهى حالة الإنتاج الحربى التى تتعلق بعوارض الحرب ولا تتعلق بنظام السلام والاستقرار

ومما يؤسف له أن تسرى هذه الخدعة إلى نفوس نفر من الشبان الأدباء فينتروا بالدعاوى الطوال العراض التي يروجها الشيوعيون عن الحياة الأدبية أو الحياة الفنية بينهم ، ويحسبونها الفردوس الموعود لكل أديب أو كل مشتغل بفن جيل

والآفة هنا كالآفة هناك هي الأخذ بالسماع وقلة الاطلاع على حقائق الأمور من وراء الدعاوى والأقاويل

ولو اطلعوا على تلك الحقائق لعلموا أى جو خانق هو ذلك الجو الذى يعيش فيه الأدباء الملهمون من الشيوعيين

ولا ضرورة للاطالة فى هذا الصدد لأن كلة وجيزة قد تغنى فيه غناء الإطالة فى البحوث والفروض . وما حاجتنا إلى بحث أو فرض بعد أن نعلم أن ثلاثة من فحول الشعراء عندهم قد انتحروا فى فترة واحدة ، وأن شاعراً آخر هو أكبرهم وأنحلهم قد مات فى عنفوان الرجولة ميتة تحيط بها الشبهات ؟

أما الشعراء الثلاثة الذين انتحروا فهم مايكوفسكى Mayakovsky ويسنين Yessenin وباجرتسكى Bagritsky

وأما الشاعر الذى مات فى عنفوان الرجولة فهو ألكسندر بلوك Alexander Block ولعله الشاعر الوحيد الذى يقارب فى أفقه شعراء النهضة الأولى بين الروسيين

ولو كان هؤلاء الشعراء من أعداء الشيوعية لقلنا إنهم برموا بالحياة لاختلاف العقائد والأمزجة والآمال

ولكنهم جيعاً من الغلاة فى الدعوة الشيوعية ، وممن ظهروا واشتهروا بعد الانقلاب الأخير

كذلك لو كانوا من طبقة واحدة لأمكن أن يقال إن الشيوعية تلائم طبقة ولا تلائم طبقة أخرى ، ولكنهم متفرقون فى النشأة ، منهم العامل الذى يبشر بالمدينة ، والفلاح الذى يبشر بالقرية والمعيشة الريفية ، وكلهم كرهوا الحياة فى المصانع وفى الحقول . وأصدق ما يقال فى هذا أن الشيوعية جو خانق لكل قريحة ملهمة ، ولو كان صاحبها من دعاتها الغلاة

***

ونعود فنقول : « فتش عن الحسد والكسل » لأنهما على التحقيق علة كامنة وراء كثير من الظواهر الغريبة التى تلاحظ على بعض الناشئين فى الجيل الحاضر ، وبهذه العلة نستطيع أن نهتدى إلى تفسير نزعات كثيرة غير الجنوح إلى الشيوعية وما شاكلها من المذاهب الاجتماعية ، ومنها تلك النزعة - أو تلك الضجة - التى ترتفع ثم تخفت آونة بعد أخرى باسم أدب الشيوخ وأدب الشباب

فهى ضجة غير مفهومة إلا أن تكون حسداً معيباً مقروناً بكسل ضعيف

وكل حجة تساق فى تسويغها لا تؤيدها بل تنقضها وتكشف عن الباعث الخفى من ورائها وهو باعث الحسد المعيب والكسل الضعيف

سئلت أخيراً رأيي فى بعض الأدباء الكبار من المصريين فقلت عن الدكتور طه حسين إن قدرته فى تأريخ العصور الأدبية « تأتى بعد قدرته فى القصة أو الكتابة القصصية ، فهو يحسن إقامة الحدود بين العصور ويحسن تمييز كل عصر بمزية عامة ، ولكنه أقرب إلى حدود العالم منه إلى حدود الفنان ، ويأتى طه حسين الناقد بعد طه حسين المؤرخ وبعد طه حسين صاحب القصة ؛ لأن المدار فى النقد كله على مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ، وليس نصيب الدكتور طه حسين فى هذه المقاييس بأوفى نصيب »

كتبت هذا الرأى فعقب عليه بعض الحانقين على شيوخ الأدب يقول : « ونحن إذ ننشر هذا الرأى نوجه إلى الأستاذ العقاد السؤال الآتى : كيف تحتفظ بأمارة الشعر التى خلعها عليك طه حسين ونصيبه من مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ليس بأوفى نصيب ؟ رجعة إلى الحق يا عميد الأدب ويا أمير الشعر ويا ... أدباء الدعاية ... »

هذا هو التعقيب العجيب

فهل ركب على كتفى إنسان رأس يفهم مما كتبناه عن الدكتور طه حسين أننا أدباء دعاية لو كانت المسألة مسألة رؤوس تفهم وبراهين تساق ؟

إن الذى كتبناه لينقض صفة الدعاية خاصة دون غيرها من الصفات

لأنه يدل على أن أدباء الشيوخ لا ينسون آراءهم من أجل دعاية بعضهم إلى بعض ، وإننى لا أنسى الحق من أجل الدعاية

لنفسى ، وإلا لقلت عن الذى سمانى أميراً للشعراء أنه الحكم الوحيد فى قيم الشعر وأقدار الشعراء

فهل هى إذن مسألة فهم وصدق ، أو مسألة حسد وكسل ؟

كلا . إنما هى مسألة حسد وكسل ولا زيادة ! ولولا الحسد والكسل لخجل هؤلاء المساكين من أنفسهم إذ يهجمون فى مراقدهم وينمون على الكتاب المشهورين شهرتهم ولا ذنب لهم إلا أنهم يصدرون الكتاب بعد الكتاب وأولئك المساكين يقلبون شهادة ميلادهم ولا يزيدون

إنه عرض واحد هذا الحسد وهذا الكسل اللذان يفسران النزوع إلى الشيوعية ، ويفسران استعجال الشهرة ، ويفسران كل انتقاد مريض لا يصحبه عمل ولا تصحيح

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

نفحة اليمن — مكانة مصر بين الأمم العربية — محاسبة النفس — معادن الأرواح والعيون

نفحة اليمن

منذ أعوام لا أدرى كيف مضت وانقضت كان فى الديار المصرية كتابٌ منشور اسمُه « نفحة اليمن ، فيما يزول به الشَّجَن » ، وهو كتاب فى المواعظ كان له فى نفسى تأثير . ولو شئت لقلت إن إحدى المواعظ التى وردت فيه كانت دستوراً لحياتى فى البيت ، ولأسلوبى فى معاملة الأهل . فأين من ينشر هذا الكتاب من جديد ، عساه يؤدى خدمة يحتاج إليها الناس فى هذا الجيل ؟

ومنذ أعوام لا أدرى كيف مضت وانقضت كان اسم « حسّان اليمانى » هو اسم الحكيم الذى ألهمته الغيوب مصاير الناس فى أواخر الزمان ، وكانت أحكامه المنظومة تُنشَد على « الربابة » فى سهرات الريف

ومنذ أعوام لا أدرى كيف مضت وانقضت كانت رحلة مُعاذ بن جبل إلى اليمن مما يتداوله أكثر الناس ، وكانت فيها عظات قليلة الأمثال

واليوم تلقيت نفحة جديدة من نفحات اليمن جاد بها أحد أعضاء « نادى الإصلاح العربى » فى عَدَن وهو السيد محمد بركات ، فهل تصل مجلة الرسالة إلى عدن كما تصل إلى السيد عثمان شبيكة فى ملكال بالسودان ؟

كانت أخطار الحرب أوهمتنا أن الصلة انقطعت بيننا وبين اليمن والهند ، وأن التخاطب مع سكان تلك البلاد لن يتيسر إلا بعد حين أو أحايين

فيا فرحة القلب لخطاب يصل من عدن بعد أن قيل إن وسائط النقل البرى والبحرى والجوى قُصِرتْ قصراً على معدات الحرب !

لليمن تاريخ فى العمران يجهله أكثر الناس ، فلنفصّله فى كلمات :

أهل اليمن هم أول أمة فى التاريخ نظّمت الرىّ ، بفضل ما عملوا فى سدّ مارِب[1]

ومن أبناء اليمن كان من نظّموا الرىّ فى الأندلس ، والأوربيون يعترفون بأن تنظيم الرىّ فى بلادهم منقول عن عرب الأندلس

وأول من فكر فى إقامة خزان أسوان هو الحسن بن الهيثم ، وهو عربىٌّ وَفَد على مصر من العراق منذ نحو عشرة قرون ، ولعله يمنىُّ الأصل

واليمنيون هم أقطاب الفاتحين لُجزر البحر الهندى ، ولهم أيادٍ فى مدّ لغة العرب إلى الهند والصين

والظاهر أن التنافس بين أبناء الجزيرة كان له صدًى فى العالم القديم ، فكان أبناء الشمال وهم الفينيقيون يهتمون بتحضير أوربا الشرقية ، وكان أبناء الجنوب وهم الحضرميون يهتمون بتحضير آسيا الغربية ، ومن هذا الجهاد وذاك رسخ السلطان الحضرى لعرب ذلك الزمان

والمفهوم أن قصة السندباد البحرى هى أغرب قصة روتها السياحات البحرية ، ولعلها أظرف وألطف من بعض قصص الإغريق ، فهل تكون إلا من إنشاء حضرمىّ مفطور على مقارعة الأمواج فوق ألواح هى بالنسبة إلى بواخر اليوم خيوط من العنكبوت ؟

---

(١) مارب بدون همز ، ويخطىء من يهمزه فيقول مأرب ، لأنه غير مهموز فى لغته الأصلية وهى الحميرية ، كما أفادنى الدكتور نالينو فى محاضراته بالجامعة المصرية

وهنا لطيفة من اللطائف لم يتحدث بهــا متحدث ، وهي ديباجة الشعر في مصر لآخر أيام العهد الفاطمي وأوائل العصر الأيوبي ، وهي ديباجة أذاعها الشاعر عُمارة اليمني ، وعن هــذا الشاعر أخذ شاعرنا أحمد شوقي عبارة أو صورة سأذكرها يوم يجيء مكانها في هذه الأحاديث

ثم ماذا ؟ ثم كان اليمن يد مصر في التعرف إلى الشرق البعيد ، فبفضله وصلت السفائن المصرية إلى آفاق لا نعرف مداها اليوم إلا بأجنحة الخيال

ثم ماذا ؟ ثم أعتذر لأستاذنا أحمد زكي باشا ، فقد عبث عليه أن يقول في محاضراته بالجامعة المصرية إن صنعاء كانت في قوة باريس أو برلين

وهل حفظنا حق اليمن في التاريخ ؟

قِيل وقيل إن سقوط بغداد بأيدي المغول أوجب رحلات علماء العراق إلى مصر فكانت النهضات العلمية والأدبية بالديار المصرية

فأين من يذكر أن سقوط سدّ مارب أوجب رحلات العلماء من الجنوب إلى الشمال فكانت النهضات الأدبية والعلمية بالديار العدنانية ؟

أجمع مؤرخو الأدب على أن امرأ القيس هو فاتحة الشعر العربي في العهد الجاهلي ، ونصُّوا على أنه يمنيّ العِرق ، فأين من يذكر أنه من كِنْدة ؟ وأين من يذكر أن كندة كان لها محلة بالكوفة نُسِب إليها المتنبي فكان الكِندي ؟

لنا في اليمن كلام يضيق عنه هــذا المجال ، وسنرجع إليه بتفصيل وتفاصيل

مكانة مصر بين الأمم العربية

في جرائد سورية وفلسطين ولبنان والعراق كلام كثير عن مكانة مصر بين الأمم العربية ، وجرائد تلك البلاد تذكر بالخير مؤازرة مصر لفكرة الحِلف العربي

ويجب أن نذكر جميعاً أن ما يدور حول الوحدة العربية ليس إلا تمهيدات ، ولا يعرف أحد متى تتحقق تلك الوحدة على الوجه المنشود

محاسبة النفس

بدأت أشعر بضجر في هذه الأيام ، وأخذت أشعر بانقباض الصدر من حين إلى حين ، فما سبب هذه الحال ؟ وما هو الدواء ؟

يخيَّل إليّ — ولعل هذا هو الواقع — أني لا أؤدي حقوق القلم كما يجب ، فأنا أتحامى شؤوناً كثيرة ، وأسكت عن آراء لو دونتها لكان لها في عالم الفكر مكان

ويزيد في الضجر أن لحياتي ألواناً جديدة بأن تقدم أغنى الغذاء لقلمي ، فكيف يفوتني أن أنتفع بتلك الألوان ؟

قد يقال إن ظروف الحرب لهــا دخلٌ في الحدّ من الحرية القلمية ، لأنها تقهرنا على مراعاة أمور لم يكن من الحتم أن نراعيها في أيام السلام

وهذا عذر غير مقبول ، لأن الشؤون التي تمس الحرب ليست كل ما يعتلج في صدور الرجال ، فهنالك معضلات إنسانية تساور العقول والقلوب في كل زمان ، وهي معضلات لا تهادن الناس ولو كانوا في ميادين القتال

وربما قيل إن الشؤون التي تعفيها ظروف الحرب لا تعفيها ظروف المجتمع ، فقد تكون الرقابة التي يفرضها الجمهور على الأقلام أقسى من الرقابة التي تفرضها الحكومات في أيام الحروب

وهذا أيضاً عذر غير مقبول ، ففي مقدور المفكر أن يعالج شؤون المجتمع بأسلوب يخلق الحب ويبعد العِداء

يظهر أن الآفة هي في طريقة الطب للمجتمع ، الطريقة التي تلبس ثوب السيطرة بأقلام الناصحين ، ونحن في الأغلب ننسى أن في فطرة الناس ميلاً إلى الدفاع عما يتورطون فيه من ضروب الانحراف ، ونجهل أن العنف في النصح قد يخلق للعيوب أنصاراً يجعلون سيئاتها حسنات

أنا موقن بأن سياسة القلم تعوزنا في أكثر ما نكتب ، وسياسة القلم معنًى لم نلتفت إليه . ألا ترى كيف نقضي العمر في شقاق مع القراء ؟

أين الذي حاول أن يقدم النصيحة المرة في كلمة مغلفة بمجاج النحل ؟

وأين الذي واجه الجمهور بأسلوب منزه عن الاستعلاء ؟

هذه الحال تشبه أن تكون مرضاً من الأمراض القلمية ، وللأقلام أمراض

وأعترف بأن تحرير القلم من الآفات النفسية يحتاج إلى رياضات لا نقدر عليها في جميع الأحايين ، لأن الرجل قد يقدر على محاسبة الجمهور ثم يعجز عن محاسبة النفس

وهنالك آفة أخطر وأفظع ، وهى آفة المبالغة فى تصوّر الكمال الذى ننشده للانسانية ، كأن ننتظر أن يعيش الناس بلا أحلام ولا أوهام ، وكأن نرجو أن يسلموا جميعاً من طغيان الأهواء ، كأن الناصحين سلموا جميعاً من طغيان الأهواء !

أيكون من الخير أن ندعو إلى تجفيف البحار والأنهار ليأمن الناس الغرق ؟

أم يكون من الخير أن نعلّم الناس السباحة ونسكت عن تجفيف البحار والأنهار ؟

هنا مناط المعضلة الأخلاقية ، المعضلة التى حيّرت كرائم الألباب

الشخصية الخلقية هى الشخصية المزوّدة بموجبات الجذب والدفع ، وهى الشخصية السليمة من الضعف ، ولن تكون كذلك إلا حين تحارب فى ميدان من ميادين الأهواء

ولهذه الفكرة شروح سنعود إليها يوم نستطيع محاسبة النفس على التهيب والترقب ، ويوم يكون الصدق هو أشرف ما نسمو إليه فى عالم البيان

معادن الأرواح والعيون

لكل روح معدن أو جوهر أو عنصر ، إلى آخر الألفاظ التى تعبر عن الأصول

والأرواح توحى بأساليب لا تعرفها العيون ، وهل كانت العيون إلا وسائل الأرواح فى الإيحاء ؟ أستغفر الحب ، فقد قلت من قبل إن للعين وجوداً ذاتياً يستقل عن الروح بعض الاستقلال فى بعض الأحيان

وما سرُّ العيون على التحقيق ؟

هل يعرف أحد كيف كُوِّنت تلك الخلائق اللطيفة بهذا الوضع اللطيف ؟

الوجود كله مدين للعيون ، فهى التى شهدت بما فيه من جمال وجلال ، وهى التى قالت إنه وجود

وما هذا الصُّنع العجيب ، صنع الله فى إبداع العيون ؟

ينقضى الدهر ولا ينقضى العجب من القدرة المطوية فى سريرة مخلوق رقيق اسمه العين ؟ وستمر أزمان وأزمان قبل أن يُعرف سر هذه الجارحة الظَّلوم

وما قدرة الطب فى تعليل هذه القوة الصمدانية ؟ هل يعرف كيف تنظر حتى يعرف كيف توحى ، وهى أعجوبة الأعاجيب فى النظر والإيحاء ؟

ومع هذا فقدرة الأرواح أعجب وأغرب ، فهى ترسل السهام من إقليم إلى إقليم ، وقد تصادق وتمادى وأصحابها أموات فى عرف الناس

ذلك المفكر الذي يعبر الآفاق لغزو العقول بعد أن تمر على موته آلاف السنين . ما سر قوته الروحية ؟ ما سرُّه وقد اجتاز أسوار روما بعد ألفى سنة ليقتل أحد تلاميذى بالقاهرة ؟

وذلك الشاعر الذى قال :

إذا نُشرتْ ذوائبُه عليه ... حسبتَ الماء رفَّ عليه ظلُّ

هل كان يتوهم أن المطربة فتحية أحمد ستنقل خياله بالمذياع إلى جميع الأقطار العربية بعد أن نسيه القاهريون ؟

سمعت هذا البيت مع الأستاذ سعد كامل فعجبنا من قدرة الأرواح على اختراق الأزمان

وقال الشريف الرضىّ :

سهم أصاب وراميه بذى سَلَم ... من بالعراق لقد أبعدت مرماكِ

فهل كان يخطر فى بال الشريف أن هذا المعنى سيكون حقيقة لا مجازاً فيما سيخلف عصره بأجيال طوال ؟

وقال شاعرٌ قديم :

غنَّتْ سُلَيمى بالحجا ... زِ فأطربتْ من فى العراق

فهل كان ينتظر ذلك الشاعر أن تصح نبوءته فأسمع من القاهرة صوتاً يغزو روحى وأنا فى سهرة بمدينة النجف ؟

لقد قضى ذلك الصوت بأن تكون ليلتى ليلاء ، وأن أعود إلى بغداد وأنا مفطور الفؤاد

وما معنى قول البهاء زهير شاعر الفطرة المصرية :

إن حالى لعجيبٌ ... ما يُرى أعجب منه

كلُّ أرض لى فيها ... غائبٌ أسألُ عنه

أليس شاهداً على استبداد الأرواح بالقلوب ، وإن تباعدت البلاد ؟

أما بعد فهذه الكلمة تحية للروح التى يئست من وفائى ، الروح التى ضَنَنتُ عليها بإعلان حبى ، لتعيش فى أمان من سفاهة الرقباء

يا مصدر الوحى ، على رغم البعد واليأس ، ويا روحاً هى الروح ، ويا تحفة فنية صاغها الفنان المعبود ، ويا من لا أسمّى ولو سُئلتُ يوم الحساب فى حضرة صاحب الجبروت ، سلام عليك وألف سلام

لكي ننتفع بتجاريب غيرنا

٣ـ المسرح في أوربا بين حربين

(في ألمانيا والنمسا)

للأستاذ دريني خشبة

ألمعنا في الكلمة السابقة إلى انتشار المسارح الشعبية الحرة في ألمانيا، وعرفنا ما يدخل في صناديق هذه المسارح من الإيراد الضخم بطريق الاشتراك بين الأعضاء، ويبلغ عددهم في أحد مسرحي برلين حوالي ستين ألفاً معظمهم من العمال! أي أن المبلغ المتحصل من الاشتراك فقط يربو على ثلاثة آلاف من الجنيهات شهرياً ـ إذ يدفع العضو شهرياً خمسة قروش أو نحوها ـ أضف إلى ذلك مثل هذا الإيراد من غير المشتركين، وأضف إليه أيضاً إعانة البلدية للمسرح؛ وقد عرفنا أن بلدية كولونيا تعين مسرحها الشعبي بخمسة وعشرين ألفاً سنوياً، كما أن مدينة تورن، أو بالأحرى قرية تورن، تعين مسرحها الصغير المتواضع بألف جنيه كل عام ... وقبل أن نتكلم عن المذهب التعبيري Expressionism الذي يسود المسرح الألماني والذي ارتفع به إلى الأوج قبل قيام الاشتراكية الوطنية لا نرى محيصاً من الرجوع قليلاً ... إلى ما قبل الحرب الكبرى، وربما إلى ما قبلها بخمسين سنة أو يزيد ... إلى هذا الوقت الذي كانت فيه فينا ـ عاصمة النمسا ـ هي مركز المسرح الألماني العتيد، حينما كان الأدب المسرحي في شمال ألمانيا ما يزال في المهد، وما يزال أدباً رومانتيكياً (إبداعياً) يقصد به التلهي وإشباع غريزة التشوُّف الأدبي فحسب ... وقد كنا نؤثر أن نرجع إلى أكثر من ذلك ... إلى أيام عاهل الدرامة النمسوي الأكبر فرانز جرلبارزر Franz Grillparzer الذي بدأت تباشير عبقريته تظهر في مشارق القرن التاسع عشر، لو لا ما ننتويه من إفراد فصول مستقلة لكتّاب الدرامة في الأمم الأوربية المختلفة وذلك بعد الفراغ من هذا الاستعراض السريع لحالة المسرح الأوربي بعد الحرب الكبرى، والذي نريد به استخراج العبرة التي نهتدي بنورها في تشييد دعائم المسرح المصري وخلق العنصر المسرحي المنعدم في الأدب العربي

فحسبنا إذن أن نبدأ من تلك السنة اللامعة ذات البريق في التاريخ الألماني ـ ألا وهي في سنة ١٨٧١، تلك السنة التي تم فيها تكوين الإمبرطورية الألمانية، بعد الانتصارات السبعينية على الجيش الفرنسي. والعجيب أن تلك الانتصارات، بالرغم مما صحبها من الزهو العسكري، لم تستطع أن تمحو من نفوس الشعب الألماني روح التشاؤم الذي أشاعته فيها فلسفة شوبنهاور، والتي تمكنت من ألباب الخاصة المثقفة تمكناً كان يوشك أن يؤدي إلى اليأس المطلق، لولا ما اضطلع به أدورد فون هرتمان من تلطيف تلك الموجة من الشعور الأسود، ولولا أن أصاخ إليه شباب الجامعات وأساتذتها الذين رسموا الطريق للنهضة الذهنية الألمانية، فانحرفوا بها عن طريق الأدب ـ إلى حين ـ إلى طريق العلوم، فازدهرت الفلسفة وفقه اللغات والتاريخ والعلوم التجريبية، حتى إذا أينع هذا الشباب ودوّت في أسماعه الصيحات الآتية من خارج ألمانيا... تنبه إلى صوت كَنْت العظيم فترك هيجل الألماني وراءه، ولم يلبث أن أتاه الصوت العظيم الآخر من داخل ألمانيا نفسها، فتلقت فرأى فيثارة

أنت أمامي حيثما توجهت، وغضبك عليَّ أعذب من الرضوان يا مهاة لا تخطر إلا في البال

ثم أما بعد فأنا مؤمن باختلاف المعادن في الأرواح والقلوب، وروحك يا شقية هي الروح، وسبحان من لو شاء لجعلني من عينيك في أمان!

متى نلتقي على الشط، بالرمل، لأقول مع الشريف:

ولو قال لي الغادون ما أنت مشتهٍ　　غداة جزَعنا «الرمل» قلت أعود

قال بديع الزمان في المقامات على لسان أبي الفتح الاسكندري:

إسكنــــدرية داري　　لو قرَّ فيها قراري

ويرى الأستاذ إسعاف النشاشيبي أنها اسكندرية مصر في مقال نشره بالرسالة وهو يحيي الشواربي باشا. ويرى الشيخ محمد عبده في شرح مقامات البديع أنها بلد بالأندلس، ورأيت بعيني وقلبي أن اسكندرية أبي الفتح بلد بالعراق

فمتى نلتقي في إحدى الإسكندريات الثلاث، بغض النظر عن اختلاف الأقوال؟

إن رمل الإسكندرية هو «الرمل» الذي عناه الشريف، وسنلتقي هناك بعد أسابيع.

زكي مبارك

الشعر والأمل ترقص فى يدى جوته الخالد ، كما رأى فيلسوف القوة الألمانى فردريك نيتشه ينهض جباراً مرعداً ليهدم شوبنهاور ، وليهدم تقاليد الماضى العتيق الذى كان يجثم كابوسه المخيف فوق الذهن الألمانى ، ثم ليخاصم فى سبيل ذلك صديقه الأعز رتشارد ڤاجنر Wagner ، ثم لينشر إنجيله الجديد : هكذا تكلم زورستر Also sprach Zarathustra فيقلب به الفكر الألمانى ويجعله عدواً لكل قديم ؛ ثم ليطلع على الناس بهذه الطوبى الجديدة ، طوبى الإنسان الأعلى — أو السبرمان — الذى يعد الناس بالنسبة إليه « حبلاً ممتداً بين الحيوان وبين السبرمان » ثم ليجدف ضد أديان السماء تجديفاً هداماً لا يعرف القيود ، ثم ليحدد وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ، فيجعل الأول للحرب والثانية لتكون متعة لرجل تلك الحرب ، فإذا رأى أحداً يقصد إلى زوجه أوصاه ألا ينسى سوطه ! ؛ ثم ليبرر تسلط القوى على الضعيف وتحكمه فيه ، لأن الذى لا يستطيع القيام على شأنه ينبغى عليه أن يسلم قياده للغير . ثم ليعتبر هذه الطائفة من الفضائل المتعارفة بين الناس ، كالرحمة واحترام العهود وخفر الذمم والتواصى بالضعفاء ، رذائل نشأت عن ضعف كامن فى سويداء هذا الحيوان الذى نسميه الإنسان ... الخ ويفتتن أدباء الشباب بهذا الإنجيل الجديد ويبشرون به ويصفقون له ، لأنه فى زعمهم جعل الأدب الألمانى أدب (أفكار) جريئة حرة لا تعرف هذا الإله التنين الذى يقول : هذا كفر فدعوه ، وذاك إلحاد فلا تخوضوا فيه ... هذا الإله (الشرقي !) الذى يلوح بالنار ويغرى بالجنة لا لشىء إلا ليشل تفكير الإنسانية ... إلى آخر هذا الضلال ... وقد ترددت أصداء هذا الصوت الجديد فى المسرح الذى أخذ بدوره يتحلل من الدرامة الإبداعية (الرومانتيكية) متأثراً بالدرامة الواقعية التى نفذت إليه من فرنسا وسكنديناوه (النرويج والسويد) وأول ما ظهر هذا التأثر فى روايات إرنست فون ويلدنبرخ Wildenbruch تلك الروايات التاريخية التى هاجم فيها كاتبها روح التشاؤم على هدى من تعاليم نيتشه . على أن معاصراً نمسوياً لهذا الكاتب وأعظم منه نشاطاً وأغزر فناً وأوفر مقدرة ، اسمه لدفج أنزنجروبر Anzengruber قام يخلص الدرامة الألمانية من الإسفاف الذى تردت فيه بالمبالغة التى لا مبرر لها ، واستثارة عواطف الجماهير (بالبهلوانيات !) . . . استبدل لدفج بهذا النوع المشتهر المألوف — Volksstück — روايات واقعية مستمدة من صميم الحياة الريفية الهادئة وإن تكن لم تخل من التأثر بنيتشه —

وفى سنة ١٨٨٨ افتتح برلين المسرح المستقل Freie Bühne على غرار المسرح الفرنسى Théâtre Libre ، وذلك برواية إبسن النرويجى « الأشباح » التى أثرت تأثيراً كبيراً على المؤلفين الثوريين الشباب ، ونخص بالذكر منهم جرهارت هوبتمان ، ثم هرمان سودرمان Sudermann وقد ألفا لمسرح برلين المستقل كثيراً من الروايات التى كانت نواة الأدب المسرحى الألمانى الحديث . ولقد كان سودرمان يتأثر الدرامة الواقعية الفرنسية ويجرى دائماً فى أذيال دوماس ، وقد بلغ من ظهور طابعه على المسرح الألمانى أن اعتبره النقاد المثل الأعلى الذى يقاس عليه ، ولا يجوز أن يحاد عنه حتى انتهى الأمر إلى تفشى الروايات المتشابهة ذات الموضوع الواحد Stereotyped التى كأنما صبت جميعها فى قالب بعينه ، وهو نفس المآل الذى انتهت إليه الدرامة الفرنسية الـ Analogique التى كانت تؤلف دائماً فى موضوع الحب الخاطىء مما أشرنا إليه فى الفصول السابقة . وقد فطن سودرمان إلى هـذا الخطر فحاول هجر ميدان الدرامة الواقعية إلى المأساة السيكلوجية ، ثم إلى تقليد شيلر فى دراماته الكلاسيكية إلا أنه فشل فى ذلك . أما هوبتمان فكان أضعف شخصية وأوهى استقلالاً من سودرمان ... كان يقلد كل من تدخل سمته فى المسرح الألمانى من الخارج على حد ما عبر بعض نقاده . وكان تأثره بكتاب سكنديناوه أوضح من غيره ، على أنه يتجاوب أصداء المسرح فى أوربا عن طريقه داخل ألمانيا قد خدم المسرح الألمانى من غير شك . فهذان هما أشهر مؤلفين واقعيين ظهرا فى ألمانيا فى تلك الفترة من فترات الانتقال الهامة هناك . على أن الحركة الواقعية لم تلبث أن انكمشت ثم أخذت تختفى جميع المسارح الألمانية ، وحلت محلها الدرامة الغامضة الرمزية المجازية . وقد سبقت النمسا كعادتها جميع الشعوب الجرمانية ، ولا سيما شمالى ألمانيا إلى الأخذ بهذا النوع الجديد من الروايات الرمزية ، حيث ظهر فيها مؤلفون أحيوا درامات القطولة القـديمة التى اشتهرت فى المسرح الفرنسى فى القرن السابع عشر مع فارق واحد ، هو أن أبطال هذه الدرامات لم تظهر على المسرح الألمانى كأنصاف آلهة منزهة ، ولكن كرجال ونساء ذوى عواطف مشبوبة ولهم مشكلاتهم التى يعرفها

الإنسان في كل زمان ومكان . وهكذا لم يلبث المسرح الألماني أن استقل بأد به عن جميع المسارح الأوربية ، وأصبح له مذهبه الدرامي الخاص الذي يتفرد به بين هـذه المسارح حتى صار في مقدمتها افتناناً من وجهتي الشكل والموضوع ، وحتى صار معهداً دائب الحركة ، محتفظاً بجمهوره المشغوف بكل جديد وبكل شاذ . ولا جرم أن مذهب « التعبيرية Expressionism » قد ينشأ من مذهب الرمزية إن لم يكن هو نفسه هذه الرمزية بعينها ، وربما اضطر إليه المؤلفون ليخفوا وراءه ما أشربت به قلوبهم من فلسفة نيتشة الكفرية ، وذلك اتقاء مجابهة الجمهور المتدين إلى حد ما بأفكارهم الثورية ضد « الشرق » بأديانه وتقاليده ، وضد الضعف الذي شقيت به ألمانيا قبل أن تتوحد ، وليستطيعوا بذلك أن يبثوا فيه تلك النُّعرة الجرمانية التي تدعى أن الألمان هم أقرب الأجناس البشرية إلى « السبرمان » وأنهم أولى الأمم بالتحكم في بقية القافلة الإنسانية ... والدرامة التعبيرية لا تُصرح بأسماء الأعلام في فصولها — أو في مناظرها بتعبير أدق — فلا تسمي أبطالها زيداً أو عمراً أو إدورد أو شرلوت بل تسميهم الرجل الأول والرجل الثاني والخادم والصانع والمرابى والحبيب والحبيبة والقاتل ... الخ وهي في ذلك تشبه الدرامة الأخلاقية Morality التي نسخت الطورين الأولين من أطوار نشوء الدرامة الإنجليزية والفرنسية ، ألا وهما طور الدرامة السمية أو الإنجيلية Mysteries والطور النقابي إذ لا نسمع في الدرامة الأخلاقية أسماء أعلام قط ، بل تحل حلهم أسماء الفضائل المجردة والرذائل المجردة ، فهذا ممثل يمثل الأمانة وذاك ثان يمثل الشر وهذا ثالث يمثل الصدق ، وذاك يمثل الكذب وهكذا

ويأخذ النقاد الإنجليز والفرنسيون على هذه البدعة من بدع الدرامة الألمانية أنها إحياء لمذهب قديم ثبت فساده ، لأن الأسماء المجسمة — أي أسماء الأعلام — أثبت في الذهن من هذه الرموز التي لا تؤثر في الجمهور ، حتى ولا في الخاصة ، كما تثبت وتؤثر أسماء الأعلام ... فشخصيات هملت وعطيل وشيلوك وروميو ولير وطرطوف وما إليها من الشخصيات الخالدة لم يكن من الممكن أن تكسب هذا الخلود لو سميناها الشباب والغيرة والربا والحب ... الخ أو لو سُمّيت الشاب والأسود واليهودي والعاشق ... الخ

وذلك لأن الرابط التذكري في أسماء الأعلام أقوى منه في الصفات والمصادر . ويتساءل النقاد الذين ذكرنا فيما كانت النقلة من الدرامة الأخلاقية التي لا نذكر فيها أسماء الأعلام والتي استوعبت الطور الثالث من أطوار نشوء الدرامتين الإنجليزية والفرنسية إلى المأساة التي استوعبت الطور الرابع العظيم من تاريخ تلكما الدرامتين ؟ لا بد أن التجربة قد دلت على فساد تلك الرموز التي كانت تطلق على شخصيات الدرامة الأخلاقية ، ولا بد أن الجمهور قد مل هـذا الألغاز الذي لا مسوغ له ولا ضرورة تلجيء إليه ولا خبر يرجى فيه إلا أن يكون وسيلة لذلك الغرض الخفي المستتر الذي أشرنا إليه ، وهو الخوف من مجابهة الجمهور بالحقائق السافرة ، وإيثار اللف والطرق الملتوية على الجادة الواضحة والنهج السوي . ولو فطن مبتدعو المذهب الرمزي — والتعبيري — ممن يدينون بنيتشه ، لآثروا الصراحة على الالتواء ، لأن فيلسوفهم دعا إلى الشجاعة قبل أن يدعو إلى فضيلة أخرى من الفضائل ... وأي شجاعة ، بل أي تهور ، أشد من الدعوة إلى الثورة على الله !

يتساءل هؤلاء النقاد : لم لم ترتفع أية درامة تعبيرية — درامة واحدة — إلى الأفق السامي الذي ارتفعت إليه درامات شيكسبير وبن جونسون وسنج وشو وشريدان وإبسن ومترلنك وشيكوف وموليير وساردو وسارمي وبيراندلو وجاكنتو بينافنت إلى آخر هذا الثبت الحافل العظيم من مؤلفي الدرامة الأوربية الخالدة من غير المؤلفين الرمزيين ؟ ... وهـذا في الواقع سؤال له وجاهته . ويزيد في دلالته على أنه الحق ، أن مسارح المستودعات prepertory ما تزال قائمة في ألمانيا وما تزال تعرض درامات هؤلاء المؤلفين الذين سمينا هنا وغيرهم فيقبل عليها الشعب الألماني إقبالاً عجيباً يترجم عما يكنه هذا الجمهور من النظارة من الشغف بتراث الإنسانية العظيمة النيرة و « لسنا نقول هـذا غضاً لقيمة الدرامة الرمزية في ألمانيا ؛ إذ أن لها جمهورها الراقي المثقف الذي يتألف من خلاصة رجال الفكر الألماني ... إلا أننا نرى أنها ليس مما يلائم جماهير النظارة ممن يقصدون إلى المسارح الشعبية »

دريني خشبة

حكم في القضية ٢٧٣ سنة ١٩٤٣ جنالية العسكرية ضد محجوب أحمد محجوب بحبسه ثلاثة أشهر مع الشغل وتغريمه مائة جنيها والمصادرة ونشر الحكم بجريدتي المباحث القضائية والرسالة وتعليقه ببلدة المتهم والمركز التابع له لمدة شهر لنقله أذرة إلى خارج منطقة مدينة القاهرة بدون ترخيص من وزارة التموين

الخطابة
بين الحرب والسياسة
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تستند الخطابة إلى الإقناع والتأثير ، فلهما سبيلان العقل المقتنع والقلب المتأثر . وهى فى كل أمة وعصر اتخذها الرومان فى دور القضاء وساحات العدل دفاعا عن مظلوم ، أو تبرئة لمتهم ، أو إدانة لمسىء . واتخذها العرب فى الجاهلية سجعاً لكاهن ، أو عدة لواعظ ، أو نصيحة لحكيم . كما فعل قس بن ساعدة الأيادى فى خطبته المروية فى كثير من كتب الأدب . تلك الخطبة التى ذكر الناس فيها بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الفجاج ، والبحار ذات الأمواج . وكما فعل أكثم بن صيفى فى خطبته التى اشتملت على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة

واتخذها الإسلام فى أول أمره نشراً لدعوة وتشجيعاً للجنود المقاتلة ، وتأليفاً للقلوب ، وتذكيراً للغافل ، وتنبيهاً للخامل

وتروج سوق الخطابة فى المنازعات والخصومات عند اختلاف الرأى وتنوع الفكر وتعدد المذاهب ، كما حدث بين العلويين والأمويين والزبيريين والخوارج ، وكما حدث فى انجلترا بين المحافظين والأحرار ، وكما حدث فى أمريكا بين أهل الجنوب وأهل الشمال

ومن الطبيعى أن يظهر عند احتدام الفكر واصطراع الرأى قوتان متعارضتان تمثل كل منهما رأياً معيناً . وهنا يظهر الخطيب فى جانب ، ويبرز فى الجانب المقابل من يبطل دعوته ويبطل حجته . ففى القرن التاسع عشر كان فى انجلترا غلادستون زعيم الأحرار وخطيبهم الذى لا يجارى . وأمامه فى الخصومة بيكونسفلد لسان المحافظين ومدرههم

ولا تجد الخطابة فرصة أكثر صلاحا لها وأحسن ملاءمة من الثورات العنيفة والتيارات القوية الشديدة . وقد تصنع الأقوال فى خلال الثورات مالا تصنع الفعال . وأصدق شاهد على ذلك ثورة المجر فى منتصف القرن التاسع عشر . فقد كمت النمسا الأفواه وألجمت الألسن إلا لساناً واحداً تأبى على القيد وامتنع على المقاومة ؛ هو لسان كوشوت الزعيم المجرى ؛ فرحل عن وطنه مجاهداً فى سبيله بجنان فتى ولسان عضب قوى ، فأكرمت انجلترا وفادته ، كما أحسنت أمريكا ضيافته . فكان فيهما حر اللسان طلق البيان ، حلو العبارة صريح الإشارة . وأقام متنقلاً بين الأمتين زماناً أسمع الشعوب الحرة خلاله صوت أمته المهضومة وبلاده المظلومة . ولم يطل على الأمة المجرية أمر الكفاح حتى استعادت قوتها واستردت حقوقها ، وأصبحت شريكة فى مملكة النمسا والمجر

وقد تساعد الثورات نفسها على تقدير خطباء لم يتح لهم من مواهب الخطابة ما يسمو بهم إلى مراتب التقدير . فهذا كرومويل زعيم الثورة الإنجليزية فى عصر الملك تشارلس الأول ملك انجلترا . كرومويل هذا كان ناثراً أكثر منه خطيباً . إلا أن روح الثورة واتجاهها وعنفها جعلته من الخطابة فى المحل الأول . وجعلت الشعب يجد فى الاستماع إليه لذة وميلاً . مع أن كارليل الناقد المشهور يقول عنه فى إحدى مقالاته : « إن خطب كرومويل لا تجرى على أساليب صحيحة من البلاغة أو قواعد مرتبة من التفكير المنطقى . فهى تخالف كل أسلوب معروف فى الخطابة إلا أنها أتيح لها من الشأن فى حينها ما لا يقل شأناً عن خطب ديموستين فى أثينا »

وقد تتمخض بعض الثورات العنيفة عن زعماء يؤثرون العمل على الكلام أو يفضلون النضال على المقال وطعن السنان على وخز اللسان . والثورة الفرنسية أصدق دليل على ما نقول . فلقد كان من زعمائها دنتون وروبسبير ومارا الذين ضج الناس مما سفكوا من دم وأزهقوا من روح . وكانوا يعتمدون فى الثورة على القتل أخذاً بالظنة ورمياً بالشبهة ؛ حتى شك الناس فى أخيرهم مارا ورموه بالتهم فدافع فى إحدى خطبه عن نفسه . إلا أن ذلك لم يجد عليه فقتلته فتاة فى الحمام وأراحت الناس من شره

ولقد قالوا إن الأمة العربية لم تنكب بخطيب مثل الحجاج ابن يوسف الثقفى فى حبه لسفك الدماء وإذلال النفوس وإرادتها على القسر والإرغام ، وفى شراسة الطبع وغلظ الكبد . وهذا كلام ينطبق على مارا فى الأمة الفرنسية ، وفرق ما بينهما أن الثقفى كان يرتكب جرائمه باسم الاستبداد ، ومارا الفرنسى كان يرتكبها مع صاحبه باسم القانون

والخطيب السياسى يعتمد على الشجاعة والجرأة الأدبية فى كل ما يصدر عنه ، سواء أكان حاضاً على ثورة أم حاثاً على جهاد

أم مدافعاً عن رأى ، أو مبطلاً لبعض الرأى . ولقد تتحرج أمام الخطيب السياسى الساعات ويحزب الأمر فلا يزيده ذلك إلا شجاعة وجراءة وإليكم مثالين :

١ — وقف الحجاج على منبر الكوفة فقال: « والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل »

٢ — ووقف مارا الفرنسى يدفع عن نفسه بعض التهم التى جزاؤها الإعدام فقال في شجاعة نادرة لهيئة القضاة التى تحاكمه : « لقد كان هذا رأيى يعرفه من اتصل بى أو قرأ لى ، ولقد كنت أصدر الآراء مشفوعة بتوقيعى ، مصحوبة بإقرارى . وما أنا ممن يخشون الجهر بآرائهم . وإذا كنتم أنتم لا تفهمون ذلك ولا تعرفونه منى فتباً لكم وسحقاً »

وإذا اقترنت شجاعة الخطيب الأدبية بحسن القريحة وسرعة البديهة وحلاوة النادرة كان ذلك أوقع فى نفوس السامعين وأشد تأثيراً فيهم . وللمستر لويد جورج الخطيب الإنجليزى المشهور فى ذلك الميدان مجال أى مجال

حدثوا أنه كان يخطب مرة فى الحكم الذاتى فقال : سنعطى الحكم الذاتى لكندا وسنعطيه لإرلندا وسنعطيه لـ ... ولم يكد يكملها حتى قال رجل من السامعين ... لجهنم فرد عليه لويد جورج قائلاً : هو ذاك . يعجبنى أن يتذكر كل إنسان وطنه

وقد يكون فى بعض السامعين للخطباء من يغمزهم بكلام أو يتعرض لهم بملام . وهنا تظهر مقدرة الخطيب على سرعة الرد وحسن الدفاع ومواتاة الجواب . فقد حدثوا أنه وفد جماعة من العرب على كسرى وفيهم من السادة الخطباء من انتهى إليه الشرف وبلغ السيادة فى قومه والمنزلة فى قبيلته . وأخذ كل منهم يتكلم بما يعرف لأبانة ما للعرب من فضيلة . حتى انتهى الدور إلى الحارث بن ظالم فأجاد الكلام وأحسن الدفاع . فقال له كسرى : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن ظالم . قال كسرى : إن فى أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر ! قال الحارث : إن فى الحق مغضبة ، والسرو التغافل . ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة . فلتشبه أفعالك مجلسك

وخطب الوفود هذه من الخطب السياسية التى لا يغفل شأنها . وقديماً استعملها النعمان بن المنذر ليدفع عن العرب ما رماهم به كسرى وما تجناه عليهم ، وليعلمه أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . فاختار جماعة من خيارهم فيهم أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة والحارث بن عباد وقيس بن مسعود والحارث ابن ظالم . فتكلموا ودفعوا عن مآثر صالحات ، وحموا عن نسب صحيح

وكان الروم والهند والصين يفدون على كسرى وفيهم الخطباء المصاقع فيذكرون من بلادهم ما يدخل اليوم فى باب الدعاية السياسية . ولا شك أن هؤلاء الرسل كانوا يختارون من أحسن الناس كلاماً وإلا ضاعت الحكمة من إيفادهم وذهبت المزية من اختيارهم

والخطابة تروج فى زمن الحروب وتصادف من الآذان سمعاً واستجابة . وسيسجل تاريخ الحرب الحالية أسماء صفوة من الخطباء من أنصار الديمقراطية ومن أعدائها . وكم يكون الأدب سعيداً لو أن هؤلاء الخطباء أنجبتهم ظلال السلامة ومنابت الأمن والطمأنينة . ألا إن الدفاع عن الحرية يتطلب دائماً ثمناً غالياً .

وقد يكون القائد المحارب نفسه خطيباً مفوهاً ومتكلماً فصيحاً ؛ فيمسك قائم سيفه بيده ولسانه بفمه يحض الجنود على القتال ويشجعهم على المصابرة كما فعل خالد بن الوليد فى معركة أجنادين بين الروم والعرب حين قال فيما قال : (اقرنوا المناكب ، وقدموا المضارب ، ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ، ولتكن السهام مجتمعة إذا خرجت من القسى كأنها تخرج من كبد قوس واحدة . فإنه إذا تلاحقت السهام رشقاً كالجراد لم يخل أن يكون فيها سهم صائب)

أو كما فعل طارق بن زياد حين عبر العدوة من الأندلس وبلغه دنو (الذريق) نخطب خطبته المشهورة التى أولها (أيها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر)

ومن الخطب السياسية خطب الفتوح وتلقى عادة عند إتمام فتح أو إكمال غزو . والغرض منها بالطبع الدعوة للفاتح الجديد وتهنئته وإدخال الناس فى طاعته . وضمهم إلى حوزته . وأشهر الخطب من ذلك النوع خطبة القاضى محيى الدين بن على المعروف بابن الزكى التى ألقاها فى مسجد القدس مهنئاً صلاح الدين بأخذ بيت القدس من الصليبيين . وهى خطبة تاريخية طويلة تمتاز بقوة عبارتها ألا إن السجع يفشو فيها جريا على طريقة عصرهم وأسلوب زمانهم

وهناك طائفة من الخلفاء تغلب الصنعة الخطابية عليهم ؛ فلقد كان الخلفاء الراشدون خطباء فصحاء كما كان معاوية وعمر بن عبد العزيز الأمويان والمنصور المهدى والرشيد العباسيون

وقد يجتمع الشعر والخطابة فى واحد كما كان ذلك عند العرب فى قطرى بن الفجاءة شاعر الخوارج وخطيبهم وعلى ابن أبى طالب . وعند الفرنجة فى لامارتين وفكتور هوجو . ومن الوزراء الخطباء وليم بت واللورد جون رسل أكبر زعماء الأحرار فى القرن التاسع عشر ، وغلادستون ، ولويد جورج وتشرشل

ولا بد للخطيب على كل حال من الصوت الحسن وحلاوة الألقاب وحسن النغم . وممن أوتوا تلك الموهبة جون برايت الإنجليزى مناصر غلادستون ، وأنجرسول الأمريكى الذى كان يستهوى سامعيه بحسن إيقاعه وحلاوة صوته ؛ وغلادستون الذى له فى السياسة الإنجليزية فى القرن التاسع عشر مواقف مأثورة .

محمد عبد الغنى حسن

أدباء عالميون

١ – موريس ماترلنك

للأستاذ صلاح الدين المنجد



ماترلنك من الأدباء الذين فتنوا بآثارهم القلوب ولذّوا العقول ، بلغ من شأنه أن خصّ بآثاره نهاد المئة من الدراسات الطوال

الجياد فى لغات مختلفات . فقد أوتيت آراؤه من الأصالة والواقعية والخيال ما جعلها تأسر وتعجب ، فهى سحر من السحر لا يقاومه إنسان

ولد ماترلنك فى « غاند » من أسرة فلامندية . فنشدا طرفاً من العلم على الآباء اليسوعيين . وكان له هوى شديد إلى القراءة فكان لا يدع كتاباً وقع بين يديه حتى يفرغ منه ، غير آبه بموضوعه ، ولاحافل بجودته وغثاثته . ولم يستطع الآباء اليسوعيون أن يؤثروا فيه فنشأ عزوفاً عن الدين ضعيف الإيمان . فلما فرغ من دراسة الإنسانيات ، انصرف إلى دراسة القانون ، لا رغبة منه فيه ، ولكن ابتغاء مرضاة ذويه . على أنه لم يرافع أمام المحاكم إلا مرات معدودات . ثم صدف عن القانون ويمم وجهه إلى باريس (١٨٨٦) فأقام بها وعرف أدباءها . فاجتمع « بسان بول رو Saint Pol Roux » و « كيار Quillard » و « إفرام ميكائيل Ephraïm Mikhaël » ، واستطاع « ڤيلير دُليل آدام Villiers de l'Isle Adam » أن يملك قلب هذا الفلمندى الشاب بقوة شخصيته وخصب قريحته . وكان ڤيلير من أدباء المذهب الرمزى ، فنحا ماترلنك نحوه ، ونشر فى مجلة « البلياد Pleïade » قصة سماها « مذبحة الأبرياء » فأعجب بها الناس ، وتطلعوا إلى هذا الأديب الجديد

وقضى ماترلنك فى باريس سبعة شهور ، ثم مضى إلى الفلاندر فكان يقطع الشتاء فى « غاند » ربع ميلاده ، والصيف فى « أوستاكر Ostacker » فى مزرعة ريفية ، حيث يعنى بغرس الأزاهر وتربية النحل ، وهو يصف لنا حياته فيها بصفحات ممتعات من كتابه « حياة النحل Vie des abeilles » ويظهر أثر الطبيعة الفنانة فى تأريث وحيه الأدبي

أخذ يكتب ماترلنك لمجلة بلجيكا الفتاة La Jeune Belgique فنشر فيها مأساته الأولى « الأميرة مالين Princesse Maleine » ولم تثر هذه المأساة اهتمام الناس ، عند نشرها ، حتى أتيح لها ناقد ينقدها ، وإذا بماترلنك يسمو إلى ذروة المجد ، وإذا بصيته يذيع وبشهرته تستفيض . فلقد كتب عنها آنئذ الروائى أوكتاف ميربو Octave Mirbeau هذا الهجاء اللاذع ، والأديب الذى أخرج أروع المآسى الحديثة . رأى ميربو ما فى مأساة ماترلنك من جمال وكمال ، فتكلم عليها بمقال ظهر فى « الفيغارو » سنة ١٨٩٠

وما ظهرت المقالة حتى تردد اسم ماترلنك ، وإذا بالناس يقبلون على مأساته يقرأونها ويناقشونها ، ويجعلون كاتبها من العباقرة الخالدين .

لقد كتب ميربو يومئذ يقول : « وما أدرى إن كان هذا المؤلف شيخاً أم شاباً ، غنياً أم فقيراً ، ولكنى أعلم أن ليس بين الأدباء رجل مغمور مثله ، وأعلم أنه أتى بمأساة رائعة ، تضمن له الخلود ، وتضمن له إعجاب أولئك الذين يتتبعون الجمال ، وأعلم أنه أخرج لهم مأساة فتانة كتلك التى يحلم بها الفنانون الملهمون فى ساعات الحماسة ، وكالتى لم يكتب أحد مثلها حتى اليوم . لقد قدّم لنا موريس ماترلنك أعظم أثر عبقرى فى زماننا ، لا أغالى إذا قلت إنه يسمو فى جماله على ما فى آثار شكسبير من جمال ، هذه المأساة ، هذا الأثر يسمى « الأميرة مالين » ، فهل فى هذا العالم عشرون رجلاً يعرفها ... ؟ »

ولم يصرف هذا النجاح المتألق ماترلنك ، عن طريقه التى سار فيها ، وشمر بدافع يدفعه نحو الصوفية ... ودأب على إصدار درامات طريفات ، ليس فى أدب من آداب الأمم مثلها ، وسنلخصها ونبين ما فيها من سحر وجمال

ولا بد من الإشارة قبل المضى فى تحليل آثار ماترلنك ، إلى أن قليلاً من الكتاب مَنْ يستطيع أن يجارى ماترلنك فى سلاسة أسلوبه وصفائه ، وخصوبة ألفاظه وبراعته ، وسحر الجو الذى يحيط به دراماته . وقد يكون من العسير أن أبين لك صفات الأشخاص نفسها ، فهى مخلوقات ، فوق المخلوقات البشرية extra humaines لا تحس إحساسنا ولا تشعر بما نشعر به من عواطف دنيا . بل تهزها أبداً عواطف نبيلة سامية ، أكثر رفعة ، وأكثر صفاء من العواطف التى تغمرنا . ومع ذلك فإنك لترى ألفاظاً عميقة تصف هذه العواطف النبيلة لا تجدها عند غيره . ولقد استطاع أن يصور الحب والقلق والحسد والألم والرعب والطمأنينة بما لم يصفه بها أحد . وهو فى أكثر دراماته يحاول أن يبين تلك القوى العلوية التى تؤثر فى مصيرنا وأعمالنا وحياتنا ، وهو لا ينصح ولا يدعو إلى الأخلاق ... عمداً ، فقد يضحّى من أراد ذلك بجمال المأساة أو القصيدة الفنى » ولكن ما على الشاعر أو الأديب من حرج إذا أوصلنا إلى حقائق أخلاقية مقبولة دون أن يُفقِد القصيدة شيئاً من زينتها فى شكلها وفكرتها »

وإذن ، فنحن إلى جانب عنايتنا بتبيان الناحية الفنية فى آثار ماترلنك سنعنى بتبيان آرائه الفلسفية التى يسوقها عن تلك القوى العلوية ، عن العالم المجهول .

* * *

كانت أولى دراماته ، كما ذكرنا ، الأميرة مالين . فهى التى دفعت به إلى قمة المجد ، بعد أن كتب عنها ميربو ما كتب . فى هذه الدرامة تشعر بجو غريب لا عهد لك به ... بلاد واسعة لا نهاية لها ، تحسبها فى آن واحد ، بلاداً خرافية ، وحقيقية ... وفيها يدع ماترلنك الإنسان والطبيعة يقدمان الأدلة على الشك فى قوتهما وضعف إرادتهما ، وعبوديتهما . فى هذه البلاد ، ترى بحيرات راكدة محاطة بالغابات ، وقصوراً شماً ذات دهاليز مظلمات ، وأقبية سوداً مخيفات ؛ وترى بروجاً مهدمة تريد أن تنقض تحت ثقل القرون الطوال . وترى حدائق غُلباً لا تطأها قدم إنسان ، وقد ألفها الحزن والظلام . هذه القصور التى تجثم فوقها ذكرى الجرائم الخاليات ، والآلام الدائمات ، هى فى آن واحد عظيمة وحقيرة ، مأهولة ومقفرة . يروع أهلها ذات يوم خوف شديد ، فيجتمع شبانها وشيوخها يتبادلون الرأى ، ويبحثون فى الأمر ويتحاورون محاورات يظهر فيها ماترلنك البعد الساحق بين هؤلاء وهؤلاء فى أفكارهم وأعمالهم ومصائرهم

ويبقى القارىء فى جو غامض لا يدرى أنى يخرجْ منه . وفجأة تبرز له المشكلة التى بنيت عليها الدرامة . لقد وقف الموت : هذه القوة التى لا ترى أمام الحب والسعادة ، لأن هذه القوة الفاجعة ، تبغض هذه السعادات ؛ هى تبغض الحب ، والأمن والهدوء ، فهى أبداً تسعى لتهديمها . وهنا يظهر ماترلنك متشائماً ، فأى سعادة ترجيها والموت حيال عينيك لا يزول ؟

والحق أنه ليس أدعى إلى التشاؤم واليأس من قدر مالين . لقد كانت تحب . وكانت تُحَب . لقد سميت على ولى العهد ؛ حبيبها وخطيبها . ولكنها ، وهى فى فوران الهناءة والسرور ، تسمع بخيانة خطيبها ؛ فتجن وتموت بالخناق دون أن تتثبت مما سمعت ؛ ويعلم خطيبها « هجالمار » بما فعلت حبيبته فينتحر

والفكرة بسيطة كما رأيت ؛ ولكن ماترلنك يوقظ فيك وأنت تقرأها أدق المشاعر ، وأخص العواطف ؛ ويؤثر فيك تأثيراً بالغاً . وهى لعمرى درامة شكسبيرية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى

(للبحث بقية — دمشق) صموح الاديب المجيد

٤ - الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

أين الفرق بين الإدراك والحلم ؟

ما هو النوم ؟ إنى لا أتساءل طبعاً ما هى الشروط الجسمية للنوم - هذا أمر يبت فيه الأطباء ولم يفصل فيه بعد . أتساءل كيف يجب أن نتصور الحالة النفسية لرجل نائم لأن النفس تستمر فى العمل أثناء النوم . فالنفس - كما سبق أن ذكرنا - نائمة كانت أو يقظة ، تربط الإحساسات بالذكريات التى تدعوها - وآلية العمليتين تبدو واحدة فى الحالتين : حالة اليقظة وحالة النوم - ولكن يوجد الإدراك الطبيعى من جهة والحلم من جهة أخرى - فآلية العملية لا تقوم بنفس العمل فى الحالتين ، فأين الفرق إذاً ؟ ما هى الميزة النفسية للنوم ؟

دعونا ، لا نثق كثيراً بالنظريات . يقولون إن النوم عبارة عن انفراد عن العالم الخارجى ، ولكننا بينا أن النوم لا يمنع الحواس تماماً من التأثيرات الخارجية ، لكنه يستمد منها مادة الكثير من الأحلام . ثم بينا أن وظائف العقل السامية أثناء النوم تستريح ويتسبب عن ذلك توقف فى التعقل . لا أظن أن الأمر كذلك . إننا أثناء الحلم نصبح غير مكترثين بقوانين المنطق ؛ ولكننا لا نكون عاجزين عن كل منطق ، وأكثر من ذلك ، وهنا أخشى أن أدهشكم ، أن ذنب النائم هو أنه يعقل أكثر من اللازم . والنائم يتجنب المحال إذا كان مجرد مشاهد لاستعراض رؤياه - ولكنه عندما يريد ، بقدر المستطاع أن يعبر عنها ، يكون منطقه المخصص لربط الصور المبعثرة بعضها ببعض غير قادر إلا على تقليد منطق العقل ، ويتلمس حينئذ المحال . نعم إن وظائف العقل السامية تنحل أثناء النوم ؛ وإن ملكة التعقل تلهو أحياناً بتقليد التعقل الطبيعى ولو لم تشجعها على ذلك الصور المتماسكة . ويمكننا أن نعمم هذا القول فيما يخص الملكات الأخرى . إننا لا نعلل الحلم بانعدام التعقل ولا بإغلاق الحواس ولنترك جانب النظريات ونتصل مباشرة بالواقع

يجب أن نقوم باختبار حاسم فى أنفسنا . عندما نخرج من الحلم سنراقب انتقالنا من حالة النوم إلى حالة اليقظة ، إذ أننا لا نستطيع أن نحلل حالتنا أثناء الحلم نفسه . ولنتتبع هذا الانتقال بقدر المستطاع - لنوجه التفاتنا إلى حالة عدم انتباه عندنا ، ولنأخذ على غرة الحالة النفسية لإنسان لم يزل نائماً ، ولكنه فى طريق اليقظة . نعم إن هذا العمل عسير ولكنه ليس بالمستحيل لمن مرن نفسه عليه بكل صبر . اسمحوا لى أن أقص عليكم حلماً من أحلامى وأقول لكم ماذا ظننت عند ما استيقظت . ظننت أنى على منبر أخاطب حشداً من الناس ، فصمدت تمتمة مبهمة من مؤخرة المستمعين ، ثم أخذت فى الوضوح ؛ وأصبحت رعداً ، ثم نباحاً ، ثم ضجيجاً فظيعاً - ثم دوى من كل جانب وعلى وتيرة منظمة صراخ يقول : إلى الباب إلى الباب . استيقظت فجأة عندئذ - وكان كلب ينبح فى الحديقة المجاورة ، وكلما كان يعوى كان الصراخ القائل : إلى الباب يمتزج بكل عوية من عواء الكلب - هذه هى اللحظة التى يجب انتهازها . فشخصية اليقظة التى ظهرت الآن تتحول نحو شخصية الحلم التى لم تزل موجودة وتقول لها : « أقبض عليك متلبسة بجرمك ؛ تظهرين لى حشداً يصرخ وليس هناك إلا كلب يعوى ! لا تحاولى الهروب . إنى قابضة عليك . ستدلين لى بسرك وأمرك - ستدعيننى أرى ماذا كنت تصنعين » وشخصية الحلم تجيب قائلة : أنظرى ! إنى لم أكن أفعل شيئاً ؛ ولأجل ذلك كانت شخصيتانا مختلفتين ، فتقول لها شخصية اليقظة : أتظنين أنك لا تفعلين شيئاً وأنا أسمع كلباً ينبح وأفهم أن من ينبح هو كلب ؟ إنه لضلال مبين ... أنت تبذلين مجهوداً كبيراً بدون أن تشعرى بذلك - يجب أن تجمعى كل ذاكرتك وكل تجاربك المتراكمة وتقوديها بواسطة حصر مفاجىء حتى لا تقدم للصوت الذى تسمعينه سوى جزء من هذه الذاكرة أعنى الذكرى التى تكون أكثر شبهاً بهذا الإحساس والتى يمكنها أن تعبر عنه أحسن تعبير : فحينئذ تغطى الذكرى الإحساس . ثم يجب أن تكون هناك الموافقة التامة حيث لا يترك أى فرق بين الذكرى والإحساس (وإلا فستكونين فى حالة حلم) .

لا يمكنك أن تضمن هذه المطابقة وهذه الموافقة التامة إلا بواسطة الانتباه أو بالأحرى بواسطة مجهود مشترك من قبل الإحساس والذاكرة . هكذا يفعل الخياط عندما يجرب لك رداء قصه فقط ، فهو يضع الدبابيس ويشد بقدر الإمكان القماش على

الجسم حتى ينسجم عليه تماماً . وحياتك فى حالة اليقظة هى حياة عمل وإن ظننت أنك لا تعملين شيئاً . وذلك لأنه يجب عليك فى كل لحظة أن تختارى وأن تعزلى . إنك تختارين بين إحساساتك لأنك تبعدين عن الوجدان آلاف الإحساسات الشخصية التى تعود إلى الظهور حينما تنامين . إنك تختارين بكل دقة وتأن من بين ذكرياتك بما أنك تبعدين كل ذكرى لا تنسجم وحالتك الحاضرة . هذا الاختيار الذى تقومين به بلا انقطاع ، وهذه المطابقة (بين الذكريات والحالة الحاضرة) المستمرة والدائمة التجدد هما الشرط الأساسى لما يسمونه الصواب . ولكن المطابقة والاختيار يجعلانك فى حالة إجهاد غير منقطع أنت لا تشعرين به فى الحال كما أنك لا تشعرين بالضغط الجوى ولكنك تتعبين إذا ما طال . والصواب متعب جداً

« لقد قلت لك توا : إنى أتميز عنك لأنى لا أفعل شيئاً . والمجهود الذى تبذلينه بدون انقطاع أنا أمتنع فقط عن بذله . أنت تتمسكين بالحياة وأنا أنفصل عنها . لم أعد أكترث بشىء ، ولا أهتم بشىء . النوم عدم اهتمام ونحن نيام بقدر ما نكون غير مبالين . الأم النائمة بجانب طفلها يمكنها ألا تسمع قصف الرعد ، بينما تنهدة واحدة من تنهدات طفلها توقظها . فهل كانت غافلة (نائمة) حقاً بالنسبة لطفلها ؟ إننا لا نغفل عما يزال يهمنا

« تسألينني عما أفعل عند ما أحلم ؟ سأقول لك ماذا تفعلين أنت أثناء اليقظة . تأخذينني أنا شخصية الأحلام ، أنا مجموعة ماضيك وتقودينني ، مضيقة على الخناق ، حتى تحصريني داخل الدائرة الضيقة التى تخطينها حول عملك الحالى ، هذه هى حالة اليقظة : الحياة النفسية الطبيعية ، الجهاد ، الإرادة . أما الحلم فهل أنت بحاجة لأن أعبر لك عنه ؟ إنها الحالة التى تلاقين فيها نفسك فى حالتها الطبيعية عند ما تتركيها على غاربها ، عند ما تهملين حصرها فى نقطة واحدة ، عند ما تكف الإرادة عن العمل . وإذا ألححت أو أصررت فى طلب شرح أى شىء فسلى كيف تعمل إرادتك فى أى وقت من أوقات اليقظة حتى يمكنها أن تحصر كل تحمله فيك فى نقطة واحدة تهمك وذلك بدون أن تشعرى واسألى فجأة حينئذ حالتك النفسية وقت اليقظة ، ووظيفتها الأساسية أن تجيبك لأن اليقظة والإرادة شىء واحد »

هذا ما تقوله شخصية الأحلام ، وإنها لتقص علينا أشياء أخرى كثيرة إذا تركنا لها المجال لذلك . لكن لقد حان الوقت للوصول إلى نتيجة . ما هو الفرق الجوهرى بين الحلم واليقظة ؟ سنلخص ما سبق قائلين إن القوى نفسها تعمل سواء كنا فى حالة اليقظة أو فى حالة الحلم . فقط فى الحالة الأولى تكون هذه القوى منحصرة وفى الحالة الثانية تكون منطلقة

الحلم هو الحياة العقلية بأكلها ينقصها مجهود الحصر . فلا نزال ندرك ولا نزال نتذكر ولا نزال نعقل . والحالم يمكنه أن يدرك ويتذكر ويعقل كثيراً . والإكثار فى هذه العمليات لا يعنى أن النفس تبذل مجهوداً لأن ما يتطلب المجهود إنما هو الدقة والتأنى فى الانسجام . فنحن لا نعمل شيئاً ولا نبذل أى مجهود ليرتبط نباح الكلب صدفة بذكرى حشد متضجر ، ولكن يجب بذل مجهود فعلى حتى يتصل هذا النباح بذكرى نباح الكلب وحتى يمكننا التعبير عنه أنه فعلاً نباح . ولكن لم نبق عند الحالم أى قوة لبذل هذا المجهود ، فبذلك وبذلك فقط يتميز الحالم عن اليقظان

هذا هو الفرق ونحن نعبر عنه بطرق مختلفة . وإنى سأتجنب التفصيلات ؛ فقط ألفت نظركم إلى نقطتين أو ثلاث وهى : عدم استقرار الحلم ، والسرعة التى يمكنه أن يسرد بها ، والأفضلية التى يعطيها للذكريات التافهة

من السهل التعبير عن عدم الاستقرار ، إذ أن الحلم من خاصيته ألا يجعل الإحساس ينطوى تماماً على الذكرى ، بل يترك فى ذلك مجالاً للعب ، فعليه يمكن لذكريات مختلفة تمام الاختلاف أن تنطبق على الحلم . إليك مثلا بقعة خضراء منتشرة عليها نقط بيضاء ، وذلك فى حقل البصر — فيمكنها أن تحقق ذكرى جزء مزدهر فى حديقة أو ذكرى مائدة لعب الكرات مع كراتها ، أو أشياء أخرى كثيرة . وجميع الذكريات تريد أن تعود إلى الحياة فى هذا الإحساس وكلها تعدو وراءه . ففى بعض الأحيان تبلغه الواحدة تلو الأخرى ، والجزء المزدهر فى الحديقة يصبح مائدة لعب الكرات ، ونشاهد حينئذ تطورات مدهشة . وفى بعض الأحيان تبلغه جميعها فيصير الجزء المزدهر مائدة لعب الكرات ، ويحاول الحالم أن يرفع عنه هذا التناقض بواسطة تفكير يزيد فى دهشته

(البقية فى العدد القادم)

ألبير نادر

المؤلفات العربية القديمة
وما طبع منها فى سنة ١٩٤٢
للأستاذ كوركيس عواد

فى غير موطن من هذه المجلة[1] ، نشرنا قوائم بالتصانيف العربية القديمة التى طبعت فى السنوات ١٩٣٩ و ١٩٤٠ و ١٩٤١ مما كنا وقفنا عليه بالذات أو ما كان اتصل بنا خبره . وها نحن أولاء نواصل ما بدأنا به سابقاً ، مع علمنا بصعوبة إدراك ما نتمناه فى هذه السبيل وهو الوقوف على كل ما يطبع منها وحصره حصراً تاماً . ولعل ذلك التقصير راجع فى أغلبه إلى الظرف الذى يلابسنا ، فقد تعسر فيه سير البريد بين بعض الأقطار وتعذر فى غيرها ، ذلك بعد أن كان فيما مضى من أيام السلم مضرب المثل فى انتظامه وسرعته

وعلى كل حال ، فإننا نذكر فيما يلى ما انتهى إلينا من مطبوعات سنة ١٩٤٢ ، ثم نردفها ببعض المستدركات على مطبوعات سنة ١٩٤١ ، متبعين فى سياقتها الترتيب الهجائى لعناوين الكتب ، شأننا فيما فعلناه فى القوائم السالفة .

أولا : مطبوعات سنة ١٩٤٢

١ — الأشباه والنظائر فى النحو لجلال الدين السيوطى ، المتوفى سنة ٩١١هـ . نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد فى أربعة مجلدات ، صحائفها على التوالى ٣٤٠ و ٣٣٤ و٣٠٣ و ٢٥٣

٢ — الأفعال : لأبى القاسم على بن جعفر السعدى اللغوى المعروف بابن القطاع الصقلى المولد ، المتوفى بمصر فى سنة ٥١٥ وقيل ٥١٤ هـ نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد . ظهر منه مجلدان (٣٩٨ و ٤٩١ ص) فيهما ذكر الأفعال المبدوءة بالهمزة فالباء إلى الفاء . وسيظهر المجلد الثالث وبه يكون تمام الكتاب

٣ — الألحان واختلاف الناس فيه : هو قسم من كتاب الياقوتة الثانية فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ . نقله إلى الإنكليزية[1] المستشرق فارمر (H. G. Farmer) وطبعه فى مدينة برسدن باسكتلندة ضمن المجموع الموسيقى الموسوم

Collection of Oriental Writers on Music (Vol. 5 ; 27 p.)

وقد ظهرت هذه الرسالة أولاً فى المجلة الأسيوية البريطانية[2]

٤ — الإمتاع والمؤانسة : لأبى حيان التوحيدى ، المتوفى بعد سنة ٤٠٠ هـ الجزء الثانى ، صححه وضبطه وشرح غريبه الأستاذان أحمد أمين بك وأحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ٢٠٥ + ٢٦ ص) الجزء الأول صدر سنة ١٩٣٩ [3]

٥ — بلاغات النساء وطرائف كلامهن ومُلَح نوادرهن وأخبار ذوات الرأى منهن وأشعارهن فى الجاهلية وصدر الإسلام : لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور ، المتوفى سنة (٢٨٠ هـ) . نشرته المكتبة الرتضوية ومطبعتها الحيدرية فى النجف فى ٢٢٦ صفحة

٦ — التاريخ الكبير : للامام البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ . القسم الثانى من الجزء الرابع ، نشرته دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد فى ٤٦٥ ÷ ١٩ ص . وفيه تراجم رجال الحديث من باب « مدرك » إلى باب « يونس » . القسم الأول من الجزء الرابع ظهر سنة ١٩٤١ ولم يطبع شىء مما قبله

٧ — التصوير عند العرب : للمغفور له العلامة أحمد باشا تيمور ، المتوفى سنة ١٣٤٧هـ . أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكى محمد حسن (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٥ ÷ ٣٢٤ص منها ١١٤ ص للمتن الأصلى والباقى للناشر . والكتاب مزدان بصور عديدة

٨ — تفسير سفر هُوشع (أحد أسفار التوراة) . تأليف

---

(١) الرسالة فى أعدادها ٣٥٤ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٥١ و ٤٧١

(١) يرى المتن العربى فى طبعات العقد الفريد . وقد اعتمد فارمر فى رسالته على طبعة القاهرة سنة ١٣٠٥هـ (٣ : ١٧٦ وما بعدها)

(٢) Journal of the Royal Asiatic Society, 1941—42

(٣) لقى هذا الكتاب عناية الكتبة والباحثين وإقبالهم عليه . وقد نشر غير واحد منهم فصولا ونبذا فى تقريظه ونقده وأهم ما نشروه يرى فى « الرسالة » و « المقتطف » و « مجلة المجمع العلمى العربى »

يافث بن علىّ القرّائى (من أهل المائة العاشرة للميلاد) نشره المستشرق برنبام P. Birnbaum مستنداً إلى ثمانى نسخ خطية لهذا الكتاب ، ومضيفاً إليه تعليقات ومقدمة بالإنكليزية . (فيلادلفية « الولايات المتحدة » ٦٢ + ٢٧٤ ص)

٩ — الجرح والتعديل : لأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، الجزء الثالث ، نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، فى قسمين صحائفهما ٤٣٥ و ٣٤٠ . أما سائر الأجزاء فلم تطبع

١٠ — ديوان أبى تمام : لأبى تمام الطائى الشاعر المشهور ، المتوفى سنة ٢٢٨ هـ . باب الهمزة منه ، شرحه ودرسه الأستاذ أحمد عثمان عبد المجيد (طبع فى القاهرة)

١١ — رسالة فى اتصال العقل بالإنسان : لابن باجة الفيلسوف الأندلسى الشهير ، المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ، خاطب بها بعض إخوانه . نشرها المستشرق أسين بلاثيوس Miguel Asin Palacios فى مجلة الأندلس الإسبانية ; Al-Andalus, VII, 1942 pp. 1—47 بعنوان :

Tratado de Avenpace sobre la union de intelecto con el hombre

١٢ — السلوك لمعرفة دول الملوك : لتقى الدين المقريزى ، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ القسم الثانى من الجزء الثانى ، عنى بتحقيقه الدكتور محمد مصطفى زيادة على غرار الأجزاء السابقة . وهو يشتمل على بقية عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ٢٥٠ ص)

١٣ — ضوء الصباح فى مدح الوزير عبد الفتاح : وهو ديوان شعر محمد بن مصطفى الغلامى الموصلى (من أبناء المائة الثانية عشرة للهجرة) ، أهداه إلى الوزير عبد الفتاح باشا بن إسماعيل باشا الجليلى سنة ١١٨٣ هـ ، نشره الأستاذ محمد رءوف الغلامى فى آخر كتاب « العلم السامى فى ترجمة الشيخ محمد الغلامى » (مطبعة أم الربيعين بالموصل الصفحة ٢٩٨ ـ ٣٦٠)

١٤ — علم البيان : رسالة صغيرة كتب على غلافها أنها « تأليف العلامة أبى بكر » نشرها الأستاذ عبد المجيد اللا . (مطبعة الفرات ، بغداد ٣٢ ص)

١٥ — كتاب الكنى : هو جزء من التاريخ الكبير للامام للبخارى (٢٥٦ هـ) نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد فى ٩٨ صفحة

١٦ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : لجلال الدين السيوطى ، المتوفى سنة ٩١١هـ عنى بشرحه وتصحيحه الأساتذة محمد احمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى نشرته دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة ، فى ٦٥١ صفحة)

١٧ — المعرَّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم : لأبى منصور الجواليقى ، المتوفى سنة ٥٤٠هـ . حققه وشرحه الأستاذ العلامة احمد محمد شاكر (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٤٠ + ٤٥٦ ص)

١٨ — المفضليات : جمعها أبو العباس المفضل الضبّى ، المتوفى سنة ١٦٨ أو ١٧٠هـ . الجزء الأول ، حققه وشرحه الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون . (مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة ، ٢٠٠ ص)

١٩ — المفضليات الخمس : للمفضل الضبى (١٦٨ أو ١٧٠هـ) حققها وشرحها الأستاذ عبد السلام محمد هارون (مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة ، ٤٨ ص)

٢٠ — من شعر أبى تمام : فيه نصوص من شعر أبى تمام والقصائد الخمس الأولى من المفضليات . ضبطه وشرحه وعلق عليه الأستاذ محمد محمد رضوان (طبع فى القاهرة)

٢١ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة . للقاضى أبى على المحسن بن على التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ الجزء الثانى بتحقيق المستشرق مرجليوث D. S. Margoliouth نشر فى « مجلة المجمع العلمى العربى » بدمشق ، فى أعداد المجلد ١٢ منها (سنة ١٩٣٢ ـ والمجلد ١٣ (سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥) والمجلد ١٧ (سنة ١٩٤٢) إن الجزء الأول من هذا الكتاب النفيس ، نشره مرجليوث (القاهرة ١٩٢١) ، والجزء الثامن منه نشره المستشرق المذكور والمجمع العلمى العربى (دمشق ١٩٣٠) ولا يعلم اليوم من أجزاء النشوار ، التى تبلغ أحد عشر مجلداً ، غير هذه الثلاثة ، الأول والثانى والثامن

٢٢ — خمريات أبى تمام : شرحها وحققها الأستاذ



معنى قوله تعالى (يخرج الحى من الميت)

لقد اطلعت فى مجلة الرسالة الغراء على تفسير لهذه الآية الكريمة ، ولما كنت قد فسرتها فى كتابى « الحمل وخلقة الإنسان بين الطب الحديث والقرآن » تفسيراً آخر رأيت أن أدلى به على صفحات هذه المجلة

فالمقصود من قول الله تعالى « يخرج الحىّ من الميت » أى أنه تعالى يخرج الإنسان الحى من الطين الميت ؛ ويشير إلى ذلك قول الله تعالى : « إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين » ثم يجعله يتكون وينمو من أشياء ميتة ؛ فالإنسان الحى يقتات من المواد النباتية وهى غير حية كما يقتات من لحوم الحيوانات بعد ذبحها وموتها وموت خلاياها موتاً كلياً ، فيحول الله تعالى هذه الأشياء الميتة فى جسم الإنسان إلى جسم حى فينمو الإنسان ويكبر . فالإنسان يستمد حياته من الحيوان والنبات ، والحيوان يبنى جسده من النبات ، والنبات ينمو من مواد الأرض فلا شك أن جسم الإنسان كله ينمو من الطين . وهذه معجزة الله الخالق العظيم الذى بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل بناء جسمه من الطين

فالمواد التى تدخل فى تركيب أجسامنا موجودة فى حفنة من تراب أو فى حثوة من طين ، ولكننا لا نستطيع الانتفاع بها مباشرة وإنما ننتفع بها عن طريق النبات . فعلى ذلك يحول الله تعالى المادة غير الحية إلى مادة حية فى أجسامنا ، وهذا هو إخراج الحى من الميت

وإما إخراج الميت من الحى فهو مثل خروج الإفرازات كاللبن وهو شىء ميت من جسم حىّ

أما قول كثير من المفسرين من إن إخراج الحى من الميت وإخراج الميت من الحى هو إخراج الإنسان من النطفة وإخراج النطفة من الإنسان على اعتبار أن النطفة شىء ميت ، فأعتقد أن ذلك لا يساير الحقيقة وقد ثبت أن النطفة جسم حى بحيواناتها المنوية الحيّة .

(بني سويف) الدكتور
حامد البدرى الفرالى

عبد السلام محمد هارون (مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة ٧٩ص)

٢٣ — وجائب الضمير : تأليف بحيا بن يوسف بن بقواد (المتوفى نحو سنة ١٠٥٠م) نقله من أصله العربى إلى اللغة العبرية يهوذا بن تبون Jehudr ibn Tibbon ونقله إلى الإنكليزية هيامسن M. Hyamson . وقد نشرت الترجمتان معاً فى نيويورك ، فى ٥ + ١٥٦ص

ثانياً : المستدرك على مطبوعات سنة ١٩٤١

١ — الإبانة فى أصول الديانة : لأبى الحسن على بن اسماعيل البصرى الأشعرى (قيل إنه توفى سنة ٣٢٤هـ) نقله من العربية[1] إلى الإنكليزية المستشرق كلين W. C. Klein وأشفعه بمقدمة وتعليقات ، فى المجلد ١٩ من مجموعة American Oriental Series (نيوهافن ١٣ + ١٤٣ ص)

٢ — أزهار الرياض فى أخبار عياض : لشهاب الدين المقرى التلمسانى ، المتوفى سنة ١٠٤١هـ الجزء الثانى ، نشره وعلق عليه الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، طبع على نفقة بيت المغرب (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٤٣٠ص) الجزء الأول ظهر سنة ١٩٣٩

٣ — إنباط المياه الخفية : لأبى بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخى (من أهل المائة الخامسة للهجرة) نشرته مطبعة المعارف العثمانية بحيدر آباد بعناية الأستاذ السيد هاشم الندوى (٧٤ صفحة فيها أشكال توضيحية)

٤ — أولياء حلب فى منظومة الشيخ أبى الوفاء الرفاعى (١٧٦٥ — ١٨٤٧م) نشرها الأب فردينان توتل اليسوعى ، بمقدمة وتعليقات وفهارس (المشرق ٣٨ [بيروت ١٩٤٠] ص ٣٢١ — ٤٢٢) . وقد وضع الناشر ترجمة أبى الوفاء فى المشرق (٣٩ [١٩٤١] ص ١٦٤ — ١٨٤) .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) المتن العربى ، طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٢١هـ

من رسائل الرافعي . ألفاظ العلوم . الترادف في السجع الشعر الجاهلي

منع الجاحظ أن يستعمل الخطيب — إذا كان متكلماً — ألفاظ المتكلمين إلا إذا عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً ؛ وحرم العسكري على الأديب استعمال تلك الألفاظ في أي غرض ؛ وأوجب ابن الأثير على الكاتب أن يعرف مصطلحات كل صناعة وأن يلم بكل علم وفن . فسألت الرافعي رحمه الله عن هذه الآراء الثلاثة ، وسألته كذلك عما أخذه ابن الأثير على الصابي من أنه يرادف السجع في المعنى الواحد ؛ ثم طلبت بعد ذلك أن يفضي برأيه فيما ذكره المنفلوطي رحمه الله من أن الشعر الجاهلي شعر ساذج . فجاءني هذا الجواب الشامل :

« أيها الأخ : السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فإنه يسرني أن أعرف لكم هذه العناية بالأدب والتوفر عليه ، ولعلكم واجدون فيه شيئاً من التعزية عما ترونه في حادثات الدهر من سوء الأدب ...

أما الأسئلة فإني مجيبكم عنها بإيجاز .. ولو أعان الله على إظهار ما بقي من أجزاء تاريخ آداب العرب لرأيتم فيها الجواب مطولاً مبسوطاً

أما كلام الجاحظ فصحيح ؛ لأنه يريد « بالمتكلم » الرجل من أهل الجدل وعلماء الكلام ؛ وهذا إذا هو استعمل ألفاظ صناعته في مخاطبة الناس من أهله وجيرانه ، أو الكتابة إلى من هو في حكمهم والخطابة عليهم ، كان ذلك مرذولاً منه وعُدّ متكلفاً ودخل في باب الغريب الذي يسمونه العي الأكبر ؛ ولكن الجاحظ لم يمنع أن يفيض المتكلم مع المتكلمين بمثل تلك الألفاظ بل هو نبه على أن ذلك محمود منه

والأصل هو ما ورد في الحديث : خاطبوا الناس على قدر عقولهم . وصاحب المثل السائر لا يرى في كلامه إلى ما أراده الجاحظ بل هو يريد أن يلم الكاتب بمصطلحات كل صناعة ويشارك في كل علم وفن ، إذ يجد في ذلك مادة ربما احتاج إليها في توليد معنى ، أو في الكتابة عن واحد من أهل تلك الصناعات أو في ديوان من دواوين الإنشاء القديمة التي كانت تتناول أكثر أمور الدولة يومئذ ، ففيها كاتب الرسائل وكاتب الخراج وكتّاب آخرون ، وكانت تلك أغراض الكتابة من حيث هي صناعة . على أن ألفاظ العلوم الخاصة بها مما يصطلح عليه لا يجوز أن يستعان بها في الإنشاء إلا لغرض يستدعيها وإلا كانت من العي والفهاهة ونزلت منزلة الحشو ووقعت أكثر ما تقع لغواً . وهذا هو غرض العسكري

وأما عيب صاحب المثل على الصابي في ترادف السجع فأنا أراه في موضعه من النقد ، لأن السجع صناعة لا سجية ، والترادف قد يحسن في الأسلوب المرسل لمتانة السياق وقوة السرد كما تجده في كتابة الجاحظ وغيره ، ولكن الذي يسجع لا يضطر إليه لأن كل سجعة فاصلة فهو من باب الحشو لا غير . والصابي على قوته في الترسل ضعيف في السجع لا يبلغ فيه منزلة البديع ، ولا جرم كان ذلك من ضعفه فيه

وأما شعر الجاهلية وسذاجته فلم أقرأ ما كتبه المنفلوطي في ذلك ، ولكن شعر الجاهلية كشعر غيرهم إنما يصف أحوال الحياة التي شهدوها فيقع فيه ما يقع في سواه من القوة والضعف ويكون فيه الجيد والسخيف . على أن شعر فحول الجاهلية لا يتعلق به شيء من شعر غيرهم في صناعة البيان لا في صناعة الشعر إذ هم أهل اللغة وواضعوها

وفي الجزء الثالث من تاريخ الأدب زهاء أربعمائة صفحة في تاريخ الشعر العربي وفلسفته وأدواره الخ

على أني أحب لك ألا تحفل كثيراً بأقوال المتأخرين وكتاباتهم ومحاوراتهم فيما يختص بالأدب العربي وتاريخه لأنهم جميعاً ضعاف لم يدرسوه ولم يفكروا فيه ، فابحث أنت وفكر واجتهد لنفسك فهذه هي السبيل ..

كتبت على عجلة ساعة الانصراف ، ففكر في الجواب واستخرج من قليله مالا يكون به قليلاً . والسلام عليكم ورحمة الله

١٤ أكتوبر سنة ١٩١٦ (مصطفى صادق الرافعي)

(المنصورة) محمود أبو ريه

تصحيح اسم طبيب

كتب صديقنا القديم الدكتور باول كراوس المدرس بكلية الآداب مقالين نفيسين في الثقافة الغراء عن (هبة الله بن جميع الإسرائيلي المصري طبيب الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب . وضبط الدكتور الفاضل اسم الطبيب المصري هكذا « ابن جميع أو جُميّع »

وعجبت جداً كيف يغفل صديقنا المحقق عن صحة اسم هذا الطبيب الإسرائيلي المصري فيرويه على وجهين ، مع أن النصوص والأخبار جميعها متفقة على رواية واحدة وهي ابن جميع بفتح الجيم لا غير . فلا حاجة بنا إلى تشديد الياء

قلت إن الأخبار الأدبية والتاريخية تؤيد هذا الوجه ولا نعرف

فيه وخاصة أن هذه الأخبار لأعلام عصر المؤلف وشعرائه المشهورين

ودليلنا على ذلك ما قاله ابن النجم المصري الشاعر المشهور في عصر صلاح الدين وكان معاصراً لابن جميع في هجائه :

دعوا ابن جميع وبهتانه ودعواه في الطب والهندسة
فما هو إلا رقيع أتى وإن حل في بلد أنحسه

وقوله من أبيات أخرى .

لابن جميع في طبه حمق يسب طب المسيح من سببه

وقوله من أبيات أخرى

كذبت وصحفت فيما ادعيت وقلت أبوك جميع اليهودي

فهذه النصوص كلها تدل على أن اسمه ابن جَميع بفتح الجيم لأن الشعر لا يستقيم وزنه على الوجه الثاني (ابن جميِّع) الذي ذكره الدكتور

بقي أن هذه الأبيات التي أوردتها هي في هجاء ابن جميع ، وقد صدرت عن شاعر خبيث اللسان كما يعترف بذلك ابن أبي أصيبعة صاحب طبقات الأطباء ج ٢ ص ١١٣ ، ولكنها على كل حال لا تغض من قيمة ابن جميع العلمية ولا تنقص من قيمة رسالته الصلاحية النفيسة التي أورد الدكتور كراوس نبذاً منها في عدد الثقافة الأخير محمد عبد الغني حسن

« إبليس يغني » للأستاذ صلاح الدين المنجد

الأستاذ صلاح الدين المنجد في طليعة الشباب السوري الممتاز بالجمع بين الثقافتين العربية والغربية . وقلما تجد هذا الجمع على نسبة عادلة في غير هذه الفئة الصالحة التي تنتج الأدب السوري اليوم وتجدد فيه وتقوم عليه ؛ فهي تمتاز من غيرها بإشراق الديباجة وسلامة البيان من جهة التصوير ، وبشمول الثقافة وجدة الفكرة من جهة التصوُّر . والمتتبع لمقالات الأستاذ المنجد في الرسالة يلاحظ هذه المزايا واضحة جلية . وقد أصدر اليوم بعنوان « إبليس يغني » ثلاث روايات قصيرة هي : إبليس يغني ، وإبليس يلهو ، وحسناء البصرة . نقلها عن حكايات قديمة « كتبت في عصر يباين عصرنا فأصبح يعوزها أن تعرض برشاقة ، وتهذب بذوق ، وتصقل بفن ، وتثقف بدقة ... »[1] وقد قال الأستاذ : « فوضعت حوارها على طراز تمثيلي حديث ، ولم أشأ أن أبدل في جوهرها ، ولكن تصرفت بعض التصرف في ترتيبها وتفصيلها وتبويبها ، فجاءت كتاباً خاصاً ما أحسب أن أحداً أفرد مثله لمثلها ... أقدمه رياً للقلب الرغيب في التماس الجمال في أدب القدامى ، ومتاعاً للنفس المطوف على الفن أنى كان ، ووسيلة لتحبيب الشباب في أدبنا القديم »[1] . والكتاب مطبوع في مطبعة الترقي بدمشق طبعاً جيلاً على ورق جيل .
فللأستاذ المنجد الشكر على كتابته ، ولجمهور القراء التهنئة بقراءته

(١) مقدمة الكتاب

(١) من المقدمة أيضاً

بنو إسرائيل والطعام الواحد

قرأت ما رد به الأستاذ « س » على الدكتور زكي مبارك في فهم الآية الكريمة : « اهبطوا مصراً ... » فراعني منه أن يبني وجه التخطئة على ما يأتي :

أن « مصر » النيل المبارك فهي علم ممنوع من الصرف ... كيف هذا وصاحب الكشاف يقول ما نصه ... ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله : نوحاً ولوطاً ... وأن يريد مصراً من الأمصار . وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش : اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله : ادخلوا مصر اهـ

وعندي لتعليل تنوين مصر مع كونه علماً وجه آخر ذكره النحاة في كتبهم ، وأظنه لا يغيب عن مثل حضرة الأستاذ ، وهو أن العلم إذا أريد به البقعة لم يصرف لأنه اجتمع فيه التأنيث مع العلمية ، وإن أريد به المكان صرف

والذي يرجح أن المراد بمصر مصر النيل قوله سبحانه « فإن لكم ما سألتم » إذ المعنى أنهم إذا نزلوا هذا البلد المبين فإنهم سيجدون سؤلهم ، وسيكون المعنى على فهم الأستاذ الجليل أنهم إذا نزلوا أي مصر من الأمصار وجدوا ما يطلبون . فأي المعنيين أليق بعظمة القرآن وجلال التبيان ؟! ابراهيم السعيد عجلونه

حكم في القضية ١٩٨٤ سنة ٩٤٢ عابدين العسكرية ضد راغب حنا ميخائيل بتغريمه مائة جنيه ومصادرة الأرز موضوع المخالفة ونشر الحكم بجريدتي الرسالة والثقافة وتعليقه بمتجر المتهم والقسم وغلق المحل لمدة ثلاثة أيام لامتناعه عن بيع الأرز بالسعر المحدد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



الفرقة المصرية

قالوا إن الفرقة القومية (القديمة) لم تؤد رسالتها ، ولم تقم بواجبها ، ولم تفعل شيئاً مما خلقت له . والحق أنها وقفت جامدة فى مكانها فلم تتقدم خطوة واحدة ، وكان ذلك راجعاً إلى سوء الإدارة — كما أعتقد —

... وقالوا إن الفرقة المصرية (الجديدة) ستكون مثلاً أعلى للنهضة بفن التمثيل فى مصر بعد ما أدخل عليها من تعديل وتبديل ، وبعد ما أثير حولها من قال وقيل ، فماذا فعلت الفرقة المصرية الجديدة ؟ !

أشهد أنها قد أجادت فى الإعلان عن نفسها وسلكت فى الدعاية لأعمالها كل السبل ؛ ولكنها — وا أسفاه — لم تعمل شيئاً غير ما كانت تعمله الفرقة المنحلة اللهم إلا الدعاية ... والدعاية فقط

قدمت الفرقة فى الأسبوع الماضى مسرحية (مروحة الليدى وندرمير) للكاتب الإنجليزى المعروف أوسكار وايلد ومن تعريب الأستاذ عباس يونس وإخراج الأستاذ فتوح نشاطى . وقد اشترك فى تمثيلها لفيف من ممثلى الفرقة نذكر منهم الأساتذة : حسين رياض وسراج منير وفؤاد شفيق وفؤاد فهيم ، والسيدات زينب صدقى ونجمة إبراهيم وإحسان شريف وسامية فهمى وغيرهم . وقد جاء الإخراج غاية فى الإتقان والتمثيل غاية فى المقدرة . ولكن المسرحية — للأسف — بعيدة كل البعد عن مجتمعنا فهى لا تلائمه ، ولا تدور حوادثها فى مثل بيئتنا . ولست أدرى لماذا قدمت الفرقة هذه المسرحية التى لا تمت إلى أخلاقنا وعاداتنا بصلة ؟ ! أعجز الكتاب والمؤلفون المصريون عن خلق الرواية المصرية حتى تلجأ الفرقة إلى أدب الغرب تستعير منه وتأخذ عنه ؟ ! أم ماذا ؟ ! ...

نحن لا نعارض فكرة الترجمة فى حد ذاتها . وإنما نعارض أن تترجم للفرقة (المصرية) روايات لا تلائم ولا تتفق مع الخلق المصرى فيكون تمثيلها نوعاً من العبث لا يؤدى إلى الغرض المقصود الذى من أجله تنفق هذه الأموال الطائلة .

ونحن لا نريد أن ننتقص من مجهود القائمين على أمر الفرقة ولا نريد أن نجحدهم فضلهم ، وإنما نريد أن نشير عليهم بالوجهة الصحيحة حتى يتلافوا الوقوع فى أخطاء الماضى

وأخيراً نتمنى للفرقة المصرية الجديدة كل تقدم وارتقاء

كلمة واجبة

ليس أفسد للفن ولا أضر على البلد من مصيبة مصر بأدعياء كبراء فى الادعاء هرولوا سراعاً إلى مراكز فنية فرضوا نفوسهم عليها بالمال ، ويا لضيعة الفن من أصحاب المال !

إن فى مصر فوضى كبيرة فى السينما مبعثها ومثيرها ومديرها أمر واحد هو أن كل تاجر يريد الربح العزيز يلقى ببعض ماله مكوناً شركة سينمائية ، يؤلف قصصها ، ويمثل أدوارها ، ويخرج أفلامها فارضاً نفسه (كفنان) على الشعب ناسياً (أو) متناسياً أنه ينقصه الطبيعة الفنية ، والحاسة ، والذوق ، والإلهام

لست أدرى على من ألقى التبعة فى هذا المقام ؟ ! أعلى الشعب الذى يلقف كل ما يلقى إليه لأن السينما فن جديد ؟ ! أم على أولى الأمر الذين يصرحون بعرض مثل هذه السخافات على الناس فيكونوا بذلك قد جنوا على أذواق الجماهير وعلى رسالة الفن فى ذاته ؟ ! أمر محير فهل يمكن تداركه قبل أن يستفحل ؟ ! ليس أمامى مفزع سوى وزارة الشئون الاجتماعية ووزيرها أضرع إليه فى أن يوجه عنايته إلى أمر الفوضى الضاربة فى الفن السينمائى ويجتث أصولها حتى يضمن للفن المافى أن يقيم أبنيته على أساس نقى نظيف

عبد الفتاح متولى غبن

حكم فى القضية رقم ٦٠ مركز أبنوب عسكرية أسيوط سنة ١٩٤٣ ضد مريد اسكندر سند من ابنوب حبسه ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصاريف لبيعه بترول بازيد من التسعيرة بجلسة ٣٠ / ١٢ سنة ١٩٤٢

مطبعة الرسالة — ٨١ شارع السلطان حسين عابدين . القاهرة


RETRO
NEWS